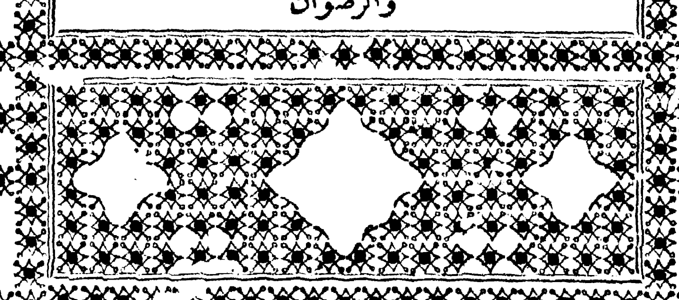
فهرست الجزء الثاني من تفسير القرآن المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان

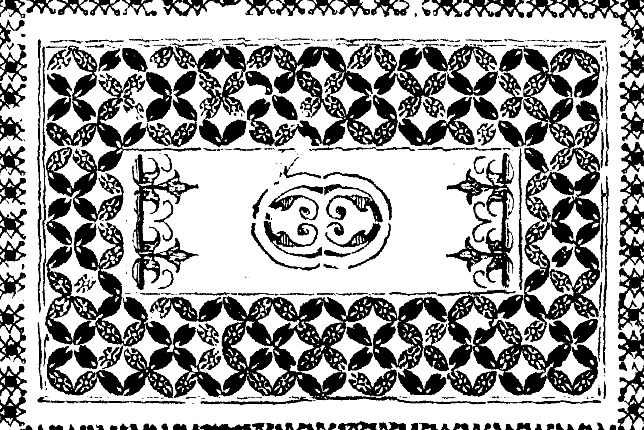
(تمت)

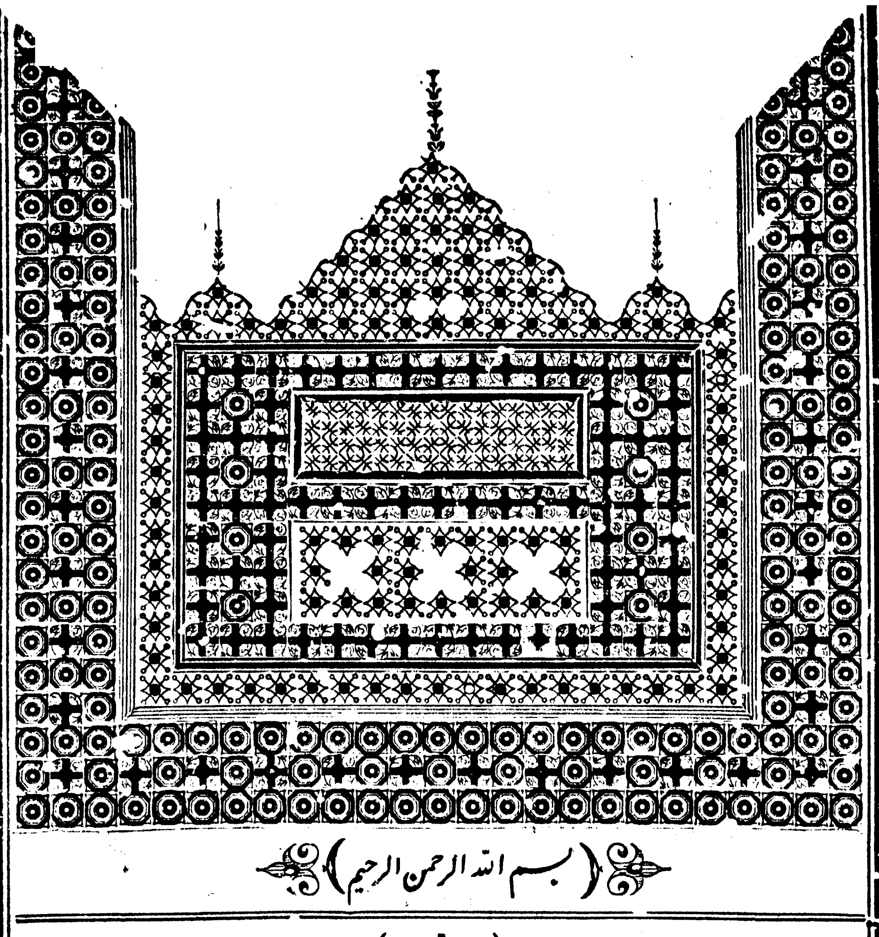
الجزء الثاني من تفسير القرآن

المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير الى اعجاز القرآن تصنيف الامام الكامل المحقق الثقة الهمام الفاضل نادرة الزمان ونتيجة الاوان مورد الافاده ومصدر الاجاده الشيخ العلامة على المهايمي قدس الله روحه ونور ضريحه

وبهامشه نزهة القلوب فى تفسير غريب القرآن للامام أبي بكر محمد بن عزيز السجستاني عليه سحائب الرحمة والرضوان







(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سورة مريم)

سميت بها لان قصتها تشير الى أن من اعتزل من اهله لعبادة الله وطلب بها اشراق نوره يرجى ان يكشف له عن صفات الحق وعن عالم الملكوت ويظهر له الكرامات العجيبة وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى مظاهر أنبيائه وأوليائه (الرحمن) عليهم بالذات وعلى من سواهم بواسطتهم (الرحيم) على الخواص بخواص الرحمة التى يشير اليها (كهيعص) أى كبير هيبة يده عزيزة صاعدة أو كافى هداية يقين عال صاف أو كريم هاطل عين عالم صادق أو كاشف هم يأس عظيم صعب أو نحو ذلك مما يناسب المقام (ذكر رحمت ربك عبده زكريا) أى ذكر الله لنا ما رحم به زكريا عليه السلام بمقتضى كمال ربوبيته المنسوبة الى نبينا عليه السلام لاصالته فى باب النبوة التى طلب ان يكون أصلا فيها الفرع فانتسب الى الهوية التى هى أصل الكل بواسطة دخوله تحت حيطة نبينا عليه السلام لذلك اعطاه ولدا كاملا فى باب النبوة فبشره بنفسه تارة وبملائكته اخرى وتولى تسميته ولم يشرك فيها من تقدمه ايذانا به بذلك انه اداء الحق باسم الله بوجه وذكرها لنا كبير هيبة لنا فى تعريف مقام النبوة من يده العزيزة التى تغلب الاوهام والخيالات المعارضة للعقل المعز للاصعاد الى معارف السعادة الابدية كيف وفيها كفاية فى افادة هداية يقين بالله وبقدرته وعنايته بصفوته عال على ما يحصل

بالدلائل

(باب الصاد المفتوحة)

(قوله عز وجل صيب) أى مطر فيعل من صاب يصوب اذا نزل من السماء (قوله صاعقة) أى صوت والصاعقة أيضا كل عذاب مهلك (قوله عز وجل صابئين) أى خارجين من دين الى دين يقال صبا فلان اذا خرج من دينه الى دين آخر وصبأت النجوم خرجت من مطالعها

بالدلائل العقلية لصفائها عن الشبهات وهي كرم هاطل في افادة الكشوف الغير المتناهية كاشف هم اليأس العظيم الصعب في حل الشبهات وفيه اشارة الى كرم الهاطل على من مات وخلف ولدا صالحا وكشف هم عوارض المعاصي عنه وكانت هذه الرحمة اثر دعائه (اذ نادى ربه) المخصوص به لكن لما كانت الرحمة المذكورة لايتصور افاضتها منه افاضها من اسم اعلى منه ذكر (نداء) لئلا يتوهم ان (خفيا) حال من ربه فيتوهم انه كان حال الدعاء محجوبا عنه وانه يمكن كونه مجاهرا بندائه لكنه اخفاه ليكون ابلغ في التذلل وابعد من شماتة الاعداء أو نسبتهم اياه الى السفه بطلب المحالات العادية (قال رب) اي يامن رباني بالعلم والولاية والنبوة وسائر الكمالات انها صارت كالتالفة عند ضعف الحياة (اني وهن العظم) التي هي أقوى الاعضاء واصلبها وان كان لها قوة باطنية (مني و) هنت قواي المدركة والمحركة لانه (اشتعل الرأس) أي خالط سواده اختلاط النار (شيبا) فاحترق ما فيه وذهب رونقه (و) هو وان كان مانعا من حصول الولد دعوتك فيه لاني (لم أكن بدعائك رب) أي يامن رباني باستجابة الدعوات (شقيا) بالرد وعدم الالتفات اليه ولو في الامور المستحيلة عادة (و) لم ادعك لامر دنياوي بما تمنعها خواصك لما فيه من صلاحهم بل لاصلاح امور الخلق (اني خفت الموالي) أي الذين يلون أمر الخلق (من ورائي) أي من بعد موتي فتنتهم وخلافهم اذ لم يقتدوا بني فطلبت منك الولد مع ظهور استحالته من جهتي مشيختي ومشيخة امرأتي (و) من جهة أنه (كانت امرأتي) حال شبابها (عاقرا) فكاني طلبته بلا سبب ليحصل بلا واسطة فيكون اكمل (فهب لي من لدنك وليا) يلي أمر الناس (يرثني) النبوة والولاية والعلم وسائر الكمالات (ويرث) ماليس لي (من آل يعقوب و) لا تجعل كمالا نه سبب سخطك عليه لتكبره بها وطغيانه على الخلق بل (اجعله رب) أي يامن رباني بالكمالات في مقام الرضا (رضيا) ترضى جميع ما فيه ويرضاه الخلائق فقال (يازكريا) ناداه ليقبل اليه بما يبشره به (انا) من مقام عظمتنا الانزال (نبشرك بغلام) لا تعرف غاية كماله سوى انه (اسمه) عندي ليجب مطابقته للمسمى (يحيى) اذ يحيا به ما مات من فضائل الانبياء عليهم السلام وكيف يعرف غاية كماله مع انه لم يكن لمن قبله اذ (لم نجعل له من قبل سميا) فضلا عن ان يتصف بكماله فكان أعلى مما طلبته اذ حصل من اسم أعلى من الذي طلبته منه (قال) زكريا (رب) أي يامن رباني باعطاء ولد يحيا به ما مات من فضائل الانبياء عليهم السلام (أنى) أي كيف (يكون لي غلام) ينسب الي من غير أن أكون أنا ولا امرأتي سببا فيه (و) لو جعلت السببية لي فهل تجعل امرأتي ولودا بعدما (كانت امرأتي عاقرا و) هل اجعل شابا بعدما (قد بلغت من الكبر عتيا) أي يبسا (قال) ينسب اليك الولد مع كونكما (كذلك) شيخا وعاقرا ليكون الولد بلا سبب مؤثر اذ عند تأثيره لايخلو من الانصباغ بصبغته وان لم يكن لها أثر بالحقيقة (قال ربك) أي الذي رباك باعطاء مثل هذا الولد عن دعوتك (هو) أي جعل الولد منسوبا اليك مع عدم تأثير سببيتك (علي هين وقد خلقتك من قبل) أي من قبل هذه الكمالات فيك (ولم تك شيئا)

وصبأنا به خرج وقال قتادة الاديان ستة خمسة للشيطان وواحد للرحمن الصابئون يعبدون الملائكة ويصلون للقبلة ويقرؤن الزبور والمجوس يعبدون الشمس والقمر والذين أشركوا يعبدون الاوثان واليهود والنصارى قال أبو عبد الله ابن خالويه قلت لابي عمر كان قتادة عجيبا في الحفظ فقال نعم قال وقال يوما

من انسان ونطفة وعلقة وعناصر فوجدت مادتك بلا شئ أصلا فضلا عن سبب فلا يبعد أن يحصل لك ولد من غير سبب مؤثر بالكلية لا في الظاهر ولا في الباطن فغاية الامر انه حصل بسبب لا أثر له سوى هذه النسبة (قال رب) انك وان رضيتني بهذا الولد لكن جعلت هذه الآية في ذات الولد (اجعل لي آية) تكميلا لتربيتك واشتغالا بشكرك قبل ظهور نعمتك (قال آيتك أن لا تكلم الناس) أي تمتنع عليك مكالمتهم (ثلاث ليال) لكونك في حكم الغائب عنهم لافراط اشتغالك بالحق (سويا) بلا مرض في بدنك ولا في لسانك وليس ذلك بالفناء في الله بل حال الرد الى الخلق (فخرج على قومه من المحراب) الذي كان فيه في حكم الغائب عنهم فرد اليهم لتكميلهم (فأوحى اليهم) أي اشار اليهم (ان سبحوا) أي صلوا لله (بكرة وعشيا) أي ناظرين الى ظهوره في الخلق مع بطونه فلا يحجبكم احدهما عن الآخر وان غلب عليكم نور الحق ولعدم احتجابه باحدهما عن الآخر عبر عنها بالايام في سورة آل عمران ولسريان نور الجمعية منه الى ولده قلنا له (يا يحيى) المخلوق لاحياء الظاهر بالاعمال والباطن بالاخلاق والاحوال والعلوم (خذ الكتاب) الجامع لها وهو التوراة (بقوة) أي عزيمة في العمل والتخلق بمعانيه وفهم ظاهره وباطنه بحيث يتحقق فيك ميراث أبيك وميراث آل يعقوب (و) يسرنا له ذلك اذ (آتيناه الحكم) أي استنباطه بطريق الاجتهاد (صبيا) فلا يعسر عليه الترقي الى ماذكر (و) لم يكن كماله لازما بل متعديا اذ آتيناه (حنانا) أي رحمة يرحم بها الخلق لتحققه باسمائنا الا بطريق الاكتساب بل موهوب له (من لدنا و) لم يدع بذلك كمالا لنفسه اذ آتيناه (زكوة) أي طهارة عن الخبائث التي من جملتها الدعاوى الفاسدة (و) لم يقصد بذلك طلب جاه ولا مال اذ (كان تقيا) عن طلب ماسوى الله هذا فيما بينه وبين الله (و) اما فيما بينه وبين الخلق فكان (برا بوالديه) محسنا لخدمتهما واذا لم يتصور في حق الجميع قال في حقهم (ولم يكن جبارا) بابطال حقوقهم (عصيا) بترك تعليمهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وارادة السوء بهم ثم أشار الى عصمته وقربه فقال (وسلام) من الله وملائكته (عليه يوم ولد) فلم يمسه فيه الشيطان ولم يملكه الهوى والغضب (ويوم يموت) فلم يكن للشيطان عليه سلطان ولم يكن له التفات الى ما ترك من الدنيا ولا سؤال القبر ولا عذابه (ويوم يبعث) فلم تحزنه أهوال القيامة فكان (حيا) أطيب حياة فيه (واذكر) يا نبي الرحمة للامة المرحومة مما يصل اليهم بواسطتك أتم مما يصل اليهم بدونها (في الكتاب) الالهي نيابة عن الله وهو وان كان عبارة عن القلم الاعلى فهو عين باعتبار أن ماسوى الله فائض من نوره صلوات الرحمن عليه حقيقتك رحمة ربك امته (مريم) اذ أعطاها ولدا بلا والد ودعاء أحدهما أعجب من ولد زكريا رحمهما الله (اذ انتبذت) أي اعتزلت (من أهلها) لئلا يشغلوها عن العبادة فاستقرت (مكانا شرقيا) اي شرقي بيت المقدس لطلب اشراق انوار الحق (فاتخذت من دونهم حجابا) لئلا تحجبها رؤية الخلق عن أنوار الحق فكشفنا لها عن عالم الملكوت (فأرسلنا اليها) جبريل بحمل (روحنا) اي المنسوب الى مقام عظمتنا الغاية كماله لينفخ فيها بعد ان تمثل ليكون مادة لجسد عيسى (فتمثل) أي فتصور

في مجلسه ما نبت شيئا قط ثم قال لغلامه هات نعلي فقال نعلاك في رجلك (قوله عز وجل صفراء فاقع لونها) أي سوداء ناصع لونها وكذلك جمالات صفر أي سود قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ويجوز أن يكون صفراء وصفر من الصفرة قال أبو محمد قال أبو عبد الله النمري

الرسول (لها) أى لرؤيتها (بشرا) لا حيوانا آخر (سويا) لم ينقص من صورة البشر شيأ لئلا
تنفر من رؤيته فلما رأته فى مكان الخلوة ولم تعرفه ظنت انه يريد مواقعتها وهى عفيفة
(قالت انى اعوذ بالرحمن منك) أى الذى رحم بالايمان والخوف منه اذا سمع اسمه لتنزجر به
(ان كنت تقيا) تخافه عند سماع اسمه والاستعاذة به فلا يجترئ على المستعاذ به (قال) لست
بشرا فاجرا (انما انا رسول ربك) أرسلنى اليك بروح منه (لاهب لك) بنفخ الروح على يدى
وقرئ لأهب لك أى لاكون سببا فى الهبة (غلاما) فوق ما وهبك امك (زكيا) أى طاهرا عن
المعاصى والرذائل ناميا فى الخيرات (قالت أنى) أى كيف (يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر)
أى لم يطأنى بنكاح (ولم اك بغيا) أى فاجرة تبغى الرجال (قال) يكون لك الولد وانت
(كذلك) أى على الحال التى أنت عليها (قال ربك) أى الذى رباك بالكرامات (هو على
هين) اذ لا افتقر الى الوسايط فخلقه لاظهار غناى عنها (ولنجعله آية للناس) على بعثهم يوم
القيامة بلا واسطة الآباء والامهات (ورحمة منا) عليك بهذه الكرامة وعلى سائر الناس
بالهداية وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وغير ذلك (وكان أمرا مقضيا) شئت أم ابيت
ولما سمعته يقول انما انا رسول ربك ورأته لا يمد يده اليها وقع فى قلبها اصدقه ومالت اليه ولما سمعته
يقول لأهب لك غلاما زكيا وقطع ترددها بقوله وكان أمرا مقضيا اسرى فى باطنها الشهوة فأمنت
فنفخ جبريل فى جيب درعها فوصلت النفخة الى باطنها حاملة للرطوبة الموهوبة من النفخة
فصارت الرطوبتان بمنزلة اجتماع منى الرجل ومنى المرأة ليكون منهما جسد عيسى (فحملته)
أى صارت فى الحال حاملة به وتصور الولد وكبر فى بطنها من غير مدة مديدة (فانتبذت به) أى
اعتزلت بسببه فاخذت (مكانا قصيا) أى بعيدا من قومها خوف الفضيحة فلم يمكث الولد
فى بطنها الا مدة وصولها الى ذلك المكان (فأجاءها المخاض) أى فالجأها الم الولادة (الى جذع
النخلة) التى لا سعف لها ولا رأس ولا ثمر لتتمسك به من شدة الالم وقد ازداد من خوف التهمة
الى حيث (قالت يا) موت تعال (ليتنى مت قبل هذا) الحمل (وكنت) منسية (نسيا منسيا)
ذلك النسى أيضا من خوف الملامة ووقوع الناس فى المعصية (فناداها من تحتها) أى عيسى
بعد ما ولدت (ألا تحزنى) للتهمة فان الله يقلعها بما يعطيك من الكرامات (قد جعل ربك تحتك)
بضرب رجلى (سريا) اى نهرا جاريا (وهزى اليك) اى حركى الى نفسك اذا اخذت (بجذع
النخلة) المذكورة (تساقط) أى تتساقط ثمارها (عليك رطبا جنيا) جاء أوان اجتنائه وانما
خصصت بهاتين الكرامتين لتستعين بهما فى دفع الجوع والعطش (فكلى) مما يختار للنفساء
من الرطب (واشربى) من النهر (وقرى عينا) بولد ذى الارهاصات فلا تبالى للتهمة (فاما
ترين) أى فان تحقق رؤيتك (من البشر احدا) يسألك عن حالك (فقولى) بطريق الايماء
(انى نذرت للرحمن) الذى رحمنى بهذه الكرامات وباعطاء هذا الولد ذى الارهاصات على انه ان
خلصنى من التهمة لأصومن له (صوما) أى امساكا عن الطعام والكلام لا مع الله وملائكته
بل مع الانس (فلن أكلم اليوم انسيا) اى شخصا منسوبا الى جنس الانس بل يكلم الصبى عنى

قال أبو رياش من جهل الاصفر أسود فقد اخطأ وأنشدنا بيت ذى الرمة وهو
كحلاء فى برج صفراء فى نعج
كأنها فضة قد مسها ذهب
قال أفتراه وصف صفراء بهذه الصفة وقال فى قول الاعشى
هن صفر أولادها كالزبيب
أى زبيب الطائف بعينه وهو أصفر وليس باسود

ليكون اقلع للتهمة ولما سمعت منه هذا الكلام ورأت منه الارهاصات لم يبق فيها مبالاة للتهمة (فأتت به قومها تحمله) اقتصارا به (قالوا يامريم) ملاحظين أصل معناها وهو العابدة والله (لقد جئت شيأ فريا) أى بديعا لم يكن فى أهل العبادة (يا أخت هرون) من أبويه أو من أبيه وكان أصلح الناس وحق الفرعين ان يتماثلا فى ثمرات شجرة واحدة لا تختلفان حلاوة وحموضة بل حق الفرع ان يتبع الاصل وانت (ما كان أبوك) عمران (امرأسوء) بل قدوة لاهل الصلاح (و) لو قيل ان خالك انما تبع اباك وأنت تبعت أمك (ما كانت أمك بغيا) فاجرة (فأشارت) الى انها نذرت صوما وان الجواب مفوض (اليه) أى الى ولدها (قالوا كيف نكلم من) لا يتصور منه الجواب اذ (كان) مستقرا الى الآن (فى المهد صبيا) فنسبت الى السفه فانطقه الله من غير أن يستنطقه أحدهم قلعا للتهمة اذ (قال انى عبد الله) أى المنسوب الى اسمه الجامع ويعد حصول هذه الجمعية التى هى دليل الكرامة لولد الزنا وبجمعيتى (آتانى الكتاب) أى الانجيل (و) انما آتانى الكتاب لانه (جعلنى نبيا و) يدل على صدقى فى دعوى النبوة انه (جعلنى مباركا) كثير الخيرات (أينما كنت) من امور الدنيا والدين (و) انما كثرت خيراتى لانه (أوصانى) أى آمرنى أمرا مؤكدا (بالصلوة والزكوة) بنفسى وبسائر المؤمنين لا حفظ عمارة باطنى بعمارة الظاهر لاحتياجى الى عمارة الظاهر (مادمت حيا) اذ لا يسترى الفساد من الظاهر الى الباطن هذا فى حق الله (و) فى حق الخلق جعلنى (برا بوالدتى و) فى حق العامة الذين لا يتصور معهم عموم البر (لم يجعلنى جبارا) عليهم وان جعلنى حاكما عليهم وهذا يدل على انه لم يجعلنى (شقيا) حتى يتصور منى الدعاوى الكاذبة وكيف اشقى (والسلام على يوم ولدت) فلم يمسنى الشيطان (ويوم أموت) فلا يكون له على سلطان ولا يكون على سؤال منكر ونكير ولا على عذاب قبر (ويوم ابعث) فلا افزع من أهوال القيامة فاكون فيه (حيا) أطيب حياة ويعد كل البعد حصول هذه الكرامات والارهاصات لولد الزنا فلما رد بذلك على اليهود القائلين بانه ولد الزنا رد على النصارى بقوله (ذلك) القائل (عيسى) لا الله اذ لا يتصور ان يقول شيأ مما ذكر (ابن مريم) لا ابن الله اذ لا يتصور منه أكثر هذه الاقوال واما احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فهو (قول الحق) لها باعتبار ظهوره على لسان عيسى اذ هو (الذى فيه يمترون) أى يتنازعون فى كونه قوله أو قول ربه فلم يعلم انه قوله أو قول الحق لكنه قد عم هذه الامور من فعل الله فى غير صورة النزاع فحمل عليه صورة النزاع وكيف تكون لعيسى وهو اما بالالهية وهى منتفية عن المولود لحدوثه أو بالولدية لكنه (ما كان لله أن يتخذ من ولد) لانه من خواص الحيوانات التى تموت فتخلف أولادها (سبحانه) من أن يكون من الحيوانات أو يلحقه الموت ولا يحتاج فى احداث شئ الى مباشرة امرأة لانه (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) والحاصل بامر كن لا يختلف بكونه ولدا تارة وعدم ولد أخرى (و) لو تصور لله ولد لم يكن عيسى لما صرح به بقوله (ان الله ربى وربكم) لا على معنى انه ربانى بحيث أستحق أن أعبد اذ لا يتأتى فى ربكم مع قوله (فاعبدوه) على ان قوله (هذا صراط مستقيم) يدل على ان عبادة

(قوله ولم يردسائر الزينب) (قوله والمروة) تعالى ان الصفا والمروة (قوله هما جبلان بمكة) (قوله عز وجل الصلاة الوسطى) لانها بين هى صلاة العصر لانها بين صلاتين فى الليل وصلاتين فى النهار والصلاة على أربعة أوجه الصلاة المعروفة التى فيها الركوع والسجود والصلاة من الله الترحم لقوله عز وجل اولئك عليهم صلوات من ربهم أى ترحم والصلاة

الفرغ غير مستقيم فضلا عن الهيته أو ولديته وهذا القول يقتضى اتفاق الاحزاب على نبوته لكونه ارهاصا مشتملا على الدلائل المشار اليها مؤيدا بالمعجزات لكنهم لم يجروا على مقتضاه (فاختلف الاحزاب) من النصارى واليهود اختلافا نشأ (من بينهم) فهو من كفرهم وعنادهم الذى لا يتركونه الا بمشاهدة العذاب (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يشهد فيه عظمة كل نوع من العذاب وانما كفروا والعدم سماعهم للدلائل النقلية والعقلية وابصارهم للمعجزات والارهاصات لبعدهم عنا (أسمع بهم وابصر) أى تعجب من سماعهم وابصارهم (يوم يأتوننا) ولو انصفوا السمعوا الآن وابصروا (لكن الظالمون) بترجيح أهوائهم (اليوم) الذى يجدون فيه فوائدها ولا يشعرون ضررها (فى ضلال مبين) بتحملهم أعلى وجوه الشدة الدائمة لادنى اللذات الفانية (و) ان قالوا كيف نترك اللذة الحاضرة للشدة الغائبة (انذرهم يوم الحسرة) الذى يتحسر فيه على تحمل اشدة الدائمة للذة لم تبق لهم ويجب أن يخافوه (اذ قضى) أى جزم (الامر) بوقوعه (و) قد علموا ذلك من الدلائل النقلية المؤيدة بالعقلية لكن لا يبالون له اذ (هم) مستغرقون (فى غفلة و) لو لم يغفلوا (هم) لعنادهم (لا يؤمنون) وانما عاندوا التوهمهم انهم يملكون شيأ من الارض فان صح فلا يبقى لهم (انا نحن نرث الارض ومن عليها) من الاملاك والعبيد وما فى يده لمولاه (و) كيف يبقى لهم توهم الحرية أو توهم مالكيتهم مع انهم (الينا يرجعون) فيظهر لهم مالكيتنا لهم ولأملاكهم (واذكر) يا نبى الرحمة (فى الكتاب) الالهى نيابة عنه رحمته (ابراهيم) بهبة اسحق ويعقوب حين اعتزل اباه لشركه الذى يشبه القول بالالهية عيسى وولديته وقد استحقها الصديقية التى اعتزل لها عن أهل الشرك المفترين على الله الكذب (انه كان صديقا) ولانتهائه فيها جعل (نبيا) ولذلك نبأه بفضائح الشرك وما تدرعليه (اذ قال) رحمة (لابيه) الذى حقه أن يكون داعا عليه (يا أبت) الذى حقه ان يرحمنى من هم ذاتك بالشرك (لم تعبد) الجماد الذى هو اخس الموجودات (ما لا يسمع) قول العابد (ولا يبصر) عبادته (و) لو سمع وأبصر (لا يغنى) أى لا يدفع (عنك شيأ) من ضرر ولا يجر لك شيأ من نفع (يا أبت) الذى حقه ان يرحمنى من هم نسبتك الى الضلال لو قصدت بذلك عبادة الحق الذى تعترف بظهوره فيه فهذه المعرفة قاصرة وانما المعرفة الكاملة ما يستفاد من الانسان الكامل وانا كامل (انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك) وحق القاصر اتباع الكامل ليهديه (فاتبعنى) وان كان حق الابن اتباع الاب فى العرف لكنه باطل لان الحق اتباع الصواب فان اتبعتنى (أهدك صراطا سويا) معتدلا لا افراط فيه بعبادة من لا يستحق ولا تفريط بترك عبادة من يستحق وكذا فى باب الاخلاق والاعمال (يا أبت) الذى حقه ان يرحمنى من هم نسبتك الى عداوة ربك ان ظهور الحق لما كان فيها قاصرا فالآثار الظاهرة منها لا تنسب الى الله بل الى ما تعلق بها من الشياطين (لا تعبد الشيطان) لان تقربك اليه ليس تقربا الى الله بل موجب عداوة له (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) فكان عصيانه لراحمه موجبا لاشد وجوه العداوة (يا أبت) الذى حقه ان يرحمنى من هم تعذيبك لا تجترئ على شدة عداوته اغترارا برحمة

الدعاء كقوله ان صلوتك سكن لهم أى دعاءك سكون وتثبيت لهم وصلاة الملائكة للمسلمين استغفار لهم والصلاة الدين كقوله عز وجل يا شعيب أصلوتك تأمرك أى دينك وقيل كان شعيب عليه السلام كثير الصلاة فقالوا ذلك له (قوله صفوان) أى حجر أملس وهو اسم واحد معناه جمع واحده صفوانة

(انى أخاف) من عداوتك لله الذى رحمك فلم تقطعه واطعت عدوه (ان يمسك عذاب من الرحمن) بدل رحمته بان يقطعها عنك كما قطعتها عن الشيطان (فتكون للشيطان وليا) أى مقارناله ومشاركاله في عذابه فلم يتنبه لشئ من انذاراته ولم يسمع لشئ من نصائحه ولم يستبصر لشئ من دلائله بل (قال) من افراط ظلمه وغلوه فى الضلال (اراغب) أى امائل (أنت) مع كونك دونى (عن آلهتى يا ابراهيم) لم يقل يا ابنى تنبيها على براءته من بنوته (لئن لم تنته) عن القول فيها وعن انذاراتك ونصائحك ودلائلك (لارجمنك) أى لارمينك بالحجارة من افراط غضبى عليك بدل ماترحمنى فى ضمن ندائك باسم الاب مرارا (و) لواردت رحمتى مع اصرارك على الميل عن آلهتى (اهجرنى) أى تباعد عنى (مليا) زمانا طويلا (قال) بطريق التوديع والمتاركة (سلام عليك) اتسلم عن معصية ربى (سأستغفر لك ربى) ليسلمك عن هذا الاعتقاد الردى ءاليرحمنى بالاراحة عن الهموم المشار اليها (انه كان بى حفيا) أى مبالغا فى اللطف بى (و) لولم تسلموا عن اعتقادكم (أعتزلكم) لاسلم عن شقاوتكم (و) اعتزل سبب شقاوتكم وهو عبادة (ماتدعون من دون الله) بل عبادة الدون شقاوة كما ان عبادة الاعلى سعادة (و) لذلك (ادعو ربى) واقل مافيها من السعادة انها تنجى من الشقاوة وهى وان لم اجزم بها لكثرة اسبابها لكن سبب السعادة وان كانت واحدة يرجى غلبتها (عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله) نجيناه من الشقاوة عن صحبتهم وعن ملابسة اسباب الشقاوة كلها حتى الدنيوية بالانفراد وآتيناه من سعادة الدارين اذ (وهبنا له اسحق ويعقوب و) انما كانا من أسباب سعادة الدارين اذ (كلا جعلنا نبيا) ولا سعادة فى الدارين اكمل من النبوة اما كونها سعادة الآخرة فلا يخفى واما كونها سعادة الدنيا فلانها امابالنظر فى ذات المسعود (و) قد حصلت لهم اذ (وهبنا لهم من رحمتنا) ولاية النبوة المقتضية للمقامات العلية والاحوال السنية والاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة واما بالنظر الى خارج الذات (و) اجلها الجاه وقد حصل لهم على أكمل الوجوه اذ (جعلنا لهم لسان صدق عليا) أى ثناء صادقا يفيد علو رتبتهم فى قلوب الخلائق كلهم بخلاف ثناء الملوك على لسان الكذابين فانه لا يعلى رتبتهم الا فى قلوب العوام العماة عن الحقائق فلا عبرة به (واذكر فى الكتاب) الالهى نيابة عنه رحمته (موسى) بهبة اخيه اياه نبيا وتنزيله مكان الابن فى التقوية مع ان الاخ دون الابن فى النسبة لكن سرى اليه سره بادنى ملابسة سريان السر من الاب الى الابن لمكان اخلاصه التوحيد (انه كان مخلصا) له التوحيد فوق توحيد الصديق (و) لذلك جمع الفضائل حتى (كان رسولا نبيا و) لمزيد جمعيته الفضائل (ناديناه) جذبا له الى مقام عظمتنا (من جانب الطور) الذى هو مظهر كمالاتنا (الايمن) لموسى اشعارا له بتقوية جانبه لئلا يضعف فى تحمل اعباء القرب (و) بعد تقويته (قربناه نجيا) أى نبيا اذ كلمناه بلا واسطة (و) لتقويته عند الرد على تحمل اعباء الرسالة (وهبنا له من رحمتنا) التى هى افاضة الانوار (اخاه هرون) ليشد أزره فى اداء الرسالة اذ كان (نبيا واذكر فى الكتاب) الالهى نيابة عنه رحمته (اسمعيل) بهبة جميع الخلائق سيما أهله لمزيد اخلاصه بقائه عند التجربة

(قوله عز وجل صلدا) أى يابسا أملس (قوله عز وجل صدقاتهن) أى مهورهن واحدتها صدقة (قوله تعالى صعيدا طيبا) أى ترابا نظيفا والصعيد وجه الارض (قوله عز وجل صمد) ما كان مصمتا لم يكن له مالك وكان حلالا لا كله فاذا اجتمعت فيه هذه الخلال فهو صمد (قوله عز اسمه صدف عنها)

(انه كان صادق الوعد) اذ وعد ... فلا يعد شيئا فوفى به (و) لكونه بلغ الغاية
من جهة الاخلاص (كان رسولا نبيا) لكونه مكملا في أهله (وكان يأمر أهله) الذين هم
أقبل لنوره الكمالية (بالصلاة) لتتم الصلة بينها وبينهم (والزكاة) ليطهروا من النقائص في
متعلقات الحرب (وكان عند ربه مرضيا) لانتفاء شيء من أجزاء الرضا عنه في أخلاقه وأعماله
وهو مستوجب رضا الخلق فكان مع هو بالفعل الى ربه بعد هبة الاخ بالمرض (واذكر في
الكتاب) الالهي بابقائه رحمة (ادريس) حفيد وام الحياة القصيرة من اعطاه ارتفاعا تراتبه
من عالم الكون والفساد واعطائه أعلى الاماكن فكانت المطلوب من اعطاء الاولاد الاتباع
والاولياء والاهل الصالح لمكان صديقيته (انه كان صديقا) فرفعته صديقيته هذه الرتبة كما
رفعته الى رتبة النبوة اذ كان (نبيا) ولكن النبوة رفعة معنوية (ورفعناه) مع تلك الرتبة
(مكانا عليا) بالمكانة وهو السماء الرابعة التي هي أعلى الطبقات منزلة التوسط ولذلك كانت
محل الشمس التي هي كالملك ينزل وسط مملكته ليدل هذا الظاهر على الباطن في حق كل صديق
ولا يبعد أن يكون يحيى وعيسى واسحق ويعقوب موهوبين لمن ذكر اذ (أولئك الذين أنعم الله
عليهم) بهبة هؤلاء مع كونهم (من النبيين) هبات لآخرين كادريس لآدم لانه (من ذرية
آدم) وان كان بينهما أوساط منهم شيث لكن آدم لم يبعثه أولى بكونه موهوبا له ادريس
(و) لكن ينسب الى الاقرب اذ كان مؤمنا كابراهيم فانه (ممن حملنا مع نوح) لا الى أبيه
لكفره ولا الى نوح لابهامه كونه موهوبا له مع انه قد جعل في سورة الانعام من ذرية ابراهيم
المعنوية ولذلك لم يصرح بكون ابراهيم من ذرية المؤمنين من أمته على أنه في الظاهر من ذرية
نوح (و) اذا وهب لابراهيم مثل نوح فلا يبعد هبة اسحق ويعقوب له لكونهما (من ذرية
ابراهيم و) لا يبعد كون يحيى مع جلالة شأنه هبة لزكريا لان القربة مزيد تأثير في ذلك ولذلك جعل
زكريا من ذرية (اسرائيل) دون ابراهيم بل القرب يجعل النبي هبة للولي (و) لذلك جعل عيسى
هبة لمريم لكونها (ممن هدينا) فسلك (واجتبينا) فجذب لكن مع هذه الفضائل لم يصرح
بكونه ذرية لها ههنا وان صرح بكونه هبة لها أولا ليعلم انه هبة لها من وجه دون وجه وبالجملة
الله الانبياء هبات لمن دونهم وهي اذلال لهم لم يزالوا خائفين وان نزلت عليهم آيات الرحمة لانهم
(اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا) أي وقعوا (سجدا) استشعارا بان أصلهم الذلة وانما
ارتفعوا بالرحمة (وبكيا) من خوف ابدال الرحمة بالعذاب وهذا الخوف وان لم يقع في حقهم
لعلوهم وقع في المنتسبين من ذرياتهم (فخلف من بعدهم) أي جاء من بعدما علوا من حالهم
(خلف أضاعوا الصلاة) المتضمنة للسجود والاذكار المستدعية للبكاء (و) أنواعا من البكاء
والامور المرضية من الاخلاق والاعمال وهواهم (اتبعوا الشهوات) فانهمكوا في المعاصي
التي هي بريد الكفر (فسوف يلقون غيا) أي جزاء الضلال العظيم الجامع بين الكفر والمعاصي
قيل هو واد في جهنم أشدها حرا وأبعدها قعرا روي في الحديث انه والآثام بئران يسيل فيهما
صديد أهل النار (الا من تاب) من اضاعة الصلاة واتباع الشهوات فانه لا يلقى غيا كيف

(قوله عز
أي اعرض عنها
وجل صغار) أي اشد الذل
(قوله صديد) قيح ودم
(قوله عز وجل سموم)
أسئلك عن همام أركانهم
أوحى وجها القرآن تعالى ان
ندرك الرحمن سبوحا أي
صمتا (قوله عز وجل صفا)
ذكرا وصلة فيه وجهين
ثم انتحر أسفا أي صفوفا
والصف أيضا المصلى الذي
يصلى فيه

(و) انما تاب لانه (آمن) والايمان وحده يحو زلة ... زة فكيف اذا اجتمع مع التوبة كيف
(و) انما تاب بلعمر فتضر راضاعة الصلاة واتباع الشهوات وتقع اتيان الصلاة وترك الشهوات
ومثل هذا الاعمالة (عمل صالحا فأولئك) كيف يلقون غيا وهم باعمانهم وأعمالهم الصالحة
(يدخلون الجنة و) ان عذبوا بترك الصلاة واتباع الشهوات مع الايمان والقبائح امدم التوبة
(لايظلمون شيئا) حتى يلقون غيا فكيف مع التوبة ولا يتضررون بتحمل مشاق الصلاة وترك
اتباع الشهوات فى الحال أيضا لانهم بقوة ايمانهم المؤيدة باعمالهم كأنهم الآن يدخلون
(جنات عدن) أى اقامة فكأنهم أقاموا فيها عاوثقوا من وعده اذهى (التى وعد الرحمن)
مع ان رحمته تقتضى اعطاءها من غير وعد فكيف اذا وعد سيما اذا وعد (عباده) الخواص
وهو وان كان (بالغيب) فليس مما يجوز الخلف فيه حتى لا يترك له اللذات المحققة الدنيوية
(انه كان وعده مأتيا) فكأنه آتيهم الآن ثم شهوات الدنيا وان حصلت كاملة فلا تخلو عن نزاع
يسمع به كلمة لغو وهؤلاء اذا تلذذوا بربهم فكأنهم فى جنة (لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما)
فانه يسلم لهم الكل ولا يفوتهم الشهوات المحسوسة فى الدنيا بل هم فى هذا الباب كأنهم فى جنة
(ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) يأتيهم من بيوت الناس من غير تعب ولا يفوتهم بذلك الجنة
الاخروية اذا لم يكن ذلك مطلوبهم بل يحصل لهم منها نصيبهم ونصيب من يرثونها منهم اذ
(تلك الجنة) وان كانت من خلق الرحمن فحقها ان يرحم بها مقيمى الصلاة وتاركيها ومتبعى
الشهوات ومجتنبيها لهم (التى نورث) من غير المتقى (من عبادنا) وان انتسبوا الى عظيم رحمتنا
(من كان تقيا) فانه يأخذ نصيبه ونصيب غير المتقى بمقتضى عموم الرحمة رعاية للحكمة (و) لا
يبعد التخصيص فى الرحمة العامة مع وقوعه فى الرحمة الخاصة فان منها انزال الملائكة على
الانبياء ولا يعم أوقاتهم بل يختص ببعضها فانا (ما نتنزل الا بأمر ربك) الجامع للكمالات
فلا يمكننا مخالفته على ان مخالفته اما بالتقدم أو بالتأخر أو بالاستقرار على ما نحن عليه قبل
الامر لكنا نخاف فى التقدم اتلاف أمر نستقبله كالآخرة اذ (له ما بين أيدينا و) فى التأخر
اتلاف أمر قد قطعناه كالاعمال اذ له (ما خلفنا و) فى الاستقرار على ما نحن عليه بخلاف أمره
نخاف تغير أحوالنا الى الشيطنة مثلا اذ له (ما بين ذلك و) كيف لا نفعل ذلك وهو مشعر
بنسيان الامر لكن (ما كان ربك نسيا) ومقتضى ربوبيته تربيتك بالامر والنهى وقد ربى
لك الكل اذ هو (رب السموات والارض وما بينهما) يفيض عليها الوجود الذى هو من
أعراضها كل حين فلو غفل عن ذلك ساعة هلكت ربا ها الاجلك لينعم بها عليك فتشكره
بعبادته المترتبة على الامر والنهى (فاعبده و) لو شقت عليك (اصطبر لعبادته) استكمالا
لتربيته واحترازا عن عبادة النفس والهوى التى لا تستحق العبادة اذ لا يشخصها غيره والا
لتسمى باسمه ولو مجازا لكن (هل تعلم له سميا) أى هل تعرف أحدا اجترأ على تسمية نفسه أو
غيرها باسمه حقيقة أو مجازا (ويقول الانسان) الذى أعطى العقل لينظر فى العواقب وأنعم
عليه بخلق السموات والارض وما بينهما ليعرف المنعم فيشكره ويعبده فيجازى على فعله

وحكى عن بعضهم انه
قال ما استطعت أن آتى
الصف اليوم أى المصلى
(قوله عز وجل صفصفا)
أى مستوى من الارض
أملس لا نبات فيه (قوله
عز وجل صواف) أى قد
صفت قوائمها والابل تنحر
قياما ويقرأ صوافن وأصل
هذا الوصف فى الخيل يقال
صفن الفرس فهو صافن اذا
قام على ثلاث قوائم وثنى

عما يخلص لذته وعلى تركه عما يخلص انه لا تحمل مشاق الصلاة وترك الشهوات واصطبر على العبادات من أجل جزاء يعقب الموت (أئذا ما مت لسوف أخرج حيا) أى أحقا أخرج حيا بعد ما ألبث فى القبر مدة (أ) يستبعد الانسان اعادة الحياة الى ما صار ترابا وعظاما (ولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل) أى قبل جعله ترابا ونطفة (و) كان عدما صرفا اذ (لم يك شيئا) موجودا فى الاعيان فلا يبعد اعادته وقد اقتضتها التربية بالعقل والانعام الكلى وتأكدت بالقسم الالهى باعظم أسمائه (فوربك) الذى هو أعظم الاسماء الالهية (لنحشرنهم والشياطين) الذين أضلوهم عن هذه المقدمات الاولية لنسألنهم فضلا عن الضلال والاضلال (ثم لنحضرنهم حول جهنم) المحفوفة بالشهوات التى أضلوهم بلذاتها ليعلموا ما استعقبوا بها من الآلام (جثيا) على الركب لا يمكنهم التجاوز عن مواضع التعريف (ثم لننزعن من كل شيعة) أى لنخرجن الى النار من كل فرقة (أيهم) أى الذى هو (أشد على الرحمن) الذى رحمه بتلك الشهوات وتعريف مضارها بالعقل والنقل (عتيا) أى جراءة بايثار الشهوات على أمره وعدم مبالاته به (ثم) لا يلزم من هذا السؤال عن التعيين عدم علمنا بمن هو أولى بالصلى اذ (لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) وهم أولى الشيع الذين ضلوا وأضلوا لاجل لذات الدنيا وشهواتها فصاروا أولى بالصلى بها (و) لعدم خلو أحد عن التلذذ بشئ منها (ان منكم) أى ليس أحد منكم من بر وفاجر (الا واردها) أى حاضرها اما بالدخول فيها او بالمرور على متنها ليعلم مقدار تلك اللذات وما استعقبت من الآلام لمن آثرها ومن اللذات العالية لمن جاوزها (كان على ربك حتما) أى واجبا لا بمعنى ان الحكمة توجب عليه شيأ بل الموجب وجوده لكونه (مقضيا) صار كالواجب على الله تعالى (ثم) بعد ذلك الاحضار الواجب للتعريف (ننجى) من تلك الآلام (الذين اتقوا) فى تحصيل تلك اللذات عن مضارها حتى ان بعضهم من سرعة مروره كالبرق الخاطف يكون فى حكم المبعد عنها (ونذر الظالمين) باستعمال تلك الشهوات فى غير المواضع المشروعة (فيها جثيا) لا يمكنهم التجاوز عن تلك الآلام كما لا يمكنهم عن مواضع تلك الشهوات (و) يكفيهم من الظلم ترجيحهم لذات شهوات المال والجاه على لذات الآيات الالهية البينات فانه (اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا) فلم يروا لآيات الله لذة (للذين آمنوا) فرأوا لذة الآيات أعظم اللذات (أى الفريقين) متبعو الشهوات أم متبعو الآيات (خير مقاما) أى استقرارا فى اللذات (و) لا يخفى ان المستقر فيها يكون أحسن مجلسا فانظروا أيهما (أحسن نديا) أى مجلسا (و) لا يعلمون انه لا يعتد بلذة يعقبها مضرة أعظم منها فلو لم يكن فى اتباع الآيات لذة سوى السلامة من تلك المضرة كفى بها لذة وذلك لانه (كم) أى كثيرا (أهلكنا قبلهم) لينظروا فى حالهم (من قرن) لان اهلاك الواحد بعد الواحد لا يفيد مزيد اعتبار (هم أحسن أثاثا) أى متاعا من كثرة المال (ورئيا) أى هيئة من عظم الجاه فان زعموا انها لو كانت مستعقبة للضرر لظهر ضررها عن قريب والا فلا ينسب اليها (قل) يكفى فى نسبته اليها دلالة الادلة العقلية والنقلية على ذلك وعدم كونها

سنبك الرابعة والسنبك
سنبك الحافر والبعير اذا
أراد والنحر تعقل احدى
يديه فتقوم على ثلاث قوائم
وتقرأ صوافن أى خوالص
لله لا يشركون به فى التسمية
على نحرها أحدا (قوله
وجل صوامع) هى منار
الرهبان وقوله صلوات يعنى
كنائس اليهود وهى
بالعبرانية صلوتا (قوله عز
وجل صرفا ولا نصرا) أى

على الفورلةلاتكون ملجئة الى الايمان ومقتضى ذلك (من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن) بمقتضى رحمته الداعية له الى التوبة المستوجبة للرحمة (مدا) عظيما لكنهم لا يزالون يزدادون ضلالا (حتى اذا رأوا ما يوعدون) من ضرر تلك اللذات (اما العذاب) على فواتها (واما الساعة) الآتية بالآلام بدلها فان توقعوا العود حينئذ الى ما كانوا عليه (فسيعلمون من هو شر مكانا) لاستقرارهم فى مكان الآلام بعد استقرارهم فى مقام اللذات (وأضعف جندا) حصلوه من جاههم ليدفعوا بهم الشدائد وقد وقعوا فى شدائدهم فضعفوا من ان يدفعوها عن أنفسهم (و) لا يدل هذا على ان الاموال والشهوات شر محض لكن ليس فى خلق الله ما هو شر محض لانه (يزيد الله) بهذه الاموال والشهوات (الذين اهتدوا) أى طلبوا الهداية من كل شئ (هدى) يصرفها فيما خلقت له (و) هى وان أفادتهم ثوابا وقربا عند الله لا يكون كثواب من تلذذ بالآيات فاكتسب بها الباقيات الصالحات اذ (الباقيات الصالحات) من الاخلاق الفاضلة وهيئات الاعمال الصالحة (خير عند ربك) الذى رباك بتلك الآيات دون الاموال والجاه (ثوابا) يلذهم من الجنة بأعظم من لذاتهم (وخير مردا) أى رجوعا يفيدهم من لذات القرب أكثر من افادة الاموال والجاه فى الخيرات (أ) رأيت من ينفى خيرية الباقيات الصالحات على فوائد المال والجاه (فرأيت الذى كفر بآياتنا) العقلية والنقلية الدالة على خيرية الباقيات الصالحات فى افادة السعادة على افادة الاموال والاولاد اذا صرفا فى مصارفهما بل حصر السعادة فيهما فى الدارين (و) جزم بحصولهما لنفسه هنالك حتى (قال) والله (لأوتين مالا وولدا) اذا رددت الى ربى لجريان سنته بذلك فى حقى فقال تعالى (أطلع الغيب) فعلم من سنته ان من آتاه مالا وولدا فى الدنيا يؤتيه اياهما فى الآخرة فجزم بذلك حتى حلف عليه (أم) لم يطلع ولكن اتخذ عهدا من اطلع عليه من نبى أو ولى فى حق نفسه فكأنه (اتخذ عند الرحمن) الذى من شأنه ان يرحم ولو لم يعهد فكيف اذا أعطى بذلك (عهدا كلا) زجر عن دعوى الاطلاع وأخذ العهد فان لم ينزجر الى أن يموت (سنكتب ما يقول) بحيث لا يمكن محوه (ونمد له) كما مد فى هذه الدعوى بعد الزجر (من العذاب مدا) فوق مده على مجرد الكفر بآياتنا (و) لا يقطعه المال والولد اذ (نرثه ما يقول) من ان له مالا وولدا فلا يبقيان له حتى يمكنه ما قطع العذاب عنه (و) لا نردهما عليه بعد ما ورثناهما منه بل (يأتينا فردا) أى مجردا عنهما (و) قد علم أكثرهم هذه الفردية وخاف من ذلتها الذلك (اتخذوا من دون الله آلهة) تحملوا ذل العبادة لها (ليكونوا لهم عزا) بدل عز المال والاولاد بتقريبها اياهم اليه (كلا) زجر لهم عن اعتقاد افادتها العز لهم فانه انما يتصور لو كانوا مستحقين للعبادة فيمكنهم أن يقولوا عبدنا ليتعززوا بنا عندك فأعزهم بل (سيكفرون بعبادتهم) اذ يحاكون على أنفسهم دعوى الشرك فى استحقاقها (ويكونون عليهم) لعبادتهم لها (ضدا) يريدون اهلاكهم الكلى اذ أوقعوهم فى هلاك دعوى الشرك وكيف لا يكفرون بعبادتهم ولا يكونون عليهم بها ضدا مع انها لم تكن بأمر الله بل بأمر أعدائه (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين) مسلطين

حيلة ولا نصرة ويقال صرفا أى لا يستطيعون أن يصرفوا عن أنفسهم عذاب الله ولا نصرا أى ولا انتصارا من الله عز وجل (قوله عز وجل صرح) أى قصر وكل بناء مشرف من قصر أو غيره فهو صرح مصر (قوله عز وجل صياصيهم) أى حصونهم وصياصى البقر قرونها لانها تمتنع بها وتدفع عن أنفسها بها

(على)

(على الكافرين تؤزهم) أى تحركهم الى ... المنافيه من عباداتهم بامتثال أمرهم (أزا) عظيما من غير أن يعارضهم ملك أو عقل أو نقل وهو وان كان مغالبة مع الله يقتضى تعجيل العذاب عليهم لكنه لا يعجله لئلا يلجئهم الى الايمان (فلا تعجل) من شدة غيرتك (عليهم) اذ ليس فى تأخير العذاب عنهم تخفيف عليهم (انما نعد لهم) معاصيهم (عدا) لا يفوته شئ منها ليعذبهم على كل واحد منها او يشتد عليهم العذاب بكونه يوم مزيد الرحمة على أعدائهم لوقوعه (يوم نحشر المتقين) الذين تحفظوا من أسبابه (الى الرحمن) ليجعل لهم رحمته العامة فلا يترك منها لاعدائهم شيأ و يضم لهم اليها رحمته الخاصة اذ يحشرهم اليه (وفدا) أى راكبين اكراما لهم وجزاء على ركوبهم متون المشاق الشديدة فى سبيله (و) كما يزيد فى اكرامهم يزيد فى اذلال أعدائهم اذ (نسوق المجرمين) سوق الدواب (الى جهنم) مكان الاذلال لا ان الله العزيز لينالوا شيأ من عزته فيردونها (وردا) ورود الانعام مكان الماء فرارا من ذل السوق وكيف يشفع لهم معبودوهم وشياطينهم مع انهم (لا يملكون الشفاعة) من الانبياء والملائكة (الا من اتخذ) من أهل النار (عند الرحمن) الذى شأنه ان يرحم المؤمن به (عهدا) أن ينجيه من العذاب لايمانه به فيشفع الشفيع لانجائه قبل استيفائه مقدار ما يستحقه من العذاب (و) هؤلاء فعلوا بشفعاء الملائكة والانبياء ما يمنعهم الشفاعة فى حقهم اذ (قالوا اتخذ الرحمن ولدا) من هؤلاء فيقول لهم الشفعاء اذا ذهبوا اليهم (لقد جئتم شيأ ادا) أى ثقيلا على الشفيع أن يشفع معه لانه سبب خراب العالم لانه قائم بالحق فلو فرض له عدم او غيبة لهلك لذلك (تكاد) أى تقارب (السموات يتفطرن) أى يتشققن (منه) فلا تبقى سموات تفيض شيأ (وتنشق الارض) فلا تبقى أرض تقبل شيأ (وتخر) أى تسقط (الجبال) لانها تنكسر (هدا) أى كسرا فلا يكون لها حفظ الارض لانبيائهم ما يشعر بموت الله تعالى (ان دعوا للرحمن) الذى رحم بعض عباده باعطاء بعض الكمالات (ولدا) يقوم مقامه بعد موته (و) لو لم يعتبر قيامه مقامه عند موته (ما ينبغى للرحمن) وان بالغ فى رحمته (أن يتخذ ولدا) يقاربه فى كمالاته لان جلاله يقتضى اذلال ما سواه (ان كل من فى السموات والارض) وان بلغ بعضهم من الكمال ما بلغ (الا آتى الرحمن) الذى رحم باعطاء تلك الكمالات (عبدا) ذليلا بالنظر الى كمالاته كيف وكمالاته غير متناهية مقدارا وعددا بخلاف كمالاتهم (لقد أحصاهم) فجعل لكمالاتهم حدا (وعدهم) اى عد أفراد كمالاتهم (عدا) لا يمكنهم الزيادة عليه (وكلهم) وان كان فيهم من كثر اتباعه (آتيه يوم القيامة) وان كان معه اتباعه كأنه آتيه (فردا) اذ ليس لهم مقاومته ثم ان الله تعالى وان لم يتخذ ولدا يفعل ببعض عباده من المحبة ما يفعله الوالد بولده (ان الذين آمنوا) وهو موجب محبته (وعملوا الصالحات) وكل عمل منها موجبها (سيجعل لهم الرحمن) الذى من شأنه أن يرحم بلا سبب (ودا) يشبه ود الوالد لولده يجعلهم به شفعاء لمن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا واذا كان الله يود قوما فيجعلهم شفعاء ويبغض آخرين بحيث لا يملكون الشفاعة وجعل من أسباب ذلك الايمان والاعمال الصالحة والتلذذ فيهما فلا بد من الاعلام بهما

وصفنا الديك شوكاه
(قوله تعالى صريخ لهم) أى مغيث لهم (قوله عز وجل صديق) هو من صدقك مودته ومحبته (قوله عز وجل الصافات صفا) يعنى الملائكة صفوفا فى السماء يسبحون الله كصفوف الناس فى الارض للصلاة والزاجرات زجرا قيل الملائكة تزجر السحاب وقيل الزاجرات زجرا كل

ولا أتم فى الاعلام من خطابه لكن خطابه الازلى لا يفهمه الا أكمل الانبياء الا اذا يسر تنزيله على لسان بعضهم (فانما يسرناه) بان جعلناه (بلسانك لتبشر به المتقين) بانك تجعلهم من أهل مودته او من الشفعاء وعينهم (وتنذر به قوما لدا) يخاصمون فى باب الايمان والاعمال ولا يسلمون مرتبة الشفعاء ولا كونهم لا يملكون الشفاعة (و) يكفى فى انذارهم أن يقال لاحدهم (كم أهلكنا قبلهم من قرن) بهذا اللدد اهلاكا كليا (هل تحس) بالبصر أو اللمس (منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) أى صوتا خفيا يسمع من قبورهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة طه)

سميت به لدلالته على كمالاته صلى الله عليه وسلم المقتضية كمال سعادة اتباعه فيما أنزل عليه من أكمل السعادات وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بجوامع كمالاته فى نبيه وكتابه (الرحمن) بانزال ذلك الكتاب على ذلك النبى (الرحيم) باسعاد من اتبعه فيه (طه) أى يا طاهرا عن النقائص وأسباب الشقاوة هاديا الى الكمالات واسباب السعادة أو يا طالع الهمة أو يا طالب الحق هاربا عما سواه أو يا طيبا هيبة استعداده أو نحو ذلك مما يناسب المقام (ما أنزلنا) من مقام كمال جودنا وهبتنا (عليك) أيها المتصف بهذه الصفات (القرآن) الطاهر عن النقائص وأسباب الشقاوة الهادى الى الكمالات وأسباب السعادة او الذى لا يطلع عليه الا طالع الهمة أو الذى لا يستفيد به الا طالب الحق الهارب عما سواه أو الطيب استعداده (لتشقى) فان الشقاوة تنافى الطهر عن النقائص وعن أسبابها والهداية الى الكمالات وأسباب السعادة ولا تنال طالع الهمة ولا طالب الحق الهارب عما سواه ولا طيب الاستعداد (الا تذكرة) فانها لو كانت شقاوة (لمن يخشى) لكان انزاله شقاوة لك لكنها أجل أسباب السعادة لمن يخشى (تنزيلا) له من سماوية الانسانية الى أرضية البهيمية (ممن خلق) فى الانسان الانسانية والبهيمية كما خلق فى العالم الكبير (الارض والسموات العلى) بل خلق فيه اسرار العالم لانه استوى على قلبه باسمه الرحمن كما ظهر به فى عرشه اذ (الرحمن على العرش استوى) وانما خلق فيه ذلك لانه وان ظهر فيه هذا الظهور الكلى فله أن يظهر فيه ظهورات جزئية مختلفة علوا وسفلا وتوسطا ونزولا الى أسفل السافلين اذ (له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى و) ليس ظهوره بمقتضى ظاهر الاستعداد فقط ليأمن صاحبه لانه ناظر الى الاستعداد الظاهر والباطن جميعا نظره الى الاقوال الظاهرة والباطنة فانك (ان تجهر بالقول) أو تخفه فانهما يستويان عنده (فانه يعلم السر) الذى يطلع عليه صاحبه (وأخفى) هو ما لا يطلع عليه صاحبه وانما أحاط علمه بالكل لاحاطة الهيته بالكل اذ (الله لا اله الا هو) وانما اختلف ظهوره مع وحدته اذ (له الاسماء الحسنى) التى بها ظهوره لاقتضاء جمالها أن تظاهر بجلاله (و) كيف يغتر بما ظهر به مع انه قد يريد فى الباطن غيره (هل أتاك حديث موسى) أراه مطلوب ظاهر قلبه وأراد مطلوب باطنه (اذ رأى نارا) كان يطلبها بظاهر

ما زجر عن معصية الله عز وجل فالتاليات ذكرا قيل الملائكة وجاز أن يكون الملائكة وغيرهم ممن يتلو ذكر الله (والذاريات ذروا) الرياح فالحاملات وقرا السحاب تحمل الماء فالجاريات يسرا السفن تجرى فى الماء جريا سهلا ويقال ميسرة أى مسخرة (قوله فالمقسمات أمرا) الملائكة هكذا يؤثر عن على

بظاهره لاهله و يطلب الحق بباطنه لنفسه (فقال لاهله) المحتاج اليها للاصطلاء فى ليلة شاتية أو للاهتداء فى ليلة مظلمة (امكثوا) أى اصبروا واحتى ارجع اليكم بما رأيت (انى آنست) أى رأيت (نارا لعلى) بعد ذهابى اليها ورجوعى منها (آتيكم منها بقبس) تصطلون به (أو أجد) من اطلاعى (على النار هدى فلما اتاها) وجدها تجلى الحق بصورة النار لا فى مظهرها اذ لم تغير خضرة الشجرة مع احاطتها بها وكانت نارا بيضاء وهو وان تجرد عن الصور فله أن يظهر بما شاء منها كظهور جبريل بصورة دحية وهى وان كانت مطلوب الظاهر اعتبر فيها الباطن لذلك (نودى) ليقبل بالكلية (ياموسى) سمى لئلا يتوهم ان المنادى غيره (انى انا ربك) تجليت باسمى الخاص فى هذه الصورة لكن لما لم يكن بمظهر وجب فيه رعاية أدب القيام عند الملوك (فاخلع نعليك) كيف وقد وجب تنزيه مكان ظهوره لا بمظهره كما يجب تنزيه مكان الملوك عن القاذورات التى هى من لوازم النعال (انك بالواد المقدس طوى) أى الذى طوى فيه الالتفات الى ما سواه فيجب فيه رعاية الادب من كل وجه ولما حصلت له الولاية بهذا التجلى أعطاه النبوة والرسالة بقوله (وأنا اخترتك) للرسالة من بين أهل الولاية (فاستمع لما يوحى) لتبليغ الرسالة حتى تؤديه من غير تغيير فيه وأشار الى ترتيب الاداء فذكر أولا وجوده الجامع للكمالات بقوله (اننى انا الله) ثم الى توحيده بقوله (لا اله الا انا) ثم الى استحقاقه العبادة بقوله (فاعبدنى و) جعلها جزئية لسبقها على الكلية ثم ذكرها بقوله (اقم الصلوة) الجامعة لمقتضيات الالهية الجامعة للكمالات لانك تقيمها (لذكرى) أى لتذكرنى فيها بقلبك ولسانك وسائر جوارحك بان تجعل حركاتها دالة على ما فى القلب واللسان لاذكرك بجوامع التجلى حتى يتجلى لك الامور الاخروية كما ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة والنار فى صلاة الكسوف وهى وان كانت معدومة فهى فى حكم الموجودة (ان الساعة آتية) وهى وان كان حقها ان تجلى على المكاشفين (اكاد اخفيها) عنهم لئلا يبطل تكليفهم وتكليف اتباعهم (لتجزى كل نفس بما تسعى) عن اختيار منها من عدم ظهورها لهم ولكن لما لم يكن بد من الجزاء لم يكن بد من اتيانها (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها) وان كان مكاشفا فأداه عدم انكشافها له الى انكارها (و) لم يعلم ان المكاشف لا يكاشفه بالجميع وقد ظهرت له دلائل وجودها فلم يعتبرها اغترارا بكشفه لانه (اتبع هواه) فترك النظر فى الدلائل (فتردى) بمتابعة هواه نظرا الى مكاشفته مع ترك متابعة الدليل ولما أعطاه النبوة أراد أن يعطيه معجزة من جنس ما يتداوله السحرة ليعلم أنها فوق رتبتهم ولذلك سأله عن عصاه ليذكر مراتب فوائدها فيجعل لها مرتبة فوق تلك المراتب فقال (وما تلك) الخشبة التى شغلت أقوى جوانبك اذ أخذتها (بيمينك) مع جلالة قدرك (ياموسى قال هى عصاى) التى اتذكر بها المعاصى التى يستحق الضرب بها من أجلها (أتوكؤا) أى اعتمد اعتمادا العاصى على قوة تحمله للعذاب (عليها) ليظهر لى ضعف نفسى (واهش) أى أسقط الورق (بها على غنمى) هش العاصى أوراق شجرة غفلته على شهواته ليغتنم بها لكنى أفعل ذلك لاعلم انى لو تبعت شهواتى تركت نفسى شهوانية

ابن أبى طالب رضوان الله عليه فى والذاريات الى قوله فالمقسمات أمرا (والمرسلات عرفا) الملائكة تنزل بالمعروف ويقال المرسلات الرياح عرفا متتابعة ويقال هم اليه عرف واحد اذا توجهوا اليه واكثروا وتتابعوا فالعاصفات عصفا الرياح الشداد والناشرات نشرا الرياح التى تأتى بالمطر كقوله نشرا

محضة (ولى فيها مآرب) أى حوائج (أخرى) آتذكربها فوائد أخرى كانت ذات شعبتين اذا استسق بها طالت وصارت الشعبتان دلوا وتصيران شمعتين بالليل وكان يقابل بها العدو والسباع واذا اشتهى غذ فركزها أورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقايته فتماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام (قال ألقها ياموسى) مع القائها فى قلبك من العلم بفوائدها ليحصل له علم ما يختص به الحق من أسرار المعجزات (فألقاها) القاء الفانى وجرده (فاذا هى حية تسعى) ظهرت فيها الحياة بأفعالها فى صورة مخوفة ليشير الى احياء المعجزات القلوب بالتخويف من جحدها (قال خذها) آخذا بها بطريق التخويف (ولا تخف) صورتها الظاهرة اذ ليست لتخويفك بل لاظهار ما فيها من استعداد قبول الحياة ليعلم الانسان انه مستعد لقبول الحياة الالهية لكن ليس لها فى ذاتها حياة لذلك (سنعيدها) آخذة (سيرتها) أى هيئتها (الاولى) ليعلم الانسان أنه وان اتصف بهذه الحياة فانما تدوم فيه من لطف الحق به لا بذاته ثم أعطاه آية أخرى لتكونا كالشاهدين فقال (واضمم يدك) التى هى الفاعلة فيك (الى جناحك) أى ابطك لينسب ما ظهر عليها الى الحق (تخرج بيضاء) أى منورة (من غير سوء) أى قبح ليعلم أن من رد الافعال الى الله ينور قلبه من غير قبح وهذا التنور وان كان نوعا من الحياة لكنها حياة معنوية فكانت (آية أخرى) وانما أريناكهما الآن مع ان حقهما أن يظهرا بعد التحدى والمناظرة (لنريك) أولا (من آياتنا الكبرى) أى بعضها ليقوى قلبك على مناظرة الطغاة (اذهب الى فرعون انه طغى) فلابد من التنبيه له على طغيانه بالدلائل العقلية المؤيدة بالنقلية التى صدقتها المعجزات (قال رب) انك وان ربيتنى بتقوية قلبى لكنه انما تتم تقويته لو شرحت صدرى (اشرح) أى وسع (لى صدرى) وهو وجه القلب يلى النفس فاذا انشرح انشرح الوجه الذى يلى الروح (و) لا يكفى انشراحه لصعوبة أمر الطاغى الذى لا يبالى بالآيات (يسر لى أمرى و) تيسير المناظرة انما يتم باللسان لتوقف الفهم عليه (احلل عقدة من لسانى) حصلت لى من احراقى بالجمرة حين وضعت مع اليواقيت لتجربتى حين ضربت فرعون فتألم فأراد قتلى فأمرت آسية بوضع الطبقين (يفقهوا قولى و) مع ذلك انى منفرد فى مناظرة الجم الغفير من الطغاة (اجعل لى وزيرا) يحمل بعض أعبائى (من أهلى) اذ الاجنبى ربما لا يهتم وأقربهم أولى وهو (هرون) لكونه (أخى) الاكبر بمنزلة الاب ولم أطلبه للاستعانة به بل بك بواسطة سببيته (اشدد به أزرى) أى قوّ به ظهرى (و) ربما لا تتم سببيته عند اشتداد الامر ما لم يكلف بحمل أعباء النبوة (أشركه فى أمرى) ولم نطلب منك لتحصيل الكمال لانفسنا من حيث هى بل (كى نسبحك كثيرا) باعتقاد تنزيهاتك عن مظاهرنا (ونذكرك كثيرا) بصفات الكمال برؤيتها بمظاهرنا (انك كنت بنا بصيرا) برؤية كمالاتك بالمظاهر ورامز رؤيتها فى ذاتك (قال قد أوتيت سؤلك) أى تحققت على الفور اجابة دعواتك لعزتك (ياموسى) فاقبل بالشكر كيف (ولقد مننا عليك) من غير سؤال منك (مرة أخرى) دون مرة الانباء وان أشبه انباء والدتك (اذ أوحينا) أى ألقينا بطريق الالهام (الى

بين يدى رحمته يقال نشرت الريح اذا جرت قال جرير نشرت عليك فذكرت بعد البلا ريح يمانية بيوم ماطر (قوله عز وجل فالفارقات فرقا) الملائكة تنزل فتفرق بين الحلال والحرام فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا الملائكة تلقى الوحى الى الانبياء عليهم السلام اعذارا من الله جل اسمه وانذارا

امك) مثل (مايوحى) الى الانبياء بلسان الملك ان من خاف البر ركب البحر فعليك (أن اقذفيه فى التابوت) ليظهر باجرائها من غير مجرع على انه من شانها ان لاتجرى أصل الارهاص لولدك والكرامة لك (فاقذفيه فى اليم) اى البحر شركة على خالقه ان يأمره بالالقاء (فليلقه اليم بالساحل) والهرب وان كان من مكان العدو الى غيره فهنا من العدو اليه فانه ان لم يلقه اليم بالساحل (يأخذه عدو لى) بدعوى الالهية لنفسه ونفيها عنى (وعدو له) لدعوته الى (و) لاتبالى بعداوته اذ (القيت عليك محبة منى) توجب محبة الكل فعلت ذلك ليحصل لك الامن الكلى (ولتصنع) أى ولتربى بيدى العدو (على عينى) اى نظرى بالحفظ حتى يتم تربيتك بحضانة أمك ورضاعها (اذ تمشى) على الساحل مع التابوت (أختك) مريم (فتقول) لقوم العدو واذا طلبوا لك حاضنة ومرضعة (هل أدلكم على من يكفله) أى يضمن حضانته ورضاعته فقبلوا قولها فجاءت بأمك (فرجعناك الى امك) مع كونك بيدى العدو (كى تقر) برؤيتك (عينها ولاتحزن) بفراقك فهذه منة زائدة على النجاة من القتل (و) قد مننا عليك بالنجاة من القتل الذى لايدفع بتلبيس حين (قتلت نفسا) من آل فرعون فاغتممت للقصاص وللعقوبة الاخروية (فنجيناك من الغم و) لم يكن من هاتين الجهتين فقط بل من جهات كثيرة اذ (فتناك فتونا) كثيرة كحمل أمك اياك فى سنة الذبح ومنع الرضاع من غير ثدى أمك وتناول الجمرة ومشى ثمانية مراحل جائعا عطشان (و) كما أنجيناك من غمومها انجيناك من الجهل والاخلاق الرديئة اذ (لبثت سنين) ثمانية وعشرين (فى أهل مدين) لتتعلم منهم وتتخلق باخلاقهم (ثم جئت على قدر) أى مقدار من العلوم والاخلاق اجل من أن يحصل بالتعلم والصحبة (ياموسى) كيف (و) قد (اصطنعتك) أى اخترتك (لنفسى) أى لاظهار اسرارى اليك لتصير كاملا مكملا (اذهب أنت وأخوك) الذى كمل بدعوتك (بآياتى) الدالة على كمال قربك منى وعظمتك عندى (و) تزداد كمالا بمواظبتك على ذكرى (لاتنيا) أى لاتضعفا عن الاقامة (فى ذكرى) لانه يضعفكم عن اداء الرسالة وذكركم اياى يزيدكم قوة (اذهبا الى فرعون) من غير مبالاة لعظمته (انه) لاعظمة له بالحقيقة بل غايته أنه (طغى) لكن لاتزيدا طغيانه بالاغلاظ (فقولا له قولا لينا) فانه يرجى تأثيره فى الطغاة (لعله يتذكر) دلائل صدقكم (أو يخشى) احتمال صدقكم (قالا ربنا) الذى ربانا بهذه الوجوه (اننا) مع هذه التقوية (نخاف ان يفرط) أى يعجل قبل سماع كلامنا بالعقوبة (علينا أو ان يطغى) بالعناد فى دفع حججنا ثم يأمر بقتلنا (قال لاتخافا) من افراطه وطغيانه (اننى معكما) أقرب منه وأقوى (اسمع) فامنعه من ان يقول ماتكرهون (وارى) فامنعه مما تخافونه (فأتياه) من غير مبالاة له فى جعله مربوبا (فقولا انا رسولا ربك) ارسلنا اليك لترد من غصبتهم منه خواص عباده بنى اسرائيل (فأرسل معنا بنى اسرائيل) ليكونوا مع سائر خواصه (و) لولم ترسلهم (لاتعذبهم) باستعبادك اياهم ولاتكن غير مبال بامساكهم واستعبادهم بعد تبليغنا رسالته بظهور صدقنا (قد جئناك بآية) يعلم بالضرورة انها (من ربك) اعطاها

(والنازعات غرقا) الملائكة تنزع أرواح الكفار اغراقا كما يغرق النازع فى القوس والناشطات نشطا الملائكة تنشط أرواح المؤمنين أى تحل حلا رفيقا كما ينشط العقال من يد البعير أى يحل حلا برفق والسابحات سبحا الملائكة جعل نزولها كالسباحة فالسابقات سبقا الملائكة تسبق الشياطين بالوحى الى الانبياء عليهم السلام اذ كانت الشياطين

للدلالة على ما هو الهدى عنده (و) لابد من اتباعه اذ (السلام) أى الخلاص عن آفات الضلال موقوف (على من اتبع الهدى) والافلا اسلامة بدلالة دلائل العقل مؤيدة بالنقل (انا قد أوحى الينا ان العذاب) نازل (على من كذب) الهدى (وتولى) عن العمل به فلما سمع منهما ذلك القول (قال) ان لم أكن ربكما (فمن ربكما) فان انتسب هرون الى غيرى فمن ربك (ياموسى) مع ان تربيتك كانت على يدى (قال) موسى ليس المراد التربية العرفية بل الحقيقية (ربنا الذى اعطى كل شئ) أى كل ما يصير الى الوجود (خلقه) أى وجوده الحادث (ثم هدى) لاستكمال الذى من جملته التربية المتعارفة ولا يتصور ذلك الامن رب العالمين ثم ساله عن ذلك كما ذكر فى مواضع أخر (قال) لو كان الله هاديا لكل فما معنى مجيئك لهدايتى فان اردت انه هدى بك (فما بال) أى حال (القرون الاولى) هل هداهم الله أم لا (قال) كان هاديا لكل بحسب حاله وحال المكلف انما يوجب الهداية البيانية وقد كانت لتلك الامم على ألسن الرسل ثم من اختار منهم الاتباع خلق فيهم الهداية والافلا وقد خلق الاختيار فيهم بمقتضى استعدادهم اذ (علمها عند ربى) أى علم استعدادها وهو مناط القضاء والقدر لذلك هو (فى كتاب) هو اللوح المحفوظ (لا يضل ربى) لا يترك الحكمة فى هذا التقدير بان يقدر اختيار الهداية لمن يستعد لاختيار الضلال وبالعكس (ولا ينسى) الاستعدادات فيهم للهداية والضلال وان عم هداية البيان اذ هو (الذى جعل لكم الارض مهدا) لتعلموا انه لابد لكم من مستقر والدنيا ليست كذلك فالمستقر هو الآخرة (وسلك لكم فيها سبلا) لتعلموا ان للوصول الى الله سبلا مختلفة بعضها هداية وبعضها ضلال (وأنزل من السماء ماء) لتعلموا ان لكل شئ سببا فالاعمال المنزلة من السماء اسباب السعادة وضدها اسباب الشقاوة ثم اشار الى ان لاسباب السعادة آثارا مختلفة كما ان للماء آثارا مختلفة من قدرة الله تعالى (فاخرجنا به) لا بتأثيره بل بتأثير قدرتنا عنده (ازواجا) أى أنواعا (من نبات شتى) مختلفة الاجناس ولو كان للسبب تأثير لامتنع اختلاف الانواع فضلا عن اختلاف الاجناس كيف لا يكون للسعادة الاخروية اسباب مع انها رعاية القوة العاقلة وقد راعى سبحانه وتعالى بانزال الماء من السماء رعاية القوة البهيمية لذلك قال (كلوا وارعوا انعامكم) وليست الجهة المقصودة بل هى العاقلة وهى وسائل اليها لذلك قال (ان فى ذلك لآيات لاولى النهى) أى للناظرين الى الغايات واحدى الآيات ما ذكرنا والثانية ان تمهيد الارض اشارة الى تمهيد المقدمات وسلوك السبل الى طرق الاستدلالات من القياسات الاقترانية الحملية والشرطية والاستثنائية والاستقراء والتمثيل وانزال الماء الى انزال النتائج واخراج انواع النبات المختلفة الاجناس الى تمثير النتائج للعلوم المختلفة والثالثة ان تمهيد الارض إشارة الى القاعدة الكلية وسلوك السبل اشارة الى الدلائل العقلية والنقلية وانزال الماء من السماء الى العلوم الكشفية المثمرة للامور التى لا تحصل بالاستدلال ومن نظرهم انه (منها خلقناكم) خلق النبات من التراب (وفيها نعيدكم) اعادة البذر الى الارض (ومنها نخرجكم) اخراج

النبات

تسترق السمع فالمدبرات أمرا الملائكة تنزل بالتدبير من عند الله جل اسمه وقال أبو عبيدة والنازعات غرقا الى قوله فالسابقات سبقا هذه كلها النجوم فالمدبرات أمرا الملائكة (وقوله جل وعز والعاديات ضبحا) الخيل والضبح صوت أنفاس الخيل اذا عدت ألم تر الى الفرس اذا عدا يقول اح اح يقال ضبح الفرس والثعلب وما أشبههما

النبات من البذر (تارة أخرى) هي تارة البعث (و) لم نقتصر معه على هذه الآيات بل والله (لقد أريناه آياتنا) على الامور الاخروية والمعارف الالهية (كلها) الفعلية والقولية العقلية والنقلية (فكذب) جميعها (وأبى) ان ينقاد لشيء منها أو من مقدماتها (قال) انما ننقاد لما يفيد الزيادة أو التقرير (أجئتنا لتخرجنا من ارضنا) بان نصير عبيدا لغيرنا فلا يطيعنا أحد ممن يطيعنا لا بعسكر منك بل (بسحرك ياموسى) وانما يتأتى لك الاخراج لو لم يعارض سحرك (فلنأتينك بسحر مثله) يعارضه ولا بد لظهورها من تعيين زمان ومكان (فاجعل) للاجتماع (بيننا وبينك موعدا) من مكان وزمان فان لم تعين لنا زمانه فاجعله بحيث (لا نخلفه) اي الوعد (نحن ولا أنت) بأن نأخذ أو تأخذ (مكانا سوى) اى يساوي جمعنا ذلك المكان (قال) موسى لا أخاف من تعيين الموعد الزماني (موعدكم يوم الزينة) أي العيد (و) لا يكفي فيه تعيين اليوم لطوله بل يعين له وقت (أن يحشر) اى يجمع (الناس) فيه وهو وقت (ضحى فتولى فرعون) اى اشتغل بتحصيل أسباب المعارضة فلم يحصل له أسبابها بالحقيقة (فجمع كيده) اى ما يوهم القاصرين انه من أسباب المعارضة (ثم أتى) ذلك المكان في ذلك الوقت لا مع أسباب المعارضة التي هي المقصودة من ذلك الموعد (قال لهم موسى) احذروا (ويلكم) من زعمكم ان آيات الله يمكن معارضتها أو ان له شريكا يعارضه (لا تفتروا على الله كذبا) بانه عاجز او انه يشاركه في قدرته (فيسحتكم) اى فيستأصلكم (بعذاب) من افراط غضبه عليكم (وقد) علمتم انه (خاب من افترى) على مخلوق فكيف من افترى على الخالق (فتنازعوا أمرهم بينهم) هل لنا ان نعارضه لكونه ساحرا مثلنا أم لا لأن امره سماوي (وأسروا النجوى) انه لو غلبنا اتبعناه وما رأى فرعون وقومه منهم ذلك (قالوا) للسحرة (ان) اى ان الشان (هذان) ساحران انهما (لساحران) لا تتوهموا منهما ارادة الهداية بل (يريدان أن يخرجاكم من أرضكم) لا من الضلال لانهما يريدان عزل فرعون عن ملكه بجعله عبدا لغيره فيقومان مقامه ويجعلان قومهما مكانكم ولا تنظروا الى قوتكم على دفعهما لانهما لا يستعملان قوتهما معكم بل يخرجانكم (بسحرهما) الذي يريدان اعجازكم به هذا فعلهما في الامر الدنيوي (و) أما الاخروي فهما يريدان ان (يذهبا بطريقتكم المثلى) اى التي هي أكثر مشابهة للصواب لاتفاق العقلاء على استحسانها (فأجمعوا) اى اعزموا (كيدكم) اى أسباب المعارضة في أوهام العامة (ثم ائتوا صفا) فانه أهيب في قلوب الرائين (وقد أفلح) اى فاز بالانعامات العظيمة من فرعون وملئه (اليوم من استعلى) أي طلب العلو لنفسه فاجتهد ان يكون له الغلبة (قالوا ياموسى اما ان تلقي) أولا فيحصل لك الالقاء اذ لو ألقينا أولا تحيرت فلم تأت لك ألقاء بعده ونحن لا نبالي بالقائك لكثرتنا (واما ان نكون) نحن الملقين لكونتنا (أول من ألقى قال (بل ألقوا) أولا فاني لا أبالي بما أرى من سحركم فالقوا (فاذا حبالهم وعصيهم) التي ألقوها (يخيل اليه) اى يصل اليه من طريق الخيال الذي تحركه (من سحرهم انها تسعى) باختيارها

والضبح والضبع أيضا ضرب من العدو فالموريات قدحا الخيل تورى النار بسنابكها اذا وقعت على الحجارة فالمغيرات صبحا من الغارة وكانوا يغيرون عند الصبح والاغارة كبس القوم وهم غارون لا يعلمون وقيل انها كانت سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني كنانة وأبطأ عليه خبرها فنزل عليه الوحي بخبرها في والعاديات وذكر ان علي بن أبي طالب

(فاوجس) اى أضمر (فى نفسه) بحيث لا يظهر لغيره (خيفة) من توهم الخلق المعارضة
بان لهم من حبالهم وعصيهم حيات كما ان له من عصاه حية (موسى قلنا لا تخف) المعارضة
بل (انك) مع وحدتك (أنت الاعلى) أى الغالب عليهم لكون حيتك أكبر من حياتهم بكثير
(و) لا تلتفت لكثرتها بل (ألق ما فى يمينك) التى هى الجانب القوى فى نفسها مع تقويتنا
اياها (تلقف) أى تلتقط التقاط الطائر جميع (ما صنعوا) ولا يبعد ذلك لانهم (انما
صنعوا كيد ساحر) فى مقابلة المعجزة (ولا يفلح الساحر) أى لا يفوز بمطلوبه (حيث
أتى) أى أى مكان جاء لدفع الحق فكيف يفلح حيث أتى معارضا لدفع المعجزة فالقى موسى عصاه
فتلقفت ما صنعوا (فالقى السحرة) بعدما ألقوا حبالهم وعصيهم للمعارضة (سجدا) بالذلة
(قالوا آمنا برب هرون وموسى) قدموا هرون لما فى تقديم موسى من ايهام ارادة فرعون
(قال آمنتم له) أى لموافقة موسى (قبل أن آذن لكم) فهو دليل مخالفتكم اياى (انه
لكبيركم) فى باب السحر كانه (الذى علمكم السحر) فاتفقتم معه ليكون لكم الملك فوعزتى
لافعلن بكم فعل الملوك بمن أراد تبديل الملك (فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أى
من جانبين متخالفين (و) لا اقتصر عليه حتى يمكنكم اخراجنا من أرضنا بسحركم بل مع ذلك
(لأصلبنكم) متمكنين (فى جذوع النخل) التى هى أقوى الاخشاب وأخشنها (و) لئن
زعمتم انكم انما آمنتم برب موسى خوفا من شدة عذابه أو من تخليده فى العذاب (لتعلمن أينا
أشد عذابا وأبقى) فان رب موسى لم يقطع من أحد يده ورجله من خلاف ولم يصلبه فى جذوع
النخل ولم يبقه مصلوبا (قالوا) انما يستأذنك من يؤثر جانبك ونحن (لن نؤثرك على ما جاءنا
من البينات) الداعية الى ايثار جناب الحق عليك وفيه اشارة الى انا ما وافقناه لكونه
أسحر بل لكونه صاحب البينات (و) لو لم تأتنا البينات ما كنا نؤثرك على (الذى فطرنا) ولا
نخاف ما خوفتنا به فانه ليس بأشد من عذابه بالنار (فاقض ما أنت قاض) ولا أبقى فانك
(انما تقضى هذه الحيوة الدنيا) التى لا بقاء لها ولا سلطان لك بعدها وقد دفعنا بهذا الايمان
ما هو أشد وأبقى (انا آمنا بربنا) الذى لا يزول سلطانه أبدا ولا بد لنا من الرجوع اليه (ليغفر
لنا خطايانا) من القسم بعزة عدوه ومعارضة رسوله وأنواع الكفر فى السحر (وما أكرهتنا
عليه) أى وما فعلت بنا مما يشبه الاكراه اذا تنازعنا الامر بيننا وأسررنا النجوى والاكراه
لو تحقق فانما يسقط الاثم لو لم يقع به اضرار متعد وهذا مما يتعدى الاضرار به لكونه (من
السحر) ولئن لم يكن شئ من ذلك كيف نختار جنابك على جناب الله (والله خير) من كل
ما عداه (و) لو زعمت انه ليس بخير منك فلا شك انه (أبقى) وكيف يكون عذابك أشد وأبقى
مع ان عذابه الخلود فى جهنم (انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم) خالدا فيها اذ (لا يموت فيها)
فيستريح من عذابها (ولا يحيى) حياة يستفيد بها (و) كيف تكون خيرا منه مع أنه (من
يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) التى لا تبلغ أعلى درجاتك أدناها
فاذا كانت هذه درجات من تذلل له فى العبادة فاين درجاته اذا على درجاتك ملك مصر وهذه

رضوان الله عليه كان
يقول العاديات هى الابل
ويذهب الى وقعة بدر وقال
ما كان معنا يومئذ الافرس
المقداد ابن الاسود (قوله عز
وجل صافون) اى صفوف
(قوله تعالى صافنات) جمع
صافن من الخيل وقد
مضى تفسيره (قوله عز
وجل صرصر) أى ريح
باردة لها صوت (قوله عز
وجل صفحا) أى اعراضا
يقال صفحت عن فلان اذا
أعرضت عنه والاصل

الانهار

الانهار تجرى من تحتك ودرجاتهم (جنات عدن تجرى من تحتها الانهار) من الماء والعسل واللبن والخمر مع انه لاخلود لك بعمر ويكونون (خالدين فيها و) نحن نرجو ان يحصل لنا ذلك وان لم نعمل الصالحات لان (ذلك جزاء من تزكى) بتلك الاعمال وقد حصل لنا ذلك بهذا الصبر ولم يمكننا الاعمال الصالحة مع ان هذه التزكية داعية اليها ميسرة لها فكانها حصلت (و) كيف لا يكون للتزكية ذلك وقد كان من أثر الايمان الانجاء بطريق كرامة الوحى مع ظهور المعجزة فانا (لقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) اخفاء على اعدائهم واذا ظهر لهم ومنع البحر من العبور (فاضرب) بعصاك البحر لتجعل (لهم طريقا فى البحر) ايماء لهم الى انه لابد فى الوصول الى الحق من عبور بحر المعرفة (يبسا) لاتزل فيه الاقدام ومع يبسه (لاتخاف) من العدو (دركا) فى وسط البحر (ولاتخشى) منهم العبور فضرب فسلكوه (فاتبعهم) على الفور فى دخول البحر اغترارا بكونه طريقا يبسا (فرعون بجنوده) مع علمه بكونه معجزة لعدوه يخاف عليه الانعكاس (فغشيهم) أى غطاهم (من اليم) اى البحر المملوء ماء (ماغشيهم) من الغشاء الكلى الذى لايمكنهم التنفس فيه (وأضل فرعون قومه) قبل دخول البحر بأن قال انشق لى البحر لادرك عبيدى (وماهدى) حين أدركه الغرق اذلم يعلمهم بايمانه لانهم لو اجتمعوا على الايمان فى ذلك الوقت ربما أنجاهم منه وكان هذا الاغراق هو الانجاء الكلى لبنى اسرائيل لذلك قال (يابنى اسرائيل) ناداهم ليتنبهوا على شكر الانجاء الكلى (قد أنجيناكم من عدوكم) بالاخراج من بلادهم من غير أن يكون لهم خبر أولا وبعبوركم البحر وبمنعهم عن درككم وباغراقهم (و) أنجيناكم عن القصور فى القوة النظرية والعملية اذ (واعدناكم) انزال التوراة حين صعودكم (جانب الطور الايمن) ليشير الى أن النجاة عن القصور انما تكون بالصعود عن البشرية وبالتمسك بالقوة الالهية (و) نجيناكم حين ابتليناكم بالتيه من شدائده اذ (نزلنا عليكم المن والسلوى) وانما كان انجاء اذلم يكن ابتلاء بمنع الاكل بل قلنا لهم (كلوا من طيبات مارزقناكم) ليدفع طيبه شدة الابتلاء (ولا تطغوا) بدعوى الولاية (فيه) أى فى هذا الابتلاء بحصول الكرامة لكم (فيحل عليكم غضبى) برؤيتكم مكان الغضب مكان الكرامة (ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى) أى سقط من عينى فلا يفيده مايعمل بعد (و) لكن هذا لايوجب اليأس (انى لغفار ان تاب) عن موجب الغضب (و) يكفى فيه ان (آمن و) قوى ايمانه بأن (عمل صالحا ثم اهتدى) بأن لم يأمن مكره ولم ييأس من روحه ولم يعجب بعمله ولم يدع الولاية والكرامة لنفسه (و) لما كان كمال الاهتداء بالاهداء لم يكن التسابق على الاتباع من كمال هذا الاهتداء لذلك قال تعالى (ما أعجلك) أى ما دعاك الى العجلة بالتقدم (عن قومك) الذين أرادوا كمال متابعتك (ياموسى) المبعوث لتكميلهم وهو بلدرك حالك معنا أتم وكان قد مضى مع النقباء الى الطور ثم تقدمهم (قال هم) وان غابوا لم يبعدوا عنى اذ صح فى حقهم أن يقال (أولاء) وهو الاشارة الى القريب ولم يتخلفوا عن متابعتى لانهم (على أثرى و) لكن

في ذلك ان توليه صفحة وجهك أو صفحة عنقك يقال ذلك عند الاعراض (قوله عز وجل صرة) أى شدة صوت (قوله سبحانه صكت وجهها) أى ضربت وجهها بجميع أصابعها (قوله سبحانه صلصال) طين يابس لم يطبخ اذا نقرته صل أى صوت من يبسه كما يصوت الفخار والفخار ماطبخ من الطين ويقال الصلصال المنتن مأخوذ من صل اللحم اذا أنتن

(عجلت) بالتقدم اليسير لمزيد التقرب (اليك رب) لتربيتي بمزيد التقرب (لترضى) عن اتباعي رضاك عني (قال) اذا أبعدت هؤلاء زدت اتباعهم ابعادا بوقعهم في الابتلاء (فانا قد فتنا) أي ابتلينا (قومك) الذين تركتهم مع هرون (من بعدك) لبعدك عنهم حسا ومعنى اصالة وواسطة (و) هو وان لم يتم سببا انضم اليه ما يتم سببيته وهو انهم (اضلهم السامرى) بصوغ عجل من حلي القبط مع رمي قبضة تراب من حافر فرس جبريل وقوله هذا الهكم واله موسى (فرجع موسى) من مقام غاية القرب (الى قومه) ابتلاء في ما فاتهم (غضبان) على ما فوتوا على أنفسهم (اسفا) أي حزينا هل يتم لهم التلافي أم لا (قال يا قوم) الذين حقهم التزام الهداية سيما عند وعد الزيادة فيها (الم يعدكم ربكم) الذي رباكم بالهداية (وعدا حسنا) بانزال التوراة لتزدادوا بها هداية (ام) ثقتم بوعده أم لا (فطال عليكم العهد) بان تأخر الى أربعين بعد ما كان ثلاثين هل أردتم الوفاء بذلك الوعد (ام) لم تريدوه ولكن (اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدى) بمتابعة التوراة الموجبة للرحمة (قالوا ما أخلفنا موعدك) بقصدنا والا اختص صنعه (بملكنا ولكنا) وقعنا فيه اتفاقا اذ (حملنا) اموالا كانت (اوزارا) أي آثاما لكونها (من زينة القوم) أي حلي القبط استعرناها منهم وليس لنا ستامن أخذ مال الحربي ولم يمكننا ردها على أهلها لفقدهم (فقذفناها) في حفرة أوقدنا فيها النار ليسبكها (ف) كما قذفناها (كذلك القى السامرى) من غير زيادة صنع (فاخرج لهم) من الحفرة (عجلا) خلقه الله من الحلي ولم يكن حيوانا حقيقيا بل (جسدا) بصورته لكن (له خوار) أي صوت بقر (فقالوا) تبعا للسامرى لما رأوه من غير صنع رأوا له خوارا (هذا الهكم واله موسى) وضعه في الحفرة (فنسى) ثم ذهب الى الطور لطلبه (أ) عموا في اعتقاد الهيته (فلا يرون أن) أي ان الشان (لا يرجع اليهم قولا) أي لا يرد عليهم جوابا مع ان التكلم دون الرؤية (ولا يملك لهم ضرا) لو لم يعبدوه (ولا نفعا) لو عبدوه (و) كانهم عموا (لقد) صموا أيضا اذ (قال لهم هرون) الذي هو كموسى (من قبل) أي قبل مجيء موسى قطعا لعذرهم وتمهيدا لعذره (يا قوم) الواجب عليهم اتباعي كاتباع موسى (انما فتنتم به) أي ابتلاكم الله باخراجه من غير صنع واعطائه الخوار لكنه خال عن النفع (وان ربكم) بحسب عموم نفعه لانه (الرحمن) وقد رحمكم بارسالي وأخي (فاتبعوني و) ان زعمتم ان موسى هو الاصل فقد استخلفني عليكم (اطيعوا أمري قالوا) انك وان أرسلت أو استخلفت فلا تعرف الاله اذ لم يتجل لك وقد تجلى لموسى (لن نبرح) أي لن نزال (عليه عاكفين) أي مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) ولما رجع موسى ورأى هرون لم يقاتلهم على قولهم لن نبرح عليه عاكفين (قال يا هرون) لم يناده باسم الاخ اشارة الى عدم مبالاته بها (ما منعك) من مقاتلتهم (اذ رأيتهم ضلوا) بالردة فحملك على (ان لا تتبعن) في مقاتلة المرتدين وقد أمرتك باصلاحهم ولا تحصل لك الا بالمقاتلة (أ) تركت مقاتلتهم (فعصيت امرى) فاستحققت الغضب عليك بأخذ اللحية والرأس فأخذهما (قال

فكأنه أراد صلا لا انقلبت احدى اللامين صادا
(قوله عز وجل صفصفا) أي مائلة قلوبكما
(قوله عز وجل صافات ويقبضن) اي يقول باسطات أجنحتهن قابضاتها
(قوله جل وعز صريم) اي ل وصريم صبح أيضا لان كل واحد منهما ينصرم عن صاحبه (وقوله فاصبحت كالصريم) أي سوداء محترقة كالليل ويقال اصبحت وقد ذهب ما فيها

يا ابن

(يا ابن أم) مقتضى شفقتى عليك أن لا أتركك اضر بك للاستمرار على الغضب الواقع سهوا (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) غضبا على بترك المقاتلة (انى خشيت) فى المقاتلة (أن تقول فرقت) بها (بين بنى اسرائيل) بأن تصير فرقة منهم معك وأخرى محاربة لك (ولم ترقب) أى ولم تراع (قولى) أصلح فانه مناف للتفريق والقتال ثم رجع الى معاتبة المفرق (قال) اذا فعلت هذا التفريق (فما خطبك) أى أهم مقاصدك منه (يا سامرى قال) أردت أن أكون متبوع طائفة بما خصصت به من الكشف اذ (بصرت بما لم يبصروا به) من حصول الحياة بوطء فرس جبريل (فقبضت قبضة من) تراب (أثر) قدم فرس (الرسول) جبريل لحملها اسم الحياة (فنبذتها) فى الحلى المذاب لتسرى فيه الحياة وتتبعها الصورة فتتزين للقوم حتى يتخذوها الها (وكذلك سولت) أى زينت (لى نفسى) حتى اتخذته الها وتوهمت أنى انى بر متبوعة الفرقة (قال فاذهب) أى ابعد عن البلاد (فان لك فى) أيام (الحيوة) بدل اجتماع التابعين حولك (أن تقول) لمن يريد الاجتماع بك (لا مساس) اذ هو سبب حمى الماس والممسوس (و) لا يقتصر عليها بل (ان لك موعدا) هو عذاب الآخرة (لن تخلفه) اذ لا توبة لك عن هذا الشرك (وانظر الى الهك الذى) أشركته اذ (ظلت) أى صرت (عليه عاكفا) أى مقيما (لنحرقنه) لتتفرق أجزاؤه والاله لا يتأتى فيه أدنى التغيرات (ثم لننسفنه) أى لنطيرنه فنجعله (فى اليم) أى البحر الممتلئ (نسفا) لا يبقى له معه أثر فتظهر غاية ذلته فى مقابلة غاية كمال الله (انما الهكم الله) الجامع للكمالات لانه (الذى لا اله) فى غاية الكمال (الا هو) ومن كمالاته التى لا تتصور لغيره انه (وسع كل شىء علما) ومن ذلك وسعناه عليك اذ (كذلك) أى مثل هذه القصص الجامعة للعلوم (نقص عليك من أنباء ما قد سبق) فى جميع العلوم (و) هى وان وجدت فى كتب الاولين فليست بحسن ما فى كتابك اذ (قد آتيناك من لدنا ذكرا) أى أشرف الاعجاز ولغاية شرفه (من أعرض عنه فانه) وان تمسك بكتاب سابق عليه (يحمل يوم القيامة وزرا) لتركه الفاضل وأخذه المفضول بعد ما نسخ ولا يجزون بالمفضول بل يبقون (خالدين فيه) أى فى جزاء الوزر (و) لو لم يكن لهم الخلود فيه على زعمهم الفاسد وهو انه لن تمسنا النار الا أياما معدودة (ساء لهم يوم القيامة) الذى تتصور فيه المعانى (حملا) اذ يفتضحون بحملها وانما تتصور فيه المعانى لانه (يوم ينفخ فى الصور) فيخرج منه أرواح المعانى طالبة لصورها لخروج صور الاجساد طالبة لها (و) لا يلزم أن يكون لها محل غير تلك الاجساد حتى لا يتألم بها الذلك (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) لتقبح عيونهم من قبح نظرهم الباطن (يتخافتون) أى يتكلمون خفية فيما (بينهم) انه انما قبح نظركم لقصركم نظركم على الادنى الذى لا بقاء له (ان لبثتم) فى ذلك الادنى (الا) ليالى (عشرا) ولا يقتصرون على هذا القول بل لا يزالون يستقصرون مدة الحياة الدنيوية ما ازداد عليهم طول ذلك اليوم فلا يزالون يقولون أقوالا (نحن أعلم بما يقولون) من كثرتها وانما نذكر أوسطها (اذ يقول أمثلهم طريقة) أى أعدلهم قولا (ان لبثتم الا يوما) لانه

من الثمر فكأنه قد صرم أى قطع وجد (قوله عز وجل صعودا) شاقا يقال تصعدنى الامر اذا شق على ومنه قول عمر رضى الله عنه ما تصعدنى شىء ما تصعدنى خطبة النكاح ومنه قوله عز وجل سأرهقه صعودا يعنى عقبة شاقة وقيل انها نزلت فى الوليد بن المغيرة وانه يكلف ان يصعد جبلا فى النار من صخرة ملساء فاذا بلغ أعلاها لم يترك ان يتنفس وجذب الى

بين الحشر وساعة من نهار (ويسئلونك عن الجبال) هل تبقى يوم القيامة فيمكن التستر بها عن الصور القبيحة (فقل ينسفها) أي يجعلها رملا (ربى) الذى ربانى بأن جعلنى أقوى من الجبال فى ذلك اليوم (نسفا) كليا بحيث لم يبق فيه شئ صلب ثم يسلط عليها الرياح (فيذرها) أي يترك أرضها (قاعا) أي مستويا (صفصفا) أي أملس (لاترى فيها عوجا) معنويا يدركه المهندس فضلا عن المحسوس (ولا أمتا) أي نتوأ وكالا يستتر يومئذ بالجبال ولا باعوجاج الارض ونتوءها الايستتر بالتباعد لاجتماع الناس فى طريق الحشر أو بالحشر أما الاول فلانهم (يومئذ يتبعون الداعى) أي يجيبون اسرافيل اذ يدعوهم الى الحشر قائما على صخرة بيت المقدس فينقلبون من كل أوب الى صوبه (لاعوج له) أى لاتباعهم يمينا وشمالا اذلاموجب للعدول من الجبال ونحوه (و) لايشغل عن رؤية تلك الصور سماع أصوات الناس فانه (خشعت) أى خفتت (الاصوات للرحمن) فانه وان ظهر للمؤمنين برحمته فهم مستغرقون فى هيبته واذا لم تسمع من أهل الرحمة (فلا تسمع) من غيرهم (الاهمسا) اى ذكرا خفيا ولاتدفع تلك الصورة بالشفاعة لانه (يومئذ لاتنفع الشفاعة الامن أذن) بعض الشفعاء ان يشفع (له الرحمن) بأن يفيض عليه نور الرحمة ليفيضها على المشفوع (ورضى) ان يشفع (له قولا) وانما احتيج الى الاذن لان الشفيع لايعلم مبدأ المعصية من قصد الاستهانة بأمر الله أو اتباع الشهوات ولامنتهاها من الجراءة على الله أو الندم على مخالفته والله تعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) فمن علمه استهان بامره وبقى بجترئا عليه لم يأذن بالشفاعة فى حقه والاربما أذن (ولايحيطون به علما) فلا يعلمون ما فى علمه من الاستعدادات (و) كيف يشفع أحد عنده بدون اذنه مع انه (عنت الوجوه للحى القيوم) اى صارت الوجوه ذليلة لظهوره بصفة الحياة والقيومية الدالة على ان كل ماعداه ميت بل معدوم هذا فى حق اهل العدل (وقد خاب من حمل ظلما و) لكن (من يعمل من الصالحات وهو مؤمن) فانه وان حمل ظلما (فلا يخاف ظلما) بنزع ثواب العمل (ولاهضما) بنقصه (و) ليست هذه الآيات لمجرد التخويف لانه (كذلك انزلناه) اى جميع الكتاب ولايتصور فى حق الله تعالى انزال كتاب أكثره كاذب (٣) ولايحمل على تأويل المحسوس بالمعقول لكونه (قرآنا عربيا) ليفهمه اهل العربية والحمل على التأويل مانع لهم عن الفهم (و) لايتأتى التأويل فى جميعها اذ (صرفنا فيه من الوعيد) بعبارات مختلفة يبعد حمل جميعها على التأويل لو أمكن على انه لو امكن فهو مخل بالمقصود من الانزال لانه انما أنزله (لعلهم يتقون) المعاصى فيتركونها بالكلية (او يحدث) الوعيد (لهم ذكرا) بقبح عواقب المعاصى فيدعوهم الى التوبة وكيف يكون وعيدا مجردا وهو يستلزم مخالفة الحكمة (فتعالى الله) الجامع للكمالات عن مخالفتها على انه (الملك) الذى لابد له من جود وسياسة ولايكونان بالعكس لانه (الحق و) قد ظهر بهذا التعالى والملكية والحقية فى هذا القرآن لمن لم يستعجل لذلك قيل لاصغى الناس فى اصغى الاوقات (لاتعجل بالقرآن من

قبل

اسفلها ثم بكاف مثل ذلك
(قوله عزوجل الصاخة) يعنى يوم القيامة تصخ أى تصم ويقال رجل أصخ وأصلخ اذا كان لايسمع
(قوله عزوجل الصمد) يقال الصمد السيد الذى يصمد اليه ليس فوقه احد والصمد أيضا الذى لاجوف له
*(باب الصاد المضمومة)
(قوله عزوجل صرهن اليك) أى ضمهن اليك

قبل أن يقضى اليك وحيه) وكان عليه السلام يستعجل بالقراءة قبل فراغ جبريل من الوحى
(و) لا تكتف بالتأمل مع التأنى بل (قل رب) يا من ربانى بالوحى (زدنى علما) بالكشف عن
اسراره الغير المتناهية (و) لا يكن عهدك بترك الاستعجال ولا بطلب زيادة العلم كعهد آدم فانا
(لقد عهدنا الى آدم) أن لا يقرب من الشجرة ولا يسمع من ابليس (من قبل) أى من قبلك فلا
يبعدان ترثه منه (فنسى) العهد (ولم نجد له عزما) فى حفظه (و) اذكر لتحقيق ذلك (اذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم) لتكونوا مسخرين له قائمين بمصالحه (فسجدوا الا ابليس) لانه
(أبى) أن يكون مسخرا له بل أراد أن يعاديه (فقلنا) تنبيها له (يا آدم ان هذا عدو لك)
يريد افساد أمورك (ولزوجك) اذ فى افساد أمورها افساد أمورك وأجل وجوه الافساد
اخراجكما من الجنة (فلا يخرجنكما من الجنة) الى دار الابتلاء (فتشقى) بالابتلاء اذ يتمكن من
افساد أمورك باحواجك الى الاموال لتوقف حوائجك فى دار الابتلاء على تحصيلها من حرام
وحلال وليست تلك الحوائج فى الجنة (ان لك ألا تجوع فيها) فلا تحتاج الى الطعام الذى
يفتقر اليه فى قوام البنية (ولا تعرى) فلا تحتاج الى اللباس الذى يفتقر اليه فى ستر العورة
(وأنك لا تظمؤا فيها) فلا تحتاج الى الماء الذى يفتقر اليه فى هضم الطعام (ولا تضحى) فلا
تحتاج الى البيت الذى يفتقر اليه فى دفع الحر فلما رأى الشيطان أن عداوته لا تتم مادام فى
الجنة لعدم افتقاره الى الاموال التى تكتسب من الحلال والحرام حاول اخراجه منها
(فوسوس) أى حدث حديثا واصلا (اليه) أى الى ظاهره وباطنه (الشيطان) اذ (قال
يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أى التى يفيد أكل ثمرتها الخلد فى الجنة (و) على (ملك)
هو ازدياد القرب من الرب بحيث (لا يبلى) فضلا عن الزوال اراهما شجرة الفناء شجرة الخلد
وسبب زوال الملك سبب دوامه بل سبب الخزى سبب القرب فاستماله ونسيا عهد ربهما
(فأكلا منها) فنزع عنهما ما لك كل شئ حتى نزع لباسهما (فبدت لهما سوآتهما) أى ظهرت
لهما عوراتهما (و) لم يجد لباسا آخر لذلك (طفقا) أى شرعا (يخصفان) أى يلزقان
(عليهما) بعضا (من ورق) اشجار (الجنة) فحصل لهما هذا الخزى بدل جاه الملك المخلد
وحصل لهما بدل شجرة الخلد هذه الاوراق الفانية عليهما من سائر اشجار الخلد التى يتجدد
أوراقها كلما سقط منها ورقة (و) افتضحا فضيحة أخرى معنوية اذ وقع بين الملائكة وأهل
الجنة انه (عصى آدم ربه) بارتكاب النهى وهو وان كان سهوا لكنه من تقصيره فى
حفظ العهد (فغوى ثم) انه لمزيد تذلله (اجتباه ربه) لتقريبه (فتاب عليه) لمحو سبب
بعده (وهدى) لمزيد أسباب القرب حتى تم اجتباؤه ومع ذلك ابتلاه وذريته بما يحصل مقصود
ابليس به اذ (قال) لآدم وحواء (اهبطا منها) أى من الجنة (جميعا) أى مجتمعين مع ابليس
اجتماعا فيه (بعضكم لبعض عدو) فالمرأة عدو الزوج فى الجائه الى تحصيل الحرام
والزوج عدوها فى انفاقه عليها وابليس يوقع الفتنة بينهما ويدعوهما الى أنواع المفاسد التى
لا ترتفع الا باتباع الامر السماوى (فاما يأتينكم منى هدى) أى فان تحقق اتيان هدى

ويقال املهن اليك وصرهن بكسر الصاد أى قطعهن المعنى فخذ أربعة من الطير فصرهن أى قطعهن صورا قال أهل اللغة الصور جمع الصورة ينفخ فيها روحها وقضيا والذى جاء فى التفسير ان الصور قرن ينفخ فيه اسرافيل والله أعلم (قوله عز وجل صواع الملك) وصاع الملك واحد ويقال الصواع جام كهيئة المكوك

منى من الدلائل العقلية والنقلية فى امر المعاش والمعاد (فمن اتبع هداى فلا يضل) بأخذ الفساد مكان الصلاح وبالعكس (ولا يشقى) بالتعب الدنيوى والعذاب الاخروى وكيف يشقى والهدى يلزمه ذكر الله المفيد له فى الدارين (ومن أعرض عن ذكرى) لاعراضه عن الهدى المذكر له ضل وشقى فى الدارين اما فى الدنيا (فان له معيشة ضنكا) أى ضيقا اذ لا قناعة له ولا توكل فى أمر الرزق ولا رضا له فى أمر القضاء (و) أما فى الآخرة فلانا (نحشره يوم القيامة) الذى يتصور فيه عماه عن الآيات (أعمى قال رب لم حشرتنى اعمى) مع ان الاعادة انما تكون على وفق البداية (وقد كنت) فى البداية (بصيرا قال) بل كنت (كذلك) أى أعمى فى آياتنا اذ (أتتك آياتنا) بل تعاميت عنها بحيث ازلتها عن قلبك (فنسيتها و) هو سبب شقاوتك اذ (كذلك اليوم تنسى) أى تترك فى العذاب ترك المنسى (و) لا يختص صورة العمى بمن عمى عن الآيات أو تعامى عنها بالاعراض بل (كذلك نجزى من أسرف) فبالغ فى النظر فى الآيات (و) لكن (لم يؤمن بآيات ربه) وكيف لا يجزى جزاءه فى العمى بهذه المبالغة فى النظر (ولعذاب الآخرة) فى حقه (أشد) من الاولى فهو أولى بالعمى (و) أقل وجوه الشدة فى حقه انه (أبقى) لانه لا يزول عند نضج الجلود قبل تجديدها بخلاف غير المعاند (ا) يصرون على انكار تلك الآيات بعد مصيرها فى حكم الضروريات (فلم يهد لهم كم أهلكنا) أى كثرة من أهلكنا (قبلهم) فعلوا بذلك استمرار سنة الله الماضية لا فى حق الآحاد بل (من القرون) لا بطريق الامراض بل حين (يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات) أى دلالات على ان من سنة الله تعذيب المعرض عن آيات الله والعاند فيها وصدق الرسل والامور الاخروية لكنها انما تحصل (لأولى النهى) أى أرباب النهاية فى الهداية ثم اشار الى أن مقتضى انتهاء الآيات الى الضروريات المؤاخذة على الفور (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (لكان) العذاب (لزاما) لهم لكنه مانع من كفر من بعدهم فيمنع من ملء جهنم (و) كذلك لولا (أجل مسمى) وهو الموت ليكثروا المعاصى فيكثر عذابهم لكان أيضا لزاما (فاصبر) الى وقت الوعد (على ما يقولون) من انك لكذبك جعلت العذاب أخرويا (وسبح) ربك من أن يكذبك فى وعده تسبيحا مقرونا (بحمد ربك) على ظهوره بالجمال والجلال وبالتفريق بين المحسن والمسيء واجعل ذلك فى الصلاة لتزداد وصلة فيزداد اعداؤك انقطاعا (قبل طلوع الشمس) وقت توقع الظهور وهو صلاة الفجر (وقبل غروبها) وقت توقع البطون وهو صلاة العصر عن تقييده بظهور او بطون (ومن آناء) أى بعض ساعات (الليل) وقت ابتداء البطون أو كماله وهو المغرب والعشاء (فسبح) عن محض البطون (و) سبحه (أطراف) أى ملتقى أطراف (النهار) وهو صلاة الظهر عن التقييد بالمظاهر (لعلك ترضى) بكمال المعرفة الموجبة للصبر على ما يظهر وتحتجب وبكمال وصالك وانقطاع اعدائك (و) اذا حصل لك ما يرضيك من المعارف والوصول الى الله (لا تمدن عينيك) ناظرتين (الى ما متعنا به أزواجا) أى طوائف (منهم) فانه ينافى الرضا

من نفخة وقرأ يحيى بن يعمر صوغ الملك بغين معجمة يذهب الى انه كان مصوغا فسماه بالمصدر (قوله عز وجل الصدفين) والصدفين ناحيتى الجبل (قوله عز وجل ساوى بين الصدفين) ويقرأ الصدفين أى ما بين الناحيتين من الجبلين (قوله عز وجل صنعا) وصنعا أى عملا والصنع والصنيع والصنعة واحد (قوله عز وجل

بالمعارف وبالوصول الى الله تعالى وهو رضا بمشاركة أهل الضلال والغضب ولا ينافى ذلك ماوعدناهم من ضنك العيش لان غاية أمرهم انا اعطيناهم (زهرة) أى زينة (الحيوة الدنيا) والزينة سيما الدنيوية تتضمن المشاق العظيمة الموقعة فى الضيق ولا يخلو صاحب المال عن ضيق بخوف التلف على يد الظالم أو السارق أو بوجه آخر ولو سلم عن ذلك فهو أيضا عين الضيق لمن نظر بعين الحقيقة لانا انما اعطيناهم اياها (لنفتنهم) أى نختبرهم كيف يتصرفون (فيه) أعلى النهج المشروع وفيه الضيق الحسى أم لا وفيه ضيق استيجاب العذاب (و) لو خلا عن هذه الامور فهو ضيق أيضا لانه الاشتغال بالعالم المحسوس الذى هو اضيق من العالم الروحانى لذلك (رزق ربك) المعنوى للارواح (خير) من الحسى لعظمته (وابقى) لبقاء الروح المغتذى به بخلاف البدن المغتذى بالرزق المحسوس فانه وان تقوى به مدة فلا بقاء له (و) لكون المعنوى خيرا وأبقى (أمر اهلك) اهل الكمال المستعدين لاستفاضة الرزق المعنوى (بالصلوة) الجاذبة لها (و) ان وجدتها مانعة من طلب الرزق المحسوس (اصطبر) عن المحسوس (عليها) وليس ذلك ايقاعا للنفس فى التهلكة اذ (لا نسئلك) أى لا نكلفك تكليفا نسأل عنه ان تطلب (رزقا) لمنافاته تكليفنا اياك بالصلاة ولا يبطل التكليف بالصلاة بعدم الاستطاعة عليها بدون الرزق اذ (نحن نرزقك و) لو طلبت الرزق بترك الصلاة فلا عاقبة له اذ (العاقبة للتقوى) التى من اعظم وجوهها الصلاة الناهية عن الفحشاء والمنكر فاما ان يذهب سريعا أو يوجب عقوبة آخروية (وقالوا) حين سمعوا ورزق ربك خير وأبقى الى قوله والعاقبة للتقوى (لولا يأتينا بآية) تدل على ماذكرتم بعلم أنها (من ربه) لنحصله ونترك من أجله الاموال واللذات العاجلة (ا) لم تأتهم الآيات الكثيرة (و) لو انكروها فكيف ينكرون اعجاز القرآن فيقولون (لم تأتهم) كلام معجز هو (بينة) أى شاهد صدق (مافى الصحف الاولى) التى لا اعجاز لها فلا بد لها من مصدق هى معجزات الاولين فى أزمنتهم فاذا بطل تواترها كان هذا المعجز بينة تلك الكتب ولا ينافى ذلك استدلالنا بها على صدقه لان ذلك باعتبار انها مقبولة الطائفة وهذا باعتبار نفس الامر (و) لو أرادوا الآية الملجئة فلا يلجئهم سوى الاهلاك لكنا (لو أنا أهلكناهم بعذاب) يلجئهم الى الايمان (من قبله) أى من قبل غير الملجئة (لقالوا ربنا) انك وان لم يجب عليك شئ لكن مقتضى ربوبيتك ارسال الرسول (لولا أرسلت الينا رسولا) بآيات غير ملجئة (فنتبع آياتك من قبل أن نذل) فلا يكون لايماننا عزة لزوال الاختيار (ونخزى) بالعذاب فان زعموا ان غير الملجئة يحتمل الكذب فان صدقت عذب المنكر والا فالمفترى (قل) حاصل هذا الكلام (كل متربص) على صاحبه العذاب (فتربصوا) على صاحب الآيات مع استقامته دون المكذبين حتى تأتيهم الآية الملجئة فلا بد من اتيانها (فستعلمون) عند اتيانها المانع من الانتفاع بالايمان (من أصحاب الصراط السوى) هل هم الانبياء والاولياء أو العلماء والآباء الاغبياء (ومن اهتدى) هل هو المقتدى بالانبياء او الآباء * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

وهى تمر مر السحاب صنع الله) أى فعل الله

(باب الصاد المكسورة)

(قوله عزوجل الى صراط مستقيم) أى طريق واضح وهو الاسلام (قوله صبغة الله) أى دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها (قوله عزوجل صر) أى برد شديد (قوله عزوجل صديقا) أى كثير الصدق كما يقال سكيت وسكير وشريب اذا كثر ذلك منه

(سورة الانبياء)

سميت بهم لاشتمالها على فضائل جليلة لجماعة منهم (بسم الله) المتجلى بجلاله الموجب حجاب الغفلة وجماله الموجب اثبات الذكر المحدث (الرحمن) بوضع الحساب (الرحيم) بانزال الذكر (اقترب) من تقريب الاعمال (للناس) الذين نسوا حساب الاعمال (حسابهم) السيئ (و) لا يتذكرون مانسوا اذ (هم) غرقى (فى) بحر (غفلة) لايريدون الخروج لانهم (معرضون) عن دواعيه وهى الذكر فانه (ما يأتيهم من ذكر) به شرف الاعجاز وجميع الفوائد لكونه (من ربهم محدث) عندهم يجدد لهم التذكر (الا استمعوه) اى اما التذكر هم (و) لكن لم يتذكروا به اذ (هم يلعبون) وانما العبوا مع كثرة زواجره لكونهم (لاهية) أى ذاهلة (قلوبهم) عن التفكر المفضى الى التذكر (و) لكن يتفكرون فى دفع الرسالة والاعجاز اذ (أسروا) أى بالغوا فى اخفاء (النجوى) بالقاء الشبه ليفاجؤا بها الضعفاء تحقيقا لعجزهم عن التفصى عن شبهاتهم مع علمهم ببطلانها انهم (الذين ظلموا) أنفسهم وضعفاءهم بالقائها اذ يقولون (هل هذا الا بشر مثلكم) وارسال احد المثلين دون الآخر ترجيح بلا مرجح وهو محال فليست معجزاته غير السحر (ا) تتوهمون الاعجاز (فتأتون السحر) منقادين له عن الالتباس (وانتم) يمكنكم التميز بينهما بان المعجز هو الذى بلغ الى حد الالجاء ومالم يبلغ فهو من السحر وهذا ظاهر كانكم (تبصرون قال) للمبالغين فى اخفاء هذه الشبهة ليفاجؤا بها الضعفاء لايمكنكم المناجاة بها اذ (ربى يعلم القول) أى كل ما يقال (فى السماء) العالم العلوى (والارض) السفلى وكيف لا يعلمه (وهو السميع) ويعلم مافيه وما يترتب عليه لانه (العليم) فلا يبعد ان تظهر هذه الشبهة على من تخفونها عنهم مع حلها قبل مفاجاتكم فيبين لهم انكم انما قلتم بسحريته لغاية حسنه فلا يقولون به (بل قالوا) انه فى غاية القبح لانه (اضغاث أحلام) أى اختلاطات عقول فيقال انه كلام متين لايشبه كلام المجانين فلا يقولون به (بل) قالوا (افتراه) فيقال لم يجرب عليه الكذب فلا يقولون به (بل قالوا (هو شاعر) فيقال ليس كلامه كلام الشعراء فيقولون كيفما كان فليس بمعجز (فليأتنا بآية) من آيات الاولين ليكون بها رسولا (كما أرسل الاولون) فيقال انما أوتى آية غير آياتهم لانه (ما آمنت قبلهم من قرية) أرسل اليها أولئك الرسل بتلك الآيات حتى (أهلكناها) وهؤلاء لم يؤمنوا الاعظم منها (ا) تنزل لايمانهم احدى تلك الآيات مع دنوها (فهم يؤمنون و) كيف يؤمنون مع بقاء شبهتهم استحالة ارسال البشر وان كان له آية ملجئة من اهلاك المكذبين من أمم الاولين فانا (ما أرسلنا قبلك الا رجالا) وكيف تنافى البشرية الرسالة مع انه لايشترط فيها نزول الرسل من السماء بل يكفى فيهم انه (نوحى اليهم) بارسال الملك اليهم فان التبس بالشيطان عليكم (فاسئلوا اهل الذكر) أى الشرف من علماء الامم (ان كنتم لا تعلمون) الفرق لقصور نظركم (و) لايشترط فى نزول الملائكة عليهم خروجهم عن البشرية بالكلية لانه اما الى الجماد وهو باطل لانا (ما جعلناهم جسدا) جماديا بحيث (لا يأكلون الطعام) فان الجمادية تبطل المناسبة بالملائكة فلا يكمل بترك الطعام مناسبتهم (و) اما الى كمال الحياة

(قوله صنوان) نخلتان ونخلات يكون أصلها واحدا (قوله عز وجل وصبغ للآكلين) الصبغ والصباغ ما يصطبغ به أى يغمس فيه الخبز ويؤكل به (قوله عز وجل صهرا) قرابة النكاح

(باب الضاد المفتوحة)

(قوله عز وجل ضربتم فى الارض) أى سرتم فيها وقيل تباعدتم فيها (ضر) أى زمانة ومرض

بحيث ينافي الموت لكنهم (ما كانوا خالدين) وانما اشترط فيها دلائل الصدق فصدقناهم بالمعجزات (ثم صدقناهم) تأكيد التصديق المعجزات (الوعد) باهلاك اعدائهم ويدل عليهم انجاؤهم (فانجيناهم) مع مخالطتهم للهالكين (ومن نشاء) من المؤمنين (و) لم نجعل أمر المسرفين على المشيئة بل (أهلكنا المسرفين) من غير استثناء وان زعمتم ان في ترك الاسراف تذللا قيل (لقد أنزلنا اليكم كتابا) جامعا للعلوم (فيه ذكركم) أي شرفكم الذي تذكرون به فوق شرف الاسراف (لم) تطلبون الشرف في الاسراف دون جمع العلوم (فلا تعقلون) كيف (و) الاسراف يستوجب القهر لذلك (كم) أي كثيرا (قصمنا) أي قهرنا (من قرية كانت ظالمة) بالاسراف (و) لم يكن ذلك اسرافا منا باتلاف ملكنا بلا شيء اذ (أنشأنا بعدها قوما آخرين) فكانت استبدالا بالشيء الردي جيدا والدليل على رداءتهم انهم مثل الحيوانات العجم في الانهماك على الشهوات والفرار من الاذيات ولو في الشيء المشتهى لهم فانهم لم يزالوا راغبين فيما أسرفوا فيه ماداموا مسرفين به (فلما احسوا بأسنا) أي أبصروا عذابنا على اسرافهم فيما أترفناهم (اذاهم منها يركضون) أي يسرعون الهرب من النعم التي أسرفوا فيها اسراع الدواب عند ركضها فلا يمكنهم الهرب اذ يقال لهم (لا تركضوا) فانه لا ينجيكم (وارجعوا الى ما اترفتم) أي متعتم فاسرفتم (فيه ومساكنكم) التي كثر فيها اسرافكم (لعلكم تسئلون) ما الذي الجأكم الى الاسراف فيها ولعلكم يحضركم جواب لا يحضر بالغيبة فينجيكم من عذاب الله (قالوا) لا جواب لنا ينجينا الآن ندعو الويل (يا ويلنا) تعال الينا فهذا مكانك لاسرافنا (انا كنا ظالمين) بهذا الاسراف ظلما لم يبق لنا جوابا ينجينا ولا يختص هذا بوقت الدهشة بل يدوم عليهم ما أمكنهم النطق (فما زالت تلك) الكلمة (دعواهم) يتمسكون بها للنجاة اذ فيها الاعتراف بالذنب وهو قد يكون سببا للعفو ولكنها لم تفدهم (حتى جعلناهم حصيدا) أي كنبات محصود بل (خامدين) باخماد نار ارواحهم فاذا لم يفدهم في الامر الدنيوي فكيف في الامر الاخروي (و) كيف نترك سؤالهم عما انعمنا عليهم مع انا (ما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) بل للانعام عليهم وما انعمنا عليهم بذلك الا لتستعملهم اعمالا تستعقب تجليات لطيفة أو قهرية ولا دلالة فيها على توليدنا اربابا فانه مستحيل في حقنا لافتقاره الى لعبنا مع المرأة ولا يليق بنا لو امكن في حقنا بل حينئذ (لو أردنا أن نتخذ) ولدا يقتضي (لهوا) لم نحصله به بل (لاتخذناه من لدنا) بلا واسطة امرأة (ان كنا فاعلين) لنا ولدا لكن الفعل يقتضي الحدوث المانع من مناسبتنا وليست كمالاتهم من ظهور سمو والديتنا فيهم (بل نقذف بالحق) أي نلقي نور التجلي باشراق الوجود الحق (على) الوجود (الباطل) الذي هو العرض العام للاشياء ولا بقاء للاعراض لكنها تتجدد بحدوث الامثال وهذا مانع منه (فيدمغه) أي يضرب على دماغه الذي هو محل علومه (فاذا هو زاهق) بالفناء في الله والبقاء به زهوق الروح (و) ليس ذلك بالهية ولا والدية له بل (لكم الويل مما تصفون) المظاهر بصفات الهية من ظهورها فيها (و) لكن لا ظهور لتلك الصفات بمظاهر الاجسام اذ (له) عبيد (من في السموات والارض و) لا

(قوله عز وجل ضراء) ضر أي فقر وقحط وسوء حال واشباه ذلك الضر ضد النفع (ضيق) تخفيف ضيق مثل ميت وهين ولين تخفيف ميت وهين ولين وجائز أن يكون مصدرا كقولك ضاق الشيء يضيق ضيقا وضيقا وضيقة (قوله عز وجل ضربنا على آذانهم في الكهف) أي أنمناهم وقيل منعناهم السمع (قوله عز وجل ضنكا)

فى المجردات والا استكبرت عن عبادته لكن (من عنده) بقوة تجرده الموجب مزيد المناسبة
معه (لا يستكبرون عن عبادته و) لا يتركونها كسلا بل (لا يستحسرون) أى لا يعيون عن
عبادته وقت التجلى بل (يسبحون الليل والنهار) الاسم الباطن والظاهر ان يتقيدا
بمظاهرهما (لا يفترون) عن التنزيه وان كانوا لا يزالون يزدادون مراتب بتجليهما اهل اتخذوهم
آلهة عند التجلى الذى لا يزالون ينزهون فيه (أم اتخذوا آلهة) محجوبين بالحجاب الظلمانى
لكونهم (من الارض) اذ يعتقدون فيهم انهم (هم ينشرون) أى يخرجون ما فى العدم الى
الوجود لكن تعدد الآلهة مانع من النشر فانه (لو كان) يتصرف (فيهما) أى فى السماء
والارض (آلهة) متعددة بل واحد قاصر (الا الله) أى غيره (لفسدتا) أى بقيتا على العدم
لانه لو استغنى عنهما لم يكن النشر لهما ولا لاحدهما وان احتيج الى كليهما لم يستقل أحدهما
بدون الآخر فكانا قاصرين ولا يصلح النشر وان احتيج الى أحدهما دون الآخر كان المحتاج
اليه هو الناشر دون الآخر واذا كان التعدد والقدر مانعين من النشر (فسبحان الله) ان
يشارك فى الايجاد بل هو منفرد به لاتصافه بغاية الكمال لاختصاصه بوصف (رب العرش)
المحيط بالاشياء احاطته تقتضى احاطته بالكمالات فلا بد من تنزهه (عما يصفون) من النقائص
التى من جملتها المشاركة فى الايجاد وهذا الوصف منهم وان كان بايجاده اياه فيهم (لا يسئل عما
يفعل) لانه بحسب استعدادات حقائق الاشياء (وهم) وان توهموا بذلك كونهم مجبورين
(يسئلون) لانهم لم يجبرهم الله بالحقيقة وانما يجبرهم استعداداتهم فان زعموا انه وان تنزه عن
مشاركة من يساويه فلا يتنزه عن مشاركة من دونه فيقال لهم هل اتخذوا آلهة يساوونه (أم
اتخذوا من دونه آلهة) لان الالهية تقبل التفاوت (قل هاتوا برهانكم) العقلى على
قبولها التفاوت فان زعموا انه نقلى فلا يعتبر فى النقل الا ما ظهر شرفه وهو الكتب السماوية
وقد اجتمعت فى كتابك فهو الجامع لشرف الكل (هذا ذكر من معى) من الصحابة (وذكر من
قبلى) من امم الانبياء ولا شرف لكلام الآباء (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) الذى به الشرف فان
أمروا بالنظر ليحصلوا هذا الشرف (فهم معرضون و) كيف يكون لكلامهم الشرف وقد
قابلوا كلام الشرفاء الذين قالوا بالتوحيد الذى هو اتم وجوه الشرف سيما الانبياء فانه
(ما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا) وكيف لا نرسل بذلك وهو يدعوهم
الى العبادة كأنه يقول أنا المستحق للعبادة (فاعبدون وقالوا) قد اوحى الله الى بعض الرسل
ما يدل على الشرك وهو انه ورد فى الانجيل انه (اتخذ الرحمن ولدا) فيقال لهم ليس على ظاهره
لوجوب أن يسبح الله (سبحانه) الكامل (بل) معناه انهم مع حدوثهم الدال على انهم (عباد) هم
(مكرمون) باطلاق لفظ الولد عليهم مجازا ويدل على بقاء عبوديتهم ومع هذا الاكرام انهم
(لا يسبقونه بالقول) فلا يقولون ما لم يقل رعاية لادب العبودية (و) مراعاتهم لها فى الافعال
اظهر اذ (هم بامره يعملون) وكيف يخرجون عن عبوديته مع احاطته بهم لانه (يعلم ما بين أيديهم
وما خلفهم و) كيف يخرجون عن عبوديته ولا يقدرون على ادنى وجوه معارضته لانهم

أى ضيقا (قوله ضللنا فى
الارض) أى بطلنا وصرنا
ترابا فلم يوجد لنا لحم ولا دم
ولا عظم ويقرأ صللنا أى
أنتنا وتغيرنا من قولك صل
اللحم وأصل وصن وأصن
اذا أنتن وتغير (قوله ضنين)
شحيح بخيل (ضريع)
نبت بالحجاز يقال لرطبه
الشبرق

(باب الضاد المضمومة)

(قوله عز وجل ضربت
عليهم الذلة والمسكنة)

(لا

(لا يشفعون الا لمن ارتضى) اذ الشفاعة لغير المرتضى نوع معارضة معه وكيف يعارضونه (وهم من خشيته) أى قهره (مشفقون) خائفون وكيف لا يخافون قهره فى شفاعة من لا يرتضيه وهو يشبه دعوى الالهية مع الاعتراف بالدونية (ومن يقل منهم) أى من العباد المكرمين بانواع من الكرامات (انى اله) لا بطريق الفناء فيه والبقاء به بل مع الاعتراف بكونه (من دونه) فضلا عن دعوى المساواة والفوقية (فذلك) وان بلغ من الاكرام ما بلغ (نجزيه جهنم) فتقلب اكرامه اذلالا لانه استهان برتبة الالهية بجعلها للدون فصار المال فاستحق الجزاء بها اذ (كذلك نجزى الظالمين) يزعمون انهم وان تأتوا بهذه الصفات فليسوا بعباد بل هم أولاد اذ كثيرا ما يتصفون بها (ولم ير الذين كفروا) بجعل عباده اولاده أن الولادة ليست بحسب الاكرام بل بحسب الفتق والرتق وافاضة الماء وهذا الاعتبار يوجب كون كل نبات وحيوان أولاد الله تعالى وكانهم لم يروا (ان السموات والارض كانتا رتقا) ينضم بعض اجزائهما الى بعض بحيث لا يخرج منهما شئ (ففتقناهما) باخراج الماء والنبات (و) ان زعموا ان الهيتهم باحيائهم فغايتهم انهم سبب فيضانه كالماء فانا (جعلنا من الماء كل شئ حى أ) ينسبون الاحياء اليهم لا بطريق السببية (فلا يؤمنون) بمن هو محى بالحقيقة (و) ان جعلوا الالهية بالارتفاع فقد (جعلنا فى الارض رواسى) فان قالوا يمنع الهيتها عدم تأثيرها قيل لهم انها مؤثرة لانها تمنع الارض (أن تميد) أى تتحرك فتضر (بهم و) ان زعموا أن التأثير المعتبر هو التأثير بالهداية فهو موجود فى الجبال اذ (جعلنا فيها فجاجا) أى مسالك واسعة لتصير (سبلا) وهى وان لم تكن موصلة الى الحق تفيد اعتبار سبل الوصول اليه بطريق المقايسة (لعلهم يهتدون) لسبل الوصول الى الحق (و) ان زعموا ان الالهية بغاية العظمة أو البقاء انتقض بالسماء فقد (جعلنا السماء سقفا) للارض كلها (محفوظا) مع شدة الحركة عليها ثم أشار الى أن ظهور هذه الامور فيها ليس لالهيتها بل للدلالة على الهية من ظهر فيها بهذه الامور (وهم عن آياتها معرضون و) لو كان الظهور دليل الالهية لكان الليل والنهار الهين بظهور اسم الباطن والظاهر فيهما لكنه باطل لسرعة زوالهما فتعين ان الله (هو الذى خلق الليل والنهار) كيف (و) قد خلق منشأهما اذ جعل (الشمس والقمر) ويدل على جعلهما دوام تغيرهما بالحركة التابعة لحركة الغير اذ (كل فى فلك) هو خارج المركز أو التدوير (يسبحون) فى الفلك الممثل أو الحامل ففى حركته تبعية من جهات (و) ان سلم ان البقاء يدل على الالهية فلا بقاء لعيسى لانه وان طالت حياته فهو بشر (ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) فلا بد له من الموت بعد النزول فان استثنى من لحق بالملائكة أو من خص بمزيد القرب من الله فمحمد اولى بذلك (أ) يخرجون من هذا الاستقراء من جعلوهم آلهة دونك (فان مت) مع كمال ملكيتك وقربك (فهم الخالدون) لا يكون كذلك بل (كل نفس) وان طالت حياتها ولحقت بالملائكة أو خصت بمزيد القرب من الله (ذائقة الموت) كيف (ونبلوكم) أى نكلفكم (بالشر) فننهاكم عنه (والخير) فنأمركم به (فتنة) اى اختبارا هل تنقادون لنا فى أمرنا ونهينا وهو انما يتم عند من يعتقد جزما رجوعه

أى ألزموها والذلة والذل والمسكنة فقر النفس لا يوجد يهودى موسر ولا فقير غنى النفس وان تعمل لازالة ذلك عنه (قوله جل وعز ضعف) وضعف اغصان وقيل ضعف بالضم ما كان من الخلق وضعف ما ينتقل

* (باب الضاد المكسورة) *

(قوله جل وعز ضعث) ملء كف من الحشيش والعيدان (ضعف) الشئ مثله ويقال مثلاه

الينا وهو انما يحصل بوقوعه وهو مرتب على الموت فيموتون (والينا ترجعون و) استبعاد بقائهم مع موتك انما يعتقده من يؤمن بفضلك على من جعلوهم آلهة لا من كفر بك فانه (اذا رآك الذين كفروا) برسالتك فضلا عن فضلك على آلهتهم (ان يتخذونك الاهزوا) أي محل سخرية فيجعلونك أهون الاشياء فاذا ادعيت التفضل على آلهتهم قالوا (اهذا الذى يذكر آلهتكم) بالاستهانة (وهم) أولى بالسخرية فى ذلك اذ (بذكر الرحمن) أى بذكر المؤمنين اياه (هم كافرون) اذ لا يؤمنون بعموم رحمته بل يجعلون آلهتهم شركاء فى الرحمة وقد بالغوا فى هذا الكفر بحيث لا يبالون فى مقابلته بالدلائل العقلية ولا النقلية بل يريدون الملجئة ولا يلجئهم سوى الاهلاك فيستعجلونه ليحصل لهم آياته فيقال لهم (خلق الانسان) عجولا فى كل شئ حتى فى الشركاء (من عجل سأريكم) بعد موتكم (آياتى) على عموم رحمتى وقدرتى وصدق رسلى وانما اخرته الى ذلك لانى جعلت له وقتا معينا فلا تقدم عليه باستعجالكم (فلا تستعجلون و) اذا منعوا من استعجاله عن الوقت المعين له (يقولون متى هذا الوعد) بينوا وقته (ان كنتم صادقين) فى انه يوجد فى وقته المتعين فقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا) وقت ذلك العذاب اعنى (حين لا يكفون) أى لا يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) اى اشرف اعضائهم وأقواها بواسطة الشرف والقوة لا يتأتى لهم هذا الدفع بانفسهم (ولا هم ينصرون) بدفع الغير عنهم لاخروا الايمان الى ما يقرب من ذلك الوقت فيصرون على الكفر الى زمان قربه فيصير هذا سببا للاصرار على الكفر فينقلب مقصود الدعوة فلا وجه لاعلامهم لذلك (بل) ابهامه ربما يدعوهم الى ترك الاصرار فان اصروا (تأتيهم بغتة) أى فجأة (فتبهتهم) أى تحيرهم لانهم ان أرادوا الصبر عليها لم يقدروا عليه وان أرادوا ردها الى الايمان (فلا يستطيعون ردها) بسبب من الاسباب (و) ان استمهلوا للايمان (لاهم ينظرون) لتمام مدة الانظار قبله (و) اذا سمعوا ذلك استهزؤا بك وهو لا يدفع عنهم ذلك بل يزيد العذاب الاخروى وربما يضم اليه الدنيوى أيضا فانه (لقد استهزئ برسل من قبلك فحاق) أى أحاط فوق احاطة عذاب مجرد الكفر (بالذين سخروا منهم) بعد ما كفروا عذاب (ما كانوا به يستهزؤن) وهو زيادة العذاب الأخروى مع العذاب الدنيوى فلا يبعد ان يحيط بهؤلاء مثل ما أحاط بأمثالهم وان استبعدوا اتيان العذاب فجأة (قل من يكلؤكم) أى يحفظكم (بالليل) وقت الغفلة (والنهار) وقت التيقظ (من الرحمن) ان يفجأكم بالعذاب ولا يمنع من ذلك عموم رحمته اذ تعذيبكم يعتبر أهل عصركم ومن بعدهم فيكون سببا لاصلاح أمورهم الموجب لرحمته عليهم ولا يغترون فى ذلك بعموم رحمته حتى يرجى منعها عن ذلك (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) اهم يمنعون عذابنا بأنفسهم (أم لهم آلهة تمنعهم) عذابنا لانهم يحولون (من دوننا) أى بمكان قريب منا لكنهم لو وقع على انفسهم (لا يستطيعون نصر أنفسهم) كيف (ولا هم منا) أى معنا (يصحبون) فضلا من أن يكون لهم منا قرب وليس حقيقة أمنهم من الاعتماد على نصر آلهتهم وقربها من ربهم (بل) انما أمنوا لانا (متعنا هؤلاء وآباءهم) بالامن والحفظ (حتى طال عليهم العمر) فلم يروا فيه فجأة عذاب فانكروه (أ) يظنون انا نتركهم

(قوله ضعف الحياة وضعف الممات) أى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة والضعف من اسماء العذاب ومنه قوله قال لكل ضعف (قوله جل وعز ضيزى) اى ناقصة ويقال جائرة ويقال ضازه حقه اذا نقصه وضاز فى الحكم اذا جار فيه وضيزى وزنه فعلى وكسرت الضاد لتسلم الياء ا ه ليس فى النعوت فعلى

على ذلك (فلا يرون انا نأتى الارض) ارضهم (ننقصها من أطرافها) بتغليب المسلمين مع ضعفهم عليها (أ) يعتقدون مع ذلك غلبتهم علينا (فهم الغالبون) علينا وقد غلبهم ضعفاء المؤمنين فان زعموا ان الله تعالى لم يزل حفيظا لنا ولا يأتينا فمن أين تخوفنا بفجأة عذابه الخالد (قل انما انذركم) بفجأة العذاب الخالد (بالوحى) المشتمل على بيان الحكمة فيه (ولا يسمع الصم الدعاء) أى دعوة المنذرين (اذا) أى وقت (ما ينذرون) لا وقت مسه (و) لكن والله (لئن مستهم نفحة) أى رائحة (من عذاب ربك) لا يمكنهم ترك الالتفات به بل (ليقولن يا ويلنا) تعالى الينا لظلمنا (انا كنا ظالمين و) هم وان ظلموا مع ضعفهم لا نظلمهم مع قدرتنا بل (نضع الموازين) التى يعرف بها مقادير الاعمال (القسط) التى لا تتجاوز الى افراط ولا تفريط (ليوم القيامة) الموضوع للقسط وان لم نضعها بكمالها قبل ذلك (فلا تظلم نفس) بترك الوزن (شيا) بنقص ثواب او زيادة عقاب (و) لا نترك احضار العمل فانه (ان كان) العمل (مثقال حبة من خردل) أى مقدار وزنها (أتينا بها) أى احضرناها لنحاسب عليها صاحبها (و) لا يعسر علينا حساب الجمع الكثير ولا نحتاج فيه الى الغير اذ يتصور منه الظلم بل (كفى بنا حاسبين و) كما نأتى بخرادل الاعمال نأتى بخرادل نكاتها ولا بعد فى ذلك فانا (لقد آتينا موسى) اصالة (وهرون) تبعية (الفرقان) أى المبالغ فى الفرق بين الاشياء الذى لا يكون الا بتدقيق النظر (و) قد لا يدرك بالنظر فيحتاج الى الكشف فآتيناهما (ضياء) هى أنوار الكشف (و) انما آتيناهما ذلك ليذكر الخلق (ذكرا) نافعة (للمتقين) وانما كانت نافعة لهم لانهم (الذين يخشون ربهم) الذى رباهم بدقائق الحكمة ان يؤاخذهم بدقائق نكت لا يطلعون عليها لانه يؤاخذ (بالغيب و) لذلك (هم من الساعة) التى هى من الغيب (مشفقون و) اذا كان لهما هذا الانذار قبلى فليس انذارى بدعة بل تكميل لانذارهما اذ (هذا ذكر مبارك) أى كثير الفوائد اذ (أنزلناه) من مقام عظمتنا (أ) لا ترون فيه ذلك (فانتم له منكرون) بحيث لا تجعلون ادنى مناسبة معه توجب الايمان به ويمكن ان يقال من كونه ضياء صار منيرا لقلوب المتقين حتى ذكرها ما كمن فيها فكوشف لها عن ذلك من ابقائها بالحجب الظلمانية فازداد معرفتها حتى ازداد خشيتها من الله لانه كوشف لهم من مكاشفة غيبية فكوشف لهم عن الساعة مكاشفة شهودية فازدادوا اشفاقا منها وهذا كتاب افاد كشفا اتم من ذلك لكونه منزلا من مقام عظمتنا ا تنكرون مزيد كشفه بل مساواته له بل مقاربته فانتم له منكرون (و) لا يبعد ان يكون ما اوتى بعض الانبياء أكمل مما اوتى البعض الآخر فانا (لقد آتينا ابراهيم رشده) المخصوص به (من قبل) أى من قبل موسى وهرون فلم يكن ارشادهما بدعة حتى يكون ارشادى بدعة بعد فترى (وكنا به) أى بمقدار كمال استعداد ابراهيم (عالمين) بحيث لا يحيط به علم غيرنا فلا يبعد ان يكون رشده اكمل فى اقامة الادلة ورفع الشبه وبيان الحقائق ورعاية الدقائق والاتيان بالكشف (اذ قال لابيه) تربية له بالرشد (وقومه) صلة لهم فى الانقاذ من الضلال (ما هذه التماثيل) أى الصور الحقيرة الخالية فى انفسها عن الارواح المؤثرة وان تعلق ببعضها الشياطين فليس فى تأثيرها فائدة بل هى عين

(باب الطاء المفتوحة)

(طاغوت) أصنام والطاغوت من الانس والجن شياطينهم يكون واحدا ويكون جمعا (قوله طوعا) أى انقيادا بسهولة (قوله عز وجل طولا) أى سعة وفضلا (طبع) ختم (قوله عز وجل فطوعت له نفسه) أى شجعته وتابعته ويقال طوعت فعلت من الطوع يقال طاع له كذا أى اتاه طوعا ولسانى لا يطوع

المضرة (التى انتم لها) اى لعبادتها (عاكفون) مقيمون كانه يستمر لكم منها الفوائد (قالوا) انه وان لم يظهر لنا فوائدها لكن لها فوائد فى الواقع لانا (وجدنا آباءنا لها عابدين) وقد علمنا من كمال عقولهم انهم لا يتذللون غاية التذلل الا لمن كثر منه الفوائد (قال لقد كنتم انتم وآباؤكم) متوهمين انها تفيد فوائد من هى صورهم من الملائكة والصالحين وان تأثيرات الشياطين المتعلقة بها فوائد لها فكانوا (فى ضلال مبين) فان الصورة المنقوشة على الجدران لا تفيد فوائد ما هى صوره وان تأثيرات العدو ابعد من الفوائد (قالوا أجئتنا) رسولا (بالحق) يبين اضلال العقلاء (أم أنت) فى دعوى الرسالة ونسبتهم الى الضلال (من اللاعبين قال) لا العب فى اعتقاد الربوبية (بل) اعتقادكم الهية هذه التماثيل يشبه فعل اللاعب اذ (ربكم) الذى جمع فيكم اسرار العالم لا يكون شيأ من اجزائه بل انما هو (رب السموات والارض) لا من يحركها من أرواح الكواكب بل (الذى فطرهن و) لست أقول ذلك بالظن والتخمين أو بدلائل يمكن معارضتها أو نقضها أو مناقضتها بل (أنا على ذلكم من الشاهدين) أى العالمين به بطريق الكشف الذى لا احتمال فيه لشئ من ذلك (و) لا احتاج فى ذلك الى اقامة دليل بل يكفى اظهار غاية عجزها دليلا على عدم الهيتها لكن اظهارها صعب (تالله لأكيدن) أى لاحتالن فى ان افضح (أصنامكم) باظهار غاية عجزها لكنى عاجز عن هذا الاظهار لحضوركم فافعله (بعد أن تولوا) وجوهكم الى مكان العيد (مدبرين) عنها اذ لا يتأتى لكم الالتفات الى ما يفعل بها قاله لضعفاء قومه لينفروا الباقين (فجعلهم جذاذا) أى قطعا ليعلموا انها لا تحمى الى هذا الحد فهو عجزهم فى الدفع عن أنفسهم فتوقع عابدهم الدفع عن نفسه غاية السفه (الا كبيرا) يزعمون انه انفع (لهم) استثناه ليسوءهم انه رجا رجوعهم اليه (لعلهم اليه يرجعون) فيسألونه لم فعل بآلهتهم فاذا اظهر عجزه عن النطق فمن دونه اعجز منه فى ذلك فضلا عن الدفع الذى أظهر عجزهم فيه فرجعوا فأتوا بيت الاصنام فوجدوها جذاذا (قالوا من فعل هذا) الفعل الشنيع (بآلهتنا) وهو مع مهم اشد منه بعنا (انه لمن الظالمين) المستحقين لان يفعل به اشنع مما فعل (قالوا) أى الذين سمعوا مقالته لم يذكروها أولا لقلة مبالاتهم به (سمعنا فتى) لم يستكمل العقل (يذكرهم) لم يذكروا صريح مقالته تنزيها عنها ورعاية لجانب أصنامهم لاستراء عليه اذ أظهروا اسمه العلم بقولهم (يقال له ابراهيم) فبلغ ذلك نمرود واشراف قومه (قالوا فأتوا به) انتقش صورته (على اعين الناس لعلهم يشهدون) على عينه فلما اتوا به (قالوا أأنت) بنفسك (فعلت هذا) الفعل الشنيع (بآلهتنا) فنفعل بك اشنع منه (يا ابراهيم قال) مقتضى عبادتكم لها ان لا تعتقدوا واقدرتى عليها (بل) مقتضى اعتقادكم فيها أن تعتقدوا انه (فعله كبيرهم) من غضبه ان يعبد معه الصغار (هذا) فان ترددتم انه فعلى أو فعله (فاسئلوهم) يجيبوكم (ان كانوا ينطقون) والاظهر عجزهم عن النطق الدال على العجز الكلى المانع من القول بالهيتها (فرجعوا الى) نظر (أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون) باذلال الاعلى للادنى واعتقاد قدرة العاجز على القادر ولا ظلم من ابراهيم فى اظهار عجزها فاستقاموا وابا على مقام النظر (ثم نكسوا)

بكذا وكذا أى لا ينقاد (قوله عز وجل طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أى جعلا يلصقان ورق التين وهو يتهافت عنهما يقال طفق يفعل كذا وأقبل يفعل كذا بمعنى وجعل يفعل كذا يخصفان أى يلصقان الورق بعضه على بعض ومنه خصفت نعلى اذا طبقت عليها رقعة وأطبقت طاقا على طاق

أى قلبوا نظرهم كأنهم جعلوا اسافلهم (على رؤسهم) قائلين له والله (لقد علمت ماهؤلاء ينطقون) فأمرتنا بسؤال من لا ينطق وهو ظلم منك وقد ظلمت بكسر آلهتنا فانت الظالم أولا وآخرا (قال أ) تعلمون بعجزها عن النطق الدال على عجزها عن كل نفع وضرر بالفعل والقول (فتعبدون) بعد علمكم بكونهم (من دون الله مالا ينفعكم شيأ) من النفع الفعلى أو القولى (ولا يضركم) لان ذلك فرع القدرة على القول أو الفعل (اف) أى اتضجر قبحا (لكم) فى اذلال الاعلى للادنى لا للشئ (ولما تعبدون) من عادم أثر مع كونهم (من دون الله) والدون لا يستحق العبادة مع الاعلى (أ) ترون عبادة الاعلى المؤثر للادنى المتأثر (فلا تعقلون) فلما عجزوا عن مناظرته اخذوا فى مضاربته وكأنهم جعلوا قدرتهم قدرة الاصنام حتى (قالوا احرقوه) بالنار التى يعدنا الاحراق بها على عبادتها (وانصروا آلهتكم) بجعل آثار أعدائهم أكمل فى تفريق الاجزاء من أفعالهم بهم (ان كنتم فاعلين) به شيأ من السياسة فلا يليق به غيرها (قلنا) تعجيزا لهم ولاصنامهم وعناية لمن ارسلناه وتصديقا له فى انجاء من آمن به (يا نار كونى بردا) أى باردة على ابراهيم مع كونك محرقة للحطب (و) لا تنتهى فى البرد الى حيث يهلكه بل كونى (سلاما على ابراهيم واردوا به كيدا) بانه لو كان نبيا لم يحترق (فجعلناهم الاخسرين) بابطال كيدهم وجعله معجزة له واهلاكهم بادنى الاشياء وهو البعوض دخلت رؤسهم واكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت دماغ نمرود فاهلكته وهو المشار اليه بقوله (ونجيناه) أى من العذاب المبعوث عليهم (ولوطا) اذ هاجر معه من العراق (الى الارض التى باركنا فيها) وهى أرض الشام (للعالمين) لاهل الدين بكثرة الانبياء ولاهل الدنيا بكثرة الثمار نزل ابراهيم بفلسطين ولوط بسدوم وبينهما مسيرة يوم وليلة (و) كثرت بركة تلك الارض بابراهيم واولاده اذ (وهبنا له اسحق) بدعوته رب هب لى من الصالحين (ويعقوب نافلة) أى زيادة على دعائه ليحصل فى دعائه البركة (و) منشأ البركة فيهما الصلاح اذ (كلا جعلنا صالحين) كيف (و) كان صلاحهم متعديا اذ (جعلناهم ائمة) أى قدوة لا لاهل الضلال وان انتسبوا اليهم بل لاهل الهداية اذ كانوا (يهدون) لا بمجرد عقولهم بل (بأمرنا و) قد جمعنا فيهم وجوه الهداية على أكمل الوجوه اذ (أوحينا اليهم فعل الخيرات) مما يختص بالقلوب أو الجوارح (و) مما يعمهما أعنى (اقام الصلوة و) مما يخرج عنهما أعنى (ايتاء الزكوة وكانوا) فى جميع أفعالهم حتى الطبيعية كالاكل والنوم (لنا عابدين) اذا استعانوا بأكلهم ونومهم على عبادتنا فكانوا من أعظم اسباب البركة بارض الشام (و) لا يبعد جعل أولاد ابراهيم أئمة ولا وحى فعل الخيرات اليهم وقد جعل لوطا ابن اخيه هاران كذلك فان (لوطا آتيناه حكما) أى معرفة الاحكام الفقهية (وعلما) معرفة العقائد (و) جعلنا له كرامة من بركة تلك المعارف اذ (نجيناه من عذاب اهل (القرية التى كانت) أى أهلها (تعمل الخبائث) التعرى بين الناس واللواط والضراط ولم تؤثر فيهم بركته لاحاطة الاسواء بهم (انهم كانوا قوم سوء) لا ينسبون الى سواه لكونهم (فاسقين) أى خارجين عن الخيرات (و) هو انما تأثر ببركة ابراهيم لانا (أدخلناه

(قوله عز وجل طيف من الشيطان) أى لمم من الشيطان وطائف فاعل منه يقال طاف يطيف طيفا فهو طائف وينشد
* أنى ألم بك الخيال يطيف *
(قوله عز وجل طرفى النهار) يعنى اوله وآخره (قوله عز وجل طائره فى عنقه) قيل طائره ما عمل من خير وشر وقيل طائره حظه الذى قضاه الله له من الخير والشر

فى رحمتنا) لا بطريق التحكم بل لصلاحه (انه من الصالحين و) لا يبعد ان يتأثر لوط عن عمه فانه اقرب من الجد الاعلى وقد تأثر منه ابراهيم فان (نوحا) كان ذا بركة اذ كان مستجاب الدعوة (اذ نادى) بقوله رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات (من قبل) أى من قبل ابراهيم فتبرك به (فاستجبنا له) بطريق المعجزة لاستحالة النجاة عن مثله عادة بغرقنا ما (فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) وهو الطوفان العام (و) كان له معجزة أخرى اذ (نصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) وانما كان يضرهم الطوفان لكونهم غرقى طوفان السوء (انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمعين و) لا يبعد ان يتأثر الابعد بالابعد الا يتأثر به الاقرب وان كانا متناسبين فاذكر (داود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث) أى حرث قوم أكلته غنم قوم أخر (اذ نفشت) أى دخلت ليلا (فيه غنم القوم) الاخر فحما كما اليه فاعطى داود صاحب الحرث رقاب الغنم لان الدواب تضبط بالليل فاذا أتلفت ليلا ضمن صاحبها التقصيره فى ضبطها (وكنا لحكمهم) أى لحكم داود والمتحاكمين اليه (شاهدين) بالصحة وان خلا عن الرفق لكن رعايته أولى (ففهمناها) أى رعاية الرفق (سليمان) فانهما المتحاكمان اليه سألهما فاخبراه فقال غير هذا ارفق تدفع الغنم الى صاحب الحرث لينتفع بالبانها واولادها واشعارها والحرث الى صاحب الغنم ليقوم عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان وهذا وان كان صلحا فلا يخالف الحكم الشرعى لذلك قال تعالى (وكلا آتيناه حكما وعلما) وان كان حكم احدهما يخالف حكم الآخر وكذلك العلم تاثر بهما من بركة ابراهيم (و) قد اختص داود من بركته بانه (سخرنا مع داود الجبال) اذ جعلت تابعة له (يسبحن) ليكون له ثواب تسبيحهن (والطير) فتصرف فى الجمادات والحيوانات (و) لم يكن ذلك منه بنفسه بل (كنا فاعلين) فهذه هى البركة اللازمة (و) قد كانت له بركة متعدية اذ (علمناه صنعة لبوس لكم) أى دروع ملبوسة فكانت قبله صفائح فخلقها وسردها (لتحصنكم من بأسكم) أى لتحفظكم من جراحات قتالكم وكانت نعمة تفيد بقاء حياتكم مع تحقق سبب فنائها (فهل أنتم شاكرون) لهذه النعمة العظيمة من بركته (و) اختص سليمان من بركة ابراهيم بان سخرنا (لسليمان الريح) تحمل كرسيه (عاصفة) تفيد سرعة التسيير وان كانت لينة فى الاصابة وانما كانت مسخرة له لانها كانت (تجرى بامره) من غير انتقار الى جمع همة (الى الارض التى باركنا فيها) بقدومه (وكنا بكل شئ عالمين) فنعلم من الاولى بتحصيل البركة منه فهذه بركة متعدية (و) له بركة أخرى أيضا متعدية هى ان (من الشياطين من يغوصون له) فى البحر لاستخراج نفائسها لكمال خزائنه وتزيينا لقومه وهذا اصعب الاعمال عليهم لانهم أجسام نارية (ويعملون عملا دون ذلك) كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع (وكنا لهم حافظين) من ان يفسدوا بمقتضى طباعهم فقد تصرف فى الريح والبحر والشياطين النارية فهو تصرف فى أركان العالم (و) لا يبعد ان يتأثر سليمان بوسايط كثير التأثر لكونه من أولاد يعقوب وقد تأثر أيوب مع كونه من أولاده من ضعف تأثره وهو عيص بن اسحق فاذكر (أيوب) اذ صبر على الضر صبر ابراهيم على النار فلم يشكه الى غيره (اذ نادى) أى دعا

(ربه

هو لازم عنقه يقال لكل لازم الانسان قد لزم عنقه وهذا لك فى عنقى حتى يخرج منه وانما قيل للحظ من الخير والشر طائر لقول العرب جرى له الطائر بكذا وكذا من الخير والشر فهو طريق الفأل والطيرة فخاطبهم الله عز وجل بما يستعملون واعلمهم أن ذلك الامر الذى يجعلونه بالطائر هو يلزم اعناقهم ومثله

(ربه انى مسنى الضر) فانامحل الرحمة (وأنت أرحم الراحمين) وكان رجلا روميا نباه الله وكثر أهله وماله ثم ابتلاه باهلاك أهله بهدم بيته عليهم واذهاب أمواله وامراض بدنه ثمانى عشرة سنة أوثلاث عشرة أوسبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات فكان من بركاته استجابة الدعاء (فاستجبنا له) بطريق المعجزة (فكشفنامابه من ضر) لايمكن كشفه بدواء (وآتيناه أهله) باحيائهم (ومثلهم معهم) بايلادهم أعطيناه هذه البركات من أثر بركة ابراهيم مع ضعف الوسايط (رحمة من عندنا) عليه (وذكرى للعابدين) بانهم يستجلبون بركة عبادتهم وعبادة آبائهم وأولادهم وكان ابتلاء الاهل وتضعيفهم وراء دعوته رحمة عندية يتذكر بها العابدون رحمة الله عليهم وراء مقتضى عبادتهم (و) لايبعد أن يحصل هذا الاتوب مع ضعف الوسايط لتقويتها بالحواشي فاذكر (اسمعيل) العم الاعلى بل بأعلى الاصول (و) اذكر (ادريس و) بالفرع اذكر (ذاالكفل) بشر بن أيوب أو بأقرب الحواشي ان قلنا انه ابن عمه كيف وقد تأثر بدين بركتهم اذ (كل من الصابرين) اسمعيل على الذبح وادريس على ترك الطعام والشراب ست عشرة سنة حتى لحق بالملائكة وذوالكفل على الصوم وترك الغضب تكفل بذلك ليوشع حين شرط فى مستخلفه ذلك فأتاه ابليس فى صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقيلولة وكان لاينام من الليل والنهار سواها فدق الباب فقال من أنت فقال شيخ ضعيف مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بينى وبين قومى خصومة وانهم ظلمونى وفعلوا وفعلوا وجعل يطوّل حتى ذهبت القيلولة فقال اذا قعدت فأتنى فآخذ حقك فانطلق فلما قعد انتظره فلم يره فقام يبتغيه فلم يجده فلما كان الغد أخذ يقضى بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القيلولة وأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له فقال ألم أقل لك اذا قعدت فأتنى قال انهم أخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذاقمت جحدونى قال فانطلق فاذا جلست فأتنى وفاتته القيلولة فلما جلس انتظر فلم يره وشق عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض أهله لاتدع أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فانه قدشق على فلما كانت تلك الساعة جاء فلم يأذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة فى البيت فتسوّر منها فاذا هو فى البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يافلان ألم آمرك قال اما من قبلى فلم يأت فانظر من أين أتى فقام الى الباب فاذا هو مغلق واذا الرجل معه فى البيت فقال أتنام والخصوم ببابك فنظر اليه فعرفه فقال عدوالله قال نعم أعييتنى ففعلت مافعلت لاغضبك فعصمك الله فسمى ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به وقيل ذو النصيب العظيم كان له ضعف ثواب أنبياء زمانه (و) رحمة أيوب أيضا من بركة رحمتهم اذ (أدخلناهم فى رحمتنا) اذ جعلنا اسمعيل حاملا للسر المحمدى ورفعنا ادريس الى السماء وجعلنا الذى الكفل ذلك الاجر (انهم من الصالحين) بالولاية النبوية التى هى فوق النبوة وان كانت نبوته فوق ولاية من كان وليا مجردا (و) لايبعد ادخال المستقر على الصلاح فى الرحمة الخاصة وقد أدخل فيها من عمل خلاف مايقتضيه ثم وقع فيما يشبه المؤاخذة فيرجع الى صلاحه فاعيد فى الرحمة فاذكر (ذاالنون)

الانما طاعتهم عند الله (طغى) أى ترفع وعلا حتى جاوز أوكاد (قوله عزوجل بطريقتكم المثلى) أى بسنتكم ودينكم وماأنتم عليه والمثلى تأنيث الامثل (قوله عزوجل طهورا) أى ماء نظيفا يطهر من توضأ به واغتسل من جنابة (قوله عز وجل الطور) الجبل (قوله عز وجل طلعها هضيم) أى منظم قبل أن ينشق عنه

أي صاحب الحوت يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) على كشف العذاب عن قومه بعد ما أوعدهم فكره أن يكون بينهم بعد ما وقع له الخلف (فظن ان لن نقدر) أي ان لن نضيق الامر (عليه) فركب سفينة فسكنت الريح فقال التجارون ان ههنا عبدا آبقا فاقترعوا فخرجت القرعة باسمه فالقى نفسه في البحر فالتقمه الحوت (فنادى) أي دعا (في الظلمات) بطن الحوت والبحر والليل (أن) أي انه (لا اله الا أنت) فلا يقدر غيرك على تخليصي من بطن الحوت وقد تنزهت (سبحانك) من أن تظلم بادامة الحبس أو بالاتلاف بلا ذنب أو ما في معناه بل (اني كنت من الظالمين) بالخروج بغير اذنك اذ كان في معنى الذنب في حقه (فاستجبنا له) دعاءه ضمنا اعادة له في الرحمة (و) ذلك انا (نجيناه من الغم) أي غم الحبس في بطن الحوت وتلفه فيه فامرنا الحوت أن يقذفه بالساحل (وكذلك ننجي المؤمنين) من الخلود في جهنم بايمانهم (و) لا عجب في دفع الغموم العظيمة من أهل الصلاح وقد دفع عن زكريا أدنى الغموم فاذكر (زكريا اذ نادى ربه) ليزيده تربية فقال (رب) ربي عن بوانسي (لا تذرني فردا) أي لا تتركني وحيدا عمن يرثني نبوتي (و) ان لم يبق في ذريتي أبدا اذ (أنت خير الوارثين) تسترد ها فتعطيها من هو خير من ذريتي (فاستجبنا له) دفعا للغم مع اليأس من دفعه للكبر (ووهبنا له يحيى) النحيي به ذكره ونبوته وعلمه وصلاحه (و) كان فيه معجزة أخرى اذ (أصلحنا له زوجه) لئلا يحصل له عند امرأة لم تطل صحبتها معه فيسري نقصها اليه ثم أشار الى ان هذا التبرك انما حصل لهم بواسطة صلاحهم (انهم كانوا يسارعون في الخيرات) أي يبادرون في كل باب من الخير (و) انما تمت لهم تلك المبادرة لانهم كانوا (يدعوننا رغبا ورهبا) أي راجين فضلنا خائفين عدلنا (و) لم يكونوا بذلك معجبين بل (كانوا لنا خاشعين) أي متواضعين يرون القصور في أعمالهم وكيف لا نعطي المبادرين في الخيرات الداعين رغبا ورهبا الخاشعين هذه الفضائل من بركة أصولهم أو حواشيهم أو فروعهم (و) قد أعطينا (التي أحصنت فرجها) أي مريم الصابرة الحزوية تجزيناها على صبرها (فنفخنا فيها) شيأ عجيبا (من روحنا) أي المنسوب الى عظمتنا لكونه بلا واسطة الاب (و) كان لها خير مما يكون للمتزوجة اذ (جعلناها وابنها آية للعالمين) اذ جعلنا لها كرامات كالنطق في الصغر واتيان الرزق في غير أوانه مع سد الابواب وجعلناله ارهاصات ومعجزات كتثمير النخل اليابس واجراء العين والنطق في المهد والاحياء وابراء الاكمه والابرص والآية لكونها دليل الكمال تنفي نقيصة الزنا وولديته فان قيل كيف كانوا يسارعون في الخيرات راغبين راهبين خاشعين مع اختلافهم في الاعتقادات والاعمال قيل (ان هذه) الطوائف (أمتكم) أي أهل اعتقادكم في الاصل اذ كانوا (أمة واحدة) في الاصل كيف (وأنا ربكم) الذي رباكم بالامر بالاعتقادات (فاعبدون) بامتثال ذلك الامر ولا تعبدوا آراءكم الفاسدة فيها (و) لكن (تقطعوا) أي اقتسموا (أمرهم) في الاعتقادات لوقوع التنازع (بينهم) لكنه مرتفع لو رجعوا الى الدلائل النقلية والعقلية ولابد من الرجوع اليها اذ (كل الينا راجعون) فنسألهم عما أعطيناهم من تلك الدلائل وأسباب العمل فانه وان كان

فيه

القشر وكذلك طلع نضيد أي منضود أي نضد بعضه على بعض وانما يقال نضيد ما دام في كفراه فاذا انفتح فليس بنضيد ويقال له نضيد أي منضود بعضه الى جنب بعض (قوله طمسنا) أي محونا والمطموس الذي لا يكون بين جفنيه شق (قوله عز وجل طرف خفي) يقول لا يرفع عينيه انما ينظر ببعضها أي يغضون أبصارهم استكانة وذلا

فيه ناسخ ومنسوخ فلا ضرر فيه فانه (من يعمل من الصالحات) فى عصره وان كان ناسخا لما قبله أومنسوخا بما بعده (وهو مؤمن) يعترف بكل ما أمر به فى عصره وان خالف أمر عصر آخر (فلا كفران) أى لارد (لسعيه) الذى سعى به الى ربه وان كان مخالفا لما قبله أو بعده كيف (وانا له كاتبون) على أهل كل عصر فلا يمكنهم مخالفة ما كتبنا عليهم فى العمل (وحرام على قرية أهلكناها) بان أوقعنا فى قلوبهم تغيير الشرائع أورد الناسخ أو العمل بالمنسوخ بعد نسخه (انهم لا يرجعون) للجزاء لوفرض عدم رجوع غيرهم اذ لم يرجعوا الى الحق (حتى اذا) ظهرت اشراط الساعة وهو ما اذا (فتحت يأجوج ومأجوج) أى سدهما (وهم) أى الناس (من كل حدب) أى أرض مرتفعة فضلا عن المستوية (ينسلون) أى يسرعون الفرار تشخصت أبصارهم ودعوا الويل واعترفوا بالظلم (و) اذا (اقترب الوعد الحق) أى وعد الجزاء (فاذا هى) أى القصة (شاخصة) أى ذليلة بعد تفتحها استكبارا (أبصار الذين كفروا) يقولون (ياويلنا) تعال الينا من غفلتنا عن الدين الحق اعتقادا وعملا (قد كنا فى غفلة من هذا) الامر المرتب على فساد الاعتقاد والعمل (بل) نبهنا عليه ولكن (كنا ظالمين) بالتغافل والعناد واذا شخصت أبصار هؤلاء ودعوا الويل فكيف حال عبدة الاصنام وقد كان الواجب أن يفعلوا ذلك فى الدنيا اذ قيل لهم (انكم وما تعبدون من دون الله حصب) أى وقود (جهنم) وردوها الا انهم بل ليتألموا برؤيتهم اذ (انتم لها واردون) وليعلموا قطعا انها ليست آلهة اذ (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) لان الالهية تقتضى غاية العزة وهى مكان غاية المذلة (و) لاسيما (كل فيها خالدون) فلا تتبدل ذلتهم بعزة أبدا لكن ذلة عابدى الاصنام اشد اذ (لهم فيها زفير) أى تنفس شديد كنباح الكلب أو كنهيق الحمار (و) ليس على القلة بحيث لا يعبأ به بل من الكثرة بحيث (هم فيها لا يسمعون) كلاما يفهمونه غالبا ولما تلا عليه السلام هذه الآية نقضه عبد الله بن الزبعرى بعزير والمسيح والملائكة فقال تعالى انهم وان تحقق فيهم هذا السبب ولكن فيهم مانع هو سبق العناية الحسنى فى حقهم (ان الذين سبقت لهم منا) العناية (الحسنى أولئك) الكمل فى درجات القرب والعزة (عنها مبعدون) أى عن النار التى هى دار البعد والمذلة ويكون بعدهم بحيث (لا يسمعون حسيسها) أى صوتها المدرك بحاسة السمع (وهم) لو لم يبعدوا لم يحسوا به أيضا اذ هم (فيما اشتهت أنفسهم) من النعيم والكرامة (خالدون) لا يخلو لهم وقت يشتغلون فيه بسماع حسيسها وكيف يبالون له مع انهم (لا يحزنهم الفزع الاكبر) نقر الناقور أوذبح الموت كيف (وتتلقاهم) أى تستقبلهم (الملائكة) مبشرين لهم (هذا يومكم) المساعد لكم (الذى كنتم توعدون) فى الدنيا بقطع نعيمها طمعا فى نعيمه وانما تعين هذا اليوم لهذا الوعد لانه يوم انقطاع الاعمال لذلك كان (يوم نطوى السماء) التى تصعد اليها الاعمال فيكتب فيها فاذا انقطعت فيها طويت (كطى السجل) الذى هو تمام الكتابة (للكتب) فان السجل سبب هذا الطى فهو انقطاع الامر الدنيوى للانتقال الى الاخروى ويكون على حسبه لذلك (كما بدأنا أول خلق نعيده) فيعاد كل على هيئة الفطرة لو لم يغيرو هو وان لم يجب علينا

(قوله عزوجل طلع) أى والطلع أيضا شجر موز (طاغية) عظام كثير الشوك كالعاقبة طغيان مصدر والداهية وأشباههما من المصادر (قوله عزوجل طرائق قددا) يقول فرقا مختلفة الاهواء واحدها الطرائق طريقة وواحد القدد قدة وأصله فى الاديم يقال لكل ما قطع منه قدة

فهو في معنى الواجب اذ كان (وعدا علينا) وهو وان لم يجب على الله أيضا لكن لما امتنع الخلف فيه تعين فيه جانب الوفاء (انا كنا فاعلين و) قد ظهر من اشراط ذلك الوعد نبي آخر الزمان فانا (لقد كتبنا في الزبور) كتابة (من بعد) الكتابة في (الذكر) أي التوراة التي هي اشرف كتب السابقين (ان الارض يرثها) من الكفار (عبادى الصالحون) ليكون النهاية كالبداية اذ عمرت الارض أولا بآدم واولاده فيكون دليل كما بدأنا أول خلق نعيده وليس الصالحون الا أصحاب محمد (ان في هذا) أي في تحقق هذا الوعد (لبلاغا) أي كفاية في البعث الى العبادة (لقوم عابدين) لانه دليل صدق الوعد وقرب القيامة وكيف لا يكون أصحابك هم العباد الصالحون المنتشر دينهم في الارض (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) تنتشر دينه في أكثر الارض فان انكروا كونه صلاحا (قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد) ليس فيه ما يوهم الشرك بالولدية فاذا اسلم للكلام الموهم (فهل أنتم مسلمون) لما لا ايهام فيه (فان تولوا) أي أعرضوا عن التوحيد الصرف لميلهم الى القول بولدية عزير وعيسى (فقل آذنتكم) أي اعلمتكم مستعليا (على) طريق (سواء) لا يحتاج فيه الى تأويل (و) ان زعمتم ان استواء انما يعلم بما وعد عليه (ان أدرى) أي لا أعلم (أقريب أم بعيد ما توعدون) لكنه محقق الوقوع لاحاطة علم الله بكل ما يقتضي الجزاء من الامور الظاهرة التي أظهرها الاقوال الظاهرة والباطنة (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) فلا يعسر عليه المجازاة على كل واحد منها (و) ان زعمتم انه لو علم وقصد المجازاة لجازى في الحال فقل (ان أدرى لعله) أي تأخير الجزاء (فتنة) أي اختبار (لكم) هل تؤمنون به أم لا (و) لعله (متاع الى حين) لتزدادوا معصية بازدياد النعم فيزيدكم عذابا واذا لم يؤمنوا بهذا البيان (قل رب احكم بالحق) باظهار نتيجة الايمان والكفر في الدنيا من نصر المسلمين واظهار دينهم (و) لا تدع باهلاك الكفار وانجاء المؤمنين بل قل (ربنا الرحمن) الذي عمت رحمته المؤمن والكافر في الدنيا لكنه (المستعان على) رد (ما تصفون) من الشبه الباطلة فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

* (سورة الحج) *

سميت به لاشتمالها على أصل وجوبه والمقصود من أركانه وهو الطواف اذ الاحرام نية والوقوف بعرفات من استعداده والسعي من تتمته والحلق خروج عنه وذكر فيه منافعه وتعظيم شعائر الله وغير ذلك مما يشير الى فوائده واسراره (بسم الله) المتجلي بجمعيته في الانسان (الرحمن) بالامر بتقواه اذ أمر به الكل (الرحيم) بالتخويف من الساعة لانه انما افاد به الخاصة (يا أيها الناس) ناداهم طلبا لاقبالهم على اصغاء ما خوطبوا به واتى بالمبهم ليشير الى انهم ابهم عليهم ما تجلى فيهم من أسرار ربهم حتى نسوه ونبههم ليرفع نسيانهم مشعرا بما تجلى فيهم (اتقوا ربكم) أي احفظوا تربيته عليكم بصرف نعمه الى ما خلقها من أجله لئلا تقعوا في الكفران الموجب لانقلاب التربية عليكم بالانتقام منكم (ان زلزلة الساعة) أي شدة حركة العالم في أقل الازمنة

بالنسبة

(قوله عز وجل هما قدد) وجمعهما قدد (قوله عز وجل الطامة الكبرى) يعني يوم القيامة والطامة الداهية لانها تطم على كل شيء أي تعلوه وتغطيه (طبقا عن طبق) يعني حالا بعد حال (قوله عز ذكره الطارق) يعني النجم سمى بذلك لانه يطرق أي يطلع ليلا (قوله عز وجل طحاها) أي بسطها ووسعها (قوله عز وجل طغواها) أي طغيانها

بالنسبة الى الابد من ظهور شدة غضبه على من لم يحفظ تربيته بكفران نعمه (شئ عظيم) لا يعرف كنه عظمته على العالم كله حتى على من لم يذنب (يوم ترونها) أى تلك الزلزلة (تذهل) أى تدهش (كل) امرأة (مرضعة) وان فرض انها ليست من العالم المتزلزل (عما أرضعت) أى عن ولدها الذى القمته ثديها (وتضع كل ذات حمل) أى وان لم تلحقها تلك الزلزلة قبل مدة الوضع (حملها) أى جنينها (وترى الناس) حتى من لم يذنب (سكارى) زائلى العقول من رؤيتها قبل ان يلحقهم شئ من أهوالها (وما هم بسكارى) بل كاملو العقول لو لم يروا ذلك (ولكن) عقولهم زالت من خوف شدة العذاب على أنفسهم أو غيرهم لان (عذاب الله شديد) فى نفسه وان كان على البعض أشد منه على البعض الآخر وكيف لا يكون لله هذا الغضب والعذاب (ومن الناس) أى الذين نسوا الله وصفاته (من يجادل) الداعى الى الله بكمال العلم من الدلائل العقلية والكشفية (فى الله) وجوده ووحدانيته وصفاته (بغير علم) من دليل عقلى أو كشفى أو نقلى (و) لو وجد شيئا من ذلك أو من أهل العلم يتبعه بل (يتبع كل شيطان) يعاديه ويعادى ربه (مريد) أى غال فى الشر يريده لاحبابه لانه (كتب) أى قضى (عليه أنه من تولاه) أى أحبه فاختار اتباعه (فانه يضله) عن كل خير (ويهديه) الى أعظم وجوه الشر كانه هداه (الى عذاب السعير) ليشاركه فيه ولا ينفرد بنعيم الجنة وقرب رب العالمين ورضوانه فكيف لا يغضب الله على مثله غضبا يزلزل العالم ويذهل المرضعات ويوضع الحوامل وكيف لا يشتد عذابه بحيث يسكر الناس فان زعموا ان الزلزلة والعذاب انما يصدقان لو تحقق البعث لكنه مشكوك فيه قيل (يا أيها الناس) اى الذين نسوا حكمة الله وعموم قدرته ودلائل بعثه (ان كنتم فى ريب من البعث فانا) قد أريناكم ما يدل على عظيم حكمتنا وعموم قدرتنا ودلائل بعثنا اذ (خلقناكم) أى خلقنا أول آبائكم أو أول موادكم وهو المنى (من تراب) اذ خلق من أغذية متولدة منه وغاية أمر البعث انه خلق من التراب (ثم من نطفة) تولدت من الاغذية الترابية ويستنزل ماء ثخين من تحت العرش (ثم من علقة) قطعة من الدم جامدة ويمكنه جعل ذلك الماء دما جامدا (ثم من مضغة) قطعة من اللحم بقدر ما يمضغ ويمكنه جعل ذلك الدم فى القبر لحما (مخلقة) أى مسواة لا نقص فيها ولا عيب (وغير مخلقة لنبين لكم) ان الانسان قد يكون سوى الفطرة كاملا للاوصاف الحسنة وقد لا يكون كذلك (و) لا ينافى ذلك بقاءه فى القبر من غير ان يحصل فيه شئ من الانقلابات لانا (نقر) الولد (فى الارحام) بعد كماله (ما نشاء) فكيف يبعد تقريرا تراب فى القبر (الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا) وهو يشبه بعث الناس سكارى (ثم) نميكم (لتبلغوا أشدكم) أى كمال قوتكم وعقلكم وهذا حال الخلق فى الحساب والميزان (ومنكم من يتوفى) وهو كمن يوفى الثواب أو العقاب بلا حساب وميزان (ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) وهو حال من يناقش فى الحساب فيتحير (و) اذ زعموا ان هذه الانقلابات انما تكون فى بطن المرأة دون القبر قيل لهم (ترى الارض هامدة)

(باب الطاء المضمومة)
(قوله عز وجل طغيانهم يعمهون) يقول فى غيهم وكفرهم يحارون ويترددون ويعمهون فى اللغة يركبون رؤسهم متحيرين حائرين عن الطريق يقال منه رجل عمه وعامه أى متحير وحائر عن الطريق (طور) أى جبل (قوله جل وعز ختم على قلوبهم) أى طبع على قلوبهم (قوله جل وعز

أي يابسة كالرماد وهو دليل بقاء الميت مدة (فإذا أنزلنا عليها الماء) وهو يشبه وقت القيامة (اهتزت) أي تحركت بالنبات وهو دليل الاحياء (وربت) أي انتفخت كالحامل وهو دليل جعل الجماد حيوانا (وأنبتت من كل زوج) أي صنف (بهيج) اى رائق كما ان المرأة تلد من كل جميل وهو دليل البعث وليس ذلك على سبيل العبث بل (ذلك) للاستدلال (بأن الله هو الحق) أي المراعي للحكمة وقد راعى الحكمة في هذه الامور كلها (وأنه يحيي الموتى) لان الاحياء نوع من التقليب وقد فعل هذه التقليبات كلها (وأنه على كل شئ قدير) لانه يقدر على كل ما ذكر من الاشياء المختلفة (وان الساعة آتية) اذ جعل لكل شئ وقتا معينا وهي أهم الاشياء فهي (لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) كما أخرج المذكورات بعضها من بعض فهذه جهة عامة بينها للعوام وما ذكرنا جهة خاصة اطلع عليها الخاصة والسر في هذا الترتيب هو ان كمال الافعال برعاية الحكمة فيها وأجلها في حق الله الظهور بالكمالات ولا يتم الا بايجاد الاحياء المطلعين على كمال قدرة الله وهي انما تظهر بالساعة فلا بد منها والساعة وان أمكن كونها بالحشر الروحاني فلا يتم الا بالجسماني (ومن الناس) بعد اقامة الدلائل المذكورة (من يجادل في الله) حكمته وقدرته وبعثه وجوازه أيضا الا بطريق من طرق الجدل من معارضة أو نقض أو مناقضة أو غيرها بل (بغير علم) عقلي (ولا هدى) كشفي (ولا) دليل نقلي من (كتاب منير) للروح والقلب وسائر الاعضاء والعالم بل لكونه (ثاني عطفه) أي مولي جنبه وعنقه تكبرا ولم يرد بذلك استزادة الدليل أو طلب دليل أوضح بل (ليضل عن سبيل الله) غيره كما ضل بنفسه فهو كقاطع الطريق (له في الدنيا خزي) باللعن والقتل والاسر (ونذيقه يوم القيامة) يوم ظهور كمال غضبنا (عذاب الحريق) أي النار ويقال له ضما للعذاب العقلي في حقه الى الحسي (ذلك بما قدمت يداك) أي بسبب ما اقترفته كاشتباك الباطنة من الكفر والمعاصي القلبية والظاهرة من المعاصي القالبية (و) لم يمحها بتوبة ولا حسنة بل قدمته الى الآخرة بمقدار ما قدمته لما تقرر من (ان الله ليس بظلام للعبيد ومن الناس من) لا يجادل ظاهرا ولكنه ينكر اليوم الآخر ويرى الجزاء هو الدنيوي أو يجعل الاخروي تبعا للدنيوي فهو (يعبد الله على حرف) أي طرف كالذي على طرف من الجيش ان رأى ظفرا قر والا فر (فان أصابه خير) أي صحة في جسمه وسعة في ماله (اطمأن) أي سكن اليه ورضي (به وان أصابته فتنة) أي بلاء في الجسم أو المال (انقلب على وجهه) أي رجع الى ما كان عليه من الكفر وهو بهذا الرجوع (خسر الدنيا) بذهاب عصمته وكرامته (والآخرة) بفوات نجاته عن الخلود في النار وهو وان ظن انه أخذ ما هو خير له وربح لكنه (ذلك هو الخسران المبين) الذي لا يخفى على ذي بصيرة كيف وهو (يدعوا من دون الله ما لا يضره) لو عصاه (وما لا ينفعه) اذا عبده (ذلك) أي الرجوع اليه عند الابتلاء المفيد للاجر الاخروي (هو الضلال البعيد) عن الرشد فهو خسران أمر العقل الموجب خسران الدارين فان زعم ان في عبادته نفعا أخرويا قيل له (يدعوا لمن

طوفان) أي سيل عظيم والطوفان الموت الذريع أي الكثير وطوفان الليل شدة سواده (طوبى لهم) طوبى عند النحويين فعلى من الطيب ومعنى طوبى لهم أي طيب العيش لهم وقيل طوبى الخير وأقصى الامنية وقيل طوبى اسم الجنة بالهندية وقيل طوبى شجرة في الجنة (طمست) أي ذهب ضوءها كما يطمس الاثر حتى يذهب

ضره) في المستقبل (أقرب) في العقل (من نفعه) لان الاقرب انه يعاتب أو يعاقب على اتخاذه شريكا و يبعد أن يكون المتخذ شريكا لله شفيعا عنده (لبئس المولى) أى الناصر له عند الله مع عداوته (ولبئس العشير) أى الصاحب له فان صحبة العدو تضره عند عدوه فضلا عن اتخاذه معبودا بل أجل الوسائل الى الله الايمان به والاعمال الصالحة (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات) جزاء على أعمالهم (تجرى من تحتها الانهار) جزاء على معارفهم ولا يمكن الاصنام ان يمنعوه من ذلك (ان الله يفعل ما يريد) ومما أراد الله نصر رسوله الموجب للمرتدين خسران الدارين والضلال البعيد للكافرين ووسيلة الايمان والاعمال الصالحة للمؤمنين (من كان يظن أن) أى انه لو حصلت عداوته عن نصر الرسول (لن ينصره الله في الدنيا والآخرة) فما غاية ما ارضى يغلب الامر السماوى ما لم يصل الى السماء (فليمدد بسبب) أى بحبل من الارض (الى السماء ثم ليقطع) متمسكه مسافة ما بينهما حتى يبلغ عنانه (فلينظر) أى فليجتهد في نظره حتى يتحقق (هل يذهبن كيده) أى هل يدفعن حيلته (ما يغيظ) من نصر الله اياه (و) كما أنزلنا نصره في الدنيا حتى ألجأ المرتد الى الايمان به أولا (كذلك أنزلناه) أى نصره في الآخرة حال كونه (آيات بينات و) لا يخل بكونها آيات بينات انكار المنكر لما تقرر من انها لا تهدى بانفسها بل (ان الله يهدى من يريد) فان زعموا ان الهداية ربما تكون في غير من يقر بأنها آيات بينات اذ كل فرقة تدعى اختصاصها بالهداية قيل لهم (ان الذين آمنوا) فزعموا انهم أهدى الفرق لذلك اختصوا بمعرفة كونها آيات بينات (والذين هادوا) فزعموا انهم اتفق على كونهم أهل الهداية أولا ثم ان من الناس من زعم انها نسخت هدايتهم ولكن لا نسخ (والصابئين) الزاعمين انهم المطلعون على الارواح المؤثرة في العالم (والنصارى) الزاعمين انهم التابعون من لحق من البشر بالارواح المؤثرة في الاحياء والابراء (والمجوس) الزاعمين انهم المميزون بين فاعل الخير والشر (والذين أشركوا) فزعموا انهم المختصون بالاطلاع على فعل كل شئ (ان الله يفصل بينهم) تمييز المحق من المبطل سيما عند كثرته (يوم القيامة) الكاشف عن السرائر فيكشف عن الشبهات ولا يحتاج الله سبحانه وتعالى الى كشفها (ان الله على كل شئ شهيد) فلا يبعد ان يظهرها في كتابه و يشهد عليها بعض خواصه المطلعين على اعجازه وهو نصرة في الآخرة ونوع من النصر في الدنيا بحسب سائر وجوهه فان زعموا ان الكل متفقون على عبادته فلا حاجة الى هذا الفصل قيل لهم العبادات مختلفة في استيجاب الثواب والعقاب والخلو عنهما (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض) أى عقلاؤهما فمن وافق عبادته أمر الله من كل وجه استحق الثواب والا استحق العقاب أو العتاب (و) في السماء من لا يستحق على عبادته شيأ وهو (الشمس والقمر والنجوم) فان لها سجودا هو الغروب (و) ان سلم ان لها أجرا وهو الاستفاضة من الملا الاعلى بمناسبة استخراج ما بالقوة الى الفعل من أوضاعها في الارض ما ليس له ذلك فانه يسجد له (الجبال) فان لها وجوها راسخة

(باب الطاء المكسورة)
(طوى وطوى) يقرآن جميعا ومن جعله اسم أرض لم يصرفه ومن جعله اسم الوادى صرفه لانه مذكر ومن جعله مصدرا كقولك ناديته طوى وثنى أى مرتين صرفه أيضا (طبتم فادخلوها خالدين) أى طبتم للجنة لان الذنوب والمعاصى مخابث في الناس فاذا أراد الله ان يدخلهم الجنة غفر لهم تلك الذنوب ففارقهم

فى الارض بم اتحفظهامن ان تميد (والشجر) فان وجوهها فى الارض منه اتشرب (والدواب) فانها راكعة والراكع فى معنى الساجد (و) يسجد له من فى الارض (كثير من الناس و) لكن لا يستحق جميعهم الثواب اذ (كثير حق عليه العذاب) لتقصيرهم فى امتثال الاوامر أو لاحباط أعمالهم فان السجود وان كان مفيد القرب من الله وهو كرامة (و) لكن (من يهن الله) بارادة تعذيبه (فماله من مكرم) كيف والعبادة لا توجب على الله شيأ بل (ان الله يفعل ما يشاء) وكيف يترك الفصل بين هؤلاء الفرق وهم خصوم فكل فريق من الكفار مع فريق المؤمنين يقال فيهما (هذان خصمان) وليسا مما يجوز الاعراض عنهما اذ هؤلاء الفرق (اختصموا فى ربهم) ذاته أو صفاته لا فى أمر خارج عن الحاكم فان لم يفصل بين كل فريقين فلا بد وان يفصل بين الكافرين والمؤمنين (فالذين كفروا) لا يكفى فى فصلهم العتاب لانهم لما تاولوا فى ذاته وصفاته مالا يليق به (قطعت) أى قدرت (لهم ثياب من نار) تحيط بهم لتعرضهم لذات من أحاط بهم أو صفاته (يصب من فوق رؤسهم الحميم) أى الماء الحار جزاء على صبهم الشبهات (يصهر به) أى يذاب به كما أذابوا العقائد الصحيحة (ما فى بطونهم) من الشحوم والاحشاء فيؤثر فى باطنهم من افراط حرارته (و) يذاب (الجلود) لان شبهاتهم أثرت فى المساعى الباطنة والاعمال الظاهرة (و) لا يكتفى بذلك فى حقهم بل (لهم مقامع) أى سياط يضربون بها لا من الجلد بل (من حديد) لشدة ضربهم الادلة القطعية عنادا ولا يكون حال الخفة عليهم بل (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم) من شدة النار بحيث تكاد ترميهم الى الخارج (أعيدوا فيها) بتلك المقامع كما كانت عادتهم انه كلما ذكرلهم دليل أورد واعليه شبهة توقع الضعفاء فى الغم (و) قيل لهم (ذوقوا) بضربها (عذاب الحريق) فوق ذوقه بدون الضرب فان زعموا ان الله تعالى انما رد هؤلاء الفرق مع اعترافهم به وعباداتهم له لقصور معارفهم وعباداتهم والمؤمنون كذلك يقال لهم (ان الله) بفضله (يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وان لم تخل معارفهم وأعمالهم عن قصور (جنات تجرى من تحتها الانهار) كما يدخلها اياهم لو كملت ومن مزيد فضله بهم انهم (يحلون فيها من أساور) ويزاد فى كمالها بجعلها (من ذهب و) لا يقتصر عليه بل بجعلها مرصعة باعلى الجواهر (لؤلؤا و) كما يتفضل عليهم بهذا الحلى يتفضل عليهم باللباس بل يكون ذلك التفضل أتم اذ (لباسهم) دائما (فيها حرير و) يكمل لهم معارفهم بطريق النظر والكشف اذ (هدوا الى الطيب من القول) وهو المقدمات اليقينية (وهدوا الى) طريق الكشف الموصل الى (صراط الحميد) فيكمل معارفهم فيزاد فى التفضل عليهم فان زعموا ان الله تعالى ان قبل المعارف والاعمال القاصرة من المؤمنين فما له لا يقبلهما من الكافرين قيل لهم (ان الذين كفروا) بالذى يقبل المعارف والاعمال ويتفضل بالجزاء عليهما (و) لا يقتصرون على الضلال اللازم بل يتعدى منهم اذ (يصدون عن سبيل الله) فى باب المعارف والاعمال (و) عن أجل أماكن تحصيلها (المسجد الحرام الذى) يجتمع فيه

الخبائث والارجاس من الاعمال فطابوا للجنة ومن هذا قيل العرب طاب لى هذا أى فارقته المكاره وطاب له العيش أى فارقته المكاره

(باب الظاء المفتوحة)

(قوله عز وجل ظلت عليه عاكفا) يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا (قوله جل وعز ظلت أعناقهم) جماعاتهم

أهل العلم وأهل العمل يتعلم فيه بعضهم من بعض اذ (جعلناه للناس) يذكرهم ما نسوا مما
فى فطرتهم أهل بلادهم وغيرهم لانه (سواء العاكف فيه) أى المقيم (والباد) والاجتماع
فيه انما هو لاستفادة العلم والعمل أو افادتهما فالصد عنه أعظم وجوه الظلم الموجب أشد
العذاب كيف (ومن يرد) وان لم يعمل به (فيه بالحاد) أى بميل لا لخطأ بل (بظلم نذقه)
شيأ (من عذاب أليم) فكيف لا نذيقه الصاد عنه (و) من الظلم العظيم فيه الشرك اذ ذكر
(اذ بوأنا) أى عينا (لابراهيم مكان البيت) الذى بناه آدم فانطمس فى عهد نوح فأرسل الله
ريحا كنست ما حوله شارطين (أن لا تشرك بى شيأ) فمن أشرك فقد خالف الشرط الذى
وضع عليه البيت فكأنه هدم البيت وأى ظلم أعظم من ذلك (و) كيف لا يشترط ذلك والشرك
نجاسة معنوية وهى أشد من الحسية وقد أمره الله بتطهيره عنها اذ قال (طهر بيتى) لانه
لما أضيف الى فلا بد وان يناسبنى (للطائفين) فانه لما اشترط الطهارة فى أبدانهم ليناسبوا
ربهم اشترطت فى محل طوافهم (و) المصلين (القائمين) بين يدى الله تعالى فى الصلاة لابد
من مناسبتهم له (والركع السجود) له بالتذلل ولا يتم الا بالتطهر عما سواه والطهارة الظاهرة
معينة فى ذلك كيف (و) يجتمع فيه الطائفون والمصلون من أطراف العالم لذلك سوى فيه
بين العاكف والباد اذ قيل (وأذن) أى أعلم اعلاما عاما (فى الناس بالحج) أى بوجوبه
عليهم بعدت مسافتهم أو قربت (يأتوك رجالا) أى مشاة ان قربت المسافة (و) ان بعدت
يأتوك ركبانا (على كل ضامر) أى مهزول لانهن (يأتين من كل فج عميق) أى طريق بعيد
فيستوى فيه العاكف والباد (ليشهدوا منافع لهم) أى مواضع انتفاعهم بالعلوم
والعبادة افادة واستفادة (و) من أعظم المنافع ان (يذكروا اسم الله فى أيام معلومات)
أيام النحر (على) ذبح (ما رزقهم) أى ملكهم (من بهيمة الانعام) ليجعلوها هدايا
أو ضحايا فيفدى بها انفوسهم فاذا ذبحتموه لله فأنتم وغيركم فيه سواء ان كان تطوعا (فكلوا
منها واطعموا البائس) الذى أصابته شدة (الفقير) ليعلم من ذلك ان من فنيت نفسه
فاستنارت بنور ربها انتفع بها هو وسائر المحتاجين الى الهداية (ثم) أى بعد الذبح (ليقضوا
تفثهم) أى وسخهم من الاحرام بالحلق والقص والنتف والاستحداد وهكذا بعد فناء
النفس تنفى أخلاقها الرديئة (وليوفوا نذورهم) أى وليتموا مواجب الحج وهكذا لابد من
تحصيل الاخلاق الحميدة (و) ذلك بالتطواف حول الجناب الالهى لذلك قيل (ليطوفوا)
طواف الركن (بالبيت العتيق) الذى أعتقه الله من تسليط الجبابرة ليعتقه من جبابرة
الاخلاق الرديئة (ذلك) المذكور وان كان لكل محرم (و) لكن (من يعظم حرمات الله)
أى ما حرمه الله فى الاحرام او بالبلد الحرام (فهو خير له) من أن يهتك حرمة منها فيعطى
جزاءها فينال الثواب ذلك الجزاء والانتهاك وان كان خيرا عند نفسه فالتعظيم خير (عند ربه
و) أشد وجوه الانتهاك تحريم ما أحل الله (أحلت لكم الانعام) حال الاحرام وفى
البلد الحرام (الا ما يتلى عليكم) تحريمها بدون الاحرام فيستمر مع الاحرام ولكن تحريم

ورؤساؤهم كما تقول أتانى
عنق من الناس أى جماعة
ويقال ظلت أعناقهم
أضاف الاعناق اليهم يريد
الرقاب ثم جعل الخبر عنهم
لان خضوعهم بخضوع
الاعناق (قوله ظهيرا) أى
عونا (قوله عز وجل ظنين)
أى متهم

* (باب الظاء المضمومة) *

(قوله عز وجل ظلم) أى
وضع الشىء فى غير موضعه
ومنه قولهم من أشبه أباه

ما أحل الله كفر (فاجتنبوا) فى حلال الاحرام والبلد الحرام وغيرهما اتخاذ بحيرة وسائبة فانه يشبه (الرجس من) عبادة (الاوثان) لان فيه اعتقاد تشريك المحرم (و) لو لم يعتقد فيه التشريك فلا أقل من قول الزور على الله (اجتنبوا قول الزور) على الآحاد فضلا على الله تعالى لتصيروا (حنفاء لله) أى مائلين عما سواه اليه (غير مشركين به) من سواه بتحريم ما أحل (و) ليس هذا من الشرك الخفى بل من الشرك الجلى الذى يقال فيه (من يشرك بالله فكأنما خر) أى سقط (من السماء) لان التوحيد أعلى من السماء والشرك أسفل من الارض (فتخطفه الطير) فهنا طير الشيطان خاطفه ليتلفه بالكلية (أو تهوى به الريح) وههنا تهوى به ريح الاهوية فتلقيه (فى مكان سحيق) أى بعيد عن مكانه الذى يريده (ذلك) أى تعظيم حرمات الله من حق الاحرام (ومن يعظم شعائر الله) أى الهدايا التى ينزل ذبحها لكونها من مكارم أموالهم منزلة ذبح النفس فهو أعظم من تعظيم الحرمات فان تعظيمها من تعظيم الاحرام الذى يشبه الاعمال الظاهرة وأما تعظيم الشعائر (فانها من تقوى القلوب) فهو وان كان من ظواهر الاعمال يشبه البواطن وليس من تعظيمها ترك الانتفاع بها بل (لكم فيها منافع) درها ونسلها وصوفها وظهرها (الى أجل مسمى) وقت نحرها (ثم محلها) أى حلول أجلها ووصولها (الى) جوار (البيت العتيق) وذلك ليدل على ان صاحب النفس قبل فنائها ينتفع بها فى العبادات وبعد الفناء لا ينتفع بها بل بربها فلا يفعل بنفسه شيأ مالم يعد الى حال البقاء لكنه حينئذ يعتق عن رقها (و) ليس تعيين مكان الذبح من بدع هذه الامة اذ (لكل أمة جعلنا منسكا) أى مكان ذبح (ليذكروا) مجتمعين فيه (اسم الله) المفيد للتزكية (على ما رزقهم) أى ملكهم فتعلق به قلوبهم تعلقها بنفوسهم مع كونها (من بهيمة الانعام) فهى تشبه النفس الامارة فذبحها يتنزل منزلة فناء النفس الامارة وذكر اسم الله عليها منزلة بقاء النفس بربها فاذا وصلتم الى مكان البقاء (فالهكم اله واحد) ليس كل منها الها مستقلا بل عباد قائمون به (فله أسلموا) وبهذا الاسلام يحصل طمأنينة النفس لذلك قال (وبشر المخبتين) أى المطمئنين بالله ومع ذلك لا يبلغون درجة الامن بل هم (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) لتأثرهم عنه مزيد تأثر (و) يؤثر فيهم كل شئ لكن لا يبالون به لكونهم (الصابرين على ما أصابهم و) لكمال صبرهم على العبادة لكمال عبوديتهم كانوا (المقيمى الصلوة و) لكمال صبرهم على المشتهيات مع خروجهم عن عبودية ما سواه قطعوا محبة المال حتى انهم (مما رزقناهم ينفقون) فى سبيل الله (و) أولى وجوهه فى هذه الايام ذبح الاضحية سيما البدن اذ (البدن جعلناها لكم من شعائر الله) أى اعلام دينه اقيامها مقام ذبح النفس سيما العظم قيمتها (لكم فيها) أى فى ذبحها أضحية (خير) من المنافع الدنيوية لانها تقوية للامارة وهذه للمطمئنة بذكر اسم الله (فاذكروا اسم الله عليها) أى فقولوا عند ذبحها الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر اللهم منك واليك تطعنون فى لباتها (صواف) أى قائمات صففن أيديهن وأرجلهن للاستشعار بان هذا الفناء انما يعتبر

فاظلم أى فاوضع الشئ فى غير موضعه (قوله عز وجل ظلل من الغمام) جمع ظلة وهو ما غطى وستر (قوله جل وعز فاخذهم عذاب يوم الظلة) قيل انهم لما كذبوا شعيبا أصابهم غم وحر شديد ورفعت لهم سحابة فخرجوا يستظلون بها فسالت عليهم فاهلكتهم (وقوله تعالى ظلمات ثلاث) قيل ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة البطن (وقوله

لو كان مع الاستقامة لامع الاخلال بالشرائع (فاذا وجبت) أى سقطت (جنوبها) على الارض (فكلوا منها واطعموا القانع) أى الراضى بما عنده (والمعتر) أى المعترض بالسؤال وذلك للاشعار بان النفس اذا سقطت امارية انتفع بها صاحبها والمهتدون وغيرهم لانتشار نورها فى العالم وذلك لانها اذا تسخرت فى الفناء تسخرت للارواح والقلوب فى سائر الامور وكان البدن تسخرت للذبح (كذلك سخرناها لكم) لسائر الاعمال (لعلكم تشكرون) نعمة تسخيرها وتسخير أنفسكم لكم بعدا ماريتها ثم أشار الى ان هذه الفوائد لا تحصل من الذبح ولا من التصدق بل من التقوى فقال (لن ينال الله) أى قربه رالبقاء به (لحومها) المصدقة (ولادماؤها) المهراقة (ولكن يناله التقوى منكم) فانها تؤدى الى ان ينفى دعوى الوجود لانفسها أو محبة ماسواه وذلك بتسخير أنفسكم لله بالقياس على تسخيرها لكم اذ (كذلك سخرها لكم) لتسخروا لله تسخرها لكم وانما طلب منكم هذا التسخر (لتكبروا الله على ما هداكم) من رؤية كل شئ مسخرا له (وبشر المحسنين) الذين يرون تسخر كل شئ له بل لا يرون ماسواه فى كل ما يرونه وانما جعل الله ذبح الاضاحى منزلة ذبح النفس للدفع عنها (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) لذلك لا ينبغى لمن يسافر للحج أو الغزو او لطلب العلم أو الرشد ان يبالى بمن يخون فى أهله أو ماله بل ينبغى ان يتوكل على الله فى دفعه لانه محبوب الله وحق المحب ان يدفع عن محبوبه عدوه والخائن عدوه (ان الله لا يحب كل خوان) يبالغ فى الخيانة حتى انه يخون أحباء الله كيف وهو متصف بوصف (كفور) لانه يصرف نعم الله فى ايذاء أحبابه فان زعموا ان الله تعالى لو دفع عن المؤمنين لدفع عن المقاتلين قيل (أذن) أى أعلم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم (للذين يقاتلون بانهم) أولى بالدفع عنهم لانهم تحقق كونهم (ظلموا) الاولون ربما لم يتحقق الظلم عليهم (ان الله على نصرهم لقدير) فحقه ان لا يترك مقدوره سيما وقد ظلموا من أجله لانهم (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) أى بغير سبب موجب حقية (الا أن يقولوا ربنا الله) فانه لو صح موجبا لكان اخراجهم بحق (و) كيف لا ينصرهم وقد اقتضت الحكمة نصرهم فانه (لولا دفع الله الناس بعضهم) أى الكافرين (ببعض) أى المؤمنين (لهدمت) أى خربت باستيلاء الكافرين (صوامع) للرهبان (وبيع) للنصارى (وصلوات) أى كنائس لليهود (ومساجد) للمسلمين وكيف لا يدفع عنها وهى مبنية لاجله اذ (يذكر فيها اسم الله كثيرا) فاقتضت الحكمة ان تكون محل عنايته (و) كيف لا ينصرهم وقد أقسم (لينصرن الله) من المؤمنين (من ينصره) أى دينه بالغيب أى مع غيب جزائه فلو لم ينصره ربما لم يبالوا بالجزاء كيف ولا مانع له (ان الله لقوى) على نصره لانه (عزيز) لا يمانعه شئ ولذلك سلط المؤمنين على صناديد العرب والاكاسرة والقياصرة وكيف لا ينصرهم مع انهم (الذين ان مكناهم) التصرف (فى الارض أقاموا الصلوة) الشاغلة للقلوب والالسن والجوارح بذكر الله والتذلل له (وآتوا الزكوة) المطهرة عن محبة الغير (وأمروا بالمعروف) الذى

تعالى من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) فالظلل التى من فوقهم لهم والتى من تحتهم لغيرهم لان الظلل انما تكون من فوق

(باب الظاء المكسورة)

(قوله عزوجل ظلالهم بالغدو والآصال) جمع ظل وجاء فى التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله تبارك اسمه وظا...

برضاه الله لانه المرغب فيه (ونهوا عن المنكر) الذي يكرهه الله لانه الحاجب عنه (و) لولم يفعل هذا أولا فلا بدّ وان يكون هذا هو المنتهى اذ (لله عاقبة الامور) فلا بدّ وان يرجح آخرا من رجح جانبه أولا (وان يكذبوك) في ان الله ينصر المؤمنين البتة ولو آخر الامر فهذه سنته في مكذبي الامم الماضية والمقاتلة أولى (فقد كذبت قبلهم قوم نوح) فنصر عليهم باغراقهم (وعاد) نصر عليهم هود باهلاكهم بالريح العقيم (وثمود) نصر عليهم صالح باهلاكهم بالصيحة ولم يقل قوم هود وقوم صالح لان العلم الخاص أتم احضارا في الذهن (وقوم ابراهيم) نصر عليهم باهلاكهم بالبعوض وبابطال كيدهم بجعل نارهم بردا وسلاما عليه (وقوم لوط) نصر عليهم بجعل قريتهم عاليها سافلها وامطار حجارة من سجيل عليهم (وأصحاب مدين) نصر عليهم شعيب باهلاكهم بالصيحة ولم يقل قوم شعيب لان له قوما آخرهم أصحاب الايكة لكن هؤلاء أشهر فذكروا في محل النزاع (وكذب موسى) كذبه فرعون وقومه فاغرقوا وقارون وقومه فخسف بهم ولم يقل قوم موسى لانهم بنو اسرائيل ولم يكذبه أكثرهم (فأمليت) أي أمهلت (للكافرين) ليتفكروا في أمرهم ويزدادوا عذابا لو أصروا على كفرهم لكن هذا الاملاء يشبه النصر لهم أولا (ثم) اذا تحققت الحجة عليهم وطال اصرارهم على الكفر والمعاصي (أخذتهم) أخذا شديدا (فكيف كان نكير) أي انكاري عليهم فهل كان نصرا لانبيائهم أم لا وان زعموا ان ذلك لايدل على منتهى أمر المؤمنين النصر البتة لجواز ان يعود الامر المنصور عليهم من الكفرة قبلهم (فكأين) أي وكم (من قرية أهلكناها وهي ظالمة) أي أهلها (فهي خاوية) أي ساقطة (على عروشها) أي سقوفها اسقطت أولا ثم سقط عليها الجدران وبقي كذلك الى يومنا هذا ولو انتصروا بعد لم يبق كذلك (و) ان زعموا انه يكفي من نصرهم انه بقي لهم ذرية بعدهم قيل لو كان من (بئر معطلة) أي متروكة لايستقى منها الهلاك أهلها بالكلية (وقصر مشيد) أي مجصص خلا عن الساكن قيل من جملة ذلك بئر بسفح جبل حضرموت وقصر بقلته لبعض من قوم حنظلة بن صفوان عليه السلام لما قتلوه أهلكهم الله وعطلهما (أ) ينكرون ذلك لعدم رؤيتهما (فلم يسيروا في الارض) ليروا تلك القرى والآبار والقصور (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) انها انما أهلكت لظلم أهلها (أو آذان يسمعون بها) ان اهلاكهم كان لظلمهم فانهم اذ لم يؤمنوا بما تواتر من أخبارهم يتحقق لهم ذلك بالابصار (فانها) أي القصة (لاتعمى الابصار ولكن) ربما لايعترفون بان ذلك لظلمهم لانها (تعمى القلوب) لا كلها بل (التي في الصدور) أي الجهات التي تلي النفوس اذ لاتتوجه الى الارواح فتستنير بانوارها فتبصر الامور الغيبية والحقائق الالهية والاخروية (و) من عمى قلوبهم لايقتصرون على ترك اعتبار سنة الله في نصر الانبياء والمؤمنين باهلاك أعدائهم بل (يستعجلونك) يا أكمل الرسل (بالعذاب) الذي وعدهم الله على لسانك (ولن يخلف الله وعده) لئلا يلزم نقيصة الكذب في صفة كلامه ولا يعجله ههنا لان أيام الدنيا قصيرة متناهية (و) أيام الآخرة طوال غير متناهية (ان يوما عند

ربك

(قوله عز وجل على كره منه) (قوله الاراذل) جمع ظلال على الاراذل وقلال (قوله ظلة) مثل ذلة (قوله عز وجل وظل ممدود) أي دائم لاتنسخه الشمس كظل ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس (قوله وظل من يحموم) قيل انه دخان اسود والحموم الشديد السواد (قوله ظل ذي ثلاث شعب) يعني دخان جهنم أعاذنا الله منها

ربك) في الآخرة (كألف سنة) لا باعتبار شدة العذاب تجوزا بل (مما تعدون و) امهاله الى تلك المدة ليس دليل الاهمال فانه (كأين) أي كم (من قرية أمليت) أي أمهلت (لها وهي ظالمة) لتزداد ظلما (ثم أخذتها و) لا يفوتني بالامهال شيء اذ (الي المصير) فان زعموا انه تخويف محض (قل يا أيها الناس) أي الذين نسوا مقصود البعثة وهو الانذار لتخليص الخائف واهلاك الآمن (انما أنا لكم نذير مبين) باقامة الدلائل ورفع الشبه فذلك الانذار لابد وأن يكون محققا كيف والانذار انما يتم بالايفاء بما يترتب عليه (فالذين آمنوا) أي صدقوا بهذا الانذار (و) اعتقدوا ايفاءه لذلك (عملوا الصالحات لهم مغفرة) لما خافوا من كفرهم ومعاصيهم (ورزق كريم) جزاء على ايمانهم وأعمالهم (والذين) لم يصدقوا بهذا الانذار بل (سعوا) في ابطال (آياتنا) الدالة على وقوعه (معاجزين) أي قاصدين تعجيز الله عن اقامة الآيات على ذلك (أولئك) البعداء عن مقصود البعث (أصحاب الجحيم) أي ملازموها لا مغفرة لهم ولا رزق كريم أبدا كيف والسعي في آيات الله ليس دون فعل الشيطان بالتخليط في الوحي الالهي مثل ما روي انه عليه السلام لما رأى اصرار قومه تمنى أن يأتيه من الله ما يقاربهم فأنزل الله تعالى سورة النجم فقرأها عليه السلام على قريش حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان في أسماع الحاضرين وأوهمهم أنه جرى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى ولم يعلم عليه السلام بذلك لاستغراقه في أمنيته ففرح بذلك قريش وسجد الكل في آخر السورة فأتاه جبريل عليه السلام وقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت مالم آتك به من الله فحزن عليه السلام حزنا شديدا وخاف خوفا عظيما فأنزل الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول) صاحب شرع خاص (ولا نبي) بعث للدعوة الى شرعه أو شرع غيره (الا اذا تمنى) أن ينزل الله ما يقارب المصرين على الضلال (ألقى الشيطان) في أسماع الحاضرين كلاما يوهم انه كلام الرسول أو النبي ولا يعلم بذلك لكونه (في أمنيته) ولا يبطل هذا الثقة بكلامه لان الله تعالى يظهره (فينسخ) أي يذهب (الله ما يلقي الشيطان ثم) لا يترك احتمال ذلك في بقية كلامه سيما في الكلام المعجز اذ (يحكم الله آياته) باظهار الفرق بين كلامه وكلام الشيطان وكيف لا ينسخ ولا يحكم (والله عليم) بما في ترك النسخ والاحكام من الاخلال بمقصود البعثة (حكيم) لا يترك الخلل ولا يخل بعلمه وحكمته تمكين الشيطان من الالقاء فانه مكنه (ليجعل ما يلقي الشيطان) من كلامه على اسماع الحاضرين موهما انه كلام الرسول أو النبي (فتنة للذين في قلوبهم مرض) فلا يقدرون على التمييز بين كلام الشيطان وبين كلام الرسول أو النبي (و) لو أمكن معالجتهم فلا يمكن معالجة (القاسية قلوبهم) لان مرضهم مزمن (وان الظالمين) القائلين بأنه رجع الى الحق الذي هم عليه ثم ندم (لفي شقاق) أي خلاف للحق (بعيد) عن موافقته جدا لانهم جعلوا الشر خيرا والخير شرا وجعلوا شركاء الحق شفعاء عنده (وليعلم الذين أوتوا العلم) فعلموا ما هو الرشد وما هو الغي في نفسه (أنه) أي ما أحكم منه هو (الحق من ربك)

(قال أبو عمر الزاهد حدثني الشيباني قال ان قيل لم قيل ثلاث شعب قيل لان الفار اذا خرج من حبسه أخذ يمنة أو يسرة أو وقف ولا رابع له)

(باب العين المفتوحة)

(قوله عز وجل العالمين) أصناف الخلق كل صنف منهم عالم (قوله عز وجل عاكفين) أي مقيمين ومنه الاعتكاف وهو الاقامة في المسجد على الصلاة (قوله والذكر لله عز وجل (قوله عز وجل عدل) أي فدية كقوله ولا يؤخذ منها عدل وقوله وان تعدل كل عدل

دون ما نسخه من كلام الشيطان (فيؤمنوا به) لتميزه عن كلام الشيطان تميزا تاما (فتخبت) أى تطمئن (له قلوبهم و) المؤمنون وان لم يكن لهم هذا التمييز قبل ذلك لكن يحصل لهم بعد النسخ والاحكام (ان الله لهادى الذين آمنوا) باطلاعهم على الاوساط الفاضلة والاطراف الرديئة على ألسن الرسل (الى صراط مستقيم) فيتم تمييزهم بنور الايمان به (ولا يزال الذين كفروا) بالرسل وان لم يزالوا بالغين فى بيان الصراط المستقيم (فى مرية منه) بان كلامهم ملتبس بكلام الشيطان (حتى تأتيهم الساعة) الكاشفة عن الخير والشر (بغتة) فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) لا يعقبه خير وهو يوم الموت فانهم وان لم يكاشف لهم فيه عن ذلك يضطرون الى معرفة انهم كانوا على محض الشر وهم وان تميز لهم الشر والخير فلا يقدرون على تحصيل الخير ودفع الشر الآن اذ لا يملكون لانفسهم شيأ اذ (الملك يومئذ لله) وهو وان كان له دائما لكنه (يحكم بينهم) بمقتضى ما توهموا ملكه قبل ذلك (فالذين آمنوا) باحكام آيات الله ونسخ ما ألقاه الشيطان (وعملوا الصالحات) بمقتضى الآيات المحكمة (فى جنات النعيم) لتنعمهم بفوائد كلام الله وهيآت الاعمال الصالحة (والذين كفروا) فاعتقدوا الشر خيرا والخير شرا (وكذبوا بآياتنا) باختلاطها بكلام الشيطان بعد احكامها (فأولئك لهم عذاب مهين) لاهانتهم آيات الله وخروجهم عن الانسانية الى البهيمية (و) من العذاب المهين لهم اعزاز أعدائهم بضد ما أهانوهم فان (الذين هاجروا فى سبيل الله) اذ أخرجهم الكفار من ديارهم وأموالهم (ثم قتلوا) اذ جاهدوهم (أو ماتوا) بلا جهاد (ليرزقنهم الله) بدل أموالهم (رزقا حسنا) يستحسنه أهل النعم لفضله على أرزاقهم (وان الله لهو خير الرازقين) فهو أولى بأن يجعل خير رزقه لمن ترك رزقه لايثار سبيله ومما تفضل به رزقهم أنه (ليدخلنهم) لاكه (مدخلا) من النعيم (يرضونه) لفضله على مداخله فيجعله بدل ديارهم (و) لا يبعد من الله ذلك (ان الله لعليم) بما تحملوا فيه ومقتضاه تعجيل ما وعدهم به وتعجيل عقوبة من عاداهم لكنه لحلمه أخر ذلك لانه (حليم) ليكمل صبر هؤلاء واصرار أعدائهم (ذلك) الرزق وادخال المدخل الكريم لمن لم يعاقب الظالم ومن عاقبه بمثل معاقبته ولم يبغ عليه الظالم مرة أخرى تقاص حقاهما (ومن عاقب) ظالمه (بمثل ما عوقب به) أى بمقدار ظلمه (ثم بغى عليه) أى تعدى عليه الظالم ثانيا (لينصرنه الله) من غير أن ينظر الى معاقبته (ان الله لعفو) مجاوز عما التقاص الحقين الاولين وان كان الظالم أعز منه فالهتك فيه أشد لكنه مغفور عنه بالنسبة الى المظلوم اذ الله (غفور) لشدته (ذلك) الغفران (بان الله) يولج ظلمة الشدة من المظلوم فى ضوء اقتصاصه وضوء الشدة على الظالم فى ظلمة بغيه كما انه (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وأن الله سميع) لما قصده المظلوم من الاقتصاص دون الشدة (بصير) ببغى الظالم عليه فانه يمحو الشدة عليه بالكلية سيما اذا كان ظلمه لتوحيد المظلوم واشراك الظالم (ذلك) الايلاج لكمال مظلومية المظلوم لتوحيده وظالمية الظالم لاشراكه (بأن الله هو الحق) فالظلم على المظلوم فيه أشد

حقيقة

لا يؤخذ منها وعدل مثل أيضا بقوله أو عدل ذلك صياما أى مثل ذلك (قال أبو عمرو لا يقال عدل بمعنى عدل الا عند أبى عبيدة قال العدل بالفتح القيمة والعدل أيضا الفدية والعدل أيضا الرجل الصالح والعدل أيضا الحق والعدل بالكسر المثل) (قوله عز وجل عفونا عنكم) محونا عنكم ذنوبكم ومنه قوله عفا الله عنك أى محا الله عنك ذنوبك (قوله عز وجل عوان) أى نصف بين الصغيرة والمسنة (وقوله عز وجل

حقيقة (وأنما يدعون من دونه هو الباطل) فالشدة على من ظلم من أجله ليست بشدة بالحقيقة (و) لو لم يكن الله هو الحق وما يدعون من دونه الباطل فلا شك (أن الله هو العلى الكبير) فالظلم على من ظلم من أجله أعلى والشدة على الظالم لاجل الباطل حقيرة وكيف لا ينصر المظلوم من أجله مع أن حق من كان معه ان يعلو على غيره ويعظم قدره على قدره فان زعموا ان الله لا يبالى بالمظلوم لحقارته فكيف يعتنى بنصره أجيبوا بان غاية حقارة المظلوم أن يكون كالارض الميتة والله يعتنى بها (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) اعتناء بالارض الميتة (فتصبح الارض مخضرة) فلا يبعد أن يعتنى بنصر المظلوم من أجله فيجعله مخضرا بعدما أماته بالحقارة وليست حقارته استعدادا مانعا من النصر لان الاستعداد أمر خفى لا يطلع عليه الا الله (ان الله لطيف) يدرك الخفيات لانه (خبير) يطلع على البواطن ولا يحتاج فى نصره الى تحقق سببه عنده اذ (له ما فى السموات وما فى الارض) فله أن يستعمل أى سبب شاء من السماء أو الارض فى نصره بل لا حاجة له الى السبب (وان الله لهو الغنى) ولا يتوقف حمده على استعمال السبب لانه (الحميد) بكل حال ولا مانع له من نصره اذ كل ما فرض مانعا فهو مسخر له بل يجوز أن يجعله مسخرا لمن يريد نصره (ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض و) سخر لكم البحر حتى ان (الفلك تجرى فى البحر بأمره) لمنافعكم (و) كيف يمنعه مانع ولم يمنعه ثقل السماء من امساكها اذ (يمسك السماء) كراهة (أن تقع على الارض) بل لا فعل لثقلها بدونه فلو خليت بحالها لم تقع (الا باذنه) لكنه لا يأذن لرأفته (ان الله بالناس لرؤف) فحقه أن يتوكل عليه لا على الاسباب ليرحمه مزيد رحمته لانه (رحيم و) لا يخل برأفته ورحمته اماتته بل (هو الذى) باعتبار رأفته ورحمته (أحياكم) ليفيدكم بالمحسوسات التى تستنبط منها المعقولات (ثم يميتكم) ليكمل لكم فوائد المعقولات بكمال التجرد (ثم يحييكم) ليجمع لكم بين كمال فوائد المحسوسات والمعقولات فالاحياء الثانى المترتب على الموت من كمال الرأفة والرحمة يوجب أتم وجوه الشكر لكن الانسان يكفر به فكأنه يكفر بالجميع (ان الانسان لكفور) ولترتب أكمل الحياة على الموت (لكل أمة جعلنا منسكا) يشبه موت أنفسهم ويفيدهم ما يشبه فوائد الحياة الاخروية من المكاشفات (هم) لعلهم بتلك الفوائد (ناسكوه) وان كرهوا الموت واذا كوشف لهم بهذه النسك فوائد تلك الحياة (فلا ينازعنك فى الامر) أى أمر مكاشفة الامور الاخروية (وادع) لتحصيل تلك الفوائد لهم (الى ربك) المفيد لهم اياها بكمال اهدائك (انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك) فزعموا ان هدى يخالف هدى من تقدمك (فقل الله أعلم بما تعملون) أى بمصالح أعمالكم فى كل وقت فيأمركم فيه بما هو أصلح لكم فان أصررتم على ان المصالح كما هى فى أعمالكم (الله يحكم بينكم) اذ يعذبكم على خطاياكم (يوم القيامة) فانه الفاصل (فيما كنتم فيه تختلفون) وقد خالفتم من تقدمكم من الامم فان زعموا أن الاحكام أزلية لا تقبل التغيير كالتغيير فى العلم بالحوادث اليومية قيل (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض) من اختلاف الاوضاع والاكوان وقد

أى عهدنا الى ابراهيم) أى وصيناه وأمرناه (وقوله عز وجل عابدون) موحدون كذا جاء فى التفسير وقال أصحاب اللغة عابدون أى خاضعون أذلاء من قولهم طريق معبد أى مذلل قد أثر الناس فيه (قوله عز وجل العفو) أى الطاقة والميسور يقال خذ ما عفا لك أى ما أتاك سهلا بغير مشقة ويقال العفو فضل المال يقال عفا الشئ اذا كثر (قوله ويسئلونك ماذا

اقتضت اختلاف الاحكام أيضا وليس ذلك بطريق البداء بل (ان ذلك فى كتاب) هو اللوح
المحفوظ الآخذ عن القلم الاعلى عن العلم الالهى يجوز أن يحكم فى الازل بوجوب شئ فى
عهد موسى وحرمته فى عهد محمد ويكتب كذلك (ان ذلك على الله يسير) اذ لا تغير لحكمه
ولا لعلمه بل المتغير النسب والاضافات ثم انهم انما يمنعون النسخ والتبديل من الله ويجوزونه
من أحبارهم (و) هم فى ذلك (يعبدون من دون الله) اذ يقبلون منهم (ما لم ينزل به سلطانا) أى
نصا جليا (وما ليس لهم به علم) بطريق الاستدلال بل انما بدلوه ظلما (وما للظالمين من نصير)
من شبهة مصلحة أو ضرورة (واذا تتلى عليهم آياتنا) الناسخة لبعض أحكامهم (بينات)
لا يشك فى كونها آياتنا ولا فى موافقتها المصالح الزمان (تعرف فى وجوه الذين كفروا) الوصف
(المنكر) لغاية انكارهم لها بحيث (يكادون) أى يقربون (يسطون) أى يبطشون (بالذين
يتلون عليهم آياتنا قل أ) ترون تلاوتها غاية الشر (فأنبئكم بشر من ذلكم) هو (النار)
على انكارها اذ هو كفر وقد (وعدها الله الذين كفروا) ولو بالآيات الناسخة (وبئس
المصير) فى حق الكل حتى منكر الناسخة وكيف لا يعدها من أهان الله غاية الاهانة وكيف
لا يجعلها بئس المصير لمن صيره مصير الاحجار (يا أيها الناس) أى الذين نسوا عظمة الالهية
فنسبوها الاهون الاشياء استهانة (ضرب) لبيان هوان أحجاركم (مثل) أى نوع منه غريب
(فاستمعوا له) بجد ليستقر بقلوبكم (ان الذين تدعون من دون الله) ليخلقوا لكم أولادا
وأرزاقا ويفيدوكم أنواع الفوائد (لن يخلقوا) من غاية عجزهم أحقر الاشياء (ذبابا ولو
اجتمعوا) يعين بعضهم بعضا (له و) قد بلغ عجزهم الى حيث (ان يسلبهم الذباب شيأ) وضع
بين أيديهم أو لطخ به وجوههم (لا يستنقذوه منه) لعجزهم عنه فظهر من هذا المثل أنه (ضعف
الطالب) منهم عقلا (والمطلوب) حصولا كما انه ضعف طالب هذا السلب والمطلوب الذى
هو السلب وتبين من هذا ان الذين جعلوهم شركاء الحق (ما قدروا الله) أى ما عرفوا مقداره
(حق قدره ان الله لقوى) اذ الالهية بدون القوة الكاملة كيف والعجز مهانة والله تعالى
(عزيز) فاذا أهانوه بهذه الاهانة غضب عليهم غضبا وقد عليهم النار التى هى بئس المصير
ثم انكم لو طلبتم من الله شيأ واستقصرتم أنفسكم فتوسلوا بملائكته اذ (الله يصطفى
من الملائكة) المكرمين (رسلا) فيزيدكم اكراما (و) ان فقدتم مناسبتكم فتوسلوا برسل
الناس أو أوليائهم اذ الله يصطفى (من الناس) رسلا وأولياء فاذا توسلتم بهم (ان الله
سميع) لدعائكم الذى توسلتم فيه بأهل اصطفائه لكنه (بصير) لا يستجيب ما يرى فيه
اثما أو ضررا للداعى فان زعموا انهم انما يعبدون الاصنام لانهم الملائكة أو الرسل أو الاولياء
قيل لهم فمن أين جعلتموهم آلهة مع أنه لا الهية لمن هى صورهم اذ يحيط بجهاتهم من حيث
(يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم و) الافعال الشاقة التى تظهر عليهم لا تدل على الهيتهم اذ ليست
لهم بل (الى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا) بوسيلة الرسل والاولياء انما يتم توسلكم
لو فعلتم ما جاءكم به الرسل مما يقربكم الى الله (اركعوا) اجلالا لعظمة الله (واسجدوا)

مبالغة

(قوله عز وجل يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو) أى ينفقون قل العفو ماذا يتصدقون ويعطون قل العفو أى تعطون عفو أموالكم فتتصدقون مما فضل من أقواتكم وأقوات عيالكم (قوله عز وجل عرضتم به من خطبة النساء) التعريض الايماء والتلويح من غير كشف ولا تبيين (قوله عز وجل عاقر وعقيم) بمعنى واحد وهى التى لا تلد والذى لا يولد له (قوله عز وجل عرضها السموات والارض)

مبالغة فى التذلل له (واعبدوا) فى ذلك (ربكم) فلا تجعلوه وسيلة لما سواه (وافعلوا الخير) وراء العبادة (لعلكم تفلحون) بمطالبكم التى تتوسلون فيها بالملائكة والرسل والاولياء (و) لو طمعتم فى اصطفائكم بحيث يتوسل بكم غيركم (جاهدوا) أنفسكم (فى) معرفة (الله) وعبادته وأخلاقه ومقامات قربه وأحواله (حق جهاده) الذى أمر به على ألسن رسله وأوليائه ولا يبعد أن يصطفيكم بذلك اذ (هو اجتباكم) للاسلام وكيف لا يصطفيكم بالجهاد وفيه من الحرج ما فيه وقد اجتباكم بدين الاسلام (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) وانما اجتباكم فيه بدون الحرج لكونه (ملة أبيكم ابراهيم) وهى وان لم تسم اليوم اسلاما (هو سماكم المسلمين من قبل) اذ قال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فاتبعوه فى أصل الدين (وفى هذا) الجهاد لتبلغوا غاية الكمال الذى به الاصطفاء الموجب مناسبة الرسل (ليكون الرسول شهيدا عليكم) اذ يختص بمكاشفة أحوالكم دون غيره (وتكونوا شهداء على الناس) اذ يكاشف لكم من أحوالهم وهذا الجهاد انما يتم بالافعال الظاهرة مع الاعتصام بالله (فأقيموا الصلوة) مع كمال الحضور والخشوع (وآتوا الزكوة) للتطهر عن حب المال (واعتصموا بالله) فلا تفعلوا شيأ من الاعمال الظاهرة والباطنة بدون الاستمداد منه (هو مولاكم) الذى يتولى أموركم عند ذلك ومن كان الله مولاه (فنعم المولى) مولاه كيف (و) هو ينصره فى كل مقام فهو (نعم النصير) فافهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المؤمنون)

سميت بهم لاشتمالها على جلائل أوصافهم ونتائجها فى أوائلها وفى قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون الى قوله سابقون (بسم الله) المتجلى بجمعيته فى المؤمنين (الرحمن) بافاضة وصف الايمان عليهم (الرحيم) بافاضة سائر أوصافهم ونتائجها (قد أفلح) أى فاز بغاية الكمال (المؤمنون) اذا استكملوا الايمان بالصلاة والصلاة بالخشوع فصاروا هم (الذين هم فى صلوتهم خاشعون) والخشوع التذلل مع الخوف والزام الابصار المساجد (و) انما تم لهم الخشوع لانهم (الذين هم عن اللغو) مالا يعنيهم (معرضون) لاستغراقهم فى الجد من عبادة الله تعالى وذكره (و) انما تيسر لهم الاعراض لانهم (الذين هم للزكوة) أى تطهير النفس عن رذيلة حب المال (فاعلون و) من آثار تلك الطهارة هم (الذين هم لفروجهم حافظون) فلا يطلقونها على امرأة (الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم) لكونهم أصحاب العفة المتوسطة بين افراط الزنا واللواطة واتيان البهيمة وتفريط العفة (غير ملومين) وان بالغوا فى الاطلاق عليهن واذا انقطعت ضرورة النفس بالازواج والاماء (فمن ابتغى وراء ذلك) أى طلب الزيادة عليها بالزنا وأخويه (فأولئك هم العادون) وان لم يكن أهل العفة أهل العدوان وان دخل فى اللوم كيف (و) قد خانوا أمانة النطفة وخالفوا عهد جعلها بذرا مع أن المؤمنين هم (الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) اذ يبدون رعايتها ما يكون مضيعا للصلاة

أى سعتها ولم يرد العرض الذى هو خلاف الطول (قوله عزامه عزمت) أى صحت رأيك فى امضاء الامر (قوله عز وجل عاشروهن) أى صاحبوهن (قوله تعالى العنت) أى الهلاك وأصله المشقة والصعوبة من قولهم أكمة عنوت اذا كانت صعبة المسلك حدثنى أبو عبد الله قال حدثنى أبو عمر عن الهدهد عن المبرد أنه قال العنت عند العرب

بجملها للمطلوبين (و) المؤمنون هم (الذين هم على صلواتهم يحافظون) وانما أفلح (أولئك)
الجامعون لهذه الاوصاف اذ (هم الوارثون) عن الكفار أماكنهم فى الجنان وبفرض أعلى
الاماكن بفرض علوهم فى الصلاح فهم (الذين يرثون الفردوس) ولا يورث منهم اذ (هم فيها
خالدون و) لا يبعد أن يحصل الانسان بهذه الاطوار المعنوية رتبة وراثة الفردوس وقد حصل له
بالاطوار الحسية رتبة الانسانية فانا (لقد خلقنا الانسان) أى ابتدأنا خلقه (من سلالة)
أى خلاصة (من طين) تراب خلط بماء فصار نباتا فأكله انسان فصار دما (ثم جعلناه)
بالتصفية (نطفة) فنقلناه الى رحم المرأة فتركناه (فى قرار) أى مستقر (مكين) يتمكن فيه
النفس من التصرف فيها (ثم) بعد انضمام دم الطمث اليها (خلقنا النطفة علقة) بالاستحالة
من بياض الى حمرة (فخلقنا العلقة) بتصليبها (مضغة) قطعة لحم بقدر ما يمضغ (فخلقنا المضغة
عظاما) بمزيد التصليب (فكسونا) بالحاق دم الطمث (العظام لحما) يسترها (ثم) بعد كمال
الصورة والمزاج (أنشأناه خلقا آخر) هو خلق الاذعانية بنفخ الروح فالايمان سلالة عنصر
القرب والصلاة بذر المقامات والاحوال والاعراض عن اللغو يحصل صفات البشرية بما
يناسب صفات الحق كالعلقة وفعل الزكاة يفيد تقوية كالمضغة ومحافظة الفروج يزيد
تقوية كالعظام ورعاية الامانة والعهد يمنع وصول أذية بكسر هذه القوة كاللحم ومحافظة
الصلاة كالروح فلا يبعد أن تورث مراتب الفردوس (فتبارك الله) أى تعاظم قدرة وحكمة
وتصرفا (أحسن الخالقين) لو قدر غيره خالقا (ثم انكم بعد ذلك) أى بعد تحصيل هذه
الكمالات المعنوية والحسية (لميتون) والحكيم لا يتلف ما استكمله بأنواع التكميل
لذلك (ثم انكم يوم القيامة) لتقوموا لرب العالمين (تبعثون) فلا يبعد أن يبعثكم الى تلك
المراتب العالية التى ورثتها من أعدائكم لو رجعتوا اليه بأعمالكم (و) انما جعلنا الاعمال
المفيدة للافلاح سببا كالاطوار المفيدة للارواح لانا (لقد خلقنا فوقكم) للفيض عليكم
(سبع) سموات (طرائق) لصعود الاعمال ونزول الفيض كيف (و) ليس ذلك ليحصل
لنا العلم بالاعمال والفيوض لانا (ما كنا عن الخلق غافلين و) يدل على كونها للفيض انا
(أنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض) ليدوم الانتفاع به ليتموا شكرنا (و) ان تركوه
(انا على ذهاب به) باغواره أو اصعاده (لقادرون) ولكن مع ترك الشكر بما نزيدهم انعاما
ليزدادوا كفرانا فنزيدهم انتقاما على انه لا تخلو الارض من شاكر (فأنشأنا لكم) أيها
الشاكرون (به جنات من نخيل وأعناب) لتعلموا انه يحصل لكم من فيض الاعمال مقامات
وأحوال (لكم فيها) أى فى تلك الجنات (فواكه كثيرة) من الرطب والتمر والبسر والعنب
والزبيب لتعلموا انه يحصل من المقامات والاحوال علوم واخلاق ثم ان منها ما يفيد مجرد
التلذذ (ومنها) ما يفيد معه الحفظ وهو ما (تأكلون) لتعلموا أن من الاعمال ما يفيد التلذذ
بالالطاف الالهية وما يفيد الحفظ (و) لا يبعد أن يحصل من عمل واحد فوائد كثيرة اذا
كان رفيع القدر طيب المنبت فانا قد أنشأنا لكم (شجرة) هى الزيتون (تخرج) فى الاصل

تكليف غير الطاقة (وقوله عز وجل ولو شاء الله لأعنتكم) اى لأهلككم ويجوز أن يكون المعنى لشدد عليكم وتعبدكم بما يصعب عليكم اداؤه كما فعل بمن كان قبلكم (وقوله عز وجل عزيز عليه ما عنتم) أى هلاككم أى ما هلكتم أى عزيز عليه ما عنتم وقوله عز وجل عزيز أى شديد يغلب صبره يقال عزه يعزه عزا اذا غلبه ومنه قولهم من عز بز أى من غلب سلب (عزتموهم)

(من

(من طور سيناء) أى من جبل رفيع من السناء وهو الرفعة أو منير من السنا بالقصر وهو النور (تنبت بالدهن) المشعل للسراج (وصبغ) أى وبادام يغمس فيه الخبز (للآكلين) وكذلك يحصل من عمل واحد تسريح الباطن وتقوية الظاهر (و) لا يبعد انقلاب العمل الشاق لذة وانقلاب التذلل فيه اكراما فانه كانقلاب العلف فى بطن الحيوان لبنا (ان لكم فى الانعام لعبرة) تعبرون بها الى الاعمال (نسقيكم مما فى بطونها) كذلك نعطيكم اللذة الباطنة من الاعمال الشاقة فى الظاهر (ولكم فيها منافع كثيرة) من نتاجها وشعورها (و) ما ومها اذ (منها تأكلون) كذلك يحصل لكم من الاعمال ما ينتج عليكم الاحوال ويصونكم من البلايا ويقويكم على تحمل الشدائد (و) الاعمال الظاهرة كالانعام اذ (عليها) تحملون فى بر الشريعة الظاهرة الى الله تعالى (و) الاعمال الباطنة كالفلك اذ (على الفلك تحملون) اذ الاعتقادات وسائر المساعى الباطنة تحمل الانسان فى بحر الحقيقة الباطنة (ولقد أرسلنا نوحا) للعمل على فلك الاعتقادات الصحيحة (الى قومه) غرقى فى بحر الضلال (فقال يا قوم) الذين يجب على حملهم على فلك النجاة (اعبدوا الله) بالاعتقاد الصحيح فيه سيما اعتقاد التوحيد لانه (ما لكم من اله غيره أ) تتخذون غيره الها أو تعتقدون فيه ما ليس عليه (فلا تتقون) أن يغرقكم فى بحر العذاب (فقال الملأ) أى الاشراف لا بالدين بل بالدنيا الحاجبة عن الله فهم (الذين كفروا) الرسالة منه وان كانوا (من قومه) حقهم أن يخرقوا حجاب الكفر لخرقه (ما هذا) الداعى الى الله بدعوى الرسالة منه (الا بشر) وكل بشر فهو (مثلكم) ولا يفضل أحد المثلين الآخر بمزيد علم بالله أو غيره بل غايته انه (يريد أن يتفضل عليكم) بدعوى الرسالة ومزيد العلم بالله والقرب من الله وان كان فاضلا فليس برسول اذ لم ينزل من مكان الرسل وهو السماء (ولو شاء الله) ارسال رسول (لانزل) من سمائه (ملائكة) ولو أرسل من أهل الارض اليهم لكان ذلك له سنة مستمرة لكن (ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين) وهو فى زعمه انه يأتيه الملك من الله (ان هو) أى ما هو (الا رجل به جنة) أى خيال فاسد (فتربصوا به) أى فانتظروا بزوال جنونه (حتى حين قال رب انصرنى) باهلاكهم (بما كذبون) أى بسبب تكذيبهم حججى وآياتى (فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا) لتنجو من اهلاكهم بالغرق اذ لم يركبوا سفن النجاة التى كانت بأمرنا على لسانك لهم (ووحينا) اليك (فاذا جاء أمرنا) باغراقهم (وفار) أى نبع (التنور) الذى يشبه مجمع نيران أهويتهم (فاسلك) أى أدخل (فيها من كل زوجين) أى حيوانين مختلفين بالذكورة والانوثة (اثنين) لا أزيد لئلا تضيق السفينة عن بعض الاصناف ولا أنقص لئلا يتلف بعض الاصناف بالكلية (وأهلك) ويلحقهم من آمن وفيه اشارة الى انه لا بد من حمل الروح والقلب والسر والخفاء على سفينة النجاة فى بحر الحقيقة بمراعاة الشريعة (الا من سبق عليه القول منهم) من الله باهلاكه كامرأتك وولدك كنعان وفيه اشارة الى ان النفس وأولادها من الصفات الذميمة غير محمولة (ولا تخاطبنى فى) شفاعة (الذين ظلموا) وان غلبتك الشفقة عليهم عند رؤية هلاكهم

أى عظمتموهم ويقال نصرتموهم وأعنتهم (عدوا) أى اعتداء ومنه قوله عز وجل فيسبوا الله عدوا بغير علم (قوله تبارك اسمه عتوا) أى تكبروا وتجبروا والعاتى الشديد الدخول فى الفساد المتمرد الذى لا يقبل موعظة (قوله عز وجل عتوا) أى كثروا يقال عفا الشئ اذا زاد وكثر وعفا الشئ اذا درس وذهب وهو من الاضداد (قوله عز وجل عرض

(انهم مغرقون) فى بحر الهلاك كما غرقوا فى بحر الضلال (فاذا استويت انت ومن معك على
الفلك) اى فلك النجاة وفلك الاعتقادات الصحيحة (فقل) نفيا للعجب بصنعك وعملك (الحمد لله
الذى نجانا من) هلاك (القوم الظالمين) وشبهاتهم (و) ليس لك أن تدوم على السفينة
الظاهرة بعد ذهاب الطوفان بل استدم ركوب الباطنة بربك وفى الظاهرة (قل رب أنزلنى)
من السفينة الظاهرة (منزلا مباركا) يكثر فيه الخير فيكون سفينة باطنة (و) أولى المنازل
المباركة منزل قربك (أنت خير المنزلين) لمن أنزلته منزل قربك (ان فى ذلك لآيات) أى ان
فيما عمل بنوح وقومه وأهله دلائل على ان الاعتقادات الصحيحة فلك النجاة عن بحر العذاب
والاعراض عنها غرق وان متابعة أهل النجاة تفيد النجاة دون قربه (و) يدل على اعتبار هذه
الدلالات اختبارنا بعد ما اختبرنا به قومه (ان كنا) أى انا كنا (لمبتلين ثم أنشأنا) للابتلاء
(من بعدهم) ليعلموا ان ابتلاءهم مثل ابتلائهم (قرنا آخرين) هم ثمود لنحملهم على دواب
الاعمال حمل الاولين على فلك الاعتقادات (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) هو صالح صاحب الناقة
فلم يذكرها لعدم كونها مركوبة لاحد لم يسم صاحبها (أن اعبدوا الله) بالاعمال الظاهرة
لتصلوا اليه على أحسن الوجوه مع انه لابد من الوصول اليه لانه (ما لكم من اله غيره) تصلون
اليه بدله (أ) تعتقدون انكم لا تردون اليه (فلا تتقون) انكم اذا وصلتم اليه مدبرين عنه كان
ردكم اليه رد العبد الآبق قهرا الى مولاه فكفروا به (وقال الملأ) أى الاشراف الذين تبعهم
من دونهم (من قومه الذين كفروا) استكبارا عليه فاذا استكبر التابعون فالمتبوعون أشد
(وكذبوا بلقاء الآخرة) الذى يعمل له تلك الاعمال لا لدليل على امتناعه (و) الكن لعدم
نظرهم فيه اذ (أترفناهم) أى نعمناهم بما يغرقهم (فى) اشتغال (الحيوة الدنيا ما هذا)
الذى يزعم انه يسير بكم الى الله (الا بشر مثلكم) لا يفارقكم فى شئ من خواص البشرية حتى
يلحق الملائكة لانه (يأكل مما تأكلون منه) لا من عالم الملكوت (ويشرب مما تشربون)
فلا يخالف عادة الآكلين (ولئن أطعتم) فى ركوب ظهر الاعمال (بشرا مثلكم) يأمركم به
(انكم اذا لخاسرون) عزة أنفسكم بالتذلل لامثالكم ولذات شهواتكم ولا يجبر بما يعدكم
فى الآخرة لانه أمر مستبعد (أيعدكم أنكم اذا متم و) بعدتم عن قبول الحياة اذ (كنتم ترابا
و) لو لم يصر كلكم ترابا فلا أقل من ان يبقى بعضكم (عظاما) وهى أصلب من التراب فهى أبعد
من قبول الحياة (أنكم مخرجون) من قبوركم مع أن الحى لو قبر لا يمكنه الخروج عنه واذا كان
هذه الامور موانع الحياة (هيهات هيهات) أى ابعد كل البعد (لما توعدون) من العذاب
والثواب بعدها ولو حصلت حياة (ان هى الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا) بطريق التناسخ
(و) هو وان كان جائزا فبعث القيامة محال (ما نحن بمبعوثين) بالخروج من القبر لانه
خلاف الامر المستمر فان أخبر بذلك عن الله (ان هو الا رجل افترى على الله كذبا و) ان
أتى بدلائل صدقه (ما نحن له بمؤمنين قال رب انصرنى) باهلاكهم (بما كذبون) فى آياتى
(قال) انهم وان لم يهلكوا الآن لكن (عما) أى عن زمن (قليل ليصبحن) أى ليصيرن

الدنيا) أى طمع الدنيا وما
يعرض منها (قوله عز وجل
عيلة) أى فقرا (قوله عز وجل
عن يد) أى عن قهر وذل
وقيل عن يد أى عن مقدرة
منكم عليهم وسلطان من
قولهم يدك على مبسوطة
أى قدرتك وسلطانك وقيل
عن يد أى عن انعام عليهم
بذلك لان أخذ الجزية منهم
وترك أنفسهم عليهم نعمة
عليهم ويد من المعروف
جزيلة (قوله عز وجل عرضا
قريبا وسفرا قاصدا)

(نادمين) على تكذيبهم ندما دائما بدوام العذاب عليهم (فأخذتهم الصيحة) أى أحاطت بهم (بالحق فجعلناهم) بتلك الصيحة لتفريقها عناصرهم (غثاء) أى نباتا يابسا لبعدهم عن رطب فيض اللطف الالهى (فبعدا للقوم الظالمين) برد ذلك الفيض عنهم (ثم) لم نترك الابتلاء بل (أنشأنا من بعدهم) للابتلاء بركوب أفلاك الاعتقادات وظهور دواب الاعمال (قرونا آخرين) لم يذكر الرسل ههنا اذ لم يكن فيهم صاحب سفينة ولا دابة وأجلنا لكل امة أجلا ليتعلم دلائل الاعتقادات وكيفياتها وهم وان أهملوا ذلك لم يستعجل بعقابهم (ما تسبق من أمة أجلها) اتماما للحجة عليها (وما يستأخرون) لانه يشبه الاهمال ولكن تحاتت المدة بين كل قومين من هؤلاء (ثم أرسلنا) الى أمم بعدهم (رسلنا تترى) كل واحد عقيب الآخر بلا تخلل مدة لئلا ينسى عهد السابق فلم يبال المتأخرون قرب هلاك المتقدمين بل (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) ولم نترك مقتضى ابتلائنا (فأتبعنا بعضهم بعضا) فى الاهلاك (و) لم نجعلهم منسيين بل (جعلناهم أحاديث) لتكنهم بعدوا عن اعتبارها فاهلكوا بالابعاد عن اللطف (فبعدا لقوم لا يؤمنون) بتلك الاحاديث المتواترة المتكاثرة (ثم) بعد ارسال الرسل المتعاقبين بلا تخلل مدة (أرسلنا) على سبيل المعية (موسى وأخاه) لتأييده (هرون) سماهما وان لم يكن لهما فى الظاهر سفينة ولا دابة لكن كثر لهما السفن المعنوية اذ كان ارسالهما (بآياتنا) أى معجزاتنا القاهرة (وسلطان مبين) أى حجة ظاهرة (الى فرعون وملئه) ليركبوا سفن الاعتقادات الصحيحة (فاستكبروا) على المعتقد فيه فلم يبالوا تصحيح الاعتقادات فيه وفاسده (و) اغتروا فى ذلك بأنهم (كانوا قوما عالين) فرأوا اعتقاد الهية الله تعالى نزولا سيما بقول رسله (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا) فى البشرية (و) دوننا فى الرتبة اذ (قومهما لنا عابدون) فكان ايماننا بهما انقيادا المعبود للعابد فكان هذا داعيا لهم الى تكذيبهما (فكذبوهما) مع ظهور صدقهما (فكانوا) باستهانة الله واستهانة من عظمه بآياته وحججه واستعبادهم (من المهلكين) فى بحر القلزم أو النيل لعدم ركوبهم سفينة النجاة المعنوية وانقطاع طريق البر عليهم لوقوعهم فى بحر فساد الاعتقاد المانع من صحة الاعمال (و) كان لموسى أيضا دواب الاعمال لانا (لقد آتينا موسى الكتاب) الجامع للاعمال (لعلهم يهتدون) بعمل من تلك الاعمال أو باعتقاد من تلك الاعتقادات التى دل عليها بسلطانه المبين (و) لما كان الاهتداء بذلك اهتداء بما هو خارج عن موسى (جعلنا ابن مريم وأمه) التى هى أصله (آية) فى أنفسهما اذ ظهرت عليهما الكرامات فى الصبا فلم يهتدوا بهما أيضا بل اخرجوهما من البلاد ومنعوهما الطعام والماء (وآويناهما الى ربوة) أى مكان مرتفع لا يخاف فيه من ايذائهم (ذات قرار) لكثرة المطاعم فيه (ومعين) أى جار من الماء قيل هى الرملة وقيل فلسطين وقيل بيت المقدس ولم يكن تنفرهم عنه لمنعه اياهم من المشتهيات فانه وان كثرت الرهبانية فى أمته لم يأمرهم بذلك اذ لم يأمر به الرسل بل قلنا لهم (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) لئلا يمتنع عنها أتباعكم فينفر الناس عنكم (و) لكن لا تفرطوا فيه بحيث يمنعكم

أى طمعا فى رياسة وسفرا غير شاق (قوله عز وجل عدن) أى اقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام به (قوله تعالى عاصم) أى مانع من قوله لا عاصم اليوم من أمر الله أى لا مانع (قوله عنيد) وعنود وعاند ومعاند ومعناه معارض لك بالخلاف عليك والعاند الجائر العادل عن الحق يقال عرق عنود وطعنة عنود اذا خرج الدم منها على جانب (قوله عز وجل عصيب) شديد يقال يوم

من العبادات بل اجعلوها قوة على العبادات (اعملوا صالحا) شكرا عليها لتزداد دوامى النعم
(انى بما تعملون عليم) فاعلم بما يقتضي أعمالكم من مزيد الانعام عليكم (و) لا ينفر عن متابعتكم
اختلاف أديانكم بل (ان هذه أمتكم) فى كل عصر (أمة واحدة) يكفى اتفاقها على دين
وان خالفت الامم السابقة (و) لا بأس بذلك الاختلاف اذ (أنا ربكم) الذى ربيت أهل كل
عصر بدين (فاتقون) ان تخالفوا أمرى الذى يفيدكم امتثاله فوائد التربية (فتقطعوا أمرهم
بينهم زبرا) أى جعلوا أمر دينهم قطعا مختلفة من عند أنفسهم فاخذ كل فرقة بملة لا بدليل
بل بميلهم اليه (كل حزب بما لديهم فرحون) اعجابا بما عندهم من الرأى (فذرهم فى غمرتهم)
أى فاتركهم فى عمايتهم (حتى حين) أى الى حين يكشف عنهم الحجب بالموت ومما زاد فرحهم
امدادهم الله تعالى باموال وبنين على ماهم عليه (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع)
أى نبالغ به (لهم فى) افاضة (الخيرات) ليس كما يحسبون (بل لا يشعرون) ان امداد المصر
على المعاصى بالنعم استدراج له لازدياد النقم على ان الفرح ضد سبب المسارعة فى الخيرات
وهو الخشية (ان الذين هم من) غلبة (خشية ربهم) الذى رباهم بالنعم ان يسلبها عنهم
ويذيقهم بدلها النقم (مشفقون) متضرعون (و) انما تم لهم هذا الاشفاق لانهم (الذين
هم بآيات ربهم) الدالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته (يؤمنون و) انما تم لهم الايمان
بالآيات لانهم (الذين هم بربهم لا يشركون) فلا يجعلون لغيره قدرة على ايجاد آية والمكذب
يجعل للغير تلك القدرة المخصوصة بالله (و) من غاية اشفاقهم انهم (الذين يؤتون ما آتوا) من
العبادات حقوقها (وقلوبهم وجلة) أى خائفة ان تنسى شيأ من الحقوق فلا يظهر الا اذا
رجعوا الى الله تعالى فهم يخافون (أنهم الى ربهم راجعون أولئك) المبالغون فى الاشفاق
(يسارعون فى الخيرات) أى يبالغون فى تحصيلها (و) اذا أمدهم الله مع ذلك بمال وبنين
(هم لها سابقون) أى يسبق تحصيلهم لها على تحصيل المشتهيات (ولا نكلف نفسا) فى
ايفاء الحقوق للمسارعة فى الخيرات (الا وسعها) لا الرهبانية (و) لا بأس بزيادة ما لا يخالف
الشرع اذ (لدينا كتاب ينطق بالحق وهم) وان عملوا به من عند أنفسهم لا يفوتهم ثوابه اذ
(لا يظلمون) وهؤلاء الممدودون بالاموال والبنين لا يسارعون فى الخيرات اذ أصروا على
المعاصى اذ لا يبالون بالجزاء (بل قلوبهم فى غمرة) أى عماية (من هذا) الجزاء (و) لو التفتوا
اليه (لهم أعمال من دون ذلك) أى مجاوزة لما فى الكتاب اختاروها اذ (هم لها عاملون) قبل
نزوله وبعده الى وقت المؤاخذة (حتى اذا أخذنا مترفيهم) أى متنعميهم بصرف الاموال
والاولاد فى المشتهيات المحرمة (بالعذاب اذا هم يجأرون) أى يستغيثون فيقال لهم
(لا تجأروا) فانه وان كان يفيدكم يوما قبل هذا لا يفيدكم (اليوم انكم) لا تخلصون (منا)
اذ (لا تنصرون) اذ لم يبق للشفاعة دخل فانه (قد كانت آياتى) الدالة على هذه المؤاخذة
المؤبدة (تتلى عليكم) واحدة بعد أخرى لتدبروا فيها (فكنتم على أعقابكم تنكصون)
أى ترجعون قهقرى عن سماعها فضلا عن تدبرها ولم يكن رجوعكم لظهور نقص فيها

عصب وعصبصب أى
شديد (قوله تعالى عرش)
أى سرير الملك ومنه ورفع
أبويه على العرش وقوله
اهكذا عرشك (عمرو عمر)
واحد ولا يقال فى القسم الا
المفتوح ومعناهما الحياة
(قوله تعالى عضدا) أى
اعوانا ومنه قولهم قد
عاضده على أمره اذا أعانه
عليه (قوله عز وجل
وعرضنا جهنم يومئذ
للكافرين عرضا) أظهرناها
حتى رآها الكفار
يقال عرضت الشئ أظهرته

بل لكونكم (مستكبرين به) أى بذلك الرجوع ربما لم يكن ذلك لاظهار عظمتكم عند الخلق بل من أتاكم بها البلا (سامرا) بها (تهجرون) أى تتركونه كراهة اتيانه بها (أ) هجروا السامر بها (فلم يدبروا القول) الذى قاله ايلا بحيث لم ينقص من جاههم شيأ اهجروه وتركوا التدبر فيه للاستكبار (أم) لانه (جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين أم) لانهم يشكون فى صدق من جاء به مع انه لا ينبغى لهم ان يشكوا فيه لولا ظهور المعجزات على يديه فكانهم (لم يعرفوا رسولهم) بالصدق قبل المعجزات (فهم له) بعد ظهور المعجزات على يديه (منكرون) بناء على ان المعجزات انما تدل على صدق من ظهرت على يديه اذا كان خيرا (أم يقولون) انه وان لم يتعمد الكذب (به جنة) اى جنون يتخيل به انه يوحى اليه ولم يأتهم بشئ من خيالات المجانين (بل جاءهم بالحق) الذى يشهد بصدقه العقل (و) لكن كرهوه اذ (أكثرهم للحق كارهون) بل يريدون ان يقول ما يوافق أهواءهم (و) لا يعلمون انه حينئذ لا يكون قول الحق اذ (لو اتبع الحق أهواءهم) قولا أو فعلا (لفسدت السموات والارض ومن فيهن) اذ تصير الطاعات المتضمنة للمصالح معاصى متضمنة للمفاسد والمعاصى طاعات فما آتيناهم ما يفسدهم (بل أتيناهم بذكرهم) أى بشرفهم الذى هو غاية الصلاح لكنهم لا يرونه شرفا بل نقصا (فهم عن ذكرهم معرضون) انى متابعته نقص شرف (أم) نقص مال اذ (تسئلهم) على أداء الرسالة (خرجا) يفوت به ثواب الآخرة (فخراج ربك خير) لانه بحسب المعطى (و) لا يفوتك بترك طلب الخرج منهم الرزق اذ ربك (هو خير الرازقين وانك) مع عدم طلبك منهم الرزق ترزقهم الهداية (لتدعوهم الى صراط مستقيم) ولكن انما يعرف استقامته من ينظر اليه وهو المؤمن بالآخرة (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون) أى عادلون فلا ينظرون اليه ليعرفوا استقامته واعوجاجه (و) عدولهم عن صراط الدنيا أوجب لهم العدول عن صراط الآخرة فاوقعهم فى النار بحيث لا يرجون أبدا اذ (لو رحمناهم و) لو بأن (كشفنا ما بهم من ضر) أى عذاب (للجوا) أى لتمادوا (فى طغيانهم) أى افراطهم المخرج لهم عن صراط الدنيا (يعمهون) يترددون فيه ولا ينتزعون عنه كيف (و) قد جرب عليهم ذلك فانا (لقد أخذناهم بالعذاب) أى القحط (فما استكانوا) أى تذللوا عند وجوده (لربهم وما يتضرعون) بعده عن خوف عوده فلم نزل نبتليهم بأنواع البلايا كالقتل والاسر وهم كذلك (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون) أى آيسون عن كل خير فلو رحمناهم بعد الاياس لم يبالوا بشدة العذاب بعده اذ يرجون العود الى الخير (و) لا يبعد ان يفتح عليكم هذا الباب لانه جمع لكم أصول النعم المستتبعة ما لا ينحصر من فروعها اذ (هو الذى أنشأ لكم السمع) أفرده لان سمع القلب لما كان تابعا للظاهر جعلا كامر واحد (والابصار) بصر العين وبصر القلب وبصر الكشف (والافئدة) الفؤاد الظاهر والباطن لتشكروه وغاية ما يمكنكم لكنكم (قليلا) من الشكر (ما تشكرون) فكيف لا يغضب عليكم غضبا يفتح عليكم بابا ذا عذاب

واعرض لك الشئ ظهر ومنه قول عمرو بن كلثوم
وأعرضت اليمامة واشمخرت ... كاسياف بايدى مصلتينا
(قوله عز وجل عنت الوجوه للحى القيوم) أى استأسرت وذلت وخضعت (قوله جل وعز عزما) يعنى رأيا معزوما عليه (قوله عز وجل عشير) أى خليط معاشر (قوله جل وعز عذاب يوم عقيم) يعنى عقم أن يكون فيه خير للكافرين (قوله عز وجل علقة) دم جامد يتعلق

شديد (و) لا مانع من غضبه من عدم وصولكم اليه اذ (هو الذى) جعل لكم الوصول الى مطالبكم اذ (ذرأكم) أى بثكم (فى الارض) التى تفرقت المطالب فيها (واليه تحشرون) أى تجمعون للسؤال عن الشكر عن حصول تلك المطالب (و) كيف تستبعدون منه الاثابة والمعاقبة اذ (هو الذى يحيى ويميت) فى الدنيا فلا يبعد عليه ان يحيى بالثواب ويميت بالعقاب (و) كيف ينكر العذاب وهو اما بالحر واما بالبرد فله أن يعذب بايهما شاء اذ (له اختلاف الليل والنهار) بالبرودة والحرارة (أ) تنكرون البعث بعد هذه الوجوه (فلا تعقلون) أى فلا تنظرون بالعقل فيها لكنهم ما عقلوا (بل قالوا مثل ما قال) الحق (الاولون) اعتبارا الاوليتهم مع انها لا ترفع الحاقة (قالوا ءاذا متنا و) بعدنا من قبول الحياة اذ (كنا ترابا وعظاما) أبعد من التراب فى قبول الحياة لان التراب قبلها مدة ثم تركها والعظام لم تقبلها أصلا فى زعمهم (ءانا لمبعوثون) ايتحقق بعثنا جزما ولا دليل عليه سوى الوعد الكاذب (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل) فلم يظهر لنا ولا بائنا ما صدقه (ان هذا) أى ليس القول بالبعث والجزاء (الا أساطير الاولين) أى أكاذيبهم التى سطروها (قل) لمنكرى البعث استبعادا لقلب التراب انسانا (لمن الارض ومن فيها) ايجادا (ان كنتم تعلمون) انها حادث مسبوق بالعدم (سيقولون لله قل أ) تنكرون قلبها ممن أوجدها وأوجد ما فيها (فلا تذكرون) أن القلب أيسر من الايجاد عن عدم فان زعموا ان الروح الانسانى اذا صار الى العالم الاعلى بعد النزول لا ينزل (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أ) تنكرون قدرته على انزال الروح من أحدها الى ما دونه (فلا تتقون) عقابه بالقول بعجزه فان زعموا ان الروح من عالم الملكوت اذا التجأت اليه فمن يردها عنه (قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير) من يشاء منه (ولا يجار عليه) فلا يمكن للملكوت ان يمنع مراد الله (ان كنتم تعلمون) ان الله لا يغالب أصلا (سيقولون لله قل فأنى تسحرون) اى تخدعون عن الرشد ما خدعناهم (بل أتيناهم بالحق و) ان خالف قول آبائهم (انهم لكاذبون) ككذبهم فى نسبة الولد والشريك فانه (ما اتخذ الله من ولد) لان الولد لا بد وان يناسب الوالد فى أخص أوصافه وهو وجوب الوجود فلا يتصور فى الولد لوجوب تأخيره عن الوالد (وما كان معه) فى وجوب الوجود (من اله) لانه يجب أن يتخالفا بالذات والاشتراك فى ذاتى واختلافا فى آخر فيلزم افتقارهما الى أجزائهما والمتخالفان فى الذات يجب أن يتخالفا فى الافعال فاقل ما فيه انه يجب ان لا يرتبط كل ما فى العالم بالآخر (اذا لذهب كل اله بما خلق) لكنه خلاف ما تقرر عند أهل التحقيق من ارتباط الكل بالكل (و) أيضا لو كان معه اله (لعلا بعضهم) علوا كاملا (على بعض) علا على الاول بما علا به الاول عليه من كل وجه اذ علو الالهية بالعلو الكامل لكنه محال (سبحان الله عما يصفون) من نسبة الولد والشريك اليه ومن علو الاله أنه يجب ان يكون محيطا بالكل لذلك هو (عالم الغيب والشهادة) فيلزم ان يكون كل واحد منهما محيطا ومحاطا من وجه واحد وهو محال (فتعالى عما يشركون) وتعاليه

(قوله عز وجل العادين) يعنى الحساب (قوله عز وجل عبدت بنى اسرائيل) يقول اتخذتهم عبيدا لك (قوله عز وجل عورة) أى معورة للسراق يقال اعورت بيوت القوم اذا ذهبوا عنها فامكنت العدو ومن أرادها واعور الفارس اذا بدا منه موضع خلل للضرب والطعن وعورة الثغر المكان الذى يخاف منه (قوله عز وجل عرم) جمع عرمة وهى سكر للارض مرتفعة

يقتضى غضباً على المشركين يقرب عقابه منهم بحيث يخاف أن يلحق من يصاحبهم فى الدنيا
لذلك قال (قل رب اماترينى) أى ان تحقق اراءتك اياى (ما يوعدون رب فلا تجعلنى فى القوم
الظالمين) فان مقتضى تربيتك اياى بوجوه التربية ان تميزنى عنهم مع تحقق المميز الذى هو
ظلمهم (و) ليس ذلك بطريق المبالغة فى التخويف بل يجب ان يخاف ذلك على التحقيق (آنا
على أن نريك مانعدهم لقادرون) لكنا لا نريك بل نمنعك ان تدعو عليهم بذلك بل (ادفع
بالتى هى أحسن) أى المناظرة المشتملة على المقدمات الواضحة (السيئة) من شبهاتهم
فانا نعلم مايزيل عن قلوبهم مايصفون به ربهم (نحن أعلم بما يصفون) به ربهم ما يندفع
بالمقدمات القطعية (وقل رب أعوذ بك من همزات) أى وساوس (الشياطين) فى قطعية
تلك المقدمات فتزعم انه مامن مقدمة الا ويحتمل ان يعترض عليها بوجه من الوجوه (واعوذ
بك رب أن يحضرون) فيمنعوا من الالتفات الى تلك المقدمات بالكلية بان يشتغل عنها بامر
آخر (حتى اذا جاء أحدهم الموت) الكاشف عن مدلولها (قال رب ارجعون) اى
ارجعنى قالوا لتعظيم المخاطب فانه قد ظهر لى المدلول الذى فاتنى العمل بمقتضاه (لعلى أعمل
صالحا) من الاعمال الباطنة والظاهرة وهو وان لم يأت بعد الموت اجعلوه من لطفكم
محسوبا (فيما تركت) من العمر خالياً عنه فيقال له (كلا) ارتدع عن طلب الرجعة ولكنه
لايرتدع عن طلب الرجعة (انها كلمة هو قائلها) دائما (و) لا تقيدهم اذ (من ورائهم)
الذى بينهم وبين مايريدون الرجوع اليه (برزخ) أى حجاب لايخرق (الى يوم يبعثون)
وهو يوم نفخ الصور (فاذا نفخ فى الصور) انخرق الحجاب فرجعت النفس الى البدن للجزاء
الحقيقى بعد الخيالى فى البرزخ لكنه لما كان بلا واسطة الآباء (فلا أنساب بينهم يومئذ) حتى
يحمل بعضهم من بعض الثقل (ولا يتساءلون) ولا يسأل فيه بعضهم بعضاً ليعطيه شيأ من
ثوابه أو يحمل شيأ من عقاب صاحبه فلا ينافى هذا قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون
ولا القول بالشفاعة (فمن ثقلت موازينه) أى موزونات أعماله الظاهرة والباطنة بان كان
لها مقدار (فأولئك هم المفلحون) بقدر ذلك ثواباً ودرجة (ومن خفت موازينه) بان لم
يكن لاعماله مقدار (فأولئك الذين خسروا) أى غبنوا (أنفسهم) بتضييع كمالاتها ومن
خفتها ثقل صاحبها فهم (فى جهنم خالدون) ولخسرانهم الكمال المانع من شدة العذاب سيما
من الوجه (تلفح) أى تحرق حرقاً شديداً (وجوههم) التى هى مجمع أكثر النعم من الحواس
الظاهرة والباطنة وقد كفروا بها (النار وهم فيها كالحون) تقلصت شفاههم فبلغت العليا
وسط الرأس والسفلى السرة لوصول المطاعم والمشارب المكفورة أو المحرمة اليها أولا ويقال
لهم انكم وان استحققتموه من غير اعلام فقد أعلمناكم بابلغ الوجوه (ألم تكن آياتى) القاهرة
المكثرة (تتلى عليكم) مرة بعد أخرى (فكنتم بها) حال تلاوتها او بعدها (تكذبون قالوا
ربنا) بالغت لنا فى اعلام أسباب الشقاوة لكن (غلبت علينا شقوتنا) التى فى استعدادنا
(وكنا) مع وضوح تلك الآيات وكثرتها ودوام تلاوتها (قوماً ضالين) لا نلتفت اليها (ربنا)

(قوله عز وجل العرم) المسناة وقيل العرم اسم الجرذ الذى نقب السكر (قوله عز وجل عززنا) وعززنا بمعنى واحد قوينا وشددنا (قوله عز وجل بالعراء) هو الفضاء الذى لا يتوارى فيه بشجر ولا غيره ويقال العراء وجه الارض (قوله عز وجل وعزنى فى الخطاب) أى غلبنى وقيل عزنى أى صار أعز منى (قوله عز وجل عارض ممطرنا) أى سحاب ممطرنا (قوله عز وجل عزها) أى

الذي مننت علينا باعلام فلك الاسباب (أخرجنا) بعنك (منها فان عدنا) فلا عذر لنا بعده (فانا ظالمون) دائما (قال اخسؤا) أي ابعدوا عن مقام السؤال بالبقاء (فيها ولا تكلمون) في تخفيف عذابها وكيف أخرجكم واغفر لكم وأرحمكم مع انكم سخرتم ممن طلب مني ذلك

(انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) أي مسخرة في جميع أقوالهم وأفعالهم ولم تزالوا تسخرون بهم (حتى أنسوكم ذكري) فصرتم محل الضحك (و) لكنكم (كنتم منهم تضحكون) وهم لم يزالوا صابرين على سخركم ودحككم فمقتضى فعلكم هذا بأولياني ان أعذبكم بهذا العذاب لو لم تكفروا ثم اني أزيد في تعذيبكم بالاحسان الى من سخرتم منهم (اني جزيتهم) بالثواب بلا حساب (اليوم) الهائل (بما صبروا) فاستقروا على ايمانهم وأعمالهم (أنهم هم الفائزون) درجات الجنات على عداوتكم وكفى به عذابا لكم (قال) ضيعتم الفوز الابدي بسخركم على من ترك التنعم في الايام القلائل الدنيوية (كم لبثتم في الارض) المشتملة على تلك النعم التي لا نسبة لها الى نعم الجنة (عدد سنين) لا نسبة له الى الابد (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) بالنسبة الى أيام الآخرة ولا نحقق مقدار ذلك على التعيين لانا مشغولون بالعذاب عن احصائه (فاسئل العادين) أي الملائكة الذين يعدون أعمار الناس وأعمالهم (قال ان) أي ما (لبثتم الا قليلا) انتفعتم بمعرفة ذلك (لو أنكم كنتم تعلمون) مقدار هذه الايام في الدنيا لكن ما كنتم تعتقدون هذه الايام لانكاركم الجزاء (أ) أنكرتموه (فحسبتم) أي فظننتم (أنما خلقناكم عبثا) لا لمعرفتنا ولا لعبادتنا (وأنكم الينا لا ترجعون) للجزاء على الاتيان بهما ولا على تركهما (فتعالى الله) الجامع للكمالات عن العبث وكيف لا يقصد بالخلق المعرفة والعبادة وهو (الملك) وكيف يترك الجزاء وهو (الحق) وكيف لا يكون ملكا حقا وهو المفرد بالالهية اذ (لا اله الا هو) وكيف لا يتفرد بالالهية وهو (رب العرش) المحيط بالكل فتحيط الهيته بالكل مع اتصافه بوصف (الكريم) المقتضى عموم الفيض (ومن يدع مع الله) المحيط الهيته بالكل مع عموم فيضه (الها آخر) مع كونه محاطا به ومفاضا عليه فلا يتصور الهيته فان تصورت (لا برهان له به) فان كان لم يحاسب عند شريكه للجزاء (فانما حسابه عند ربه) ففي كل حال (انه لا يفلح الكافرون و) كيف يفلح أهل الشرك الجلي مع انه يجب ان يخاف أهل الشرك الخفي لذلك (قل رب اغفر) لأهل الشرك الخفي كمن يدعي لنفسه الوجود (وارحم) برفع الشرك الخفي بالفناء فيك (وأنت خير الراحمين) بالابقاء بك فافهم تم * والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة النور)

سميت به لاشتمالها على ما أمكن من بيان النور الالهي بالتمثيل المفيد كمال المعرفة الممكنة لنوع الانسان مع مقدماتها وهي أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلي باحاطته بالكمالات في السورة المحيطة بالتجليات ومقدماتها (الرحمن) بانزالها الدال على ظهوره في كل مظهر

بمقداره

عرضهم منازلهم فيها وقيل عرفها لهم أي طيبها لهم يقال طعام معرّف أي مطيب (قوله عز وجل عتيد) أي حاضر (قوله عز وجل ذو العصف والريحان) العصف ورق الزرع يصير اذا يبس وجف تبنا والريحان الرزق وأنشد أبو محمد

سلام الاله وريحانه ورحمته وسماء درره

(قوله عز وجل عبقري) هي طنافس ثخان وقال أبو عبيدة تقول العرب لكل شيء من البسط

بمقداره وجعل مقدماته بقدر ما يفيد الاعتدال (الرحيم) بالاطلاع على ذلك بالتذكر من الآيات البينات (سورة) عظيمة محيطة ببيان التجليات الالهية ومقدماتها كتطهير النفس عن الرذائل بالحدود (أنزلناها) لتدل على نزولنا فى التجليات بالمظاهر (وفرضناها) أى قدرنا لها ألفاظا محصورة مع ان معانيها الاتنحصر ليدل على أن التجليات بمقدار المظاهر وان التطهير بمقدار ما يفيد الاعتدال (و) لما لم يظهر هذا الكل واحد (أنزلنا فيها آيات بينات) يطلع على ذلك بالتذكر (لعلكم تذكرون) ثم بدأ بالتطهير عن أخبث الرذائل وهى الزنا اذ يشق التطهير عنها لميل النفس اليها طبعا فقال (الزانية) قدمها لكمالها فى ذلك اذ لا عقل لها كامل يمنعها الافراط فى الشهوات (والزانى) فانه وان كان دونها يستحق مثل ما يستحقها لكمال جنايته من عدم امتناعه من منع العقل الكامل اياه (فاجلدوا) أى فاضربوا بالجلد (كل واحد منهما مائة جلدة) لتكون الضربات المؤلمة بجزاء الضربات الملذة اعتبر عددا وسط الوسطى تقريبا على ان الاقصى تسعية وهو الالف يخاف معه الموت فاقتصر على الاوسط الذى هو غاية عدد العقود وزاد الشافعى فى غير المحصن تغريب عام لحديث البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس فى الآية ما يدفعه فيكون ناسخا والمحصن مخصوص بالاجماع على ان حده الرجم وهو من أصاب فى نكاح صحيح لتحقق سبب النسب فى حقه فاقيم مقامه والزنا قاطع النسب فاقيم مقام القتل واعتبر فيه الحرية لان حد العبد نصف حد الحر ولا يتنصف الرجم واعتبر البلوغ والعقل اذ لا جناية بدونهما (ولا تأخذكم بهما رأفة) أى رقة تعطلون بها ما وجب عليهما (فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله) فان الايمان به يوجب ترجيح أوامره على كل شئ (واليوم الآخر) فان الايمان به يمنع تعطيل الحدود المسقطة للعقوبة الاخروية (وليشهد) أى ليحضر (عذابهما) أى اقامة الحد عليهما (طائفة) أى جماعة أقلها ثلاثة زيادة فى التنكيل واسقاط للفضيحة الاخروية (من المؤمنين) اذ لا يعتد بقول غيرهم ولا بالاشتهار بينهم ثم أشار الى التنفير عن مناكحتهما فقال (الزانى لا ينكح) مع كمال الميل (الا زانية) لان الجنس سبب الميل والالفة والمخالفة سبب النفرة (أو) أخبث منها (مشركة والزانية لا ينكحها) بكمال الرغبة (الا زان) لا يبالى بزنا امرأته (أو) أخبث منه (مشرك وحرم ذلك) النكاح أى نهى عنه تنزيها (على المؤمنين) لانه سبب الطعن فى النسب وتعرض للتهمة وتشبه بالفساق ولو حمل على الحقيقة فلا يفسد العقد لان الفساد لا يرجع الى نفسه ولا الى جزئه ثم أشار الى زجر من ينفر عن نكاح المحصنات أو يوقع التنافر بينهن وبين أزواجهن (والذين يرمون) أى يقذفون بالزنا (المحصنات) الحرائر البالغات العاقلات المسلمات العفيفات عن الزنا (ثم لم يأتوا باربعة شهداء) على انهم رأوا مثل الميل فى المكحلة خص هذا العدد لان المتجرئ على تحقق هذه الهيئة لا يكون الا قليل الحياء ضعيف المروءة فاكد بتضعيف العدد (فاجلدوهم ثمانين جلدة) لانهم يقربون فى ايذائهن من ضربهن بحد الزنا فنقص من حدها أقل من الربع الذى يقوم مقام الكل

عبقرى ويقال عبقر أرض يعمل فيها الوشى فنسب اليها كل شئ جيد ويقال العبقرى الممدوح الموصوف من الرجال والفرش ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى عمر رضى الله عنه فلم أر عبقريا يفرى فريه (قوله عز وجل عتت عن أمر ربها) يعنى عتا أهلها عن أمر ربهم أى تكبروا وتجبروا ويقال جبار عات (قوله عز وجل عبس

فى الجلد فنقص منه الخمس (ولا تقبلوا لهم) أى للقاذفين (شهادة أبدا) لظهور كذبهم (وأولئك) وان حدوا فاسقط عنهم العقوبة الاخروية (هم الفاسقون) لخروجهم عما وجب عليهم من رعاية حقوق المحصنات (الا الذين تابوا) من القذف بتكذيب أنفسهم (من بعد ذلك وأصلحوا) بالاستحلال من المقذوف أو التمكين من الحد والاستمرار على ذلك (فان الله غفور) لهم بالتوبة (رحيم) بقبول الشهادة ولما لم يتضرر القاذف الاجنبى بزنا المقذوفة ألزم الشهود أو الحد ولما تضرر الزوج بزنا زوجته أقيمت شهادته بالله مؤكدة باللعنة مقام الشهود فقال (والذين يرمون أزواجهم) بالزنا (ولم يكن لهم شهداء) اذلم يحضرها (الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين) فيما رماها به (و) لما كان الشاهد هو المدعى أكدت شهادته باللعنة فيقول المرة (الخامسة أن لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين) فيسقط عنه حد القذف ويجب عليها الرجم وتقع فرقة الفسخ بنفسه مؤبدة عندنا وفرقة الطلاق بالحاكم الى أن يكذب نفسه عند أبى حنيفة وينتفى الولد ان تعرض له فى الشهادات واللعنة (ويدرأ عنها العذاب) أى يدفع عنها الرجم لا الفرقة ولا ينبت الولد ولا حد القذف على الزوج (أن) تعارض شهادته بشهاداتها ولعنته بغضبها أن (تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين) فيما رماها به (و) لما كانت من المدعى عليها أكدت بالغضب فتقول (الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين) والغضب زائد على اللعنة اذ هى قطع الرحمة كيف وقد دفعت عن نفسها الرجم والزوج انما دفع ثمانين جلدة عن نفسه (ولولا فضل الله عليكم) بالستر حتى على المتجرئ على الله بالشهادات الكاذبة وباللعنة أو الغضب (ورحمته) بالابقاء لفضح الكاذب أو اهلاكه فى الحال (و) لكنه مكن من التوبة والمعارضة (أن الله تواب حكيم) اقتضت حكمته ان لا يتلف الانسان ما أمكن ابقاؤه واصلاحه وليس هذا الفضل والرحمة والتوبة لاهل الافك على أهل بيت رسول الله بل المكذوب عليه سيما من أهله عليه السلام بالفضل والرحمة أولى * روى انه عليه السلام استصحب عائشة فى غزوة فاذن ليلة بالقفول فى الرحيل فمشت لقضاء الحاجة ثم عادت فامست صدرها فلم تجد عقدا من جزع ظفار فرجعت تلتمسه وظن الذى كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد أحدا فجلست تنتظر منشدا وكان صفوان بن المعطل السلمى قد عرس وراء الجيش فأصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فقال عبد الله بن ابى ابن سلول ان امرأة نبيكم باتت برجل فتبعه زيد بن رفاعة وحسان ابن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش فقدمت المدينة واشتكت بها شهرا والناس يفيضون فيها ولم تشعر بشئ من ذلك ولم تر من النبى صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كانت تراه قبل انما يدخل فيسلم ويقول كيف تيكم ثم ينصرف ثم نقهت فخرجت مع ام مسطح قبل المبرز فعثرت ام مسطح فقالت تعس مسطح فقالت اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت ياهنتاه الم تسمعى ما قال فأخبرتها بالافك فازدادت مرضا فلم يرقا لها دمع ولم تكتحل بنوم فدخل رسول الله صلى

(وعسعس) أى كلح وكره وجهه (وقوله عز وجل عبوسا قمطريرا) اليوم العبوس الذى يعبس الوجوه والقمطرير والقماطر الشديد (قوله عز وجل عطاء حسابا) أى كافيا يقال أعطانى ما احسبنى أى كفانى قيل أصل هذا ان تعطيه حتى يقول حسبى (عسعس الليل) أى أقبل ظلامه ويقال أدبر ظلامه وهو من الاضداد

الله عليه وسلم فجلس عندها ولم يكن يجلس عندها منذ قيل فيها ذلك وقد مكث شهرا لا يوحى
ثم قال لها يا عائشة انه قد بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت المت
بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه قالت عائشة
رضي الله عنها فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه قلص دمعي فقلت اني قلت
بريئة والله يعلم أني بريئة لم تصدقوني وان اعترفت لكم بأمر والله يعلم اني بريئة لتصدقن
فوالله ما اجد لي ولكم مثلا الا ما قال يعقوب فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون
تحولت فوالله ما رام مجلسه حتى أنزل الله على رسوله فأخذه من البرحاء ما يأخذه حتى يتحدر
منه مثل الجمان من العرق في يوم شات من ثقل ما نزل عليه فسري عن رسول الله صلى
عليه وسلم وهو يضحك ويقرأ (ان الذين جاؤا بالافك) اي الكذب الذي يصرف به
الحق لان ذم اهل بيته عليه السلام وتهمتهم مما يلحق به عليه السلام نقيصة (عصبة)
اي جماعة حقهم ان يقووكم لانهم (منكم) لكنهم يقوون اعداءكم باختراع التهمة
عليكم (لا تحسبوه شرا لكم) يثبت التهمة عليكم ويوقع النقيصة فيكم (بل هو خير لكم)
اذ يتولى الله براءتكم فينزلها من سمائه وحيا معجزا يذكر فيه ثناءكم وذم اعدائكم فهم
اهم (لكل امرئ منهم) جزاء (ما اكتسب من الاثم) جلد كل واحد منهم ثمانون فا
وذموا الى يوم القيامة وصار حسان اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف البصر (والذي
تولى كبره منهم) اي تحمل عظمه وهو القيام باشاعته بعد ابتدائه بالخوض فيه
عبد الله بن ابي (له عذاب عظيم) يذم على نفاقه ويحرق بالنار في الدرك الاسفل (لولا اذ
سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) فظنوا انهم لو كانوا مكان صفوان لم يجترؤا
على هتك حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهن لو كن مكان عائشة لم تخن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكيف هتك حرمته صفوان وكيف خانت عائشة (وقالوا هذا) ما
يقال فيها بهذه الامارة (افك مبين لولا جاؤا) اي لولم يأتوا (عليه باربعة شهداء) ولو
لا عبرة لهذه الامارة مع الشهود البالغين النصاب (فاذ لم يأتوا بالشهداء) صارت الامارة
مع البراءة الاصلية وعدم تحققه في الواقع دليلا قطعيا (فاولئك عند الله هم الكاذبون)
اي الجامعون لوجوه الكذب (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا) بالامهال للتوبة
والاستحلال (والآخرة) بالعفو بعدهما (لمسكم) عاجلا من اجل خوضكم (فيما) اذ
كثرتم اشاعته كأنكم (افضتم فيه عذاب عظيم) يستحقر عنده الجلد والذم سائرهم
على اهل الافك (اذ تلقونه) اي وقت تلقي بعضكم من بعض (بألسنتكم وتقولون
بأفواهكم) وراء التوهم بالباطن (ما ليس لكم به علم) في حق الصديقة بنت الصديق
حبيبة حبيب الله (و) كيف لا يعجل عقابكم وأنتم (تحسبونه هينا) سهلا لا تبعة فيه (وهو عند
الله عظيم) لان الجراءة على رسول الله وعلى أوليائه تشبه الجراءة على الله (و) مع ظهور عظمه
عند الله (لولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) في حق الصديقة بنت الصديق

(قوله عز وجل عدلك) اي قوم خلقك وعدلك بالتخفيف صرفك الى ما شاء من الصور في الحسن والقبح (قوله عز وجل عين آنية) يعني قد انتهى حرها (قوله عز وجل والعصر) هو الدهر أقسم به (قوله عز وجل عصف مأكول) العصف والعصيفة ورق الزرع وما كول أخذ ما فيه من الحب فأكل وبقي هو لا حب فيه وفي الخبر ان الحجر كان يصيب أحدهم على رأسه فيجوفه حتى

حبيبة حبيب الله مع انه نهى عن غيبة آحاد المؤمنين وقذفهم (سبحانك) من ان تجب الى حبيبك من يأتيه بالمنقصة من جهته (هذا بهتان) اى كذب يتحير فيه (عظيم) ولكونه بهتانا عظيما فى حق من يجب تنزيه الله أن يوقع فيه النقيصة به (يعظكم) اى ينهاكم (الله أن تعودوا) وتذعنوا (لمثله أبدا) مادمتم مكلفين تسمعون فيه هذا الوعظ البتة (ان كنتم مؤمنين و) ليس النهى عنه على سبيل التعبد المحض بل (يبين الله لكم الآيات) الدالة على وجوه قبحه (والله عليم) بوجوه أخر من القبح فيه (حكيم) لا يبين منها الا ما يقبله الكل ويكفى من قبائحه ان فيه حب اشاعة الفاحشة فى اخص اهل بيت رسول الله وهو دون حب اشاعتها فى العامة (ان الذين يحبون أن تشيع) اى تنتشر (الفاحشة فى) عوام (الذين آمنوا) لينتقض عرضهم (لهم عذاب اليم فى الدنيا) بالجلد ورد الشهادة (والآخرة) بالنار وكيف لا يعظكم الله (والله يعلم) ما فى اشاعتها من المفاسد كافساد ما بين الزوجين وقطع النسل والطعن فى النسب (وأنتم لا تعلمون) والجاهل لا بد وان يعظه العالم (ولولا فضل الله عليكم) ما وعظكم (و) لولا (رحمته) عليكم لعذبكم قبل ان يعظكم (و) لولا (ان الله رؤف) لما نهى عما يؤدى الى المفاسد ولولا انه (رحيم) لما نبه على تلك المفاسد وانما كان لمحبى اشاعة الفاحشة فى المؤمنين هذا العذاب لانه من اعلى مراتب متابعة خطوات الشيطان (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم معاداة الشيطان ومخالفته فى كل ما يرضاه (لا تتبعوا خطوات الشيطان) اى آثاره (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه) ربما ينتهى الى حيث (يأمر) الناس (بالفحشاء) اى القبائح الشنيعة (و) لو لم يأمر بها امر بشئ من (المنكر) الذى ينكره العقل والشرع (و) ان لم يأمر فلا اقل من ان يتأثر فى نفسه ولا يخلو منه سوى من خص بفضل الله وبرحمته فانه (لولا فضل الله عليكم) بافاضة الاخلاق الفاضلة (ورحمته) بتوفيق الاعمال الصالحة (ما زكى) اى ما طهر عن الرذائل او الافعال القبيحة وان كان (منكم من أحد أبدا) اى فى وقت من الاوقات لاستيلاء الشيطان عليكم أو باستيلاء الشهوات والغضب عليكم (ولكن الله) لكمال قدرته (يزكى من يشاء) مع وجودهما فيه (و) ليس ذلك على سبيل التحكم بل بحسب استعدادات الحقائق لسماعه دعواتها وعلمه بمقتضياتها اذ (الله سميع عليم و) اقل آثار الشيطان المنع من الخير سيما اذا عظم وقد عرض فيه مانع من الغضب أو الشهوة (لا يأتل) اى لا يقصر (أولوا الفضل منكم والسعة) اى اصحاب الاخلاق الفاضلة والقلوب الواسعة للصبر (أن يؤتوا) أرزاق (اولى القربى و) مع ذلك كانوا (المساكين والمهاجرين فى سبيل الله) فان من اتصف باحدى هذه الاوصاف لا ينبغى ان يقصر فى حقه فكيف فى حق من جمعها (و) لو نظروا الى ما صدر عنهم (ليعفوا) اى ليتجاوزوا (و) لو نظروا الى ان العفو عنهم كاف فى الاحسان اليهم (ليصفحوا) اى ليعرضوا عن هذا النظر ولينظروا الى ما بينهم وبين الله من المعاصى (ألا تحبون أن يغفر الله لكم و) لا يبعد أن يغفر للغافر حيث تخلق باخلاقه اذ (الله غفور)

يخرج من أسفله ويصير كقشر الحنطة وكقشر الارز المجوف

(باب العين المضمومة)

(قوله عز وجل عدوان) اى تعد وظلم (قوله عز وجل الا على الظالمين) ولا عدوان الا على ظالم اى فلا جزاء ظلم الا على ظالم

(قوله عز وجل عرضة لايمانكم) نصبا لها ويقال هذا عرضة لك اى عدة لها ويقال عرضة لك اى عدة مقبولة فيما تشاء

(قوله عز وجل عروشها) اى سقوفها (قوله عز وجل خاوية على عروشها) اى تسقط السقوف ثم تسقط

ولا يبعد ان يرحم مع الغفران فانه (رحيم) نزلت في مسطح كان ابن خالة ابي بكر مسكينا مهاجرا وكان ابو بكر قد حلف ان لا ينفق عليه ما كان ينفقه من قبل فلما قرأها عليه السلام على ابي بكر قال انا احب أن يغفر الله لي والله لا انزعها منه أبدا ثم أشار الى ان الله تعالى وان كان غفورا رحيما لا يغفر حق الغير من غير عفو منه سيما اذا عظم الحق كالقذف والمستحق (ان الذين يرمون المحصنات) اى المتعففات (الغافلات) عن الزنا بمقدماته سيما اذا نهاهن ايمانهن لكونهن (المؤمنات لعنوا في الدنيا) بالذم والحد ورد الشهادة (والآخرة) بالنار (ولهم عذاب عظيم) فوق عذاب سائر وجوه السب ومن عظمته انه يكون (يوم تشهد عليهم ألسنتهم) بأن تضطر الى الاقرار بما كلمت من القذف (وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) مما دعاهم الى القذف (يومئذ) لا يسامحهم الله في التعذيب وان سامح اليوم في الحدود بل (يوفيهم الله دينهم) اى جزاءهم (الحق) اى المستحق (ويعلمون) من توفيته بعد اشهاد هؤلاء (أن الله هو الحق المبين) بهذه الشهادات حقيته فيجازى من قذف من غير استبانة حال المقذوف بيانا تاما ومن حقيته رعاية المناسبات لذلك كان من سنته (الخبيثات) من وجوه الجزاء ومن الصفات ومن النساء (للخبيثين) من أهل الجزاء ومن الموصوفين ومن الرجال في المحبة (و) بالعكس (الخبيثون للخبيثات و) كذا في جانب الطيب (الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) فكيف لا يلعن رامى زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وقد وصفها بالخبث مع جمعها وجوه الطيب وجعل حبيبة النبي ومحبته وهو اطيب الطيبين من الخبيثات مخالف السنة الالهية من الوجهين طردا وعكسا بناء على الظن الفاسد الذى لا اصل له بعد معارضته بهاتين السنتين في الجانبين (أولئك) بهذه الوجوه (مبرؤن مما يقولون) وانما سلطوا عليهم ليحمل عليهم معاصيهم اذ (لهم مغفرة و) يرزقوا اجورهم اذ لهم (رزق كريم) ففيه اشارة الى ان الجرم لغاية عظمته لا يفي باعمال القاذف فلا بدله مع انتقال اعماله الى حمل وزر المقذوف (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ان لا تنفروا بين الزوجين ولو بالدخول عليهما وقت غفلتهما فضلا عن التنفير الابدى سيما بين طيبين طاب ما بينهما (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) فانه لا يحتاج الى الاستئناس لان دخوله محصل له (حتى تستأنسوا) اى تستأذنوا اذنا يوجب الانس (وتسلموا على أهلها) ليؤمنهم عما يوحشهم (ذلكم) الاستئناس والتسليم (خير لكم) من الدخول بغتة وقول الجاهلية حييتم صباحا وحييتم مساء (لعلكم تذكرون) بذلك التنفير الابدى بين الزوجين سيما اذا كانا طيبين (فان لم تجدوا فيها أحدا) يجيبكم فلعل هناك امرأة لا تكلمكم (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) اى حتى يأتى من الرجال من يأذن لكم لانه مظنة التهمة (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) من غير الحاح على صاحب البيت فلعله مشتغل بأمر يخفيه عنكم (هو أزكى لكم) اى انمى لمحبتكم (والله بما تعملون) من المكر على صاحب البيت والخيانة بأهله أو ماله (عليم) هذا كله في البيوت المسكونة (ليس عليكم جناح أن

(قوله عز وجل عقود) اى عهود (قوله عزوجل عرف) اى معروف (قوله عصبة) اى جماعة من العشرة الى الاربعين (عقبى) اى عاقبة (وقوله عتيا) وعسيا بمعنى (وقوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا) اى يبسا وكل مبالغ في كبر أو كفر فقد عتا وعتيا وعسا عتيا وعتوا وعسيا وعسوا (قوله عز وجل عقدة من لساني) يعنى رتة كانت في لسانه اى حبسة قال ابو عمر سمعت علي الحيطان

تدخلوا بيوتا غير مسكونة) ولو لغيركم ان كان (فيها متاع لكم) فانه قرينة رضا
صاحبها (والله يعلم ما تبدون) من الدخول للمتاع (وما تكتمون) من قصد الاستيلاء عليه
او الذهاب باجنبية هناك ثم أشار الى ان من اسباب التهمة مد البصر والالتفات الى المحرمات
(قل للمؤمنين) مقتضى ايمانكم التحرز عن التهمة (يغضوا من أبصارهم) اى بعض
نظر أبصارهم فيقصروا نظرهم الى الارض التي يمشون عليها (و) لو وقع نظرهم (يحفظوا
فروجهم) والحفظ وان كان هو المقصود لكن (ذلك) الغض (أزكى) اى اطهر
(لهم) والغض وان اظهر الزكاء فانما يتحقق بزكاء الباطن من الميل (ان الله خبير
بما يصنعون) من ستر الباطن بافعال الظاهر (وقل للمؤمنات) لا يكفيهن الاحتجاب من
الرجال مع نظرهن اليهم (يغضضن من أبصارهن) فلا ينظرن الى ماوراء الحجاب (و) ان وقع
نظرهن (يحفظن فروجهن) وان لم يخرجن من الحجاب فانه يسهل عليهن ادخال الرجال في
الحجاب (و) لا يكفيهن الغض والحفظ مع اظهار الزينة (لا يبدين) اى لا يظهرن (زينتهن الا
ما ظهر منها) عند مزاولة الاشياء كالثوب والخاتم فان في اخفائه حرجا (وليضربن بخمرهن)
اى وليسترن بمقانعهن شعورهن واعناقهن وقرطهن وصدورهن بالقائها (على) مواضع
(جيوبهن) النحر والصدر (ولا يبدين زينتهن) غير المستثنى (الا لبعولتهن) اى لازواجهن
فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع البدن (أو) لمحارمهن الذين يؤمن
الفتنة من قبلهم مثل (آبائهن) لانهم أولياؤهن الذين يحفظونهن عما يسوءهن (أو آباء
بعولتهن) لانهم يحفظون على أبنائهم ما يسوءهم (أو أبنائهن) لان شأنهم خدمة الامهات
لاستخدامهن (أو أبناء بعولتهن) لان شأنهم خدمة الآباء وخدمة احبابهم (أو اخوانهن)
لانهم الاولياء بعد الآباء (أو بني اخوانهن) لانهم اولياء بعد الاخوة (أو بني أخواتهن)
لانهم كبني الاخوة في القرابة فيتعيرون بنسبة السوء الى الخالة تعيرهم بنسبته الى العمة
(أو نسائهن) وان خيف منهن السحاقة فالايمان مانع منها وهو نادر (أو ما ملكت أيمانهن)
لاحتياجهن اليهم فلو منع دخولهم عليهن اضطررن (أو التابعين) اى الخدام لانهم في معنى
العبيد (غير اولى الاربة) اى الحاجة (من الرجال) كالخصي والشيخ الهرم والابله
(أو الطفل الذين) لم يبلغوا حدة الشهوة اذ (لم يظهروا على عورات النساء) اخرهم عن
التابعين المذكورين لانهم يرجى لهم الاربة دونهم (و) كما يجب الاخفاء عن البصر يجب
عن السمع (لا يضربن بأرجلهن) الارض (ليعلم ما يخفين) عن الابصار (من زينتهن)
كالخلخال فانه يورث ميلا في الرجال (وتوبوا الى الله) وان لم تستحلوا من الازواج (جميعا)
اذ لا يخلو أحد عن مباشرة منهي مما ذكر (ايه المؤمنون) لئلا تستحلوا ما حرم من ذلك
فتكفروا (لعلكم تفلحون) بسلامة الايمان والنجاة عن التبعات ثم أشار الى ما يتمكن به
من ترك الزنا والتحرز من تهمته والتحفظ على التوبة فقال (وأنكحوا) ولاية أو اشارة
(الايامى) جمع ايم من لا زوجة له أو لا زوج لها (منكم) ايها الاحرار ولم يقيد بصلاح اذ

لا يتصور.

المبرد يقول طول السكوت
حبسة (قوله عز وجل العلى)
جمع علياء (قوله عز وجل
المرجون) عود الكناسة
(قوله عز وجل عجاب)
وعجيب بمعنى (عربا أترابا)
جمع عروب وترب والعروب
المتحببة الى زوجها ويقال
العاشقة لزوجها ويقال
الحسنة التبعل (قوله جل
ذكره عتل بعد ذلك زنيم)
العتل الفظ الغليظ الكافر
ههنا والعتل الشديد من
كل شيء قال ابو عمر عن ثعلب
عن ابن الاعرابي قال العتل
الجافي عن الموعظة

لا يتصور بنكاح من لا صلاح له من الاحرار بل يكون داعيا له الى الصلاح (والصالحين من عبادكم وإمائكم) قيدهم اذ غير الصالح يقصر بالنكاح فى خدمة مولاه أو عبادة الله لاشتغاله بأمر أهله فلا يندب تزويجه ثم أشار بأن عدم الصلاح وان كان كالمانع عن ندب النكاح فالفقر غير مانع منه فقال (ان يكونوا فقراء) عن المهر والنفقة (يغنهم الله) بعطاء (من فضله) بأن يعطيهم مالا أو صبرا (و) لا يمنعهم من ذلك ان لا يروا انفسهم اهلا للفضل اذ (الله واسع) فان ضيق فلعله بأن الغنى يطغيهم لانه (عليم و) هو وان توسع على هؤلاء لا يتوسع على اهل الزنا لذلك (ليستعفف) اى ليجتهد فى العفة (الذين لا يجدون نكاحا) اذ لا يرغب فيهم لفقرهم (حتى يغنيهم الله) بعطاء (من فضله) مالا للزوج أو صبرا للزوجة ثم اشار الى انه يمكن للسيد ان يغنى العبد من فضله وان كان لا يملك بتمليكه شيأ بأن يكاتبه فقال (والذين يبتغون الكتاب) اى الكتابة (مما ملكت ايمانكم) قنا أو مدبرا أو مستولدة (فكاتبوهم) وهو ان يقول السيد كاتبتك اى جعلت عتقك مكتوبا على نفسى بمال كذا تؤديه فى نجوم كذا او يقبل العبد ذلك فيصير مالك المكاسبه وما يوهب له وانما وجب معه الامهال لان الكسب لا يتصور بدونه واشترط النجوم لئلا تخلو تلك المدة عن الخدمة وعوضها جميعا (ان علمتم فيهم خيرا) كالامانة لئلا يؤدوا النجوم من المال المسروق والقدرة على الكسب فلا يندب عند عدم ذلك وكذا لو امكن تحصيله بالصدقة لانها من اوساخ الناس (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) خطاب للسادات بالحط وللاجانب باعطاء الزكاة وان كان السيد غنيا لانه كالدائن والمشترى من الذى اخذها صدقة ثم اشار الى انه وان حل اخذ مال الصدقة فلا يحل اخذ اجرة البغية وان كانت مكرهة لا اثم لها فقال (ولا تكرهوا فتياتكم) شواب جواريكم على توهم ان لهن نوع رغبة (على البغاء) اى الزنا كيف وانما يتصور الاكراه (ان اردن تحصنا) فانتم لحريتكم أولى بارادته لكنكم تريدون البغاء وتكرهون عليه (لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا) اى عرضا زائلا يقوم حياة دنية زائلة (ومن يكرههن) آخذه الله باثم الاكراه واثم الزنا لسقوطه عن المكرهة (فان الله) لزناهن الواقع (من بعد اكراههن) لا بعد زواله فى اثنائه (غفور) لانه (رحيم) بالمكرهة وكيف تبتغون عرض الحياة الدنيا باحتمال هذه الآثام الحاجبة عما جعل الله فيكم من قابلية التجلى الالهى على اتم الوجوه واجمعها بانزال اشراق نوره فى قلوبكم (ولقد انزلنا) من مقام الجمع (اليكم) لتستعدوا لتجليه المذكور فيكم بالتنزه الموجب مناسبتكم معه (آيات مبينات) لاحكامه المفيدة للتنزه (ومثلا) يبين تجليه الكامل (من) تجليات الكمل (الذين خلوا من قبلكم) لتقتدوا بهم فى تحصيلها الكمال لكم (وموعظة) زاجرة عما يحجبكم عنها (للمتقين) الذين يتقون تلك الحجب (الله) باعتبار اشراق نور وجوده (نور) وجود (السموات والارض مثل) اشراق (نوره) فيهما كاشراق نور الروح الانسانى ببدنه الذى هو (كمشكاة) الروح (فيها مصباح) ثم الروح لغاية تجرده لا يتعلق بالبدن الا بواسطة القلب كما انه يكون

* (باب العين المكسورة) *

(قوله عز وجل عبرة لاولى الالباب) اى اعتبارا وموعظة لذوى العقول (عيد) كل يوم مجمع قيل يوم العيد معناه اليوم الذى يعود فيه الفرح والسرور والعيد عند العرب الذى يعود فيه الفرح والحزن (قوله عز وجل عوجا) اى اعوجاجا فى الدين ونحوه وعوج ... ل فى الحائط والقناة ونحوهما (قوله عز وجل العدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى) العدوة

(المصباح) فى المشكاة بواسطة كونه (فى زجاجة) هى القنديل فى المشكاة لا يتم صفاء المصباح بدون تلك الزجاجة اذ الزجاجة وان كانت من الاجسام الكثيفة تناسب المصباح فى الصفاء اذ (الزجاجة) فى الصفاء (كأنها كوكب درى) كذلك فى القلب صفاء يناسب صفاء الروح فيتعلق الروح بواسطة القلب بالبدن لان مصباح الروح بواسطة القلب (يوقد) فى البدن (من) لطافة النفس فهى وان كانت من عالم الاجسام فلطافتها بمنزلة الزيت يوقد المصباح من زيت (شجرة مباركة) بكثرة الثمرات كذلك كثرة ثمرات النفس من القوى المدركة والمحركة (زيتونة) جامعة للمنافع اذ تصلح للتسريج والادام والدواء كذلك كثرة منافع النفس من ادراك المحسوسات التى اكتسبت منها المعقولات وليست متعلق الروح بالذات لاتصافها بوصف (لا شرقية) من المجردات (و) مع ذلك صارت واسطة الروح بعينها (لا غربية) من الاجسام المظلمة فهى كزيتون الشام وانما فارقت نفوس سائر الحيوانات لانه (يكاد زيتها) اى لطافتها (يضيء) اضاءة الروح (ولو لم تمسسه) من الروح (نار) كذلك تعلق نور الحق بالعالم بواسطة العقول المتعلقة بالاجسام بواسطة النفوس الكلية المباركة بكثرة الملائكة واذا كان الروح نور البدن والعقول نور العالم والله تعالى نور فوق نور الروح ونور العقول فهو (نور على نور) محجوب بالانوار الروحانية والعقلية احتجابها بدن الانسان والعالم (يهدى الله لنوره) بكشف الحجب الظلمانية والنورانية (من يشاء) فيحصل له التجلى الشهودى (ويضرب الله الامثال للناس) اى الذين نسوا ما فيهم من قابلية ذلك التجلى ليتشوقوا اليه (والله بكل شئ عليم) فلا يضرب المثل الا لمن يفهمه فيتشوق اليه ولا يتجلى بالتجلى الا عقد ارا ستعداد المتجلى له وهو بمقدار طهارة النفس فيكون هذا اعما للمبالغة فيها والذى يشاهدا بتمه بهذا النور القلوب المرفوعة بالاعمال الصالحة من الجوارح وبذكر الله باللسان وتسبيح الخواطر وقت ظهور النور وخفائه ولا تشتغل تلك الخواطر باعمالها اعجابا بها ولا بطلب اجرها ولا يمنعها ذلك الاستغراق عن الاعمال الظاهرة ولا عن المساعى الباطنة فيخاف تقلب القلوب الى الآخرة والابصار الى الدنيا فيكثر فيها نور التجلى الالهى كما يكثر النور المصابيح (فى بيوت) هى المساجد (أذن الله أن ترفع) اى تعظم فكانت واجبة التعظيم ومن تعظيمها تكثير السرج فيها (و) انما أذن برفعها لانه أذن ان (يذكر فيها اسمه) وهو معظم مفيد النور للذاكر يسرى منه الى مكانه وكيف لا يكون فى ذلك المكان نور معنوى مع انه (يسبح له) اى لله لا لطلب اجر منه (فيها بالغدو) لمعانى استزادة النور (والآصال) طمعا فى استرداد ما نقص منه (رجال) كمل يواظبون على الذكر فى كل حال اذ (لا تلهيهم تجارة) جلب متاع (ولا بيع عن ذكر الله) بل يستمرون على ذكره بكل حال اذ لا يحجبهم الخلق عن الحق ولا الحق عن الخلق (و) لا عن (اقام الصلوة) وان احتاجوا الى اعمال التجارة والبيع فيتركونها ويشتغلون باعمال الصلاة (و) لا عن (ايتاء الزكوة) وان كان منافيا للتجارة والبيع فى الظاهر فيجتمع فى حقهم انوار العبادات الظاهرة أيضا وكذا انوار المساعى الباطنة اذ (يخافون) مع ملازمة

الذكر

والعدوة بكسر العين وضمها شاطئ الوادى والدنيا والقصوى تأنيث الادنى والاقصى (العير) الابل تحمل الميرة (عجاف) هى التى قد بلغت فى الهزال النهاية (قوله عز وجل عضين) عضوه اعضاء اى فرقوه فرقا يقال عضيت الشاة والجزور اذا جعلتها اعضاء وقيل فرقوا القول فيه فقالوا شعر وقالوا سحر وقالوا كهانة وقالوا اساطير الاولين وقال عكرمة العضه السحر بلغة قريش ويقال للساحرة

الذكر والاعمال الظاهرة أيضا (يوما تتقلب فيه القلوب) من الايمان الى الكفر أو من
الصلاح الى الفسق (والابصار) من الله الى الآخرة أو منها الى الدنيا أو من الدلائل الى
الشبهات وانما كان ذلك النور لتلك البيوت لان الله تعالى انما جعلهم كذلك (ليجزيهم الله
أحسن ما عملوا) ولا يناسب احسن الاعمال سوى التجلي الشهودي المناسب لتلك الاعمال
وقد تأثر فيه ذلك المكان المبني له فلابد وان يسري اليه من نوره كيف (ويزيدهم) بتجليات
فوق ما يناسب اعمالهم (من فضله) فلا يبعد ان يتفضل على اماكنهم وان لم يكن لها أعمال
(و) لا يبعد من الله تعالى التفضل اذ (الله يرزق من يشاء بغير حساب) فلا يبعد ان يرزق
من تجليه مراتب لا نهاية لها الى الابد فاذا كان للمساجد النور من قلوب اهلها فكيف
يكون حالة تلك القلوب فى التجلي الشهودي وهذا اثر اعمال المؤمنين (والذين كفروا
أعمالهم) اذا تخيلوا فيها احسنا أو من اثرها تجليا جماليا فهي (كسراب) ما يتوهم ماء
جاريا من لمعان الشمس (بقيعة) اى بارض مستوية من استواء ظاهرهم عند لمعان شمس
التجلي الغيبي عليهم وهو وان كان جلاليا فاله عند الظهور جمال فيتوهمون اعمالهم تفيدهم
الحياة الطيبة والتقرب من الله ومحبته ووصولهم اليه كما ان السراب (يحسبه الظمآن
ماء) لحبه اياه وان علم بمجرى العادة انه خيال لكنه لا يزال يحسبه كذلك (حتى اذا جاءه لم يجده
شيأ) كذلك اذا كشف عن أحدهم الحجب لم يجد من الحس المتوهم شيأ ولا من التجلي الجمالي
(و) لكن (وجد الله عنده) متجليا بالتجلي الجلالى القهري فحاسبه بقبائح بواطنه وقبائح
الاعتقادات الفاسدة الحاصلة من خيالهم فى التجلي من الحلول والاتحاد وغيرهما (فوفاه
حسابه) ولا يحسب عليه الاعمال التي هى كسراب لا حقيقة لها (و) قبائحه وان كانت
خفية على صاحبها فلا يتوقف توفية الحساب على ابرازها واحدة بعد اخرى اذ (الله) المطلع
عليها فى الازل (سريع الحساب) فيسرع بهم الى النار (أو) اعمالهم التي يتوهمون انها
تكشف الحجب أو تنورهم بالنور الالهى (كظلمات) لكونهم (فى بحر) من الاعتقادات
الفاسدة (لجى) عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء (يغشاه موج) من الحيرة (من
فوقه موج) من الشبهة (من فوقه سحاب) يحجب عن رؤية الدلائل والكشوف
الصحيحة فهذه (ظلمات) لا تنكشف عنهم لكثافتها عليهم اذ (بعضها فوق بعض) فهو
بحيث (اذا أخرج يده) لاكتساب نور أو كمال (لم يكد يراها) اى لم يقرب من رؤيتها ولم يجعل
الله لهم نور الايمان الذي هو اصل انوار الاعمال لعدم استعدادهم له (ومن لم يجعل الله له
نورا) فى استعداده (فما له من نور) من كسبه النور وان كان منير الغيره فان استبعدت
ان يكون للكفار اعمال يبتغون بها رضوان الله تعالى ولا يفيدهم شيأ قيل لك (ألم تر أن الله
يسبح له من فى السموات والارض) من العقلاء ولا يفيدهم التسبيح مثل ما يفيد الانسان
الكامل على ان الكفار فى باب المعرفة والعبادة لا يعدون من العقلاء فعبادتهم كعبادة
الحيوانات العجم وان تميزوا عنهم فهم كالطير تميزت عن الدواب (و) ترى (الطير) تعبد

العاضهة ويقال عضوه
آمنوا ثم احبوا امنه وكفروا
بالباقى فأحبط كفرهم
ايمانهم (قوله عز وجل عجلا
جسدا) اى صورة لا روح
فيه انما هى جسد فقط
(خوار) قال ابو عمر أصحاب
الحديث يقولون ان الله عز
وجل جعل الخوار فيه
كانت الريح تدخل فيه
فيسمع لها صوت (عفريت
من الجن) العفريت من
الجن والانس والشياطين
الفائق المبالغ الرئيس (قوله
عز وجل عين) اى واسعات
الاعين الواحدة عيناء (قوله

ربها (صافات) ولا تفيدها عبادتهم امثل ما تفيد العقلاء فضلا عن الانسان الكامل وليس ذلك لجهلها بعبادتهم أو معبودها بل (كل قد علم صلاته) اى دعاءه لله (وتسبيحه) له (و) لا لعدم اطلاع الله عليها لخفائها اذ (الله عليم بما يفعلون) وان كان خفيا عليهم وعلى غيرهم (و) انما عبده الكل لانه الملك اذ (لله ملك السموات والارض) والملك معبود بالطبع (و) لا يرد ان من لا يحضر الملك لا يعبده اذ (الى الله المصير) فهم فى حكم الحاضرين بل حاضرون له دائما وان لم يحضر لهم حينا وان استبعد ان يكون لبعض العبادات فائدة دون البعض قيل لا يبعد على المختار (ألم تر أن الله يزجى سحابا) اى يسوق بخارا هو مادة السحاب من البحار والجبال الى الطبقة الباردة من الهواء مفرقا (ثم يؤلف بينه) اى بين اجزائه (ثم يجعله ركاما) اى متراكبا بعضه فوق بعض ليبرد الاوسط بدون برودة المكان مع عدم وصول حرارة الشمس اليه ثم يجعل له فتوقا (فترى الودق) اى المطر (يخرج من خلاله) اى فتوقه (وينزل) بردا (من السماء) اى من من جهة العلو (من جبال فيها) اى من قطع عظام من السحاب كالجبال حصلت (من) افراط (برد) اى برودة (فيصيب به) اى بالمطر والبرد (من يشاء ويصرفه عمن يشاء) بمحض الاختيار ثم انه يكون بين اطباق السحاب ادخنة تحترق باصطكاك بعضها ببعض بحيث يحصل منها فى تلك البرودة نار لها فى تلك الظلمة ضوء (يكاد سنا) اى ضوء (برقه) من افراطه (يذهب بالابصار) فاين هذه الحرارة من تلك البرودة المقتضية منزا أو برودة وأين هذا النور من هذه الظلمات فكأنه يقلب الحار باردا والبارد حارا والمنير مظلما والمظلم منيرا كما انه (يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك) المذكور الدال على محض الاختيار فى اثناء استعمال الاسباب (لعبرة لاولى الابصار) فانه وان جعل العبادة سببا للثواب فانما تؤثر باختياره فالعبادة بمنزلة البخار وار كانها بمنزلة الاجزاء وانضمام بعض انواعها الى بعض بمنزلة الركام والثواب بمنزلة المطر واليقين بمنزلة البرد والشوق بمنزلة البرق يكاد يذهب بابصار صاحبه بالافناء ويحصل منه تقلب الصفات وقد تنقلب الطاعة معصية وبالعكس لكن الكل انما يحصل باختيار الله تعالى اذ يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء (و) لا يبعد ان يجعل عبادة الكفار سببا لمعاقبتهم ويجعل عبادة المسلمين سببا لثوابهم فقد جعل الواحد سببا لامور مختلفة اذ (الله خلق كل دابة) مع اختلاف انواعها (من ماء) اى من نوع واحد منه وهو النطفة ثم جعل لمشيها اسبابا مختلفة بل لم يجعل لمشى البعض سببا (فمنهم من يمشى على بطنه) بلا آلة (ومنهم من يمشى على رجلين) فله آلتان (ومنهم من يمشى على أربع) فله اربع الآت فعلم انه (يخلق الله ما يشاء) من الاسباب والمسببات وما لا سبب له والاسباب انما صارت اسبابا بجعله اياها اسبابا فلا حاجة له اليها اصلا اذ (ان الله على كل شئ قدير) بالاسباب وبدونها بل لا اثر لها وان جرت السنة الالهية بالتأثير عندها وكذلك الاختلاف فى باب العبادة اصلها امر واحد هو الاعتقادات ثم منهم من له عبادتان الصلاة

والصوم

عزوجل) عزة وشقاق العزة المبالغة والممانعة يقال عزه يعزه عزا اذا غلبه (قوله عزوجل عصم) اى حبال واحدتها عصمة وكل ما امسك شيأ فقد عصمه وقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر اى بحبالهن يقول لا ترغبوا فيهن واسئلوا ما انفقتم اى اسئلوا اهل مكة ان يردوا عليكم مهور النساء اللاتى يخرجن اليهم مرتدات وليسئلوا ما انفقوا اى وليسئلوكم مهور من خرج اليكم من نسائهم

والصوم ومنهم من له اربع عبادات الصلاة والزكاة والصوم والحج ومنهم من يصل الى الله بلا عبادة وهو المؤمن الذى لم يدرك وجوب شئ من الفروع بأن جن أومات قبل ذلك وكيف ينكر تأثير الاسباب فى البعض دون البعض وقد تحقق فى آياتنا فانا (لقد أنزلنا آيات) اى دلائل (مبينات) بالتمثيل (و) مع ذلك لم تفد هداية الكل بل (الله يهدى من يشاء) لان الطباع تميل الى افراط أو تفريط فتعارض دلالة الدلائل مالم يهدها الله (الى صراط مستقيم) مثل ان لا يعطل الاسباب ولا يجعلها واجبة التأثير (و) قد يظهر تأثيرها على وجه كلى ثم يظهر خلافه كالذين (يقولون آمنا بالله و بالرسول وأطعنا) فحصل لنا الهداية فى بابي الاعتقاد والعمل (ثم) يظهر خلافه اذ (يتولى) اى يرتد (فريق منهم من بعد ذلك و) ليس هذا تأثيرا الى مدة ثم انقطاعا له بل (ما أولئك بالمؤمنين) فى الباطن من أول ما أظهروه (و) يدل على عدم ايمانهم فى الباطن أنهم (اذا دعوا الى) كتاب (الله و) سنة (رسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون) أى فاجأ الاعراض من فريق منهم ولو كان ارتدادا بعد الايمان لم يحصل المفاجأة فيه (و) أيضا لو كان ارتدادا لاستمر حالة كون الحق لهم أو لغيرهم ولكنهم (ان يكن لهم الحق يأتوا اليه) أى الى هذا الحكم (مذعنين) أى منقادين فلو قيل انهم انما اعرضوا لذهاب أموالهم لا للارتداد عن الايمان يقال (أفى قلوبهم مرض) يميلون له الى الاموال دون الله ورسوله وترجيح حب المال على حب الله ورسوله كفر وهو مستمر فيهم (أم ارتابوا) اى شكوا فى ان الراجح جانب الله ورسوله أو جانب المال وهو أيضا كفر مستمر فيهم (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) لتجويزهم الظلم عليهما وليسا بظالمين (بل أولئك هم الظالمون) باعتقاد جواز الظلم عليهما وهو أيضا كفر مستمر فيهم فهذه الاحتمالات دلائل استمرار الكفر فى حق المرتدين ووجود اضدادها دلائل استمرار الايمان فى الباطن لذلك (انما كان قول المؤمنين) الدال على استمرار ايمانهم فى الباطن (اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا) من ميل طبعهم الى الله وتيقنهم برجحان جانب الله واعتقادهم امتناع الظلم على الله (سمعنا) أمرهما (وأطعنا) حكمهما (و) لا يذهب عليهم بذلك شئ من اهويتهم المطلوبة باموالهم بل (أولئك هم المفلحون) بانتظام أمر الدارين لهم (و) لو لم يكن فيهما دلالة على الايمان الباطن كان الواجب على العاقل ان يختارهما فان (من يطع الله ورسوله) فيما يحكمان من اعطاء ما عنده من حق غيره (ويخش الله) ان يوقع عليه بسبب عدم اطاعتهما آفة أعظم مما يترقبها بذلك المال (ويتقه) اى يجعله وقاية للآفات (فأولئك هم الفائزون) بجميع المقاصد التى تقصد بالمال وبالايمان والعبادة (وأقسموا بالله) ليستدلوا على ايمانهم الباطن (جهد أيمانهم) أى آكدها التى بلغوا فيها الجهد (لئن أمرتهم) بالخروج من ديارهم وأموالهم وأهليهم (ليخرجن قل لا تقسموا) لانكم اذا عصيتم بعد اليمين كنتم جامعين بين الاثمين اثم المخالفة واثم اليمين ولا يحتاج اليها فى الدلالة على الايمان الباطن بل يكفى فيها (طاعة معروفة) لا تنكرها النفس اذ لا حرج فيها ولا حاجة الى

(قوله جل وعز عزين) أى جماعات فى تفرقة واحدتها عزة (عشار) حوامل من الابل واحدتها عشراء وهى التى أتى عليها فى الحمل عشرة أشهر ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما تضع وهى من أنفس الابل عندهم يقول عطلها أهلها من الشغل بأنفسهم (قوله تعالى العهن) هو الصوف المصبوغ (قوله عز وجل عيشة راضية)

اليمين لاعلام مافى الباطن (ان الله خبير بما تعملون) من طاعته أومخالفته فى المستقبل بلا يمين منكم (قل) لاتخترعوا عليه أمرا لاظهار طاعتكم بل (اطيعوا الله) فيما يأمركم به من غير اختراع منكم (وأطيعوا الرسول) فيما يبلغكم عن الله (فان تولوا) أى اعرضوا عن ترك الاختراع لئلا ينسبوا الى النفاق قل لاوجه لاختراعكم (فانما عليه) أى على الرسول تبليغ (ما حمل) أى ما كلف من تبليغ الرسالة (وعليكم) اتيان (ما حملتم) الاما سكت عنه فى حقكم (و) لاضلال عليكم فى فعل المسكوت عنه ولا تركه لانكم (ان تطيعوه) أوامره ونواهيه من غير اختراع عليه (تهتدوا وما على الرسول) اجابتكم فى كل ما تسئلونه لانه ما عليه (الا البلاغ) لما أمر بتبليغه (المبين) لما فيه من الايهام الباطل ولا حاجة الى سؤاله عليه السلام فى الامور التى تتعارض فيها الادلة أويخفى وجه الدلالة فيها أوتتوقف على القياس لانه (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) لازاحة الاشكال فى عقائدهم وأعمالهم (ليستخلفنهم) أى ليجعلن بعضهم خليفة فى بيان الاشكالات بطريق الاجتهاد لاصلاح أمور الخلق (فى الارض) ولا يبعد فانه (كما استخلف الذين من قبلهم) وهذه الامة أفضل منهم فالاستخلاف فيهم أولى (وليمكنن لهم دينهم) باظهار اسراره لهم لانه (الذى ارتضى لهم) لاجل تلك الاسرار (و) لايعسر عليهم فهمها لانه يزيل عنهم الموانع (ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) وهم فى ذلك الاجتهاد (يعبدوننى) فلا يبتدعون فى دينى شيأ كيف وهو شرك (لايشركون بى شيأ ومن كفر بعد ذلك) فزعم ان هذا الدين قاصر أوخال عن المعانى المعقولة (فأولئك هم الفاسقون) أى الخارجون عن أهل الكمال (و) الفهم انما يتم بالتصفية لذلك (أقيموا الصلوة) تطهيرا للاعضاء عن التعطيل (وآتوا الزكوة) تطهيرا للقلوب عن الرذائل (و) لاتقتصروا فى الاجتهاد على تتبع كتاب الله بل (اطيعوا الرسول) بتتبع سنته (لعلكم ترحمون) باعطاء الصواب فى الاجتهاد و(لاتحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض) باثبات القصور فى هذا الدين (و) ان قصر رأيهم ولم يزيلوه (مأواهم النار) لتقصيرهم فى ازالته (ولبئس المصير) مصيرهم لرؤيتهم القصور فيما ظهر لهم فيه الصدق بالمعجزات ثم اشار الى أنه اذا كانت النصوص موهمة خلاف مقتضى الاجتهاد باستنباط المعانى لم يكن بد من التصريح مثلا جواز اظهار الزينة للعبيد والتابعين غير أولى الاربة والاطفال يوهم جواز دخولهم فى كل وقت بلا استئذان فوجب التنصيص على استثناء أوقات يكثر فيها كشف العورة لذلك قال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم أن لايطلع على عوراتكم غير أزواجكم (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) ويلحق بهم التابعون غير أولى الاربة بطريق الاولى (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) وان جرت العادة بقلة المبالاة بهم (ثلاث مرات) من مرات الدخول وهو الدخول (من قبل صلوة الفجر) الدخول (حين تضعون ثيابكم) ثياب اليقظة للقيلولة (من الظهيرة) أى الظهر (و) الدخول (من بعد صلوة العشاء) وانما منع لهم الدخول فى هذه الاوقات لانها (ثلاث عورات لكم) أى أوقات

ثلاث

يعنى مرضية

(باب الغين المفتوحة)

(قوله عزوجل غمام) سحاب أبيض سمى بذلك لانه يغم السماء أى يسترها (قوله جل وعز غفورا) أى ساترا على عباده ذنوبهم ومنه المغفر لانه يغطى الرأس وغفرت المتاع فى الوعاء اذا جعلته فيه لانه يغطيه ويستره (قوله جل وعز غافل) أى عما خان (قوله جل اسمه الغائط) المطمئن

ثلاث مرات كشف العورة فقبل الصبح بطرح ثياب النوم و يلبس ثياب اليقظة ووقت القيلولة بوضع ثياب اليقظة ووقت العشاء وقت التجرد عن الثياب والالتحاف باللحاف وجواز اظهار الزينة لايستلزم جواز اظهار العورة (ليس عليكم) جناح في ترك نهيهم عن الدخول بلا اذن (ولا عليهم جناح) من الدخول بدونه (بعدهن) أى بعد هذه الاوقات وان احتمل فيها كشف العورة على الندور لانهم (طوافون عليكم) يعسر عليهم الاستئذان في كل مرة لانه يطوف (بعضكم على بعض) للقيام بحوائجه فلو منعوا وعسر عليهم الاستئذان تعطلت الحوائج وكيف يعجزكم الكفار بالقصور في بيانكم مع أنه (كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم) بما يحتاج الى البيان ومالا يحتاج اليه لكونه محل الاجتهاد (حكيم) في جعل البعض محل الاجتهاد وان أدى الى الاختلاف لما فيه من التوسع على الامة (واذا بلغ الاطفال) الذين رخص لهم في ترك الاستئذان في غير الاوقات المذكورة (منكم) أيها الاحرار بخلاف العبيد فانهم باقون على الرخصة (الحلم) أى حد البلوغ بالاحتلام أو بالسن الذى هو مظنة الاحتلام (فليستأذنوا) في سائر الاوقات أيضا (كما استأذن الذين) بلغوا (من قبلهم) ممن لم يرخص لهم في ترك الاستئذان لاشتراك علة الاستئذان وزوال سبب الرخصة وهو تكرار الدخول بعد البلوغ بخلاف العبيد (كذلك) أى مثل هذا البيان الرافع للاوهام (يبين الله لكم آياته والله عليم) يحيط علمه بالتفاصيل الدقيقة (حكيم) في مراعاة الدقائق (والقواعد) بين يدى الرجال الاجانب وهو سبب طول الاختلاط (من النساء اللاتى) لكبرهن (لا يرجون) من يرغب فيهن فيردن (نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) مما لا يكشف العورة كالجلباب والرداء والقناع فوق الخمار (غير متبرجات) أى مظهرات تحليتهن (بزينة) كانت تحتها (وأن يستعففن) من وضع تلك الثياب (خير لهن) وان ثقلت عليهن لانه أبلغ في الحياء وأبعد من التهمة (والله سميع) لمقالتهن مع الاجانب (عليم) بمقاصدهن من الاختلاط ووضع الثياب ولما كانت المخالطة من أسباب المؤاكلة وكانوا يتحرجون عنها لكبر اسماع أهل العاهة رفع الحرج عن ذلك فقال (ليس على الاعمى حرج) أن يؤاكل مع البصراء وان استقذروه أو زعموا انه يأكل أكثر (ولا على الاعرج حرج) وان أخذ مكان اثنين (ولا على المريض حرج) وان استقذروه وخافوا سريان مرضه (ولا على أنفسكم ان تأكلوا من بيوتكم) أى بيوت أزواجكم وأولادكم وان وجب عليكم ان تنفقوا عليهم (أو بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم) وان وجبت اعانتهم عليكم (أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم) وان لم يكن بينكم بعضية (أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم) وان كانوا أبعد من الاخوة والاخوات لكنهم بمنزلة الاب (أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم) لانهم بمنزلة الام (أو ما ملكتم مفاتحه) أى التصرف فيه بتفويض صاحبه الغائب وكانوا يتحرجون من أكل ماله لاحتمال موته أو رجوعه عن الاذن (أو) بيت (صديقكم) وان لم يكن بينكم وبينه قرابة ولا تفويض تصرف لرضاه بالتبسط وانما ذكر البيوت ثانيا التسلا

من الارض و كانوا اذا أرادوا قضاء الحاجة أتوا غائطا فكنى عن الحدث بالغائط (قوله غمرات الموت) شدائده التى تغمره وتركيبه كما يغمر الماء الشئ أى اعلاه وغطاه (قوله جل اسمه الغابرين) أى الباقين والماضين أيضا وهو من الاضداد (وقوله جل وعز الا عجوزا فى الغابرين) أى الباقين فى العذاب أى بقيت فيه ولم تسر مع لوط

يعطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار وذكر البواقى اجراءلها مجرى الواحد الا انه لما كانت ماعبارة عنها لم يذكر هنالك ولما كان كالمتروك أتبعه ما بعده (ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا) وان وصل سؤر بعضكم الى بعض فهو موجب للائتلاف (أو اشتاتا) وان توهم منه تفرقة القلوب فيكفى لازالتها السلام كيف وقد كفى فى دفع مالا يخلو عنه المجالس من الكلمات التى هى مظنة المخاصمة ودخول البيوت من التهمة (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أهلها طلبا للسلامة (على أنفسكم) ولا يبعد افادته لها لكونه (تحية) منزلة (من عند الله) فتكون (مباركة) كثيرة الخير لنزولها من معدن الخيرات وأقل مافيها أن تكون (طيبة) تطيب نفوس السامعين (كذلك) أى مثل هذا البيان المشتمل على الفوائد والاحتراز عن المضار (يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) مايعتنى بكم من رعاية المصالح ودفع المفاسد من غير وجوب عليه ثم أشار الى ان الاختلاط الذى لا يتوهم فيه شئ من المضار هو الاختلاط مع الله ورسوله فى ايثار جنابهما ومع المؤمنين فى الامر الجامع سيما مع الرسول فقال (انما المؤمنون) الكاملون (الذين آمنوا بالله ورسوله) ايمانا يوجب مزيد محبتهما على ماسواهما (و) يوجب محبة المؤمنين والاختلاط بهم فى الامر الجامع سيما مع الرسول بحيث (اذا كانوا معه على أمر جامع) كالصلاة جماعة والجمعة والعيد والحرب والمشاورة (لم يذهبوا) لمهماتهم (حتى يستأذنوه) ترجيحا لجانبه على جانب مهماتهم (ان الذين يستأذنونك) وان كانوا دون الصابرين معك (أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) اذ راعوا جانبهما بالاستئذان (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) فانه وان كان دون الامر الجامع (فأذن لمن شئت منهم) من علمت انه لا يطيق الصبر عن شأنه لا من علمت كمال صبره عند عدم اذنك له (واستغفر لهم الله) لانهم وان راعوا جانبك لم يراعوا جانب الامر الجامع (ان الله غفور) لهم ايثارهم بعض شؤنهم على الامر الجامع لانه (رحيم) لعلمه بضعفهم ثم انه وان غفر ترك الامر الجامع ورحم فلا تخالفوا أمر الرسول اعتمادا على ذلك (لا تجعلوا دعاء الرسول) أمره (بينكم كدعاء بعضكم بعضا) يجاب تارة دون أخرى لانه واجب الطاعة لا يسقط بالانسلال عن جملة المدعو (قد يعلم الله الذين يتسللون) أى يتسللون قليلا قليلا عن الجماعة يلوذ بعضهم ببعض فى الاستتار (منكم لواذا) مخافة أن يلزموا المأمور به (فليحذر الذين يخالفون) دعاءه ليخرجوا (عن أمره أن تصيبهم) فى الدنيا (فتنة) أى بلية (أو يصيبهم) فى الآخرة (عذاب أليم) ولا يبعد ذلك من الله اذ له ان يسلط على المخالف ماشاء من السموات والارض (ألا ان لله مافى السموات والارض) ولا يسلط الا ما يناسب حال المخالف لانه (قد يعلم ما أنتم عليه و) هو وان لم يعلمكم بمناسبة مايسلطه عليكم فى الدنيا يبينه (يوم يرجعون اليه) لانه يطلعهم على عمله الغيبى (فينبئهم بما عملوا) فينبئهم بما يناسب أعمالهم أن يسلط عليهم (والله بكل شئ عليم) فيعلم مايخفى ومايظهر ووقت ذلك فافهم* تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين

عليه السلام ويقال فى الغابرين أى الباقين فى الغابرين (غيابة الجب) طول العمر (غيابة الجب) كل شئ غيب عنك شيئا فهو غيابة (قوله جل وعز غاشية من عذاب الله) أى مجللة من عذاب الله (وقوله عز وجل لهم من جهنم مهاد) أى فرش ومن فوقهم غواش أى مايغشاهم فيغطيهم من أنواع العذاب (وقوله عز وجل هل اتاك حديث الغاشية)

(سورة الفرقان)

سميت به لاشتمالها على أنه ظهر كثرة خيرات الحق بالفرقان الذى هو التمييز بين الحق والباطل
(بسم الله) المتجلى بتفاصيل ذاته وأسمائه فى الفرقان (الرحمن) بتنزيله على عبده المبعوث
رحمة للعالمين (الرحيم) بجعله نذيرا للعالمين اذ افاد به الرحمة الاخروية الخاصة للمؤمنين (تبارك)
أى كثر الخيرات (الذى نزل الفرقان) اى الذى كثر تنزيله الكلام البالغ فى التمييز
بين الحقائق وذكر التكثير بن يوهم الجمع بين المثلين وذكر التنزيل مع الخير يوهم الجمع بين
الضدين وجعل التنزيل نفس الخير يوهم قلب الحقائق المحال (على عبده) الكامل المنسوب
الى هويته ليزداد ظهور كماله ببيانه (ليكون للعالمين) الجن والانس النازلين منزلة الكل
لكونهما المقصود من خلقه (نذيرا) بان شأنه التفريق فيخاف منه التفريق فى الجزاء وانذار
العالمين خير كثير لهم يصلح لهم أمر الدارين مضموم الى خير الفرقان ولو لم يكن شأنه التفريق
لكان مخوفا اذ هو (الذى له ملك السموات والارض و) كيف لا يختص بملكهما مع أنه (لم
يتخذ ولدا) يرث منه الملك (ولم يكن له شريك فى الملك) من غير اتخاذ منه (و) كيف
يشاركه مع أنه (خلق كل شئ) فدخل تحت قدرته وكيف يشارك من لا نهاية له من هو مخصوص
بمقدار خاص لانه خلقه (فقدره تقديرا) أى خصه بمقدار خاص والذين جعلوهم أولاده كانوا
مخلوقين له مقدرين بمقدار أيضا فلا يناسبون والدهم والخالق لكونه قاهرا ينبغى أن يخاف
والمقدر لكونه مفرقا ينبغى أن يخاف أن يفرق بين المحسن والمسئ فى الجزاء (و) كيف لا ينزل
الفرقان أن يفرق وقد عجزوا عن الفرق بين المعبود الحق وغيره لانهم (اتخذوا من دونه آلهة)
مع أن الدون لا يصلح للالهية لانها بغاية الكمال ولو جعلت بالخالقية فهم (لا يخلقون شيأ) أو
جعلت بعدم المخلوقية (هم يخلقون و) لو جعلت بالمالكية (لا يملكون لانفسهم) فضلا عن
غيرهم (ضرا ولا نفعا و) ان تصور امن بعضهم (لا يملكون موتا ولا حيوة و) لو ملكهما بعضهم
بالقتل والمن (لا) يملكون (نشورا) والاله انما يعبد للثواب أو العقاب المرتب على النشور
(و) لم يعرفوا أيضا الفرق بين كلام الله وغيره لانه (قال الذين كفروا) بما هو صدق فى نفسه
رافع للالتباس وقد صدقه المعجزات (ان هذا الا افك) أى كذب صارف عن الحق ملبس
له بالباطل وهذا شئ (افتراه و) جعلوه مع اعجازه أعجز العاجزين عنه معينين عليه اذ قالوا (اعانه
عليه قوم آخرون) أى غير العرب العاجزين عنه وهم أعجز (فقد جاؤا) بهذه الكلمات
ليبطلوه (ظلما) بجعل الصدق كذبا ورافع اللبس ملبسا (و) يزوروا عليه (زورا) بجعل
المعجز مفترى وأعجز العاجزين عنه معينين (وقالوا) انما عجز من عجز لعدم اطلاعه على
أساطير الاولين اذ هو (أساطير الاولين) وانما عجزوا عنها لبعد تلاوته اياها عليهم لانهم لم
يكتبوها وهو قد (اكتتبها) وهو وان كان أميا لا يعرف قراءة ما كتب (فهى تملى عليه بكرة
وأصيلا قل) كما عجز عنه العرب عجز عنه سائر الاقوام لاشتماله على أسرار لا يطلع عليها الا علام
الغيوب فعلم من ذلك أنه (أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض) ليعلم الكل صدقه

لانها
تبعث القيامة
(غسق الليل)
تغشاهم
ظلامه (قوله تعالى غورا)
أى غائرا وصف بالمصدر
(قوله جل وعز غراما) أى
هلاكا ويقال مليا ويقال
عذابا لازما ومنه فلان
مغرم بالنساء اذا كان يحب
ويلازمهن ومنه الغريم
الذى له عليه الدين لان
الدين لازم والغريم أيضا
الذى له الدين لانه يلزم الذى
له عليه الدين به وقال
الحسن فى قوله عز وجل

فيعتقدوا مافيه و يعملوا بما فيه فيغفر لهم ويرحمهم (انه كان غفورا رحيما وقالوا) لو كان
صدقا الفارق المنزل عليه مسائر الناس (مال هذا الرسول يأكل الطعام) فلا يشبه الملائكة
ليمكن أن يقال انه صعد السماء بقوة ملكية (و) لولم يصعد فلا أقل من أن يمشى فى الهواء وهو
(يمشى فى الاسواق) فان لم يكن فيه هذه القوة (لولا أنزل اليه ملك) نراه كما يراه (فيكون معه
نذيرا) كانه شاهد على صدقه (أو يلقى اليه كنز) فيعطى منه اتباعه ليعلم ان الله جعله متبوعا
(أو تكون له) من الله (جنة يأكل منها) فلا يفتقر الى مخلوق فاقل ما يجب فى الرسول أن
يستغنى بما يعطيه المرسل (و) لو قيل يكفى فى الفرق اعطاء المعجزات سيما القولية (قال الظالمون
ان تتبعون الا رجلا مسحورا) يتكلم بكلام المجانين فلا يقدر العقلاء ان يأتوا بمثله (انظر
كيف ضربوا لك الامثال) برسل الملوك وبالمسحور والمجنون والامثال انما تضرب لمزيد
الوضوح المفيد مزيد الهداية وهم ازدادوا بها ظلمة (فضلوا) ضلالا لا يمكن تداركه (فلا
يستطيعون سبيلا) لانهم لا يمكنهم التدبر فيه (تبارك) أى كثر الخير لمك (الذى) أعطاك
الفضائل الزاهرة والمعجزات القاهرة لكنهم لا يبالون بالمعقولات لاقتصار نظرهم على
المحسوسات (ان شاء جعل لك) من المحسوسات (خيرا من ذلك) الذى قالوه من القاء الكنز
واعطاء الجنة للأكل وهو أن يجعل لك فى الدنيا (جنات) أخروية (تجرى من تحتها الانهار)
من ماء ولبن وعسل وخمر (ويجعل لك قصورا) مثل قصور أهل الجنة لكنها لما كانت ملجئة
الى الايمان لكونها من الامور الاخروية أخرها لك الى الآخرة ثم أشار الى أنهم لو آمنوا
بالساعة انظروا فى أمر المنذر عنها فكانهم لم يكذبوه (بل كذبوا بالساعة) التى عنها الانذار
(و) لابد منه لانا (اعتدنا لمن كذب بالساعة) التى تكذيبها تكذيب لدوام ربوبية الله (سعيرا)
من شدتها قبل دخولها أنها (اذا رأتهم) بعد خلق الحياة والابصار فيها التبصر أعداء الله
فتزداد عليهم غيظا وغليانا (من مكان بعيد) مسيرة مائة عام من حدة نظرها (سمعوا لها تغيظا)
صوت المغتاظ من شدة غضب الله على نفى دوام ربوبيته (وزفيرا) صوت الغليان من شدة قهر
الله على نفى قدرته (و) بعد الدخول (اذا ألقوا منها مكانا ضيقا) لتضييقهم القدرة الواسعة
والجود الواسع وتوسيعهم فى الشهوات المانعة من النظر يضيق عليهم الامر باحاطة وجوه
العذاب من الجوانب مع عجزهم عن دفع شئ منها لكونهم (مقرنين) قرنت أيديهم الى
أعناقهم بالسلاسل اذ لم يستعملوها فى طاعته بل فى معاصيه (دعوا) أى تمنوا (هنالك)
ليأسهم عن الخروج عنه (ثبورا) أى هلاكا فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا)
تتخلصون به (وادعوا ثبورا كثيرا) أى واحدا بعد آخر لعدم تخلصكم بعذاب هو سبب موت
(قل) للذين كذبوا بالساعة لا شبهة لهم على نفيها بل لان الايمان بها يعوقهم عن مشتهياتهم
المحرمة مع أن تناولها وتكذيب الساعة يوجب السعير ودعوة أنواع الثبور والتقوى
توجب بدلها جنة الخلد (أذلك) السعير ودعوة الثبور الموعودة على تكذيب الساعة
وتناول المحرمات (خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون) تكذيب الساعة وتناول المحرمات

ان عذابها كان غراما
كل غريم مفارق غريمه الا
النار (قوله عز وجل
الغرور) وهو الشيطان
وكل من غر فهو غرور
والغرور بضم الغين
الباطل مصدر غررت (قوله
عز وجل غرابيب سود) هذا
مقدم ومؤخر معناه سود
غرابيب يقال أسود غربيب
للشديد السواد (قوله
عز وجل غول) هو ذهاب
الشئ يقال الغضب غول
للحلم والحرب غول النفوس

التى لابقاء لها (كانت) مع غاية عظمتها وشرفها (لهم جزاء) على أمر هين هو الايمان بالساعة وترك المحرمات العاجلة (ومصيرا) للصبر عنها ولا يفوتهم المشتهيات اذ (لهم فيها مايشاؤن) من غير امتناع عليهم ولا تحريم اذ لا يعقبها أمر آخر لكونهم (خالدين) فلا يتألمون بفواتها وليس هذا من ترك الموجود اعتمادا على الموهوم اذ (كان) كالواجب (على ربك) لكونه (وعدا) منه فكان (مسؤلا) عنه لو تركه فيقال هذا لا يليق بجلالك (و) ان زعموا أنه انما يكون انا السعير ودعوة الثبور وتفوتنا جنة الخلد لو لم يشفع لنا آلهتنا اذكرلهم (يوم يحشرهم ومايعبدون من دون الله) ليشفعوا لهم عند الله (فيقول أأنتم أضللتم عبادى) بدعوتهم الى عبادتكم ووعدها الشفاعة المنجية من السعير ودعوة الثبور ودخول جنة الخلد (هؤلاء) الذين أرسلت اليهم الرسل ليعبدونى لا لغيرى فمنعتموهم عن عبادتى وأمرتموهم بعبادتكم (أم هم) بانفسهم (ضلوا السبيل) الذى هداهم الرسل (قالوا سبحانك) أى ننزهك من أن يستحق العبادة غيرك فضلا عن اختصاصه بها (ما كان ينبغى) أى يصح (لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) يتولى شيأ من أمورنا فضلا عن أن نتخذه عابدا لنا وانسنا سبب ضلالهم (ولكن) سبب ضلالهم ما كان حقه أن يكون سبب الهداية وهو انك (متعتهم وآباءهم) بانواع النعم ليشكروك فيعبدوك فاشتغلوا بها (حتى نسوا) المنعم فتركوا (الذكر) الداعى الى العبادة ولم يذكرهم آباؤهم لانهم متعوا بمثله (و) انما انقلب عليهم سبب الهداية سبب الضلال لانهم (كانوا) فى استعدادهم (قوما بورا) أى هالكين واذا كان هذا قول معبوديكم (فقد كذبوكم بما تقولون) انهم أمروكم بعبادتهم اذ لا عبادة بدون أمر المعبود وانهم وعدوكم الشفاعة عليها بل شهدوا عليكم باستحقاق العذاب بجعلكم أسباب الهداية أسباب الضلال (فما تستطيعون صرفا) للعذاب عنكم (ولا نصرا) أى اعانة على دفعه بل أثبتوا ظلمكم بعبادتكم اهم وترككم عبادة الله (و) ان أعانوكم لم يفدكم لان (من يظلم منكم) أيها المبعوث اليهم الرسل (نذقه عذابا كبيرا) لا يظهر معه اثر اعانة الغير بالتخفيف (و) ان زعموا ان العبادة لو كانت بامر المعبود ولا نعرف أمر الله الا على لسان رسوله لكنك لا تصلح لرسالته لانك تأكل الطعام وتمشى فى الاسواق لطلبه فلا تناسب الله يقال لهم هذا لا ينافى الرسالة ولا يبطل المناسبة التى بها استحقوا الرسالة فانا (ما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق و) الحكمة تقتضى ذلك لانا (جعلنا بعضكم) رسلا ليكونوا (لبعض فتنة) أى ابتلاء لننظر (أتصبرون) للنظر فى معجزاتهم فتصدقوهم أم تستعجلون بتكذيبهم بمجرد أكلهم الطعام ومشيهم فى الاسواق (وكان ربك) فى ارسال أكلة الطعام ومشاة الاسواق (بصيرا) اذ ارسال غيرهم يكون ملجئا الى الايمان فلا يبقى الابتلاء الذى هو شرط التكليف (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) فيعترفون بالتحكم علينا لو كانت الرسالة لا تنافى أكل الطعام والمشى فى الاسواق فالكل سواء فى جواز ما به الرسالة من انزال الملائكة ورؤية الرب (لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) مثل نزولهم على الرسل ورؤية الرسل لربهم (لقد استكبروا) فعظموا

ومنه لا فيها غول اى لا تغتال عقولهم فتذهب بها (قوله عز وجل غساقا) أى ما يغسق من صديد أهل النار أى يسيل ويقال غساق بارد يحرق كما يحرق الحار (قوله عز وجل غدقا) كثيرا (قوله عز وجل غاسق اذا وقب) يعنى الليل اذا دخل فى كل شئ والغسق الظلمة ويقال الغاسق القمر اذا كسف فاسود وقوله اذا وقب اذا دخل فى الكسوف

أنفسهم تعظيم الرسل من غير أن يكون لهم ذلك فى الواقع بل اعتقدوا ذلك (فى أنفسهم و) قد خلوا عن شرط الرسالة وهو الكمال فى الصلاح اذ قد (عتوا) أى أفسدوا بالشرك وعدم رجاء لقاء الله (عتوا كبيرا) يمنعهم من الرسالة لو حصل لهم استعدادها ثم رؤية الملك لو كانت باليقظة قبل الموت لاهل الصلاح تفيدهم نبوة أو ولاية وأما المجرمون فلا يرونهم الا عند الموت وهم (يوم يرون الملائكة لا بشرى) بخير فضلا عن أن تفيدهم نبوة أو ولاية لو تصورتا بعد الموت (يومئذ للمجرمين) وان بشروا المؤمنين (و يقولون حجرا) أى منعا عن الايمان والتوبة (محجورا) ممنوعا أن يزال الى الابد كيف (و) قد (قدمنا) أى عمدنا (الى) ابطال (ما عملوا من عمل) كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف مما لو آمنوا لنالوا عليه أجرا كاملا لكنهم لما كفروا أحبطناه (فجعلناه هباء) أى مثل الغبار فى الحقارة وعدم النفع (منثورا) أى مفرقا لا يمكن نظمه (أصحاب الجنة) أى المؤمنون الذين لا عذاب لهم ولا عتاب فانهم وان لم يروا الملائكة فى اليقظة قبل الموت لعدم نبوتهم وولايتهم لكنهم (يومئذ) أى يوم يرونهم يوم الموت (خير مستقرا) اذ يفيدهم توسعة فى القبور وتنويرا فيها (وأحسن مقيلا) اذ يفيدهم ترويحا ويقولون لهم ناموا نومة العروس بخلاف المؤمنين المعذبين أو المعاتبين فانهم وان لم يخلوا عن خير وحسن بالنسبة الى الكافرين لكن لا يبلغون مبلغ هؤلاء (و) لا يبعد ان يكون لهم هذا فى القبور مع أنه يكون لهم مثل هذا فى اهوال القيامة (يوم تشقق السماء بالغمام) الناشئ من ادخنة النار المتراكمة حتى يخرق (ونزل الملائكة) من كل سماء (تنزيلا) من واحدة بعد اخرى بحسب وصول الادخنة اليها وانما كانوا خيرا مستقرا واحسن مقيلا فى ذلك اذ (الملك يومئذ) هو الملك (الحق) فلا يظلم فيه هؤلاء بتلك الاهوال مع عدم استحقاقهم شيأ من الشدة مع انه (للرحمن) الذى يرحمهم فى ذلك اليوم بمائة رحمة فيكون منها صرف تلك الشدائد عنهم (و) لكن لا تفيد رحمانيته للكافرين شيأ من التخفيف اذ (كان يوما على الكافرين عسيرا) من جميع الجهات فى غاية الشدة (و) أيضا أصحاب الجنة خير مستقرا وأحسن مقيلا (يوم يعض الظالم) عقبة بن ابى معيط تحسرا على رؤية اصحاب الجنة فى خير مستقر وأحسن مقيل ونفسه فى السعير ودعوة الثبور (على يديه) فيأكلهما حتى يبلغ مرفقيه ثم تنبتان فيأكلهما وهكذا ابدا (يقول يا) أيها المتمنى تعال (ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا) الى رضوان الله وجنته (يا ويلتى) تعال (ليتنى لم أتخذ فلانا) أبى بن خلف (خليلا) يخالل قوله فى باطنى بالاضلال والله (لقد اضلنى عن الذكر) كلمة الشهادة (بعد اذ جاءنى) حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طعامه فقال لا آكل طعامك حتى تشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله ففعل فأكل صلى الله عليه وسلم طعامه فقال له ابى بن خلف لا أرضى عنك ابدا حتى تأتيه فتبزق فى وجهه ففعل فعاد بزاقه اليه فاحرق خديه وقال له عليه السلام لا القاك خارج مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتله وأبى بن خلف يوم بدر (و) انما أثر فيه قوله دون قول الرسول اذ (كان الشيطان للانسان خذولا) يواليه حتى يؤديه الى الهلاك فيتبرأ

(باب الغين المضمومة)

(قوله عز وجل غلف) جمع أغلف وهو كل شئ جعلته فى غلاف أى قلوبنا محجوبة عما تقول كأنها فى غلاف ومن قرأ غلف بضم اللام أراد جمع غلاف وتسكين اللام فيها جائز أيضا مثل كتب وكتب أى قلوبنا أوعية للعلم فكيف تجيئنا بما ليس عندنا (قوله عز وجل غرفة) أى مقدار ملء اليد من المغروف وغرفة بفتح الغين يعنى مرة واحدة بالمصدر غرفت

منه (وقال الرسول) حين رأى تأثير قول الشيطان مع أن الرسول انما أرسل لدفعه (يارب) انك وان أرسلتني لدفع كيد الشيطان فانما أدفعه بهذا القرآن وانما يؤثر فيمن يتدبر فيه (ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) تركوا تلاوته فضلا عن التدبر فيه لالرؤيتهم القصور فيه بل اشدة عداوتهم لمن أنزل عليه فقال تعالى هذه سنتنا في الانبياء (و) كيف لا تكون اذ (كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) اثلا يقال انه رجل تواطأ الكبراء على تعظيمه لتحصيل بعض مهماتهم (و) لا ينافي ذلك مقصود الرسالة من افادة الهداية اذ (كفى بربك هاديا و) للدلائل في مقابلة الشبهات (نصيرا و) من تلك الشبهات أنه (قال الذين كفروا) انما نعجزه لانه أنزل مفرقا كالشعر الذي ينشأ شيأ فشيأ (لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة) كسائر الكتب السماوية فقال تعالى (كذلك) نزلناه مفرقا (لنثبت به فؤادك) بالتأمل في كل آية آية والتفريق أشد في الاعجاز وليس كالشعر الذي لا اعجاز فيه (و) لقصد التثبيت (رتلناه) أي أمرنا بترتيل قراءته ليقرأ (ترتيلا) يمكن فيه التأمل الوافر (و) في التفريق حكمة أخرى هي انهم (لا يأتونك بمثل) اى بشبهة عظيمة عجيبة يضرب بها المثل (الاجئناك) لدفعها (بالحق) اى الدليل الثابت ان كان من قبيل التصديقات (و) ان كان من قبيل التصورات جئناك بما كان (أحسن تفسيرا) اى بيانا للحقيقة فلو قيل مقتضى هذا ان يؤمن به الكل قيل (الذين) قدر الله سبحانه وتعالى انهم (يحشرون على وجوههم) لجعلهم الحق العالي شبهة سافلة والشبهة السافلة حقا عاليا (الى جهنم) لا يستقرون لذلك الحق ولا يهتدون لاحسن التفسير اذ (أولئك شر مكانا) من العناد (وأضل سبيلا) عن الامور الصادقة الجلية (و) لا يبعد كونهم شرا مكانا وأضل سبيلا مع كونهم خيرا مكانا وأصوب رأيا في أمور الدنيا اذهم كقارون وقومه فانا (لقد آتينا موسى) بعد اهلاك فرعون وقومه (الكتاب) الجامع للدلائل ورفع الشبه (وجعلنا معه أخاه) الذي شأنه الاعانة (هرون وزيرا) حاملا اثقال نبوته بتحرير أدلته ورفع اللبس عنها (فقلنا اذهبا الى) قارون وقومه (القوم الذين كذبوا بآياتنا) التي بعثتما بها الى فرعون وقومه وبدلائل الكتاب فكانوا شرا مكانا اذ عاندوا بعد اهلاكهم وأضل سبيلا لضلالهم بعد رؤية دلائل الكتاب أيضا (فدمرناهم) اى أهلكناهم من غير تأخير (تدميرا) كاملا اذ خسفنا بهم وبدارهم الارض وتركنا ديار قوم فرعون لبني اسرائيل (و) لا يبعد حشرهم الى جهنم اذ غايته اغراق في النار (قوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم و) ليس من خواصهم حتى لا يقاس عليهم غيرهم اذ (جعلناهم للناس آية) اى علامة على اهلاكهم لو كذبوا الرسل (و) من القياس على العذاب الدنيوي يقاس العذاب الاخروي فقد (اعتدنا للظالمين) من قوم نوح وغيرهم (عذابا أليما) هو الاغراق في النار (و) يدل على انه ليس من خواص قوم نوح انا أهلكنا (عادا) فاغرقناهم في التراب (وثمود) ألصقنا وجوهها بالتراب فصاروا كالمحشورين على وجوههم (وأصحاب الرس) البئر الغير المطوية بعث الله اليهم شعيبا

(قوله عز وجل غفرانك ربنا) اى مغفرتك (غزى) جمع غاز (غمة) اى ظلمة (قوله عز وجل غمة) اى غم واحد كما يقال كربة وكرب (قوله جل ذكره غثاء) اى هلكى كالغثاء وهو ما علا السيل من الزبد والقماش لانه يذهب ويتفرق اى جعلناهم لا بقية فيهم (قوله عز وجل غرفات) اى منازل رفيعة واحدها غرفة (غرف من فوقها غرف) منازل رفيعة

فكذبوه فبينما هم حول البئر انهارت بهم فاغرقوا فى التراب أيضا (وقرونا بين ذلك كثيرا) فكان سنة الهية (و) لم يكن اهلاكهم من البليات العامة اذ (كلا ضربنا له الامثال) اى بينا له الدلائل العجيبة فالواقع عقيب تكذيبها يظهر نسبته اليه كيف لا (وكلا تبرنا تتبيرا) اى أهلكناه اهلاكا لم يعقبه خير والابتلاء العام كثيرا ما يستعقب الخير (و) هؤلاء ان لم يأتوا تلك القرى (لقد أتوا على القرية التى) ظهر فيها الحشر على الوجوه اذ جعل عاليها سافلها وهى قرية قوم لوط وهم وان لم يروا ذلك رأوا حجارتها اذ (امطرت مطر السوء أ) ينكرون اهلاك تلك القرى أيضا لعدم رؤيتهم اهلاكها (فلم يكونوا يرونها) اى تلك الحجارة التى عليها أسامى أهلها وليس عدم اعتبارهم لعدم رؤيتها (بل) لانهم (كانوا لا يرجون نشورا) فلا يرجون ما يترتب عليه من العذاب والحشر على الوجوه (و) ان ساواذلك لتكذيب أولئك لا يساوونه لتكذيبك لانهم (اذا رأوك ان يتخذونك الا) حقيرا يهزأ به (هزوا) لا بالقلب أو على الغيب بل باللسان على الحضور اذ يقولون (أهذا الذى بعث الله رسولا) كيف والرسول انما يبعث للاهداء وهذا مضل (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا) بشبهاته (لولا أن صبرنا عليها) مع عجزنا عن دفع شبهاته لقوتها جعلوا اهداءه بالآيات اضلالا بالشبهات (وسوف يعلمون) ماهو الآية والهداية وماهو الشبهة والضلال (حين يرون العذاب) على ما صبروا عليه فيعلمون (من أضل سبيلا) دل هو الصابر على خلاف الدليل ام التابع له والمقرر (أرأيت) أى أخبرنى كيف لا يكون أضل سبيلا (من اتخذ الهه هواه) اذ رجحها على الله وحججه وصبر لها (أ) تقرر له الحجج (فأنت تكون عليه وكيلا) اى حفيظا عن الغلط اتحسب ان أكثرهم يعتقدون الامور على ماهى عليه (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون) الدلائل من المقرر لها (أو يعقلون) بأنفسهم فذلك من خواص الانسان الذى يشبه الملك وهؤلاء (ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) اذ لا يمكن للانعام سلوك طريق الاستدلال وهؤلاء مع امكانه لهم تركوه لمتابعة اهوائهم الحيوانية فان قلت انما لم يتركوا الاهوية لاجل الدلائل لانها لا تخلو عن اعتراض قيل لك من الدلائل ما يفيد الكشف الصريح (ألم تر الى ربك كيف) دل على وجوده الذى هو كالشمس بالوجود المنبسط على حقائق الاشياء الذى هو كالظل حيث (مد) بعد الفجر قبل طلوع الشمس (الظل) من اشراق نور الشمس عند كونها تحت الافق على الهواء الذى فوقها ايظهر به الاشياء بعد كونها فى ظلمة الليل كذلك تظهر بالوجود المنبسط على الحقائق بعد كونها فى ظلمة العدم (ولو شاء) أن لا يدل به على الشمس (لجعله ساكنا) لا يزداد صفاء بترك الشمس تحت الافق بحيث لا يظهر لها شعاع لكن حركها باظهار شعاع الشمس للدلالة عليها عند احتجابها بالافق وكذلك حرك الوجود المنبسط على الحقائق بتغيير ما يدل على الوجود القديم الذى هو شمس الذات الالهية (ثم) اى بعد الاستدلال بالأثر على المؤثر (جعلنا الشمس) عند طلوعها الذى لا يحتاج معه الى دليل (عليه دليلا) ليستدل بالمؤثر على الاثر ليعلم ان نورية الظل من نورية الشمس كذلك عند حصول التجلى الشهودى يستدل على

ان

من فوقها منازل أرفع منها (قوله جل اسمه طعاما ذا غصة) اى تغص به الحلوق (قوله جل وعز غلبا) غلاظ الاعناق يعنى النخل قال أبو محمد يقال رجل أغلب وامرأة غلباء اذا كانا غليظى العنق والجميع غلب مثل أحمر وحمراء وحمر فى الجميع (قوله عز وجل غثاء أحوى) فيه قولان أحدهما والذى أخرج المرعى أحوى اى

ان الوجود المنبسط على الاشياء من اشراق وجود الحق وشعاعه (ثم) لا تزال الشمس ترتفع
والشعاع يزداد حتى (قبضناه) كما نقبض الوجود المنبسط على الاشياء عند التجلى الشهودى
لها بتوجهه (الينا) حتى يفنى فينا أو يبقى بنا (قبضا يسيرا) اى قليلا قليلا حتى لا يبقى ظل بعض
البلاد فى بعض الايام (و) هذا التجلى لما كان بالتصفية وكانت بالاعمال وهى ببيان الرسل دل
عز وجل على كل ذلك بمثال اذ (هو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار
نشورا وهو الذى أرسل) الرسل بشرا لله هداية بين يدى افاضة أسباب السعادة كما انه أرسل
(الرياح بشرا) للسحاب (بين يدى رحمته) بافاضة الامطار (وانزلنا) على الرسل من اللوح
المحفوظ والقلم الاعلى والعلم الالهى كلاما يتضمن أعمال التصفية كما أنزلنا (من السماء ماء
طهورا) يفيد طهارة الظاهر والتصفية تفيد الحياة بالتجلى كالماء اذا أنزلناه (لنحيى به)
بالنبات (بلدة ميتا) ذكره لاستواء المذكر والمؤنث فى فعيل (و) يستفيد من أهل التصفية
من دونهم علوما ينتظم بها معاشهم وأخرى ينتظم بها معادهم كما ان من فوائد الماء أن (نسقيه
مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا) والقليل يشربون مما يتفجر من الارض (و) انما كان
ما ذكرنا مفيدا للدلالة بطريق التمثيل لانا (لقد صرفناه) هذه الامور (بينهم ليذكروا) بها
ما ذكرنا ليكونوا شاكرين بها (فأبى) اى امتنع (أكثر الناس) ان يفعلوا (الا كفورا)
كقولهم مطرنا بنوء كذا (و) انتشار هذا الكفران فى البلاد يقتضى ارسال رسول فى كل بلد
(ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية) رسولا ليكون عن الكفران (نذيرا) لكن لم نشأ لانه يقتضى
تفرق الامم وتكثير الاختلافات فجعلنا الواحد نذير الكل ليطيعوه أو يقاتلهم والكفار
يريدون ان يطيعهم الرسل أو يتركوهم على ما هم عليه (فلا تطع الكافرين وجاهدهم به) أى
بما ذكرنا (جهادا) يؤثر فى بواطنهم فيكون (كبيرا) يفوق ما يؤثر فى الظواهر (و) ان زعموا
انه كيف يجاهد بالدلائل من يورد شبهات تجاورها قبل غاية أمرهما أن يكونا كالبحرين
المختلفين المتجاورين وقد رفع الله الالتباس بينهما بعد ما جاور بينهما وهما محسوسان فكيف
لا يرفع الالتباس بين البحرين المعقولين اذ (هو الذى مرج) اى جاور (البحرين) اللذين
بينهما غاية الخلاف اذ (هذا عذب فرات) اى قاطع للعطش وهو مثل بحر الدلائل المفيدة
للذوق القاطعة عطش الطلب (وهذا ملح اجاج) اى مبالغ فى الملوحة وهو مثل بحر الشبهات
الموجبة للنفرة جدا لاهل الذوق (و) أما أهل النظر فقد (جعل بينهما برزخا) اى مانعا من الخلط
وهو النظر فى مواد المقدمات وصورها ليعلم بذلك صحة الدلائل (و) اما فساد الشبهات فيعلم
بالاعتراضات التى لا جواب عنها كانه جعل بينهما (حجرا) اى منعا من وصول أثر أحدهما
الى الآخر (محجورا) اى ممنوعا ان يمنع (و) ان زعموا ان كل فرقة ترى متمسكاته تفيد الذوق
وتقطع عنه الطلب وينفر عن متمسكات صاحبه أشد من التنفر عن الملح الاجاج فليس
هذا بالنظر الى نفس الدلائل بل بواسطة التعصب من جهة الآباء والمشايخ والاصحاب وقد
أوجد الله لازالة العذر عنه مثالا اذ (هو الذى خلق من الماء بشرا) كما أخرج من المقدمات

اخضر غضا يضرب الى السواد من شدة الخضرة والرى فجعله من بعد خضرته غثاء اى يابسا والغثاء ما يبس من النبت فحملته الاودية والمياه والقول الآخر فجعله غثاء اى يابسا اى اسود من قدمه واحتراقه فكذلك يميتكم بعد الحياة

(باب الغين المكسورة)

(قوله عز وجل غشاوة) اى غطاء (قوله جل اسمه غل)

تنائج العلوم (لخوله) اى البشر (نسبا) اى اصلا او فرعا او حاشية القوم (وصهرا) لآخرين
يتعصب من اجل نسبه وصهره فيعتقد باطلهم حقا كذلك اهل الاستدلال يتعصبون لآبائهم
ومشايخهم (و) هو وان صعب ازالته (كان ربك) الذى امرك بالجهاد الكبير (قديرا) على
ازالته كما قدر فى النسب والصهر فلا يبالى المؤمنون اهما (و) هذا حيث يكون شبهة ولا شبهة
لاهل الشرك اذ (يعبدون من دون الله) مع ان الدون لا يستحق ما يختص بالاعلى على ان العبادة
انما هى لجر نفع او دفع ضر وهم يعبدون (ما لا ينفعهم ولا يضرهم و) يتعصبون لها على عكس
ما تقدم كمن تعصب بعدو على ابيه اذ (كان الكافر) للشيطان (على ربه ظهيرا) اى معينا
(و) لو قيل ان تعصبهم انما هو لعداوتهم معك يقال لا وجه لها الآنا (ما ارسلناك الا مبشرا) لهم
بالثواب الدائم (ونذيرا) عن العقاب الدائم وكلاهما من اعظم الفوائد الموجبة اعظم وجوه
المحبة وهم يعادونك عداوة من يزاحمهم فى دنياهم (قل ما اسئلكم عليه من اجر الا) اجر هداية
(من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) فينال منه قربا ويكون للهادى مثل قربه (و) ان عادوك على
تبشيرك وانذارك فقاتلوك (توكل على الحى) ليبقى حياتك بحياته الكاملة اذ هو (الذى
لا يموت) اذ لا يعرض له ما يزيل عنه الحياة فلا يمكن اعداءك ان يعرضوا فيك ما يزيلها عنك
(وسبح بحمده) اى ونزهه من ان لا ينصرك عليهم مع اتصافه بكمال القدرة والحكمة كيف
(و) قد استحقوا الهلاك الكلى على معاصيهم فضلا عن الكفر فانها وان كانت دون هذا
القدر عند اكثر الخلائق (كفى به بذنوب) اى بمقدار ما يقتضى كل ذنب من ذنوب (عباده)
من المعاقبة (خبيرا) وقد اعطى كل مستحق بحسب خبرته اذ هو (الذى خلق السموات
والارض وما بينهما) من فلك وملك ونجم ومعدن ونبات وحيوان (فى ستة ايام) ليوفى كل يوم
حقه من تكميل ما يحدث فيه نوعا (ثم استوى) ليفيض على كل شئ منها ما يستحقه (على
العرش) الذى هو منبع الحياة والفيوض اسمه (الرحمن) فان لم تدركه بدليل ولا كشف
(فاسئل به خبيرا) فانه اولى بالتقليد من الجهال (و) هم الذين (اذا قيل لهم اسجدوا
للرحمن) الذى عمت رحمته بالموجودات لتستفيضوا منه الكمالات (قالوا) من افراط جهلهم
(وما الرحمن) فانا لا نعرف من يعم رحمته الكل بل نعتقد ان كل معبود يرحم عابده على ان عموم
الرحمة يقتضى ترك التكليف فلا يكون آمرا بالسجود (انسجد لما تأمرنا) اى لامرك
لا لامره (وزادهم) امرك بسجودهم له ليتقربوا اليه (نفورا) عنه وكيف خفى عليهم الرحمن
مع انه (تبارك) اى كثر الخير (الذى جعل فى السماء بروجا) ينسب اليها اعمال الكواكب
(وجعل) اعظم العوامل (فيها سراجا) كسراج البيت لا يكون رب البيت (وقمرا) يستنير منه
ثم يصير للارض (منيرا) فكيف يعد ان راحمين من دون الله (و) ليس من رحمتهما الليل والنهار
بل (هو الذى جعل الليل والنهار خلفة) يخلف كل واحد منهما الآخر بدلا عنه رحمة (لمن اراد
ان يذكر) من تبدلهما تبدل نور الايمان بظلمة الكفر وبالعكس (او اراد شكورا) اى شكر
الحق على ما افاد بالليل من العبادة بالخلوة او السكوت وبالنهار من العلوم والعبادات المنوطة

بالاجتماع

اى عداوة وشحناء ويقال
الغل الحسد (قوله جل
وعز غلظة) اى شدة عليهم
وقلة رحمة لهم (قوله عز
وجل غيض الماء) اى نقص
وغاض الماء (قوله عزوجل
غسلين) غسالة اجواف اهل
النار وكل جرح او دبر غسلته
فخرج منه شئ فهو غسلين
اى فعلين من غسل الجراح
والدبر

(باب الفاء المفتوحة)

(قوله جل ذكره فاسقين)
اى خارجين عن امر الله

بالاجتماع كالجمعة والعيد أو على تحصل المعاش ثم أشار الى وجوه الشكر التى يستحق بها عموم الرحمة فقال (وعباد الرحمن الذين) يتذللون و يظهر تذللهم فى مشيهم اذ (يمشون على الارض هونا) اى سكينة وتواضعا احترازا عن الكبر الظاهر و يحترزون عن باطنه بترك المجادلة فلا يبتدؤن بمخاطبة مجادل (واذا خاطبهم الجاهلون) بجدالهم بكلمة تدعو الى المجادلة (قالوا) كلاما يقتضى بأنفسهم عنهم (سلاما) فلا يريدون الغلبة عليهم هذا مع الخلق (و) لهم مع التذلل الباطن للحق تذلل ظاهر له اذهم (الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) فقيامهم ايضا تذلل (و) منشأ تذللهم خوفهم اذهم (الذين يقولون ربنا اصرف عنا) الى اعدائك (عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) اى غرامة ترك الشكر بترك التذلل لك بالعبادة ولا يتم منا فان ادخلتنا فيها التقصير نا فلا تجعلها مستقرنا مدة (انها ساءت مستقرا و) ان اقررتنا فيها مدة فلا تجعلها النا مقاما انها ساءت (مقاما و) كما شكروا بانعم الله فى وجودهم شكروا نعمة المال فهم (الذين اذا انفقوا لم يسرفوا) طلبا للجاه الموجب للتكبر (ولم يقتروا) تذللا للمال وايثارا لحبه على حب الله (وكان) انفاقهم متوسطا (بين ذلك) فكان (قواما) اى معتدلا مستقيما لخلوه عن التكبر على الخلق والتذلل لهم (و) لعدم التذلل للخلق هم (الذين لا يدعون مع الله الها آخر) فيعتدلون فى القوة الحكمية اذ الشرك افراط والتعطيل تفريط (و) لاعتدالهم فى القوة الغضبية (لا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق) فقتل النفس المحرمة افراط وترك قتلها بالحق تفريط (و) لاعتدالهم فى الشهوية (لا يزنون) فان الزنا من افراط الشهوة ولم يتعرض للعنة لانه لا اذنب فيها لعدم كونها اختيارية لكن الاختصاء معصية ثم أشار الى ان الافراط فى هذه الامور يوجب افراط العذاب فقال (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) اى صورا قبيحة للآثام (يضاعف له) بتلك الصور (العذاب يوم القيامة) الذى تكون فيه الصور تابعة للمعانى (و) لا يزول زوال العوارض بل (يخلد فيه) اى فى عذابها (مهانا) وان كانت مفيدة للعز فى الدنيا (الا من تاب و) صحت توبته لانه (آمن و) تقوت توبته وايمانه بان (عمل) ولو (عملا) واحدا (صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات) فيجعل بدل صور السيآت صور الحسنات (و) صور السيآت وان كانت سابقة فلا تدفع صور الحسنات اللاحقة اذ (كان الله غفورا) اى ساترا لها لكونه (رحيما) بمن صحت توبته وتقوت (و) كيف لا يبدل الله سيآتهم حسنات مع ان (من تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا) فيستفيد منه بما لا يسترقبح تلك الصور (و) قد تنزهوا عن الرذيلة التى لا يمكن التوبة عنها وهى شهادة الزور فهم (الذين لا يشهدون الزور) لاخلالها بالمروءة (و) هم من المروءة بحيث (اذا مروا باللغو مروا كراما) مكرمين أنفسهم من الوقوف عليه والخوض فيه (و) اذا اتصفوا بهذه الفضائل حصلت لهم التصفية فهم (الذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا) اى لم يسقطوا عن الانسانية (عليها) اى على البهيمية بل على ادنى منها لانها تسمع وتبصر وهم يصيرون (صما وعميانا و) اذا حصلت لهم الكمالات طلبوا التكميل فهم (الذين

عزوجل ومنه قوله عز
وجل ففسق عن أمر ربه
اى خرج عنه وكل خارج
عن أمر الله فهو فاسق
فاعظم الفسوق الشرك
بالله ثم أدنى معاصيه وحكى
عن العرب فسقت الرطبة
اذا خرجت من قشرها
(قوله عزوجل فضلكم
على العالمين) اى على عالمى
دهركم ذلك لا على سائر
العالمين قوله تعالى
واصطفاك على نساء العالمين

يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة اعين) برؤية الكمالات فيهم من تحملهم اسرارنا بالمجاورة أو الجزئية (واجعلنا للمتقين) من سائر الناس (اماما) اى قدوة ولما كان تحصيل الفضائل بالصبر عن الرذائل والصبر يوجب الاجر بلا حساب كان (أولئك يجزون الغرفة) اى أعلى مواضع الجنة (بما صبروا ويلقون فيها) من الله وملائكته (تحية) من الاكرام (وسلاما) من الملام وهى وان كانت عوارض يبقون (خالدين فيها) والاستقرار فيها وان عسر على النفس (حسنت مستقرا و) لاسيما اذا صار (مقاما) ابديا فان زعموا ان هؤلاء لا يعبأ بهم الناس فكيف يعبأ الله بهم حتى يجزيهم الغرفة ويلقيهم السلام والتحية (قل ما يعبؤا بكم ربى) حتى يعبأ بمن تعبدون ولا يعبأ بمن لا تعبدون (لولا دعاؤكم) اى بدون عبادتكم له فان زعمتم انكم تعبدونه (فقد كذبتم) ربكم فيما أمركم به من عبادته حيث كذبتم معجزاته وهو محبط للاعمال ملزم للعذاب فان لم يلزم الآن (فسوف يكون لزاما) ومن لازمه العذاب متى يعبأ به فافهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الشعراء)

سميت بها لاختصاصها بتمييز الرسل عن الشعراء لان الشاعر ان كان كاذبا فهو رئيس الغواة لا يتصور منه الهداية وان كان صادقا لا يتصور منه الافتراء على الله تعالى وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالات ذاته وأسمائه وأفعاله فى آيات كتابه حتى اتصفت بما يذكر (الرحمن) بانزالها على من يكاد يبخع نفسه لعدم عموم الايمان (الرحيم) بابقاء فائدة التكليف عليهم بجعلها غير ملجئة الى الايمان (طسم) اى الطوالع الساطعة للانوار الماحية للظلمات أو طوالع الدلائل الساعدة للتحقيق المذهبة للترددات أو طيبات البراهين السالمة عن القوادح المؤيدة بالكشف أو طامسات الجهل سريعة الازالة للعوارض المزيلة للشبهة (تلك آيات الكتاب) الجامع لهذه الكمالات (المبين) لكل ما يحتاج اليه فى كل باب من أبواب الدين بحيث لم يترك عذرا لتارك الايمان فلم يبق للداعى مع المعاند الا ان يقتل نفسه حزنا عليه (لعلك باخع) اى قاتل (نفسك) من حزنك (الا يكونوا مؤمنين) أو يأتى بآية تلجئهم الى الايمان لكن الآيات ليست من مقدورات البشر والملجئة لا يفيد الايمان معها النجاة (ان نشأ) اهلاكهم (ننزل عليهم من السماء) أى من الجهة العالية التى لا يتوهم معارضتها السفلى (آية) ملجئة (فظلت) أى صارت قبل نزولها (اعناقهم) التى بها ارتفاع ابصارهم (لها خاضعين) اى ذليلة أورد صيغة العقلاء لانه من أفعالهم (و) اما سائر الآيات فاعظمها المعجزة القولية لكن (ما يأتيهم من ذكر) اى كلام مشتمل على شرف مناسب لجلال الله مشتمل على أنواع الرحمة لكونه (من الرحمن محدث) نزوله اذ لم يعهد فيما سبق مثله فى الكمال (الا كانوا عنه معرضين) اى الاسبق اعراضهم عنه قبل اتيانه وليس ذلك لشبهة تبقى عندهم بل لانهم تجردوا للتكذيب ما وردهليهم (فقد كذبوا) والاعراض والتكذيب لا يناسب الجلال

الالهى

اى على عالم دهرها وكافضلت فاطمة وخديجة عليهما السلام على نساء أمة محمد صلى الله عليه وسلم (قوله تعالى فرقنا بكم البحر) اى فلقنا لكم (قوله عز وجل فارض) اى مسنة (قوله جل اسمه فاقع لونها) اى ناصع لونها (قوله تعالى ذكره فريق منهم) اى طائفة منهم (قوله فاؤا) اى رجعوا (قوله جل اسمه فورهم) اى

الالهى بل هو استخفاف به (فسيأتيهم انبؤا ما كانوا به يستهزؤن) كيف والاستهزاء بمنزلة البذر وهم بمنزلة الارض فلا يبعد ان يخرج من بذور استهزائهم اطائف الانباء (أ) ينكرون ذلك فى أفعالهم مع ان له نظيرا فى المحسوسات (و) كانهم (لم يروا الى الارض كم أنبتنا فيها) من بذورها نباتا (من كل زوج) اى صنف يقابل الصنف الآخر من نوعه (كريم) اى محمود كذلك انباء الافعال من كل خير وشر محمود لوقوعه بمقتضى الحكمة الالهية فان زعموا ان انبات الارض لفوائد دنيوية يقال لهم (ان فى ذلك لآية) على الامور الاخروية لانها أهم من الامور الدنيوية فكيف يعتنى بالفوائد الدنيوية ويهمل الفوائد الاخروية (و) لا يخفى هذا على من يؤمن بالآخرة ولكن (ما كان أكثرهم مؤمنين) بالامور الاخروية (و) لكن لا بد منها بمقتضى عزة الله ورحمته (ان ربك لهو العزيز الرحيم) فيعذب بمقتضى عزته اعداءه ويثيب بمقتضى رحمته أولياءه (و) اذكر لمن أنكر اتيان المستهزئين أنباء استهزائهم ما أتى المستهزئين من قوم فرعون حين أرسل الله تعالى اليهم (اذ نادى ربك موسى) ليقبل اليه فيكمل بكمالاته ليقاوم فرعون (ان ائت القوم الظالمين) بجعل الالهية لفرعون وغصب خواص عبيد الله واستعبادهم وقتل أولادهم (قوم فرعون) فهم فى حكمه فى كل ما ينسب اليه من الظلم فان فعلوا ذلك خوفا منه فأنا أولى بالخوف منه (الا يتقون قال رب) انما يتقونك لو صدقونى فاعترفوا بربوبيتك ورسالتى والا كان الامر بالعكس (انى أخاف أن يكذبون و) من خوف التكذيب (يضيق صدرى) عن اداء الرسالة (و) من ضيق الصدر (لا ينطلق لسانى) مع ما فيه من اللكنة الاولى (فارسل الى هرون) لاجل ان يصدقنى فينشرح صدرى ويفهمهم ما لا يفهمون عنى من لكنة لسانى (و) مع ذلك لا اتقوى على الذهاب اليهم اذ (لهم) بحسب اعتقادهم (على ذنب) هو قتل القبطى (فأخاف ان يقتلون) واذا قتلت فمن يؤدى رسالتك (قال كلا) اى ارتدع عن توهم القتل وضيق الصدر وعدم انطلاق اللسان مع ارسال هرون (فاذهبا بآياتنا) فانها تمنعهم من قتلكما وان اجترؤا معها على تكذيبكما ومنى قصدوا ذلك منعتهم ولا يقوتنى الاطلاع على قصدهم (انا معكم) يا موسى وهرون والقوم (مستمعون) بالقصد لما يقول ويقصد كل واحد منكم واذا ارتفع عنكما كل خوف سوى التكذيب (فأتيا) أعظم من يخاف منه (فرعون فقولا) مخوفين له (انا رسول رب العالمين) جمع فى كل واحد منا من رسالته ما يكفى الكل ثم يعاضدنا حتى اتخذنا وكيف لا نرسل اليك وقد غصبت خواص عباده فأمرك (ان ارسل معنا) الى أرض الشام (بنى اسرائيل قال) لو أرسلك يا موسى لم يكن لك قبول رسالته لانك جئتنى لرد ربوبيتى بعد ما ربيتك (ألم نربك فينا) اى داخلا فى أهلنا (وليدا) اى صغيرا (و) لم تزل فى تربيتنا اذ (لبثت فينا من عمرك سنين) ثلاثين سنة ثم كان فى أهل مدين عشر سنين ثم فى دعوتهم ثلاثين ثم بعد غرقهم خمسين (و) كيف ارسلك والرسول يجب أن يكون معصوما وأنت قد (فعلت فعلتك التى فعلت) من قتل القبطى (و) هذا وان لم ترده ذنبا فالكفر ذنب فى زعمك وحين كنت عندنا (أنت من الكافرين) فأجابه

من وجههم ويقال من غضبهم يقال فار فهو فائر اذا غضب (قوله عز وجل فشلتم) اى جبنتم (قوله جل وعز قيانكم) اى اماتكم (قوله عز وجل فترة) اى سكون وانقطاع وقوله على فترة من الرسل على انقطاع من الرسل لان النبى صلى الله عليه وسلم بعث بعد انقطاع الرسل لان الرسل كانت الى

أولا عن الاثم وهو القتل (قال فعلتها اذا) اى قبل النبوة والانبياء انما يجب عصمتهم بعد النبوة عن العمد (و) كانت خطأ اذ (انا من الضالين) اى الجاهلين بكون الوكزة مفضية الى القتل والخطأ وان كان معفوا عنه شرعا بالدية لكن لم أركم تعفون عنه (ففررت منكم لما خفتكم) ان تقتلونى على القتل الخطأ ظلما فنجانى الله منكم فشكرت نعمة انجائه فزادنى انعاما (فوهب لى ربى حكما) عليكم بطلب بنى اسرائيل (و) لا أخاف ان تحكموا على بالقتل اذ (جعلنى من المرسلين) لردع دعواك الربوبية ولم يجب عن الكفر لانه ان تكلم بكلمة فعن تقية ولعله لم يتكلم بها أصلا ولكن كان يظن فرعون به ذلك (وتلك) التربية التى تزعم انها (نعمة) لم تبق نعمة اذ (تمنها على) وهى بالحقيقة انما كانت من أجل (ان عبدت بنى اسرائيل) اى استعبدتهم فحكمت عليهم بذبح أولادهم فخافوا على فالقونى فى البحر فوقعت بيدك فكان هذه التربية عين ذلك الاستعباد ولما رأى اصرار موسى على دعوى النبوة بعد هذه الكلمات الرادعة (قال فرعون) طاعنا على رسالته بقصور معرفته (وما رب العالمين) اى ما حقيقته ولم يمكن بيانها بالجنس والفصل لعدم تركبه ولا بالفصل وحده اذ ليس منه فى المخلوقات شئ فيميزه عن جميعها به ولا ضد له فلا يمكن تعريفه به فلا يعرفه الا من شاهده أو خلق فيه علم ضرورى به أو أوحى اليه واما غيره فغايته الاطلاع على خواصه لذلك (قال رب السموات والارض وما بينهما) اى الذى اكتسبت هذه الاشياء الوجود من اشراق نوره فهذا اتم تعريف لكم (ان كنتم موقنين) أهل كشف وشهود (قال لمن حوله الا تستمعون) بجعل وجود السموات والارض مكتسبا لهما من الغير مع انه قديم (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) من الحوادث اليومية فانه لما لم يمكن فيها دعوى القدم لم يكن بد من اسنادها الى الواجب (قال ان رسولكم) اى الذى هو منكم لا من الملائكة (الذى أرسل اليكم) من مكانكم (لمجنون) يسند الحوادث اليومية الى الواجب على تقدير قدم السموات والارض مع انها على ذلك التقدير مسندة الى الحركات الفلكية التى لا بداية لها (قال) الحركة الكلية لا توجد بدون الجزئيات وجزئياتها حادثة ولا يستند الى الفلك لانه يطلب بها كمالا فهو قاصر فلا بد من اسنادها الى الواجب فهو (رب المشرق والمغرب) اللذين هما المبدأ والمنتهى للحركة (وما بينهما) مما يستند الى تلك الحركة لأن المستند الى المستند الى الشئ مستند الى ذلك الشئ فهذا التعريف تام لكم (ان كنتم تعقلون) تستدلون بالحركة على مبدئها الذى لا يطلب بها كمالا على ان الحركة تغير والمتغير لا بد وأن يكون حادثا ولما أيس عن مجاوبته (قال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين) فى هوة عميقة حتى تموت (قال أ) تسجننى (ولو جئتك بشئ) من المعجزات (مبين) لصدق دعواى فينسبك الناس الى العجز والظلم المنافيين للالهية (قال فأت به ان كنت من الصادقين) بان لك ذلك الشئ (فالقى عصاه فاذا هى) من غير توقف واستتار (ثعبان) حية أكبر من العصا (مبين) اى ظاهر غير مخيل (ونزع يده) من ابطه بعد ما أدخلها فيه لطلب فرعون آية أخرى (فاذا هى بيضاء) ذات شعاع محير (للناظرين) مثل

وقت رفع عيسى متواترة (قوله فتيلا) يعنى القشرة التى فى بطن النواة (قوله تعالى فرطنا فيها) اى قدمنا العجز فيها وقوله ما فرطنا فى الكتاب من شئ اى ما تركناه ولا أغفلناه ولا ضيعناه (وقوله جل ذكره فرطتم فى يوسف) اى قصرتم فى أمره ومعنى التفريط فى اللغة تقدمة العجز

بحر شعاع الشمس أو أكثر وفى قلب العصا الجمادية حية حيوانية اشارة الى امكان قلب الحيوانية روحانية وفى جعل اليد بيضاء اشارة الى امكان تصفية القلب ولما رأى فرعون انه وقع من الآيتين القاهرتين صدق موسى فى قلوب الناس خاف أن ينقلبوا لذلك (قال الملا) اى الاشراف الذين من شأنهم دفع شرف من أراد التشريف عليهم سيما الذين (حوله) وكلامهم يؤثر فى العامة (ان هذا) وان بلغ ما بلغ (لساحر) غايته انه (عليم) بأبواب السحر ولذلك لا يرضى برتبة العوام السحرة بل (يريد ان يخرجكم من أرضكم) ليستولى عليها فيذهب بشرفكم بالكلية لا بقوة العسكر والمال بل (بسحره) واذا كانت عداوته لا تقابل بالعسكر (فماذا تأمرون) انحط عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم واظهر الخوف من ظهوره واستيلائه على ملكه مما رأى من المعجزة (قالوا) الساحر وان بلغ ما بلغ قابل للمعارضة فان لم يقدر على معارضته الواحد والاثنان فلابد وان يقدر عليه الجمع الكثير سيما المشتمل على الماهرين فلا تقتله لئلا تنسب الى العجز والظلم المنافيين للالهية بل (أرجه) اى أخر قتله (وأخاه) وان كان مقويا له (وابعث فى المدائن) اى البلاد المتفرقة شرطا (حاشرين) اى جامعين (يأتوك بكل سحار) اى كثير العمل للسحر (عليم) اى محيط بأبواب السحر فلم يزالوا يجمعونهم (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) اى لما وقت من ساعة ضحى يوم الزينة (وقيل) بالنداء فى السكك والطرق (للناس) الذين وصلهم خبر المعجزتين فوقع فى قلوبهم صدقه (هل أنتم مجتمعون) لرؤية معارضتهما ليزول ما فى قلوبكم (لعلنا نتبع السحرة) فى عبادة الكواكب والشياطين اذ لا ترد دعوى ربوبيتنا (ان كانوا هم الغالبين) لظهور الغلبة لآلهتهم ولا نتبع موسى وان غلب لما فيه من رد دعوانا فأمر فرعون السحرة بحضور مكان الزينة (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون) الذى طلبهم لحفظ ملكه (أئن لنا لأجرا) فوق أجر العسكر اذ نحفظ عليك انقلاب الناس ولا يقدر عليه العسكر (ان كنا نحن الغالبين) من كل وجه (قال نعم) لكم ذلك الاجر (و) نزيدكم التقريب (انكم اذا لمن المقربين) يحصل لكم ما يحصل لهم بالجاه مما لا نسبة له الى أجر العسكر (قال لهم موسى) اظهارا لعدم مبالاته لما هم فاعلونه لا محالة (ألقوا ما أنتم ملقون) مما يعظم عندكم فى المعارضة (فألقوا حبالهم وعصيهم) الكثيرة الغير المنحصرة فصارت حيات (وقالوا) اعتمادا على مبالغتهم فى اتيان أقصى ما يمكن قبل ظهور المعارض (بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فألقى موسى) وحده (عصاه) الواحدة فى مقابلة ما لا ينحصر (فاذا هى تلقف ما يأفكون). أى فاجأت بابتلاع ما قلبوه عن وجهه تزويرا فبهرهم الامر المعجز (فألقى) أى أسقط (السحرة ساجدين) على وجوههم منقادين له بالايمان (قالوا آمنا برب العالمين) قال فرعون أردتمونى قالوا (رب موسى وهرون) فلما رأى فرعون وقوع صدق موسى فى قلوب العامة بفعل السحرة وخاف انقلابهم عنه أخذ يلبس على الناس بأنهم لم يؤمنوا عن بصيرة اذ لو وقع بقلوبهم صدقه لوقع بقلبى فآمنت به وأمرتهم أن يؤمنوا به (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم) تواطأتم أن يكون لكم الملك فقدمتموه (انه لكبيركم)

(قوله تعالى اسمه فالق الحب والنوى) أى شاقهما بالنبات وفالق الاصباح أى شاقه حتى يتبين من الليل (الفحشاء) كل شئ مستقبح مستفحش من فعل أو قول (قوله جل وعز فتيان) أى مملوكان والعرب تسمى المملوك شابا كان أو شيخا فتى ومنه قوله تعالى تراود فتاها عن نفسه أى عبدها

في باب السحر كأنه الاستاذ (الذي علمكم السحر) فان رأيتم ذلك سبب غلبتكم (فلسوف تعلمون) من الغالب أنا أو أنتم لافعلن بكم ما يفعل بمن قصد الملك (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي جانبين متخالفين (ولأصلبنكم أجمعين) بعد القطع (قالوا لا ضير) أي لا ضرر علينا في ذلك (انا) بفعلك هذا (الى) ثواب (ربنا) والقرب منه (منقلبون) فهو أعظم نفع فان لم يحصل لنا ذلك فأقل ما فيه رجاء لغفران العام (انا نطمع أن يغفر لنا ربنا) الذي ربانا بهذا الصنع جميع (خطايانا) من اتباع فرعون والقسم بعزته ومعارضة نبي الله وما في السحر من عبادة الكواكب والشياطين (أن كنا أول المؤمنين) أي لأن كنا أول من آمن من أتباع فرعون وتحمل فيه هذا الوعيد الشديد منه (و) لما فعل فرعون بالسحرة ما فعل من الظلم العظيم لئلا يذهب ملكه بانقلاب الناس عنه أراد الله سبحانه وتعالى اذهاب ملكه باخراج أعدائه ليتبعوهم فيهلكوا في الطريق فيرجع الأعداء الى ملكه فيرثوه (أوحينا الى موسى) الذي تركه مع انه أصل المخاوف (أن أسر) أي سر ليلا (بعبادي) بني اسرائيل (انكم) اذا وصل خبر سيركم الى فرعون (متبعون) فيتبعكم عسكره فلو سرتم نهارا وصل خبر سيركم بسرعة فتدركون قبل الوصول الى البحر واذا سرتم ليلا لم يصل خبر سيركم الا بعد الفجر فسار والليلا فوصل الخبر بعد الفجر (فأرسل فرعون) ليتفرق عسكره (في المدائن) التي حول مصر اثني عشر الف قرية شرطا (حاشرين) أي جامعين لعسكره قائلين ما يقلل به الأعداء في أعين العسكر (ان هؤلاء) الخارجين (لشرذمة) أي قطعة من الناس (قليلون وانهم) وان قلوا لعدو ممن لا يبالي بهم انهم (لنا لغائظون) ففعلوا ما يستقر به غيظنا عليهم (و) لو لم يغيظونا كان الواجب مؤاخذتهم (انا لجميع) وان كثر جمعنا (حاذرون) من مكرهم وسعيهم بالفساد في الارض بقطع الطريق والاستمداد من عسكر آخر (فأخرجناهم) بهذه الدواعي من مكان أمنهم وتنعمهم (من جنات وعيون وكنوز) أي أموال لم يؤد حقوقها (ومقام كريم) وكما كانت حال استقامة ملكهم بقيت (كذلك) بعد تغيره (و) لكن تغير ملكها اذ (أورثناها بني اسرائيل) وكأنهم قصدوا ذلك التوريث (فأتبعوهم مشرقين) أي وقت اشراق الشمس اجتمعوا من المدائن المتفرقة في هذا المقدار من الوقت (فلما) تقارب العسكران بحيث (تراءا الجمعان) أي رأى كل واحد منهما صاحبه (قال أصحاب موسى انا لمدركون) أي ملحقون (قال كلا) أي ارتدعوا عن اعتقاد اللحوق بعد ما وعدكم الحق الانجاء (ان معي ربي) بمقتضى وعده (سيهدين) طريق الخلاص عنهم (فأوحينا الى موسى) الذي اعتمد على هدايتنا اياه (أن اضرب بعصاك البحر) القلزم او النيل ليتفرق ماؤه (فانفلق) أي انشق مع غاية عمقه (فكان كل فرق) أي قطعة من الماء (كالطود) أي الجبل (العظيم) دخل في كل شعب منها سبط من بني اسرائيل للدلالة على عظم عناية الباري لعباده وعظم قهره على أعدائه (وأزلفنا ثم الآخرين) أي قربنا من البحر قوم فرعون بعد دخولهم فدخلوا خلفهم مع علمهم انه لا ينبغي لهم أن يدخلوه (و) لم يضر دخولهم قوم موسى اذ (أنجينا موسى ومن معه أجمعين)

(قوله عز اسمه فرث ودم) الفرث ما كان في الكرش (قوله عز من السرجين) (قوله عز وجل فجوة) أي متسع ويقال مفياة أي موضع لا تصيبه الشمس (قوله عز وجل فريا) أي عجبا ويقال عظيما (الفزع الأكبر) قال علي عليه السلام هو اطباق باب النار حين تغلق على أهلها (قوله جل وعز فلك) هو القطب الذي تدور به النجوم

بحفظ البحر على هيئته الى تمام عبورهم مع بعدهم عن قوم فرعون (ثم) أى بعد انجائهم (أغرقنا) باطباق البحر (الآخرين) قوم فرعون (ان فى ذلك) أى فى انجاء موسى وقومه واهلاك فرعون وقومه (لآية) أى لدلالة على انجاء الله المؤمنين من أهوال يوم القيامة واهلاك الكفار فيه (و) هى وان كانت سبب الايمان لكن (ما كان أكثرهم مؤمنين) لان عزة الحق الحاكمة بكفرهم منعت من تأثيره فيهم (و) انما أثر حيث أثر برحمته (ان ربك لهو العزيز الرحيم) وقد اجتمعت عزته ورحمته فى فلق البحر وهكذا يحصل معرفة الله اذا ضرب بعصا المقدمات فانهم من يكون سبب نجاته وقربه من الله برحمته ومنهم من يكون سبب هلاكه بعزته (و) ان زعموا ان تسفيه الآباء وجماعة العقلاء ليس أقل من الاستهزاء بالانبياء (اتل عليهم نبأ ابراهيم) الذى يفتخرون به مع كونه مستهزئا بأبيه و بعقلاء قومه (اذ قال لابيه وقومه) تسفيها لهم (ما تعبدون قالوا نعبد أصناما) عبادة طويلة (فنظل لها) أى ندوم لعبادتها طول النهار (عاكفين) أى مقيمين أطالوا الجواب تبجحا وافتخارا (قال هل يسمعونكم) أى دعاءكم فى ساعة من ساعات النهار (اذ تدعون أو ينفعونكم) فى وقت من الاوقات لو عبدتموها هذه العبادة الطويلة (أو يضرونكم) فى وقت من الاوقات لو تركتم هذه العبادة (قالوا) لم نجد شيأ من ذلك (بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) ولم يجدلهم فعلا يخلو عن فائدة فنحن وان لم نطلع عليها فلا بد منها (قال أ) تعتقدون الفائدة فى عبادتها من غير تعيينها (فرأيتم) عبادة (ما كنتم تعبدون أنتم) فلم تجدوا تلك الفائدة بعينها مدة أعماركم (وآباؤكم الاقدمون) أيضا لم يجدوها مدة أعمارهم والا لبينوها لكم وقد ظهر لى فيها الضرر اذ فيها عداوة رب العالمين فعكست الامر (فانهم عدو لى الا رب العالمين) فان عبادته لو لم تكن نافعة فهى واجبة على شكر الخلقة اذ هو (الذى خلقنى) على أن شكره مستوجب للمزيد ولا زيادة من جنس الخلقة لما فيه من تحصيل الحاصل فهو مما يتعلق بالخالق (فهو يهدين و) لم يقتصر على الانعام بالخلق بل أنعم بأسباب البقاء اذ هو (الذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت) بأحدهما فانقلب سبب البقاء سبب الفناء (فهو يشفين) فينقلب الفناء بقاء (و) لا يبعد منه اذ هو (الذى يميتنى ثم يحيين) فان لم يفد فى الشكر فى الدنيا مزيدا يفيد فى الآخرة (و) أقل فوائده فى الآخرة غفران الخطيئة فهو (الذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى) وهى كلماته الثلاث انى سقيم بل فعله كبيرهم واسارة اختى وكونها معاريض لا ينافى ذنب فصلها لما فيها من التلبيس فيقتضى أن يجازى به (يوم الدين) ولما آثر محبة الحق وعداوة الاصنام قال (رب هب لى حكما) يشهد فى أكثر العالمين بصحة عبادتك وبطلان عبادة ما سواك (وألحقنى) فى استكمال عبادتك ومعارفك (بالصالحين) بحيث أصير قدوة للمتأخرين لما يرون فى من الكمالات (واجعل لى لسان صدق) أى ثناء مطابقا للواقع واقعا (فى) قلوب (الآخرين) حتى يقتدوا بى بما يسمعون من معارفى وأعمالى (و) لا تجعلنى بذلك ممن ذهب بطيباته فى الدنيا بل (اجعلنى من ورثة جنة النعيم) ممن ذهب طيباتهم فى حياتهم الدنيا ممن خلقتهم لعبادتك ليجازوا عليها بالجنة

(قوله عز وجل فج عميق) أى مسلك بعيد غامض (قوله جل وعلا) فار التنور يقال لكل شئ ماج وعلا قد فار ومنه فارت القدر اذا ارتفع ما فيها وعلا (قوله عز وجل فرضناها) فرضنا ما فيها وفرضناها أى أنزلنا فيها فرائض مختلفة (قوله عز وجل) أى فتياتكم على البغاء) أى اماءكم على الزنا (قوله جل وعز فرهين) وفارهين أشرين وفارهين أيضا حاذقين

(و) لا تنقص تنعمى بتعذيب أبى (اغفر لأبى) وان كان مشركا (انه كان من الضالين) باعتقاد أن عبادة الاصنام هى عبادتك فى الواقع ولم يعلم ان الشرك يحبط العبادة الخالصة له فكيف غير الخالصة المقصود بها الغير (و) هذا وان لم تغفر لغيره اغفر له من أجلى لئلا أخزى به (لا تخزنى يوم يبعثون) لان المخزى فيه يفتضح بين الاولين والآخرين وكان هذا قبل النهى عن الاستغفار للمشركين ومن عظمة ذلك الخزى انه لا يندفع بما يدفعه فى الدنيا وقوعه (يوم لا ينفع مال ولا بنون) أحدا (الا من أتى الله بقلب سليم) عن محبتهما وصرفهما الى مضارهما بل صرفهما فى الخيرات التى هى محابه فكانت مؤكدات لمحبته فزادته نفعا (و) لنفع كل شئ لذى القلب السليم (أزلفت) أى قربت (الجنة) التى هى خزانة المنافع (للمتقين) الذين وقوا سلامة قلوبهم بالتحفظ عن مضاره (و) لا ينفع الغواة شئ اذ (برزت) أى أظهرت (الجحيم) التى هى مجمع الاحزان والشدائد (للغاوين و) قد حصل لهم من الخزى ما لا يدركون معه المنافع لو حصلت لهم اذ (قيل لهم أين) أى فى أى مكان من القرب الالهى أو القوة (ما كنتم تعبدون) مع علمكم بأنها (من دون الله) فى الدنيا (هل) زال دنوهم بحيث (ينصرونكم أو ينتصرون) بدفع العذاب عنكم أو عن أنفسهم (فكبكبوا) أى القوا (فيها) على وجوههم منكبوبين مرة بعد أخرى من غاية ضعفهم وذلتهم (هم) أى المعبودون (والغاوون) من عبدتهم (وجنود ابليس) المغوون لهم (أجمعون) من الجن والانس وان كان فيهم من تاب عن الاغواء من بلى لكنه مؤاخذ بحق الخلق (قالوا) من تعذبهم بالعذاب العقلى مع الحسى (وهم فيها يختصمون) بدل الاستشفاع (تالله ان) أى انه (كنا لفى ضلال مبين) فى عبادتكم (اذ نسويكم برب العالمين) فيما مع انكم لا تربون شيأ (و) لم نتبع فيه من يشفع لنا لانه (ما أضلنا) فاتبعناهم (الا المجرمون) لا المجتهدون المخطئون الذين يثابون على خطئهم وصوابهم وقد بلغوا من كمال العلم والعمل ما يراد به شفاعتهم ومتابعة المجرمين قد قطعت شفاعة الشافعين (فما لنا من) شافع مع كثرة (شافعين) من الانبياء والاولياء والعلماء (ولا) لنا من (صديق حميم) يحمى من افراط الشفقة علينا الا اختصاص ذلك بالمؤمنين ولا يحصل الا فى الدنيا (فلو أن لنا كرة) أى ليت انا رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) فلو رجعنا منها الى الآخرة ثانيا كان لنا شفعاء وأصدقاء (ان فى ذلك لآية) ان عظة تدعو الى الايمان (و) لكن (ما كان أكثرهم مؤمنين) لكونهم محجوبين بحجاب انما (و) انما آمن من آمن لارتفاعه عنه بالرحمة (ان ربك لهو العزيز الرحيم) ومن آثار قهره ان للمحجوبين بحجابها اغراق قوم نوح ومن آثار الرحمة فى ذلك القهر برفعها الحجاب انجاء نوح ومن معه من المؤمنين فانه (كذبت قوم نوح) المحجوبون بحجاب العزة (المرسلين) لرفعه بايهم (اذ قال لهم أخوهم) فى النسب والشفقة (نوح) الذى تكذيبه تكذيب الرسل (ألا تتقون) سطوة العزة التى أنتم بها محجوبون وقد أرسلت لرفع ذلك الحجاب بالتخويف (انى لكم رسول) وخصنى بذلك لما عرفتم صدقى من انى (أمين) فاذا أرسلنى لهذا المعنى (فاتقوا الله) أى فارتقوا بتسكم من سطوة عزته التى حجبكم بها (و) انما يتم تقواه بامتثال أوامره ونواهيه القائمة

(قوله عز وجل فرض عليك القرآن) أى أوجب عليك العمل به ويقال أصل الفرض الحز يقال لكل حز فرض فمعناه ان الله ألزمهم ذلك فثبت عليهم كاثبات الحز فى العود اذا حز فتبقى علاماته (قوله عز وجل فكهون) الذين يتفكهون بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس ان فلانا لفكه بهذا ويقال أيضا رجل فكه

بهامن عنده لكشف حجب العزة وقاية عن سطوتها (وأطيعون) لتصيروا متقين فتحصل لكم فوائد الآخرة (و) لا ينقص عليكم شيء من دنياكم لأني (ما أسئلكم عليه) أي على تبليغ الرسالة المفيدة فوائد نافعة الى الابد (من أجر) دنيوي ولا أخروي لقصور ما عندكم (ان أجري الا على رب العالمين) المعطي بغير حساب واذا لم أطلب منكم أجرا تأكد أمانتي وصدقي وازداد بطلب الاجر من الله لانه لا يعطي الكاذب في دعوى الرسالة عليها أجرا ويتأكد بما تأكد الحجة عليكم (فاتقوا الله) ان يكون له عليكم حجة (وأطيعون) لتصير الحجة عليكم حجة لكم (قالوا أنؤمن) بك مطيعين (لك واتبعك الارذلون) أي الاقلون مالا وجاها طمعا في طعام لك فنشاركهم فيه (قال وما علمي) محيطا (بما كانوا يعملون) من الايمان لطمع الطعام أو لاجر الآخرة (ان حسابهم) على بواطنهم (الا على ربي) المخصوص بالاطلاع عليها فلا يتعدى الى نظري (لو تشعرون) أي لو كان لكم أدنى شعور لعلمتم بهذا الاختصاص قالوا لو أردت الاطلاع على ذلك فاطردهم فان داموا على الايمان فهم مخلصون والا فايمانهم للطعام فقال (وما أنا بطارد المؤمنين) لان طردهم مانع من ايمان غيرهم وأنا طالب لايمان الكل بالانذار عن ضده (ان أنا الا نذير) عن الكفر (مبين) لضرره فلا أبطل مقتضاه بمقتضى الطرد (قالوا لئن لم تنته يا نوح) عن هذا الانذار (لتكونن من المرجومين) أي المضروبين بالحجارة ليحصل لك المنذر به قبلنا (قال) اعتذارا الى الله تعالى وشكاية عن قومه (رب ان قومي كذبون) تكذيبا لا يمكن رفعه بانذار ولا باقامة دليل فصار النزاع منغلقا (فافتح) ما يرفع النزاع (بيني وبينهم فتحا) كليا بالكشف عن المنذر به من سطوة العزة (ونجني ومن معي من المؤمنين) عن تلك السطوة لنتميز عنهم فيرتفع النزاع في الباقين ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا لايصال سطوتنا اليهم وميزناه ومن معه (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) أي المملوء منهم ومن سائر الدواب مع عسر انجاء الفلك الخالي عنهم لكونه في موج كالجبال (ثم) بعد انجائهم (أغرقنا بعد الباقين) على الكفر بعد ظهور الطوفان بتمامه اذ لا تمييز للأولين بدونه (ان في ذلك لآية) على ان من ركب سفينة الايمان والاعمال الصالحة نجا من طوفان يوم القيامة والاغراق في طوفانه فهو أجل داع الى الايمان (و) لكن (ما كان أكثرهم مؤمنين) كيف (و) لم يرتفع بذلك عنهم حجاب العزة الامن المرحومين فيمن بقي (ان ربك لهو العزيز الرحيم) بعد اغراقهم كما كان قبل ذلك وممن أغرق في طوفان سطوة العزة عاد اذ (كذبت عاد المرسلين) العاملين سفن النجاة عن هذا الطوفان (اذ قال لهم أخوهم) المريد نجاتهم عن هذه السطوة (هود) المبعوث للانذار عنها (ألا تتقون) الغرق في طوفان سطوة العزة (اني لكم رسول) آت باسباب النجاة عنه (أمين) لم أخن عليكم شيأ من أسبابها وأعظم أسبابها التقوى (فاتقوا الله) العزيز أن تشاركوه في عزته أو تجعلوا له شريكا (وأطيعون) فيما أشير لكم من أسبابها (و) لا مكر عليكم في ذلك اذ (ما أسئلكم عليه من أجر) وكيف يمكر من يطلب الاجر من الله (ان أجري الا على رب العالمين) وهو يربي الماكر بمقتضى مكره (أتبنون) لتشاركوا الله في عزته (بكل ريع)

اذا كان طيب النفس ضاحكا وفاكهون الذين عندهم فاكهة كثيرة كما يقال رجل لابن وتامر أي ذو لبن وتمر كثير ويقال فكهون وفاكهون واحد أي معجبون كما يقال حذر وحاذر وفي التفسير فاكهون ناعمون وفكهون معجبون (قوله تعالى فصل الخطاب) يقال اما بعد ويقال البينة على الطالب واليمين على المطلوب (قوله تعالى فواق)

اى مرتفع من الارض (آية) لتذكروا بها فتتكبروا على الخلق وأنتم باتلاف المال من أجله (تعبثون) اذ التكبر بالاحسان على الخلق أتم من ذلك ولا يفيد الاهتداء بها اذ بالنجوم كانوا يهتدون (وتتخذون مصانع) أى قصورا مشيدة وحصونا للتأمن عن أعدائكم (لعلكم تخلدون) فى الدنيا وكأنكم تريدون مغالبة الله فيما قدر من افنائكم فهذا انفراد بالعزة المخصوصة بالله (و) كبركم يؤدى الى التجبر لذلك (اذا بطشتم) أى تسلطتم على أحد (بطشتم جبارين فاتقوا الله) من هذه الخصلة الذميمة المؤدية الى الظلم الذى لا أقبح منه (وأطيعون) فيما أشير لكم من معالجة هذا المرض (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون) من انعاماته أن يسلبكموها ان فعلتم هذه الخصلة وقد كان امداده بذلك مما يفيدكم العزة لانه (أمدكم بأنعام) ابل وبقر وغنم (وبنين وجنات وعيون) فيكون طلب العزة سالبا للحاصلة منها ومع ذلك (انى أخاف عليكم) من كفران هذه النعم والكفر بالمنعم وبرسوله وما أرسل من أجله (عذاب يوم عظيم) يعظم يومه فوق يوم السلب (قالوا سواء علينا) وعظك وعدمه بحيث يشك فيه (أوعظت) أى أخوفتنا بذلك (أم لم تكن من الواعظين) فانا لا نرعوى به عما نحن عليه (ان هذا) الوعظ (الا خلق) أى افتراء (الاولين) اذ لو كان الله معذبا على الذنب لعذب حال مباشرته أو عقيب فراغه منه (و) لكن لم يعذب أحدا فعلمنا انه (ما نحن بمعذبين) أصلا فى وقت من الاوقات (فكذبوه) فى تخويفه العذاب (فأهلكناهم) بالعذاب على تكذيب العذاب (ان فى ذلك لآية) على ان من كذب عذاب الآخرة عذب به (و) هى توجب الايمان به لكن (ما كان أكثرهم مؤمنين و) لا يدل عدم التعذيب فى الحال أو عقيب الفراغ على عجز الله عنه وان رحم بتركه مدة (ان ربك لهو العزيز الرحيم) وممن عذب على تكذيب العذاب ثمود اذ وعدوا العذاب على عقر الناقة فكذبوه فعقروا ناقته (كذبت ثمود المرسلين) المخوفين من العذاب على المعاصى سيما تكذيب العذاب (اذ قال لهم أخوهم) القاصد دفع العذاب عنهم (صالح) المبعوث للاصلاح الدافع له (ألا تتقون) أى ألا تأخذون الوقاية عن العذاب على المعاصى سيما تكذيب العذاب (انى لكم رسول) من المعذب آت بأسباب الوقاية (أمين) على تبليغها لا اغير منها شيأ وأجل أسبابها الالتجاء بالله والاستعانة به (فاتقوا الله) أى اجعلوه الوقاية عن العذاب (و) لا يتم الا بامتثال أوامره ونواهيه التى جئت بها (أطيعون و) ليست اطاعتى اطاعة الرعية للملوك باداء المال اذ (ما أسئلكم عليه من أجر) اذ لا ابالى لما أفدتكم من هذه الفائدة وانما ابالى لاجر الله (ان أجرى الا على رب العالمين) الذى بعثنى فاستحق عليه الاجر المناسب لعظمته (أ) تتوهمون انكم (تتركون) غير مكلفين (فيما ههنا) من معارفه وعبادته (آمنين) من عذابه مع كثرة ما أنعم به عليكم اذ جعلكم (فى جنات) مشتملة على أنواع الفواكه (وعيون) لتثميرها وانمائها (وزروع) لتحصيل الاقوات (ونخل) مشتمل على ما هو قوت وفاكهة (طلعها هضيم) أى متدل متكسر من كثرة الحمل فيعظم شكرها فاذا غفلتم عظم الانتقام عليها (و) كأنكم متأمنون بما (تنحتون من الجبال بيوتا) لتسكنوا فيها (فارهين) أى ناشطين

بضم الفاء مقدار ما بين الحلبتين ويقال فواق وفواق بمعنى واحد وقوله عز وجل ما لها من فواق أى ليس لها بعدها افاقة ولا رجوع الى الدنيا وما لها من فواق أى ما لها انتظار (قوله عز وجل فرطت فى جنب الله) وفى ذات الله واحد ويقال ما فعلت فى جنب حاجتى أى فى حاجتى قال كثير

ألا تتقين الله فى جنب عاشق له كبد حرى عليك تقطع

لايحزنكم شئ من المخوفات والامن من الله مفض الى التغيير (فاتقوا الله) ان يغير عليكم أمنكم (و) انما يؤمن من تغييره عند امتثال أوامره ونواهيه التى جاء بها الرسل (أطيعون ولاتطيعوا) لتحصيل الامن من تغيير الله (أمر المسرفين) وان زعموا انهم انما يأمرون بامر الله فانه يكذبهم أفعالهم اذهم (الذين يفسدون فى الارض) فلا يتركون على الناس أمنا ولانشاطا فيضاف من اطاعتهم ان لايبقى على مطيعهم أمنه ولانشاطه كيف (و) هو انما يتوقع من أمر المصلحين وهم (لايصلحون قالوا) كيف نطيع أمرك الصادر عن اختلال العقل (انما أنت من المسحرين) أى الذين غلب السحر على عقولهم فيتوهم انك أرسلت مع ان ارسال البشر محال (ما أنت الابشر مثلنا) وارسال أحد المثلين دون الآخر تحكم فلو كنت رسولا لكان كل بشر رسولا فان فارقتهم بآية (فأت بآية ان كنت من الصادقين) فى دعوى المفارقة (قال) الآية (هذه) الناقة الخارجة عن الصخرة بدعائى على حسب اقتراحكم فهى (ناقة) يجب رعايتها بان يجعل (لها شرب) أى نصيب من الماء لايشارك فيه (ولكم شرب يوم معلوم) لاتتعدونه الى يوم شربها وانما منعتم مشاركتها فى نصيب الماء لانه يسوءها أدنى اساءة (ولاتمسوها بسوء) من ضرب أو قتل (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) لعظمة ماتعاطيتم فيه من تغيير آية الله (فعقروها) أى اتفقوا على عقرها فظهرت علامات العذاب (فأصبحوا نادمين) من أجلها فتمت تلك العلامات (فأخذهم العذاب) الموعود على عقرها (ان فى ذلك لآية) على أن من غير من أمر الله شيأ عذبه يوم القيامة يعتبرها من آمن (و) لكن (ما كان أكثرهم مؤمنين و) لم يعلموا ان الله غالب على تغيير حال من غير شيأ من أمره وان كان قد رحمه بتلك الحال (ان ربك لهو العزيز الرحيم) ومن المعذبين بتغيير أمر الله قوم لوط فانه (كذبت قوم لوط المرسلين) المخوفين عن تغيير أمر الله كاتيان الرجال المخل بحكمة الجماع وهى طلب النسل (اذ قال لهم أخوهم) فى الشفقة عليهم (لوط) المخوف من التغيير (ألا تتقون) تغيير الوضع الالهى بعدما أرسلت مخوفا عنه (انى لكم رسول) ولا أريد بذلك ان اختص به دونكم لانى (أمين فاتقوا الله) أن يبدل راحتكم ألما (و) انما تحفظون عن تغييره لولم تغيروا شيأ من أوامره ونواهيه التى أمرنى بتبليغها اليكم (أطيعون) وكيف أكذب لكم (وما أسئلكم عليه من أجر) والكذب بلا طمع ليس من شأن العقلاء وكيف أكذب على الله مع انى طامع للاجر منه (ان أجرى الا على رب العالمين) وهو لايعطى المفترى عليه أجرا (أتأتون الذكران) أى أتجامعون الرجال فى أدبارهم (من العالمين) اذ لايفعله سائر الحيوانات (و) تبالغون فيه اذ (تذرون) أى تتركون محل الحرث بالكلية وهو (ماخلق لكم ربكم) ليرتبطكم بالنسل (من أزواجكم) المحافظة لنسلكم وليس ذلك لنفس الاستمتاع فانه يحصل من قبل النساء (بل أنتم قوم عادون) أى مجاوزون حد الشهوة الحيوانية الى الشيطانية (قالوا لئن لم تنته يالوط) عن نهينا عن اللواط (لتكونن من المخرجين) من قريتنا عنفا اذ لاتجانسنا (قال) هذا الوعيد لايردعنى عن ردعكم (انى لعملكم من القالين) أى المبغضين غاية البغض فاكره ماكنتكم

(قوله تعالى كالفخار) هو طين قد مسته النار (قوله عز وجل فوج) جماعة (قوله جل اسمه فصيلته) أى عشيرته الادنون (قوله جل وعز فاجرا) أى مائلا عن الحق وأصل الفجور الميل فقيل للكاذب فاجر لانه مال عن الصدق وللفاسق فاجر لانه مال عن الحق وقال بعض العرب لعمر بن الخطاب رضى الله عنه

كيف وأخاف عنه مشاركتكم في العذاب (رب نجني وأهلي مما يعملون) من عقوبة عملهم وان لم يعملوه كما هو شأن العذاب الدنيوي (فنجيناه وأهله أجمعين) عن أن يصيبهم عذابهم اذ أخرجناهم قبل وصوله (الا عجوزا) فانها وان خرجت عن قريتهم كانت (في) حكم (الغابرين) أي الباقين في القرية (ثم) أي بعد انجائهم (دمرنا) أي أهلكنا (الآخرين) بذلك العذاب وهو جعل قريتهم عاليها سافلها (و) هو وان لم يلحق امرأته لحقها مطرهم اذ (أمطرنا عليهم مطرا) غير متعارف وهو امطار الحجارة (فساء مطر المنذرين) اذ لم يكن كامطارها على غيرهم لو أمطرت اذ كان الحجر الواحد قاتلا لمن وقع عليه (ان في ذلك) الامطار (لآية) على ان من غير أمر الله استحق مطر السوء (و) لكن لم يعتبروها اذ (ما كان أكثرهم مؤمنين) اذ لم ينظروا الى عزته بل اغتروا برحمته (وان ربك لهو العزيز الرحيم) ومن المعذبين على تغيير أمر الله في الكيل والوزن اللذين هما من أسباب البقاء التي هي دون أسباب الوجود بمطر السوء أصحاب الايكة فانه (كذب أصحاب الايكة) غيضة شجر بقرب مدين (المرسلين) لتقويم أمور الناس (اذ قال لهم شعيب) المبعوث للتكميل ولم يقل أخوهم اذ لم يكن نسيبا لهم وأمره بالتكميل يشعر بارادة تكميله اياهم المشار اليه بالاخ (ألا تتقون) أن يمطر عليكم مطر السوء من تغيير الكيل والوزن بعد امطار الخير على الزرع وقد أرسلني لأكون واسطة الفيض (اني لكم رسول) ولا أغير فيضه لاني (أمين فاتقوا الله) ان يسيء فيضه عليكم (و) انما يحسن فيضه لو أحسنتم امتثال أوامره ونواهيه التي جئت بها (وأطيعون) لكوني واسطة الفيض (وما أسئلكم عليه من أجر) لانه استفاضة والمفيض على شخص لا يكون مستفيضا منه (ان أجري الا على رب العالمين) المفيض على الكل ولكونه مفيضا بحسب استعداد المفاض عليه من أعماله (أوفوا الكيل) الذي تعطونه (ولا تكونوا من المخسرين) بالزيادة في الكيل المأخوذ وفي الفيض عليكم ولا ينقص شيأ (وزنوا بالقسطاس المستقيم) أي الميزان السوي عطاء وأخذا (ولا تبخسوا) أي لا تنقصوا (الناس أشياءهم) بنقص الكيل في العطاء وزيادته في الاخذ وبالجملة التغيير في الكيل والوزن يشبه قطع الطريق الذي هو افساد عام (ولا تعثوا) أي ولا تفسدوا افسادا عاما (في الارض) بقطع الطريق (مفسدين) أي قاصدين الافساد لاقتال أهل الحرب ولا اغارتهم وأسرهم (و) كيف تغيرون ما فيه قوام الخلق (اتقوا) المقوم الحقيقي (الذي خلقكم والجبلة الاولين) أي وذوي الخلقة الماضين أن يجعل المطر الذي هو مبدأ القوام منشأ اهلاككم (قالوا) انما نقبل كلامك لو سلم عقلك لكن (انما أنت من المسحرين) الذين جنوا من السحر عليهم فادعوا من جنونهم الرسالة (و) كيف تكون رسولا مع انك (ما أنت الا بشر مثلنا و) ان أرسل اليك فهلا أرسل الينا انه أرسل اليك ليذهب عنا ظن كذبك (ان) أي انا (نظنك لمن الكاذبين) فان أردت تصديقك من غير أن يرسل الينا انه أرسل اليك (فأسقط علينا كسفا) أي قطعة (من السماء) لتشققها من غضب الله علينا على تكذيب رسوله فانه يغضب علينا هذا الغضب (ان كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون)

وكان أتاه فشكا اليه نقب ابله ودبرها واستحمله فلم يحمله فانشأ يقول
أقسم بالله أبو حفص عمر
ما مسها من نقب ولا دبر
اغفر له اللهم ان كان فجر
أي ان كان فجر عن الصدق
(قوله عزوجل فاقرة) أي داهية ويقال انها من فقار الظهر كأنها تكسره يقال فقرت الرجل اذا كسرت فقاره كما تقول رأسته اذا ضربته على الرأس

أى بما يقتضيه عملكم من الكشف أو غيره (فكذبوه) أى العذاب بحسب مقتضى العمل وخلا فى مقتضاه فسلط الله عليهم الحر سبعة أيام فاظلتهم السحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا (فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم) بخوف يوم الكشف لو وجد (ان فى ذلك لآية) على ان الله يعذب كل أحد بمقتضى عمله اذ أمطر عليهم مطر السوء عند كفرانهم نعمة الامطار (و) هذا يوجب الايمان بعدل الله لكن (ما كان أكثرهم مؤمنين و) ليس ذلك بطريق الوجوب بل (ان ربك لهو العزيز) أى الغالب على تعذيب من شاء بما شاء (الرحيم) بعدله بل بعفوه أيضا (وانه) أى القرآن (لتنزيل رب العالمين) بمقتضى عزته ورحمته فهو كالمطر العام لكنه فى حق قوم ماء يفيدهم برد اليقين لكونهم من أهل الرحمة وحجارة أو نار فى حق المحجوبين بحجاب العزة يفيدهم شدة وحرارة شك ثم المطر يتم نفعه تارة وضره أخرى والقرآن يجمعهما معا لانه (نزل به الروح الامين) الذى هو جبريل النازل منك منزلة روحك فمن كان من أهل الخير أدى اليه امانة النفع ومن كان من أهل الشر أدى اليه أمانة الضر وكما ان المطر نزل على الارض فينبت الاقوات والقوا كه والسموم كذلك نزل هذا (على قلبك) نزل عليه المعانى النازلة على الروح ثم يصعد الى الدماغ فينتقش بها لوح المخيلة فيصور الملقى بصورة انسان أوملك والملقى بصور الحروف ويعرف صدقه بنزول المعنى من الروح (لتكون من المنذرين) والانذار مصلح للمؤمنين ومفسد للكافرين سيما (بلسان عربى مبين) فمن اعترف باعجازه لكونه مبينا جميع المقاصد الدينية فى ألفاظ يسيرة واضحة انتفع به ومن نظر الى ظاهر ألفاظه فانكر اعجازه تضرر به (و) من دلائل صدقه لمن عجز عن فهم اعجازه موافقته لما فى الكتب السالفة من الاعتقادات والاخبار (انه لفى زبر الاولين) مع انه عليه السلام لم يتعلمها ولم يصحب أهلها (أ) يذكرون صدقه ولم يطلعوا عليها ولا على اعجازه (ولم يكن لهم آية) على صدقه (أن يعلمه) أى الرسول او القرآن (علماء بنى اسرائيل و) لا يخل بصدقه ولا باعجازه عدم ايمان بعضهم لانهم فى العناد بحيث (لو نزلناه) أى القرآن العربى المعجز (على بعض الاعجمين فقرأه عليهم) من غير تعلم العربية وبين لهم أسراره (ما كانوا به مؤمنين) ولا يبعد ذلك فانه كما سلكنا اعجازه فى قلوبهم (كذلك سلكناه) أى أدخلنا العناد (فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به) وان وقع صدقه فى قلوبهم من جهات كثيرة (حتى يروا العذاب الاليم) الملجئ لهم الى الايمان حين لا ينفعهم ولا يعلمهم الله بوقت مجيئه ليؤمنوا به قبله فينتفعوا بايمانهم بل يخفى وقته عليهم (فيأتيهم بغتة) أى فجأة (وهم لا يشعرون) بوقته قبل مجيئه فاذا فاجأهم وعلموا انه لا ينفعهم الايمان معه لكونه ملجئا (فيقولوا هل نحن منظرون) بتأخيره عنا حين النؤمن اختيارا (أ) يتمنون الانظار بعد تحققه ويستعجلون قبل تحققه (فبعذابنا يستعجلون) فان زعموا أن ابطاء الله تعذيبنا لم يتمتعنا هذه المدة الطويلة فان المغضوب عليه اذا متع فانما يمتع قليلا يقال (أ) يأتيه منافلنا الممتع سنين للعذاب (فرأيت) انما الممتع السابق يبطل ألم العذاب اللاحق بل (ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون)

(قوله جل وعز فك رقبة) أى اعتقها وفكها من الرق (قوله جل اسمه كالفراش) هو شبه البعوض يتهافت فى النار (قوله جل وعز الفلق) هو الصبح ويقال الفلق هو واد فى جهنم

(باب الفاء المضمومة)

(قوله عز وجل فرقان) مافرق به بين الحق والباطل (قوله عز وجل فومها وعدسها) الفوم الحنطة والخبز أيضا يقال فوموا

من العذاب (ما أغنى) أى مادفع ألمه (عنهم) لذة (ما كانوا يمتعون) اذ لم يبق تلك
اللذة عند هذا الالم (و) ان زعموا انه تعالى لو أراد المؤاخذة لجاءتهم بها رسولا قيل لهم
هذا منقوض مخالف للواقع فانا (ما أهلكنا من قرية) فجأة (الا لها منذرون) عن ذلك
الاهلاك قبل اتيانه لا يعينون وقته ليبطلوا فجأته ولكن تذكرونه (ذكرى و) لابد منها
فى الحكمة لانا (ما كنا ظالمين) والفجأة قبل التذكير تشبه الظلم (و) ان قالوا الانسلم
ان النازل على قلبك هو الروح الامين بل هو الشيطان اللعين يقال (ما تنزلت به الشياطين) فانه
لو نزل به شيطان على واحد لنزل بمثله آخر على مثله ت.كثيرا للاختلاف الذى هو مطلوب الشيطان
(و) لو قيل انما لم يفعلوا لظهور الضلال حينئذ وقد أرادوا الاخفاء فخصوا الواحد بانزاله
عليه يقال (ما ينبغى لهم) أن ينزلوا به لانه هدى صرف وهم انما ينزلون بالهدى بقصد
التوسل به الى مجموم من الضلال لا يفى به ذلك الهدى على انهم (و) ان أتوا بما يشبه
الخوارق من السحر (ما يستطيعون) أن يأتوا بالمعجز الصرف ولو قيل لعلهم سمعوا المعجز من
الملائكة يقال (انهم عن السمع) أى سمع المعجز من الملائكة العالية (لمعزولون) لانهم
منعوا من سماع الاخبار من أهل السماء الدنيا بالشهب فكيف لا يمنعون من سماع المعجز من
أهل السموات العلى على انه لو كان من الشيطان لكان داعيا الى الشرك لكن القرآن
ناه عنه (فلا تدع مع الله الها آخر) والشيطان ان نهى عنه حينا لم يعد عليه العذاب فان
وعد به البعض لم يعم بوعده والقرآن وعد العذاب به الكل وان كان فيهم من عظم قدره
(فتكون من المعذبين و) الشيطان يعد على عبادة الاوثان شفاعتها ولا يعد القرآن شفاعة
شافع على عبادتها وان كانوا من أقارب أعلى الشفعاء بل يقول (أنذر عشيرتك الاقربين
و) أيضا لو كان النازل به شيطانا لافاد المنزل عليه كبرا على اتباعه والقرآن يأمرك بالتواضع
لهم (اخفض جناحك) تواضعا (لمن اتبعك من المؤمنين) وليس المقصود منه تكثير الاتباع
لانه يوجب عدم المبالاة بأفعالهم وهو انما أمر بالتواضع لمن دام على المتابعة فى الاصول
والفروع (فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون و) ان عادوك على هذه البراءة (توكل على
العزيز) الغالب عليهم (الرحيم) عليك لرؤيته اخلاصك فى العبادة لانه (الذى يراك) دون
غيره ليتصور هناك رياء (حين تقوم) من النوم للتهجد (و) يرى (تقلبك) أى ترددك فى
مقامات العبودية حين تكون (فى الساجدين) فلا تراقبهم عند اجتماعهم كما لا تراقبهم عند
الخلوة فاذا توكلت عليه بعد هذا الاخلاص سمع دعاءك عليهم وقام بمصالحك (انه هو السميع
العليم) ثم أشار الى أن المنزل على الرسول عليه السلام كيف يكون من تنزيل الشيطان وهم
لا ينزلون على النفوس الخيرة الداعية الى الخير المحض فى العموم لمباينتهم لها فقال (هل انبئكم
على من تنزل الشياطين) ممن يناسبهم (تنزل على كل أفاك) أى كذاب يصرف الكلام من
وجه الى آخر ولا يبالى بذلك لانه متصف بوصف (أثيم) أى مبالغ فى الاثم وليس ذلك من
اطلاع الشياطين على الغيب حتى يصيروا كالملائكة بل غايتهم انهم (يلقون السمع) لما

لنا أى اختبزوا الناو يقال
القوم المحبوب ويقال
القوم النوم أبدلت الثاء
بالفاء كما قالوا جدث وجدف
للفقراء (قوله عز وجل للفقراء
الذين أحصروا) هم أهل
الصفة (فلك) سفينة
تكون واحدا وتكون
جمعا (وقوله انما الصدقات
للفقراء) الفقراء الذين لهم
بلغة والمساكين الذين
لاشئ لهم والعاملين عليها
العمال على الصدقة
والمؤلفة قلوبهم الذين كان

تقوله الملائكة (و) مع ذلك ليس اخبارهم كاخبار الملائكة اذ (أكثرهم كاذبون و) ان زعموا انه لم ينزل عليك شيطان ولا ملك بل هو من أشعارك يقال (الشعراء) كاملوا الغواية بحيث (يتبعهم الغاون) فلا يتأتى منهم هذا الارشاد الكامل المنتشر فى أصحابه (الم تر أنهم فى كل واد) من المقدمات الخيالية والوهمية وأنواع التشبيه وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب والافتخار بالباطل ومدح من لا يستحقه وغير ذلك (يهيمون) أى يترددون هذا فى باب الاخبار (وانهم يقولون) فى الوعد والوعيد (مالا يفعلون) والقرآن ليس فى شئ من هذه الطرق (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لم يهيموا فى كل واد ولم يقولوا مالا يفعلون فلا يتصور منهم الافتراء على الله تعالى كيف (و) هؤلاء (ذكروا الله كثيرا) وكثرة ذكره مانعة من الافتراء عليه ومن سائر القبائح (و) ان تعرضوا الهجو لم يقصدوه لذاته بل (انتصروا) به انتصارا جائزا لكونه (من بعد ما ظلموا و) كان هجوهم دون ما استحقوه من الظلم عليهم فانه (سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) وان كان فيهم من يظهر الايمان بالله والاعمال الصالحة ويذكر الله كثيرا ومع ذلك يفترى على الله فهو أظلم من هؤلاء فيهلكون عن قريب ولا يكون لدينهم ظهور على الدين كله ولا يظهر منهم ارشاد عام فى فهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة النمل)

سميت بها لاشتمالها على مقالتها الدالة على علم الحيوانات بنزاهة الانبياء واتباعهم عن ارتكاب المكاره عمدا وهو مما يوجب الثقة بهم وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بجمعيته فى كلامه الازلى وبتفصيل ذاته وأسمائه وأفعاله فى الالفاظ الدالة عليه (الرحمن) بجعلها هدى (الرحيم) بجعلها بشرى للمؤمنين (طس) أى الطرائق السنية أو الطرق السعيدة او الطبقات السابقة أو الطيبات الشافية الادوية (تلك آيات القرآن) أى معانى الكلام الازلى فانها فى الاعجاز المعنوى طرائق سنية وللسائرين طرق سعيدة وللواصلين طبقات سابقة وللعلل الروحانية طيبات شافية أدويتها (وكتاب مبين) أى ألفاظ تبين تلك المعانى فانها أيضا طرائق سنية فى الاعجاز اللفظى لخروجه عن نظمهم ونثرهم مع كونه أجلى منهما وطرق سعيدة لاستخراج الحقائق والعقائد والاحكام وطبقات سابقة للمفكرين فى تقرير الادلة وطيبات شافية لامراض الشبهات دواخلها اذ كانت تلك المعانى والالفاظ (هدى) فى جميع المقاصد الدينية (وبشرى) بحصول مراتب القرب والكمالات (للمؤمنين) بان للقرآن هذه المكارم اذ كوشفوا بها فى صلاتهم لانهم (الذين يقيمون الصلوة) المفيدة للمشاهدة (و) انما تفيد لهم ذلك لانهم الذين (يؤتون الزكوة) تطهيرا عن حب المال فتؤدى الى الطهارة عن سائر الرذائل (و) يبلغ كشفهم الى حيث (هم بالآخرة هم يوقنون) بعد الايمان بها الداعى لهم الى هذه الصلاة والزكاة (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) التى يدعو

النبى صلى الله عليه وسلم
تألفهم على الاسلام وفى
الرقاب أى فك الرقاب بعفى
المكاتبين والغارمين الذين
عليهم الدين ولا يجدون
القضاء وفى سبيل الله أى
فيما لله فيه طاعة وابن
السبيل الضيف والمنقطع
به وأشباه ذلك (قوله
تعالى فسوق) أى خروج
عن الطاعة الى المعصية
وخروج من الايمان الى
الكفر أيضا (قوله جل
ذكره فرادى) جمع فرد

اليها القرآن انما لا يكاشف لهم عن فضائله هذه لانهم لا ينظرون فيها وان كانوا من يكاشف لهم عن العلوم الرياضية والطبيعية اذ (زينا لهم أعمالهم) التى يكتسبون بها تلك العلوم فاذا حصلت لهم (فهم يعمهون) أى يترددون فيها لا يخرجون عنها الى ما فوقها (أولئك الذين لهم) من تركيبهم (سوء العذاب) فى الدنيا بترك الملاذ فان حصلت لهم فيها لذة المسكات فقد يعذبوا بها فى الآخرة اذ يخطئون فيها او يتشوقون الى صوابها ولا يجدون اليها سبيلا (و) لا يجدون شيأ من تلك العلوم ولا أجرها هنالك بل (هم فى الآخرة هم الاخسرون و) لا يبعد أن يكون للقرآن هذه الفضائل مع انها تخفى على من لا يؤمن بالآخرة وان كوشف ببعض خواص الاشياء والعلوم الطبيعية والرياضية (انك لتلقى القرآن من لدن حكيم) لا يكشف حقائقه الاعلى من علم استعداده لها (عليم) بالاستعدادات ومقاديرها ولذلك أعطاك الكشف بلا واسطة وأعطى موسى بواسطة النار اذ كانت مطلوبة له (اذ قال موسى لاهله) أى لامرأته وقد أخذها الطلق فى ليلة مظلمة شاتية بطريق رجوعه من مدين ولا يعرف الطريق (انى آنست) أى رأيت (نارا سآتيكم منها بخبر) من علامات الطريق أو وجدان عارف اهاعندها (أو آتيكم بشهاب قبس) أى مقتبس من تلك النار لاصطلائكم (لعلكم تصطلون) لدفع البرد وظلمة الطريق (فلما جاءها نودى ان بورك) اى انه كثر خير (من) ظهر (فى النار) افاضة (و) خير (من حولها) استفاضة فحصل له التجلى فى مطلوبه فلذلك بقى فى تجليه حجاب العزة وحصل فى تنزيلك كمال العلم والحكمة (وسبحان الله) أى نزهه عن الصورة والمكان وان ظهر بكل صورة ومكان لاتصافه بوصف (رب العالمين يا موسى انه) أى المنادى الظاهر فى النار بهذه البقعة (انا الله) الجامع بجميع الصفات من الظهور والبطون فالبطون من العزة والظهور من الحكمة لانى (العزيز الحكيم) واذا بقى فيه حجاب العزة فى هذه المرتبة فكيف فى حق من لا يؤمن بالآخرة (و) لبقاء حجاب العزة فى حقه احتيج الى معجزات قاهرة فقيل له (والق عصاك) اشارة الى القاء كل ما يعتمد عليه مما سوى الله فانه معصية حالك (فلما رآها تهتز) أى تتحرك بسرعة (كأنها جان) أى حية صغيرة وان تصورت بصورة الكبيرة اشارة الى سرعة تأثير المعصية كاسم مع عظم قدرها وان توهم صغرها (ولى) وجهه عنها حتى صار (مدبرا) أى كمدبر العاصى عن معصيته يوم يرى أثرها (ولم يعقب) أى لم يلتفت الى عقبه لينظر هل تقصده الحية أم لا جدا فى الفرار قلنا (يا موسى لا تخف) من غيرنا وأنت عندنا (انى لا يخاف) من كان (لدى) من غيرى سيما (المرسلون) لانهم لا يتمكنون من أداء الرسالة ما لم يزل خوفهم من المرسل اليهم فاذا انلقوا وهم عند المرسل فكيف يمكنهم أداء الرسالة (الا من ظلم) بفعل ما لا يناسب حاله فانه لا يزال يخاف منى وان كان (ثم بدل حسنا) وعلم انى امحو السيئة بالحسنة ولكن لا يبالى به لكونه (بعد سوء) ولا أبالى بسيآته (فانى غفور رحيم) باعطاء جزاء الحسنة ومحو السيئة وبعد الامر بما يشير الى القاء المعصية أمره بما يشير الى ادخال أعمال

وفريد ومعنى جئتمونا فرادى أى فردا فردا كل واحد منفرد من شقيقه وشر يكه فى الغى (قوله عز وجل فرطا) أى سرفا وتضييعا (قوله جل وعز فرات) أى أعذب العذوبة (قوله جل وعز فزع عن قلوبهم) جلى عن قلوبهم أى وفزع عن قلوبهم أى فزعت قلوبهم من الفزع (قوله جل اسمه فروج) فتوق وشقوق ومنه اذا السماء فرجت أى انشقت

الجوارح فما القلوب لتؤثر فى اثمرتها بحيث تظهر أنوارها على الاعضاء فقال (وأدخل يدك
فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) أى برص أدخلهما (فى تسع آيات) غاية عدد الافراد
اشارة الى استكمال عدد الآيات التى كل واحدة منها فرد فى بابها وهى الطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم وانما أوتيت هذه
الآيات القاهرة لتنهايك الى الاناس القاهرين (الى فرعون وقومه) لتدخلهم فى طاعتى
(انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن طاعتى فلم يؤثر فيهم تلك الآيات كما لم يؤثر القرآن
فى الذين لا يؤمنون بالآخرة (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) أنفسها انها آيات (قالوا هذا
سحر مبين) نفسه انه سحر لا يلتبس بالآية أصلا (و) ليس ذلك عن تلويهم بل (جحدوا
بها) بالسنتهم (واستيقنتها انفسهم) أى عرفت أنفسهم أنها آيات يقينا سيما عند القاء
السحرة ساجدين فكان جحودهم اياها (ظلما) بوضع الآيات موضع السحر (وعلوا) أى
تكبرا عن الانقياد لموسى الذى جاء لاصلاحهم لكونهم غرقى فى بحر الفساد فاغرقوا فى البحر
الظاهر حسما للمادة فسادهم ليعتبر بهم من بعدهم (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين)
لتقيس عليه أحوال من أنكر اعجاز القرآن الذى فوق تلك المعجزات كلها (و) ليس هذا
تكبرا من محمد صلى الله عليه وسلم على موسى عليه السلام بأن معجزته الواحدة تفوق معجزاته
التسع بل اظهار فضل الله تعالى شكرا له كفعل داود وسليمان فانا (لقد آتينا داود وسليمان
علما) فاظهر افضلهما (و) شكرا اذ (قالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده
المؤمنين) مع انه لا يجوز التكبر على المؤمنين (و) أظهر سليمان فضله على أبيه اذ (ورث
سليمان داود) علمه وزيد له علم منطق الطير وحقائق الاشياء وخواصها فأظهر فضله (وقال
يا أيها الناس علمنا منطق الطير) وهو الاصوات المتفاوتة بتفاوت الاغراض بحيث يفهمها
ما هو من جنسه (وأوتينا) علم الحقائق والخواص (من كل شئ) وأشار الى نفى التكبر بقوله
(ان هذا لهو الفضل المبين و) لو كان قصده التكبر لتكبر بما يتكبر فيه الناس أكثر فانه
(حشر) أى جمع (لسليمان جنوده من) الاجناس المختلفة مثل (الجن والانس والطير)
ولتباعد طرفيها بالغ فى التلاحق (فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا فلم
يظهر الفضل بذلك لما فيه من التكبر (حتى اذا أتوا على وادى) الشام كثير (النمل قالت
نملة) رأتهم متوجهين الى واديها (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) اذ لو كنتم خارجها
حطمكم سليمان وجنوده فانها كم عن الوقوف خارجها الا انها هم عن الحطم (لا يحطمنكم
سليمان وجنوده وهم) وان طبعوا على الخير فانما يحترزون عن الشر حيث شعروا به لكنهم
(لا يشعرون) فبلغته الريح كلامها (فتبسم) تبسما أشبه به كونه (ضاحكا) تعجبا (من
قولها) الدال على خيرية الانبياء وأتباعهم (وقال) عند ذلك (رب أوزعنى) أى ألهمنى (أن
أشكر نعمتك التى أنعمت على) من الامور الدينية والدنيوية (وعلى والدى) اذ لحقنى فضلهما
(و) ألهمنى (أن أعمل) بتلك النعم (صالحا) لا اصرفها فيما (ترضاه) هذا فى الامور الظاهرة

قوله وهى الخ أى مع العصا واليد كما يؤخذ من الخطيب

(قوله تبارك اسمه فطور) أى صدوع

(باب الفاء المكسورة)

(قوله جل اسمه فراشا) أى مهادا وقوله جل اسمه جعل لكم الارض فراشا أى ذللها لكم ولم يجعلها حزنة غليظة لا يمكن الاستقرار عليها (قوله عز وجل فئة) أى جماعة (قوله عز وجل فصاله) أى فطامه (قوله فجاجا) أى مسالك واحدها فج وكل فتح بين شيئين فهو فج (قوله تعالى الفردوس)

(و) فى المساعى الباطنة (ادخلنى برحمتك) لا بأعمالى (فى عبادك الصالحين) أهل الولاية النبوية التى هى فوق نبوتهم وان كانت النبوة أعلى من ولاية سائر الاولياء (و) من الاعمال الصالحة للملوك التى يرجى بها لهم الدخول فى أهل الولاية البحث عن الاشياء والقيام بالسياسة المأمورة لذلك (تفقد) أى تعرف سليمان (الطير) ففقد الهدهد (فقال مالى) أى أى حال حصل لى فصرت (لا أرى الهدهد) أى اختفى عن نظرى (ام كان من الغائبين) فان غاب فواقه (لأعذبنه عذابا شديدا) كنتف ريشه أو القائه فى الشمس أو حيث يأكله النمل أو حبسه فى قفص مع ضده (أو لأذبحنه) ليعتبر به غيره (أو ليأتينى بسلطان مبين) أى حجة واضحة على عذره (فمكث) فى الغيبة زمانا (غير بعيد) أى غير طويل (فقال) انما مكثت هذه المدة لاحيط بأمر عجيب علما فوقفت حتى (احطت) مع ضعفى (بما لم تحط به و) لم أقصد بذلك تحصيل العلم لنفسى دونك بل (جئتك من) قصة مأرب بلدة قبيلة (سبأ) على ثلاث مراحل من صنعاء (بنبأ) أى خبر (يقين) صادق فقال ماهو قال (انى وجدت امرأة) هى بلقيس بنت شراحيل بن الريان من أولاد يعرب بن قحطان (تملكهم و) ليس ملكيتها لهم لضعفهم بحيث استولت عليهم امرأة ضعيفة بل لانها (اوتيت من كل شئ) يحتاج اليه فى الملكية (و) زادت على حوائجهم أيضا اذ (لها عرش) أى سرير مكلل بالجواهر (عظيم) أى عال كان ثلاثين ذراعا من كل جانب وليس غرضى ان أطمعك فى ملكها بل أن تدخلها وقومها فى دين الاسلام انى (وجدتها وقومها يسجدون للشمس) لا باتخاذها قبلة بل الها اذ يعبدونها (من دون الله) أى مجاوزين عن عبادة الله (و) هم مع كمال عقلهم فى أمر المملكة (زين لهم الشيطان أعمالهم) القبيحة كعبادة الشمس لما رأوها سبب الامور وكانت سبيتها للاستدلال على حكمة خالقها الداعية لسلوك سبيل الوصول اليه (فصدهم عن السبيل) حتى رأوا الشمس هى الفاعلة المستحقة للسجود (فهم لا يهتدون) الى فاعلية الله تعالى عند سببيتها قصد بذلك (الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء) أى ما خفى وكان بالقوة الى الفعل (فى) أسباب (السموات و) مواد (الارض و) لو كانت مؤثرة فتأثيرها بطريق الخاصية من غير شعور فلا تستحق السجود وانما يستحقه من (يعلم ما تخفون) من العبادة القلبية (وما تعلنون) من العبادة البدنية بل لا يستحقها الا المتصف بصفات الالهية وهو (الله) لا يتصف بها سواه اذ (لا اله الا هو) وكيف يتصف بها من هو تحت العرش وهو (رب العرش العظيم) المحيط بالشمس وسائر الكواكب المحرك لها قسرا والمحاط دون المحيط فهو أولى بالربوبية والمقسور مقهور للقاسر فاذا كان القاسر مربوبا فمقسوره أولى فان صحت الهية المحاط فكيف يجوز مجاوزة من هو رب المحيط (قال سننظر) فيما جئت به من النبأ لنعلم (أصدقت) فيه (أم كنت من الكاذبين) ولم يقل أو كذبت اشارة الى عظم ما اخترعه من الكذب بحيث لا يتأتى ممن لا يعتاد الكذب وانما يتأتى ممن يعتاده بحيث يعد من الكاذبين كذلك ينبغى لكل سامع سيما الملوك ان يختبروا ما سمعوا من غير تصديق ولا تكذيب فكتب سليمان عليه السلام كتابا بسم الله الرحمن الرحيم

أى البستان بلسان الروم (قوله جل وعز فطرت الله) أى التى فطر الناس عليها) أى خلقة الله التى خلق الناس عليها وهو أن يقولوا أن لهم ربا خالقهم (قوله جل وعز فيما ان مكنا كم فيه) أى فى الذى ما ان مكناكم فيه وان فى الجحد بمعنى ما (قوله جل ذكره فرعون ذى الاوتاد) كان يعذ الرجل بين أربعة أوتاد حتى يموت

(باب القاف المفتوحة)

قوله عز وجل قست

الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا على وأتونى مسلمين وكتب عنوانه انه من سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا ثم قال للهدهد (اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول) أى تنح (عنهم فانظر ماذا يرجعون) اليه من الرأى فاخذ الهدهد هذا الكتاب بمنقاره وأتى به الى بلقيس وهى نائمة على قفاها وقد أغلقت الابواب فالقاه على نحرها وقعد فى الكوة فتيقظت فوجدت الكتاب على نحرها ثم نظرت الى أطراف البيت فوجدت الهدهد فى الكوة ففتحت وقرأت فقعدت على سريرها وجمعت ملأها (قالت يا أيها الملأ) أى الاشراف المطلعون على لطائف الكتب (انى ألقى) أتت بصيغة المجهول لتوهمهم انها يأتيها من الاخبار ما لا يعلمون طريقها اذ لو علموا لعظموا الرؤساء (الى كتاب كريم) يشتمل على نفائس (انه) أى عنوانه (من سليمان وانه) أى مطلعه (بسم الله الرحمن الرحيم) ومقصوده (ألا تعلوا) أى لا تتكبروا (على و) لا تعتقدوا المساواة أيضا ولا المقاومة مع قلتكم لصعوبة حصنكم بل (ائتونى) منقادين لى (مسلمين) أى مؤمنين فذكر فى البسملة ذات الله وصفاته وأفعاله ونهى عن التكبر الذى هو أصل الرذائل الذى هلك به ابليس وأمر بالاسلام الذى هو أم الفضائل اذ لا يعتد بها بدونه وليس فيه الامر بالاسلام قبل ظهور المعجزة بل القاء الكتاب بهذه الهيئة أعظم معجزة (قالت يا أيها الملأ) أى الاشراف الذين مقتضى شرفهم ان لا يدخروا شيأ من النصح (افتونى) أى أجيبونى (فى أمرى) العظيم الذى لا يمكن لى القطع فيه وان أمكن فيما دونه لكن (ما كنت قاطعة أمرا) حقيرا أو عظيما (حتى تشهدون) أى تحضرونى فتشيروا بما عندكم من الرأى (قالوا) لو أشرنا بالانقياد بطل شرفنا بلا موجب اذ (نحن أولوا قوة) أى قدرة وعدة وتدبير (وأولوا بأس شديد) شجاعة وهذا حق العسكر أن يتحملوا الخطر بعد استكمال ما يحتاج اليه ومع ذلك لا ينبغى لهم ان يشيروا به جزما لئلا يلاموا عند الاختلال بل يجب عليهم تفويض الامر الى رأى الملك كما قالوا (والامر) أى أمر للقتال والصلح مفوض (اليك) أى الى رأيك لان لك النظر فى أمر المملكة (فانظرى ماذا تأمرين) به من القتال والصلح أيهما أبقى لشرفك وملكك (قالت) انما نختار القتال اذا لم يغلب على الظن دخول العدو فى قرية العدو والا تعين الانقياد (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها) بتخريب بنيانها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) بنهب أموالهم وسبيهم وسبى ذراريهم ونسائهم (وكذلك) اى مثل هذه الافعال الشنيعة (يفعلون) أفعالا أخر كثيرة مثل القتل والاسترقاق والاستيثاق وتعرية النساء والرجال (وانى) لتحقيق حالهم (مرسلة اليهم) أى الى سليمان وملئه رسلا (بهدية) توجب المحبة وتشبه الانقياد من غير اختلال لشرفنا (فناظرة) أى منتظرة (بم) أى بأى أمر (يرجع المرسلون) فبعثت منذر بن عمرو بلبنات ذهب ولبنات فضة وتاج مكلل بالجواهر والعنبر والعود الالنجوج وغلمان وجوار بزى واحد فى اللباس والكلام وحقة فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب وأمرته ان يقول ان كنت نبيا فميز بين الغلمان والجوارى وأخبر عما فى الحقة قبل فتحها

قلوبكم) أى يبست وصلبت وقلب قاس وجاس وعاس وعات أى صلب يابس جاف عن الذكر غير قابل له (قوله جل وعز قفينا) أى اتبعنا وأصله من القفا يقال قفوت الرجل اذا سرت فى اثره (قوله جل وعز قانتون) أى مطيعون وقيل مقرون بالعبودية والقنوت على وجوه القنوت الطاعة والقنوت القيام فى الصلاة والقنوت الدعاء والقنوت

ثم تلتمس منه ان يثقب الدرة ويخيط الخرزة من غير مباشرة انس ولا جن وقالت ان نظر اليك بوجه طلق فهو نبي وان نظر اليك بغضب فهو ملك لا يهولنك منظره (فلما جاء) الرسول (سليمان) نظر اليه بوجه طلق فأعطاه كتاب بلقيس فطلب الحقة فسأله عما فيها فقال ان فيها درة غير مثقوبة وخرزة بجزع معوجة الثقب فسأله ان يثقب الدرة ويخيط الخرزة من غير مباشرة انس ولا جن فأمر الارضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة وأمر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت في الخرزة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذه بيدها وتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كان يأخذه فيضرب به وجهه ثم (قال أتمدونن بمال) لظنكم انه اذا حصل لي من غير قتال استغنيت به عن القتال فهذا نظر الملوك القاصدين الاملاك للاموال ولا نظر لي الى ملك أحد ولا ماله (فما آتاني الله) من الملك والحكمة والنبوة (خير مما آتاكم) فلا أبالي بجميع ما عندكم فضلا عن الهدية (بل أنتم بهديتكم) اذا أهدى اليكم مثلها أو أهديتم مثلها (تفرحون) استكثارا أو افتخارا (ارجع اليهم) بهذه الهدية فان لم يأتوني مسلمين (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) أي لا يمكنهم ان يتوجهوا اليها ويقابلوها بوجوههم (ولنخرجنهم منها) أي من قريتهم وأملاكهم (أذلة) أي أسراء مع نسائهم وذراريهم (وهم صاغرون) بالرق وان تمتعوا بعد فرجع الى بلقيس وبلغها ما قال فقالت لقد عرفت انه نبي وانه لا طاقة لنا به ثم ان سليمان عليه السلام سمع يوما وهو على كرسيه رهجا قريبا فسأل عنه فقيل بلقيس قد نزلت منا قدر فرسخ (قال يا أيها الملأ) أي أشراف أتباعي الذين لا يخلون عن ولي (أيكم يأتيني) بقوة ولايته (بعرشها) من مسيرة شهرين (قبل أن يأتوني مسلمين) ليكون كرامة مؤيدة لمعجزاتي (قال عفريت) أي خبيث مارد يقصد ابطال الكرامة (من الجن) ذكوان أو صخر (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) مجلس القضاء الى نصف النهار (واني عليه) أي على حمله الى مكانك (لقوي) ولا أختزل منه شيأ لأني (أمين) فلم يرض به لما فيه من ابطال الكرامة (قال الذي عنده علم) يقدر به على اعدام شيء واعادته وهو آصف بن برخيا (من الكتاب) أي القلم الاعلى أو اللوح المحفوظ (أنا آتيك به) بالاعادة في مكانك بعد اعدامه بمكانه ولعله مراد من قال غار عرشها تحت الارض حتى نبع تحت كرسي سليمان (قبل أن يرتد اليك طرفك) أي بصرك بانطباع المرئي بعد ارساله برمي الشعاع اليه وهما في آن واحد كاعدام الاعراض واعادتها (فلما رآه مستقرا عنده) من غير حركة تفتقر الى آنين فصاعدا (قال هذا من فضل ربي) على بجعل هذه الكرامة لبعض أتباعي تأييدا للصدق بالمعجزات (ليبلوني) أي ليختبرني (أأشكر) برؤيتها فضلا على (أم أكفر) برؤية اختصاص الفضل بصاحبها (ومن شكر) نعمة الله وان ظهرت على الغير (فانما يشكر) مفيدا (لنفسه ومن كفر) ولو ما أنعم به عليه على غيره ولم يبال الله (فان ربي غني) وانما أنعم عليه مع فضله وعدم مبالاته لانه (كريم) ثم ان الشياطين خافت ان يتزوجها فتفضي اليه أسرارهم اذ كانت امها ريحانة بنت السكن جنية وجدها أبوها

الصمت وقال زيد بن أرقم كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامسكنا عن الكلام (قوله) أي القواعد من البيت) أي أساسه واحدها قاعدة والقواعد من النساء العجائز اللواتي قعدن عن الازواج من كبر وقيل قعدن عن الحيض والحبل واحدتها قاعد بغير هاء (قوله عز وجل القيوم) هو القائم الدائم الذي لا يزول وليس من قيام على رجل القيام المستقيم

حيتين تقتتلان وتظهر السوداء على البيضاء فقتلها وصب الماء على البيضاء فافاقت فلما رجع الى داره فاذا شاب جميل فقال انا الحية البيضاء التى أحسنت اليها والسوداء عبد لنا تمرد فعرض عليه المال فلم يقبل وقال ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجها ابنته فولدت له بلقيس فقالت الشياطين ان فى عقلها شيأ وان رجلها كحافر الحمار وانها شعراء الساقين فاختبر سليمان عقلها اذ (قال نكروا لها) أى غيروا الامتحان عقلها (عرشها ننظر أتهتدى) الكرامة احضاره والجواب الصواب فيه (أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل) أول كل شئ لان أمر العقل أهم (أهكذا عرشك قالت كأنه هو) لم تقل هو هو خوفا من التكذيب مع نوع من التغيير ولا لا خوفا من التجهيل (و) قالت لا حاجة لى الى هذه الكرامة لتحصيل العلم بنبوة سليمان اذ (أوتينا العلم) بنبوته (من قبلها) أى قبل اتيان العرش من معجزاته (و) لا للاقرار بها اذ (كنا مسلمين) أى مقرين (و) لم يقصد سليمان عليه السلام بهذه الكرامة افادة العلم أو طلب الاقرار بل صحة الاسلام اذ (صدها) بهذه الكرامة المخصوصة بمتابعته ولم توجد فى معبودها من دون الله (ما كانت تعبد من دون الله) لعلمها انها فاتتهم بها وهى وان علمت نبوة سليمان وأقرت بها لم يصح اسلامها (انها كانت من قوم كافرين) بعبادتها واعتقادها ان خوارق سليمان عليه السلام كخوارق الرهابين ثم أراد سليمان أن ينظر قدميها وساقيها فامر الشياطين ان يعملوا صرحا صحنه من زجاج أبيض تحته ماء جار فيه حيتان ثم وضع سريره فيه فجلس (قيل لها ادخلى الصرح) أى القصر (فلما رأته) أى صحنه (حسبته لجة) أى ماء عظيما (وكشفت) للخوض فيه الى سليمان (عن ساقيها) فنظر اليهما فاذا هى أحسن قدما وساقا لكنها شعراء فصرف عنها و(قال انه صرح ممرد) أى أملس والماء يرى من تحته لانه (من قوارير) أى زجاجات فتسترت وتنبهت انه ليس للشئ حكم ما ظهر فيه فليس للشمس حكم الاله لظهور نوره فيها الذلك (قالت رب انى ظلمت نفسى) بعبادة المظهر على ان له حكم الظاهر كيف (و) فيه تقييد والاله لا يتقيد لذلك (أسلمت مع سليمان) لا نال رتبة المعية فى المراتب والمقامات لا لمظهره بل (لله) باعتبار ذاته وصفاته وأسمائه وظهوره فى الكل باعتبار اتصافه بوصف (رب العالمين) ثم أشار الى عظم تنبهها بمقدار المنبه اللطيف على رفع هذا الالتباس العظيم الذى لا يرتفع ببيان ولا بمعجزات المبين ولا بتأييد تلك المعجزات بالعذاب الدنيوى بل يقع الالتباس فيه هل هو لعبادة المظاهر أو للامر بترك عبادتها فقال (ولقد أرسلنا الى ثمود) المتحصنين باحكام الابنية (أخاهم) الذين علوا اشفقته عليهم ونصحه لهم (صالحا) لاصلاح حالهم برفع الالتباس بين المظاهر وما ظهر فيها (أن اعبدوا الله) دون المظاهر فوقع القحط بينهم لاصرارهم على عبادتهم المظاهر (فاذا هم فريقان) فى سبب القحط (يختصمون) خصومة غير منقطعة فقال الكافرون سببه ترك عبادة الاصنام اذ لم يكن مع عبادتهم اهذه المدة فكانت مانعة منه وقال المؤمنون سببه ترك التوحيد لانه تعالى انذر عن تركه فاذا لم يبال لانذاره غضب فقال الكافرون لو كان كذلك لعذبنا عذاب الآخرة (قال يا قوم) الذين أريد دفع العذاب

(قوله جل وعز القناطير) جمع قنطار وقد اختلف فى تفسير القنطار فقال بعضهم ملء مسك ثور ذهبا أو فضة وقيل ألف ألف مثقال وقيل غير ذلك وجملته انه كثير من المال والقنطرة المكملة كما تقول بدرة مبدرة وألف مؤلفة أى تامة وقال الفراء القنطرة المضعفة كأن القناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة (قوله جل وعز قرح وقرح) أى جراح وقيل القرح

عنهم (لم تستعجلون بالسيئة) أي العقوبة القبيحة (قبل) التوبة (الحسنة) وهو موجب
لدوامها وقد أخر عنكم العذاب بعد الزامكم الحجة لمكنكم الاستغفار وقد دعا اليه بالقحط
المنبه على العذاب الاخروي (لولا) أي هلا (تستغفرون الله) ليقطع سبب القحط من معاصيه
بل (لعلكم ترحمون) فاذا زال بالاستغفار القحط ظهر انه انما كان بسبب الشرك (قالوا)
كيف وقد تطيرنا بالمستغفرين فانا (اطيرنا بك وبمن معك) من المستغفرين وقد وقع بعد
استغفاركم فهو سببه (قال طائركم) أي سبب قحطكم انما هو (عند الله) فهو من غضبه على
عدم مبالاتكم بما أنذرعنه لا عند الاصنام حتى يكون من غضبهم على ترك عبادتهم ثم انه ليس
مما يتطير به (بل أنتم قوم تفتنون) أي تختبرون به هل تحملونه على ترك التوحيد أو ترك الشرك
فان أصررتم على الثاني عذبتم اشد العذاب فظهرت علاماته من تغير الوان الوجوه (وكان في
المدينة تسعة رهط) يؤثر رأيهم في أهلها وهم (يفسدون) فسادا ساريا (في الارض) من غير
مبالاة لظهور علامات العذاب (ولا يصلحون) بوجه من الوجوه عند رؤيتها وهم عاقرو
الناقة رئيسهم قدار بن سالف (قالوا) بعد ظهور علامات العذاب الداعية الى الايمان
والتضرع الى الله والتوسل بصالح انه وقع بسبب صالح (تقاسموا) أي ليحلف كل واحد منكم
على موافقة الآخرين (بالله) الذي هو أعظم المعبودين (لنبيتنه) أي لنقتلنه ليلا ليهلك قبل
هلاكنا (وأهله) من آمن معه (ثم لنقولن لوليه) الطالب ثاره علينا (ما شهدنا مهلك أهله) أي
ما حضرنا مكان هلاك الاهل مع تفرقهم في الاماكن الكثيرة فضلا عن مكانه فضلا عن
مباشرته (و) لنقولن والله (انا لصادقون ومكروا) باحضار دار صالح (مكرا) بحيث لاشعور له
بهم (ومكرنا) بارسال الملائكة لرجومهم بالحجارة (مكرا) أعظم من مكرهم اذ تصيبهم الحجارة
(وهم لا يشعرون) بالرماة فلو تم مكرهم (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم) الهلاك الكلي
(أنا دمرناهم) أي أهلكناهم (وقومهم أجمعين) بالصيحة فان شك هؤلاء في ذلك (فتلك
بيوتهم خاوية) أي ساقطة لا تعمر بعدهم لانهم استؤصلوا وليس ذلك بطريق الابتلاء العام بل
(بما ظلموا) بعبادة المظاهر الغير المستحقة لها (ان في ذلك لآية) على ان عبادة المظاهر ظلم
واضح (لقوم يعلمون) أنهم أخذوا لذلك الظلم (و) يدل عليه انا (انجينا الذين آمنوا) بالله
فعلموا انه لا يظهر في شيء بالالهية التي هي بوجوب الوجود (وكانوا يتقون) من انه ظهر بكماله
الكلي في هذه المظاهر ثم أشار الى أنه ليس المقصود من العبادة نفس التذلل حتى لا يكون
ظلما البتة بل التذلل لاكتساب الكمالات الانسانية التي بها استحقاقه لعمارة الدارين كما انه
ليس المقصود من الجماع التذلل للشهوية حتى لا يكون فاحشة البتة بل يكون من جملة
العبادات بل لاكتساب النسل الذي هو سبب العمارة الكلية (و) لبيان ذلك ارسلنا (لوطا)
الى قومه فبلغهم (اذ قال لقومه) الذين حقهم ان يكونوا على طبيعته (أتأتون الفاحشة) أي
الفعلة القبيحة غاية القبح من التذلل للشهوية بحيث لا يعقبه فائدة (وأنتم تبصرون) أن الله
تعالى انما خلق فيكم الشهوة لابقاء النسل (أئنكم لتأتون الرجال) لتطيعوا (شهوة) مجاوزين

محل

بفتح القاف الجراح
والقرح بالضم ألم الجراح
(قوله تبارك اسمه قائلون)
أي نائمون نصف النهار
(قوله عز وجل قاسمهما)
أي حلف لهما (قوله جل
وعز قبيلته) أي جيله
وأمته (قوله جل وعز قدم
صدق عند ربهم) يعني عملا
صالحا قدموه وقيل قدم
صدق محمد صلى الله عليه
وسلم يشفع لهم عند ربهم
(قوله عز وجل قترة) أي
غبار (قوله عز وجل
قارعة) داهية

محل الحرث لكونها (من دون النساء) ولا تستكملون اللذة (بل أنتم قوم تجهلون) ان فى ارحام النساء ما يجذب المنى فيكمل اللذة وفى الادبار ما ينقص اللذة من عدم الجاذب مع موجب الكره من النجاسة (فما كان جواب قومه الا أن قالوا) ان لوطا وأهله لا يطلبون بكل جماع نسلا ولا يتركون الآلة فى المحل حتى يتم جذب الرحم للمنى فانه أمر به لكنهم يكرهون النجاسة (أخرجوا آل لوط من قريتكم) لتجسها بكم فلا تليق بما كنتم (انهم اناس) كاملون فى باب العقل (يتطهرون) عن النجاسات التى يأمر العقل باجتنابها وهذا بطريق الاستهزاء منهم فاخرجنا لوطا واهله عن قريتهم حين أردنا تطهيرها عنهم بامطار الحجارة عليهم (فانجيناه وأهله) مما طهرت به قريتهم عنهم اظهارتهم لا لكونهم أهله لذلك استثنيت امرأته اذ قلنا (الا امرأته) فانها وان خرجت عن قريتهم (قدرناها من الغابرين) أى الباقين فى اصابة ما أصابهم (و) لغاية خبثهم بانزال الماء بغير محله (امطرنا عليهم مطرا) فاحشا وهو امطار الحجارة (فساء مطر المنذرين) اذ كان مهلكا اهلاكهم للمنى بخلاف مطر المرجومين اذ كان منبتا انباتهم للنطفة فلو قيل ان انزال الفاحش فاحش مكروه (قل) انزاله على أهل الفاحشة ليس بفاحش بل موجب حمد (الحمد لله و) انما يكون فاحشا لو لم يسلم منه احد لكن (سلام على عباده) وكيف لا يكون محمودا وبه ميز (الذين اصطفى) وانما اصطفيناهم لانهم اصطفوا خير المعبودين فان شك فى اصطفائهم فهو شك فى خيرية الله (آلله خير أما يشركون) فارتفع بذلك الالتباس بين التوحيد وعبادة الكل وان زعموا انهم أكمل فى العبودية ولو شك فى خيرية الله قيل امن لم يخلق شيأ ولم ينعم بشئ خير (أمن خلق السموات والارض و) جعلهما منشأ كل انعام اذ (أنزل لكم من السماء ماء فانبتنا) لم يقل فانبت لئلا يتوهم عود الضمير الى الماء قبل ان يذكر لفظه (به حدائق) أى بساتين لا تتغير بتغير سير الكواكب (ذات بهجة) أى حسن لا تتغير بتغير سيرها أيضا وكيف ينسب ذلك الى الكواكب ولا ينسب الى غارس الاشجار لانه (ما كان لكم ان تنبتوا شجرها) فاذا لم يقابله الانسان مع انه أكمل من الكواكب فكيف يقابله الكواكب (ءاله مع الله) فاذا لم يكن للغير رتبة المعية كيف يكون عابد الغير خيرا من عابده وحده فليسوا فى تفضل الشرك على نهج العقل (بل هم قوم يعدلون) عن نهج العقل ولو نسب انزال المطر وانبات الشجر الى الكواكب قيل أمن أنزل المطر وانبت الشجر خير (أمن جعل الارض قرارا) ليمكن الانتفاع بالمطر والشجر (و) لعدم كفاية ماء السماء فى كل وقت (جعل خلالها) أى وسطها (أنهارا) ليدوم الانتفاع به (و) لا ينسبان الى الكواكب اذ (جعل لها رواسى) أى جبالا لاستقرار الارض ويتفجر منها الانهار (و) لما امكن تفجر الانهار من البحرين ولا يمكن الانتفاع الا بالعذب من ماء الانهار منع الاختلاط فيهما كما انه (جعل بين البحرين حاجزا) أى برزخا يمنع الاختلاط ولا ينسب الى كواكب وانما ينسب الى كوكب العذب والى آخر المالح (ءاله مع الله) ينزل المطر وينبت الشجر ويختص بواقى الامور بالله مع تأخرها والله أولى بالتقدم

(قوله جل وعز قطران) هو الذى تطلى به الابل ومعنى سرابيلهم من قطران أى جعل لهم القطران لباسا ليزيد فى حر النار عليهم فيكون ما يتوقى به العذاب عذابا ويقرأ من قطرآن أى من نحاس قد بلغ منتهى حر (قوله جل وعز القانطين) أى اليائسين (قوله جل وعز قاصفا من الريح) يعنى ريحا شديدة تقصف الشجر أى تكسره

ويدعون كمال العلم بهذا التفصيل وليس كذلك (بل أكثرهم لايعلمون) مايلزمهم من تقديم غيرالله على الله فعلا ولوقيل انما اختير الغير للتوسل به الى الحوائج يقال هل من يتوسل به الى الحوائج التى لايضطر فيها ولايجيب داعيه ولاينيلها خير (أمن يجيب المضطر) لابلسان حاله فقط بل (اذا دعاه) بقلبه ولسانه وحاله جميعا الدفع مااضطر فيه (ويكشف السوء) أى كل مايسوءه مما يضطر فيه وغيره (و) لوأمكن كشفه بالكواكب أوالاصنام لامكن بالانسان اذ (يجعلكم خلفاء الارض) تتصرفون فيها نيابة عن الله واذا كان الله كاشفا مايضطر فيه (أاله مع الله) يكشف مالايمكن للانسان كشفه (قليلا) من التذكر (ماتذكرون) ولوقيل انما يختار الغير لتحصيل أسباب المعاش اكتسابية أوسماوية يقال اجل الاكتسابية الاسفار المفتقرة الى الهداية واجل السماوية الامطار ومباديهما من الله فهل من يكون منه فروعهما خير (أمن) يكون منه اصولهما اذيخلق نجومابها (يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أاله مع الله) يحصل الفروع بعد تحصيل الله الاصول فيشاركه فى الانعام بحيث لايتم بدونها (تعالى الله عما يشركون) فلونسبت جميع هذه الامور الى آلهتهم يقال هل من يحصل أسباب المعاش خير (أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده و) اذا كان منه الابداء والاعادة يقال (من يرزقكم من السماء والارض) لافادة البقاء (أاله مع الله) يفيد البقاء مع ان الظاهر انه انما يستفاد ممن يكون منه الابداء والاعادة فان ادعوا خلاف الظاهر (قل هاتوا برهانكم) على خلاف الظاهر (ان كنتم صادقين) ولوقيل انما تختار آلهتنا لانها تطلعنا على الغيب (قل لايعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله) فلايكشفه على من يكشف له سواه (و) لوصح اطلاعها لم تطلع على أهم الامور وهو وقت البعث لانهم (مايشعرون أيان) فى أى آن (يبعثون بل) هل (ادرك) أى بلغ (علمهم) مايجرى عليهم (فى الآخرة بل) لاعلم لهم بها وانما (هم فى شك منها) لاعدم وصول اخبارها ودلائلها اليهم (بل هم منها عمون و) قد بلغ عماهم الى حيث (قال الذين كفروا) بوعد الله وآياته وعلمه وقدرته وحكمته انما يتصور العمى من الامور الاخروية لوأمكن البعث لكنه محال (ائذا كنا ترابا وآباؤنا) أى انخرج بعد الموت اذا كنا ترابا وكان آباؤنا أيضا ترابا (ائنا لمخرجون) أى يتحقق اخراجنا احياء بعد ذلك وغاية مايدل عليه وعد هذا الرسول ومن قبله به (لقد وعدنا هذا البعث (نحن) الآن (وآباؤنا من قبل) فلم يظهر لنا ولالهم أثر من ذلك (ان) أى ليس (هذا) الوعد (الا أساطير الاولين) أى جمع أكاذيبهم التى سطروها بعبارة مموهة (قل) للقائلين انه اساطير الاولين (سيروا فى الارض) لتبصروا آثار القائلين هذا القول قبلكم (فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) بسبب هذا القول (ولاتحزن عليهم) أى على قولهم وتكذيبهم فانه سيكون لك من المصدقين من لايبالى معهم بهؤلاء (ولاتكن فى ضيق مما يمكرون) أى من مكرهم بالقاء الشبه فانها لاتؤثر فى الناظرين الى الادلة (و) من جملة مكرهم أنهم (يقولون متى هذا الوعد) أى فى أى وقت يوجد أثر هذا الوعد بينوه (ان كنتم صادقين) فى انكم عرفتموه

(قوله عزوجل أوتأتى بالله والملائكة قبيلا) أى ضمينا ويقال مقابلة أى معاينة (قوله تعالى قتورا) أى ضيقا بخيلا (قوله عزوجل قصبا) أى بعيدا (قوله عزوجل قبس) أى شعلة من النار (قوله عزوجل فقبضت قبضة من أثر الرسول) يقول أخذت ملء كفى من تراب موطئ فرس جبريل عليه السلام وتقرأ فقبصت قبصة

ن عالم الغيب (قل عسى) أى قرب رجاء (ان يكون ردف لكم) أى لحقكم وحصل لكم
بعض الذى تستعجلون) من العذاب وهو عذاب يوم بدر (وان ربك لذو فضل على الناس)
فضائه ليخافوا قربه فيستغفروه ويرجوا تأخيره فلا ييأسوا وانتهزوا الفرصة بالاعمال الصالحة
لكن أكثرهم لا يشكرون) هذا الفضل فلا يستغفرون ولا ينتهزون الفرصة (و) لا يغتر منه
هذا الفضل مع ترك الشكر (ان ربك ليعلم ما تكن صدورهم) من عداوتك (وما يعلنون) من
تكذيبك فلا يترك تعذيبهم وكيف يخفى عليه شئ (وما من غائبة) أى حقيقة خفية (فى السماء
والارض الا فى كتاب مبين) أى اللوح المحفوظ الذى هو مبدأ الحوادث ولم يكتب فيه الا عن
علم الله واذنه وكيف لا يكون فى اللوح المحفوظ وقد ظهر فيما هو نسخة بعضه (ان هذا القرآن
يقص على بنى اسرائيل) علماء الاولين (أكثر الذى هم فيه يختلفون) من الحقائق الخفية التى
يكاد يرتفع عنها الاختلاف وكيف يغتر بفضله مع انه نبه بهذا القرآن عما اشتبه عليهم من
امور الآخرة (و) كيف يضيق صدرك بمكرهم مع انه اقام به الدلائل ورفع الشبه (انه لهدى)
باقامة الدلائل (ورحمة) برفع الشبه (للمؤمنين) أى المنصفين المصدقين للحق ولا يترك المعاندين
على حالهم (ان ربك يقضى) بما يرفع النزاع (بينهم بحكمه) بتعذيب المعاندين (و) لا يمتنع عليه
من عجز أو جهل اذ (هو العزيز العليم) وان خفت أن يؤذوك قبل ان يقضى عليهم بحكمه
(فتوكل على الله) فانه ينصرك عليهم بالحجة والسيف (انك على الحق المبين) أى الواضح وقد وعده
الله ولا يخل بحقيتك عدم سماعهم لها اذ هم أموات (انك لا تسمع الموتى) وان لم يكونوا امواتا
فلا أقل من الصمم (ولا تسمع الصم الدعاء) أى النداء فان أمكن تفهيمهم بالاشارة فذلك عند
اقبالهم لا (اذا ولوا) وجوههم عنك (مدبرين) جاعلين ظهورهم اليك فان لم يولوا فلا يمكن
تفهيمهم أيضا اذ هم عماة (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) لانهم يعتقدون فى الدلائل انها
شبهات فلا بد من استماعهم حلها ولكن (ان تسمع) حلها (الا من يؤمن بآياتنا) فيعتقدها
دلائل (فهم مسلمون) أى منقادون لوجوه الدلالة وحل الشبهة ولا يزالون عماة الى أن يقع
القول عليهم بظهور اشراط الساعة (واذا وقع القول عليهم) بحيث لا يقبل ايمانهم (أخرجنا
لهم) أى لابصارهم فضائحهم (دابة) عجيبة لم يعهد مثلها طولها ستون ذراعا لها أربع قوائم
وجناحان وريش لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب معها عصا موسى تنكت بها مسجد المؤمن
فيبيض وجهه وخاتم سليمان تنكت به أنف الكافر فيسود وجهه ليعلم انهم انما ينتبهون
لما تنبه له الدواب (من الارض) ليعلم انهم لاقتصار نظرهم الى عالم السفل لا ينظرون الى عالم
العلوى أصلا ولا يسمعون العلوى (تكلمهم) انما خرجت لافضاح الناس قبل ظهور القيامة
(ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون و) يزيدهم فضيحة بسؤاله فى الجمع العظيم بعد اظهار قصد
الجمع لذلك (يوم نحشر من كل أمة) أى فرقة (فوجا) أى طائفة (ممن يكذب بآياتنا) ولا يستعجل
عليهم السؤال ما لم يتم اجتماعهم بحشر سائر الافواج (فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على
آخرهم ليتلاحقوا حتى اذا جاؤا المحشر (قال) ليفضحهم بين الاولين والآخرين فرقة تفضح

أى أخذت بأطراف أصابعى (قوله عز وجل قاعا صفصفا) مستوى من الارض أملس (قوله تعالى قصمنا) أى أهلكنا والقصم الكسر (قوله عز وجل القانع) السائل يقال قنع قنوعا اذا سأل وقنع قناعة اذا رضى (قوله عز وجل قالين) أى مبغضين يقال قليته أقليه قلى اذا أبغضته ومنه ما ودعك ربك وما قلى (قوله قاصرات الطرف)

الدابة بين أهل ذلك العصر بقول اشنع من قول الدابة (أكذبتم بآياتى ولم) تعلموا انها جديرة بالتصديق أو التكذيب اذلم (تحيطوا بها) أى باسرارها التى بها صارت آيات (علماً أماذا كنتم تعملون) بها من حملها على تأويلات فاسدة تبطل فضلها فضلاً عن اعجازها (و) اتعين أحد الامرين الشديدين عليهم (وقع القول عليهم) وقوعا فوق وقوعه عند خروج الدابة (بما ظلموا) بآيات الله باحد الامرين فوق الظلم بترك التيقن بها (فهم لا ينطقون) بانها لم تكن مفيدة لليقين وان زعموا ان تكذيب الآيات لو كان له هذا الاثر اظهر فى الدنيا يقال (ألم يروا انا جعلنا الليل) مثالا لحجاب الدنيا (ليسكنوا فيه) فلا يظهر لهم أثر (والنهار) لكشفه فى الآخرة لكونه (مبصرا) يظهر فيه آثارهم (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بالآخرة منها ان الدنيا ليل يسكن فيه معانى الاعمال والآخرة نهار يبصر بها ومنها ان الدنيا لا يرى فيها آثار الشهوات العاجلة والآخرة مبصرة لها ومنها ان الدنيا لا تظهر فيها الامور الالهية فتسكن النفس عن طلبها والآخرة مبصرة لها فتحركها لطلبها لكنها انما تظهر لمن اكتسب لها نورا يناسبها فى الدنيا (و) لو قيل الدنيا والآخرة لو كانت كالليل والنهار لكانتا متبدلتين دائما لكن انما يكون تبدلهما مرة واحدة يقال التشبيه ليس من جميع الوجوه فالتبدل انما يكون (يوم ينفخ فى الصور) لانه اذا انفخ فيه هال الامر (ففزع) أى مات (من فى السموات ومن فى الارض) من العقلاء الذين خلق ما سواهم من اجلهم فلا يبقى عند موتهم فى الدنيا (الا من شاء الله). قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل مع الحور والجنة والنار وخزنتهما وحملة العرش وهؤلاء لا يفتقرون الى امور الدنيا (و) هؤلاء وان لم يؤثر فيهم النفخ بالموت أثر فيهم بالاستصغار اذ (كل أتوه داخرين) أى صاغرين (و) لا يختص أثر النفخة بالاجسام الضعيفة بل يؤثر فى الصلبة أيضا حتى انك (ترى الجبال تحسبها جامدة) لا تتأثر بشئ (وهى) تصير بالنفخة رخوة حتى انها (تمر مر السحاب) ولا يبعد ذلك لان صلابتها من اتقان الله اياها وقد اراد اتقان الجزاء باظهار جاه المؤمنين وخزى الكافرين للكل فكان (صنع الله الذى أتقن كل شئ) ولا يبعد عليه اظهار اسرار الكل للكل (انه خبير بما تفعلون) ثم أشار الى كيفية اتقان الجزاء بقوله (من جاء بالحسنة فله) جاه (خير منها) أى من مقتضى حسناته (و) من جاهه (هم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة) يظهر من خزيهم انهم كانوا فى استعدادهم مدبرين عن الحق (فكبت وجوههم فى النار) لانه منبع القوى المدركة والمحركة ويقال لهم (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) ليؤثر فى قلوبهم فيزداد ألمهم فان زعموا ان السيئات المكبة فى النار هى أعمالك شتم الآباء وتسفيه دينهم وقتل الناس وسبيهم ونهب أموالهم واستباحة نسائهم والتفريق بين الوالد وولده والمرء وزوجته يقال (انما أمرت أن أعبد) الله وأولى عبادته حفظ حرمته فلا تهتك بالشرك وكيف يجوز هتك حرمة من كان (رب هذه البلدة الذى حرمها) ليشير الى ان هتك حرمته اشد وكيف يكون ماذكرتم سبب كب الوجوه فى النار مع انه انما كان بامر الله ولا يبعد ان يكون له أمر (وله كل شئ و) كيف لا أومر

[Margin:]
أى قصرن أبصارهن على أزواجهن أى حبسن أزواجهن ولم يطمحن بأبصارهن عليهن (قوله قانت الى غيرهن (قوله قانت آناء الليل) أى مصل ساعات الليل وأصل القنوت الطاعة (قوله جل وعز على رجل من القريتين عظيم) القريتان مكة والطائف (قوله جل وعز قيضنا لهم) أى سببنا لهم من حيث لا يعلمون ولا يحتسبونه وقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا

بماذكر وقد (أمرت أن أكون من المسلين) والاسلام مع تلك الامور (و) كيف لا أؤمر بذلك وقد أمرت (أن أتلو القرآن) الجامع لبيان المنافع والمضار والامر بالاوائل والنهى عن الاواخر حفظا لحرمات الله ليحفظ حرمة أنفسهم اذهتكها يوجب هتك حرمتهم (فمن اهتدى) فهو وان حفظ حرمة الله لم ينفعه (فانما يهتدى) نافعا (لنفسه) بحفظ حرمتها (ومن ضل) فهو وان هتك حرمة ربه لم يضره بل انما اضر نفسه فان زعموا انه يمكن رفعه بشفاعة مثلك من قبلك (فقل انما أنا من المنذرين) لمن هتك حرمة الله بالشرك (و) ان زعموا انه نقص فى حقك (قل الحمد لله) على ان جعلنى عدو الاعدائه فان أنكروا عداوته فى الشرك فهو يقال (سيريكم آياته) على هذه العداوة وهذه الآيات وان كانت كافية فليست ملجئة فاذا رأيتم الملجئة (فتعرفونها) حين لا تنفعكم المعرفة وقد عرفتموها بهذه الآيات وان لم تكن ملجئة ولذلك تغافلتم عنها (وماربك بغافل عما تعملون) من عداوته بالشرك وتكذيب الآيات والرسل وانكار الاوامر والنواهى فانهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة القصص)

سميت به لاشتمالها على قوله فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين الدالة على أن من هرب من مكان الاعداء الى مكان الانبياء اعتبارا بقصصهم الدالة على نجاة الهاربين وهلاك الباقين بمكان الاعداء أمن من الهلاك وهذا من أعظم مقاصد القرآن مع اشتمالها على مالا يشتمل عليه غيرها من أنباء موسى (بسم الله) المتجلى بجلاله وجماله فى آيات كتابه (الرحمن) بما تلا فيه من أنباء انبيائه واعدائه (الرحيم) بما افاد المؤمنين من خصوص اسرار ذلك (طسم) أى طوالع الاخبار الساطعة الانوار المستعدة للابرار أو طلائع الغيوب السليمة من المطاعن والعيوب المكثرة راحات القلوب أو طيبات الاخبار السنية الآثار المزيلة للاعذار والاكدار أو طبقات الانبياء السابقة الآلاء المفيدة للشفاء أو نحو ذلك مما يناسب المقام (تلك آيات الكتاب) الجامع لهذه الخصال (المبين) لما ذكر فى كتب الاولين بالاجمال (نتلوا) من مقام عظيم لطفنا (عليك) يا أكمل المطلعين على الاسرار (من نبا) أى حقيقة ماجرى بين (موسى وفرعون) ملتبسا (بالحق) من غير تلبيس ولا مبالغة كاذبة بحيث يفيد هذه الخصال (لقوم يؤمنون) بان فى القرآن هذه الخصال مما هو من قصص الانبياء والاعداء فسبب بعثة موسى ازالة باطل علو فرعون (ان فرعون علا) حتى قال أنا ربكم الاعلى ففضل نفسه على رب العرش العظيم والسموات العلا مع كونه (فى الارض) لا يمكنه الصعود فى الهواء (و) لعلوه بالقهر (جعل أهلها شيعا) يشايعونه على مايريد طوعا او كرها ولارادته ابقاء علوه (يستضعف طائفة منهم) وهم الذين كانوا يشايعونه كرها اذ يخاف منهم ان يبطلوا علوه بالكلية فيعلوه رأى فى المنام انه خرجت نار من دور بنى اسرائيل فاحرقت دار فرعون وديار قومه ولم تحرق شيأ من دور بنى اسرائيل فقال له كاهن يولد فيهم مولود يذهب ملكك على يده فكان (يذبح أبناءهم)

أى نصب له شيطانا يجعل الله ذلك جزاءه (قوله جل وعز ق) مجراها مجرى سائر حروف الهجاء فى أوائل السور ويقال ق جبل من زبرجد أخضر محيط بالارض (قوله قاب قوسين) أى قدر قوسين عربيتين (قوله عز وجل القاضية) أى المنية يعنى الموت (قوله عز وجل القاسطون) أى الجائرون (قوله تعالى قسورة) هو الاسد ويقال رماة وقسورة على فعولة من القسر وهو القهر

ليضعفوا بنقص العدد من قطع النسل وعدم انجبار من مات منهم (ويستحيي نساءهم) ليزوجوهن القبط فيضعفوا عن مقاتلة اختانهم واعقادهم ولم يستفد بذلك ابقاء علوه وملكه لانه انما يليق بالاصلاح وهذا قد أراده بطريق الافساد (انه كان من المفسدين) اذ يؤدي ذلك الى افساده دين الاسلام بالكلية وقد قصده أيضا (ونريد) لاصلاح أمور الدين الذي به اصلاح الدارين (ان نمن) بالتخليص من المفسدين (على الذين استضعفوا في الارض) لتقويتهم أمر الدين لو قدروا عليه (ونجعلهم أئمة) يقتدى بهم في الدين لقوتهم فيه (و) هو انما يتيسر بان (نجعلهم الوارثين) عنهم الملك لان الامامة في الدين انما تتم بالتمكن في الارض (و) لذلك اردنا بهذا التوريث أن (نمكن لهم في الارض و) لما لم يمكن مع تمكن فرعون وآله أردنا ان (نري فرعون وهامان وجنودهما) أي جنود فرعون الذين تحت ضبط هامان (منهم) أي من الذين استضعفوا (ما كانوا يحذرون) من ذهاب ملكهم وعلوهم لو بقيت قوتهم فحملت أم موسى به عام الذبح لا يتغير لها لون ولا ينتفخ لها بطن ولا يظهر لها لبن فلا يتعرض لها قوابل فرعون فولدت ليلة بلا قابلة سوى اخته فوضعته وبين عينيه نور (واوحينا) أي الهمنا فالقينا (الى أم موسى أن أرضعيه) ليتقوى به فلا يؤثر فيه هواء البحر ما لم تخافي عليه (فاذا خفت عليه) عيون فرعون فاجعليه في التابوت (فألقيه في اليم) أي البحر لانه لو نقل الى البر لزمك الانتقال معه وهو مخطر ان يظفر بك في الطريق أو بعد الاجتماع (و) من صدق توكلك في القائه في البحر (لا تخافي) عليه الغرق (ولا تحزني) طول الفراق (انا رادوه اليك) لحسن ظنك بربك (وجاعلوه من المرسلين) بدليل ظهور النور بين عينيه مع ارهاصات أخر فارضعته ثلاثة أشهر لا يسمع له بكاء فالح فرعون في طلب المواليد فاجتهد العيون في تفحصها فجاؤا الى بابها فرأتهم أخته فاخبرت أمه فلفته بخرقة والقته في التنور المسجور من طيران عقلها فدخلوا فاذا التنور مسجور فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخته فاين الصبي قالت لا أدري فسمعت بكاء من التنور فانطلقت وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما فاتخذت تابوتا فنبذته في اليم فسار حتى تعلق بشجرة توازي مجلس فرعون (فالتقطه آل فرعون) ليربوه مع ظهور ان القاءه في البحر انما هو من خوف القتل عليه فكأنهم التقطوه (ليكون لهم عدوا) حين يهلكهم (وحزنا) قبل ذلك (ان فرعون وهامان وجنودهما) مع كثرتهم ووفور عقلهم في أمر المملكة (كانوا خاطئين) اذ اخذوه ليربوه فيكبر فيفعل بهم ما يحذرونه وقد قتلوا من أجله ألوفا (و) تابعوا رأي امرأة فرعون اذ (قالت امرأت فرعون) آسيه بنت مزاحم قدس الله روحها وكرم وجهها (قرت عين) أي مستقر نظر (لي ولك لا تقتلوه) فانه أتانا من أرض أخرى ولا تتوهموا فيه الضرر بل (عسى أن ينفعنا) كما نفع بنتنا البرصاء بالبراءة (أو) عسى أن نحتاج اليه حاجة كلية حتى (نتخذه ولدا) يقوم مقامنا (وهم) بعدهمهم بقتله (لا يشعرون) بخطئهم في هذا الطمع (و) في هذه الحالة (أصبح) أي صار (فؤاد ام موسى) وان كانت من اهل الالهام (فارغا) أي خاليا عن ذكر الوعد اذ قال لها الشيطان كرهت أن يقتل فرعون ولدك

(قوله عز وجل قواريرا) وقارورة وعصيب وعصبصب أشد ما يكون من الايام وأطوله في البلاء (قوله عز وجل قوارير من فضة) يعني قد اجتمع فيها صفاء القوارير وبياض الفضة (قوله القصر) واحد القصور ومن قرأ كالقصر ثم أراد اعناق النخل ويقال أصول النخل المقلوعة (قوله عز وجل قمطريرا) القمطرير الذي يعبس حتى يجتمع ما بين عينيه لانه يقطب مرة

٣ قوله بالهامش ومن قرأ كالقصر يعني بتحريك الصاد كما يفيده الصحاح

فكان لك الاجر فتوليت أنت قتله اذ ألقيته فى البحر ولما أتاها خبر وقوعه بيد فرعون قالت وقع فيما فررت منه (ان كادت) أى انها قربت من فراغها (لتبدى به) أى لتظهر بكونه ولدها (لولا أن ربطنا) بالصبر والتثبيت (على قلبها) اعتناء بها بعد الاعتناء بولدها (لتكون من المؤمنين) بصدق وعده فى الآخرة لان من صدق هذا الوعد بالوحى الخفى فبالجلى أولى ولو لم تصدق يمكن ان تشك فى ذلك الوعد أيضا (و) عند ابتداء الخلق (قالت لاخته) مريم (قصيه) أى تتبعى أثره لتنالى خبره فقصت (فبصرت به عن جنب) أى بعد ليتأتى لها دعوى عدم التفاتها اليه لو توهموا عليها ذلك (و) لكن (هم لا يشعرون) انها ترقبه فرأته (و) قد (حرمنا) أى منعنا (عليه) ان يمص (المراضع) أى ثدى امرأة (من قبل) أى من قبل أن تبصر به عن جنب اذ لو كان بعده ربما لم تقف فلم تسمع هذا الخبر لكنها سمعت فدنت منهم (فقالت هل أدلكم) أيها الحيارى فى أمر رضاعه (على) امرأة من (أهل بيت يكفلونه) أى يضمنون جميع تربيته (لكم وهم له) أى لامر فرعون (ناصحون) فلو علم أحدهم منه ما يخل بشئ من أمره لاعلمه به فاتت بامه فلما وجد ريحها التقم ثديها فقيل لها من أنت فقد أبى كل ثدى سوى ثديك قالت انى امرأة طيبة الريح واللبن لا أوتى بصبى الاقبلنى فدفعه اليها واجرى عليها (فرددناه الى) بيت (أمه كى تقر عينها) برؤيته (ولا تحزن) بفراقه (ولتعلم) بمشاهدة صدق وعدها (أن وعد الله) بالامور الاخروية بالوحى الجلى (حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) ولم يزل فى تربيته غير مبال باحكامه حتى بلغ اشده (ولما بلغ أشده) أى كمال قوته الواجب فى الحاكم لئلا يتقوى عليه الشهوة والغضب (واستوى) اى اعتدل مزاجه فلا يميل الى التعصب الباطل (آتيناه) بطريق المكاشفة (حكما) أى شرائع من تقدم (وعلما) بالحقائق (و) لا يبعد فى حقه اذ (كذلك نجزى المحسنين) الذين يعبدون الله كأنهم يرونه فانهم يكاشفون بعلوم عند قوة الحال واعتدال المزاج (و) من احكامه لبنى اسرائيل على القبط لدفع ظلمهم مما يدل على بلوغه أشده وكزه القبطى اذ (دخل المدينة) أى مصر آتيا من قصر فرعون أو منف أو حابين أو عين الشمس ولخلوها عن الملك وظنه مزيد الظلم سيما اذا كان (على حين غفلة من أهلها) المانعين من الظلم غالبا والمراد وقت القيلولة أو ما بين العشاءين (فوجد فيها رجلين يقتتلان) أى يتنازعان وشأن الحاكم قطع النزاع سيما (هذا) الواحد (من شيعته) أى ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والواجب نصرهم بكل حال (وهذا) الآخر (من عدوه) أى ممن خالفه فى دينه وهم القبط الواجب قهرهم بكل حال (فاستغاثه) أى سأله الاغاثة (الذى من شيعته) لكونه مظلوما (على الذى من عدوه) لكونه ظالما واغاثة المظلوم واجبة فوجبت اغاثته من جهتين (فوكزه) أى ضربه بجمع الكف (موسى) الذى أعطى بسطة فى الخلق وشدة فى القوة (فقضى) أى فأنهى حياته فابطلها (عليه) هذا من جهة بلوغه اشده ومن جهة استوائه (قال هذا) وان كان قتل حربى ظالم (من عمل الشيطان) لانه سبب تسلط القبط على نفسى فكان فى معنى القائها الى التهلكة (انه عدو) يريد اهلاكنا (مضل) يبصر دفع الظلم فى وكزه ثم يجعله قتلا يفضى الى قتل بدله (مبين) أى مظهر عداوته

بعدا خرى أى بقطع (قوله عزوجل القارعة) يعنى القيامة والقارعة الداهية أيضا

(باب القاف المضمومة)

قوله عزوجل قرآن هو اسم كتاب الله عزوجل خاصة لا يسمى به غيره وانما سمى قرآنا لانه يجمع السور فيضمها ومنه قول الشاعر لم تقرأ جنينا * أى لم تضم فى رحمها ولدا قط ويكون

فعرف من جهة استوائه جهة هذا الظلم ثم اراد رفعه ليتحقق بمقتضى استوائه لذلك (قال رب) مقتضى تربيتك بهذا الاستواء رفع ما ينافى مقتضاه (انى ظلمت نفسى) بالقائها فى التهلكة (فاغفر لى) حتى لا أؤاخذ بالالقاء فى التهلكة (فغفر له انه هو الغفور) لما كان ظلما على النفس اذ يعقبه الاستغفار (الرحيم) بحفظ نفوس المستغفرين عن التهلكة فهذا التحقق بمقتضى الاستواء من حيث رفع اثم التهلكة الظاهرة ثم أراد التحقق بمقتضاه من حيث رفع اثم التهلكة الباطنة اذ (قال رب) مقتضى تربيتك (بما أنعمت على) من اغاثة أوليائك مع العفو عن القاء النفس فى التهلكة ان لا اهلكها بعون اعدائك (فلن أكون ظهيرا) أى معينا (للمجرمين) فانه تهلكة باطنة وهو وان غفر له عن الالقاء فى التهلكة لم يأمن الوقوع فيها (فأصبح) أى صار لكونه (فى المدينة) التى قتل فيها القبطى (خائفا) على نفسه من التهلكة لانه وان لم يعلم به أحد من القبط (يترقب) أى ينتظر وصول خبره من جهة الاسرائيلى فلم يثق برحمة ربه للمستغفرين (فاذا) أى ففاجأ الاسرائيلى (الذى استنصره) أى استعانه فقتل من اجله قبطيا (بالامس يستصرخه) أى يستغيثه من قبطى آخر (قال له موسى انك لغوى) فى نفسك (مبين) غوايتك لمخاصمتك بغاصمة الناس مع عجزك وعلم انه انما يبتلى به عن عدم وثوقه برحمة ربه للمستغفرين فوثق بغفرانه قتل القبطى فاراد قتل آخر مثله (فلما) جمع كفه ورفعها الاجل (أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما) اذ لا يقصد به المشايع سيما بحضرة العدو الموصل للخبر الى من يخاف منه (قال) اظنه من غوايته أنه يقصده به لسبق عقابه (ياموسى أتريد أن تقتلنى) مع انى منك دون العدو (كما قتلت نفسا بالامس ان تريد) أى ماتريد فى دفع الخصومات (الا أن تكون جبارا) أى قهارا بتشهير قهرك (فى الارض) بقتل كل منازع (وماتريد أن تكون من المصلحين) بين أهل النزاع فسمعه العدو فاتى به فرعون فامر بقتله (و) هو ان وقع فى خوف التهلكة نجاه الله منها اذ (جاء رجل) كامل مؤمن هو من آل فرعون حزقيل أو شمعون أو سمعان (من أقصى المدينة) من أبعد مكان منها الافراط محبته (يسعى) لئلا يسبقه الطالبون (قال ياموسى ان الملأ) أى أشراف قوم فرعون (يأتمرون) أى يطلبون به أمره ليتعلقوا (بك ليقتلوك) ولا يرضون باخذ الدية منك (فاخرج) من حدولايتهم ولا تعتمد محبة فرعون وامرأته عليك (انى لك من الناصحين) كأنى من بنى اسرائيل (فخرج منها) أى من مدينتهم (خائفا) من التهلكة (يترقب) لحوق الطالبة قبل الخروج من ولايتهم (قال رب) كما يحتمى عن اثم الالقاء فى التهلكة (نجنى) من التهلكة وان كانت مفيدة للشهادة لكونها (من القوم الظالمين) القاتلين للمسلم بالحربى الظالم فالهمه الله سبب النجاة الظاهرة والباطنة وهو التوجه الى مدين (ولما توجه) أى جعل وجهه (تلقاء) أى نحو قرية أولاد (مدين) بن ابراهيم لقربهم مع مافيها من صحبة شعيب عليه السلام وخروجها عن ولاية فرعون وكان لا يعرف الطريق (قال عسى ربى) أى قاربدرجاء (أن يهدينى) بالالهام (سواء السبيل) الذى لا يلحقنى فيه الطالبون اذ يظنون انه يأخذ غير الطريق المشهور فعن له ثلاث طرق فسلك أوسطها وأخذ الطالبون الآخرين ثم جعل الله عليه ماءها سبب الحياة الباطنة

كما

القرآن مصدرا كالقراءة ويقال فلان يقرأ قرآنا حسنا أى قراءة حسنة وقوله عزوجل وقرآن الفجر أى مايقرأ به فى صلاة الفجر (قوله عزوجل قلنا للملائكة) مذهب العرب اذا أخبر الرئيس منها عن نفسه قال فعلنا وصنعنا لعلمه ان أتباعه يفعلون بأمره كفعله ويجرون على

كما هو سبب الحياة الظاهرة (و) هو انه (لما ورد ماء مدين) أى نزل قريبا من بئرها (وجد عليه) أى على شفير بئرها (أمة من الناس يسقون) مواشيهم سقى أكثرهم قواهم الحيوانية مياه اللذات الحسية سابقين اليها مستعظمين بها (ووجد من دونهم) أى فى مكان أسفل منهم (امرأتين) ابنتى شعيب عليه السلام (تذودان) أى تمنعان مواشيهما الماء منع اللوامة والمطمئنة للقوى الحيوانية من تلك اللذات اولا ليتذللا لله ولا يشتغل بها عن الله (قال ما خطبكما) اى شأنكما فى الذود (قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء) أى يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء كراهة ازدحام الرجال وكان حقنا ان لا نأتى مكانهم لكن اضطررنا اليه اذ ليس عندنا رجل سوى أبينا (وابونا شيخ كبير) بلغ غاية الكبر فيعجز عن الخروج والسقى وهذا فعل اللوامة والمطمئنة فى اعطاء اللذات الحسية بعد رعاية الاعمال وصرف القوادح وترك الاعتماد على صرف العقل لها (فسقى) مواشيهما من بئر أخرى كان عليها صخرة لا يطيق حملها الا جمع فاقتلعها مع ما به من الجوع والوصب وجراحة القدم (لهما) من غير أجر (ثم تولى) أى عدل (الى الظل) أى ظل شجرة من شدة الحر (فقال رب) أى يامن ربانى بهذه القوة (انى لما أنزلت الى من خير) طعام أو قوة (فقير) وهذا فعل القلب يسقى القوى الحيوانية مياه الاعمال ثم الميل الى الظل الالهى للتخلق باخلاقه ثم استنزال فيض الاحوال والمقامات بالافتقار اليه ولما استفاض من الله الخير بعث اليه من يدعوه الى اخذ الاجر (فجاءته احداهما) الكبرى صفورا أو صفيرا أو الصغرى ليا أو صفرا مجىء المطمئنة أو اللوامة الى القلب (تمشى على استحياء) وضعت كم درعها على وجهها فعل اللوامة أو المطمئنة استحياء من الله (قالت ان أبى يدعوك) أى يطلبك (ليجزيك) ليعطيك (أجر ما سقيت لنا) دعوة المطمئنة واللوامة الى طلب الاجر من التلذذ بالعالم العقلى فاجابها ليتبرك بالشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا فى الاجر وكره موسى النظر الى عجزها فقال لها امشى خلف ظهرى ودلينى على الطريق برمى الحجارة اذا أخطأت (فلما جاءه) أتاه بالعشاء وقال له تعش فقال موسى نعوذ بالله انا من أهل بيت لا نبيع الدين بالدنيا فقال شعيب هذه عادتنا مع كل من نزل بنا فان من فعل معروفا فاهدى اليه لم يحرم عليه (وقص عليه القصص) أى أخبره بجميع ما جرى عليه من ولادته الى أمر فرعون بقتله (قال لا تخف) من قتل فرعون لانك (نجوت من القوم الظالمين) بالخروج عن حدولايتهم وهكذا القلب اذا خرج من حد صفات النفس ينجو من غوائلها ولما امتنع من أخذ الاجر على العمل لله عرض عليه أخذ الاجر على كسبه اذ (قالت احداهما) وهى التى استدعته (يا أبت استأجره) أى اجعله اجيرا لك ليرعى غنمك فانه حقيق بذلك (ان خير من استأجرت) أى من أردت جعله أجيرا (القوى) على العمل الذى صار فيه اجيرا وقد قوى على اقلال صخرة لا يقدر عليه الا جماعة (الامين) لا يخون فى محل العمل وقد أمرنى بالمشى خلفه وهذا كأمر اللوامة والمطمئنة بالكسب عند القوة عليه مع الامانة فيه باستعمال قوة الصبر والامانة فى رعاية الاركان والشرائط والسنن والآداب فى العمل ولما رآه مستنكفا عن أن يصير أجيرا لما فيه من الاستهانة ضم اليه تعظيم تزويج الابنة حيث (قال انى أريد) لقوتك

مثل أمس ثم كثر الاستعمال
لذلك حتى صار الرجل من
السوق يقول فعلنا وصنعنا
والاصل ما ذكرت (قوله
عز وجل ثلاثة قروء) جمع قر
والقرء عند أهل الحجاز
الطهر وعند أهل العراق
الحيض وكل قد أصاب لان
القرء خروج من شئ الى شئ
غيره فخرجت من الحيض
الى الطهر ومن الطهر الى
الحيض هذا قول أبى عبيدة

وأما تلك ما يقوى المودة ويجذب القلوب (أن أنكحك) من شئت من (احدى ابنتى هاتين) المرأتين لك (على أن تاجرنى) على ان تصير اجيرى لرعي المواشى باجرة على ابنتى هى مهرها عليك (ثمانى حجج) أى سنين (فان أتممت عشرا فمن عندك) أى فالزيادة فضل من عندك وهذا فعل العقل ان يزوج القلب والنفس اللوامة أو النفس المطمئنة لرعاية الاعضاء ويصحبه فى صعوده الافلاك الكوكبية وما فوقها الى اللوح المحفوظ الذى هو قلب العالم الكبير (وما اريد أن أشق عليك) بتحصيل نفقة لك أو لزوجتك ولا بتزويج امرأة سيئة الخلق أو مائلة الى الفسق (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) والصالح يسرى اثره الى أولاده وهذا فعل العقل دفع مشقة الاعمال برؤية العواقب الحميدة لها وهو مائل الى الاصلاح ما خلى وطبعه (قال ذلك) الشرط قاطع للنزاع (بينى وبينك) فلا نزاع فى شئ آخر بعد ذلك حتى انه لا نزاع فى الاجل بل (أيما الاجلين قضيت) أى اتممت (فلا عدوان على) بطلب الزيادة على ثمان أو الخروج بالاهل قبل عشر وهذا مطلوب القلب من العقل قطع النزاع وجلب المنافع ودفع المضار (و) ليس الوفاء بالوعد مقدورا لنا بل (الله على) وفاء وعد (ما نقول وكيل) أى قائم وهذا ما عليه القلب الكامل من اعتقاد توحيد الافعال وانما ذكرنا هذه الامور لقول موسى عليه السلام عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل وليكون مقدمة لتجليه الآتى من بعد ثم أمر شعيب عليه السلام بعصا يدفع بها السباع عن مواشيه فجاءت بعصا من آس الجنة حملها آدم عليه السلام فتوارثها الانبياء عليهم السلام فاعطاها موسى عليه السلام ولما جعل الله تعالى وكيلا على ما يقوله وفقه الله لاتمامه ورقاه اعلى المقامات (فلما قضى) أى تم (موسى الاجل) الاقصى (و) لم يترك امرأته عند أبيها اتكل عنده بعد الاجل بل (سار باهله) وفيه اشارة الى أن القلب اذا سار مع النفس الى الجانب العلوى كوشف بالانوار (آنس) أى أبصر (من جانب الطور) أى من الجهة التى تلى الطور (نارا قال لاهله) أى لامرأته التى احتاجت اليها الطلق فى ليلة شاتية مظلمة وضلال الطريق وللخدام (امكثوا) لئلا تبعدوا عنى عند ذهابى الى النار (انى آنست نارا) فأذهب اليها (لعلى آتيكم منها بخبر) من الطريق من ضوئها أو ممن عندها (أو جذوة) أى عود غليظ فيها شئ (من النار لعلكم) بجمع الحطب معها (تصطلون) أى تستدفئون (فلما أتاها) أى قرب منها (نودى من شاطئ) أى جانب (الوادى) أى الذى منه الفيض (الايمن) أى الذى عن يمين موسى المشيرة الى قوة حاله (فى البقعة المباركة) أى التى كثر خيرها بالتجلى الالهى الجامع (من الشجرة) الجامعة للثمرات (أن ياموسى انى) وان كنت متجليا بهذه النار من هذه الشجرة بهذه البقعة غير مقيد بها بل (أنا الله) الجامع للذات والاسماء باعتبار بطونها وظهورها فى الكل من حيث انى (رب العالمين) وان كانت الغلبة للاسم الذى هو رب موسى أو العزيز الحكيم على مامر (و) لشمول تجليك على الاسماء القهرية أمرت (ان الق عصاك) المشيرة الى المعاصى التى تضرب بها من أجلها والى انها حيات سريعة التأثير فى الباطن (فلما رآها تهتز) أى تتحرك (كأنها جان) أى حية صغيرة فى سرعة الحركة (ولى) وجهه عنها (مدبرا) أى جاعلا ظهره اليها (ولم يعقب) أى لم يرجع اليها

بالالتفات

وقال غيره القرء الوقت يقال رجع فلان لقرئه ولقارئه أيضا أى لوقته الذى كان يرجع فيه فالحيض يأتى لوقت والطهر يأتى لوقت وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى المستحاضة تقعد عن الصلاة أيام اقرائها وقال الاعشى ... لما ضاع فيها من قروء نسائكا يعنى من اطهارهن وقال

بالالتفات كما يفعله التائب من الذنب (ياموسى أقبل) اليها اقبال التائب الينا (ولا تخف) من امساكها كما لا يخاف التائب من عقاب الذنب (انك من الآمنين) من أن يؤذيك شىء اذا كنت عندنا كما يأمن العامل من ضرر المعاصى التى تاب عنها ثم قال له (اسلك) أى ادخل (يدك فى جيبك) أى ابطك (تخرج بيضاء) أى منيرة (من غير سوء) أى عيب كما يدخل العامل نور الاعمال فى القلب ليخرج الى الظاهر (واضمم اليك جناحك) أى يدك (من الرهب) أى من خوف شعاعها اضم المعجب عمله الى توفيق الله تعالى خوف الاعجاب فالعصا واليد البيضاء وان كانتا اشارتين الى المعاصى والطاعات (فذانك برهانان) على رسالتك الآمرة بالقاء المعاصى واكتساب الطاعات لكونهما (من ربك) اذ لا يقدر عليهما غيره ولا يعد ذلك لانه استحق الارسال (الى فرعون وملائه) لانهم المنغمسون فى المعاصى التاركون للطاعات (انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن أمر الله ونهيه (قال رب انى) وان أمنت الحية والشعاع صريحا والمعاصى والعجب اشارة لا آمن القتل والتكذيب من هؤلاء المبالغين فى الفسق انى (قتلت منهم نفسا) وهم وان عفوا عن المقتول الاجنبى فلا يعفون عن المقتول منهم (فأخاف ان يقتلون) اذ لا يمنعهم من ذلك كونى رسولا منك لفسقهم واذا قتلت فمن يؤدى رسالتك (و) لو لم يقتلونى لا يتم اداؤها منى مع لكنة لسانى فلا بد من تكميلها بفصيح وأولى من يكمل به اخى اذ (اخى) المعين لى طبعا (هرون) القائم مقام أبى لكبره (هو أفصح منى لسانا) فيكون أحسن بيانا ولا يتحمل ذلك ما لم يكلف بمثل ما كلفت به (فارسله معى) لا بطريق الاستقلال بل (ردأ) أى معينا وأقل اعانته انك ان أرسلته (يصدقنى) تصديقا يفيد نشاط القلب (انى أخاف) ضيق صدرى من (أن يكذبون) أى يتفقوا على تكذيبى المؤدى الى انواع الاذيات (قال سنشد) أى سنقوى (عضدك) الذى تقوم به باطشة بيانك (باخيك) اى باعانة اخيك (و) اذا قوى بيانك (نجعل لكما سلطانا) أى مهابة فى قلوبهم (فلا يصلون اليكما) بايذاء فضلا عن القتل بل (بآياتنا) المصدقة لبيانكما المكثرة أتباعكما (أنتما ومن اتبعكما) وان لم تكن له آية ولا سلطان (الغالبون) عليهم وان غلبوكم وغلبوا العالمين قبل ذلك اذ يخافون انهم لو ظلموكم ان يغضب عليهم من آتاكم بتلك الآيات فيهلكهم بالكلية (فلما جاءهم موسى) الذى عرفوا تنزهه عن الكذب وسائر الخبائث (بآياتنا) التى لا تلتبس بالسحر لكونها (بينات) بل يغلب بها السحرة وغيرهم (قالوا) اخفاء لمغلوبيتهم عن قوة فسقهم (ما هذا) الذى أتى موسى به عبر عنه بالاشارة القريبة للمفرد استهانة بها (الا سحر) وانما عجز عنه السحرة لانه (مفترى) أى مبتدع لم يسبق له نظير (و) يدل على كونه سحرا انا (ما سمعنا بهذا) أى بان للعالم الها يرسل الرسل بالآيات (فى آبائنا الاولين) وكذبوا فانهم قد جاءهم يوسف ومن قبله من الرسل جاؤا آباءهم أو معاصريهم (وقال موسى) كفى دليلا على كونها آيات أنها خوارق لم يسبق لها نظير مع ان ما جئت به هدى والساحر لا يدعو فى العموم الى هدى فان لم تعترفوا بكونه هدى (ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) وان لم يكن من عند آبائهم (و) يعلم ذلك بالعاقبة فان الله يحسن عاقبة أهل الهدى لا محالة

ابن السكيت القرء الحيض والطهر وهو من الاضداد (قوله عز وجل قربان) ما تقرب به الى الله جل وعز من ذبح وغيره وهو فعلان من القربة (قوله تعالى قبلا) أصنافا جمع قبيل ذكره قبلا أى صنف صنف وقبلا قبيل أى كفيل أيضا جمع قبيل أى كفيل وقبلا وقبلا أيضا مقابلة وقيل معاينة وقبلا أى استئنافا وأما قوله جل وعز

لانه يعلم (من تكون له عاقبة الدار) أى ما يعقب دار الدنيا وليست للساحر اذا ادعى النبوة لانه
ظالم فلا يفلح بالعاقبة الحميدة (انه لا يفلح الظالمون) بها وان وجدوا بعض مقاصدهم أولا
استدراجا (وقال فرعون) انما يكون آيات الله أو هدى أو عاقبة حميدة لو كان فى الواقع اله غيرى
ولكن (يا أيها الملأ) أى الاشراف لو كان اله اعلى منى لكنتم عابديه دونى فان لم تعلموه كنت اعلم
به لانى تقدمتكم بالعلم بالاشياء فقدمتمونى فى أمر المملكة لكن (ما علمت لكم من اله غيرى)
وان زعم ان لغيرى ملك السموات (فأوقد لى يا هامان على الطين) نارا فاتخذ منه آجرا (فاجعل
لى) من الآجر (صرحا) أى قصرا رفيعا الى السماء (لعلى أطلع الى اله موسى) لو كان هنالك
(و) ان كان فلا اظنه مرسلا لموسى (انى لأظنه من الكاذبين) لانه يبعد ان يرسل اله السماء الى
اهل الارض من هو داخل تحت ولايته دون ولاية اله السماء (واستكبر هو) بدعوى الالهية لنفسه
ونفيها عن الله وقصد الاطلاع الى الله وادعاء العلم الكلى لنفسه مع جهله بربه (وجنوده) بدعوى
الالهية لمعبودهم ونفيها عن الله مع كونهم (فى الارض) وليسوا كالصوفية القائلين انا الحق
حال سكرهم بغلبة نور الحق على قلوبهم بظهوره فيها كنور الشمس فى المرآة فيفنى فى نظرهم
ماسوى الله فيستكبرون بالحق على ماسواه اذ لا يرون له وجودا وقول فرعون وجنوده استكبارا
(بغير الحق) كيف والصوفية يرون رجوع كل موجود الى الله (و) هؤلاء (ظنوا أنهم الينا
لا يرجعون) فلم يبالوا بنا أصلا (فأخذناه وجنوده) بان ألقينا فى قلوبهم دخول اليم (فنبذناهم
فى اليم) نبذ الصوفية فى بحر الحقيقة لكن هؤلاء ظالمون برؤية الوجود لمن لا وجود له من ذاته
ونفيه عمن له وجود من ذاته (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين و) كما جعلنا الصوفية ائمة يدعون
الى الله تعالى (جعلناهم ائمة يدعون الى النار) بكلماتهم التى يتبعهم فيها أهل عصرهم ومن
بعدهم (و) هم وان كثر اتباعهم الناصرون لهم فى الدنيا (يوم القيامة لا ينصرون واتبعناهم فى هذه
الدنيا) التى كثر فيها اتباعهم (لعنة) يلعنهم كل مؤمن يسمعهم (و) لا تزول منهم تلك اللعنة اذ (يوم
القيامة هم من المقبوحين) فيجتمع على لعنهم الكل ولو كانوا كالصوفية لكانوا مكتسبين من النور
الالهى حسن الارواح وقلوبهم وسائر أجزائهم (و) جعلنا موسى منبوذا فى بحر الرحمة اماما
يدعو الى الجنة متفق عليه الى يوم القيامة ومن المحسنين فيه بما آتيناه من الكتاب فانا (لقد
آتينا موسى الكتاب) الجامع أنواع العلوم سيما علوم الوعظ والتزكية لانا آتيناه (من بعد
ما اهلكنا القرون الاولى) فيتضمن (بصائر للناس) من المواعظ والتزكية (وهدى) الى
الاعتقادات الصحيحة ودلائلها (ورحمة) بالاحكام الحكمية (لعلهم يتذكرون) فيقيسون أحوالهم
على أحوال الامم الهالكة واعتقاداتهم على اعتقادات الخلائق وأحكامهم على أحكامهم
(و) أكدنا أمره بتصديقك اياه بالوحى المعجز المخبر عن الغيب لانك (ما كنت بجانب) الوادى
(الغربى) الذى كوشف فيه موسى عن عالم الغيب (اذ قضينا) أى قدرنا وانهينا (الى موسى
الامر) أى أمر التوراة من عالم الغيب (وما كنت من الشاهدين) للتوراة اذ خرجت الى عالم
الشهادة (و) هى وان كانت موجودة الآن بحيث يمكن شهودها (لكنا أنشأنا قرونا فتطاول

لاقبل لهم بها فعناه لاطاقة لهم بها (قوله عز وجل قسطاس) وقسطاس ميزان بلغة الروم (قوله عز وجل قرة عين لى ولك) وهو مشتق من القرور وهو الماء البارد ومعنى قولهم أقر الله عينك أى ابرد الله دمعتك لان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة (قوله تعالى قصيه) أى اتبعى أثره حتى تنظرى من يأخذه (قوله جل

عليهم العمر) فهانت عليهم حتى اجترؤا على تغييرها (و) لم يمكنك الاطلاع على تلك التغييرات
اذ (ما كنت ثاويا) أى مقيما (فى أهل مدين) الذين لم يغيروا التوراة (تتلوا عليهم آياتنا) تعلما
(ولكنا كنا مرسلين) اليك ما غيروا بعدهم (و) ليس اطلاعك على تغييراتهم باطلاعك على ابتداء
حال موسى لانك (ما كنت بجانب الطور اذ ناديناً) موسى فى ابتداء نبوته (ولكن) أطلعناك على
ابتداء أمره وانتهائه (رحمة من ربك) عليك وعلى اهل التوراة المغيرة اذ بعثت (لتنذر قوما)
عن التوراة المغيرة (ما أتاهم من نذير من قبلك) على هذا التغيير لوقوعه فى أيام الفترة (لعلهم
يتذكرون) ان المناسب لكلام الله ما تذكره أو ما غيروه (ولولا) كراهة (ان تصيبهم مصيبة)
عظيمة (بما قدمت ايديهم) من العمل بالتوراة المغيرة ممن علم منهم بتغييرات آبائهم (فيقولوا
ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) يبين لنا تلك التغييرات ويقيم عليها الآيات (فنتبع اياتك ونكون
من المؤمنين) بالتوراة على ما انزلتها او بكتاب هذا الرسول لولم ترسل رسولا ولكن كرهنا فارسلنا
رسولا واظهرنا عليه ما هو الحق من التوراة وآتيناه المعجزة القولية التى هى أقوى من الفعلية
(فلما جاءهم الحق) من التوراة على ما نزلت (من عندنا) مؤيدة بالمعجزة القولية (قالوا لولا أوتى)
هذا الرسول من المعجزات (مثل ما اوتى موسى) فنصدقه على تلك التغييرات كما صدقنا موسى فى
اصل التوراة (أ) آمن الكل بتلك المعجزات (ولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل) أى من قبل
ان يؤتى بمثلها فاذا اوتى بالمثل بطل التحدى بها فحينئذ (قالوا سحران تظاهرا) أى عاون أحدهما
الآخر بالكشف الروحانى (وقالوا) انه وان كان كشفا روحانيا يستفيد روح أحدهما من روح
الآخر (انا بكل كافرون) لحصول المعارضة المبطلة للتحدى فكان كما يكاشف الرهبان أو البراهمة
والزنادقة (قل) الفارق بين السحر والمعجزات الهداية (فأتوا بكتاب) معلوم كونه (من عند الله)
بمعجزات أقوى من معجزاتهما ومع ذلك يكون راجحا على كتابيهما اذ (هو اهدى منهما) فان اتيتم
(اتبعه) ولا اعاندكم مثل ما تعاندوننى (ان كنتم صادقين) فى انه يمكن الاتيان بما هو اهدى منهما
(فان لم يستجيبوا لك) فلم يأتوا بذلك الكتاب ولم يتابعوا الكتابين (فاعلم أنما يتبعون أهواءهم)
وان فرض انهم ساعدهم العقل فغايتهم انه كنور البصر لا يبصر به ما لم يستعن بنور الشرع الذى
هو كنور الشمس كما قال (ومن أضل ممن اتبع هواه) وان فرض انه وافق عقله ولكن كان (بغير
هدى من الله) يكون كنور الشمس وكيف يحصل له هدى وهو ظالم بتقديم هواه على هدى الله
(ان الله لا يهدى القوم الظالمين و) ان زعموا ان مقابلة المعجزة الواحدة الخفية بالمعجزات
الكثيرة الجلية ظلم يقال لهم هذه المعجزة الواحدة فى قوة المعجزات الكثيرة فانا (لقد وصلنا لهم
القول) أى ضممنا بعض القول المعجز الى بعض فصار كمعجزات كثيرة وانما جعلناه خفيا لتكثر
فائدته بالتذكر (لعلهم يتذكرون) فيظهر لهم من كثرة فوائده ما يجعل اعجازه جليا على ان اعجازه
جلى لاصحاب العلوم الكثيرة الاترى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون و) لا
يحتاجون الى التذكر بل (اذا يتلى عليهم قالوا) بمجرد سماعه (آمنا به) لظهور اعجازه عندنا
مع هدايته (انه الحق) الموافق لسائر ما نزل (من ربنا) وقد كان فيه وعد انزاله فلذا (انا كنا)

وعز قدو ورواسيات) أى
ثابتات فى أماكنها لا تنزل
لعظمها ويقال اثافيها
منها (قوله جل وعز قبل
الداحضون) أى المعن
الكذابون (قوله جل وعز
قطوفها دانية) أى ثمرتها
قريبة المتناول على كل
حال من قيام وقعود ونيام
واحدها قطف
(باب القاف المكسورة)
(قوله جل وعز قبله) جهة
يقال

بالايمان بتلك الكتب (من قبله) أى من قبل انزاله (مسلمين) أى منقادين له (أولئك) وان اتحد ايمانهم بالكتابين (يؤتون أجرهم مرتين) مرة لايمانهم بما فى كتابهم ومرة لمعرفتهم ان هذا الكتاب هو الموعود فيها (بما صبروا) على تأمل وجوه اعجازه حتى صارت لهم ملكة يعرفونها بمجرد القراءة (و) اذا وردت عليهم شبهة قادحة (يدرؤن) أى يدفعون (بالحسنة) أى بالحكمة الجميلة الشبهة (السيئة) وهذا وجه آخر للتضعيف (و) ثم وجه ثالث له هو أنه (مما رزقناهم) من العلوم (ينفقون) ثم انهم انما يدفعون شبهة المنصفين وينفقون عليهم العلوم (واذا سمعوا اللغو) من مناظر او متعلم (أعرضوا عنه) اذ لا يفيد مناظرته ولا تعليمه (وقالوا) سقط عنا حل شبهاتكم وتعليمكم (لنا أعمالنا) المبنية على دلالاتنا (ولكم أعمالكم) المبنية على لغوكم (سلام عليكم) أى سلمكم الله من لغوكم (لا نبتغى) أى لانطلب هداية (الجاهلين) الجهل المركب وكيف يأتى منا ولا يأتى من أكمل الخلائق اذ قيل له (انك) يا أكمل الخلائق فى الكشف عن الحقائق والحجج والشبه والتأثير بالهمة (لا تهدى) بتنوير القلب (من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو) وان قدر على هداية الكل فلا يهدى الا من علم من استعداده الاهتداء لانه (اعلم بالمهتدين) أى باستعداداتهم وانما تجب هدايته غيرهم لعدم اطلاعه على استعداده نزلت فى أبى طالب جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما احتضر فقال يا عمى قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال يا ابن اخى علمت صدقك ولكنى أكره أن يقال جزع عند الموت (و) كيف تهدى المعاندين وهم اذا لم يجدوا شبهة تمسكوا بعذر فاسد كأن (قالوا ان نتبع الهدى) لنصير (معك نتخطف) أى نخرج (من أرضنا) هذا عذرهم (و) انما هو عذر من (لم نمكن لهم) أى لم نجعل مكانهم (حرما آمنا) أى مفيدا للامان عند تشاجر الناس من حوله ولا يكون منع حمل الثمرات اليهم مخرجا لهم منه اذ (يجبى اليه ثمرات كل شئ) من الجوانب اذ جعلنا حملها اليكم (رزقا) للحاملين اكثر بربحهم فيجعل ذلك داعية لهم (من لدنا) وهذا ظاهر (ولكن أكثرهم لا يعلمون و) كيف يخافون فى اتباع الهدى التخطف ولا يخافون فى تركها الهلاك الكلى وقد وقع فيما دونه فانه (كم أهلكنا من قرية بطرت) أى طغت فكفرت (معيشتها) فان أنكرت اهلاكهم (فتلك) البيوت المشار اليها (مساكنهم) هلكوا بالكلية حتى (لم تسكن من بعدهم الا) زمانا (قليلا) مقدار سكون المسافرين يوما أو بعض يوم (و) ليسوا بهذا السكون وارثيهم يقومون مقامهم حتى كأنهم لم يهلكوا بل (كنا نحن الوارثين و) ان زعموا ان الله تعالى لو أخذهم لبطرهم لاخذنا بالكفر يقال (ما كان ربك) الذى بعثك رحمة للعالمين (مهلك القرى حتى يبعث فى أمها) التى ينسب اليها ما حولها نسبة الولد الى أمه (رسولا) يزيل عذرهم اذ (يتلوا عليهم آياتنا) الدالة على ظلمهم اذ الظلم المجهول لصاحبه كالمعدوم فى زعمه (وما كنا) بمقتضى عظمتنا المقتضية عظيم جودنا (مهلكى القرى الا واهلها ظالمون) اذ بدون ذلك يخل بجودنا (و) كيف يخافون على متابعة الهدى التخطف وغايته ما فيه سلب ما أوتوا (وما أوتيتم من شئ) فانه وان جل (فمتاع الحيوة الدنيا) الخسيسة الفانية (و) ان زاد على المتاع فهو (زينتها) المناسبة لها وان الله تعالى يعوضكم

أين قبلتك أى الى أين تتوجه وسميت القبلة قبلة لان المصلى يقابلها وتقابله قوله جل وعز قيام) على ثلاثة معان جمع قائم ومصدر قمت قياما وقيام الامر وقوامه ما يقوم به الامر ومنه قوله جل وعز اموالكم التى جعل الله لكم قياما أى قواما (قوله جل وعز قبيلا) قولا واحد (قوله جل وعز) قسيسين رؤساء النصارى احدهم قسيس وقال بعض

بذلك ماعنده (وما عند الله خير) متاعا وزينة لانه بحسب عظمته (و) لو لم يكن فيه سوى انه
(ابقى) لكفى (أ) تؤثرون الخسيس الفانى على الشريف الباقى (فلا تعقلون) فلو قيل العقل
لا يأمر بترك الحاضر المتيقن للغائب المشكوك يقال ما كان موعودا من عند عظيم قادر فليس
بمشكوك والحاضر اذا كان يعقبه ضرر يترك بلا عوض (أ) يستوى الموعود المحقق الشريف
الباقى الذى لا يعقبه ضرر والحاضر الخسيس الفانى الذى يعقبه أعظم وجوه الضرر (فمن
وعدناه) بمقتضى عظمتنا المقتضية شرف الموعود (وعدا حسنا) لا يعقبه ضرر ووعدنا لا يحتمل
الكذب (فهو لاقيه) لا محالة (كمن متعناه) متاعا وطالت مدته كان (متاع) مدة (الحيوة الدنيا)
التى جميع مدتها أقل من ساعة من نهار (ثم) لا يقتصر فى حقه على سلب المتاع بل (هو يوم
القيامة) يكون صاحبه (من المحضرين) فى النار فلو لم يكن له فيها عذاب كفى به زاجرا (و) انما
كان متاعهم سبب احضارهم لنسبتهم اياه الى الشركاء ابتداء واستدامة وتوقعهم منهم دفع
ما يعقبه من الضرر ولا يفيدونهم شيأ من ذلك بل يسفهونهم (يوم يناديهم فيقول أين شركائى
الذين كنتم تزعمون) انهم هذه الفوائد فيشيرون الى من عبدوهم من الملائكة والصالحين
والشياطين (قال الذين حق عليهم القول) منهم وهم الشياطين اذ منهم الاغواء (ربنا هؤلاء الذين
اغوينا) بايهام هذه الفوائد منا فلا تكلفنا تحصيلها لهم ولا تزدنا عذابا باغوائهم فانا
(أغويناهم) ليعبدونا (كما غوينا) بمحبة الشرك فكان من قلة عقلهم اتباع الغواة فلم يكن لنا
فى ذلك مزيد تأثير ثم انا لم نبق على تلك الدعوى ليقتصر علينا عذابها اذ (تبرأنا) اليوم من شركهم
متوجهين (اليك) الى توحيدك ولم يكن شركهم تاما لانهم (ما كانوا ايانا يعبدون) أى لم
يخصونا بالعبادة بل عبدوا هو يتهم أيضا فان عذبتنا على شركهم فبقدر شركهم لنا (وقيل)
هذا على زعمهم أن تبرأهم من الشرك يفيدهم لجعلنا من العذاب منه للمشركين بعد ما تبرؤا
عنهم وسفهوهم (ادعوا شركاءكم) ليحملوا عنكم العذاب الذى كان بقدر شركهم (فدعوهم
فلم يستجيبوا لهم) فضلا عن التحمل (ورأوا العذاب) على شركهم الذى لاجله نسبوا متاعهم
اليه لا يندفع الا بالهدى السابق فتمنوا (لو انهم كانوا يهتدون) بدل ذلك المتاع الذى دعاهم الى
الشرك فاى عقل يأمر بايثار هذا المتاع على ذلك المتمنى (و) لا يجدونه لعماهم فانه (يوم يناديهم
فيقول ماذا أجبتم المرسلين) الداعين الى الهداية (فعميت عليهم الانباء يومئذ) لتعاميهم فى
الدنيا (فهم لا يتساءلون) أى لا يسأل بعضهم بعضا عما جرى فضلا عن أن يجيب فاين لهم هذا
المتمنى وهذا وان كان شأن من لم يجب الرسل فى الدنيا فانما هو فى حق المصر (فاما من تاب) عن
ترك الاجابة (و) أجاب ولو بعد مدة بان (آمن و) اكمل اجابته بان (عمل صالحا فعسى أن يكون
من المفلحين) الذين أجابوا من أول الامر فنالوا درجة الصديقية وأمكنهم الجواب الحسن
فى مقام المكالمة الالهية والقرب ومقام الشفاعة لانهم اذا استناروا بهذه الانوار حصل لهم
الاستبصار بشأن الرسل فاستناروا ببعض انوارهم المفيدة لهم ما ذكرنا (و) لا يلزم عموم الفلاح
كل مجيب أولا وآخرا كما لا يلزم عموم الاجابة اذ (ربك) الجامع للكل (يخلق ما يشاء و) لا يلزم من

العلماء هو فعيل من قسست الشئ وقصصته اذا تتبعته فالقسيس سمى بذلك لتتبعه كتابه وآثاره ومعانيه (قوله جل وعز قرطاس) صحيفة والجمع قراطيس (قوله جل وعز قنوان) أى عذوق واحدها قنو (قوله جل وعز قطعا من الليل) جمع قطعة ومن قرأ قطعا بتسكين الطاء أراد اسم ما قطع تقول قطعت الشئ

ذلك أن يخلق الفلاح فى الفاسق والكافر لانه (يختار) أمر الفرقة وضده الاخرى والفلاح
وضده وان ترتبا على فعل المكلفين باختيارهم (ما كان لهم الخيرة) التى بها الاستقلال من غير
خلق الداعية وتحريك الاعضاء فيهم وكيف يكون الخلق والخيرة لغيره وهو مشاركة (سبحان
الله) أى قد تنزه تنزهه باعتبار ذاته وصفاته وأفعاله عن المشاركة اذ المشاركة توجب المساواة
(و) قد (تعالى عما يشركون و) هو انما يؤاخذهم على هذه الافعال بحسب بواطنهم القبيحة وما
يظهر منهم من القبائح اذ (ربك يعلم ما تكن) اى تخفى (صدورهم) من الاعتقادات والاخلاق
والضمائر (وما يعلنون) من الاقوال والافعال (و) الكل وان كان من الله اذ (هو الله) خالق
الكل لا خالق سواه اذ (لا اله الا هو) لكنه يفعل الاحسان بمن خلقه محسنا والاساءة بمن خلقه
مسيئا وخلقه محسنا ومسيئا بحسب استعداده اذ (له الحمد فى الاولى) فى غاية الاستعدادات
(والآخرة) فى رعاية البواطن والظواهر (و) لا حكم للاستعدادات والبواطن والظواهر
عليه بل (له الحكم) على الكل (و) لو فرض لها الحكم فليس ذلك حكم الغير عليه اذ (اليه
ترجعون) اذ الكل مظاهر باطنه أو ظاهره أو صور علمه فان زعموا ان هذا انما يتم فى الحيوانات
لو كان الفاعل فيما لا ينسب اليها واحدا لكن بعض ما لا ينسب اليها منسوب الى الحركات
السماوية (قل) انما يكون لها الالهية لو كان لها منع الله عن فعله وارادته (أرأيتم) أى أخبرونى
هل للكواكب منع الله من ارادته تسكينها بحيث (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) أى
متصلا (الى يوم القيامة) ليس للكواكب ذلك بل (من اله) مستجمع لصفات الالهية
(غير الله يأتيكم بضياء) من الشمس أو غيرها (أ) تنكرون هذا الدليل عنادا (فلا تسمعون)
فان زعموا ان ذلك لضعف الكواكب عن معارضته (قل أرأيتم) هل للشمس لعظمتها منع
الله عن ارادة تسكينها بحيث (ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة) ليس للشمس
ذلك بل (من اله غير الله يأتيكم بليل) وان تضمن حكمة مقوية للآتى وهى أنكم (تسكنون
فيه أ) تنكرون هذا مع انه أظهر من الاول (فلا تبصرون و) كيف جعلتم الشمس
والكواكب شركاءه مع انها اسباب رحمته فانه (من رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا
فيه) فينقطع تعبكم (ولتبتغوا من فضله) فى الليل بالتهجد وفى النهار بالعبادة وطلب العلم
والرزق على النشاط (و) لا يرحم ليشرك به بل (لعلكم تشكرون) فابدلتم الشكر بالشرك
(و) يسأل عن هذا الابدال (يوم يناديهم فيقول أين شركائى) الذين جعلتم شركهم بدلا عن
شكرى لانهم (الذين كنتم تزعمون) انهم المنعمون بالنعم التى تطالبون بشكرها فيميل
المقلدون منهم على من كان يأتيهم بشواهد من الشبه (ونزعنا) أى أخرجنا (من كل أمة)
من المشركين القائلين بفاعليتها استقلالا والفلاسفة القائلين بتأثير الاسباب السماوية
والارضية والمعتزلة القائلين بفاعلية الحيوانات (شهيدا) كان يأتيهم بشواهد من الشبه
(فقلنا هاتوا) بشبهتكم التى جعلتموها (برهانكم) فيظهر بطلانه (فعلموا ان) التأثير
(الحق لله) لا للاصنام والكواكب والحيوانات (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من الادلة

النقلية

لما بفتح القاف فى المصدر
اسم ما قطع فسقط قطع
الجمع اقطاع (قوله جل
عز قطع متجاورات) أى
رى متقاربات (قوله
جل وعز بقيعة) وقاع بمعنى
احد وهو المستوى من
رض ويقال قيعة جمع
اع (قوله جل وعز وقرن
بيوتكن) هو من
وقار يقال وقر فى منزله
قر وقرن من القرار فيمن

النقلية عن الانبياء الماضين والاولياء الكاملين وكيف يجعل للاسباب تأثيرمع انه كثيرا ما ينعكس الامر فيها (ان قارون كان من قوم موسى) وهو سبب الايمان لكنه لم يؤثر (فبغى عليهم) فانعكس الامر (و) أيضا كان سبب الشكر في حقه سبب كفره اذ (آتيناه من الكنوز) أي من الاموال التي لم يؤد حقها (ما ان مفاتحه) أي مفاتح صناديقه (لتنوء) أي تثقل حتى تميل (بالعصبة) أي الجماعة الكثيرة من الرجال والبغال أربعين أو أكثر (اولي القوة) وكان كفره حين نصحه قومه (اذ قال له قومه لا تفرح) بزخارف الدنيا فرحا يشغلك عن الله والدار الآخرة (ان الله لا يحب الفرحين) هذا الفرح فيبدلك حزنا لا غاية له (وابتغ) أي اطلب لدفع ذلك الحزن ولتحصيل الفرح الابدي بالتصرف (فيما آتاك الله) ما يحصل لك (الدار الآخرة) من صرفه في الخيرات (ولا تنس) بالانهماك في الدنيا (نصيبك) الذي هو زاد الآخرة المقصود (من الدنيا) وهو العبادة البدنية والمالية (واحسن) عبادة ربك مالية أو بدنية بان تعبده كانك تراه فزد في تحسينها (كما أحسن الله اليك) فزادك تحسينا دنيويا فهذا شكره الموجب احسانه في كل مرة (ولا تبغ الفساد في الارض) بهذا المال الذي جعله سبب صلاحها وأقل ضرره عداوة الله (ان الله لا يحب المفسدين) الذين يصرفون نعمه الى خلاف ما أنعم عليهم من أجله (قال) انما يصح قولكم كما أحسن الله اليك لو كان معطي هذا المال هو الله لكن (انما أوتيته) باستعلائي (على علم عندي) من التجارة والدهقنة أو الكيمياء (أ) كفر اعتمادا على قوته وجمعه (ولم يعلم) مما سمع بالتواتر (أن الله قد أهلك) على انكار اعطائه (من قبله من القرون) الكثيرة بحيث صارت سنة له (من هو أشد منه قوة) بالاموال والاتباع (وأكثر جمعا) لهما (و) لا يتوقف اهلاكه على شيء لانه (لا يسئل) في الدنيا (عن ذنوبهم المجرمون) عند اهلاكهم ليعتذروا عنها فلم يعتبر بهم قارون ولا بنصيحة قومه (فخرج) باغيا (على قومه) مغترا بالنظر (في زينته). وقد كانت بحيث يغتر بها من رآها ممن ليست له (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا) ان يعيشوا الى يوم القيامة باموال لا تنقطع (يا) أيها المتمني تعال (ليت لنا مثل ما أوتي قارون) من الكنوز فانه غاية السعادة (انه لذو حظ عظيم) من السعادة (وقال الذين أوتوا العلم) بالحقائق (ويلكم) من هذا المتمني فانه تمني سبب الشقاوة الابدية انما سبب السعادة الحقيقية عبادة الله اذ (ثواب الله) عليها (خير) في افادة السعادة (لمن آمن وعمل صالحا و) لكن هذه الكلمة (لا يلقاها) بالقبول (الا الصابرون) على ترك زينة الدنيا وعلى عبادة الله تعالى ولم يقدر قارون أن يصبر على ترك مقدار الزكاة القليلة وهو درهم من ألف درهم من زينة الحياة الدنيا ولا على ماليس له من دعوى الرسالة والحبورة فكان يقول لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وأنا في غير شيء الى متى اصبر وموسى يداريه حتى نزلت الزكاة فصالحه على ماذكرنا فاستكثره فبرطل بغية لترميه بنفسها فيفتضح بين بني اسرائيل ليرفضوه فلما كان يوم العيد قام موسى عليه السلام خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى بكرا جلدناه ومحصنا رجمناه فقال قارون ولو

(قوله قرن) يقرا راد اقررن فحذف الراء الاولى وحول حركتها الى القاف فلما تحركت القاف سقطت ألف الوصل فبقي قرن (قوله جل وعز قطمير) هو لفافة النواة (قوله جل وعز قطنا) واحد القطوط وهي الكتب بالجوائز

(باب الكاف المفتوحة)

(قوله جل وعز كرة) أي رجعة الى الدنيا (قوله

أنت قال ولو أنا فقال ان فلانة تزعم انك فجرت بها فناشدها موسى عليه السلام بالله الذى فلق البحر وأنزل التوراة الاصدقت فقالت جعل لى قارون جعلا فخر موسى ساجدا فاوحى الله اليه ان مر الارض فقال لها خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم الى عنقه ثم خسف به فقيل انما فعله ليرثه (فخسفنا به وبداره) المشتملة على أمواله (الارض فما كان) ما اعتمد عليه من سببية المال والاتباع سببا لنجاته اذلم يكن (له من فئة) أى فرقة من اتباعه (ينصرونه من دون الله) أى مجاوزين به من قهره وان كانوا مجاوزين لقهرهم من دونه (وما كان من المنتصرين) بقوة نفسه وماله فلم يكن لهذين السببين من أثر (و) عند بطلان تأثيرهما (اصبح الذين تمنوا) لظن بلوغ تأثيرهما الغاية (مكانه) أى رتبته (بالامس) مع ان هذا الظن يستمر على العقلاء سنين (يقولون) بعضهم لبعض (ويكأن الله) مركب من ويك بمعنى ويلك وأن بتقدير اعلم ان الله (يبسط الرزق لمن يشاء من عباده) من شقى وسعيد (ويقدر) أى يقبض فلا دلالة فى البسط على السعادة ولا فى القبض على الشقاوة بل انما يتوهم ذلك مع ان الامر منعكس (لولا ان من الله علينا) بمنع متمنانا (لخسف بنا) لانا تمنينا ما كان سبب خسفه وليس اعطاء المال الكثير سبب الخسف بل هو مع الكفر (ويكأنه) أى ويلك من الكفر مع كثرة المال اعلم انه (لا يفلح الكافرون) وان اعطوا أعظم اسباب الفلاح وكيف يفلحون باعطاء اسبابه اذا صرفوها فى غير مصرفها طالبا للجاه الدنيوى وان لزمه الفساد العام (تلك الدار الآخرة) لاختصاصها باهل الجاه عند الله المصلحين للعالم (نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض) بطلب الجاه المؤدى بهم الى التكبر على الخلق (ولا فسادا) كيف والدنيا مزرعة الآخرة (والعاقبة) أى عاقبة المزرعة انما تكون (للمتقين) فساد البذر والنبات والارض وانما كانت مزرعة لان (من جاء بالحسنة) فاحسن البذر والنبات والارض (فله خير منها) أى من تلك الحسنة التى زرعها (ومن جاء بالسيئة) المفسدة للزرع (فلا يجزى الذين عملوا السيئات) التى هى كافساد البذر والنبات والارض (الاما كانوا يعملون) من الافساد الاخروى فلو قيل لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من المتقين لحصلت له عاقبة حميدة لكنه لا يزال مذموما بتكذيب الخلائق يقال (ان) هذا الوصف مادام فى بلده لكن (الذى فرض عليك القرآن) أى قدر حين انزل عليك ايها الجامع الكتاب الجامع لما لا يتناهى بقدر خاص ليدل على جمعيتك مع اختصاصك بقدارك (لرادك) أى باعثك (الى معاد) أى مكان يسود فيه ما أجمل فيك وفى كتابك الى التفصيل فان أنكروا أن يكون فيك أو فى كتابك ذلك (قل ربى اعلم من جاء بالهدى) الى مكان قربه فيفيض عليه تلك التفاصيل (ومن هو فى ضلال مبين) فلم يمكنه الاتيان الى مكان قربه فلا يفيض عليه شيأ من تلك التفاصيل (و) عدم رجاء المهتدين الوصول الى ذلك المكان من القرب كعدم رجائك فانك (ما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب) الجامع لهذه الامور حتى عند جهدك بالعبادة

كافة) أى عامة كقوله ادخلوا فى السلم كافة أى كلكم وقوله جل ذكره وما أرسلناك الا كافة للناس أى تكفهم وتردعهم (قوله جل وعز كدأب آل فرعون) أى كعادتهم ويقال مازال ذلك دأبه ودينه وديدنه أى عادته (قوله جل وعز كفلها زكريا) أى ضمها اليه وحضنها (قوله جل وعز

(الا) أن يكون (رحمة من ربك) فينبغى لاهل الهداية ان لا ينقطع رجاؤهم من الوقوف على بعض تفاصيل الكتاب واذا كان فى دعوتك هذه الفائدة للمهتدين (فلا تكونن ظهيرا) أى معينا (للكافرين) بترك الدعوة فى صدهم عن هذه السبيل (ولا يصدنك) ايهامهم لك عدم الرد الى ذلك المعاد (عن) مقتضى (آيات الله) من الدعوة المفضية الى كشف تلك التفاصيل (بعد اذ أنزلت اليك) فعدم رجائهم الى الرد الى المعاد كعدم وجائك للانزال (و) لا توقف دعوتك على الرد الى المعاد بل (ادع الى ربك) بكل حال مكن فى (و) ترك الدعوة عن قول المشركين يجعلك كاحدهم (لا تكونن من المشركين) بل اذا أخذت بامرهم مع أمر الله كنت كمن يدعو الها آخر (ولا تدع مع الله الها آخر) فانه (لا اله الا هو) فلا تمتثل أمر من خالفه مع أمره كيف ولا وجود لشئ من ذاته اذ (كل شئ هالك) أى معدوم فى حد ذاته لا ترى فيه شيأ (الا وجهه) أى الا ما أشرق عليه من نور وجهه من وجوه أسمائه التى توجهت الى حقيقته وظهرت فيه وهو وان ظهر فيه فلا حكم له بل (له الحكم) فكيف يمتثل أمره (و) لو كان له حكم لم يعتد به معه اذ (اليه ترجعون) فافهم والله الموفق والملهم * تم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وآله أجمعين

(سورة العنكبوت)

سميت بها لاشتمالها على قوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت الآية المشير الى أن من اعتمد على قوة الآلهة وحفظها عن العذاب كالعنكبوت اعتمدت على قوة بيتها التى لا تحتمل مس ادنى الحشرات والرياح وحفظها عن الحر والبرد وهذا أتم فى الدعوة الى التوحيد الذى هو أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى باللطف والقهر (الرحمن) بالتوفيق للايمان (الرحيم) بالتمييز بين الصادقين فيه والكاذبين (الم) أى الابتلاء اللازم المدعى أو الاستكشاف الطف مطلوب أو الاسرار لا تحفظ من المحبة أو الآيات لوامع المكنونات أو غير ذلك مما يناسب المقام (احسب الناس) أى الذين نسوا الامر الالهى وحكمته وسنته (أن يتركوا) أى أنفسهم متروكة (ان يقولوا) أى لقولهم (آمنا) فلا يؤاخذون بالسيآت (وهم لا يفتنون) باستكشاف ما فى بواطنهم كيف (و) قد جرت السنة الالهية بذلك فانا (لقد فتنا الذين من قبلهم) كيف وقد ظهرت الحكمة فيه (فليعلمن الله) أى ليظهر علمه عند خلقه بصدق ايمان (الذين صدقوا) فيه بدلالة ثباتهم عليه عند المصائب (وليعلمن) أى وليظهر علمه بكذب دعوى (الكاذبين) لئلا يشهدوا عنده بايمان الكاذبين فينسب فى تعذيبهم الى الظلم وليثق المؤمنون بمحبة الصادقين ويستظهروا بهم او يحذروا عن مكر الكاذبين احسب الكاذبون ان يغلبوا المؤمنين بمكرهم (ام حسب الذين يعملون السيئات) ويرونها حسنات باظهار الايمان (ان يسبقونا) أى

كالظمين الغيظ) أى حابسين الغيظ (قوله جل وعز كأين) وكائن وكئن على وزن كعين وكاع وكع ثلاث لغات بمعنى كم (قوله كلالة) هو ان يموت الرجل ولا ولد له ولا والد وقيل هو مصدر من تكلله النسب أى أحاط به ومنه سمى الاكليل لاحاطته بالرأس والأب والابن طرفان للرجل فاذا مات

يغلبونا بانا شهاد المؤمنين على ايمانهم واعمالهم الصالحة (ساء ما يحكمون) من غلبتهم علينا بالحجة فغاية ما يشهد المؤمنون على ظواهرهم لا على بواطنهم لولم أظهر لهم فاذا أظهرت لهم انتفت تلك الشهادة منهم وان كانوا حاكمين في الدنيا بايمانهم و يجرون عليهم احكامهم ولو قيل الابتلاء اضرار فلا يليق بالمؤمنين بل ينبغي أن يقتصر على المنافقين لاظهار نفاقهم يقال لا اضرار على المؤمنين في الحال لانهم يرجون الثواب يوم لقاء ربهم ولا في الاستقبال لان (من كان يرجو لقاء الله) فانه ينال ثوابه يوم لقائه وان تأخر الى أجله لكن لابد من حلوله (فان أجل الله لآت) وكيف لا يكون له ثواب وقد دعا الله وتضرع اليه (وهو السميع) لدعائه وتضرعه فيثيبه على ذلك وان لم يفعل ذلك كان صابرا وهو (العليم) بصبره الموجب لاجره (و) لو سلم ان الابتلاء بالمصائب اضرار فلا ضرر في الجهاد الذي يعم الابتلاء به للمؤمنين والمنافقين فان (من جاهد فانما يجاهد) نافعا (لنفسه) بحفظ دينه وأهله وماله وتحصيل غنيمة أو درجة شهيد وكيف يكون اضرارا والحكيم انما يضر بالغير لو انتفع به والله تعالى منزه عن الانتفاع (ان الله لغني عن العالمين) فيقدر على الدفع عن دينه من غير جهاد (و) من فوائد الجهاد تيسر الايمان والاعمال الصالحة ففوائدهما فوائد الجهاد بل يكمل تلك الفوائد بالجهاد اذ (الذين امنوا وعملوا الصالحات) مع الجهاد (لنكفرن عنهم سيئاتهم) التي لا تكفر بدونه (ولنجزينهم) فيما قصروا فيه من الاعمال (أحسن الذي كانوا يعملون) أي بجزاء احسن أعماله لانهم ضموا الى الجهاد الاصغر الجهاد الاكبر (و) كيف يترك الجهاد مع الكفار وهم يأمرون بالكفر ولا يجوز امتثال الامر به من الابوين فضلا عن الاجانب مع انا (وصينا) أي أمرنا (الانسان) أمرا مؤكدا أن يحسن (بوالديه حسنا) عظيما يقتضي امتثال أمرهما ولو مشركين ما لم يأمرا بالاثم اذ امتثال أمرهما في مقابلة أمر الله يشبه الشرك (وان جاهداك لتشرك بي) فانك وان لم تطلع على برهان بطلانه يكفيك انه شرك (ما ليس لك به) أي بشركه (علم فلا تطعهما) وان جاز التكلم بكلمة الكفر اكراها فلا اكراه مع امكان المجاهدة فلو قيل حق الوالدين معلوم الثبوت و بطلان الشرك غير معلوم يقال انه اخطر اذ (الي مرجعكم) لا الى الابوين وليس رجوعا الى من يلتبس عليه بعض الامور (فانبئكم بما كنتم تعملون) من ترجيح حقي أو حق الوالدين (و) لو قيل خطر العقوق كخطر الشرك يقال (الذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) وان كان فيهم عقوق الوالدين بمخالفة أمرهما بالاثم (و) كيف لا نأمر بالجهاد واهماله يؤدي الى الارتداد فان (من الناس من يقول آمنا بالله) خوفا من عذاب الله (فاذا أوذي) لدخوله (في) دين (الله جعل فتنة الناس) أي اذاهم (كعذاب الله) بحيث لا يرجع الخوف منه على الخوف من الفتنة عندهم بل قد رجحوا الثاني فاظهروا الكفر (و) لكن لا يستمرون على ترجيحه بل (لئن جاء) المؤمنين (نصر من ربك ليقولن) انما أظهرنا الكفر خوفا وفي الواقع (انا كنا معكم) كما يقولون للكافرين عند

غلبتهم

ولم يخلفهما نقدمات عن ذهاب طرفيه فسمى ذهاب الطرفين كلالة وكأنها اسم للمصيبة في تكلل النسب مأخوذ منه بمجرى مجرى الشجاعة والسماحة واختصاره ان الكلالة من تكلله النسب أي أطاف به والولد والوالد خارجان من ذلك لانهما طرفان للرجل (قوله جل اسمه كاد تزيغ قلوب فريق منهم)

غلبتهم انما أظهرنا الاسلام خوفا من المسلمين انا كنا معكم ولا يقصدون بذلك التلبيس على
الخلق فقط بل على الله أيضا (أ) يقصدون التلبيس على الله (و) يعتقدون أن (ليس الله
باعلم بما فى صدور العالمين و) هذا القصد منهم يقتضى الامر بالجهاد ليظهر أنه (وليعلمن الله
الذين آمنوا) فثبتوا على الايمان عند انكسار المؤمنين (وليعلمن المنافقين) بالتغيير عند
ذلك (وقال الذين كفروا) بانكار عذاب الله (للذين آمنوا) لم تتحملون أذى الناس
(اتبعوا سبيلنا و) ان خفتم عذاب الله (لنحمل خطاياكم) بطريق الالتزام (و) انما قالوا
ذلك من انكار كونها خطايا والا (ماهم بحاملين من خطاياهم من شئ) أدنى فضلا عن
خطيئة الكفر ولو تحقق ذلك عندهم (انهم لكاذبون) فلا يوفون به (و) لكن يجعلون
كالموفين (ليحملن أثقالهم) أى أثقال معاصيهم التى يعجزون عن حملها (وأثقالا) من
اضلالهم وتحملهم (مع أثقالهم) لا بطريق التعاقب لعدم انقطاعها (و) لا يسقط
بذلك أثقال المحمول عنهم بل (ليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) على الله من نسبة
الشريك والولد وكفى بالسؤال عن ذلك ثقلا (و) لو منع التحمل من مؤاخذة المحمول
عنه لم يؤاخذ المتأخرون من قوم نوح مع تحمل أوائلهم وتعذيبهم مدة مديدة يمكن جعل
بعضها من جهة التحمل فانا (لقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما)
فلم يمنع تعذيب من مات من المتحملين منهم حين مؤاخذة المحمول عنهم (فأخذهم الطوفان
و) لم يكن من البليات العامة اذ (هم ظالمون) ولذلك تميز عنهم من لم يكن ظالما
(فأنجيناه وأصحاب السفينة) لا لركوبهم السفينة المحسوسة فقط بل لركوبهم سفن النجاة
من الايمان والاعمال الصالحة (و) لكن (جعلناها آية) على السفينة العقلية المنجية
(للعالمين و) السفينة المعنوية تنجى بذاتها والحسية بالارواح الملكية والا فهى مجرد صورة
لا تؤثر كصور الاصنام فاذكر لذلك انا أرسلنا (ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله) لتكون
عبادتكم اياه سفينة معنوية (واتقوه) ليصير وقاية عن غرقها (ذلكم خير لكم
من سائر السفن والوقايات علمتم ذلك (ان كنتم تعلمون) الحقائق لكن لا تعلمونها ولذلك
(انما تعبدون من دون الله) مع ان الدون لا يستقل بالاثر بدون الاعلى (أوثانا) أى صورا
لا تصلح للسببية فضلا عن الفاعلية (وتخلقون افكا) أى تخترعون كذبا انها تستقل
بالتأثير حتى انها هى التى ترزق (ان الذين تعبدون من دون الله) لابتغاء الرزق منهم مع ان
ابتغاءه لو صح من الدون لم يستحق العبادة (لا يملكون لكم رزقا) لانكم اعلى منهم (فابتغوا
عند الله) الجامع للكمالات التى ظهر بعضها فيكم (الرزق) الذى به بقاء تلك الكمالات
فيكم (و) لو طلبتم من دونه الرزق فلا تعبدوه بل (اعبدوه و) لا تعتقدوا استقلاله باعطاء
الرزق بل (اشكروا له) على ان جعل لكم من طلبتم منهم الرزق سبب ذلك (و) كيف
تتركون شكره مع انكم فى الانتفاع بذلك الرزق (اليه ترجعون وان تكذبوا) بالرجوع
اليه فى تمام الانتفاع بالرزق وأحالوا ذلك على القوى الباطنة والطبائع الخارجة (فقد

يقال كاد يفعل ولا يقال كاد أن يفعل ومعنى كاداى كاد أن يفعل ولم يفعل وتزويع تميل هم ولم يفعل
(قوله جل وعز كيل بعير) أى حمل جمل (قوله كظيم) حابس حزنه فلا يشكوه
(قوله كل على مولاه) أى ثقيل على وليه وقرابته
(قوله كأس) هو اناء بما فيه من الشراب
(قوله كهف) هو غار فى الجبل
(قوله جل وعز كمثله شئ)

كذب أمم من قبلكم) فاهلكوا فهـذا سبب هلاككم (و) لكن ليس على الرسول
اهلاككم اذ (ما على الرسول الا البلاغ) تبليغ الدلائل (المبين) الكاشف للشبه (أ)
ينكرون الرجوع اليه في تمام الانتفاع بالرزق (ولم يروا كيف يبدئ الله الخلق) أي خلق
اجزاء الانسان قابلة للتحلل فتحلل منها ما تحلل (ثم يعيده) بالغـذاء ولا ينتسب هـذا الى
القوى الضعيفة بل الى الله (ان ذلك على الله يسـير) فان انكروا ذلك في اجزاء البدن
(قل سـيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) قابلا للفناء فيفنيه (ثم الله) دون قوى
العالم (ينشئ النشأة الآخرة) لتلك الاشياء فهكذا أمر الغذاء الباطن (ان الله على كل
شيء قدير) وكيف يترك شكر الله في الانتفاع بالرزق مع انه (يعـذب من يشاء) بالغـذاء
بافضائه الى الامراض (ويرحم من يشاء) فيجعله سببا للتقويـة وشفائه (واليه تقلبون)
فيرجى رحمته ويخاف عـذابه اذ لا مانع منـه كيف وأعظم الموانع تصرف الانسان الكامل
المتصرف في العالم الحسي والعقلي (و) لكن (ما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء)
لا بانفسـكم (و) لا بمعبوديكم اذ (ما لكم من دون الله من ولي) يلي أمركم استقلالا
(ولا نصير) يدفع عنكم مزاحمته (و) العذاب والرحمة وان كانا بالمشيئة فلا تخالف الحكمة
المقتضية نزع الرحمـة من الكافرين اذ (الذين كفروا بآيات الله) الدالة على ان الرزق
منه ابتداء وانتهاء (ولقائه) الذي فيـه الجزاء على الشكر والكفران (أولئك يئسوا من
رحمتي) فكيف أشاء رحمتهـم (و) لا اقتصر عليهـم بمنع الرحمـة بل (أولئك لهـم عذاب
أليم) فقصـد قوم ابراهيم لبأسهم عن رحمـة الله وعدم مبالاتهم بعـذابه تعجيز الله بافناء رسله
ليعجز عن ارسال أوامره ونواهيه وزواجره التي يترتب عليها تعـذيبه فيعجز عن التعذيب
(فما كان جواب قومه الا أن قالوا) بعضهم لبعض (اقتلوه أو حرقوه) ليعذب قبـل
أن نعذب (فأنجاه الله من النار) دفعا لتعجيزهم واقامة للدلائل على امره (ان في ذلك لآيات
لقوم يؤمنون) على ان المعذب بالنار هو الله بطريق الاختيار وعلى ابطال اليأس من رحمـة
الله وعلى انجاء المؤمنين من نار جهنم وتبريدها عليهـم وعلى انه لو كان للاصـنام قرب من
الله لاحرقه من أجلها وعلى انهـم لو كانوا آلهة لمنعوا الله من تبريد النار وعلى صدق ابراهيم
(وقال) كيف تعجزون الله وغاية ما تقويتم به آلهتـكم وليست بآلهة (انما اتخذتم)
لتقويتكم (من دون الله) لتعجيزه (اوثانا) أي صور الأرواح لها وانما تعلق بها الشياطين
وهي وان افادتكم قوة فما دامت بينكم المودة لكن (مودة بينكم) أي المحبة الواصلة
بينكم بحيث يتقوى بها بعضكم ببعض منحصرة (في الحيوة الدنيا ثم) تنقطع وتنقلب عداوة
(يوم القيامة) الذي ترجون فيها نصرهم وشفاعتهم اذ (يكفر بعضكم ببعض) دفعا لنسبة
الشرك الى نفسـه فهـذا هو الانقطاع (ويلعن بعضكم بعضا) وهـذا هو الانقـلاب
كيف (ومأواكم) بتلك المودة (النـار) التي لا ضرر أشـد منها (و) لا شيء يدفعها
أو يخففها الا انه (ما لكم من ناصرين) فكفروا به وتركوا نصره مع مبالغته في اتيان

بما يستحق

أي كهو العرب تقيم المثل مقام النفس فتقول مثلي لا يقال له هـذا أي أنا لا يقال لي هـذا (قوله تعالى فكيف اذا توفتهم الملائكة) أي فكيف يفعلون عند ذلك والعرب تكتفي بكيف من ذكر الفعل معها لكثرة دورها (قوله كبر مقتا) عظم بغضا (قوله كثيبا مهيلا) أي جل وعز ملاسا لا يقال لكل

مايستحق الايمان به والنصر من الدلائل (فآمن) ناصرا (له لوط) ابن أخيه هاران (وقال) لا تحمل سماع لعنهم واذيهم واخاف الرجوع الى مودتهم المفضية الى النار (انى مهاجر الى) مكان يتيسر فيه عبادة (ربى) ولا أخاف فيه اذية نفسى لانى مهاجر منها الى الغالب عليها (انه هو العزيز) أى الغالب على الكل لكن قد لا يظهر الغلبة على بعض الناس بمقتضى الحكمة لانه (الحكيم) فخرج من كوثى من سواد الكوفة مع امرأته سارة بنت عمه ومع لوط الى حران ثم الى فلسطين ونزل لوط بسدوم (ووهبنا له) أى لنصره (اسحق ويعقوب و) ادمنا نصره فى ذريته اذ (جعلنا فى ذريته النبوة والكتاب) التوراة والانجيل والزبور والفرقان (و) من نصرنا اياه على نفسه انه (آتيناه أجره فى الدنيا) وهو التلذذ بعبادة الله (و) يبقى فى الآخرة (انه فى الآخرة) بعد انقطاع النبوة التشريعية بانقطاع التكليف (لمن الصالحين) بولاية الانبياء التى هى افضل من نبوتهم وان كانت نبوتهم أفضل من ولاية الاولياء فهذا نصر له من الله على قومه فى الدارين (و) قد نصرنا من نصره (لوطا اذ قال لقومه أئنكم) بتأكيد الاستفهام الانكارى (لتأتون الفاحشة) أى الفعلة البالغة فى القبح اقدمتم عليها من غاية خبثكم (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) لتحاشى الطباع عنها ثم فصلها بعد الاجمال ليكون أوقع فى النفس بقوله (أئنكم لتأتون الرجال) المخلوقين للفاعلية فتغيرون خلق الله (وتقطعون السبيل) أى سبيل النسل الذى وضع له الجماع (و) لا تبالون بقبحها أصلا اذ (تأتون فى ناديكم) أى مجالسكم الجماع (المنكر) والناس يستحيون من الجماع المعروف فيه فبالغوا فى انكار قبح شئ من ذلك (فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) فى انها فواحش قبيحة (قال رب انصرنى) باظهار خبثها بالعذاب (على القوم المفسدين) الذين يفسدون كل برهان عقلى ونقلى وكل حكمة الهية (و) لما كان نصره لنصره ابراهيم بشر به ابراهيم فى ضمن مابشر بأنصاره من أولاده فانه (لما جاءت رسلنا) الذين بعثناهم لنصر لوط بمقتضى دعوته (ابراهيم بالبشرى) بولده الناصر له (قالوا) تبشيرا له بنصر من نصره باهلاك اعدائه (انا مهلكوا أهل هذه القرية) سدوم واهلاكهم مما يبشر به (ان أهلها كانوا ظالمين) بتنزيلهم الرجال منزلة النساء وقطع النسل (قال) انما تتم البشرى لو استثنى لوط (ان فيها لوطا) والعذاب الدنيوى يعم البر والفاجر (قالوا نحن اعلم بمن فيها) من المنصور والمنصور عليه ونصر المنصور اغابتم بالجائه وانجاء من يتعلق به (لننجينه وأهله) تحقيقا لنصره المقصود من اهلاكهم (الا امرأته) اذ (كانت من الغابرين) أى الباقين فى طلب النصر عليهم (ولما) تصورت الرسل بصور رجال امارد أولى جمال لما (أن جاءت رسلنا لوطا) بما يغضب به على قومه ليكون اهلاكهم اسرع فيكون اتم فى النصر (سئ بهم) أى جاءته المساءة بسببهم مخافة ان يقصدوهم (وضاق بهم ذرعا) أى ضاق بسببهم طاقة كقصير الذراع لا ينال ماينال الطويل الذراع اذ لا يجد حيلة فى دفع قومه عن ضيفه (وقالوا لا تخف)

ما أرسلناه من يديك من رمل أو تراب أو نحو ذلك قد هلته/ يعنى ان الجبال وثبت من زلزلتها حتى صارت كالرمل المدرى (قوله جل وعز كواعب) أى نساء قد كعب ثديهن (قوله جل وعز كالوهم) أى كالوالهم (قوله جل وعز كادح) أى عامل (قوله جل وعز كبد) أى شدة

لحوقهم بناو بك ولا لحزنك (ولا تحزن) أى لا تغتم من لحوق عذابهم بك أو بأهلك (انا منجوك وأهلك) من عذابهم (الا امرأتك) فانك وان أخرجتها من القرية مع أهلك (كانت) فى الحكم (من الغابرين) أى الباقين فيها وبعدما أمنوه من عذابهم فصلوا له عذابهم فقالوا (انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا) أى عذابا لا يوجد جنسه فى الارض وهو (من السماء بما كانوا يفسقون) أى يخرجون عن مقتضى حكمة خالقها (و) لكونه لا نظير له (لقد تركنا منها) أى من حجارتها (آية بينة) اسامى من أهلكت بها مكتوبة عليها ليكون نائمها (لقوم يعقلون) فيقيسون احوالهم على احوال أولئك فيحترزوا عن الفواحش التى تردها العقول (و) جعلنا الزجرهم نظيرا مؤثرا هو رجفة أهل مدين على فسقهم الذى دون فسق قوم لوط فانا ارسلنا (الى) أهل (مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله) بامتثال أوامره والانتهاء عن نواهيه (وارجوا) اى اعتقدوا اعتقادا راجيا (اليوم الآخر) ليكون داعيا الى العبادة لرجاء ثوابه وخوف عقابه (و) انما يتقوى هذا الرجا بترك الافساد فى الامر الدنيوى (لا تعثوا) أى لا تفسدوا أمور الناس المجتمعين (فى الارض مفسدين) أمر التمدن وهو المعاونة من بنى النوع لاستكمال أمر المعاش والمعاد (فكذبوه) ليفسقوا عن أوامره ونواهيه (فأخذتهم الرجفة) أى الصيحة التى هى منشأ الزلزلة الشديدة من جبريل عليه السلام فى مقابلة زجر قوم لوط (فأصبحوا فى دارهم) التى بنوها لمعاشهم (جاثمين) أى ميتين خارجين عن اعتدالهم كما خرجوا عن أوامره ونواهيه وأخرج عنهم أرواحهم كما اخرجوا أرواح الانسانية عنهم (و) لو قيل انما اثرت الرجفة فيهم لعدم تحصنهم ببناء متين يقال قد أهلكنا أيضا (عادا وثمود وقد تبين لكم) تحصنهم (من مساكنهم و) لكن لم يتحصنوا فى الامور الاخروية باحكام أعمالهم اذ (زين لهم الشيطان أعمالهم) فخيل لهم انهم متحصنون بها فى الامور الاخروية (فصدهم عن السبيل) الموصلة اليها (و) لكن لم يصر هذا الصد مانعا من الاستبصار بل (كانوا) مع هذا الصد (مستبصرين) يمكنهم طلب البصيرة اذ لم يصيروا مجانين (و) لو قيل انما أخذوا لضعفهم الذى تحصنوا من أجله بمساكنهم يقال قد أخذنا (قارون) مع كمال قوته بالاموال (وفرعون) مع كمال قوته بالعسكر (وهامان) مع كمال قوته فى التدبير الدنيوى (و) لم يكن مؤاخذتهم كن لهم تلك القوة بل (لقد جاءهم موسى) المتقوى (بالبينات) فقابلوا قوته بقوة مالهم وعسكرهم وتدبيرهم (فاستكبروا) مع كونهم (فى الارض) على الآيات البينات حتى أرادوا السبق عليها (و) لكن (ما كانوا سابقين) بل أدركناهم (فكلا أخذنا) بعذاب يليق (بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) أى ريحا عاصفا فيه حصباء كعاد لغلبة الاهوية الفاسدة عليهم مع تجبرهم فى البطش (ومنهم من أخذته الصيحة) كثمود فى مقابلة صياح الناقة عند عقرها (ومنهم من خسفنا به الارض) كقارون لانه لما منع حق الاموال كان كالدافن لها (ومنهم من أغرقنا) كفرعون وهامان اغرقهما فى الكفر بسلب الربوبية عن الله تعالى

واثباتها

ومكايدة للامور الدنيا والآخرة (قوله كنود) أى كفور يقال كند النعمة اذا كفرها وجحدها (قوله وعز كلا) أى ليس جل وعز كلا ظننت وهو ردع الامر كاظننت وزجر (قوله كيدهم) أى مكرهم وحيلتهم (قوله جل وعز الكوثر) هو نهر فى الجنة وكوثر فوعل من الكثرة

واتباعهم الفرعون (و) انما أخذ كلا بذنبه لانه (ما كان الله ليظلمهم) بالمؤاخذة بما لا يناسب ذنوبهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بتعذيبها بالذنوب التى تستلزم ذلك العذاب ولو قيل انما أخذ الاولون لاعتمادهم على قوة مساكنهم أو أموالهم أو عسكرهم أو تدبيرهم ونحن نعتمد على قوة آلهتنا يقال (مثل الذين اتخذوا من دون الله) المحيط بالكل (أولياء) ولا نسبة للدون اليه وان بلغ ما بلغ الا نسبة لاشئ الى ما لا يتناهى فظنوا ان قوة أوليائهم محيطة بالكل (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) تعتمد على قوته وتظنه محيط بها دافعا عنها الحر والبرد (وان أوهن البيوت) أى أضعفها (لبيت العنكبوت) لا يحتمل مس أدنى الحيوانات وأضعف الرياح ولا يدفع شيأ من الحر والبرد وهذا مثلهم (لو كانوا يعلمون) حال أوليائهم وكيف يكون أولياؤهم محيطين بالله مع ان الله محيط بهم (ان الله يعلم ما يدعون من دونه) فيحيط بهم لكونهم دونه وكيف لا يعلمه وهو (من شئ) وكل شئ معلوم له وكيف يبلغون قوته (وهو العزيز) أى الغالب بقوته على الكل فوق غلبة أحدنا على بيت العنكبوت وله من غلبة التدبير ما ليس لغيره لانه (الحكيم و) ليست هذه الامثال لبيان نسبة قوتهم الى قوة الله تعالى بل (تلك الامثال نضربها للناس) أى لتفهيم من نسى الامور المعقولة فنذكرهم اياها بتشبيهها بالمحسوسة (و) مع هذه المبالغة فى التفهيم (ما يعقلها) أى لا يفهمها (الا العالمون) بمناسبة المحسوس بالمعقول وكيف يكون لقوة أوليائهم نسبة الى قوة الله مع انه (خلق الله) بقوته (السموات والارض) فالقوة التى فيهما صورة قوته الازلية لانه خلقهما (بالحق) أى بظهور نور وجوده وصفاته فيهما ليستدل بما فيهما عليه (ان فى ذلك) الظهور (لآية) تدل على الظاهر وصفاته مفيدة (للمؤمنين) بانهما من خلقه لا للقائلين بقدمهما والآيات وان كثرت فى السموات والارض فلا تعرف بكمالها الا بالبيان الالهى فلا يفهمه الا العلماء ولا يتم لهم فهمه الا بتفهيم أكمل الرسل ومع ذلك يحتاجون الى مزيد التزكية لذلك قيل (اتل) يا أكمل الرسل (ما أوحى اليك) بحسب كمالك (من الكتاب) الجامع لآيات السموات والارض والاعمال والاعتقادات والاحكام (وأقم الصلوة) لتزكية النفس المفيدة للمكاشفة عنها (ان الصلوة تنهى عن الفحشاء) أى القبائح الحاجبة عن الحقائق (والمنكر) الحاجب عن الله وأسرار كتابه لانها مقام مناجاة الله الجاذبة اليه المغلبة محبته المانعة عن عصيانه عليه (ولذكر الله) فيها (أكبر) تأثيرا فى التزكية والنهى لانه يذكر الصفات اللطفية فيوجب الحياء من العصيان أو القهرية فيوجب الخوف عنها (و) لو تخالف ذلك فبصنعكم الذى تسيؤن به أدب الحضرة (الله يعلم ما تصنعون و) لو أنكر أهل الكتاب كون كتابكم وحيا أو كونه جامع المآخذ كر (لا تجادلوا) فى بيان جمعيته ووحيه (اهل الكتاب) المطلعين على البراهين (الا بالتى هى أحسن) أى بطريق البراهين القطعية (الا الذين ظلموا منهم) فاختاروا طريقة الجدل فردوهم بتلك الطريقة

(باب الكاف المضمومة)
(قوله جل وعز كتب عليكم القتال) أى فرض عليكم الجهاد (قوله تعالى كره) وكره لغتان ويقال الكره بالضم المشقة والكره هو الاكراه يعنى ان الكره ما حل الانسان نفسه عليه والكره ما اكره عليه (قوله عز اسمه كفران) هو جحود النعمة (قوله

(و) لو اعترضوا باختلاف حكمي الكتابين (قولوا) لا تناقض بينهما اذ لك (آمنا بالذي أنزل الينا) فجعلناه مخصوصا بزماننا (وانزل اليكم) فجعلناه مخصوصا بذلك الزمان (و) هما في رعاية مصالح الزمانين واحد كما انه (الهنا والهكم واحد ونحن) بالايمان بهما (له) لا لاهويتنا (مسلمون) أي منقادون وفيه تعريض باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله (و) كيف يترك الايمان بهذا الكتاب مع انه كما وعدناهم انزال كتاب ناسخ لكتابهم (كذلك أنزلنا) يا نبي الرحمة (اليك الكتاب) ناسخا لاحكام كانت عليهم لظلمهم (فالذين آتيناهم الكتاب) فعرفوا هذا الوعد وهذا السر في النسخ (يؤمنون به) لموافقته ما وعدوا فيه وكونه على وفق الحكمة (ومن هؤلاء) أي من العرب (من يؤمن به) وان لم يطلع على ذلك الوعد والحكمة لاطلاعه على اعجازه من كثرة علومه في ألفاظ يسيرة منتهية في البلاغة ووجوه المحاسن غايتها بل مجاوزة نهايتها مع مخالفتها الاساليب نظمهم ونثرهم وغير ذلك مما مر (و) اعجازه كاف في ايجاب الايمان وان لم يجر به وعد ولم يوافق تلك الحكمة لكن (ما يجحد بآياتنا الا الكافرون) بالله المختص بكمال القدرة على ايجاد المعجزات (و) ليس اعجازه من احاطتك بكتب الاولين وهم لم يحيطوا بها الا انك (ما كنت تتلو من قبله من كتاب) فضلا عن الجميع كيف (و) هو ملازم للخط عادة وكنت (لا تخطه بيمينك) التي الخط بها أيسر من الخط بالشمال ولو كنت تاليا لكتبهم أو خاطا بيمينك لم يكن للريب مع الاعجاز وجه لكنه (اذا لارتاب المبطلون) المنكرون لدلالة الاعجاز على الصدق مع علمهم أن من أحاط بكتب الاولين لا يتصور منه الاتيان بالكتاب المعجز كيف وليس اعجازه باعتبار جمعه لما في كتبهم (بل هو آيات بينات) ظهر اعجازها (في صدور الذين أوتوا العلم) اذا رأوه جامعا لما في كتب الاولين مع زيادات غير متناهية في ألفاظ يسيرة فعجزوا عن مثلها (و) ليس انكارهم لاعجازه مع عجزهم عنه بما في صدورهم منه الا من افراط ظلمهم (ما يجحد بآياتنا الا الظالمون) بدعوى القدرة في مكان العجز التام (و) من افراط ظلمهم انهم (قالوا) مع كثرة آياته وكونها أجل من آيات الاولين فبراقه الذي دل عليه أخباره من أحوال بيت المقدس من غير أن يسافر اليه أجل من ناقة صالح وانطاقه الحصا بالتسبيح أجل من عصا موسى واحياء عيسى وابرائه وتكثيره الطعام أجل من مائدة عيسى (لولا أنزل عليه آيات) من آيات الاولين المتفق على كونها (من ربه قل انما الآيات عند الله) يقسمها بين أنبيائه قسمة الارزاق فيخص كل نبي بآية لا يعطيها غيره لئلا يقال انها سحر متوارث (و) ليس لي ان آخذ شيأ منها بقوة نبوتي بل (انما أنا نذير مبين) أبين بتلك القوة ما لا يبينه غيري (أ) يطلبون الآية على صدق انذارك مع وضوحه بنفسه (ولم يكفهم) في باب الآية على انذارك (أنا انزلنا) من مقام عظمتنا الباطنة والظاهرة (عليك) أيها الجامع لاسرار الحق والخلق (الكتاب) الجامع لاسرارهما (يتلى عليهم) فيحصل لهم في كل مرة علم جديد الى ما لا يتناهى وليس ذلك من باب التلبيس (ان في ذلك لرحمة) بافادة علوم ليست في طوق البشر الاستقلال

تعالى كبكبوا أصله كببوا)
أي ألقوا على رؤسهم
في جهنم من قولك كببت
الاناء اذا قلبته (كفار)
جمع كافر (قوله جل وعز
أعجب الكفار نباته) يعني
الزراع وانما قيل للزراع
كفار لانه اذا ألقى البذر
في الارض كفره أي غطاه
(قوله جل وعز كبتوا) أي
أهلكوا (قوله عزوجل

بها (وذكرى) لعلوم مركوزة فى قلب الانسان نافعة (لقوم يؤمنون) فيعتقدون كماله فيتأملون فيه فيجدونه فان أنكروا رسالتى مع هذا المعجز افقدوا ما اقترحوه من الآيات (قل) لا وجه لاقتراحهما بعد قطع النزاع من جهة الله من حيث شهادته فى كلامه المعجز فانه (كفى بالله) قاطعا للنزاع (بينى وبينكم) بكونه (شهيدا) بطريق التصريح فى هذا الكتاب الذى اعجازه فى شهادة صدقى وقد أقام على نبوتى فيه دلائل يعلم أنها من الذى (يعلم ما فى السموات والارض) من الدلائل ورفع الشبه (و) لكن يحجب عنها من كان مشركا اذ (الذين آمنوا بالباطل) فاعتقدوا أنه شريك الحق (وكفروا بالله) باعتقاد الشرك فى الهيته (اولئك) وان كوشفوا بامور من جهة الشياطين (هم الخاسرون) الكشف الالهى الذى ظهر به فى كتابه (و) لخسرهم الكشف الالهى المطلع على الامور الاخروية (يستعجلونك بالعذاب) استهزاء به والمطلع عليه لا يتصور منه الاستهزاء به (ولولا أجل مسمى) أى مقدر لتكثير معاصيهم المقتضى شدته (لجاءهم العذاب) لان الاستهزاء به يقتضى مزيد الغضب الالهى المقتضى لسرعته (و) هو وان كان بأجل مسمى (ليأتينهم بغتة) أى فجأة لعدم اطلاعهم على ذلك الاجل (و) لا يتقدم لهم علاماته ليتوبوا قبل اتيانه بل يأتيهم و (هم لا يشعرون) به أصلا (و) لا يبالون بفجأته وعدم شعورهم به بل (يستعجلونك بالعذاب) كأنهم كوشفوا بعدمه وهم وان لم يتقدم لهم علاماته اجتمعت فيهم أسبابه بحيث يصح أن يقال فيهم مجازا (وان جهنم لمحيطة) الآن (بالكافرين) احاطتها (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) ومن جميع الجوانب التى أتاهم ابليس منها بطريق الاولى (ويقول) تكميلا للاحاطة بالظاهر والباطن (ذوقوا ما كنتم تعملون) عند تصوره صورا مؤلمة لا تفارق المعذب أصلا (يا عبادى) الذين اختصوا بى لانهم (الذين آمنوا) لا وجه لمساكنتكم لأعدائى الذين أحاطت بهم جهنم (ان أرضى واسعة) وكيف تساكنونهم وهم يمنعونكم من تخصيصكم اياى بالعبادة (فاياى فاعبدون) بالخروج الى أرض تتسع لتخصيصى بالعبادة ولا تخافوا الموت فى الخروج اليها اذ (كل نفس ذائقة الموت) وهو داع الى تخصيص الله بالعبادة لانكم تموتون (ثم الينا ترجعون) لا الى الشركاء (و) لا ينبغى أن تلتفتوا الى فوات مساكنكم بالخروج اذ تيسر به الجمع بين الايمان والاعمال الصالحة اذ (الذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم) اى لننزلنهم (من الجنة غرفا) عالى بدل تلك المساكن ولا يفوتهم بذلك الانتفاع بانهارها اذ (تجرى من تحتها الانهار) وكيف لا يصلح هذا عوضا عما فاتهم من المساكن الفانية مع انهم يبقون (خالدين فيها) واذا كان هذا أجر الخروج من مساكنهم فأين أجر أعمالهم الميسرة للخروج (نعم أجر العاملين) وانما كان لهم فى الخروج هذا الاجر لانهم (الذين صبروا) عن المساكن والاهل والاموال فاستحقوا الاجر بغير حساب (وعلى ربهم يتوكلون) فى أمر الرزق عند الخروج من أموالهم (و) من عسر عليه التوكل فليعلم انه دابة من جهة الاكل (كأين) أى كم (من دابة لا تحمل رزقها)

(قوله جل كبارا) أى كبيرا (قوله جل وعز الكبر) جمع كبرى (قوله جل وعز كورت) أى ذهب ضوءها ويقال كورت أى لفت كما تلف العمامة (قوله كشطت) أى نزعت فطويت كما يكشط الغطاء عن الشئ كما يقال قشطت تقول كشط الجلد وقشطه بمعنى واحد اذا

لضعفها ولاتدخر شيأ لغد (الله يرزقها) لا أربابها لو كان لها أرباب (وإياكم) لا ما نسبتم (و) كيف لا يرزقكم اذا توكلتم عليه مع انه (هو السميع) لما في قلوبكم من التوكل عليه ولو لم تتوكلوا افلا يترك رزقكم أيضا لانه (العليم) بفضلكم على سائر ما يرزق من الدواب (و) كيف لا يخص بالرزق من هو خالقه وخالق جميع أسبابه وأصوله بلا خلاف لانك (لئن سألتهم من خلق السموات) التي منها الامطار (والارض) التي منها النبات (وسخر الشمس) التي منها النضج (والقمر) الذي منه الانماء (ليقولن الله) ومع اعترافهم بذلك يطلبون الرزق من غيره (فأنى يؤفكون) أي يصرفون منه الى الغير ولو قيل ان تكثيره وتقليله بيد غيره يقال (الله يبسط الرزق لمن يشاء) من مباشري الاسباب وغيرهم فلا ينظر اليها بل الى كونه (من عباده ويقدر له) ليعلم انه محض فعله لا أثر فيه لغيره ومع ذلك لا يفعل على سبيل التحكم بل بمقتضى الحكمة (ان الله بكل شئ عليم و) كيف ينسبون بسط الرزق الى غيره وهو من كثرة الزراعة وهي من انزال الماء واحياء الارض مع انك (لئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض) باخراج النبات (من بعد موتها) باليبس (ليقولن الله قل الحمد لله) أي جميع المحامد لله اذ بيده أصل الرزق وبسطه (بل أكثرهم لا يعقلون) أي لا يعرفون استعمال الدلائل النقلية فينسبون بسط الرزق الى غيره على ان الغير انما بسط عليك اذا شرح الله صدره لبسطه عليك فهو الباسط عليك بالحقيقة (و) لو منع الله طالب الرزق منه لاعطاه بدل ما ليس بشئ من أجل الاشياء فانه (ماهذه الحيوة الدنيا الا لهو) أي اشتغال بغير الله وكفى به خسة (و) ما يشغل عنه فهو لذاته بمنزلة ما هو (لعب) أي شئ يلعب به الصبيان (وان الدار الآخرة لهي الحيوان) أي الحياة الحقيقية التي لا يطرأ عليها الموت ولا ما يشبهه من الاحزان والآلام فيرضون بهذا البدل (لو كانوا يعلمون) الحقائق ثم انهم انما يطلبون الرزق من غير الله اذا كانوا في البر (فاذا ركبوا) لطلبه (في الفلك) الخطر (دعوا الله مخلصين له الدين) لعلمهم انه لا ينجيهم من الغرق سواه (فلما نجاهم) عن ذلك الخطر بان جاءهم (الى البر اذا هم يشركون) أي فاجؤا المعاودة الى الشرك لا لفائدة تحصل لهم فيه بل (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة النجاة وربح التجارة (وليتمتعوا) باهواء النفس عن ترك عبادة الله ومنع حقوقه (فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم وتمتعهم (أ) يطلبون النجاة في البحر منادون البر (ولم يروا أنا) المنجون في البر أيضا (جعلنا حرما آمنا) ينجي من التخطف (ويتخطف) أي يختلس (الناس من حولهم أ) يتوهمون ان رزقهم من آلهتهم وان كان الامن من الله (فبالباطل يؤمنون وبنعمة الله) أي بسط الرزق (يكفرون و) ان زعموا ان الله فوض الرزق الى الآلهة يقال (من أظلم ممن افترى على الله كذبا أو) قالوا ان الله لا يستقل بهذه الاشياء بدون استعانة الآلهة يقال من أظلم ممن (كذب بالحق لما جاءه) وان لم يكونا أظلم فلا أقل من الكفر الخالد في النار (أليس في جهنم مثوى) أي موضع اقامة (للكافرين و) ان زعموا انهم كوشفوا لهم ذلك عن المجاهدة يقال انما هو مرائي ذلك لانهم لم يجاهدوا فينا اذ (الذين

جاهدوا

نزعته (قوله كفوا أحد) مثلا

*(باب الكاف المكسورة)

(قوله عز وجل كفل منها) أي نصيب منها وكفلين أي نصيبين من رحمته (قوله جل وعز كيدون) (قوله أي احتالوا في امري (قوله جل وعز كدنا ليوسف) أي نعمنا كذا له اخوته

جاهدوافينا) أى فى طلب معارفنا (لنهدينهم سبلنا) الموصلة الى معارفنا (و) لايخطؤن فى الكشف لاحسانهم (ان الله لمع المحسنين) أى الناظرين اليه فانه لايفارقهم حتى يكون لهم ظلمة بخلاف من نظر الى غيره فانه يكون حجابا له عنا فيقع فى ظلمة الخيال فافهم والله الموفق والملهم * تم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الروم)

سميت بها لاشتمال قصتها على معجزة تفيد للمؤمنين فرحا عظيما بعد ترح يسير فتبطل شماتة أعدائهم وتدل على ان عاقبة الامر لهم وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) الجامع بين اللطف والقهر (الرحمن) بتعميم اللطف فى الجملة (الرحيم) بتعظيم اللطف للمؤمنين (الم) أى انا الله المحيط علما أو الله لطفه محيط أو اختلاط اللطف بالمحن أو الاعتبار فى اللطف بالمنتهى أو غير ذلك مما يناسب المقام (غلبت الروم) أى غلبت فارس عبدة النيران الروم أهل الكتاب فقال المشركون لنظهرن عليكم ظهور اخواننا على اخوانكم مع انه لاعبرة بهذه الغلبة لكونها (فى أدنى الارض) أى فى أرض أقرب من الفرس من غير استئصال ولا غلبة على الاكثر ولا على النصف أو الثلث أو الربع كيف (و) لابقاء لتلك المغلوبية بل (هم من بعد غلبهم) أى الروم من بعد ما غلبهم الفرس (سيغلبون) وغلبة المغلوب أشد حزنا على الغالب سيما اذا كانت (فى) مدة قريبة (بضع سنين) من ثلاث الى تسع ولا يبعد من الله الايفاء بهذا الوعد اذ لم يكن غلبتهم بانفسهم ولا بأمر شركائهم بل بأمر الله اذ (لله الامر من قبل ومن بعد) فكما نصر فارس بامره من قبل ينصر الروم بامره من بعد فان أمره وان كان واحدا يتعدد تعلقه سيما عند اختلاف الازمنة وكيف لايتعلق أمره بنصرة الروم من بعد (ويومئذ) ينقلب مشامتة الكفار باعظم منها اذ (يفرح المؤمنون) فوق فرح الكافرين (بنصر الله) أهل الكتاب على عبدة الاوثان أكمل من نصرهم على الاولين اذ يرجون أكمل نصر لهم على المشركين ويظهر صدق وعد الله لهم ويزول حزنهم بنصر فارس اذ يظهر لهم انه (ينصر من يشاء) أولا (و) لكن يجعل آخر النصر لاهله اذ (هو العزيز الرحيم) فيعز أهله بنصرهم ويرحمهم بقهر أعدائهم سيما فى مكان الوعد لكونه (وعد الله) المضاف اليه لكماله وهو وان لم يجب عليه شئ (لايخلف الله وعده) لانه يلحقه نقيصة الكذب فيما هو من صفاته (ولكن أكثر الناس) لنسيانهم مبدأهم ومعادهم (لايعلمون) الله ولا وعده ولا صدق وعده وهم وان تميزوا عن سائر الحيوانات بالعلم فغايتهم انهم (يعلمون ظاهرا) لا المعانى الباطنة من الاشياء التى يكون العاقبة بحسبها (من) أسباب (الحيوة الدنيا) لاهتمامهم بها لدنوها منهم (وهم) وان خلقوا للآخرة واعطوا العقل من أجلها وجعلت الدنيا لهم مزرعتها (عن الآخرة) ظاهرها وباطنها (هم غافلون أ) يدعون العلم بالظواهر والبواطن (ولم يتفكروا فى أنفسهم) انهم ما خصوا بالعقل ليتفكروا فى أمر الدنيا فيزدادوا حزنا بنغص عليهم العيش دون سائر الحيوانات بل ليتفكروا فى عواقب الامور فيعلموا انه (ما خلق الله)

حتى ضمنا أثناء الي
والكيد من المخلوق
احتيال ومن الله مشيئة
بالذى يقع به الكيد (قو
تعالى كسفا) أى قط
الواحدة كسفة وكسـ
بتسكين السين يجوز أ
يكون واحدا ويجوز أ
يكون جمع كسفة مثل سد
وسدر (قوله تعالى كـ

الحكيم العليم (السموات والارض وما بينهما الا) ليكمل علمهم (بالحق وأجل مسمى) وليس ذلك اتعابا بالنظر هم من غير عاقبة بل لـ بلقاء اربهم (وان كثيرا من الناس) المدعين العلم بالظواهر والبواطن (بلقاء ربهم) من ظواهر المعقولات الاخروية (لكافرون) أي ينكرون تلك العاقبة الاخروية وقد عوقب منكروها في الدنيا (ولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) هل كانت لضعفهم في التصرف الدنيوي أو اهدم آثارهم الارض لم أو تعميرها بل (كانوا أشد منهم قوة) في التصرف الدنيوي (وأثاروا الارض) أي قلبوها لاستخراج المياه والمعادن وزرع البزور وأكثر مما أثارها هؤلاء (وعمروها) بالبناء والغراس (أكثر مما عمروها و) لم تكن عاقبتهم من البليات العامة اذ (جاءتهم رسلهم بالبينات ف) لو آخذهم على تكذيبهم مع حقيتهم في التكذيب لكان الله ظالما ولكن (ما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا) بتكذيبهم الرسل (أنفسهم يظلمون) باسباب التعذيب فلم يزالوا على ذلك ولم يزل الله يحلم عنهم (ثم) لما حصل اليأس الكلي عن رجوعهم (كان عاقبة الذين أساؤا) فاستمروا عليها الخصلة (السوأى) وهل كانت اساءتهم غير (أن كذبوا بآيات الله و) لم يكن ذلك لهوانها في أنفسها بل (كانوا بها يستهزؤن) ولم يتم أمرهم بهذه العاقبة السوأى بل تبدأ وتعاد اذ (الله) بمقتضى احاطته بالاشياء (يبدؤا الخلق ثم يعيده) فيعيد العاقبة السوأى في البرزخ (ثم اليه ترجعون) فيكون هنالك عقبة سوء المعاد أيضا (و) هذه لا تنقطع لمصادفتها يومها لذلك (يوم تقوم الساعة يبلس) أي ييأس (المجرمون) عن انقطاع سوآهم (و) لاسيما اذ ظهر لهم انه (لم يكن لهم من شركائهم شفعؤا) بل صاروا أعداءهم (و) لذلك (كانوا بشركائهم كافرين و) هؤلاء وان رجعوا بترك الشرك الى مكان التوحيد لكنهم (يوم تقوم الساعة) الموضوعة للتفرقة بين المحقين والمبطلين (يومئذ) وان جمعهم الحشر (يتفرقون) فيصير كل فرقة الى مكان يناسبه (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة) أي أرض ذات أزهار وأنهار (يحبرون) أي يسرون سرورا يملأ وجوههم (وأما الذين كفروا) بالله (و) يكفي فيه ان (كذبوا بآياتنا) ففيه تكذيب الله (ولقاء الآخرة) ففيه انكار دوام ربوبيته عليهم (فأولئك في) مكان (العذاب محضرون) وانما وقعت هذه التفرقة في مقام التوحيد من اكتساب النور وعدمه فان مقام التوحيد وان كان نورانيا كالشمس فلا بد لادراكه من نور بمنزلة نور البصر وأولى ما يكتسب به النور بعد الايمان الصلاة ذات التسبيح المضاف اليه (فسبحان الله) أي فصلوا لله صلاة تتضمن التسبيح المضاف اليه (حين تمسون) وقت المغرب والعشاء الذين يبتدئ فيهما الحجاب الظلماني ويكمل لئلا يحجبوا بالحجب الظلمانية (وحين تصبحون) وقت الصبح الذي يبتدئ فيه النور الحسي لئلا يحجبوا بالحجب النورانية (و) لكونهما وقت الحجب الظلمانية والنورانية يقع (له الحمد في) أهل (السموات والارض) طلبا لكشفها (وعشيا) وقت العصر وقت انتقاص النور لئلا ينقص النور الكامل (و) هو الحاصل

من

وكبره) لغتان أي عظمه يقال كبر مصدر الكبير من الاشياء والامور وكبر مصدر الكبير السن (قوله جل وعز كبرياء هي العظمة) أي تكبر (قوله كبرياء) أي عظمة وملك ومنه قوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض أي الملك ومنه معنى الملك

من الصلاة ذات التسبيح (حين تظهرون) وقت الظهر وقت كمال النور الحسى الدال على كمال النور الالهى ليكون داعيا الى تحصيل ما يناسبه وكيف لا يتذللون بهذه العبادة لمن (يخرج الحى من الميت) الانسان من النطفة (ويخرج الميت من الحى) النطفة من الانسان (ويحيى الارض) بالنبات (بعد موتها) أى يبسها (وكذلك تخرجون) بالصلاة عن موت القلب الى حياته ومن حياة النفس الى موتها ويحيى أرضها بنبات الهيئات الفاضلة بعد موتها بالهيئات الرديئة وبالعكس بتركها (ومن آياته) الدالة على احياء القلب بالصلاة انكم وان كنتم مائلين الى الارضيات تصيرون بها وبالمرور على أركانها وهيئاتها وسننها بملاحظة أنوارها اناسا كاملين تنتشرون فى مقامات القرب مثل (أن خلقكم من تراب) هى أبعد من البشرية (ثم) بعد مرور اطوار (اذا أنتم بشر) أى فاجأ وقت استمرار بشريتكم (تنتشرون) فى مقامات العقل وتصرفاته العجيبة (ومن آياته) الدالة على انه تعالى يخلق من الاعمال أنوارا تزاوج أنوار الارواح تخالطها عند مباشرة الاعمال ولا تنقطع عنها بالكلية عند عدم الاعمال لبقاء علاقة المحبة ويحصل من اختلاطها أنواع الرحمة من الكشوف والاخلاق والاحوال والمقامات والكرامات (أن خلق) تكميلا (لكم) عن نطفكم التى هى (من) أجزاء (أنفسكم أزواجا لتسكنوا) أى لتميلوا (اليها) بالمجانسة فتجامعوها (وجعل) لاستدامة علاقة الاجتماع القلبى (بينكم مودة) أى محبة هى الميل من الجانبين (ورحمة) هى النسل واصلاح المنزل وليس هذا دليلا على امر خاص بل (ان فى ذلك لآيات) واضحة (لقوم يتفكرون) مثل ان يخلق من نياتكم أعمالا لتسكنوا الى تلك الاعمال عند مباشرتها وجعل عند عدم مباشرتها بينكم مودة تنتظرون بها أوقاتها ورحمة من الاخلاق والاحوال والمقامات والكشوف والكرامات ومثل ان الله تعالى خالقكم عما يناسب صفاته بكم ليميل اليكم فيخالطكم بالتجليات الشهودية وجعل عند عدم الاختلاط بها بينكم مودة ورحمة من افاضة العلوم والاخلاق والكرامات والاحوال والمقامات ومثل ان يخلق من أعمالكم ملائكة تميل اليها أرواحكم فتخالطها وعند عدم المخالطة يكون بينهما مودة موجبة لاستغفارها ورحمة فى افاضة الاخلاق والاحوال والمقامات والعلوم والكرامات (ومن آياته) الدالة على اختلاف أعمال القلب فضيلة ودناءة بحسب ميله الى العالم العلوى والسفلى وعلى اختلاف مراتب الاقوال فى تحصيل المعانى الجليلة والذليلة وعلى اختلاف أعمال الجوارح فى التحسين والتقبيح (خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) ولا يقتصر فيهما على ما ذكر (ان فى ذلك لآيات) واضحة (للعالمين) منها دلالة الاول على اختلاف الاشخاص بالذات فيكون السماوى مجذوبا دائرا فى المقامات والارضى ساكنا لا يصير الى حال ولا مقام ودلالة الثانى على اختلاف تأثير الاقوال ودلالة الثالث على اختلاف أعمال الجوارح بالعوارض من الاخلاق وغيرها ومنها دلالة الاول على علو همة البعض ودناءة همة الآخرين والثانى على

كبرياء لانه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا (قوله جل وعز كفاتا) أوعية واحدها كفت ثم قال أحياء وأمواتا أى منها ما ينبت ومنها ما لا ينبت ويقال كفاتا مضم ويجمع وحرز وحفظ وستر وهو مأخوذ من كفتة الشئ وكفته وهو وعاؤه تكفت أهلها تضمهم أحياء على ظهرها وأمواتا فى بطنها

كتب بطرة أصل الهامش فى نسخة زيادة كفاتا أوعية الى قوله مضم اهـ مصحح

اختلاف مايفهم من القول الواحد عند اختلاف الاشخاص والثالث على اختلاف هيئات الاعمال ومنها دلالة الاول على الاخلاق الفاضلة والرديئة والثانى على جمع الكلم وعدمه والثالث على نورية الاعمال وظلمتها (ومن آياته) الدالة على خلق البعض من نيل الاجر سواء كان فى ضوء العمل أو ظلمة التعطيل ونيل البعض للاجر عمل أو لم يعمل (منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) كطلب العلم والتجارة ولا يقتصر فيه على ماذكر أيضا بل (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) المواعظ منها ان الغفلة وان كان فيها راحة النفس ظاهرا فيكفى بها حزنا ان فوتت فضائلها سواء كان صاحبها فى ظلمة الجهل أو فى ضوء العلم وان مبتغى الفضل وان كان متعبا فيكفى به راحة ان يحصل له كمال النفس سواء كان فى ظلمة الجهل اذا لم يفسد عليه فضله أو فى ضوء العلم وهو أتم ومنها ان الشخص الواحد يختلف حاله بالغفلة تارة حال العمل أو الخلق وتارة باكتساب الفضل فى الحالتين ومنها ان العمل الواحد قد يقع فى حال الغفلة واليقظة معا وكذلك الخلق الواحد فتارة يكثر الضرر وتارة يقل والفائدة بالعكس (ومن آياته) الدالة على ان ظهور النور فى العمل لا تزيل عنه الخوف والرجاء انه (يريكم البرق خوفا وطمعا) أى مخوفا من الصاعقة ومطمعا فى المطر فيخاف عليه الرياء والعجب (و) اذا وقع أحدهما يرجى نزول التوبة وتبديل الرياء بالاخلاص وتبديل العجب بذكر المنة فانه كما (ينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها) ولا يقتصر فيها على ماذكر بل (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) منها ان الاعمال اذا ظهر فيها النور يخاف فيه آفات كثيرة كالاحباط بالكفر والاعطاء فى المظالم واذا ظهر فيها الظلمة يرجى فيها القبول بالتوبة المبدلة للسيآت حسنات ومنها ان الاعمال تصلح باعمال أخر تكون لها كالمطر ومنها ان الامر الالهى دائم الخطر فلا يؤمن مكره وبعد ظهور الخطر لا ييأس من روحه (ومن آياته) الدالة على ان أمر الله مخطر وان لم يظهر فيه سببه (أن تقوم السماء والارض) بحيث يتوهم أن لا تزولا أبدا لكن لما كان قيامهما (بأمره) فاذا أمرهما بالزوال زالتا (ثم) بعد زوالهما (اذا دعاكم دعوة) واحدة لتخرجوا (من الارض) بعد تزلزلها (اذا أنتم تخرجون) أى ففاجأ خروجكم فالعمل يرى قائما بتوفيق الله وعصمته فاذا جاء ماقدر له من الكفر اخرجه من أرض العامل التى بذره فيها (و) كيف لا تجيبون دعوته وهو مالك أمركم اذ (له من فى السموات والارض) ممن يفهم كلامه وكيف لا ينفذ تقديره وهو يتصرف فى عقول الكل فيصرفها الى ماقدر بل (كل) من العقلاء وغيرهم (له قانتون) أى مطيعون (و) كيف لا يطيعه الكل مع انه (هو الذى يبدؤ الخلق) فيطيعه حال العدم المطلق (ثم) بعد افنائه (يعيده) فلا يخرج عن اطاعته باعدامه ثانيا (و) لا يبعد بل (هو أهون عليه) لانه ان كان جمع المتفرق فظاهر وان كان اعادة المعدوم فليس الآن بمعدوم مطلق اذ لا يخلو عن شائبة من الوجود (و) الهوان انما هو بالنظر الى المعدوم لا الى الله تعالى اذ (له المثل الاعلى) أى الوصف العجيب من كمال القدرة الظاهرة (فى السموات والارض و) لو صعب فى ذاته لم يصعب

يقال كنت الشئ فى الوعاء اذا ضممته فيه وكانوا يسمون بقيع الغرقد كفتة لانها مقبرة تضم الموتى (قوله كذابا) أى كذبا

(باب اللام المفتوحة)

(قوله عز وجل لعنهم الله) أى طردهم وأبعدهم (قوله جل وعز لدى ولدن) بمعنى عند (قوله جل وعز لامستم) ولامستم النساء كناية عن الجماع (قوله جل وعز

عليه اذ (هو العزيز) ولا ينافى عزته عدم اعادته فى كل مرة لان ذلك يقتضى الحكمة لانه (الحكيم) وقد اقتضت الحكمة أن يترك عليه نوع خفائه ليتأتى التكليف وهذا السر لا ينافى التعذيب بطريق العدل حتى ينافى التكليف لانه أظهر الدلائل الملزمة للحكمة سيما بطريق التمثيل اذ (ضرب لكم) فى باب التوحيد (مثلا من) أحوال (أنفسكم) التى هى أقرب الاشياء اليكم فقال (هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء) يشاركونكم (فيما رزقناكم) من الاموال (فأنتم فيه سواء تخافونهم) أن تتصرفوا فيه بدونهم (كخيفتكم أنفسكم) أى كما يخاف أحد الشريكين ان يستبد بدون صاحبه والا كان ناقصا وكما فصلنا لكم هذه الآية (كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم لكن لا يستعملها الظالمون (بل اتبع الذين ظلموا) بالشرك (أهواءهم) لانهم أشركوا (بغير علم) بتحقق شرك من أشركوا بل لو حصل لهم العلم بامتناع الشرك لاحتالوا فى دفعه لان الله قد راضلالهم (فمن يهدى) أى فمن يكون سببا لهدايه (من أضل الله) أى قدر الله اضلاله كيف (و) ليس ذلك بالنسبة الى دليل أو مرشد مخصوص بل (ما لهم) شئ من الدلائل والمرشدين (من ناصرين) يخلصونهم من الضلال واذا ظهرت حجج التوحيد سيما بامثال المذكور فانه وان بقى معه خفاء فى أمر الجزاء لعدم خروجه الى الحس لا يترك متابعة الدلائل من أجله (فأقم وجهك) أى فاجعله مستقيما طالبا (للدين) أى لدين التوحيد لا كتوحيد عبدة الاصنام يميلون اليها ويزعمون انهم راجعون فى عبادتها الى التوحيد بل (حنيفا) أى مائلا عن كل ما سواه اليه ولا يعسر الرجوع اليه لكونه (فطرت الله) لا على الخصوص بل (التى فطر الناس) كلهم (عليها) لان عقل كل واحد يدل على انه حادث يفتقر الى محدث ولا دلالة على الافتقار الى متعدد أبدا فالقول بتعدده تغيير الفطرة لكن (لا تبديل لخلق الله) أى لا تغيير لامر العقل الذى خلقه الله للاستدلال (ذلك) أى القول بعدم تعدد المحدث عند عدم الدليل عليه هو (الدين القيم) المستقيم وان لم يقم عند المبتدئين دليل على استحالة التعدد فهذا هو مقتضى الفطرة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) انه مقتضى الفطرة وان كانوا (منيبين) أى راجعين (اليه) عند الشدائد لكن يرجعون عنه عند ارتفاعها (واتقوه) أن يعيد عليكم الشدائد اذا عدتم الى الشرك (و) للثبات على تقواه (أقيموا الصلوة) التى تنهى عن الفحشاء والمنكر (ولا تكونوا) فى الصلاة (من) اليهود والنصارى (المشركين) علماءهم حين ابتدع كل رئيس منهم دينا فلا تكونوا (من الذين فرقوا دينهم) لا بطريق الاجتهاد الذى يمكن فيه الرجوع الى الحق بل بطريق العناد (وكانوا شيعا) بحيث لا يمكن ردهم الى الامر الواحد بدليل اذ (كل حزب بما لديهم) مما افتراه رئيسهم (فرحون) من غير دليل يوجب فرحهم ثم ان هؤلاء وان اتخذوا رؤساءهم شركاء فى الاحكام الالهية لا يرجعون اليهم فى الشدائد (واذا مس الناس ضر دعوا ربهم) لا رؤساءهم بل (منيبين) أى راجعين عن الرؤساء (اليه ثم اذا أذاقهم منه) بانابتهم اليه (رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون)

(أيمانكم) باللغو فى أيمانكم يعنى ما لم تعتقدوه تدينا ولم توجبوه على أنفسكم نحو لا والله وبلى والله واللغو أيضا الباطل من الكلام كقوله واذا مروا باللغو مروا كراما واللغو واللغا أيضا الفحش من الكلام قال العجاج عن اللغا ورفث التكلم واللغو أيضا الشئ المسقط الملقى يقال ألغيت الشئ

أى فاجأ الشرك فريق منهم اذ ينسبونها الى متابعتهم (ليكفروا بما آتيناهم) أى بالسبب الذى آتيناهم الرحمة من أجله وهو الانابة لكنهم لما الكفر لا يسترده (فتمتعوا) به أياما لتزدادوا اثما فتستحقون به انتقاما مع انتقام الكفر فان لم تعلموه الآن (فسوف تعلمون) اعلموا صحة متابعة رؤسائهم بدليل العقل (أم أنزلنا عليهم سلطانا) أى حجة نقلية (فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) بأنه شريك الله يحكم فى مقابلة حكمه (و) كما ان اعتقاد كون الرؤساء حكاما من دون الله شرك كذلك نسبة الرزق اليهم أو الى كسب النفس من ذلك (اذا أذقنا الناس رحمة) سعة رزق (فرحوا بها) فزعموا انها من سلاطينهم أو أكسابهم (وان تصبهم سيئة) ضيق رزق (بما قدمت أيديهم) أى بسبب معصية سابقة (اذا هم يقنطون) أى ييأسون من روح الله (أ) يفرحون أو يقنطون (ولم يروا) أى لم يعلموا علما يشبه الرؤية (أن الله يبسط الرزق لمن يشاء) بالخصب فى مزرعته أو بالاطلاع على الكنز أو الربح فى تجارته أو بشرح قلب السلطان عليه (ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) فمنها ان الرزق لو كان بالكسب لاستوى صاحب الخصب والقحط والمسافرون للتجارة وخدام السلاطين ومنها أن الله يبسط التوفيق على البعض ويقبضه على البعض لانه رزق أخروى ومنها انه يبسط المعارف لمن يشاء ويقبضها على البعض وانما بسط الرزق على البعض لينظر هل يصل الرحم أو يقوم بالحوائج أو يوصل الى المقاصد (فآت ذا القربى حقه) من صلة الرحم (والمسكين) حقه فى القيام ببعض حوائجه (وابن السبيل) حقه فى ايصاله الى المقاصد (ذلك) الايتاء (خير) من ادخار المال (للذين يريدون) بأموالهم (وجه الله) أى رضوانه (وأولئك هم المفلحون) بفوائد المال الحقيقية (و) ارادة وجه الله انما تكون بالايتاء على الوجه المرضى له لذلك ”(ما آتيتم من ربا) فانكم وان قصدتم به الصلة والقيام بالحوائج والايصال الى المقاصد بل ما فوق ذلك (ليربوا) أى ليزيد (فى أموال الناس فلا يربوا) أى فلا يزيد نفعه بما يعتد به (عند الله) بل هو مضر عنده للمعطى والآخذ (وما آتيتم من زكوة) فانه وان كان كأداء الدين لا يستحق عليه العوض لكنكم (تريدون وجه الله) أى رضاه (فأولئك هم المضعفون) فوائد أموالهم اذ يحفظ به الباقى ويعوض المعطى بسبعمائة ضعف فصاعدا وكيف يراد به وجه الغير ولا يجب شكره بوجه وانما يجب شكر الله من جميع الوجوه اذ (الله الذى خلقكم) فيقتضى شكرا بالاحسان الى خلقه (ثم رزقكم) فيقتضى شكرا بأن ترزقوا عباده (ثم يميتكم) وهو يقتضى اماتة محبة الغير (ثم يحييكم) وهو يقتضى احياء أوامره ونواهيه (هل من شركائكم) الذين تريدون وجوههم فى الزكاة أو سائر الاعمال (من يفعل من ذلكم من شئ) فيستحقون ارادة وجوههم باعتبار ذلك الشئ تنزه عن الشرك (سبحانه) أى تنزهه الكامل (وتعالى) رتبته (عما يشركون) ولما كان هذا فسادا فى الاعتقاد والاعمال (ظهر الفساد فى البر) بالجدب والكساد (والبحر) بالغرق ومحو ما فيه من الاطعمة والجواهر (بما كسبت أيدى الناس) من المعاصى وان كانت

(قوله ... الطرحته وأسقطته (قوله جل وعز لولا ولوما) اذا لم يحتاجا الى جواب فمعناهما هلا كقوله عز وجل لولا ينهاهم الربانيون أى هلا ينهاهم الربانيون ولوما تأتينا بالملائكة أى هلا تأتينا بالملائكة (قوله جل وعز لبسنا عليهم) أى خلطنا عليهم (قوله جل وعز لواقح) بمعنى ملاقح جمع ملقحة أى تلقح السحاب

صور وطاعات أريد بها غير وجه الله (ليذيقهم) في الدنيا (بعض) جزاء (الذي عملوا) ويترك
البعض ابقاء للتكليف (لعلهم يرجعون) فان انكروا هذه الاذاقة (قل سيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة الذين) هلكوا (من قبل) فانه وان كان بطريق الابتلاء في البعض
(كان أكثرهم مشركين) بالشرك الجلي أو الخفي وهو الرياء واذا كان الشرك الجلي والخفي
موجبا لفساد المعاش جزئيا كما ذكر ولفساد المعاد كليا (فأقم وجهك للدين القيم)
ليستقيم به أمر المعاش والمعاد جميعا (من قبل أن يأتي يوم) لا يمكن فيه اقامة الدين لانها
لو كانت فيه اقتضت للجزاء يوما آخر لكن (لا مرد له من الله) لانه المتعين للجزاء عنده وهو
وان كان جامعا لكلهم (يومئذ يصدعون) أي يفترقون للجزاء افتراقا لازما بحيث (من كفر)
أي ثبت على كفره قبله (فعليه كفره) لا يمكنه دفعه بايمان ولا عمل وان أمكن قبل ذلك
اليوم (ومن عمل صالحا) قبله وان قل (فلانفسهم يمهدون) أي يسوون منزلا عظيما عند الله
لانه وضع ذلك (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لا بقدر تلك الكلمة والاعمال في
المشقة بل (من فضله) الذي نالوه من تمهيدهم المنزلة عند الله من محبته ولذلك لا ينال فضله
الكافر (انه لا يحب الكافرين و) لو قيل كيف يتوقف فضله على شئ كالايمان والاعمال
الصالحة قيل (من آياته) الدالة على توقف فضله على أمر آخر (أن يرسل الرياح مبشرات)
بالمطر فالمطر فضل متوقف على الريح (و) ينزل المطر (ليذيقكم من رحمته) الماء
المبارد والحبوب والثمار فاذاقة الرحمة فضل متوقف على المطر والريح (و) أيضا يرسل
الرياح (لتجري الفلك بأمره) فاجراء الفلك للايصال الى المقاصد فضل متوقف على الريح
(و) بجريها (لتبتغوا) أي تطلبوا (من فضله) كالعلم والربح فالفضل متوقف على اجراء
السفينة والريح (و) أيضا فعل بكم هذه الامور (لعلكم تشكرون) فيزيدكم فالمزيد فضل
متوقف على الشكر (و) لا يختص هذا بالفضل الدنيوي الذي لا اعتداد به بل الامر الاخروي
أيضا بدليل جريان مثله فيما هو نظير ما يفعل في الآخرة فانا (لقد أرسلنا من قبلك) فكانت
سنة قديمة (رسلا الى قومهم) الذين عرفوا صدقهم وقد صدقناهم باعطاء المعجزات (فجاؤهم
بالبينات) الملزمة للحجة فأجرموا بعد ذلك (فانتقمنا من الذين أجرموا و) دللنا على كونه
انتقاما بنصر المؤمنين لذلك (كان حقا علينا نصر المؤمنين) فكان نصر المؤمنين فضلا
متوقفا على الانتقام من الكافرين المتوقف على ارسال الرسل ومجيئهم بالبينات ونصر المؤمنين
نظير ما يفعل بهم في الآخرة ولو قيل كيف يكون ارسال الرسل سبب انتقام المجرمين وقد
أرسلوا رحمة للعالمين ثم كيف يكون انتقامهم سبب نصر المؤمنين يقال ان الله يرسل
الرسل فيعطي المرسل اليهم بالنعم فيبسط عليهم الكمالات التي ترفعهم ليستكبر المجرمون على
الرسل فيفرق أحوالهم ويخرج عنهم أموالهم وينقلها الى بعض المؤمنين ولا يبعد ذلك
على الله اذ (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في) جو (السماء كيف يشاء) سائرا
أو واقفا مطبقا أو غير مطبق الى غير ذلك (ويجعله كسفا) أي قطعا (فترى الودق) أي المطر

والشجر كأنها تفتحه
ويقال لواقح جمع لاقح لانها
تحمل السحاب وتقلبه
وتصرفه ثم تحمله فينزل
ومما يوضح هذا قوله جل
وعز يرسل الرياح بشرا بين
يدي رحمته حتى اذا أقلت
سحابا ثقالا أي حملت
(قوله تعالى لفيفا) أي
جميعا (قوله جل وعز
لبوس) دروع تكون واحدا
وجمعا (قوله جل وعز اهو

(يخرج من خلاله) أى فتوقعه فهذا امثال اعلاء الرحمة اياهم وبسط النعمة عليهم ثم تفريق أحوالهم واخراج أموالهم عند استعلائهم على أرسل (فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون) بالخصب فهذا امثال استبشار المؤمنين بالظفر من أموالهم بعد انتقامهم وهو النصر الكامل (و) لايمنع يأس الكفار من هذا الانتقام والنصر لاعدائهم كما لايمنع يأس المرحومين بالمطر عن الامطار (ان) أى انهم (كانوا من قبل أن ينزل عليهم) المطر مستبعدين بل انهم كانوا (من قبله لمبلسين) أى آيسين فان لم ينقطع يأسك بهذا المثال لاستبعادك الاحياء (فانظر الى أثر رحمت الله) أى أثر الغيث من النبات والاشجار والحبوب والثمار تعرف (كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك) الذى أحيا الارض بعد موتها (لمحيي الموتى) احياء الارض بعد موتها كيف (و) لاتقصر قدرته عن احياء غير الارض اذ (هو على كل شئ قدير و) يأسهم عن احياء الموتى كيأسهم عن الزرع فانا (لئن أرسلنا ريحا) على الزرع (فرأوه) من تأثيرها فيه (مصفرا لظلوا) أى صاروا (من بعده) أى من بعد الاصفرار قبل الموت آيسين من حياته حتى انهم (يكفرون) بقدرة الله على احيائه فمن أنكر قدرته على احياء الزرع بعد اصفراره وقد رأى قدرته على احياء الارض بعد موتها فهو ميت لايمكن اسماعه خبر احياء الموتى (فانك لاتسمع الموتى) وان ادعوا حياتهم فهم صم (ولاتسمع الصم الدعاء) فان أمكن تفهيمهم بحركة الشفة واللسان واليد فلا يمكن (اذا ولوا) ظهورهم الى الداعى (مدبرين) لايلتفتون اليه أصلا وكيف يمكن اسماعهم ولايمكن فى حقهم ماهو أتم وهو اراءتهم الدلائل لانهم عماة (وما أنت بهادى العمى) تنقذهم (عن ضلالتهم) وان كان العماة يريدون الانقاذ عن الآفات لانهم لايؤمنون بأن ههنا آفات (ان) أى ما (تسمع) من العماة آفة (الا من يؤمن بآياتنا) ولاتكفى المعرفة القلبية بل يشترط الاذعان بحيث (فهم مسلمون) أى منقادون لما علموه ثم انه لاوجه لليأس عن احياء الزرع بعد الاصفرار فان غايته أنه ضعف بل لاوجه لليأس عن احياء الموتى فان غاية الموت انه كمال الضعف ولايعسر على الله قلب الضعف بالقوة ولا القوة بالضعف اذ (الله الذى خلقكم من ضعف) أى من أصل ضعيف هو النطفة (ثم جعل من بعد ضعف) فى الاطوار الى أيام البلوغ (قوة) فى أيام الشباب (ثم جعل من بعد قوة) أى أيام الكهولة (ضعفا) فى أيام الشيخوخة (وشيبة) فى أيام الهرم ولايمتنع عليه التقوية بالاحياء بعد ذلك فى البرزخ ثم تضعيف تلك الحياة بنفخ الصور ثم تقويتها بالبعث لانه (يخلق مايشاء و) لكن لايجاوز حد العلم اذ (هو العليم) ولايوجب عليه العجز على خلاف المعلوم لانه (القدير) لكنه لايخالف علمه (و) كيف يقرون بالبعث من الموت اليوم برؤية احياء الارض أو تقوية الضعف ولايقرون به يوم البعث فانه (يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) انه ليس بعثا عن الموت بل عن النوم لانهم (مالبثوا غير ساعة) وانما صرفوا عن حقيقة البعث بعد رؤيته لانهم (كذلك كانوا يؤفكون) أى يصرفون (و) لايتركون على هذا الصرف بل يبين لهم ليعلموا

انهم

الحديث) أى باطله وما يشغل عن الخير وقيل لهو الحديث هو الغناء (قوله جل وعز فى ليلة مباركة) هى ليلة القدر (وقوله عز اسمه لحن القول) أى نحو القول ومعناه (قوله عز وجل لذة للشاربين) أى لذيذة (قوله عز وجل اللمم) أى صغار الذنوب ويقال اللمم أن يلم بالذنب ثم لايعود اليه

انهم مؤاخذون بكل ما صرفوا فيه عن الحق فى الدنيا حيث (قال الذين أوتوا العلم) بالحقائق
من الملائكة والانبياء والعلماء (والايمان) بالبعث عن الموت (لقد لبثتم) فى القبر أكثر
مما لقيتم عليه فان لم تصدقونا فانظروا (فى كتاب الله) الذى كتبناه بأمره لتكذيبكم فى هذه
اليمين (الى يوم البعث) فان لم يزل بذلك شككم (فهذا يوم البعث) وكان حقكم أن لا تشكوا
فيه بعد رؤيته (ولكنكم كنتم لا تعلمون) فاستمر عليكم الجهل بعد رؤيته واذا كانوا
مؤاخذين بهذه الكلمات عن جهل (فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا) بالشرك أو انكار الربوبية
أو الرسالة أو شئ مما يجب الايمان به (معذرتهم) بأنهم كفروا عن جهل لانه انما كان عن
تقصيرهم فى ازالته أو عن عناد (ولا هم يستعتبون) أى ولا يطلب منهم الاعتاب أى ازالة
العتب بالتوبة والطاعة لانهما وان كانتا ماحيتين للكفر والمعاصى فانما كان لهما ذلك فى مدة
الحياة الدنيا لا غير (و) كيف ينفع معذرتهم أو يستعتبون بعد ازالة العذر وتمكين الاعتاب
بكل ما أمكن فانا (لقد ضربنا) بيانا (للناس) كلهم (فى هذا القرآن) الجامع المعجز (من كل)
دليل على الامور الاخروية يجرى مجرى (مثل) فى الظهور (و) ليس عدم ايمانهم لبقاء عذر
لهم بل لافراط عنادهم فانهم بحيث (لئن جئتهم بآية) تكاد تلجئهم الى الايمان (ليقولن
الذين كفروا) أى مضوا على كفرهم (ان أنتم) أيها المتمسكون بها (الا مبطلون) مغالطون
وهذا انما طبع الله على قلوبهم لانه (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أى لا يتبعون
العلم بل يصيرون على خرافاتهم المألوفة لهم واذا لم يتأثروا بالامثال ولا بالآيات القريبة
من الالجاء (فاصبر) عن ايمانهم الى وقت مؤاخذتهم (ان وعد الله حق) كيف (و) ترك
الصبر من خفة العقل (لا يستخفنك) أى لا يحملنك على الخفة (الذين لا يوقنون) أى
لا يأخذون باليقين فانهم أخف الناس عقلا * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة لقمان)

سميت به لاشتمالها على قصته التى تضمنت فضيلة الحكمة وسر معرفة ذات الله وصفاته
وذم الشرك والامر بالاخلاق والافعال الجيدة والنهى عن الذميمة وهذه معظمات
مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى آيات كتابه المشتمل على أنواع الحكمة
(الرحمن) بجعله هدى للكل (الرحيم) بجعله رحمة للمحسنين (الم) أى اسرار اللب
المحض أو أطوار اللطف المتين أو ادوار اللوائح المتزايدة أو أنوار اللوامع المتوالية أو غير
ذلك مما يناسب المقام (تلك آيات الكتاب) الجامع لما ذكر من اتصافه بوصف (الحكيم)
لاشتماله على كل حكمة نظرية هى كونه (هدى و) عملية هى كونه (رحمة للمحسنين)
الذين يعبدون ربهم كأنهم يرونه فهم (الذين يقيمون الصلوة) حق اقامتها (و) انما تم لهم
ذلك لانهم الذين (يؤتون الزكوة) فيطهرون أنفسهم عن حب المال ثم يسرى

(وقوله جل ذكره لظى) اسم من أسماء جهنم (قوله جل وعز لواحة للبشر) أى مغيرة لهم يقال لاحته الشمس ولوحته اذا غيرته (قوله تعالى اللوامة) ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهى تلوم نفسها يوم القيامة ان كانت عملت خيرا هلا ازدادت منه وان كانت عملت سوأ لم عملته (قوله

الى الطهارة الكاملة (و) لكمال طهارتهم (هم بالآخرة هم يوقنون) ولكمال يقينهم وأعمالهم (أولئك على هدى) عظيم (من ربهم) من المكاشفة والسير فيه وعنه (وهم) لكمال ذلك الهدى فيهم (أولئك هم المفلحون) بالكمالات الممكنة للانسان واذا كان هذا الكتاب مفيدا لهؤلاء هدى ورحمة كانت آياته متصفة بما ذكر (ومن الناس) الذين نسوا الكمالات الانسانية (من يشترى) أى يستبدل بهذا الكتاب المفيد لاهل الكمالات الهدى والرحمة (لهو الحديث) أى ما يلهى من الحديث عن ذلك الكتاب (ليضل) أى ليثبت على الضلال ان قرئ بالفتح وان قرئ بالضم فمعناه ليضل غيره (عن سبيل الله) الموصلة للنفس الى الكمالات التى لها عند الله اذ يبقى الضال أو المضل (بغير علم) بما هو كمالات ومنافعها والنقائص ومضارها (و) اذا علم ذلك السبيل (يتخذها هزوا) أى سخرية من قلة مبالاته بتلك الكمالات وفوائدها ولا بنقائص أضدادها ومضارها (أولئك) المستهينون بما عند الله (لهم عذاب) من حصول تلك النقائص ومضارها وفوات تلك الكمالات ومنافعها (مهين) من استهانتهم بالنقائص ومضارها وبالكمالات ومنافعها كيف (و) ليس استهانتهم من غفلتهم عنها بل مع تلاوة آيات عظام تدل عليها فانه (اذا تتلى عليه آياتنا) الدالة على عظمة ما عندنا (ولى) ظهره عنها (مستكبرا) عليها لا يتأمل فيها حتى يصير (كأن لم يسمعها) لا للغفلة بل لافراط العناد بحيث يصير مانعا من السماع (كأن فى أذنيه وقرا) أى ثقلا فهذه عداوة تامة مع آيات الله بل مع الله (فبشره بعذاب أليم) كما يبشر به عدو الملك اذا ظفر به وتمكن منه ويزيد فى شدة هذا العذاب كونه بدلا من جنات النعيم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) بما يحصل لهم من تلك الكمالات ومنافعها ويندفع عنهم النقائص ومضارها ويزداد تنعمهم لكونهم (خالدين فيها) والخلود وان لم يكن أمرا محصلا فهو فى معنى الثابت لكونه (وعد الله) فلا بد وأن يكون (حقا) اذ الكذب نقص لا يتكلم به الحكيم الا عند العجز عن الصدق اضرر يلحقه (وهو العزيز) وكيف ينسب الكذب الى هذا الوعد مع كونه بمقتضى الحكمة فلا بد أن يفى به (الحكيم) ويدل على عزته أنه (خلق السموات مرفوعة (بغير عمد) اذ لو كانت لكنتم (ترونها و) يدل على حكمته انه (ألقى فى الارض رواسى) جبالا كراهة (أن تميد بكم) أى تتحرك بكم فتتلفكم (وبث) لحفظكم والرفق بكم (فيها من كل دابة وأنزلنا) لحفظكم وحفظ دوابكم وللرفق بكم وبدوابكم (من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج) أى صنف من الاغذية والادوية (كريم) أى كثير المنافع ثم أشار الى أن من كمال عزته ان له الكل اذ لو كان لغيره شئ لتميز عن خلقه فقال (هذا خلق الله) فان كان لغيره خلق (فأرونى ماذا خلق الذين من دونه) فاذا عجزوا عن التمييز لم يكونوا فى نسبة البعض الى الغير هداة (بل الظالمون) بنسبة البعض الى الله والبعض الى الغير من غير تمييز (فى ضلال مبين و) لا يرتفع هذا الضلال بكونه قول القدماء مالم يقل به حكيم لكنه لا يقوله لمنافاته مقتضى الحكمة من الشكر لله فانا (لقد آتينا) من مقام عظيم جود نا رأس الحكماء (لقمان) بن

باعورا

(قوله عز وجل لبلى) (قوله عز وجل لدا) جمع ألد وهو الشديد الخصومة *(باب اللام المضمومة)* اجمع أى أتيت على آخره شهدا يقال لمت الشئ (قوله جل وعز لما) أكلا الاضحى والوتر يوم عرفة لاضحى والشفع يوم زوجل ليال عشر) عشر

باعورا بن ناخور بن آزر أو كان ابن أخت أيوب أو خالته وعاش الى ان أدرك داود عليه السلام فأخذ منه العلم (الحكمة) استكمال النفس بالعلوم النظرية وملكة الافعال الفاضلة بقدر الطاقة البشرية آمرين له على لسان نبي أو بطريق الالهام على قول الجمهور انه حكيم أو الوحي على قول عكرمة انه نبي (أن اشكر لله) على ما أعطاك من نعمه من أوتيها فقد أوتي خيرا كثيرا (و) ليس هذا طلبا للعوض لتنزه المشكور عن الانتفاع بل (من يشكر فانما يشكر) نافعا (لنفسه) باستدامة النعم واستزادتها فشكر الحكيم استزادة من الخير الكثير (و) لو انتفع المشكور به لتضرر بعدمه لكن (من كفر) فلا يتضرر الله بكفره انه لا يفوت ما يفتقر اليه ولا بلحوق الذم (فان الله غنى حميد و) كيف يقول به حكيم وهو يعلم انه ظلم عظيم فاذكر (اذ قال لقمان لابنه) انعم أو شكم أو مشكم أو ماثان والاب انما يعلم الخيرات سيما (وهو يعظه) لا يلاعبه (يا بني) صغره اشعارا بأنه انما وعظ بمقتضى الشفقة العظيمة اللازمة لصغار الاولاد (لا تشرك بالله) باعتقاد الهية الغير أو اتصافه بالصفات الازلية أو استحقاق العبادة ولم يقل شيأ لئلا يتوهم تجويز شرك ما لا يسمى شيأ (ان الشرك) بأي وجه كان (لظلم عظيم) فان اعتقاد الهية ما ليس بواجب الوجود بالذات واتصافه بالصفات الازلية أو استحقاقه للعبادة وضع للادنى موضع الاعلى واعتقاد استحقاقه للعبادة تسوية بين من لم ينعم بشئ وبين المنعم بكل شئ بل هو أيضا وضع للعابد موضع المعبود (و) لكونه ظلما عظيما لا يطاع فيه من جعله الله يتلوه في الشكر الذي فوق الاطاعة فانا (وصينا الانسان) أي أمرناه أمرا مؤكدا (بوالديه) أي باطاعتهما سيما الوالدة لانه (حملته أمه) تحتمل (وهنا على وهن) أي ضعفا فوق ضعف الى الوضع (و) لا تزال بعد ذلك تتعب بالسهر ليلا ونهارا مدة رضاعه الى أوان فطامه اذ (فصاله) أي فطامه (في) آخر (عامين) فأمرناه (أن اشكر لي) نعمة الايجاد وغيرها (ولوالديك) نعمة التربية وليس ذلك من الشرك في الشكر اذ (الي المصير) بشكرهما اذ كان بأمري (و) مع أمرك باطاعتهما وشكرهما على سبيل التأكد (ان جاهداك) أي قاتلاك (على) الزامك (أن تشرك بي) فانه وان لم يظهر لك كونه ظلما عظيما فكفى فيه انه اشراك (ما ليس لك به) أي بشركه (علم) فان الحكم بالجهل سيما في مثل هذه الامور كاف في الظلم فهما وان أمرت باطاعتهما في كل شئ (فلا تطعهما) فيه وان لم يسقط اطاعتهما في سائر الامور (و) لذلك (صاحبهما في) أمور (الدنيا) صحابا (معروفا) يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم (واتبع) في أمور الدين (سبيل من أناب الي) أي رجع الي عن كل ما سواي فأخذ من العلوم والمعارف فغاية ذلك انكم تتعبون في ذلك أياما (ثم) يذهب تعبكم اذ (الي مرجعكم) فان لم تتعبوا في الدنيا فاذا رجعتم الي (فأنبئكم بما كنتم تعملون يا بني) كيف تحمل الظلم العظيم في حق من يجازي على الذرات كلها (انها) أي الخصلة التي يأتي بها الانسان من اساءة أو احسان (ان تك) صغيرة بحيث لو كانت جسما كانت (مثقال) أي وزن (حبة) واحدة (من خردل فتكن في) أخفى مكان وأحرزه كجوف (صخرة أو في) أعلى الاماكن كحدب

منسوب الى اللجة وهو معظم البحر (قوله جل وعز لغوب) أي اعياء (قوله تبارك اسمه لبدا) كثيرا من التلبد كان بعضه على بعض (قوله جل وعز لمزة) عياب

(باب اللام المكسورة)

(قوله جل وعز ليواطئوا عدة ما حرم الله) أي ليوافقوا عدة ما حرم الله يقول اذا حرموا من الشهور عدد الشهور المحرمة لم يبالوا ان يحلوا الحرام

(السموات أو فى) أسفلها كمركز (الارض يأت بها الله) أى يحضرها ليحاسب عليها (ان الله لطيف) ينفذ علمه وقدرته فى كل شئ (خبير) يعلم كنه الاشياء فلا يعسر عليه (يا بنى) اذا كان الله مجازيا على الذرات (أقم الصلوة) الشاغلة جميع أعضائك به ظاهرا وباطنا فهى جامعة لكمالاتك (و) لتكميل الخلق (أمر بالمعروف وانه عن المنكر) هذا فى باب الافعال (و) فى باب الاخلاق (اصبر على ما أصابك) وراء الصبر فى الصلاة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر (ان) جميع (ذلك من عزم الامور) التى لا رخصة فى الاخلال بشئ منها فهذه حقوق الله (و) فى حقوق الخلق (لا تصعر) أى لا تمل (خدك للناس) بتولية صفحة وجهك عنهم تكبرا عليهم (ولا تمش فى الارض مرحا) أى خيلاء فهاتان وان كانتا من حقوق الخلق فالله تعالى يكرههما (ان الله لا يحب كل مختال) ولو بالمشى مرحا فكيف يحب كل (فخور) حتى بتصعير الخد للناس ثم أشار الى تسوية أفعال العادة بقوله (واقصد) أى توسط بين الاسراع والدبيب (فى مشيك واغضض) أى أنقص (من) رفع (صوتك) فانه يقبح بالرفع حتى ينكره الناس انكارهم على صوت الحمير (ان أنكر الاصوات لصوت الحمير) وكيف يرضى الانسان برتبة الحمار وقد جعل فوق المخلوقات كلها (ألم تر أن الله سخر لكم ما فى السموات) من الملائكة والكواكب (وما فى الارض) من المعدن والنبات والحيوان (و) جعلكم جامعين لاسرار ذاته وصفاته وأفعاله وأسرار العالم اذ (أسبغ) أى أكمل (عليكم نعمه ظاهرة) من الحواس الظاهرة ومحالها ومحسوساتها (وباطنة) من الحواس الباطنة ومحسوساتها والعقل والمعقولات والروح والقلب والسر والخفاء وانما فعل ذلك لتعرفوه حق معرفته وتتقربوا اليه وتزدادوا كمالات (و) لكن (من الناس) الذين نسوا مرتبتهم وانعامات الحق عليهم (من) يتنزل الى أدنى من رتبة الحمار اذ (يجادل فى الله) ذاته أو أسمائه أو صفاته أو أفعاله (بغير علم) أى دليل عقلى (ولا هدى) أى دليل كشفى (ولا كتاب منير) للعقل والكشف (و) ليس ذلك لفقدهم الكتاب أو معلمه بل مع وجدانهما بحيث (اذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) فى معارفه وأحكامه فانه أعلم بذلك كله وقد أنزلها فى كتابه المعجز الجامع بين العقل والكشف (قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) فرجحوا تقليدهم على الدلائل العقلية والكشفية وعلى ما هو للبصر بمنزلة نور الشمس من غير اطلاع على حال من يقلدونهم (أ) يتبعونهم (ولو كان الشيطان) الذى هو عدوهم (يدعوهم الى) اعتقادات وأعمال هى أسباب العذاب كأنه يدعوهم الى عين (عذاب السعير) وان زعموا ان الذى يأتيك بالوحى هو الشيطان يدعوك الى عذاب السعير يقال ليس فى دعوته ما يفضى الى العذاب اذ حاصلها الاسلام الوجه لله والاحسان (ومن يسلم وجهه) أى يخلص بوجهه فى العبادة (الى الله و) لا يمنع منه توجهه فى الظاهر الى القبلة اذ (هو محسن) ناظر الى الله لا الى القبلة (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أى الحبل الوثيق الموصل الى الله المانع من السقوط فى النار وهو خلاف دعوة الشيطان (و) لا يمنع منه عدم التفاته الى الشركاء لانهم لو كانوا مؤثرين فانما يؤثرون بالله اذ (الى الله عاقبة الامور)

فلا

(قوله ويحرموا الحلال (قوله جل وعز لواذا) مصدر لاوذته ملاوذة ولواذا أى يلوذ بعضهم ببعض أى يستتر به ٣ (قوله جل وعز لسان صدق) يعنى ثناء حسنا (قوله جل ذكره لينة) أى نخلة وجمعها الين

٣ كتب بهامش أصل الهامش فى نسخة زيادة (لزاما) أى فيصلا وهو من الاضداد قال
لازلت محتملا على ضغينة
حتى الممات تكون منك لزاما

فلا يمكنهم من التأثير فمن أسلم وجهه اليه وهو محسن (ومن كفر) فزعم ان لا رجوع الى الله
وانه مستقل بالتأثير فله أن يمنع من التمسك بالعروة الوثقى لمن تمسك بدونه (فلا يحزنك كفره)
اذ لم يكن عن شبهة فضلا عن حجة فكفره بالرجوع لا يمنع من الرجوع بل (الينا مرجعهم)
وكيف لا نرجعهم الينا وقد كفروا بنا وقصدوا اضلال عبيدنا عنا وفعلوا معاصى فيما بيننا
وبينهم وفيما بينهم وبين اخوانهم (فننبئهم بما عملوا) من الاعمال الظاهرة والباطنة (ان
الله عليم بذات الصدور) وليس تمتيعنا اياهم من جهلنا بحالهم بل لعدم التفاتنا اليها
اذ (نمتعهم قليلا) بمقتضى عموم رحمتنا (ثم) لما زادهم طغيانا وكفرا يصير عليهم مكرا لذلك
(نضطرهم) ابطالا لدعوتهم الاستقلال (الى عذاب غليظ) لا تحتمله قوتهم (و) كيف
لا نضطرهم الى عذاب غليظ على دعواهم مقاومة خالق السموات والارض بعد اعترافهم
بعجزهم عن خلقهما فانك (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) اذ لا يمكنهم
القول باستقلال الغير ولا مشاركته في خلقهما (قل الحمد لله) على اعترافكم بعجز ما سواه
عن مقاومته فهذا يستلزم الاعتراف بالتوحيد ولكن لا يلزمه (بل أكثرهم لا يعلمون) لزومه
وان زعموا ان الشركاء انما يقاومونه فيما هو ملكه واما ما عدا ملكه فهم يقاومونه يقال (لله)
لا لغيره (ما في السموات والارض) لانه كما هو خالقهما خالق ما فيهما ولا يتصور الانتقال عن
ملكه لانه اما بالبيع وهو بالحاجة ولكن لا حاجة لله (ان الله هو الغنى) أو بالهبة
الناقلة وهي انما تكون لطلب الحمد لكنه (الحميد) بدون الهبة الناقلة للملك بل يكفي له
تسخيره للعبد وتسليطه عليه وبذلك يسمى وهابا (و) ان زعموا انه وان لم يحتج الى نقل الملك
فهو يحتاج في ايجاد الاشياء الكثيرة الى الشركاء لانه وان أوجدها بكلماته فكلماته محصورة
والاشياء لا تنحصر يقال ان كلماته أيضا لا تنحصر بحيث (لو) فرض (أن ما في الارض من
شجرة أقلام والبحر) مداد (يمده من بعده) أي يشبعه من بعد نفاد مائه المفروض مدادا
(سبعة أبحر) واحد بعد واحد فيكتب بها كلمات الله حتى نفدت وانكسرت الاقلام
(ما نفدت كلمات الله) التي بها أوجد الاشياء اذ لو نفدت لبطلت غلبته على بعض الاشياء
وصارت للغير لكنها لا تبطل (ان الله عزيز) فكيف يبطل عزته وهو (حكيم) والحكيم
لا يرضى ببطلان عزته ولو فرض ان كلمة الله واحدة فلا حاجة الى الغير أيضا لانه (ما خلقكم
ولا بعثكم) بالنسبة الى كلمته الواحدة (الا كنفس واحدة) أوجدها بالكلمة الواحدة
فكذا لو جد الكل بها وان تأخر وجودها الى أوقات وجودها وتخصصت بأوصاف مخصوصة
بحسب ما سمع من دعاء حقائقها وأبصر من استعداداتها (ان الله سميع بصير) والايجاد
في الازل لما تأخر وجوده ليس بابعد من ادخال الابد في الازل وبالعكس وقد وجد نظيره
(ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل و) قد وجد أيضا ما يشبه تكوينه
في الازل ويتأخر وجوده الى ما يشبه الابد فانه (سخر الشمس والقمر) يوم خلق السموات
واستمر تسخيرهما الى يوم القيامة اذ (كل يجري الى أجل مسمى و) لا يبعد أن يقول في الازل

وهو ألوان النخل ما لم تكن
العجوة والبرني (قوله جل
لبدا) أي جماعات
واحدها لبدة ومعنى لبدا
أي يركب بعضهم بعضا
ومن هذا اشتقاق اللبود
التي تفرش (قوله جل وعز
كادوا يكونون عليه لبدا)
أي كادوا يركبون النبي
صلى الله عليه وسلم رغبة
في القرآن وشهوة لاستماعه

الشئ كن فى وقت كذا ثم يوجد بذلك الايجاد فى ذلك الوقت وغايته انه يتوقف على العلم بالشئ وبوقته وقد علمت (أن الله) عليم بكل شئ حتى الجزئيات الزمانية المنسوبة الى الخلق فانه (بما تعملون خبير ذلك) أى علم الحق بالجزئيات الزمانية من غير تغير فى علمه (بأن الله هو الحق) فيكون علمه حقا بان الشئ الفلانى موجود فى الوقت الفلانى وان ذلك الوقت موجود قبل الوقت الفلانى و بعد الوقت الفلانى فلا يختلف باختلاف الازمنة (و) انما يختلف فى حق الغير لتغيره بحسب الازمنة من بطلانه فى نفسه حتى (أن ما يدعون من دونه الباطل و) كيف يكون زمانيا مع (أن الله هو العلى) فلا يكون فوقه ما يحيط به بل لا يحاط بجانب من جوانبه لو فرضت له جوانب لانه (الكبير) ثم غاية أمر الزمان انه يشتمل على فيوض الحق يوصلها الى أهلها فى كل وقت مثل النعم التى يشتمل عليها الفلك (ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر) الذى يناسب بحر الجود الالهى (بنعمة الله) المناسبة لفيضه الازلى (ليريكم من آياته ان فى ذلك لآيات) تدل على ان الدنيا كمبدا السفر وان الآخرة كمنتهاه وان الناس على سفن الاعمال وانها الامتعة وان أفعال الله يترتب بعضها على بعض (لكل صبار) ينتظر لكل فيض وقته (شكور) بان كل فيض ممكن فى كل وقت قد حصل بكماله فيه (و) من آيات الفلك الدالة على التوحيد انه (اذا غشيهم) أى غطاهم (موج كالظلل) أى الجبال او السحاب (دعوا الله مخلصين له الدين) لعلمهم انه لا قدرة للغير على الانجاء من الغرق (فلما نجاهم) من الغرق وأوصلهم (الى البر فمنهم مقتصد) أى آخذ بالصراط المستقيم لانزجاره (وما يجحد بآياتنا) التى من جملتها الانجاء من الغرق بدعوة الله على اخلاص التوحيد (الا كل ختار) ناقض للعهد (كفور) بكل نعمة حتى نعمة النجاة (يا أيها الناس) الذين نسوا العهود والنعم والآيات (اتقوا ربكم) الذى نجاكم مما خوفكم من غشيان الموج فى البحر (واخشوا يوما) أشد من يوم غشيان الموج لانه (لا يجزى) فيه (والد عن ولده) مع افراط شفقته عليه شيأ بتحمل شئ من معاصيه او اعطاء شئ من طاعاته (ولا مولود هو جاز) فيه (عن والده شيأ) وان وجب عليه شكره وهذا اليوم وان لم يكن معهودا فلا يمنع الخوف منه لانه موعود من الله (ان وعد الله حق) لكن يمنع من النظر فيه الاشتغال بالحياة الدنيا أو شبهات الشيطان الملقى لها فى الله وما يتعلق به (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) أى الشيطان ومن غروره انه يلقى الشبهة فى القيامة بانها مجهولة الوقت فلو وجدت لعلم وقتها فيقال يكفى فى وجودها علم موجدها (ان الله عنده علم الساعة و) له نظير اذ (ينزل الغيث) فى وقته بعلمه من غير أن يعلم بوقته (و) كيف يشترط العلم بوقت الشئ مع ان غايته انه من صفات الشئ وكثيرا ما لا يعلم صفات الشئ مع العلم بتحققه فلا يعلمها الا من أوجدها لذلك (يعلم ما فى الارحام) فكيف يعلم الساعة وهو من الافعال المستقبلة لله (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) وان وجب ان يعلم الفاعل ما يفعله اختيارا فيكفى فيه سبقه بزمان لطيف (و) قد لا تعرف النفس حال صفاته كالمزاج متى يتغير فلا تعرف متى تموت بل (ما تدرى نفس بأى أرض تموت) وكل ذلك

(باب الميم المفتوحة) (المغضوب عليهم) اليهود (قوله ولا الضالين) النصارى (قوله جل وعز مرض) أى فى قلوبهم شك ونفاق ويقال اصل المرض الفتور ويقال المرض فى القلب الفتور عن الحق والمرض فى الابدان فتور الاعضاء والمرض فى العين فتور النظر (قوله جل وعز الْمَنّ)

لان المخلوق لايجب أن يحيط علما بالاشياء فهو وانما يجب ذلك فى حق الله تعالى (ان الله عليم) بظواهر الاشياء (خبير) ببواطنها * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين وسلم تسليما كثيرا

(سورة السجدة)

سميت بها لان آية السجدة منها تدل على ان آيات القرآن من العظمة بحيث تخر وجوه الكمل بسماع مواعظها وتنزه منزلها عن أن يعارض فى كلامه وبشكره على كمال هدايته وهذا أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بربوبيته الكلية فى كتابه (الرحمن) بتنزيله (الرحيم) بازالة الريب منه (الم) أى افاضة لطف محيط او اضاءة لامع مقيم أو انعام لب مكين أو اعظام لوائح المنن (تنزيل الكتاب) الذى هو اللطف واللامع واللب والجامع للوائح وانما اتصف بها لانه (لاريب فيه) فلا يمازج لطفه خذلان ولا لامعه ظلمة ولا لبه قشر ولا لوائحه خفاء وانما كان محيطا مقيما مكينا جامعا للمنن لكونه (من رب العالمين) المحيط ربوبيته بالكل المقيم ربوبيته من الازل الى الابد المتمكن من التصرف فى الكل اللائح نور أسمائه فى الكل وحمل التنزيل على الافاضة ظاهر واما على الاضاءة فلان الكتاب انما اضاء القلوب حين نزل من عالم الغيب الى عالم الشهادة وبه صار انعاما للكل ولوائح المنن وان كانت قبله فانما عظمت بانزاله أيترددون فى كونه منه (أم يقولون افتراه) لاوجه لذلك مع اتصافه بما ذكر (بل هو الحق) الثابت كونه منه بحيث لايتزلزل بشبهة لانه لما كملت فيه تلك الصفات علم كونه (من ربك) الذى هو أكمل الاسماء الالهية أنزله على أكمل مظاهره لحقه التكميل وهو فى حق المكلفين بالانذار عن النقائص فكان انزاله عليك (لتنذر قوما) عن نقائص لايعرفونها لانهم (ما أتاهم من نذير من قبلك) اذ لم يحتج اليه لغاية كمالك فانه يرجى منك وحدك التأثير بالتكميل (لعلهم) يكملون اذ (يهتدون) وكيف يترك تكميل الانسان القابل لجميع الكمالات ولم يترك تكميل سائر الموجودات اذ (الله) بمقتضى أسمائه هو (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام) على عدد الاصناف الكلية الملك والفلك والكواكب والمعدن والنبات والحيوان (ثم استوى) باسمه الرحمن (على العرش) ليرحم الموجودات بتكميلها بما يفيض منه وكان خلقها فى مدة قريبة وتكميلها فى مدة مديدة وأكمل ما أفاض منه هذا الكتاب ليرحم به أكمل الموجودات وهو الانسان وانما به كمالكم (ما لكم من دونه من ولى) لو واليتم من دونه نزلتم عن رتبتكم نزولا لايمكن التدارك بعده اذ (لا) يكون لكم حينئذ من (شفيع) يفيدكم من النور ما يجعلكم فى مرتبة الانسان (أ) نسيتم رتبتكم نسيانا كليا (فلا تتذكرون) وانما احتاجت الاشياء النازلة منه الى الاستكمال لانه (يدبر الامر) أى أمر الموجودات بتنزيلها (من السماء الى الارض) لاظهار نقائصها فى ذاتها (ثم يعرج) بالذى تم فيه التدبير (اليه) بظهور كمالاته فيه (فى يوم كان مقداره ألف سنة) لانه لايزال يعرج من كمال الى آخر حتى ينتهى فى هذه المدة الى غايته

هو شئ حلو كان يسقط فى السحر على شجرهم فيجتنونه ويأكلونه ويقال المن الترنجبين (قوله تعالى المسكنة) مصدر المسكين وقيل المسكنة فقر النفس لايوجد يهودى موسر ولا فقير غنى النفس وان تعمل لازالة ذلك عنه (قوله جل وعز متاع الى حين) أى سعة الى أجل

اسرعة ذهابه اليه اذ اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وأما التي لم يتم فيها التدبير
فنها ما يكون عروجه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وللاحتراز عن سني هذا اليوم قال
(مما تعدون) ثم هذا الانزال والعروج يتم أمر الغيب والشهادة فلا يتركه الله اذ (ذلك عالم
الغيب والشهادة) على ان عزته تقتضي التنزيل ورحمته العروج وهو (العزيز الرحيم)
ثم ان عزته قد تقتضي الاعزاز لذلك هو (الذي أحسن كل شئ خلقه و) رحمته قد تقتضي
اعزاز الاشياء الذليلة لذلك (بدأ خلق الانسان) آدم (من طين ثم) لم يزل هذا الاعزاز بعد
الاذلال في نسله اذ (جعل نسله من سلالة) أي مما ينسل وينفصل منه فيكون فصله وهو من
الذلة على انه (من ماء مهين ثم) ابتدأ عزته اذ (سواه) أي عدل مزاجه فصوره صورة انسان
(و) كمل اعزازه اذ (نفخ فيه من روحه) الانسب له في التجرد (و) زاد تكميله اذ (جعل
لكم السمع) أفرده لان المسموع شئ واحد هو الصوت (والابصار) المدركة للمحسوسات
(والافئدة) المدركة للمعقولات فهذا التكميل بعد النقص اعزاز بعد الاذلال يقتضي
الرحمة الموجبة للشكر لكن (قليلا) من الشكر (ما تشكرون وقالوا) عدل الى الغيبة
لعدم بقاء أهلية خطاب الحق عند اختيار البهيمية اذ كان بعد رؤية هذا التكميل للطين والماء
المهين (ءاذا ضللنا في الارض) فالتبس اجزاؤنا باجزائها بعد ما صرنا ترابا (أءنا لفي خلق جديد)
فاي حاجة لنا الى الشكر من لا رجوع لنا اليه فليس هذا كفرا بالحشر الجسماني وحده (بل هم
بلقاء ربهم) بالطريق الروحاني أيضا (كافرون قل) لا وجه لانكار اللقاء الروحاني اذ (يتوفاكم
ملك الموت الذي وكل بكم) ليقبض أرواحكم فيرجع بها الى ربكم ففي كل حال انتم تموتون
(ثم الى ربكم ترجعون) فلو تركتم شكره وأنكرتم لقاءه نكستم رؤسكم عنده (ولو ترى)
أيها الرائي المجرمين (اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم) لشق عليك أمرهم فكيف
عليهم لذلك يقولون (ربنا أبصرنا) لقاءك وجزاءك (وسمعنا) تصديقك الرسل وتوبيخك
على الكفر وترك الشكر فقد حصل لنا الايمان ولكن بقي علينا الشكر لكن ليس هذا
مكانه (فارجعنا) الى مكانه (نعمل صالحا) بصرف نعمك الى ما خلقت له ليكون شكرا ولا
يذهب بذلك الرجوع ايماننا (انا موقنون) مستمرون عليه فيقال لا عمل بعد هذا ولا عبرة
بالايمان بعد رؤيته (ولو شئنا) ردكم الى مكان العمل أو قبول الايمان بعد ما لم نقسمكم الى
مؤمن صالح وكافر طالح بل (لآتينا) من أول الامر (كل نفس هداها) ايمانها وأعمالها
(ولكن) لم نؤته أكثر النفوس لانه (حق) أي ثبت (القول مني) بمقتضى جلالي من اظهار
القهر الدال على غاية عظمتي (لأملأن جهنم من الجنة والناس) المضلين والضالين (أجمعين)
أي مجتمعين ليزداد كل عذابا بعذاب صاحبه أو رؤيته أو مشاتمته او معانقته وليس ذلك مني
ابتداء بل من نسيانكم (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم) الذي يظهر فيه معاني أعمالكم
(هذا) الكاشف عن السرائر ولا نجيب دعوتكم (انا نسيناكم) أي تركناكم ترك المنسي
جزاء على نسيانكم (و) لا يقتصر على عذاب اليوم المنسي بل (ذوقوا عذاب الخلد بما كنتم

(قوله عزوجل مثوبة) اي ثواب (قوله تعالى مثابة للناس) أي مرجعا لهم يثوبون اليه أي يرجعون في حجهم وعمرتهم كل عام ويقال ثاب جسم فلان اذا رجع بعد النحول (قوله تعالى مناسكنا) متعبداتنا واحدها منسك ومنسك وأصل المنسك من الذبح

تعملون

تعملون) من المعاصي الفرعية التي استجمعتموها فصارت كفرا مع الكفر المستأصل وكيف لاتخلدون مع انكم لوأخرجتم لكان غاية هذا انه آية وأنتم لاتؤمنون بآياتنا الاستكباركم سيما اذذكرتم بها (انما يؤمن بآياتنا الذين اذاذكروا) وعظوا (بها خروا) أي سقطوا (سجدا) ملصقين وجوههم بالارض تذللا لربهم (و) لا لآياته اذ (سبحوا) أي نزهوا ربهم من ان يعارض فيها فدل ذلك على تنزهه عن الكذب فيما ذكر فيها (بحمد ربهم) على تذكرهم بها وكيف يستكبرون على الله وآياته (وهم لايستكبرون) على شئ وكيف يستكبرون مع اصرارهم على التذلل اذ (تتجافى) اى تتباعد (جنوبهم) المتلذذة بالفرش والنسوان (عن المضاجع) لاخلالها بتذللهم الذى يصرون عليه اذ (يدعون) أى يعبدون (ربهم) وهو تذلل وقد تأكد من وقوعه (خوفا وطمعا) اذهما مذللان (و) لكراهتهم اللذات المنافية لتذللهم (مما رزقناهم ينفقون) قطعا للمادة الشهوات وخروجا عن محبة ماسوى الله واذ آثروا جناب الحق لم يفتهم شئ من اللذات بل زادت لذاتهم على لذات الشهوات (فلا تعلم نفس) من أهل الشهوات ولا من أهل المكاشفات (ما أخفى لهم من قرة أعين) من رؤية وجهه ووجوه انعامه واحسانه (جزاء بما كانوا يعملون) من هذا التذلل المؤثر على الشهوات كلها وكفى بفوات ذلك عذابا للكفار لوأخرجوا من النار لكن لايفعل ذلك لمخالفة الحكمة (أ) يخرجهم من النار ويجعل عذاب فوات ماذكر مع أنه يفوت عوام المؤمنين (فمن كان مؤمنا) لم يؤثر جناب الحق على كل ماسواه وان عمل الصالحات (كمن كان) كافرا أخرج من النار اخراج من كان (فاسقا) مع ان الحكمة تقتضى التفرقة بينهما كما تقتضى التفرقة بين المؤمن الصالح والمؤمن الفاسق فكيف لاتقتضى التفرقة بين المؤمن الصالح والفاسق المطلق فى كل حال (لايستون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لكن لم يبلغوا مبلغ أهل الكمالات (فلهم جنات المأوى) التى يأوى اليها عامة المؤمنين لكونها (نزلا) لهم (بما كانوا يعملون) من المساعى الظاهرة دون الاحوال والمقامات (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار) لكونها نزلا لهم فان كانوا فاسقين على الاطلاق فلا خروج لهم بل (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم) كيف تخرجون خروج الفاسق المؤمن بل (ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) على الابد فوق ماذاق الفاسق المؤمن مدة معدودة (و) كيف تخلصون بعد العذاب الاخروى وهو أكبر مطلقا ولا تخلصون بعد العذاب الاكبر الدنيوى ولكنهم لما لم يؤمنوا بدون رؤية العذاب (لنذيقنهم) فى الدنيا شيأ (من العذاب الادنى) كالقتل والاسر والقحط سنين (دون العذاب الاكبر) أى مجاوزين عنه اذ لا يقبل الرجوع بعده وقد طلبنا منهم الرجوع (لعلهم يرجعون و) ان لم يبالوا بهذا العذاب الادنى لان غايته انه آية مذكرة لعذاب الآخرة قيل لهم (من أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) فهو يستحق العذاب الاكبر الذى لا تخلص بعده (انا من المجرمين) وان لم يبلغوا حد الأظلم (منتقمون) بالعذاب الاكبر فكيف نترك انتقام الاظلم (و) كيف نترك هذا الانتقام مع انا (لقد آتينا موسى

يقال نسكت أى ذبحت والنسيكة الذبيحة المتقرب بها الى الله عزوجل ثم اتسعوا فيه حتى جعلوه لموضع العبادة والطاعة ومنه قيل للعابد ناسك (قوله تعالى المشعر الحرام) معلم المتعبد من متعبداتهم وجمعه مشاعر والمشعر الحرام هى مزدلفة وهى

الكتاب) متضمنا لهذا الانتقام ثم صدقناه بهذا الكتاب المعجز (فلا تكن في مرية من لقائه) أي لقاء هذا الانتقام وكيف يكذب ما في ذلك الكتاب (و) قد (جعلناه هدى لبني اسرائيل) الذين هم خواص عباد الله (و) الذين هديناهم به هم أخص اذ (جعلنا منهم أئمة يهدون) الخلائق يعرفونهم (بأمرنا) أي بشأن ذاتنا وصفاتنا وأفعالنا وأحكامنا ويدل على اختصاصهم بذلك انهم انما نالوا تلك الرتبة (لما صبروا) على استخراج دقائقه والعمل به (و) انما تيسر لهم ذلك لانهم (كانوا بآياتنا يوقنون) ولكن ليس جميعهم موقنين حتى الذين يختلفون فيه فان لم تفصل بينهم (ان ربك هو يفصل بينهم) سيما (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أ) ينكرون ذلك الفصل في اليوم الموضوع له (ولم يهد لهم) نظيره الدنيوي وهو أنا (كم) أي كثيرا (أهلكنا من قبلهم) فصار لهم مقيسا عليه لا من الآحاد بل (من القرون) لا في الطريق ولا في البحر بل حين الغفلة الكلية حين (يمشون في مساكنهم) فلا يبعد عليه المؤاخذة الاخروية بالغفلة (ان في ذلك لآيات) على صدق الرسل والغضب الالهي عليهم والانتقام الاخروي (أ) ينكرون وقوعه لعدم رؤيتهم اياه (فلا يسمعون) ما تواتر من أخبارهم (أ) ينكرون الهلاك الاخروي لانكارهم البعث اذ لا قابل للروح فيهم بعد يبسهم (ولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز) أي المقطوع نباتها فلا يبعد علينا ترطيب أبدانهم بسوق الماء المنزل من العرش عليها (فنخرج به) أبدانهم من القبور كما نخرج بالماء (زرعا) كيف وغاية ما في اخراج الزرع انه (تأكل منه أنعامهم وأنفسهم) والحكمة في اخراج البدن اقامة العدل والظهور بالجلال والجمال على نهج أكمل (أ) ينكرون هذه الحكمة (فلا يبصرون و يقولون متى هذا الفتح) أي فتح الارض عن نبات أبدانهم بنو النار (ان كنتم صادقين) فانكم لو اطلعتم على وقوعه بالغيب لعلمتم وقت وقوعه أيضا (قل) من الغيب ما يخفيه الله على أهل الكشف وربما يمنعهم من افشائه الى العامة وأنتم لو علمتم وقته أخرتم الايمان اليه او الى ظهور علاماته لكن (يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا) قبله (ايمانهم) فيه (ولا هم ينظرون) للايمان عند ظهور علاماته واذا وقفوا ايمانهم على مجيء ذلك الوقت بعد هذا البيان (فأعرض عنهم وانتظر) مجيئه (انهم منتظرون) مجيئه وان أتاهم من الدلائل ما لا يحصى * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين

(سورة الاحزاب)

سميت بها لان قصتها معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة لنصره بالريح والملائكة بحيث كفى الله المؤمنين القتال وقد ميز بهم بين المؤمنين والمنافقين وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلي بجمعيته في نبيه (الرحمن) بالامر بالتقوى والنهي عن مطاوعة الاعداء (الرحيم) بتخصيصه بالوحي (يا أيها النبي) ناداه ليقبل الى فهم ما خوطب به والعزم على تحقيقه وعبر عنه بالمبهم تعظيما لشأنه ثم فسره بما يشعر بالتعظيم ليوهم الجمع بين المتنافيين

جمع تسمى بجمع ومن دانة (قوله عز وجل ميسر) هو القمار (قوله تعالى محله) أي منحره بمنى او الموضع الذي يحل نحره فيه (قوله تعالى المحيض) والحيض واحد (قوله للملامن بني اسرائيل) يعني اشرافهم ووجوههم ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم

مع استقرار تعظيمه فى النفوس أى من يأتى بالحقائق فارتفع شأنه (اتق الله) أى اجمل الله وقاية عظمتك ومقتضى ما ثبت (و) انما يتم تقواك بترك محبة أعدائه فضلا عن اطاعتهم (لاتطع الكافرين والمنافقين) وان خفت عداوتهم وكيف لايتقى من أحاط علما بالاشياء وبراعى مقتضى حقائقها (ان الله كان عليما حكيما) ومقتضى حقيقة المحب عداوة عدو المحبوب ومقتضى حقيقة المحبوب ابتلاء المحب بما يميز صدقه عن كذبه روى انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود فتابعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويتجاوز عن قبحهم فنزلت (و) لكونه عليما حكيما (اتبع) حتى فى تقواه وعداوة أعدائه لئلا تقع فى الافراط والتفريط (مايوحى اليك) سيما وهو (من ربك) الذى رباك باوامره ونواهيه بحسب تأثير الاعمال بالخير والشر (ان الله كان بما تعملون خبيرا) مطلعا على بواطن تأثيره (و) لاتترك متابعة الوحى مخافة أحد بل (توكل على الله و) اكتف به اذ (كفى) لمن توكل عليه (بالله وكيلا) يدفع عنه مايخافه وكيف تترك متابعة الوحى لقول الكفار مع انهم ربما يتفقون على صريح المحال كالشرك ومن ذلك قولهم ان اللبيب الاريب له قلبان وادعى ذلك لنفسه أبو معمر او جميل بن أسد الفهرى فانهزم يوم بدر واحدى نعليه فى يده والاخرى فى رجله فكلمه أبو سفيان فى ذلك فقال ماظننت الا انهما فى رجلى فيكذبهم الله تعالى بقوله (ماجعل الله لرجل) وان بلغ مابلغ من الكمالات (من قلبين) تتصرفان (فى جوفه) وان جعل فى ظاهره عينين واذنين ويدين ورجلين اذ لو تعدد الزم تعدد ماهو الاصل فى الانسان فان اتفقا كان احدهما زائدا فلا يفتقر اليه والاصل لابد ان يفتقر اليه فيكون مفتقرا اليه وغير مفتقر اليه معا وان اختلفا لزم ان يكون باحدهما عالما بالشئ ومريدا الشئ وجاهلا بذلك الشئ وكارها لذلك الشئ وكجعلكم الزوجة فى الظهار أما قال تعالى (وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن) أى تقولون لاحداهن أنت على كظهر أمى والاصل البطن الا انهم لم يذكروه لمقاربة الفرج وكانوا يكرهون اتيان المرأة من قبل الظهر لزعمهم انه يوجب كون الولد أحول فشبه بالظهر ثم أضيف الى الام تغليظا (أمهاتكم) لاحقيقة لاستحالة كون المرأة الواحدة والدة غير والدة لشخص واحد ولا مجازا لان الام مخدومة يخفض لها جناح الذل من الرحمة والزوجة مستخدمة كالمملوكة يتصرف فيها بالفراش وغيره فتكون مخدومة شخص غير مخدومة منه معا وكجعلهم الداعى وهو المتبنى ابنا فقال تعالى (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) حقيقة لاستحالة أن يكون الواحد مخلوقا من نطفة شخص غير مخلوق منها واما المجاز فهو كونه محل الشفقة والرحمة فلا يلحقه أحكام المعنى الحقيقى من تحريم تزوج امرأته أو ابنته أو توريثه وكيف يلحق أحكام المعانى الحقيقية بالمجازية مع ان (ذلكم قولكم) لا عن الواقع فى القلب من صورة ذلك المعنى الحقيقى الذى فى الواقع بل (بأفواهكم و) الحكم انما يتعلق بالشئ باعتبار ماله فى الواقع اذ (الله يقول الحق) وكيف يوقع الالتباس بين المعانى الحقيقية والمجازية (وهو يهدى السبيل) وللاحتراز عن ترتب احكام البنوة من التوريث وغيره (ادعوهم) منسوبين (لآبائهم هو

وسلم أولئك الا من قريش واشتقاقه من ملأت الشئ وفلان ملئ اذا كان مكثرا فمعنى الملا الذين يملؤن العين والقلب وما أشبه هذا (قوله جل وعز المس) الجنون يقال رجل ممسوس أى مجنون (قوله جل وعز موعظة) أى تخويف سوء العاقبة (قوله جل وعز مولانا) أى ولينا والمولى على ثمانية

اقسط) اذلاظلم فيه بجعل شئ من نصيب واحد لآخر فهو مرضى (عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم) أى أولياؤكم فيه فقولوا لهم يا أخى و يا مولاى فانه اظهر وهذا التأويل فيه لايمكنهم أخذ الارث بالاخوة أو الولاء ولا تنسبوهم الى من تبنوهم فانه لخفاء هذا التأويل فيه قديفضى الى اللبس فربما يشتهر هذا فيدعى الارث (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) بنسيان أو سبق لسان وان افضى الى الدعوة الفاسدة فذلك نادر (ولكن) محل المؤاخذة (ما تعمدت قلوبكم) فامرت الالسن بالنطق به (وكان الله غفورا) لما لم ينطق به لكونه (رحيما) ومن المجاز ما يلحقه حكم الحقيقة لوجود ما يقتضيه فيها فى المجاز كابوة النبى صلى الله عليه وسلم تقتضى حكم الابوة الحقيقية فى الحرمة اذ (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) اذ أنفسهم تأمرهم بكل شر وفساد وتنهاهم عن كل خير وصلاح والنبى صلى الله عليه وسلم ينهاهم عن كل شر و يأمرهم بكل خير كالاب للطفل فيلحقه حكم الاب فى الحرمة (و) لذلك (ازواجه أمهاتهم) اذ امرأة الاب انما حرمت لحرمته والنبى صلى الله عليه وسلم اتم فيها ولكن ليس له حكم الاب فى التوارث اذ ليس باعتبار الحرمة بل باعتبار القرابة (و) لذلك (أولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) أى بأخذ ميراثه (فى) حكم (كتاب الله) بخلاف ميراث الداعى (من المؤمنين) الوارثين بحق الدين (و) من (المهاجرين) الوارثين بحق الهجرة وانما يرثون عند عدم ذوى الارحام وهذا فى كل وقت (الا) وقت (ان تفعلوا الى أوليائكم) من المؤمنين (معروفا) وهو التوصية التى لا تزيد على الثلث أو يجيز الورثة فانه وان خالف ما ذكر من الحكم (كان ذلك) أيضا (فى الكتاب مسطورا و) اذكر ان أنكر كون النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم (اذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) ان يأمروا اممهم بكل خير و ينهوهم عن كل شر بمقتضى الشريعة العامة (ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) بمقتضى شرائعهم الخاصة (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) أى مؤكدا ليؤكدوا على الامم أوامرهم ونواهيهم ولم يكن هذا الميثاق والتغليظ بلا عاقبة بل (ليسأل الصادقين) من الانبياء والمؤمنين (عن صدقهم) أى صدق تبليغهم واعتقادهم واعمالهم فيجازيهم بحسب ما يظهر منهم (وأعد للكافرين عذابا أليما) فمنهم من يدخله النار بلا سؤال اذ لم يكن له شبهة ومنهم من يسأل لمكان الشبهة لكنها لما كانت فى مقابلة الحجة القاطعة لم تكن مانعة من التعذيب (يا أيها الذين آمنوا) بامور الآخرة كرفع درجات الصادقين بعد انجائهم من الاهوال واهلاك الكافرين (اذكروا نعمة الله عليكم) المشابهة نعمة الآخرة المرتبة على الصدق فى وفاء الميثاق (اذ جاءتكم جنود) هى احزاب قريش وغطفان وقريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر ألفا (فأرسلنا عليهم ريحا) تقلع أوتادهم وتقطع خيامهم وتطفئ نيرانهم وتلقى قدورهم وتجيل خيولهم وكانت ريح الصبا باردة فى ليلة شاتية (وجنودا) من الملائكة (لم تروها) وانما رآها الاعداء حين كبروا وكبروا فى جوانب عسكرهم حتى قال سادتهم النجاء النجاء فقد بدا محمد بالسحر فانهزموا من غير قتال (وكان الله بما تعملون) من حفر الخندق وسائر أسباب الحرب (بصيرا) فعلم أنه لا كفاية فيه

أوجه المعتق والمعتق والولى والاولى بالشئ وابن العم والصهر والجار والحليف [٣] (قوله عزوجل مفازة) أى منجاة مفعلة من الفوز يقال فاز فلان أى نجا والفوز الظفر وقوله تعالى ان للمتقين مفازا أى ظفرا بما يريدون يقال فاز فلان بالامر اذا ظفر به (قوله تعالى مثنى وثلاث ورباع) ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا

[٣] وجد بهامش الاصل قال أبو محمد المولى الصاحب ومنه قول النابغة الذبيانى قالت له النفس انى لا أرى طمعا وان مولاك لم يسلم ولم يصد اه أى صاحبك ووجد أيضا بالهامش (مآب) مرجع

(اذ جاؤكم من فوقكم) من أعلى الوادى من قبل المشرق وهم غطفان (ومن اسفل منكم) من قبل المغرب وهم قريش وليس معكم ما يكفى الجانبين (و) التحصن بالخندق لا يفيد (اذ زاغت الابصار) أى مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا (وبلغت القلوب الحناجر) منتهى الحلقوم لان بالفزع تنتفخ الرئة فترتفع وبارتفاعها ترتفع القلوب (وتظنون بالله الظنونا) أى أنواعا من الظنون فمنكم من يظن ان الله ينجز وعده فى اعلاء دينه ومنهم من يخاف الامتحان فيخاف الزلل وضعف الاحتمال اذ (هنالك ابتلى) اى اختبر (المؤمنون) ليتميز الثابت من المتزلزل والمؤمن من المنافق (وزلزلوا) من الفزع (زلزالا شديدا و) ازداد زلزالهم (اذ يقول المنافقون) معتب بن قشير (والذين فى قلوبهم مرض) أى ضعف اعتقاد (ما وعدنا) محمد فارس والروم وزعم انه وعدنا (الله ورسوله الا) وعدا اغترنا به (غرورا) اذ لا يقدر أحد ان يتبرز لهؤلاء فرقا (و) ازداد فوق ازدياد (اذ قالت طائفة منهم) أوس بن قيظى واتباعه (يا أهل يثرب) أى يا أهل المدينة (لا مقام لكم) للقتال (فارجعوا) الى بيوتكم (ويستأذن) للرجوع (فريق منهم) بنو حارثة وبنو سلمة (النبى) الذى ينبئهم بانه ابتلاء وعاقبته النصر (يقولون ان بيوتنا عورة) غير حصينة (و) كذبوا اذ كانت حصينة (ما هى بعورة ان يريدون) أى ما يريدون بهذا العذر الكاذب (الا فرارا) عن القتال لا التقوى بالبيوت (ولو دخلت) أى جعلت بيوتهم محصنة (عليهم) فى مكان القتال (من اقطارها) أى جوانبها فأمنوا العدو من كل جانب (ثم سئلوا الفتنة) أى الردة وقتال المسلمين (لآتوها) أى لاعطوها من طيب قلوبهم (وما تلبثوا بها) أى ما توقفوا باعطائهم (الا يسيرا) مقدار السؤال والجواب (و) يدل على اتيانهم الفتنة بلا تلبث نقضهم العهد فانهم (لقد كانوا) أى بنو حارثة وبنو سلمة (عاهدوا الله من قبل) حين هموا ان يفشلوا يوم أحد فانزل الله فيهم ما أنزل (لا يولون) من بعده (الادبار وكان عهد الله مسؤلا) ليجازى عليه فكفى بنقضه ضررا فان زعموا انه يحتمل هذا الضرر الآجل لاجل الحياة العاجلة من الفرار (قل لن ينفعكم الفرار) بنجاة ولا حياة (ان فررتم من الموت) حتف الانف لو قدر فى ذلك الوقت (أو القتل) فى البلد لو قدر فى ذلك الوقت (و) ان نفع (اذا لا تمتعون) بالحياة الدنيا (الا) نفعا (قليلا) لا نسبة لقلته الى نفع الشهادة على الابد فان زعموا ان بيوتهم عاصمة عن الموت أو القتل (قل من ذا الذى يعصمكم) أى يمنعكم (من) ارادة (الله ان اراد بكم) على الفرار (سوأ) أى معاقبة (أو أراد بكم) على القتال (رحمة) ظفرا وغنيمة وثوابا اخرويا (و) لو ارادوا من دون الله دفع سوء أو تحصيل رحمة (لا يجدون لهم من دون الله وليا) يحصل لهم رحمة (ولا نصيرا) يدفع عنهم سوأ والمعوقون والقائلون لاخوانهم داخلون فى الدون لانه (قد يعلم الله) والمعلوم لكونه مخاطبا به دون (المعوقين) أى المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (منكم والقائلين لاخوانهم) من غير تصريح بالتثبيط (هلم) أى قربوا أنفسكم (الينا و) لا يقصدون الاجتماع على القتال اذ (لا يأتون البأس) أى القتال (الا) زمنا (قليلا) فهم فى حكم المثبطين فان اتوا القتال كانوا (أشحة) أى بخلاء (عليكم)

(قوله جل وعز مقتا) (قوله عز اسمه انه كان فاحشة ومقتا) أى بغضا كان فاحشة عند الله ومقتا فى تسميتكم كانت العرب اذا تزوج الرجل امرأة ابيه فأولدها يقولون للولد مقتى (قوله جل اسمه ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك) أى ما اصابك من

فى المعاونة والنفقة وهذا قبل الخوف (فاذا جاء الخوف) أى خوف القتال (رأيتهم) فى حكم العدم اذ (ينظرون اليك) ولا يستفيدون من النظر الى شجاعتك شجاعة بل (تدور اعينهم) من الجبن فهم فيه (كالذى يغشى عليه من) معالجة (الموت فاذا ذهب الخوف) أى فرغ من القتال (سلقوكم) أى قهروكم فى طلب الغنائم (بألسنة حداد) ذربة كانها من الحديد لكونهم (اشحة) أى بخلاء يريدون الاستيلاء (على الخير) أى المال الذى رأوه كل خير (أولئك) الشجعان عليكم فى طلب الغنيمة الجبناء على قتال اعدائكم (لم يؤمنوا) بالآخرة فلم يعتقدوا خيرات القتال (فاحبط الله أعمالهم) بحيث لو قاتلوا لم ينالوا ثواب الجهاد ولو قتلوا لم ينالوا ثواب الشهادة (وكان ذلك) أى احباط اعمالهم (على الله) مع قتالهم فى سبيله (يسيرا) وان عسر عليكم منع الغنائم منهم ثم ان خوفهم انما زال بالنظر الى طلب الغنيمة لا القتال فانهم (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) وان تواتر لهم خبر ذهابهم (وان يأت الاحزاب) مرة اخرى لم يذهبوا الى قتالهم ولم يستقروا فى المدينة بل (يودوا لو انهم بادون) أى خارجون الى البدو وان لحقهم عار دخولهم (فى الاعراب) فلا يبالون بعار جبنهم اذ (يسئلون) القادمين (عن أنبائكم) أى اخباركم (و) لا يضركم خروجهم اذ (لو كانوا فيكم ما قاتلوا) أعداءكم (الا) قتالا (قليلا) دفعا لشناعة الجبن عنهم عند كونهم مع الشجعان ولا يتأتى هذا الجبن ان صح اقتداؤه برسول الله صلى الله عليه وسلم لغاية قبحه (لقد كان لكم فى) اخلاق (رسول الله) وأفعاله (أسوة حسنة) سيما (لمن كان يرجوا الله) رضوانه وقربه ورؤيته (واليوم الآخر) ثوابه ونجاته فيؤثرهما على الحياة الدنيا فيختار الشجاعة (و) يحصل له بدل لذات الدنيا لذة محبة الله اذ (ذكر الله كثيرا) بحيث يستقر محبته بقلبه (و) كيف يجبن المؤمن مع وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحزاب والنصر عليها الذلك (لما رأى المؤمنون) الكاملون (الاحزاب قالوا) فى مقابلة قول المنافقين ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا (هذا ما وعدنا الله) بقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية (ورسوله) بقوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام انهم سائرون اليكم بعد تسع أو عشر (وصدق الله ورسوله) أى ظهر صدقهما فى مجيئهم فسيظهر بالنصر عليهم (وما زادهم) عند تزلزل عوامهم وعند سماع قول المنافقين (الا ايمانا) بالله ورسوله ومواعيدهما (وتسليما) لاوامر الله ومقاديره ثم (من المؤمنين رجال) زادوا على الاولين بان (صدقوا) فى عهودهم فوفوا (ما عاهدوا الله عليه) وهو نذرهم ان لا نزال نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نستشهد (فمنهم من قضى نحبه) أى وفى نذره كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر (ومنهم من ينتظر) الشهادة كعثمان وطلحة (و) هؤلاء المنتظرون (ما بدلوا) العهد (تبديلا) بتأخر الاستشهاد بل لم يتفق لهم ذلك بخلاف بنى حارثة وبنى سلمة وهذا العهد كان من اسباب الابتلاء (ليجزى الله الصادقين) فى عهودهم (بصدقهم) فى وفائها (ويعذب المنافقين) بتعيير الناس فى الدنيا والنار فى الآخرة (ان شاء) ان يميتهم بلا توبة بعد التزامهم

نعمة من الله فضلا منه عليك ورحمة وما اصابك من سيئة أى من امر يسوءك فمن نفسك أى من ذنب أذنبته فعوقبت عليه (موقوتا) أى موقتا (مغانم) جمع مغنم والمغنم والغنيمة ما أصيب من أموال المحاربين (قوله جل وعز مريدا) ماردا أى عاتيا ومعناه أنه قد عرى

بفعل المؤمنين ان قالوا لم يكن ابتلاهم طاقة (أو) يغفر لهم بان يوفقهم للتوبة ثم (يتوب عليهم)
وان عظمت جريمتهم من قصد اتلاف الدين من اصله (ان الله كان غفورا رحيما و) من مجازاة
الله الصادقين بصدقهم وتعذيب أعدائهم انه (رد الله) قهرا (الذين كفروا) عنهم من غير
ان يكون لهم جبن بل (بغيظهم) أى مع كمال غضبهم الذى هو منشأ الشجاعة وكان ردا كاملا
اذ (لم ينالوا خيرا) نصرا ولا غنيمة (و) كانت هزيمتهم شر هزيمة اذ (كفى الله المؤمنين القتال)
بارسال الريح والملائكة (و) لولم يرسلهما كفاهم بمجرد قوته اذ (كان الله قويا) بحيث
لا يعارض قوته قوة شئ لكونه (عزيزا) غالبا بالاطلاق (و) من تلك الغلبة فعله تعالى
بالمظاهرين أشد من فعله بهم من ردهم بغيظهم اذ (أنزل الذين ظاهروهم) أى احزاب المشركين
(من أهل الكتاب) اذ ذهب جماعة منهم الى مكة فدعت قريشا الى محاربة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ثم أتت غطفان فقالت لهم مثل ذلك
فسمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب الخندق وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا
(من صياصيهم) أى حصونهم روى انه عليه السلام لما انصرف من الاحزاب ووضع المؤمنون
السلاح فاتى جبريل عليه السلام وقت الظهر فقال ان الله يأمرك بالمسير الى بنى قريظة
فأمر عليه السلام مناديا ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة فحاصرهم
عليه السلام خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار (وقذف فى قلوبهم الرعب) مع كونهم
فى الحصون فقال لهم عليه السلام تنزلون على حكمى فابوا فقال عليه السلام على حكم سعد
ابن معاذ فرضوا فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم فكبر صلى الله عليه وسلم فقال
لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع أرقعة فوقع ما خافوا اذ (فريقا تقتلون) وهم الرجال
المقاتلون على الخصوص (وتأسرون فريقا) وهم الذرارى والنسوان وغير المقاتلين من
الرجال قيل قتل ستمائة أو أكثر واسر سبعمائة ولعدم الخصوص قدم الفعل ههنا (و) كما
سلطكم على دمائهم وأموالهم (أورثكم أرضهم) مزارعهم (وديارهم) حصونهم وقراهم
(وأموالهم) نقودهم ومواشيهم واثاثهم (و) اورثكم (أرضا لم تطؤها) الى الآن وستفتح
لكم كفارس والروم وسائر ما سير اليه الاسلام ولا يبعد ذلك اذ ليس بحسب قدرتكم بل
بحسب قدرة الله (وكان الله على كل شئ قديرا) ولا يبعد فتح تلك الاراضى بقدرة الله تعالى وقد
فتح بها حصون بنى قريظة والنضير لا بقوة العسكر لانها بالمال ولم يكن عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم من المال ما يوسع على أزواجه بل لما سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة انزل الله
تعالى عليه (يا أيها النبى) الذى شأنه النصح ودفع المضار والانباء عن الحقائق (قل لأزواجك)
ما يخيرهن بين دفع الضرر الدنيوى وبين الصبر عليه للنفع الاخروى لكن قد لا يحتمله البعض
فوجب تخييره بعد انبائه بمقدار الضرر وثواب الصبر (ان كنتن تردن الحيوة الدنيا) الاتساع فى
التنعم بملذاتها (وزينتها) زخارف ثيابها وحليها فليس عندى من المال ما يفى بذلك ولا ألزمكن
الصبر على ترك ذلك (فتعالين) لبيان ما فى قلوبكن من غير احتمال ذلك (أمتعكن) أعطكن

من الخبر وظهر شره من
قوائمهم شعرة مرداء اذا
سقط ورقها فظهرت
عيدانها ومنه غلام أمرد
اذا لم يكن فى وجهه شعر
(قوله جل وعز جميعا) أى
معدلا (قوله تعالى المسيح)
فيه ستة أقوال قيل سمى
عيسى عليه السلام المسيح
لسياحته فى الارض واصله
مسيح مفعل فاسكنت الياء

المتعة أولا (وأسرحكن) أى أطلقكن (سراحا جميلا) لاضرار فيه ولا بدعة وهذا قبل تحريم ازواجه على المؤمنين اذ ليس لهن بعد هذه السعة والزينة (وان كنتن تردن الله) رضوانه وقربه (ورسوله) محبته وصحبته (والدار الآخرة) نجاتها وسعادتها فانتن محسنات لاقتصار نظركن على الله فلا يبالى بما فاتكن (فان الله اعد للمحسنات) سيما (منكن أجرا عظيما) فوق أجر سائر المحسنين الذى يستحقر دونه الدنيا ومافيها ويحتمل لاجله كل ضيق ولما اخترن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الله لهن من الاجر الدنيوى أن شرفهن بخطابه واضافهن الى نبيه فقال (يانساء النبى) مقتضى شرفكن تعظيم جزائكن (من يأت منكن بفاحشة) أى بخصلة بليغة فى القبح (مبينة) أى بين الشرع والعقل قبحها ان قرئ بالفتح أو مبينة قبحها بنفسها من غير تأمل ان قرئ بالكسر (يضاعف لها العذاب) أى يجعل عذابها مثل عذاب غيرها كحد الحر (ضعفين) لا اضعافا كثيرة لانه يشبه الظلم (و) لكن (كان ذلك) التضعيف الاول (على الله يسيرا) وان لم يتيسر عليه الظلم لان هذا التضعيف فى حقهن عدل محض (ومن يقنت) ومن تدم مطيعة (منكن لله ورسوله) فى اتيان الواجبات وترك المحرمات والمكروهات (وتعمل صالحا) من النوافل والمباحات (نؤتها أجرها مرتين) مرة لعملها ومرة لرعايتها شرف العمل (و) عندنا لها زيادة (اعتدنا لها) زيادة على المرتين (رزقا كريما) من الاطلاع على أسرار العلوم والعبادات ببركة صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظره (يانساء النبى) كيف لا يكون لكن هذا التضعيف مع انكن (لستن كاحد من النساء) لكن (ان اتقيتن) فالتقوى وان اقتضت الخضوع (فلا تخضعن بالقول) أى بتليينه فانه من مقدمات الزنا فهى وان لم يطمع لجار المؤمنين لاعتقادهم انكن أمهاتهم (فيطمع الذى فى قلبه مرض) أى نفاق (وقلن قولا معروفا) أى بعيدا عن الريبة فان القول المريب أقوى تأثيرا من التليين (وقرن) أى اسكن من الوقار (فى بيوتكن) لان التبرز اشد اطماعا من القول المريب (ولا تبرجن) أى لا تبخترن فى المشى (تبرج) النساء ايام (الجاهلية الاولى) جاهلية الكفر فانها قبل جاهلية الفسق فهو أشد اطماعا من التبرز (واقمن الصلوة) الناهية عن الفحشاء (وآتين الزكوة) المضعفة للشهوات الباعثة على الزنا (واطعن الله ورسوله) بموافقة امرهما ونهيهما فان مخالفتهما رجس لا يناسب فضل أهل البيت (انما يريد الله) ان تناسبوه (ليذهب عنكم الرجس) الذى هو ضد النزاهة التى بها مناسبة الحق (أهل البيت ويطهركم) عن النقائص (تطهيرا) كاملا ليحصل لكم الكمالات الممكنة لكم كلها (و) مما يعد لتحصيلها ذكر القرآن (اذكرن) أى تأملن (ما يتلى) عليكن من غير تعب فى طلبه لكونه (فى بيوتكن من آيات الله) أى معجزاته المنسوبة الى الاسم الجامع (و) ما فيه من (الحكمة) أى العلوم المتقنة والاسرار ولا يبعد أن يوجد ذلك فى كلام الله (ان الله كان لطيفا) بعباده يفيدهم بالالفاظ اللطيفة المعانى العجيبة التى يحار لها النظار ولا يبعد عليه جمعها فى هذه الالفاظ اللطيفة لكونه (خبيرا) ولا يبعد أن يكون لنساء النبى صلى الله عليه وسلم هذه الكمالات وقد حصلت كمالات

وحواشيه: وكسر تمالى ... وقيل مسيح فعيل بمعنى المسح ... وقيل السين وقيل مسيح من مسح الارض لانه كان يمسحها أى يقطعها وقيل سمى مسيحا لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن وقيل سمى مسيحا لانه كان اسمح الرجل ليس لرجله اخمص والاخمص ما تجافى عن الارض من باطن الرجل

الرجال لمن دونهن فشاركتهم (ان المسلمين) أى المنقادين فى الظاهر لكلمة الشهادة (والمسلمات والمؤمنين) أى المصدقين لها فى القلب (والمؤمنات والقانتين) بادامة شغل الجوارح فى الطاعة (والقانتات والصادقين) أى المخلصين فلا يكون فى طاعتهم رياء (والصادقات والصابرين) على مشاق العبادة بدون قصد الرياء (والصابرات والخاشعين) برؤية القصور فيها دفعا للعجب (والخاشعات والمتصدقين) بالخروج عن محبة المال اتماما للخشوع (والمتصدقات والصائمين) اقطع الشهوات الذى هو اتم فى الخشوع (والصائمات و) لكون قطع شهوة الطعام قاطعا لشهوات الفروج صاروا هم (الحافظين فروجهم والحافظات و) لحصول التزكية بهذه الامور صاروا هم (الذاكرين الله كثيرا والذاكرات) فسترت قبائحهم واظهرت كمالاتهم اذ (أعد الله لهم مغفرة) تستر قبائحهم (واجرا عظيما) ليظهر كمالاتهم (و) كيف تختلف هذه الكمالات بالرجال والنساء لعار الانوثة مع انهم اعوا فقة أمر الله الذى لا يعتد معه بعار أصلا لذلك (ما كان لمؤمن) اتصف بشرف الايمان (ولا مؤمنة) وان كان العار عليها اشد (اذا قضى الله ورسوله أمرا) فيه عار عرفى (ان يكون لهم الخيرة) أى الاختيار (من أمرهم) أى مما أمروا به بحيث يجوز لهم تركه للعار كيف وتركه معصية (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل) عن تحصيل الكمالات (ضلالا مبينا) ظاهرا وهو أشد عارا من العار المتعارف قيل نزلت فى زينب بنت جحش وكانت أمها عمته صلى الله عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ابن حارثة فأبت هى وأخوها عبد الله لكون زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر ان الخطبة كانت بطريق الوجوب ويحتمل ان تكون لا بطريق الوجوب لكن اعتبار العار فى مقابلة خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم معصية لما فيه من ترجيح قول أهل العرف على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كونه قول الله بالحقيقة (و) كيف يعتبر العار فى حق المؤمنين على مقابلة أمر الله ولم يعتبر فى حق أشرف الخلائق ما اتفق عليه الناس حتى خشيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاتبه الله عليه فقال (اذ تقول للذى أنعم الله عليه) بالاسلام وهو زيد بن حارثة فلا يعتد معه بما يليه من نحو التفريق بينه وبين زوجته (وانعمت عليه) بالعتق والارشاد فلا يعتد بايذائه بنكاح مطلقته بعد أن يطلقها بنفسه من غير اشارة منه صلى الله عليه وسلم بل أشار بالعكس فقال (امسك عليك زوجك) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى ذات يوم لحاجة الى زيد بعد ما زوجه زينب فابصرها فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب فسمعت وذكرته لزيد ففطن لذلك القول ووقع فى نفسه كراهتها فى الوقت فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى أريد ان افارق صاحبتى فقال مالك أرابك منها شئ فقال لا والله يارسول الله ما رأيت فيها الا خيرا ولكنها تتعظم على بشرفها وتؤذينى بلسانها فقال امسك عليك زوجك (واتق الله) فى تطليقها معللا بتكبرها (وتخفى) أى تضمر (فى نفسك) من محبة تطليقها لتنكحها (ما الله مبديه) أى مظهره عليك لئلا تخالف ما تظهر لما تضمر (وتخشى الناس) عارهم فى مقابلة أمر الله (والله أحق ان تخشاه)

وقيل سمى مسيحا لانه كان لا يمسح ذا عاهة الا برأ وقيل المسيح الصديق (قوله الموؤدة) المضروبة حتى توقذ أى تشرف على الموت ثم تترك حتى تموت وتوكل بغير ذكاة (قوله عزوجل مخمصة) مجاعة (قوله تعالى مكناهم فى الارض) ثبتناهم وأسكناهم فيها وملكناهم يقال مكنتك ومكنت لك

فى ترجيح عار الناس على أمره فالزمناترجيح أمرنا على عارهم (فلما قضى) أى قطع بطلاقها زيد (منها وطرا) أى كل حاجة (زوجناكها) بلا واسطة وليها لذلك كانت تقول لسائر نسائه ان الله تولى نكاحى وانتن زوجكن أولياؤكن (لكى لا يكون على المؤمنين حرج) أى ضيق من العار اذ لم يكن عار لاشرف الخلائق (فى) مناكحة (ازواج أدعيائهم) لا سال بقائهن فى نكاحهم بل (اذا قضوا منهن وطرا) بموت أو طلاق أو فسخ نكاح (وكان أمر الله) وان كان أمر اباحة (مفعولا) ترجيحا له على عار الخلق ولو رجح عار الخلق فى أمر الاباحة لخيف اعتبار العار فى أمر الوجوب لذلك (ما كان على النبى) وان كان أشرف الخلائق (من حرج) أى ضيق بسبب العار (فيما فرض الله له) أى فى أمر أوجبه الله تكميلا له بل لا يبقى عار لكونه (سنة الله فى الرسل (الذين خلوا) أى مضوا (من قبل) فمن عرف تلك السنة لا يعيره ولا عبرة بتعيير غيره (و) لو اعتبر ذلك العار لم يكن لهم بد من احتماله اذ (كان أمر الله قدرا مقدورا) أى قضاء حتما فكما يجب احتمال قضائه عز وجل بالصبر يجب احتمال العار فى مقابلة أمره لئلا يتعطل أمره وكيف يعتبر الرسل عار الخلق فى مقابلة أمر الله وبعضهم يعيرونه فى دعوى الرسالة أولا وفيما أرسلوا به مما يخالفه مألوفاتهم ثانيا فهو يمنع من التبليغ لكنهم (الذين يبلغون رسالات الله و) لو اعتبروا العار فى مقابلة أمر الله لخافوا الناس مثل ما يخافون الله لكنهم انما (يخشونه ولا يخشون احدا) لا ذما ولا قتلا ولا ضربا ولا غيرها (الا الله و) لا يضرهم ترك خوفهم اذ (كفى بالله) فى دفع الخصومات لكونه (حسيبا) أى كافيا فى الامور كلها وقد كفى فى دفع هذا العار لانهم عيروه بانه تزوج بزوجة ابنه فدفعه بانه انما يتصور لو كان محمد أبا لزيد لكن (ما كان محمد ابا أحد من رجالكم) وان كان ابا لبعض النساء والصبيان (ولكن) كان فيه معنى الابوة اذ كان (رسول الله) فكان ناصح الامة نصح الوالد لاولاده (و) كان فى هذا المعنى اتم من سائر الرسل لكونه (خاتم النبيين) ومع ذلك لم يكن فى حكم الاب الحقيقى فى تحريم نكاح بناتهم ونساء من مات منهم لانه يسد عليه باب النكاح اذ يصرن بناته وبنات أولاده وانما كان فى حكم الاب فى تحريم ازواجه لما فى تزويجهن من هتك حرمته فحرم ما اقتضت الحكمة تحريمه واباح ما اقتضت اباحته (و) من هذا ظهر انه (كان الله بكل شئ عليما يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ان لا تبالوا بما سوى الله فى مقابلته (اذكروا الله ذكرا كثيرا) حتى تنسوا ما سواه فلا تبالوا بعاره (و) ان خطر ببالكم عار ما سواه (سبحوه) أى نزهوه من ان يأمركم بما فيه عار حقيقى (بكرة وأصيلا) ليسرى اثر التسبيح فيهما بقية النهار والليل لان ذكره وتسبيحه يفيدان تنوير القلوب وقت خلوها عن الاشتغال اذ (هو الذى يصلى) أى يترحم (عليكم) سيما عند ذكركم اياه وتسبيحكم له (و) يصلى أى يستغفر لكم (ملائكته) أيضا (ليخرجكم من الظلمات) ظلمة الكفر وظلمة البدعة وظلمة المعاصى وظلمة الشبهات وظلمة العادات وظلمة الحجاب (الى النور) نور الايمان والسنة والطاعة والحل والعزم والكشف (و) لا يبعد منه ذلك اذ (كان بالمؤمنين رحيما) ولا يخل برحمته رخصة اذ ليست نقائص بل فضائل الهية لذلك (تحيتهم يوم

بمعنى واحد (قوله جل وعز ملكوت) ملك والواو والتاء زائدتان مثل الرحموت والرهبوت وهو من الرحمة والرهبة تقول العرب رهبوت خير من رحموت أى ان ترهب خير من ان ترحم (قوله معروشات ومعرشات) واحد يقال عرشت الكرم وعرشته اذا جعلت تحته قصبا واشباهه ليمتد

يلقونه سلام) عن النقائص سيما من رؤيتها فضائله فيلقاهم بفضائل انعاماته وألطافه (و) لا تكاليفه الشاقة اذ (أعدلهم أجرا كريما) وكذا على الرخص عند الشكر على تفضل الله تعالى عليهم بها (يا أيها النبي) بانبائك يخرج الله من الظلمات الى النور (انا أرسلناك شاهدا) على الحقائق التي عن ظلمات القبائح وانوار المحاسن (ومبشرا) بان فعل المحاسن موصل الى الانوار (ونذيرا) بان فعل القبائح مانع عن الوصول اليها (وداعيا الى الله) نور الانوار الذي لا يتوقف السالك دونه حتى يصل اليه (باذنه وسراجا) يبصر طريق الوصول (منيرا) لمن تعوقه ظلمات نفسه عن الوصول اليه (وبشر المؤمنين) بهذه الاسرار (بأن لهم من الله) على هذا الايمان (فضلا كبيرا) وان لم يتصفوا بهذه الانوار (ولا تطع الكافرين) بهذه الاسرار في الانكار عليها (والمنافقين) الذين يدعون الايمان بك مع انكاران يكون لك هذه الفضائل أولا تباعك (ودع أذاهم) اى اترك الالتفات الى اذيتهم بالقاء الشبهات على هذه الامور (وتوكل) في دفع اذياتهم (على الله و) اكتف بالتوكل عليه اذ (كفى بالله وكيلا) يدفعها عن قلوب السالكين وكيف تلتفت الى اذاهم في هذه الامور وهي من قصور نظرهم في الحقائق واقتصار نظرهم على الالفاظ فهو كاذاهم في التزوج بامرأة الدعى لاطلاق لفظ الابن عليه مع انه قد يطلق اللفظ على الشئ بالحقيقة من غير ان يثبت له جميع أحكامه كالزوجة على المطلقة قبل الوطء (يا أيها الذين آمنوا) بمقتضى الحقائق (اذا نكحتم المؤمنات) اللاتي نكاحهن أتم من نكاح الكتابيات (ثم طلقتموهن) ولو بعد مدة (من قبل أن تمسوهن) فهو وان اثبت النسب فماله جميع أحكام النكاح التام كالعدة بالطلاق (فما لكم عليهن من عدة) لا بقدر الاستبراء ولا ما فوقها (تعتدونها) اى تحسبونها عليهن لتمنعوهن من نكاح الغير لكنه نكاح حقيقي (فمتعوهن) وان لم يكن لهن فرض وان كان فنصف الفرض من غير مقابلة عوض في معنى المتعة (و) لعدم وجوب العدة عليهن لا ترجعوهن بل (سرحوهن سراحا جميلا) ليس فيه بدعة ولا حبس بمنزلة الفراق ثم انه قد يمتنع اطلاق اللفظ على شئ مع تحقق أحكام حقيقية فيه كأزواج النبي صلى الله عليه وسلم يمتنع اطلاق لفظ المملوكة عليهن مع انهن في حكمها لذلك قال (يا أيها النبي) اى الذي رفع شأنه فكان في معنى السيد (انا أحللنا لك أزواجك) من غير تقييد تعدد لانهن في معنى المملوكة وقد تأكد ذلك المعنى في (اللاتي آتيت أجورهن و) احللنا لك (ما ملكت يمينك) وان زادت على مالك من الغنيمة لكونها (مما أفاء الله عليك) فملكك أولا ثم نقل عنك الى غيره ما نقل منه فلذلك كان له صفي المغنم على انك سيد الكل والعبد وما في يده لمولاه (و) احللنا لك (بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك) وان كان فيهن من معنى السيادة لمكان قرابتك ما يعارض معنى المملوكية لكن لا عبرة بهذه السيادة في (اللاتي هاجرن معك) فصرن معك مصير الاماء وأفرد العم والخال لان المرأة مع الرجل ضعيفة في الخصومة فهو كالمنفرد معها بخلافها مع المرأة فانها كثيرة بهما في الخصومة وكأنهن جماعة معها فهؤلاء وان غلب فيهن معنى الحرية في الخصومة فهن

عليه وغيره معروشات من سائر الشجر الذي لا يعرش (قوله تعالى مكانتكم) ومكانكم بمعنى واحد (قوله تعالى مذءوما) اى معيبا (قوله تعالى معايش) لانه من لانها مفاعل من العيش واحدها معيشة والاصل معيشة على مفعلة وهي ما يعاش به من النبات والحيوان وغير ذلك (قوله جل اسمه مذموما) مذموما بابلغ الذم (قوله جل وعز

كالمملوكة بالنسبة اليك (و) لاعتبار معنى المملوكية فى نسائك أحللنا لك (امرأة مؤمنة) دون الكافرة وان كانت أولى بالمملوكية اذ لا تحل لك (ان وهبت نفسها للنبى) فتأكد فيها معنى المملوكية (ان أراد النبى ان يستنكحها) فكان ذلك بمنزلة قبول الهبة جعلنا هذه الامور (خالصة لك) لما فيك من معنى السيادة (من دون المؤمنين) فانهم لا يحل لهم الزيادة على أربع ولا ما زاد على قسمتهم فى الغنيمة من الاماء الا ان يتملكوها بوجه آخر ولا الموهوبة (قد علمنا ما فرضنا عليهم) اى على المؤمنين (فى) حل (أزواجهم) من الولى والشهود وعقد النكاح (و) فى حل (ما ملكت أيمانهم) من الدخول فى القسمة أو التملك بوجه آخر لكن اسقطناه عنك (لكيلا يكون عليك) أيها المنجذب الى الله لا بدلك فى أداء الرسالة من الانجذاب الى عالم السفل (حرج) اى ضيق فى باب النكاح الجاذب الى عالم السفل فلو وقع الحرج اضعف الجاذب فلا يقاوم الجواذب العلوية (وكان الله غفورا) لك ما حرم من ذلك على الغير لكونه (رحيما) بك ولغلبة معنى المملوكية فى حق أزواجه عليه السلام لم يجب لهن القسم بل (ترجى) اى تؤخر مضاجعة (من تشاء منهن وتؤوى) اى تضم (اليك من تشاء و) لهذا أيضا (من ابتغيت) اى طلبت نكاحها (ممن عزلت) عن نكاحك بطلاقها ثلاثا أو أقل (فلا جناح عليك) ان تعيدها الى نكاحك من غير تحليل لامتناع ان تتزوج بآخر فلو شرط التحليل انسد عليها باب النكاح وليس ذلك ظلما عليهن بل (ذلك أدنى) اى أقرب الى افادة (ان تقر أعينهن) لو سويت بينهن (و) لو تركت (لا يحزن) بالترك (و) لكن (يرضين بما آتيتهن) من الحقوق (كلهن) اما التى زيد فى حقها فظاهر واما التى نقص فهى ناظرة الى انه حكم الله فتطمئن به نفسها (والله يعلم ما فى قلوبكم) من انه عليه السلام متبع لامر الله أو لهوى نفسه (وكان الله عليما) برضاهن (حليما) عمن يعتقد فى رسوله اتباع الهوى ولرضاهن بحكم الله ارضاهن فقال لرسوله من أجلهن (لا يحل لك النساء) اللاتى تنكحهن (من بعد) اى بعد كونهن فى نكاحك (ولا ان تبدل بهن من أزواج) فتطلق أحداهن وتنكح مكانها أخرى (ولو أعجبك حسنهن) فانهن يحرمن عليك (الا ما ملكت يمينك) فانه يجوز لك التسرى عليهن (و) انما جوز له التسرى لرضاهن به لانه أهون من التزوج اذ (كان الله على كل شئ رقيبا) اى ناظرا فنظر الى رضاهن بالتسرى دون التزوج وقد رضين بحكمه فراعاهن على رسوله ثم طلب من المؤمنين مراعاة حقوقه عليه السلام فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم بالله رعاية حقوق رسوله (لا تدخلوا بيوت النبى) ولو لأعظم المهمات فى وقت من الاوقات (الا) وقت (أن يؤذن لكم) بعد استئذان أو غيره بان تدعوا (الى طعام) فادخلوا ان كنتم (غير ناظرين) اى منتظرين (اناه) اى وقته فان المنتظر فى معنى المتطفل فلا ينبغى أن تدخلوا (ولكن اذا دعيتم) من غير انتظار (فادخلوا) على سبيل الندب وامكثوا الى ان تفرغوا (فاذا طعمتم) اى فرغتم من الاكل (فانتشروا) اى تفرقوا فلا تمكثوا بعده منتدعين لحاجة (ولا مستأنسين) بالرسول صلى الله عليه وسلم (لحديث) تسمعونه منه فان ما تستضرون بالمكث لسماعه أجل مما

تنتفعون

مدحورا) اى مبعدا يقال أدحر عنك الشيطان اى ابعده (قوله عز وجل مدين) اسم أرض (قوله تعالى مهما تأتنا به من آية) اى ما تأتنا به وحروف الجزاء توصل بما كقولك ان تأتنا واما تأتنا ومتى تأتنا ومتى ما تأتنا فوصلت بما بما فصارت ماما فاستثقل اللفظ به فابدلت ألف ما الاولى هاء فقيل مهما (قوله متين) اى شديد

تنتفعون به (ان ذلكم كان يؤذى النبى) وايذاء الآحاد بما لايفى به فائدة السماع فكيف ايذاء
أفضل الخلائق وكانه يهم ان يهتك حرمتكم لاخراجكم (فيستحيى منكم) لكن اخراجكم
حق (والله لايستحيى من الحق) اى لايترك الامر بالحق ترك المستحيى (و) اذا دخلتم بيوت
النبى صلى الله عليه وسلم فلا تنظروا الى نسائه ولو وقت سؤال المتاع منهن بل (اذا سألتموهن
متاعا) اى شيأ ينتفع به (فاسئلوهن) ان يلقينه عليكم (من وراء حجاب) اى ستر (ذلكم) اى
الستر (اطهر) اى أشد تطهيرا (لقلوبكم وقلوبهن) من الميل اليهن واليكم ويجب التطهير
عنه لما فيه من ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا أن)
تهتكوا حرمته وان لم يتأذ به مثل ان (تنكحوا أزواجه من بعده) اى من بعد مفارقته بطلاق
أو وفاة لا الى انقضاء العدة بل (أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما) لما فيه من هتك حرمة حبيبه
صلى الله عليه وسلم (ان تبدوا شيأ) من نكاحهن (أو تخفوه) اى تضمروه فى صدوركم (فان الله)
يؤاخذكم به وان عفا عن اناس وا طرفى المعاصى العملية لكن هذا يشبه الكفر ويكفى فى
المؤاخذة على الكفر علمه به وقد (كان بكل شئ عليما) للعذاب والمؤاخذة ولما أمرهن بالحجاب
شق عليهن أمر المحارم فقال (لا جناح) اى لا اثم (عليهن فى) عدم احتجابهن عن (آبائهن ولا
أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء اخواتهن) ولم يذكر العم والخال لانهما
كالاب والام (ولا نسائهن) اى المؤمنات فلا يجوز للكتابيات الدخول على نسائه عليه السلام
(ولا ما ملكت أيمانهن) من العبيد والاماء (واتقين الله) ان تفجرن بأحد المذكورين بزنا
أو سحاقة (ان الله كان على كل شئ شهيدا) فيجازيكم بما يشهد منكم وربما يفضحكم وانما
عظم ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الله لعظم شأنه عنده (ان الله) باعتبار جميع
أسمائه يصلى اى يرحم على النبى مرة بعد أخرى الى مالا يتناهى (وملائكته) الذين هم
خواصه (يصلون) اى يطلبون الرحمة طلبا بعد آخر دائما (على النبى يا أيها الذين آمنوا)
مقتضى ايمانكم موافقة الله وخواصه (صلوا عليه) اى اطلبوا الرحمة عليه فوق ما يرحمه
بدون طلبكم ليصير اكمل مما هو عليه فيكمل الفيض بواسطته عليكم (وسلموا) اى اطلبوا له
سلامة الاستعداد لقبول مالا يتناهى من وجوه الرحمة (تسليما) غير منقطع (ان الذين يؤذون
الله) بايذاء حبيبه ومضادته فى فعله به (ورسوله) بدل ما يجب عليهم من الصلاة والتسليم عليه
فعل بهم ضد ما يفعل به على الوجه الكلى وهو انهم (لعنهم الله فى الدنيا) فلم يجعل دنياهم
مزرعة لآخرتهم (والآخرة) اذ فاتهم نعيمها ونجاتهم اولم يجعل لهم شفاعة ملك ولا نبى بل يتفق
الكل على لعنهم (و) لا يقتصر فى حقهم على اللعن كما فى الدنيا بل (أعد لهم) وهم فى الدنيا (عذابا
مهينا) يجتمع فيه الآلام الحسية مع العقلية لاهانتهم لله ولرسوله حيث اجترؤا على ايذائهما
(و) كيف لا يكون هذا فى ايذاء الله ورسوله وقد عظم أمر ايذاء عامة المؤمنين (الذين يؤذون)
بالفرية أو غيرها (المؤمنين والمؤمنات) وان كن ناقصات (بغير ما اكتسبوا) من زنا أو غيره
(فقد احتملوا بهتانا) فى صورة الفرية يبهت المفترى عليه (واثما مبينا) فى سائر الاذيات فلابد

(قوله عز وجل منامك) اى نومك كقوله اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ويقال منامك اى عينك لان العين موضع النوم (قوله جل وعز مرصد) طريق والجمع مراصد (قوله جل وعز مغارات) مايغورون فيه واحدها مغارة ومغارة وهو الموضع الذى يغور فيه الانسان اى يغيب

ان يهيم العذاب و يظهر اثمهم فى النار فيجتمع عليهم مع العذاب الحسى الفضيحة الدائمة (يا أيها النبى) الذى شأنه قلع الخبائث من أصلها (قل) دفعا لاذى المؤمنات (لازواجك) اللاتى ايذاء المنافقين لهن أشد (و بناتك ونساء المؤمنين يدنين) اى يقربن تقريب تغطية (عليهن) اى على وجوههن وأبدانهن شيأ (من جلابيبهن) اى ملاحفهن عند الخروج من الحجاب للحاجة (ذلك أدنى) اى أقرب (أن يعرفن) بأنهن حرائر (فلا يؤذين) ايذاء الاماء اطلب الفجور فاذا فعلن ذلك غفر لهن الخروج عن الحجاب رحمة بهن فى قضاء الحوائج (وكان الله غفورا رحيما) والله (لئن لم ينته) اى لم يكف بعد هذا التحفظ (المنافقون) عن ايذاء رسول الله ونسائه و بناته ونساء المؤمنين بالفرية عليهم (والذين فى قلوبهم مرض) اى فجور عن مطالبة نساء المؤمنين به (والمرجفون) الذين يزلزلون الخلائق بفريتهم المنتشرة (فى المدينة) من هذا الباب أو من باب التخويف من الاعداء (لنغرينك) اى لنسلطنك عليهم سلطانا لاصقا (بهم) باقامة الحدود والتعزيرات عليهم حتى يضطروا (ثم لا يجاورونك فيها) فى المدينة من رؤية شدتك عليهم (الا) زمانا (قليلا) يستعدون فيه للخروج ولا يشق على أحد خروجهم لكونهم (ملعونين) اى مبغضين لله وللخلق ولا يستريحون بالخروج لانهم (أينما ثقفوا) اى وجدوا (أخذوا) اى أسروا (و) ان لم يمكن أخذهم (قتلوا) اى بولغ فى قتالهم (تقتيلا) غير منقطع الى الموت وليس ذلك ببديع لكونه (سنة الله فى) المفترين والمؤذين (الذين خلوا) اى مضوا (من قبل ولن تجد لسنة الله) اى لهذا الحكم (تبديلا) فى المستقبل ولكن لا يبالى الناس بهذه السنة ولا بالساعة بل (يسئلك الناس) الذين نسوا هذه السنة التى يقاس عليها أمر الساعة (عن الساعة) استبعادا لها (قل انما علمها عند الله) اختص بعلمها لئلا يزداد الخلق خوفا منها (وما يدريك) اى شئ يدلك على بعدها ليقل خوفك منها (لعل الساعة تكون قريبا) فاحتمال قربها كاف فى التخويف البليغ وانما لا يخافها من كفر بها والكفر لا يبعدها بل يبعد الكافرين عن ربها (ان الله لعن الكافرين و) لا ينفى خوفها اذ (أعد لهم سعيرا) أمنوا منها وكما لم يؤمنهم عن أصلها لم يؤمنهم عن الخلود فيها بل جعلهم (خالدين فيها أبدا) كيف وكفرهم بها لم يكن عن شبهة فضلا عن حجة بل مع تحقق الحجة عليهم لذلك (لا يجدون وليا) يشفع لهم (ولا نصيرا) يدفع عنهم كيف واعراضهم عن مقتضى الحجة انما كان للتحرز عن طاعة الله وطاعة رسوله لينصرفوا الى أهويتهم لذلك (يوم تقلب) اى تصرف من جهة الى أخرى (وجوههم فى النار) كاللحم اذا شوى (يقولون) متمنين ما استحال بعد امكانه (يا) أيها المتمنى تعال (ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وقالوا) معتذرين الى الله تعالى فى ترك طاعته وطاعة رسوله (ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا) بدل طاعتك وطاعة رسولك لكون أهويتنا عندهم وكانوا يتبعونها ويستكبرون على من يدعوهم اليك (فأضلونا السبيلا) الموصلة اليك (ربنا) لما عذبتنا باضلالهم (آتهم ضعفين من العذاب) على الضلال والاضلال (و) لا يقتصر على الضعفين بل (العنهم لعنا كبيرا) لكثرة اضلالهم وقرئ بالموحدة اى فى المقدار اعظم جرمهم ثم أشار الى أن العذاب

ويستقر (قوله جل وعز مردوا على النفاق) اى عتوا ومرنوا عليه وجرؤا (قوله جل وعز مغرما) اى غرما والغرم ما يلزم الانسان نفسه ويلزمه غيره وليس بواجب عليه (قال أبو عمر والمغرم يكون واجبا وغير واجب قال الله عز وجل من مغرم مثقلون) (قوله مجيد) اى

اذا تضاعف بالاضلال فبايذاء الهادى أولى (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم كف الاذى عن المؤمنين سيما الهادين سيما الانبياء (لا تكونوا كالذين آذوا موسى) وهم قارون وقومه اذ رموه بالزنا بامرأة مومسة استأجروها للقذف بنفسها (فبرأه الله مما قالوا) باقرارها انهم استأجروها لهذا القذف فخسف الله بهم الارض وكيف لا يتضاعف عذابهم بايذائه (وكان عند الله وجيها) وايذاء الوجيه عند الملك موجب لشدة غضبه وقهره (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم تقوى الله عن كل معصية فضلا عن ايذاء خلقه (اتقوا الله) أن تعصوه ادنى معصية (و) ان لم تخافوا منها لضعيف الشدة (قولوا) لاتمام التقوى (قولا سديدا) لا ينكر بوجه لكمال صدقه فلا يكون فيه ايذاء أحد ولا فساد آخر فانه يفيد تنوير الباطن والظاهر (يصلح لكم أعمالكم) بتنويرها (ويغفر لكم ذنوبكم) التى يخاف منها الآفات فى كل شئ سيما الاعمال (و) اصلاح الاعمال يفيد السعادة الابدية والعلوم الشريفة والكرامات العظيمة والاحوال الجليلة والمقامات الحميدة فان (من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) وانما يحصل ذلك بحفظ الامانة وأدائها الى ربها على الوجه المطلوب (انا عرضنا الامانة) التى هى العقل والقوى والاعضاء (على السموات والارض والجبال) ليستعملنها على وفق الحكمة فيكتسبن الكمالات (فأبين ان يحملنها) لثقلها (واشفقن منها) لما فى تضييعها من التنزل الى غاية النقص والعذاب (وحملها الانسان) اى آدم (انه كان ظلوما) بحمل اثقالها على نفسه (جهولا) لما فى تضييعها من الآفات ثم ان أداها ظلم نفسه بمنع لذاتها فان فى جهل نفسه والاجهل هذه الحالة الشريفة وان لم يؤدها ظلم نفسه بمنع خروج كمالاتها الى الفعل فى الدنيا والى البعد والعذاب فى الآخرة وان جهلها واعتقد ان الكمالات الحقيقية هى اللذات العاجلة وظلم بتغليب الشهوية والغضبية على العقل وجهل النقص عن ذلك فهو انما حملها (ليعذب الله المنافقين والمنافقات) بتضييع العقلية فى الباطن (والمشركين والمشركات) فى الظاهر مع تضييع القوى والاعضاء (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) اذا ضيعوا امانة القوى والجوارح لحفظهم امانة العقل (وكان الله غفورا) لما ضيعوه (رحيما) بجعل ما ضيعوه فى حكم ما حفظوه * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة سبأ)

سميت به لتضمن قصتها آية تدل على نعيم الجنة فى السعة وعدم الكلفة والخلو عن الآفة وتبدلها بالنقم لمن كفر بالمنعم وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى مظاهر ما فى سمواته وأرضه (الرحمن) بجعلها مظاهر حمده الدنيوى (الرحيم) بجعلها وسائل مظاهر حمده الاخروى (الحمد) الجامع للمحامد (لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) مظاهر حمده الدنيوى (و) قد قصد بها التوسل الى مظاهره الكاملة فى الآخرة اذ (له الحمد فى الآخرة) كيف لا يكون كذلك (وهو الحكيم) والحكيم لا يفنى مظاهر كماله الا ليتوسل به الى

شريف رفيع تزيد رفعته على كل رفعة وشرفه على كل شرف من قولك امجد الناقة علفا اى أكثر وزد (قوله عز وجل مجذوذ) مقطوع يقال جذذت الشئ وجددت اى قطعت (قوله مثواه) اى مقامه (قوله مكين) اى خاص المنزلة (قوله عز وجل معاذ الله) ومعاذ الله وعوذ الله وعياذ الله

اكمل منه ووجه التوسل وان خفى علينا لا يخفى عليه لانه (الخبير) وذلك لانه يعلم مايلج من آثار الموجودات فى الانسان وما يخرج منه من الاعمال والاخلاق وما ينزل عليه من العلوم والكرامات وما يعرج منه من الاحوال والمقامات كما انه (يعلم مايلج فى الارض) من البذور والماء والريح وحرارة الشمس (وما يخرج منها) من النبات والحبوب والثمرات (وما ينزل من السماء) من المطر والبرد والثلج (وما يعرج فيها) من الابخرة والادخنة لتكون البرق والصواعق والسحاب والشهب (و) لا يبعد ان يرحم ببعض المظاهر التى يتوسل بها الى مظاهره الكاملة ويسترها الى مدة اذ (هو الرحيم الغفور) لرحمة الحق بهذه المظاهر وستره تلك المظاهر (قال الذين كفروا) اى ستروا كمال ظهوره اذ حصروه فى هذه المظاهر القاصرة (لا تأتينا الساعة) التى فيها ظهور الحق بالمظاهر الكاملة لحصول ذلك قبلها (قل) أيها المطلع على كمالاته (بلى وربى) الذى ظهوره فى أكمل من ظهوره فيكم ومع ذلك حجابه باق عليكم (لتأتينكم) ليخرج ما فى هذه المظاهر من وجوه التوسل الى تلك المظاهر الكاملة لخفائها فلا يطلع عليها الا (عالم الغيب) فهذا بيان سببها ولا مانع منها جهل بأفعال الخلق التى عليها الجزاء ولا نسيان لامتناعهما على عالم الغيب (لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض) اجسامها وأرواحها واعراضها ومعانيها (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) لانه لا شئ منها (الا فى كتاب مبين) هو لوح القدر لحصولها عن تقديره ولا مانع منه كونه انعاما على انعام فى حق المحسن أو اضرارا بالمنعم عليه ولا يليق بالكرم الالهى لان الاول انما كان (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فاحتملوا فيها المشقة الناجزة بما يفيدهم الراحة العظيمة اذ (أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) خال عن المشقة (و) الثانى انما كان لمبالغتهم فى الكفر بالمنعم لانهم (الذين سعوا فى) ابطال (آياتنا) الدالة علينا الداعية الى شكرنا (معاجزين) اى قاصدين اعجازنا عن اقامة الدليل على وجودنا أو انعامنا أو جزائنا (أولئك لهم عذاب من رجز) اى غضب عظيم منا على انكارنا وانكار نعمنا ورد آياتنا وقصد تعجيزنا (أليم) اى مؤلم بحسب ذلك الغضب وان زعموا انا انما نكون ساعين فى آيات الله لو كانت هذه آيات لكنها ليست بآيات يقال انما لا ترونها آيات لخلوكم عن العلم (ويرى الذين أوتوا العلم) الكتاب المعجز (الذى أنزل اليك) أيها الكامل (من ربك) الذى هو أكمل الاسماء الالهية (هو الحق) المطابق للعلوم والدلائل العقلية والكشفية (ويهدى) فى مواضع الاختلاف (الى صراط العزيز) اى الغالب بالحجة (الحميد) باستعمال المقدمات القطعية الواضحة (وقال الذين كفروا) الكامل لابد وأن يكون أشهر الخلق بالكمال وهذا بحيث يقال فيه (هل ندلكم على رجل) مجهول لا يعرف ونكرة لا يتعرف وكيف يكون المنزل عليه هو الحق وهو أشبه شئ بالمحال لانه (ينبئكم) مما يأتى فى زعمه انكم تعادون (اذا مزقتم) اى فرقت أجزاؤكم فصارت (كل ممزق) اى فى كل جزء مطرح ولو صح ذلك فلا اعادة بل (انكم لفى خلق جديد) بخلق الامثال (أفترى) اى اخترع عن تعمد (على الله كذبا) بانه يوحى اليه مثل هذه الامور التى هى أشبه شئ بالمحال فلا يخاف عذابه الذى يوعد به

بعف واحد اى اخبر بالله (قوله مد الارض) اى بسطها (قوله المثلات) اى العقوبات واحدها مثلة ويقال المثلات الأشباه والامثال مما يضرب به (قوله متاب) اى توبة (قوله جل وعز موزون) اى مقدر كانه وزن (قوله تعالى مسنون) اى مصبوب يقال سننت الشئ سنا اذا

(أم) لم يفتروا لكن (به جنة) يتخيل به أنه يوحى اليه بمثل هذه الامور فكأنه تعالى يقول لا يخاف عليه العذاب لانه بلغ من الله تعالى ما أنزل اليه مما يكاد العقل يوجبه ولا ضلال فيه من الجنون (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) التي يكاد العقل يوجبها (في) خوف (العذاب) بل في عينه من مرض الجهل (والضلال البعيد) الذي هو أبعد من ضلال الجنون (أ) ينكرون قدرة الله على جمع الاشياء المتفرقة وقد أحاطت قدرته بالاشياء اذ خلقها من عدم (فلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) وكيف لا يخافون عذابه على انكار قدرته وأسبابه موجودة في كل جهة (ان نشأ) تعذيبهم بسبب سفلي (نخسف بهم الارض أو) بسبب علوي (نسقط عليهم كسفا) اي قطعا (من السماء) فان لم نفعل ههنا فله أسباب تشبه ذلك في الآخرة لذلك قال (ان في ذلك) البيان (لآية) هادية (لكل عبد) عرف احاطة تصرف الله في الآخرة به بحيث لا يمكنه الخروج عنه فاتصف بوصف (منيب) اذ لا مهرب منه الا اليه وكيف ينكرون قدرتنا على الاحياء (ولقد آتينا داود منا فضلا) قدرة على استنطاق الجمادات وهو أشد من الاحياء والحيوانات العجم وهو كقلبها انسانا وهو أشد من قلب الميت حيا وكان يفعل ذلك باذننا كأنا ناديناهما (يا جبال أوبي) اي رجعي (معه) التسبيح (والطير) كيف وغاية الاحياء تليين الجماد الصلب (و) قد (ألنا له الحديد) الذي هو أصلب الجمادات ولا يبعد علينا التوسعة على البعض والتضييق على البعض بالاحياء كما قلنا لداود عليه السلام عند تليين الحديد (أن اعمل) دروعا (سابغات) اي واسعة (وقدر في السرد) اي ضيق في النسج (و) لا يبعد ان ندعو بذلك الى جهاد النفس كما دعونا بالدروع الى جهاد الكفار تيسيرا للاعمال الصالحة لذلك قلنا لهم (اعملوا صالحا اني بما تعملون بصير) فابصر ما قدرتم فيه على أنفسكم ووسعتم عليها في الطاعة (و) لا يبعد علينا تيسير بعض الاجزاء الى بعض مع تباعد ما بينهما فانا قد سخرنا (لسليمان الريح) تسير الكرسي به مع عسكره من مكان الى آخر ابعد منه في مدة أقل اذ (غدوها) اي سيرها بالغدو من الصبح الى الطلوع (شهر) اي مسافة شهر (ورواحها) اي سيرها من العصر الى الغروب (شهر) وكذا يسهل علينا تسيير الارواح الى الصدر ومنه الى الابدان في مدة يسيرة (و) لا يبعد علينا ارسال فيض الحياة على الاموات بعد تسكينه مدة مديدة على خرق العادة فانا قد (أسلنا له عين القطر) اي النحاس من معدن باليمن ثلاثة أيام وهو اشارة الى تليين النفس بالعمل (و) لا يبعد علينا استعمال الانس للاعمال المقربة الينا واستعمال الملائكة للجزاء على الاعمال فانا سخرنا له (من الجن من يعمل بين يديه باذن ربه و) كيف لا يكون لمخالف الحق العذاب مع أن (من يزغ منهم) اي يعدل (عن أمرنا نذقه من عذاب السعير) اذ وكلنا به ملكا يضربه بسوط من نار السعير بحيث لا يراه (يعملون له) عمل بني آدم لانفسهم والملائكة من أجلهم في الجنة (ما يشاء من محاريب) اي مساجد (وتماثيل) اي قصور منقوشة كقصور الجنة (وجفان) اي قصاع (كالجواب) اي كالحياض التي يجبى اي يجمع اليها الماء يقعد على جفنة ألف رجل (وقدور راسيات) اي مرتفعة ثابتة على الاثافي لبدله على

صبيته صباسم لا وسن الماء على وجهك ويقال منون اي متغير الرائحة (قوله جل وعز ملوما محسورا) اي تلام على اتلاف مالك ويقال يلومك من لا تعطيه وتبقى محسورا اي منقطعا عن النفقة والتصرف بمنزلة البعير الحسير الذي قد حسره السفر اي ذهب بلحمه وقوته فلا انبعاث به

ما فى الجنة ولذلك قيل لهم (اعملوا آل داود شكرا) على ما أعطيتم مما يشبه نعيم الجنة لئلا يفوتكم نعيمها المخصوص بالقليلين (وقليل من عبادى الشكور) اى من يشكر بقلبه ولسانه وجوارحه فى أكثر أوقات عمره ولاستمرارهم على شكره لم يزالوا مسخرين له مدة حياته وأياما بعد وفاته ليدل على بقاء فضائل الشاكرين الى أبد الآبدين (فلما قضينا عليه الموت) دخل المحراب وكان يتجرد للعبادة فى بيت المقدس سنة وسنتين معه طعامه وشرابه وقام يصلى على عادته متكئا على عصاه فمات قائما وكان للمحراب كوى بين يديه ومن خلفه فكانوا يتمون بناء بيت المقدس ويحسبون انه حى فكثوا حولا كاملا حتى أكلت الارضة طرف عصاه (ما دلهم على موته الا دابة الارض) اى الارضة (تأكل منسأته) اى عصاه التى يطرد بها لخفرمينا (فلما خر) اى سقط (تبينت الجن) اى ظهر أحوالهم للانس فى الجهل بالغيب أو ظهر لهم (أن) اى انهم (لو كانوا يعلمون الغيب) لعلموا موت سليمان ولو علموه (ما لبثوا فى العذاب المهين) من تعب الاعمال بالتسخير فاذا لم يعلموا الغيب لم يؤخذ بقول من يأخذ منهم من الكهنة فى نفى الجنة والنار مع ظهور آياتهما فى الدنيا (لقد كان لسبإ) اى لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان (فى مسكنهم) اى مواضع سكناهم من قرية مأرب على مسيرة ثلاثة من صنعاء (آية) تدل على نعيم الجنة فى السعة وعدم الكلفة فى التناول اذ كانت المرأة تمر بالجنة حاملة المكتل فيمتلئ بأنواع الفواكه من غير ان تمس بيدها شيأ أشبه تناول أهل الجنة للفواكه فى ما كنهم الكل مسكن (جنتان عن يمين وشمال) كما يكون لمن خاف مقام ربه جنتان هنالك ولم يكونا فى جانب الشرق والغرب لئلا تمنعا حرارة الشمس عليه فيغلب عليه البرد فجاءتهم الرسل فقالوا لهم (كلوا من رزق ربكم) الذى رزقكم فى هذه الجنات لكمال تربيته لكم (واشكروا له) بعبادته على ما أنعم عليكم من هذه النعم الخالية عن الضرر اذ البلدة التى هى فيها (بلدة طيبة) لا عاهة فيها ولا هامة (و) معاصيكم وان اقتضت عاهات لكنه (رب غفور) فيجب شكره على غفرانه كما يجب على نعمه فاغتروا بغفرانه (فأعرضوا) عن شكره بالكلية بل قالوا ما نعرف لله علينا من نعمة فليحبس علينا ان استطاع (فأرسلنا عليهم سيل العرم) اى السيل من انكسار سد الحجارة المركومة بالغار وهو العرم جمع عرمة وهى الحجارة قيل كان لهم سد بنته بلقيس بين الجبلين وجعلت له ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض وبنت دونه بركة فاذا جاء المطر اجتمع اليها مياه أوديتهم فحبس السيل من وراء السد فيفتح الباب الاعلى ثم الاوسط ثم الاسفل فلا ينفد الماء الى السنة القابلة فلما طغوا سلط الله عليهم الجرذ فنقب فى أسفل السد فغرقت جناتهم ودفن بيوتهم الرمل فكان ذلك دليل الغضب عليهم كالغضب على أهل النار (وبدلناهم بجنتيهم) كما يبدل اماكن النار باماكن الجنة للكفار (جنتين ذواتى أكل) اى ثمر (خمط) اى بشع كثمار أهل النار (و) ذواتى (أثل) اى طرفا ولا ثمر لها كبعض أشجار أهل النار (و) ذواتى (شئ من) نبق (سدر قليل) مع قلة ما يسمن أو يغنى من جوع فهذا تبديل النعم بالنقم لمن لم يشكر النعم بل (ذلك جزيناهم بما كفروا) بالنعم (و) لا ينبغى ان يشك فى انه

لا نرضة (قوله جل اسمه موبقا) اى موعدا ويقال مهلكا بينهم وبين آلهتهم ويقال موبق واد فى جهنم (قوله جل وعز) مصرفا (قوله موئلا) اى معدلا (قوله موئلا) اى منجى ومنه قول على عليه السلام وكانت درعه صدرا بلا ظهر فقيل له لو أحرزت ظهرك فقال اذا وليت فلا والت اى اذا أمكنت من

سببه لانه (هل نجازى) ذلك الجزاء الشنيع (الا الكفور) اى المبالغ فى الكفر (و) من مبالغتهم
فى الكفر كراهتهم مبالغتنا فى الانعام عليهم اذ (جعلنا بينهم وبين) موضع تجارتهم من الشام
وهى (القرى التى باركنا فيها) بتوسعة الارزاق الظاهرة والباطنة (قرى ظاهرة) اى متقاربة
يظهر بعضها للبعض فلا يخاف فيها من قاطع طريق (وقدرنا فيها السير) بمقدار لا يحتاج فيه
الى حمل الزاد ولا الى شد الرواحل فهو يشبه سفر أهل الجنة من مكان الى مكان من غير
تعب وقلنا لهم على لسان أنبيائهم (سيروا فيها ليالى وأياما) لكونكم (آمنين) من الاعداء
والحشرات والجوع والعطش (فقالوا ربنا باعد بين) قرى (أسفارنا) لنحمل الزاد
ونشد الرواحل منه فنتطاول على الفقراء (وظلموا أنفسهم) بحملها المتاعب وبمنعها
الرفاهية (فجعلناهم أحاديث) يتحدث بهم الناس تعجبا ويقولون فى الامثال تفرقوا أيدى
سبا (ومزقناهم) أى فرقناهم (كل ممزق) أى بكل مكان كتفرق أهل القيامة بعد
اجتماعهم فلحق غسان بالشام وانمار بالمدينة وجذام بتهامة والازد بعمان وليس ذلك مجرد
تحديث بل (ان فى ذلك لآيات) على تفريق من يجرى مجراهم وجعلهم أحاديث مثلهم
لكنها انما تكون نافعة (لكل صبار) أى لا يطغى بالنعم (شكور) لها وهم لم يصبروا
عن الطغيان ولم يشكروا (و) لذلك (لقد صدق عليهم ابليس ظنه) الذى يتضمنه قوله
ولا تجد أكثرهم شاكرين وقوله ولاضلنهم فاضلهم بأن النعم ليست منه بل من الاسباب فان
كانت منه فلا يتأتى منه النقم (فاتبعوه) فى اضلاله (الا فريقا من المؤمنين) عرفوا انه
لا تأثير للاسباب بدونه وانه كما يقدر على الانعام يقدر على الانتقام (و) الذين اتبعوه لم يتبعوه
عن اكراه ولا عن حجة حتى يعذروا بل عن وسوسة فلا يعذرون بها لانه (ما كان له عليهم
من سلطان) بالوسوسة (الا لنعلم) أى لنظهر علمنا لكل (من يؤمن بالآخرة) فيهتم لرفع
وسوسته ويتمسك بالحجج فينسب النعم الى الله ليشكرها طلبا لجزاء الآخرة فيتميز (ممن هو
منها فى شك) فلا يهتم لرفع وسوسته (و) لا يتأتى لاصحاب الوسوسة التمسك بوسوسته فى مقابلة
الحجة لعدم تحفظه مقتضى الحكمة لكن (ربك على كل شئ حفيظ) فيحافظ من حافظ
نفسه بالحجج ولا يحافظ من لم يحافظها بل اتبع الوساوس فهذا حفظ لقاعدة الحكمة
فى حقه فهو حفيظ لما هو حقه فان زعموا انهم يحافظون على الحجج ولا يبالون بالوساوس (قل)
لا تحافظون على الحجج أنتم ولا من تدعونهم (ادعوا الذين زعمتم) انهم آلهة (من دون
الله) ليقيموا الحجج على الهيتهم فهل الهيتهم بالاستقلال مع انهم (لا يملكون مثقال ذرة
فى السموات ولا فى الارض) اذ الحادث لا يستقل بدون القديم أو بالمشاركة (و) لكن (ما لهم
فيهما من شرك) والا لم يستقل القديم بدون الحادث فلا يكون محدثا لهذا الحادث أو
بطريق المعاونة (و) لكن (ما له منهم من ظهير) والا توقف ايجاده للحادث على عون
الحادث فيكون معينا له قبل وجوده أو بطريق الشفاعة فان لم تكن نافعة فلا عبرة بها (و) ان
كانت نافعة فلا شك انه (لا تنفع الشفاعة عنده) الا برضاه ولا يعرف رضاه (الا) باذنه

(قوله ظهرى فلا نجوت (قوله عز وجل بجمع البحرين) أى العذب والمالح (قوله تعالى المخاض) هو تمخض الولد فى بطن أمه أى تحركه للخروج (قوله تعالى مليا) أى حينا طويلا (قوله تعالى مأتيا) أى آتيا مفعول بمعنى فاعل (مكانا سوى وسوى) أى وسطا بين الموضعين (قوله عز

(الا لمن أذن له) ولا يعرف اذنه الا بالسماع منه ولا يطيقه الا الانبياء والملائكة وهم عند سماعهم
تأخذهم الغشية فلا يفهمونه (حتى اذا فزع) أى كشف الفزع (عن قلوبهم قالوا) فى
قلوبهم (ماذا قال ربكم) فيظهر فى قلوبهم نقش ما قاله فحينئذ (قالوا) للخلق ماهو (الحق)
من قوله وكيف لا يكون خطابه كذلك (وهو العلى) عن حد المخلوقين فان قربوا منه فهو
(الكبير) فلا يخلو خطابه من هيبة الكبرياء فاين لما تدعونه هذه الرتبة من السماع فضلا
عما يترتب عليه من الشفاعة فان زعموا أن آلهتهم يملكون رزقهم كما يملك الملوك أرزاق العسكر
(قل) انما يملك الملوك ما ينزل الله عليهم من السماء ويخرج لهم من الارض والاصنام
لا يملكون شيأ من ذلك وأما الانزال والاخراج فمخصوص بالله (من يرزقكم من السموات
والارض) بالانزال والاخراج (قل الله و) لو زعموا انهم ابشفاعة شركائهم فلا دليل
لهم فغايتهم ان يترددوا فى ذلك فيقولوا (انا) فى نسبتهما الى شفاعة الاصنام (أو اياكم)
فى نفى هذه النسبة (لعلى هدى أو فى ضلال مبين) يقال فاذا جزمتم بالهدى لانفسكم
فى هذا المقام فهو عين الضلال ويجوز لنا القطع اضلالكم عند عدم الدليل على شفاعتهم
اذ الاصل العدم سيما اذا دل الدليل على امتناع شفاعتهم فان زعموا انه وان دل الدليل على
امتناع شفاعتهم فلا ينبغى ان يقطعوا بضلالنا فلعل لدليلكم قادحا من نقص أو مناقضة
أو معارضة فانتم مجرمون بقطعكم بضلالنا (قل) ليس لكم ان تنصحونا بترك متابعة الدليل
على احتمال القادح الموجب لجرمنا اذ (لا تسئلون عما أجرمنا) باتباع الدليل على احتمال
القادح الذى لم يظهر لنا ولا لكم (ولا نسئل عما تعملون) بعد بيان الكم الدليل فان زعموا
انه ليس لكم ايذاؤنا بنسبة الضلال على ترك متابعة دليل يحتمل القادح وان لم يظهر لنا ولا
لكم (قل) لا عبرة باحتمال مالم يظهر فان النزاع ينقطع باقامة الدليل مع سكوت الخصم
الآخر وهذا موجود فيما نحن فيه وقت حكومتنا الى ربنا فانه (يجمع بيننا ربنا) ليسمع
دليلنا واعتراض الخصم عليه (ثم يفتح) ما أغلق علينا وعليكم من الشبهة فى الدليل فيقطع
النزاع (بيننا بالحق) بحيث لا يبقى احتمال قادح (وهو الفتاح) برد الدلائل الى المقدمات
الاولية ورفع الشبهات (العليم) بما ينتهى اليه الدلائل ومالها وما عليها (قل) ان جعلتمونا
بنسبة الضلال اليكم مجرمين على مجرد احتمال القادح فى دليلنا من غير ظهوره له فكيف
لا تكونون مجرمين بترك متابعة الدليل على احتمال ان لا يكون له قادح البتة كدلائل التوحيد
(أرونى الذين ألحقتم به شركاء) من غير دليل محتمل للقدح ولا غيره (كلا) أى انزجروا
عما لا ينسب الى دليل أصلا (بل) الاله (هو) الذى دلت عليه الدلائل وهو (الله) الجامع
للكمالات ولا يجمع مع الشركة كيف وهو (العزيز) المطلق ولا عزة لاحد المتساويين على
الآخر وان لم يكن مساويا لا يترك شركه لانه (الحكيم) فلا يترك مفسدة الشرك (و) ان
قالوا ليس لك ان تنهانا عن آلهتنا الا انك ان لم تكن رسولا فظاهر وان كنت رسولا فانما أرسلت
الى الخواص الذين يمكنهم التقرب الى الله بلا واسطة الاصنام يقال الرسالة قد ثبتت بالمعجزات

ولم

أى وجل مآرب أخرى) أى حوائج واحدها مأربة ومأربة ومأربة (قوله تعالى شيد) أى مبنى بالشيد وهو الجص والجيار والملاط ويقال مشيد ومشيد واحد أى مطول مرتفع (قوله عز وجل منسكا) أى عيدا وقد مر تفسيره. (قوله تعالى مهجورا) أى متروكا

ولم تختص بالخواص لانا (ما أرسلناك الا) رسالة (كافة) أى مانعة (للناس) عن ان
يخرج أحدهم عن دائرة دعوتك الكونية (بشيرا) لمن آمن بها فوحد الله (ونذيرا) لمن
كفر بها فأشرك بالله وهذا مما لا يخفى على عاقل (ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويقولون)
أنتم لا تعلمون وقت ما تبشرون به وتنذرون عنه (متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) فى التبشير
والانذار (قل) ان العلم بالشئ لا يستلزم العلم بوقته وان كان له وقت معين كالموت اذ (لكم
فيه (ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) ومع ذلك لا يطلعون عليه (وقال
الذين كفروا) لا يظهر لنا صدقكم ما لم تبينوا لنا وقته اذ غاية ما تستدلون به عليه هذا
القرآن لكن (لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى) يصدقه ويبشر به (بين يديه) يقال
عدم ايمانكم بالكتاب المعجز الذى تبشر به كتب الاولين ظلم منشؤه الاستكبار على أنفسكم
وعلى اتباعكم ولذلك يقفون عند ربكم ويوقفون عنده من أجلهم (ولو ترى) أيها الداعى
(اذ الظالمون) أنفسهم واتباعهم بمنع الايمان بما ظهر اعجازه بعد ما بشر به كتب الاولين
وصدقته (موقوفون عند ربهم) ليجيبوا من يدعى عليهم بالاضلال الذى هو أشد من القتل
(يرجع) بالرد والالزام (بعضهم الى بعض القول) دفعا للعذاب عن أنفسهم والزاما
لاصحابهم لرأيت أمرا عجيبا فانه (يقول الذين استضعفوا) فظلوا (للذين استكبروا)
فظلموا (لولا أنتم) مستضعفونا (لكنا مؤمنين) اذ وجدنا سبب الايمان وهو الكتاب
المعجز الذى بشر به كتب الاولين وصدقته من غير مانع من الاستكبار (قال الذين استكبروا
للذين استضعفوا) انا وان استضعفناكم لم نكرهكم على الكفر (أنحن صددناكم) بالاكراه
(عن الهدى بعد اذ جاءكم) فقبلتموه (بل كنتم) قبل استضعافنا اياكم (مجرمين)
فاستمررتم عليه بعد الاستضعاف (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) ما كنا قبل
استضعافكم ايانا مجرمين بانفسنا (بل) جعلنا مجرمين (مكر الليل والنهار) بذهابهما
علينا بلا مؤاخذة على كفرنا وبلا حشر لموتانا وانعامكم مكرهما باضلالكم (اذ تأمروننا)
ونحن نعتمد على عقولكم (أن نكفر بالله و) يكفى فيه أمركم ان (نجعل له أندادا) أمثالا
وفيه اذلاله بجعله واحدا من أمثاله فأجرمنا أولا لاضلالكم ثم استضعفتمونا (و) لما لم يكن
هذا عذرا يدفع عنهم العذاب لعدم استدلالهم وعدم الاكراه عليهم (أسروا الندامة) على
انقيادهم للمستكبرين (لما رأوا العذاب) الذى هو أشد من اكراههم لو كان (و) لاتخاذهم
اياهم أندادا (جعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا) كما يجعل فى أعناق من خرج على الملك
فاخذوا لذلك يقال لهم (هل يجزون) بهذه الوجوه من الشدة (الا ما كانوا يعملون) من
الخروج على الله والاذلال له (و) يكفيهم فى استحقاق الاغلال موافقتهم لاعداء الله من
المترفين المبالغين فى عداوته فانا (ما أرسلنا فى قرية) ولو أدنى (من نذير) ولو أعلى (الا قال
مترفوها) أى متنعموها الذين يتبعهم المستضعفون ليكون لهم نصيب من نعمهم (انا بما
أرسلتم به) من وجود الله وتوحيده وأسمائه وأحكامه (كافرون وقالوا) لو كنتم رسل الله

لا يسمعونه ويقال مهجورا أى جعله بمنزلة الهجر أى الهذيان (قوله تعالى مرج البحرين) أى خلى بينهما كما يقول مرجت الدابة اذا خليتها ترعى ويقال مرج البحرين خلطهما (قوله تبارك وتعالى مد الظل) أى من طلوع الفجر الى طلوع الشمس ولو شاء لجعله ساكنا أى دائما لا يتغير

لكنتم أسعد الناس وكنا أشقاهم لكن الامر بالعكس اذ (نحن أكثر أموالا وأولادا) ومن لم يكن له ذلك منا فليس بشقى أيضا اذ كل شقى معذب (وما نحن بمعذبين) بل لما سعدنا بالاموال والاولاد لا نعذب أصلا اذ السعيد لا يعذب (قل) انما يتم هذا لو كان وجودهما سعادة وعدمهما شقاوة لكن ليس كذلك لان غايتهما انهما رزق دنيوى (ان ربى يبسط الرزق) الدنيوى (لمن يشاء) من سعيد وشقى (ويقدر) أى يقبض عمن يشاء منهما فلا دلالة فى وجودهما على السعادة ولا فى عدمهما على الشقاوة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيستدلون بوجودهما على السعادة وبعدمهما على الشقاوة كيف والسعادة فى القرب من الله والشقاوة فى البعد منه (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى) أى بالامور التى (تقربكم) تفيدكم (عندنا) رتبة (زلفى) قريبة (الا من آمن) فشكر الله على ما آتاه من الاموال والاولاد (وعمل صالحا) فصرف ماله فى الخيرات وأدب أولاده بها (فأولئك لهم جزاء الضعف) أى جزاء هو ضعف ثواب الفقراء الخالين عن الاموال والاولاد (بما عملوا) من أعمال أولئك الفقراء مع صرف المال فى الخيرات وتأديب الاولاد بها ولا ينافى تقويتهما ما فيهما من قوة الجذب الى الجهة السفلية لانهم دفعوها بقوة اجتهادهم (و) لذلك (هم فى الغرفات) التى ارتفعوا اليها بقوة اجتهادهم (آمنون) عن النزول منها (و) كيف يسعد بهذا القرب أرباب الاموال والاولاد (الذين يسعون فى) ابطال (آياتنا معاجزين) أى قاصدين اعجازنا عن اقامتها بقوة أموالهم وأولادهم (أولئك) بهذا القصد وان كان لهم من الاموال والاولاد ما يعظم جاههم عند الناس (فى العذاب محضرون) لا يغيبون عنه بلذة مال ولا ولد فان زعموا انه لا سعادة فى القرب من الله اذ لا فائدة فيه ولا شقاوة فى البعد منه اذ لا ضرر فيه وانما الفائدة والضرر فى وجود الاموال والاولاد وعدمهما (قل) هذه الفائدة وهذا الضرر انما يكونان من الله (ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له و) سعادة المال انما تبقى باخلافه لان (ما أنفقتم من شئ فهو يخلفه) على ان المال انما كان مسعدا لافادته الرزق (وهو خير الرازقين) بما ينزله من السماء ويخرجه من الارض وقد ترزق الملائكة التى تغنى عن الاكل والشرب فكيف ينكر سعادة القرب منه وفائدتها فان زعموا ان الرزق السماوى والارضى انما هو من الملائكة وكذا القوة الملكية فلا معنى للتقرب الى الله من أجل ذلك بل الواجب التقرب الى الملائكة بعبادة صورها على ان للتقرب الى الله انما يكون بواسطتهم يقال التقرب اليهم لا يكون بعبادة صورهم بل بعبادة ربهم فاذا عبدوا تبرؤا منها ونسبوها الى من رضى بها من الجن (و) لذلك (يوم نحشرهم) أى الملائكة والانس والجن (جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) أى هل كانوا يخصونكم بالعبادة عن أمركم ورضاكم (قالوا) انما نأمر ونرضى بما نستحقه لكن تنزهت عن المشاركة فى استحقاق العبادة (سبحانك) أى ننزهك فى ذاتك وصفاتك ومع تنزهك انما نرضى بعبادتهم لو كانوا اليهم لكن (أنت ولينا من دونهم) فاذا لم تكن عبادتهم بامرنا

ورضانا

(قوله يعنى لانفس معه) (قوله عز وجل المرجومين) أى القتوابين والرجم القتل والرجم السب والرجم القذف (قوله عز وجل المشحون) أى المملوء (قوله عز وجل مصانع) أبنية واحدها مصنعة (قوله المراضع) جمع مرضع (وقوله المقبوحين) أى المشوهين بسواد الوجوه

ورضا فانما كانت عبادتهم انما (بل كانوا يعبدون الجن) الذين يرضون بهذه العبادة ويأمرونهم بها بل (أكثرهم) يقصدون عبادتهم اذهم (بهم مؤمنون) لا بالملائكة واذا تبرأت عنكم الملائكة وصارت عبادتكم للجن وهم أيضا مؤاخذون مثل مؤاخذتكم (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا) بدفع العذاب عن صاحبه أو بحمله عنه (ولا ضرا) بحمل عذابه ولولم يتبرؤا عما يتوهم ذلك لان المعذبين هم الملائكة (ونقول للذين ظلموا) لعبادة الغير أو الامر بها (ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون) على الظلم فى العبادة وفى تكذيب النار (و) كيف يتوسلون بالملائكة ويتركون التوسل بالانبياء الذين هم أقرب منهم وافضل من الملائكة بل يكذبونهم ويستهزؤن بهم وبآياتهم بحيث (اذا تتلى عليهم آياتنا) المنسوبة الى عظمتنا (بينات) بحيث لا يشك فى كونها آيات (قالوا) معارضين لدلالتها على نبوة صاحبها (ماهذا الارجل) والرسول يجب أن يكون ملكا على انه يجب أن يكون داعيا الى الحق وهذا (يريد أن يصدكم) عن الحق من عبادة من يشهد تها لصده (عما كان يعبد آباؤكم) وهى دليل استحقاقها العبادة (وقالوا ماهذا) الصد عن عبادتهم دعوة الى عبادة الله بل ماهو (الا افك) أى صرف عن عبادته فليس من الله بل (مفترى) على الله (و) اذا عورض قولهم بدلالة المعجزات (قال الذين كفروا) بنسبة الاعجاز الى غير الله (للحق) الذى هو المعجزة القولية الداعية الى مايطابق الواقع (لما جاءهم) فعلموا حقيقته (ان هذا الا سحر مبين) لا يلتبس بالمعجزات أصلا فجعلوا الدليل القطعى سحرا (و) اتبعوا مالا دليل عليه أصلا من الكتاب لانا (ما آتيناهم من كتب) تأمرهم بعبادة غير الله فهم (يدرسونها) ويعملون بمقتضاها وان خالف العقل (و) لا من السنة لانا (ما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) ينذر على ترك عبادتها بل ينذر على عبادتها (و) لكن (كذب الذين من قبلهم) المنذرين على عبادتها (و) لم يكن تكذيبهم بقوة العلم لانهم (ما بلغوا) فى العلم (معشار ما آتيناهم) من العلم ولكن عاندوهم (فكذبوا رسلى) بلا حجة لهم عليهم بل كانت الحجة للرسل فأخذتهم (فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم فان أنكروا كون الانبياء عليهم السلام اعلم من غيرهم بحيث لا يكون لغيرهم معشار ما أوتى الانبياء بل هو جنون حتى ان ما أوتيه محمد صلى الله عليه وسلم عين الجنون (قل) لهم كلاما يدل على وفور عقلك من غير نظر وفكر (انما أعظكم) أى آمركم (بواحدة) أى بخصلة واحدة تفيدكم كمال الرشد هى (أن تقوموا) بالانصاف طالبين (لله) متفرقين لئلا يتشوش الخاطر بخلط الاقوال (مثنى) ليستخرج كل ما فى ضمير صاحبه (وفرادى) ليجتمع بالخلوة فكره (ثم تتفكروا) فى أمر صاحبكم لتعلموا انه (ما بصاحبكم من جنة) أى جنون بل بجميع كلامه حجة أوتيها لينذركم بها (ان هو الا نذير لكم) يقدم الحكم (بين يدى عذاب شديد) فان زعموا انه انما ينذرنا عن اللذات العاجلة ليستقل بها فيتسلط على أموالنا (قل ما سألتكم) عليه (من أجر فهو لكم) مردود عليكم (ان أجرى الا على الله)

وزرقة العيون ويقال قبح الله وجهه وقبح بالتخفيف والتشديد (قوله تعالى معاد) مرجع وقوله تعالى لرادك الى معاد قيل الى مكة وقيل معاده الجنة (قوله عز وجل من ماء مهين) أى ضعيف ويقال حقير يعنى النطفة (قوله مسطورا) أى مكتوبا (قوله عز وجل مكر الليل والنهار) أى

الذى أرسلنى بهذه الرسالة الشاقة فتحملت فيها المشاق كيف (وهو على كل شئ شهيد) فيشهد ما تحملت فلا يغنمنى أجرى عليه فان زعموا انهم كلما تفكروا فيه ظهر لهم جنونه (قل ان ربى يقذف) أى يلقى فى قلوب المفكرين رأيا متصفا (بالحق) ان كانوا طالبى الحق فانه (علام الغيوب) فان علم من قلب عبده طلب الحق قذفه فى قلبه والا قذف الباطل وان زعموا انه تارة يقذف الحق وتارة يقذف الباطل (قل) هذا فى الامور الظنية وأما الامور القطعية فانه (جاء) فيه (الحق وما يبدئ) أى وما يحدث (الباطل) الذى لم يكن أصلا (وما يعيد) الباطل الذى كان فاندفع بالدليل القطعى فان زعموا انه لا دليل قطعى على ما ذكرت بناء على عدم الدليل الملجئ لهم الى الايمان (قل ان ضللت) فيما دل الدليل القطعى لعدم الجائه فلا يضركم ضلالى لو اتبعتمونى فيه (فانما أضل) وضرره (على نفسى وان اهتديت) من غير دليل ملجئ (فبما يوحى الى ربى) فيفيدنى فيه برد اليقين ومخالفه مستظهر وان لم يبلغ الى حد الالجاء ولا يمكن فيه الضلال بالقاء الشيطان (انه سميع) لوحيه فيحفظه عن تخليط الشيطان ولا يبعد عليه حفظه لانه (قريب) وكيف يخافون ضرر الضلال فيما دل الدليل على هدايته ولا يخافون ضرر تكذيب ما دل الدليل على كونه هداية (ولو ترى اذ فزعوا) عند الموت أو البعث من تكذيبهم لما دل الدليل على كونه هداية (فلا فوت) أى فلا يفوتون من يضرهم على ذلك (و) لا يطول السعى عليهم اذ (أخذوا من مكان قريب) لقرب الحجة على المؤاخذة (وقالوا) بعد الاخذ (آمنا به) أى بذلك الهدى (وأنى لهم التناوش) أى ومن أين لهم تناول الايمان به بسهولة (من مكان بعيد) اذ بعدوا عن مكانه (و) لم يأخذوه حين كان قريبا منهم اذ (قد كفروا به من قبل و) لم يكن كفرهم من مكان قريب بل كانوا (يقذفون) الهدى بأوهام باطلة من غير دليل على تحققها بل على احتمالها (بالغيب) لا مع قرب الاحتمال بل (من مكان بعيد و) لم يزالوا بعدوا حتى (حيل) أى حجب (بينهم وبين ما يشتهون) الآن من الايمان النافع فلم يوفقوا له قبل الموت (كما فعل بأشياعهم) أى أشباههم من كفرة الامم الماضية (من قبل انهم) حيل بينهم وبين ما يشتهون من الايمان النافع لهم وهم فى الحياة لانهم (كانوا) غرقى (فى) بحر (شك مريب) أى موقع لغير الشاك الاصلى فى الريب مع وضوح الدلائل فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الملائكة)

سميت بها لاشتمالها على بيان تفصيل رسالتهم من جهة أخذهم الفيض عن الله وايصاله الى خلقه من جهة أو جهتين أو ثلاث أو أكثر ليشعر أن الرسالة العامة لهم اذا كانت كذلك فكيف الرسالة الخاصة مثل انزال القرآن فيجوز أن يكون له جهات كثيرة وقد روى انه كان لجبريل ستمائة جناح (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى سمواته وأرضه وملائكته (الرحمن) بجعله الملائكة رسلا لايصال فيضه الى خلقه (الرحيم) بتخصيص كل منهم بعدد من

(قوله عز وجل مكركم فى الليل والنهار مواخر فيه) أى فواعل يقال مخرت السفينة اذا جرت فشقت الماء بصدرها ومنه مخر الارض انما هو شق الارض (مرقدنا) أى منامنا (قوله لمسخناهم) أى جعلناهم قردة وخنازير (قوله مكنون) أى مصون (قوله جل وعز مدينون)

الاجنحة (الحمد) الجامع للمحامد (لله) لكونه المنعم بجميع النعم حتى المنسوبة الى
الاوضاع الفلكية المختلفة بالقوابل الارضية لاختصاصه بوصف (فاطر السموات) أى
شاق عدم السموات لاخراجها أسبابا للفيض (والارض) التى فيها القوابل كيف والمنسوب
اليهما منسوب الى الملائكة التى فيهما وهو المخصوص بوصف (جاعل الملائكة رسلا) فى
ايصال فيضه الى خلقه بأخذها منه من جهة سيرها اليه وبوصلها من جهة فأكثر لكونهم
(اولى أجنحة) تسيربها بسرعة للاخذ والايصال (مثنى وثلاث ورباع) فأكثر وليس ذلك
لحاجته اليهم ولذلك (يزيد فى الخلق ما يشاء) بلا واسطتهم ومنه خلقهم وخلق أجنحتهم
والزيادة فيها على أربع لعموم قدرته (ان الله على كل شئ قدير) ولعمومها قد يفعل بخلاف
مقتضى الاسباب لذلك (ما يفتح الله للناس من) أبواب (رحمة) لاتعرف من وضع
فلكى ولا يعرفها ملك (فلا ممسك لها) منهم ولا من غيرهم وان كانت رحمته ممسكة لغضبه
(وما يمسك) من رحمة أو غضب (فلا مرسل له من بعده) أى من بعد امساكه جزما لامموقوفا
على معالجة أو دعاء وصدقة كيف (وهو العزيز) أى الغالب على الاسباب وانما يفعل
عندها رعاية للحكمة لانه (الحكيم) ويخالفها بمقتضى الحكمة أيضا (يا أيها الناس) الذين
نسوا كون المنسوب الى الاسباب منسوبا الى مسببها (اذكروا نعمت الله عليكم) فى كل شئ
حتى فيما تنسبونه الى فلك أو ملك كيف ولا تأثير للاسباب والا كانت خالقة لكنه ممتنع (هل
من خالق غير الله) ولو كان ثمت خالق غيره لاختص بافاضة الرزق من مكان دون غيره فلم يكن ثمت
من (يرزقكم من السماء والارض) معا على ذلك التقدير وانما يتصور على وحدة الخالق وهو
(لا اله الا هو) واذا كان الخالق والرازق واحدا ولا تأثير للاسباب (فأنى تؤفكون) أى
فن أين تصرفون من المسبب الى الاسباب التى غايتها انها مسخرة تسخير الكاغد والمداد الذى
يكتب فيه وبه الملك صلته ولا منة لهما (وان يكذبوك) فى نسبة الكل الى الله تعالى ابتداء
مع ظهور الوسايط (فقد كذبت رسل من قبلك) فى القول بوجود الله وتوحيده فيضاف
عليه ما وقع على تكذيبهم (و) لو لم يقع فى الدنيا يقع فى الآخرة (الى الله ترجع الامور)
للانصاف فلا بد من وقوعه (يا أيها الناس) الذين نسوا وجوب رجوع الكل الى الله بمقتضى
مبدئيته لو لم يقتضى مبدئيته ذلك اقتضاه وعده لامحالة (ان وعد الله حق) وان توهم
خلافه من ترك النظر بالاشتغال بالدنيا أو من تغليط الشيطان فيه (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
ولا يغرنكم) الشيطان الذى هو (بالله الغرور) بان رحمة الله واسعة وان التعذيب
مضرة محضة وانه يجوز الخلف فى الوعيد ونحو ذلك فكله من تلبيسات العدو (ان الشيطان
لكم عدو) فلا تصغوا الى كلامه ولا تصالحوه مع عداوته لله من أجلكم (فاتخذوه عدوا)
وكيف تطمعون فى مصالحته مع انه (انما يدعوا حزبه) الى الكفر والمعاصى (ليكونوا من
اصحاب السعير) ليصاحبوه فى النار أبدا فلو لم يدعهم الى ذلك فصاحبته كفرو (الذين كفروا
لهم عذاب شديد) كيف وهم فى مقابلة المؤمنين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة)

أى مجزيون (قوله جل وعز مقتحم معكم) أى داخلون معكم بكرههم والاقتحام الدخول فى الشئ بشدة وصعوبة (قوله تبارك اسمه مقاليد) مفاتيح واحدها مقليد ومقلاد ومقلد ويقال هو جمع لا واحد له من لفظه وهى الاقاليد أيضا الواحد اقليد (قوله جل وعز

فلولم يكن للكافرين عذاب لكان لهم أيضا مغفرة فلم يكن بينهم مقابلة (وأجر كبير) فلابد أن يقابل كبر أجر المؤمنين شدة عذاب الكافرين (أ) يزعمون أن أعمالهم أيضا تقتضى الاجر الكبير (فمن زين له سوء عمله) من مقارنته للكفر بالله (فرآه) مع مقارنته له (حسنا) حسنه بدونه افسوى بين عمله وعمل المؤمنين فهو ضال وعمله ضلال يجعل الله اياه ضلالا (فان الله يضل) عمل (من يشاء ويهدى من يشاء) وان تساوى العملان فى أنفسهما بسبب ما يقارنهما من الكفر أو الايمان واذا جعل الله حسناتهم سيآت (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) بذهاب أعمالهم التى تحسن بمقارنة الايمان لانك لم تضيعها عليهم وانما ضيعوها بكفرهم وكيف يكون لهم حسنات مع انهم لم يفعلوها لله (ان الله عليم بما يصنعون و) ان زعموا ان ما ذكرت انما يتم لو حصل البعث لكنه خلاف سنة الله يقال يكفى فيه جريان السنة بنظيره وقد جرت به اذ (الله) هو (الذى أرسل الرياح) من تحريك الهواء بالبخارات الصاعدة من الجبال والبحار (فتثير) أى فتجمع البخارات (سحابا فسقناه) بتلك الرياح (الى بلد ميت) لنسقيه بمائه (فاحيينا به الارض) بعض أجزائها بقلبها نباتا (بعد موتها) بكونها جمادات (كذلك النشور) يحصل بريح النفخ فى الصور المحرك بسبب الامطار من تحت العرش المنبت للاموات والسنة فى احد النظيرين تجرى مجرى السنة فى الآخر فان قالوا سلمنا البعث لكن اذا بعث الله الخلق نزل كلا منزلته فيعز من كان عزته بالاموال والاولاد ويذل من كان ذليلا بهما فقال عز وجل (من كان يريد العزة) عند الله فليتقرب الى الله (فلله العزة جميعا) يفيدها من تقرب اليه بطاعته اذ (اليه يصعد الكلم الطيب) من الشهادة والاستغفار (و) بعينه فى الصعود العمل اذ (العمل الصالح يرفعه) درجات (و) القول بان العزة عنده بالمال من مكر السيآت لا يفيد الماكر اذ (الذين يمكرون السيآت لهم عذاب شديد و) لا يضر الممكور اذ (مكر أولئك هو يبور) أى يهلك بخلاف من مكر بصاحبه ليجره الى حسنة فان مكره يفيد صاحبه تلك الحسنة وان لم يرض بها حين مكر به (و) لا يبعد على الله قلب ذلة العبادة له عزة اذ (الله خلقكم) يا أعز الخلائق من أصلين ذليلين (من تراب) صار نباتا فأكله انسان فصار دما (ثم) صار نطفة فخلقكم (من نطفة ثم جعلكم أزواجا) يرغب بعضكم فى بعض لكمال يرى فيه (و) سبب عزة العبادة وان كان خفيا وهو الاخلاص فلا يخفى على الله فغايته خفائه مثل خفاء ما فى الارحام وأخفى ما فيه وقت الحمل والوضع لكن (ما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه و) لا يخفى عليه أيضا ما تزداد به العبادة حسنا وما تنقص من المساعى الباطنة فانه كزيادة العمر ونقصانه (ما يعمر من معمر) أى ما يمد فى عمر من يصير الى الكبر (ولا ينقص من عمره) أى عمر المنقوص عمره (الا فى كتاب) هو لوح القدر التابع للقلم الاعلى التابع لعلمه (ان ذلك) وان اقتضى الاطلاع على أمور فى غاية الخفاء (على الله يسير و) لو قيل كيف يحسن عنده الافعال بالمساعى الباطنة وتقبح بها وهو متعال عن الانتفاع والتضرر فالنظر فى الحسن والقبح انما هو فى ذوات الافعال يقال هذا العمل الحسن

وممارج عليها يظهرون
أى درج عليها يعلون
واحدها معرج ومعراج
(قوله تعالى مثوى لهم) أى
منزل لهم (قوله جل وعز
معرة) أى جناية كجناية
العدو وهو الحرب ويقال
فتصيبكم منهم معرة أى
تلزمكم الديات (قوله عز
وجل معكوفا) أى محبوسا
(قوله تعالى مثلهم فى التوراة
ومثلهم فى الانجيل)

في ذاته مثل الماء الذي لا يقبح لذاته أصلا ومع ذلك (ما يستوي البحران) عند الانسان وان استويا في نفس الماء لكن (هذا) مرغوب له باعتبار ما قارنه من الصفات مثل انه (عذب فرات) يكسر العطش (سائغ شرابه) سهل انحداره (وهذا) مكروه له باعتبار ما قارنه من الصفات مثل انه (ملح اجاج) يحرق بملوحته (و) ليس بالنظر الى الفوائد اذ (من كل تأكلون لحما طريا) في مقابلة الشرب (و) تستفيدون من المالح فائدة اجل من الاكل والشرب اذ (تستخرجون حلية) أي زينة (تلبسونها) افتخارا فهذه فائدة خاصة لا يضطر اليها (و) تستفيدون منه فائدة أخرى يضطر اليها اضطرار العطشان الى الماء وهو التجارة اذ (ترى الفلك فيه مواخر) أي شاقة للماء أسهل من شق البحر العذب لثقله وهي تحمل الامتعة التي يشق حملها على ظهور الانعام في طريق البر (لتبتغوا من فضله) من الربح أو العلم الذي لا يحصل في دار الاقامة (و) انما فعل بكم ذلك (لعلكم تشكرون) فالشكر محبوب له بذاته والعبادة انما تصير شكرا وضده باعتبار تلك المساعي التي يزيدها حسنا أو قبحا ولا يبعد على الله ان يولج ذلة العذاب في عزة المال وعزة القرب من الله في ذلة العبادة فانه (يولج الليل) ظلمته (في) ضوء (النهار) فيزيده (ويولج النهار) ضوءه (في) ظلمة (الليل) فيزيدها (وسخر الشمس والقمر) والتسخير ذلة جعلها عين عزتهما باظهار أنوارهما وآثارهما (كل يجري لاجل مسمى) فاذا تم انقلبت العزة ذلة وكيف لا تكون عبادة الله عزة مع انه (ذلكم الله) المعبود المتقرب بها اليه ويتعبدكم التقرب اليه من حيث هو (ربكم) مع انه الذي (له الملك) وخدمة الملك عزة في العرف فكيف خدمة ملك الملوك (و) انما الذلة المحضة عبادة (الذين تدعون من دونه) اذ (ما يملكون من قطمير) لفافة النوى كيف وهي تذلل الماهر في غاية النقص لانهم بحيث (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) اذ لا سمع لهم (ولو سمعوا ما استجابوا لكم) لعجزهم عن الاجابة القولية والفعلية (و) ان لم تظهر ذلة عبادتهم الآن تظهر (يوم القيامة) اذ (يكفرون بشرككم) فيقولون ما رضينا به واي ذلة فوق ذلك وهذا وان لم يقع الآن فلا بد من وقوعه لان مخبرك به خبير (ولا ينبئك مثل خبير) بالبواطن التي هي المآل (يا أيها الناس) الذين ذ. واحتمال الذلة للحاجة ان لم يحصل لكم من عبادة الله عزة فلا بد لكم من فعلها اذ (أنتم الفقراء الى الله والله) تعالى وان استغنى عن عبادتكم من حيث (هو الغني) أمركم بها من حيث هو (الحميد) اذ يصير بها مشكورا محمودا وهو لحبه الحمد يحب من يحمده ويشكره بالعبادة ويبغض من يترك حمده وعبادته فان تركتم ذلك (ان يشأ) بمقتضى غضبه مع غناه عنكم (يذهبكم) فيلحقكم بالعدم الذي هو غاية الذلة (ويأت بخلق جديد) يحمدونه ويعبدونه (و) لغناه عن مباشرة الاسباب والآلات والنظر والتأمل مع اقتضاء حمده ذلك (ما ذلك على الله بعزيز) صعب (و) لا يرتفع غضبه بتحمل سببه وهو الاثم عنكم اذ (لا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل نفس آثمة اثم غيرها الا بدون دعوة (و) لا بدعوة لانه (ان تدع) نفس (مثقلة) أثقلها الاوزار (الى حملها)

أي صفة تمم (قوله تعالى مريج) أي مختلط (قوله تبارك وتعالى محروم) أي محارف وهما واحد لان المحروم الذي قد حرم الرزق فلا يتأتى له والمحارف الذي حارفه الرزق أي انحرف عنه (المسجور) من قوله والبحر المسجور أي المملوء (قوله تعالى مركوم) أي بعضه على بعض (قوله مارج) من قوله من مارج

أى حمل أوزارها (لايحمل منه شئ) أى لايحمل المدعو شيأ من أحماله المثقلة (ولو كان) المدعو (ذاقربى) أى قرابة للداعى ممن كان يتحمل منه الاثقال الدنيوية وهذا وان كان انذارا كاملا لكن (انما تنذر) مؤثرا فى (الذين يخشون ربهم) الذين فيهم من خشية شئ يتزيد ذلك الشئ بانذارك تزايد النار بالنفخ مع كون ربهم (بالغيب و) ازدادوا تأثرا اذ (أقاموا الصلوة) المفيدة للطهارة (ومن تزكى) فتزكيته وان كانت سبب ظهور الحق فيه فلا فائدة فيها للحق (فانما يتزكى) مفيدا (لنفسه) كيف (و) يكون لها (الى الله المصير) أى مصيرها بالفناء فيه أو البقاء به (و) هذه الفائدة وان لم يعرفها المحجوبون يعرفها المكاشفون اذ (مايستوى الاعمى والبصير ولا) يعرفها البصير فى كل وقت بل وقت استنارته اذ لايستوى (الظلمات ولا النور ولا) يمكنها اكتساب النور فى كل وقت بل وقت غلبة حرارة العشق عليها اذ لايستوى (الظل ولا الحرور) اذ به يحصل لها الفناء فى الله والبقاء به وهو الحياة بالله (وما يستوى الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع) هذه الاسرار (من يشاء) من أهل لطفه (وما أنت بمسمع) لها ولا لما دونها (من فى القبور) من موت الحجب الظلمانية (ان أنت) فى حقهم (الا نذير) تخوفهم بالعذاب وان كنت أعلى فى نفسك من هذه الرتبة (انا) فضلناك على الانبياء الماضين اذ (أرسلناك بالحق بشيرا) بالتجلى (ونذيرا) عن الحجب (وان من أمة الا خلا فيها نذير) عن العذاب لقصورهم عن التجلى والحجب وان حصل لبعضهم ذلك لابطريق الرسالة اذ لم تكن أحوالهم ثمرات أعمالهم بل نتائج رهبانيتهم (وان يكذبوك) فى هذه الفضيلة (فقد كذب الذين من قبلهم) من أنذرهم بالعذاب مع انهم (جاءتهم رسلهم بالبينات) العقلية (وبالزبر) المتضمنة للدلائل النقلية من الانبياء الماضين (وبالكتاب) الجامع بين العقل والنقل (المنير) بنور الكشف (ثم) بعد الزام الحجة من كل وجه (أخذت الذين كفروا) أى مضوا على كفرهم بهذه الامور فشددت الامر عليهم (فكيف كان نكير) أى انكارى على انكارهم ولو قيل كيف يكون بكلام واحد بشيرا بالتجلى ونذيرا عن الحجاب فى حق قوم مع تجرد كونه نذيرا عن العذاب فى حق آخرين يقال ان القرآن النازل من المقام الجامع للكمالات يكثر فوائده فى حق النتائج وفى حق الداعين وفى حق المستفيدين باعتبارات مختلفة (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به) لم يقل فأخرج به لئلا يتوهم كون المخرج هو الماء بسبب النزول (ثمرات مختلفا ألوانها) أجناسها وأصنافها وهيآتها من الصفرة والخضرة ونحوهما هذا باعتبار اختلاف توجيهات القرآن (و) يختلف ذلك باختلاف الدعاة الذين هم كالجبال فى الرفعة (من الجبال جدد) أى قطع (بيض) وهو مثال الصوفى الداعى بطريق المكاشفة والتزكية (و) قطع (حمر) وهو مثال المتكلم يدعو بطريق المناظرة التى تشبه المقاتلة (مختلف ألوانها) مقدارا أى تختلف مقادير بياضها وحمرتها (و) قطع (غرابيب) متحدة الالوان (سود) وهو مثال الفقهاء المتفقين فى الاخذ بطريق ظنى لايصير الى بياض اليقين (و) يختلف باختلاف المستفيدين فهم المتصرفون كالناس ومنهم

من نار مارج ههنا لهب من نار من قولك مرج الشئ النار اذا اضطرب ولم يستقر ويقال من مارج من نار أى من خلطين من النار من نوعين من النار خلطا من قولك مرجت الشيئين اذا خلطت أحدهما بالآخر (قوله عز وجل والمرجان) صغار اللؤلؤ واحدتها مرجانة (قوله مقصورات) أى مخدرات والجملة تسمى

الناقلون للروايات مع الدلائل كالدواب الحاملة للانسان ومنهم الناقلون للروايات كالانعام
الحاملة للامتعة ولكل مراتب مختلفة اذ (من الناس والدواب) الخيل والبغال والحمير
(والانعام) الابل والبقر والغنم (مختلف ألوانه) وكما يختلفون فى استفادة العلم (كذلك)
يختلفون فى استفادة داعى العمل وهو الخشية فانها بحسب العلم لانه (انما يخشى الله من
عباده) وان كان حقهم ان يخشوه جميعا بمقتضى عبوديتهم وربوبيته (العلماء) لانهم عرفوا
عزته الموجبة للخشية منه وان لم يكن له قهر وعرفوا ان له قهرا يستره (ان الله عزيز غفور)
وهذه الفوائد انما تظهر واحدة بعد أخرى على من لازم تلاوة القرآن مع اعتقاد غاية
عظمته وطالبها فى حال المشاهدة وذاكرها لاهل العلم (ان الذين يتلون) أى يواظبون على
تلاوة القرآن على اعتقاد كونه (كتاب الله) فضله على كلام الخلق كفضل الله (واقاموا
الصلوة) ليشاهدوا فيها المتكلم ليظهر لهم فوائد كلامه (وأنفقوا مما رزقناهم) من
العلوم الباطنة (سرا) لاهلها (و) من العلوم الظاهرة (علانية) لاهلها أولئك تفاض
عليهم تلك الفوائد واحدة بعد واحدة لانهم (يرجون) من الله فى هذه الاعمال (تجارة)
تفيد أرباح علوم وأعمال (لن تبور) أى ان تهلك فتخسر فلا يزال يفيض عليهم علوما
وأعمالا (ليوفيهم أجورهم) من العلوم والاعمال وما يترتب عليهما (ويزيدهم) على
أجورهم (من فضله) وان كان فيهم قصور (انه غفور) أى ساتر لقصورهم (شكور)
لاعمالهم (و) هذه الفوائد وان وجدت فى كتب الاولين فالذى فى كتابك أكمل اذ (الذى
أوحينا) من مقام عظمتنا (اليك) يا أكمل الرسل (من الكتاب) الجامع كتب
الاولين (هو الحق) المطابق للصفة الازلية اتم مطابقة ولغاية كماله كان (مصدقا لما بين
يديه) فتلك الصفة وان كانت متحدة اختلف ظهورها بحسب اختلاف الامم (ان الله بعباده
لخبير) بما فى بواطنهم (بصير) بما فى ظواهرهم فافضنا عليك تلك الفوائد (ثم) بعد ذلك
(أورثنا الكتاب) لاستفاضة تلك الفوائد الاولياء من أمتك وهم (الذين اصطفينا)
للاطلاع على أسرارنا لكونهم (من عبادنا) المنسوبين الى عظمتنا نفيض على كل واحد
منهم بحسب اختلافهم (فمنهم ظالم لنفسه) أى مبالغ فى المجاهدة على نفسه بحيث يمنعها
حقوقها فضلا عن حظوظها ليوفيها فى الآخرة (ومنهم مقتصد) يعطيها حقوقها ويمنعها
حظوظها (ومنهم سابق بالخيرات) متبع فى اعطاء الحظوظ والحقوق المصلحة لا عن رأيه
بل (باذن الله) الذى يلهمه الله تعالى (ذلك) التوريث وان كان مختلفا بحسب
اختلافهم (هو الفضل الكبير) فى تحصيله فوائد الكتاب فيطلع الاول على الحقائق والثانى
على الاخلاق والثالث على الاعمال هذا هو الاصل لكن لا يقتصرون على ذلك بل يكون
كأنه حصل الكل واحد (جنات عدن يدخلونها) ليأخذوا من ثمراتها ما شاؤا (يحلون فيها
من أساور من ذهب) من تزينهم بعلم الحقائق (ولؤلؤا) من اتصافهم بالحقائق الملكوتية
ولباسهم فيها حرير) من تخلقهم بالاخلاق الالهية وتزيينهم بزى الاعمال الصالحة (وقالوا

قوله تبارك
المقصورة (قوله تبارك
وتعالى الميمنة والمشئمة) من
اليمين والشمال ويقال
أصحاب الميمنة الذين يعطون
كتبهم بأيمانهم وأصحاب
المشئمة الذين يعطون
كتبهم بشمائلهم والعرب
تسمى اليد اليسرى الشؤمى
والجانب الايسر الاشأم
ومنه اليمن والشؤم واليمن
ما جاء عن اليمين والشؤم

الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) أى حزن الجهل بالادلة اليقينية ورفع الشبه (ان ربنا لغفور) ساتر للشبه (شكور) بافاضة الدلائل القطعية ان استفاضها بمجاهدة نفسه (الذى أحلنا دار المقامة من فضله) من غير وجوب شئ عليه بازالة الشك الذى به اضطراب القلوب (لا يمسنا فيها نصب) من تطويل المقدمات (ولا يمسنا فيها لغوب) من خفائها ويظهر لهم ذلك يوم القيامة فى الجنات المحسوسة أيضا (والذين كفروا لهم) بدل هذه الفوائد النازلة منزلة الجنات (نار جهنم) مع حرقهم بفوات تلك الفوائد وكما لا ينقطع تلك الفوائد فى حق المؤمنين المذكورين ولا ما نزل منزلتها من جنات عدن لا ينقطع بدلها فى حق الكافرين لذلك (لا يقضى) أى لا يحكم (عليهم) بالموت (فيموتوا) كما لم يخفف عليهم شبهاتهم بالدلائل القاطعة من الفوائد المذكورة (لا يخفف عنهم من عذابها) وكيف لا يكون للكافر بهذا الكتاب مع غلظ كفره هذا العذاب وقد عم الكفار اذ (كذلك نجزى كل كفور) برسول أو كتاب أو أمر مما يجب الايمان به (وهم يصطرخون فيها) بدل حمد الاولين باذهاب الحزن عنهم يقولون (ربنا أخرجنا) أى من هذه النار الجامعة للاحزان التى أوجبها أعمالنا القبيحة (نعمل صالحا) يوجب اذهابها (غير الذى كنا نعمل) على اعتقاد انه المذهب للاحزان كلها (أ) خفى عليكم كون اعمالكم موجبة للحزن (ولم نعمركم) مقدار (ما يتذكر فيه من تذكر) على تقدير الخفاء (و) لم نترككم على مجرد التذكر الذى ربما يقولون معه انه لم يفتح علينا شئ بل (جاءكم النذير) أيضا فلم تبالوا بظهوره ولم تشتغلوا بالتذكر ولم تسمعوا النذير فقد ظلمتم من هذه الوجوه (فذوقوا) لذات ما عملتم ذوقا دائما (فما للظالمين من نصير) يدفع عنهم العذاب حينا فان زعموا ان النذير لم يرفع لهم شبهة قيل لهم (ان الله عالم غيب السموات والارض) فلا يرسل من لا يقدر على حل شبهاتكم أو لا يحلها وما كان المانع لكم الشبهة بل الاستكبار فى قلوبكم (انه عليم بذات الصدور) وكيف يتصور ان يكون لهؤلاء الظالمين نصير مع عظم جرمهم اذ كفروا بمن أنعم عليهم بأجل ما يتصور من النعم اذ (هو الذى جعلكم خلائف) تتصرفون نيابة عنه (فى الارض) فانكرتم وجوده تارة وتوحيده أخرى وكذبتم رسله وآياته ثم الكفر مضر فى نفسه فاذا لم يضر الحق لتعاليه عن تأثير شئ فيه فلا بد ان يضر الكافر (فمن كفر فعليه كفره) أى ضرر كفره (و) لا يفيد محبة الله بواسطة الاصنام فانه (لا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا) أى بغضا لانهم وسطوا أعداءه المبغوضين له (و) لا ربحا دنيويا ولا أخرويا فانه (لا يزيد الكافرين كفرهم) فى الدنيا والآخرة (الا خسارا) لكن وسط الى الملك عدوه فانه لا يستفيد ربحا بل يخسر ما كان عنده فان زعموا انهم مستقلون بأنفسهم لا بطريق الوساطة (قل) الزاما لهم هذا لو كانوا خالقين للمنافع (أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) أى الذين جعلتموهم شركاء الحق مع كونهم دونه لمجرد دعوتكم لا بدليل آخر (أرونى ماذا خلقوا من) الاشياء التى فى (الارض) الهم شرك فى جملة الارض (أم لهم

شرك

ما جاء عن الشمال ومنه اليمن والشام لانهما عن يمين الكعبة وشمالها ويقال أصحاب الميمنة أصحاب اليمين أى كانوا على أنفسهم ميامين على أنفسهم وأصحاب المشأمة المشائيم على أنفسهم (قوله تعالى موضونة) أى منسوجة بعضها على بعض كما توضن الدرع بعضها على بعض

شرك فى السموات) فان زعموا ان شركهم فى السموات قيل لهم هل آتيناهم على ذلك دليلا
عقليا (أم آتيناهم كتابا) ولا يعرف كونه منا الا باعجازه أو اعجاز صاحبه (فهم على بينة
منه) لكن لم يكن من ذلك شئ (بل) غاية ما يتمسكون انه وعدهم آباؤهم على دعوتهم مع
انه (ان) أى لا (يعد الظالمون بعضهم) الآباء (بعضا) الابناء (الا) وعدا يكون
(غرورا) وكيف لا يكون وعد الخير على الشرك غرورا مع ان الشرك سبب فساد العالم
(ان الله يمسك السموات والارض) فيمنعهما من (أن تزولا) بقول المشركين الموجب
للفساد (ولئن زالتا) عن قوامهم (ان) أى ما (امسكهما) بمنع تأثير هذا السبب
(من أحد من بعده) أى من بعد غضبه الذى به يؤثر هذا السبب لكن يعارض غضبه حلمه
لا الموجب للعفو الكلى بل للستر الى يوم القيامة لبقاء التكليف (انه كان حليما غفورا
و) ربما كان مقتضى الاسمين العفو الكلى لكن غلب غضبه عليهم اذ ضموا الى كفرهم
نقض عهد الله ويمينه بالايمان وكمال الاستقامة فانهم (أقسموا بالله) فاجتهدوا فى تأكيده
(جهد) أى اجتهاد تأكيد (أيمانهم) حين سمعوا تكذيب بعض الامم رسلهم والله
(لئن جاءهم نذير) ولو دون النذر الاولى (ليكونن أهدى من) أمة هى (احدى الامم)
فى الهداية لا تساويهم الأخرى تصير ثانية لها (فلما جاءهم نذير) هو اعلى النذر (ما زادهم)
مجيئه (الا نفورا) أى تباعدا عن الهداية أكثر مما كانوا عليه قبله لا لمنفر فيه من قصور
وغيره بل (استكبارا فى الارض) أى طلب التكبر عليه لاخلاله بجاههم (و) الا (مكر
السيئ) أى تلبس الطريق السيئ فى اهلاكه واهلاك اتباعه ودينه ابقاء لجاههم (ولا يحيق
المكر السيئ) أى لا يحيط ضرره (الا باهله) فان كان الممكور به اهلا احاط به والا أحاط
بالماكر وهم يصرون على ذلك المكر بعد سماع هذا (فهل ينظرون) أى ينتظرون
(الا سنت) الله فى اهلاك (الاولين) من أهل المكر السيئ وهو من تجريب المجربات الموجبة
فى الندامة (فلن تجد لسنت الله تبديلا) بضدها (ولن تجد لسنت الله تحويلا) الى غير
اهلها الذلك حاق بهم يوم بدر (أ) ينكرون كونه سنة الله (و) كانهم (لم يسيروا
فى الارض) التى مضت فيها هذه السنة (فينظروا كيف كان عاقبة) الماكرين المكر
السيئ (الذين من قبلهم) ليقيسوا أنفسهم عليهم (و) لا يغتروا بقوتهم بالضعف بل
(كانوا) مع كمال مكرهم (أشد منهم قوة و) لو فرض انهم أقوى منهم (ما كان الله ليعجزه
من شئ) لدخوله (فى السموات ولا فى الارض) الداخلين تحت قهره ولو كانوا معجزيه
لعلم كيف يزيل قوتهم وقدر على ازالتها (انه كان عليما قديرا و) لكمال علمه وقدرته
(لو يؤاخذ الله) الآن (الناس بما كسبوا) لاخذ جميعهم مع ما خلق من أجلهم بحيث
(ما ترك على ظهرها) أى ظهر الارض (من دابة) لانه لو خص العصاة بالمؤاخذة لارتفع
التكليف (ولكن) لكونه يشبه الظلم (يؤخرهم الى أجل مسمى) فينقطع عنده
التكليف (فاذا جاء أجلهم) أخذ من يستحق المؤاخذة دون غيره بمقتضى بصارته (فان

مضاعفة وفى التفسير
أى منسوجة بالجواهر
والجواهر (قوله عز وجل
مخضود) لا شوك فيه كانه
خضد شوكه أى قطع أى
خلقته خلقة المخضود (قوله
جل وعز ماء مسكوب)
أى مصبوب سائل (قوله
جل وعز محرومون) أى
ممنوعون معنى المحروم
الممنوع من الرزق أى

الله كان بعباده بصيرا) تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة يس)

سميت به لدلالته باعتبار محملا لانه على غاية تعظيمه عليه السلام بما تقتضي الحكمة ارساله البتة وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلي بكمالاته في رسوله صلى الله عليه وسلم (الرحمن) بارساله رحمة للعالمين (الرحيم) بجعله على صراط مستقيم لم يصل اليه من قبله في الكمال (يس) أي اقسم بيدك المستولية على الكمالات الانسانية وسيادتك فيها بالطبع على سائر افراده أو بيمنك وسبقك بالفضائل أو باليقين والسير المرضية مما أنت عليه وتدعوا اليه أو بالسير والسرعة التي لك في الترقي الى مدارج الكمالات (والقرآن الحكيم) الذي به استيلاؤك على العلوم والاعمال وسيادتك على الموجودات لكونه نازلا عليك من مظاهر صفات مولاك وبه يمنك بما أوتيت من الخير الكثير وسبقك بما أفادك من القرب الى من هو صفته وبه يحصل اليقين من الحكمة النظرية والسير المرضية من الحكمة العلمية وبه التيسر والسرعة في مدارج الكمالات (انك لمن المرسلين) اذ بالرسالة يتم الاستيلاء على الكمالات الانسانية والسيادة على سائر الموجودات وبها كمال اليمن والسبق وهي المفيدة لليقين والسير المرضية على أكمل الوجوه ويتيسر لصاحبها بالسرعة ما لا يتيسر لغيره كيف وقد حصلت لك كل هذه المناقب مع كونك (على صراط مستقيم) في باب الاعتقادات والاعمال والاخلاق بالاعتدال فيها بين طرفي الافراط والتفريط على وفق الدلائل العقلية والنقلية والكشفية ولولا فيك هذه المناقب لكفى بكتابك دليلا على صحة رسالتك لانه معجز والاعجاز وان كان قهرا فلا ينافي الرحمة التي هي من لوازم الرسالة بل هو عين الرحمة على الكل ببيان كل ما يحتاج اليه فهو (تنزيل العزيز الرحيم) وأنت وان كان حقك من هذه المناقب ان تلازم قاب قوسين أو أدنى لكن نزلت الى مناسبة من أرسلت اليهم بمقتضى عزة الحق عليك ورحمته على الخلق فأنت أيضا تنزيل العزيز الرحيم وعزته وان اقتضت قهر من لم يؤمن به فرحمته تقتضي انذاره ان كان غافلا سيما اذا استمر عليهم افانما نزلك ونزل كتابك (لتنذر قوما ما أنذر) أي لم ينذر (آباؤهم) الاقربون (فهم) وان أنذر اباؤهم الابعدون (غافلون) وتكليف الغافل باطل بمنع حقية قول العذاب عليه لكنه بمقتضى العزة الذاتية (لقد حق القول) الالهي لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين لا على الكل اذ لا يبقى مقتضى الرحمة أصلا بل (على أكثرهم فهم) وان علموا القهر في المخالفة والرحمة في الموافقة (لا يؤمنون) وظهور هذه العزة فيهم لم يدفع عنهم القهر بل صار موجبا له اذ اورثهم الكبر (انا جعلنا) عليهم من الكبر ما يمنعهم التذلل للحق كانا جعلنا (في أعناقهم أغلالا) في ملتقى طرفيها حلقة فيها رأس العمود الى الذقن (فهي) واصلة (الى الاذقان) لا تخليهم يطأطئون رؤسهم (فهم مقمحون) رافعون

محرومون من الرزق (قوله عز وجل بمواقع النجوم) يعني نجوم القرآن اذا انزل ويقال يعني مساقط النجوم في المغرب (قوله مدينين) أي مجزيين ويقال مملوكين اذلاء من قولك دنت له بالطاعة (قوله مرصوص) أي لاصق بعضه ببعض (قوله لا يغادر شيئا منه شيئا) أي تعالى في مناكبها)

رؤسهم (و) هذا الرفع وان أوجب مزيد الابصار منعناهم الابصار اذ (جعلنا من بين أيديهم) بالنسبة الى النتائج (سدا) من الخيال (ومن خلفهم) بالنسبة الى المقدمات (سدا) من الوهم وهذان السدان وان كان يعارضهما نور العقل لكن غلبناهما على نوره (فأغشيناهم) أى فأحطناهم بغواشى الوهم والخيال لا بحيث يبقى لنور العقل أثر يمكن الابصار به بل بحيث طمسه عليهم (فهم لا يبصرون) بنور العقل طريق الوصول الى الله والقرب منه وان كانوا فى أبواب الدنيا أبصر (و) كما سد عليهم باب الابصار سد عليهم باب السمع فهم (سواء عليهم) انذارك وعدمه بحيث يشك فيهم بعد انذارك (أأنذرتهم) باقامة الدلائل الواضحة ورفع الشبه (أم لم تنذرهم) اذ (لا يؤمنون) بشئ من الآيات أصلا ولما استوى الانذار وعدمه فى حق من حق القول عليهم فكأنك (انما تنذر من اتبع الذكر) أى ما تذكره من غوائل الوهم والخيال وفوائد العقل (و) انما يتبعه من لا يغتر برحمة الله بل (خشى الرحمن) وان بالغ فى اظهار رحمته وأخفى قهره فجعله (بالغيب) فمن اتبع الذكر (فبشره) بعد الانذار (بمغفرة) لمن خشى الرحمن من أجله (وأجر كريم) على اجتهاده فى تجريد العقل عن الوهم والخيال بجعله تابعا للقرآن الذى هو له كنور الشمس للبصر ومما يبشر به احياؤه من موت الجهل (انا نحن) بحياة القرآن والعقل (نحيى الموتى) بموت الجهل (ونكتب ما قدموا) من اجتهادهم فى اكتساب العلم والعمل به لنجازيهم بذلك فى الآخرة (وآثارهم) التى تركوها فيمن بعدهم من تعليم ذلك أو من سنة حسنة سنوها (و) لا يعسر كتابة شئ من ذلك علينا اذ (كل شئ أحصيناه) قبل ان نكتب ما ذكرنا (فى امام مبين) هو اللوح المحفوظ (واضرب لهم مثلا) فى عدم افادة الآيات القاهرة واستواء الانذار وعدمه معها (أصحاب القرية) المعروفة بمزيد الخباثة انطاكية (اذ جاءها المرسلون) رسل عيسى عليه السلام بآياته العظام فكفروا بمن كان لا تساعه تلك الآيات (اذ) أرسل عيسى بامرنا كانا (ارسلنا اليهم اثنين) حنا وبولس أو صادقا وصدوقا يؤيد كل منهما صاحبه ويبرئان الاكمه والابرص ويحييان الموتى فسمع بهما ملك اسمه انطيخس فدعاهما وقال من انتما قالا رسولا عيسى قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال ألنا اله دون آلهتنا قالا الذى اوجدك وآلهتك فامر بحبسهما وضربهما الناس فى الطريق (فكذبوهما) تكذيبا مهينا لهما (فعززنا) أى فقوينا أمرهما تقوية متضمنة لعزتهما (بثالث) هو شمعون رأس الحواريين أو شاول دخل البلد متنكرا فعاشر حاشية الملك حتى دعاه وأنس به وأكرمه فقال للملك بلغنى انك حبست رجلين حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما فقال حال الغضب بينى وبين ذلك قال فان دعاهما الملك حتى نطلع ما عندهما فدعاهما فقال لهما من أرسلكما فقالا الله الذى خلق كل شئ ليس له شريك فقال صفاه قالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال ما آيتكما قالا ما يريد الملك فامر بغلام مطموس العينين فاخذا يدعوان الله حتى انشق موضع

جوابها (قوله تعالى ماء معين) أى جار ظاهر وقوله تعالى وكأس من معين أى من خمر يجرى من العيون (قوله جل وعز ممنون) أى مقطوع (قوله جل وعز مفتون) يعنى من الفتنة كما تقول ليس له معقول أى عقل وقوله تعالى بأيكم المفتون أى بأيكم الفتنة ويقال معناه أيكم المفتون

البصر فأخذ بندقتين فوضعهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك فقال للملك ان سألت آلهتك ان تصنع مثل هذا كان لك ولآلهتك الشرف فقال ليس لي عنك سر مكتوم ان آلهتنا لا تبصر ولا تسمع ولا تنفع ولا تضر ثم قال له قل للرسولين ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا بكما وأتوا بميت قد مات منذ سبعة أيام فجعلا يدعوان ربهما فقام الميت وقال ادخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم عليه فاجمعوا على قتل الرسل (فقالوا انا اليكم مرسلون) والرسل لا تقتل (قالوا) انما لا يقتل من صحت رسالته لكن (ما أنتم الا بشر) والرسول انما يكون ملكا وأنتم مع هذه الآيات (مثلنا) في عدم الوصول الى الله تعالى والتكلم معه (وما أنزل الرحمن من شئ) لانه انما ينزل ليكون حجة له على التعذيب وهو ينافي رحمانيته فعلم انه (ان) أي ما (أنتم الا تكذبون) على الله فانتم أولى بالقتل (قالوا) لو لم نكن رسلا لم يصدقنا الله بآياته اذ (ربنا يعلم) ان اظهار المعجزة تصديق وتصديق الكاذب يتضمن تلبيسا عاما يفضي الى الاضلال العام فلا يتصور من الحكيم بالضرورة (انا اليكم لمرسلون و) لا يلزمنا اسماع كلام الملائكة ولا اراءتهم اياكم (ما علينا الا البلاغ المبين) باقامة الحجج ورفع الشبه (قالوا) عارض دلالة المعجزات التشاؤم الدال على خبثكم المنافي للرسالة (انا تطيرنا) أي تشاءمنا (بكم) وذلك عندما حبس عنهم المطر (لئن لم تنتهوا) عن دعوى الرسالة بعد ظهور خبثكم (لنرجمنكم) أي لنرمينكم بالحجارة وهو أشد من القتل (وليمسنكم منا عذاب أليم) كالمثلة قبل ان يمسنا منكم ما نعده وتشابه (قالوا طائركم) ليس من خبثنا بل من التكذيب الذي (معكم أ) ترون التشاؤم منا بل من المكروه الذي يصيبكم من تكذيبكم للمذكر (ان ذكرتم) لا تشؤم منا (بل) منكم اذ (أنتم قوم مسرفون) في الكفر والمعاصي كيف ولم يكن من أهل قريتهم من يدفع الشؤم عنهم بالدعوة الى الايمان ولا عن الرسل القتل والرجم والعذاب الاليم (و) انما (جاء من أقصى) أي من أطراف (المدينة رجل) كامل هو حبيب النجار وكان قد لقي الرسولين فسلما عليه فقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه السلام ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص فجاء بابنه المريض منذ سنين فمسحاه فقام في الوقت (يسعى) لدفع القتل والرجم والعذاب عن الرسل والشؤم عن القوم بالدعوة الى الايمان (قال يا قوم) اقول لكم من شفقتي عليكم (اتبعوا المرسلين) الذين بعثهم الله تعالى للاتباع في طريق الوصول اليه (اتبعوا من لا يسئلكم) في ايصالكم الى ربكم (أجرا) ينقص شيأ من دنياكم (و) يرجون كم الهداية اذ (هم مهتدون) في طريق الوصول الى الله تعالى لكمال معرفتهم وعملهم وأخلاقهم وأحوالهم ومقاماتهم (ومالي) أي وأي شبهة عرضت لي في هدايتهم من أجلها (لا أعبد) من يدعون الى عبادته مع أنه (الذي فطرني) وهو يقتضي شكره بالعبادة وان فرض ان لا رجوع اليه (و) لو لم تعبدوه شكرا على الفطرة فاعبدوه خوف النقمة اذ (اليه

ترجعون

والباء زائدة [illegible] تضرب بالسيف وترجو بالفرج (قوله أي وترجو الفرج) (قوله فلا تدعوا مع الله أحدا) قيل المساجد لله جل وعز المساجد المعروفة التي هي يصلي فيها فلا تعبدوا فيها صنما وقيل المساجد مواضع السجود من الانسان الجبهة والانف واليدان

ترجعون) وأى شبهة لى فى ترك عبادة الاصنام الذين تدعون الى عبادتهم (أأتخذ من
دونه) أى مع علمى بكونهم دون الفاطر المرجوع اليه (آلهة) ليس لهم رد مراده
بشفاعة فانه (ان يردن الرحمن بضر) فلم يدخلنى فى عموم رحمته ففرض شفاعتهم عنده
لدفعه (لا تغن) أى لا تدفع (عنى شفاعتهم شيأ) من ذلك الضرر (ولا ينقذون) أصلا
من ضره بقوتهم من غير حاجة الى الشفاعة (انى اذا) أى اذا اتخذت من دونه آلهة مع
علمى بأن الدون لا يستحق الالهية ولا يقبل شفاعته عند جزم الحق ارادة الضرر ولا قدرة له
على الانقاذ (لفى ضلال مبين) فانى يتصور فيه الهداية حتى يبقى بها هدايتهم ولا أنصحكم على
خلاف ما أنا عليه (انى آمنت بربكم فاسمعون) فقتلوه فلم يتألم بقتلهم اذ (قيل) له قبل
ان يموت (ادخل الجنة) لذلك لم تذهب شفقته على قاتليه حتى (قال يا) ايها المتمنى تعال
(ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى) عما سلف من الكفر والمعاصى لايمانى به فيؤمنوا فيغفر
لهم (و) هم وان تركوا ذلك خوف المهانة بين قومهم فلينظروا الى اكرام ربهم اياى اذ
(جعلنى من المكرمين) اذ قربنى من حضرته (و) عجلنا له متمناه من علم القوم بما غفر له ربه
وأكرمه لانا (ما أنزلنا على قومه من بعده) لئلا يدخل فيهم أولا (من جند) يهلك
واحدا بعد واحد ولم نجعل سبب اهلاكهم (من السماء) اشعارا بقرب المهلك وانما
توقف علمهم على اهلاكهم لامتناع كونه على السنة الرسل اذ لا يؤمنون بهم (وما كنا منزلين)
أى لم يكن عادتنا انزال الجند من السماء لاهلاك الاقوام وانما أنزلناه حيث أنزلنا التشريف
المنصور وابشاره واطمئنان قلبه (ان كانت) أى ما كانت الخصلة المؤثرة فى اهلاكهم
(الا صيحة واحدة) يظهر بها كمال القدرة فى القهر (فاذا هم خامدون) بمرة من غير
تطويل فى نزع الروح ثم ان حصول متمناه باعلامهم لم يحصل لهم ضررا وانما حصل لهم
حسرة حتى قيل (يا حسرة) اذهبى فاستولى (على العباد) الذين تركوا العبودية التى
خلقوا من أجلها واستهزؤا بكل عزيز دعاهم اليها لانهم (ما يأتيهم من رسول) فذل عندهم
لاتيانه اليهم ولو رأوه فى مكانه لالتجؤا الى الايمان به (الا كانوا به يستهزؤن) فاتخذوه
عادة فيتحسرون باستهزاء الله وملائكته بهم أبدا (ألم يروا) أى ألم يعلم المستهزؤن بالخبر
المتواتر النازل منزلة الرؤية (كم) أى كثيرا (أهلكنا) بالقهر المنسوب الى عظمتنا
لاستهزائهم بالرسل (قبلهم من القرون) حتى كانت سنة مستمرة لنا يعتبر بها أيرون (أنهم
اليهم) الى حالهم (لا يرجعون و) ان تركوا فلا شك انهم يجتمعون للحضور عنده (ان)
أى ان الشأن (كل) من هؤلاء المتفرقين (لما) ما صلة اللام المؤكدة الداخلة على خبر
الجملة الواقعة خبر ان ان قرئ بالتخفيف وان على هذا مخففة (جميع) أى مجموعون اذ
(لدينا محضرون) وان قرئ لما بالتشديد فهو بمعنى الا وان نافية ولا يفعل فى حق مجرم عذابا
يتركه فى حق غيره من غير ان يعفو عنه لكن ليس أهل الاستهزاء باهل العفو الا ان يتوبوا قبل
ان يتمكن منهم (وآية لهم) تدل على حضور الجميع عند الله وعلى جزاء الاعمال والاخلاق

وللمركبتان والرجلان
واحدها مسجد (قوله جل
وعز المشارق والمغارب)
هى مشارق الصيف
والشتاء ومغاربهما وانما
جمع لاختلاف مشرق كل
يوم ومغربه (قوله جل
وعز معاذيره) أى ما اعتذر
به ويقال المعاذير الستور
واحدها معذار (الموؤدة
سئلت) البنت تدفن حية

والاعتقادات (الارض الميتة أحييناها) لتدل على احياء الميت (وأخرجنا منها حبا) ليدل على خروج حبات مازرع من الاعمال وهي وان لم تكن مأ كولة (فمنه يأ كلون) هنالك (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب) لتدل على نخيل الاخلاق وأعنابها من تعديل القوة الحكمية والشهوية والغضبية (وفجرنا فيها من العيون) ليدل على تفجير عيون المعارف والاعتقادات (ليأ كلوا من ثمره) أى ثمر الله الذى يوجده لهم (وما عملته أيديهم) من ذلك الثمر مثل العصير والدبس ليدل على مايحصل لهم من ثمرات ذلك ومايعملون فى تلك الثمرات من الاعمال المكملة لها فيجازون على جميع ذلك (أ) يبصرون فى هذه النعم آيات الجزاء فمن شكر المنعم بعبادته (فلا يشكرون) واقل وجوه الشكر اعتقاد تنزيه الحق عن مشاركة المخلوقين بالاستدلال عليه بايقاع التباين بين جميعها (سبحان الذى خلق الازواج) أى الاصناف المتقابلة (كلها) لئلا يخلو شئ منها عن مباين ليدل على تباين ذاته للكل من كل وجه لعموم التباين الكلى (مما تنبت الارض) من الامور الكائنة الفاسدة (ومن أنفسهم) التى لا تقبل الفساد (ومما لا يعلمون) من الخواص الشريفة التى لا يبلغها علمهم فانها متخالفة بالنوع اذ لا مادة لها فيفرض لها الاعراض المميزة ولا تركيب فيكون فيها الاجناس والفصول (وآية لهم) على ان فى الاعتقادات والاخلاق والاعمال هذه الفوائد تنكشف عليهم تارة بالبيان وتارة بوجه آخر ثم يستر عليهم (الليل) الساتر للاشياء الظاهرة بالوجود (نسلخ) أى نخرج (منه النهار) اخراج الشاة من جلدها وهو مثال البيان المخرج عن جلد الحجاب الظلمانى ثم يعود ستر الليل (فاذا هم مظلمون) فكذا اظلام الحجاب بعد كشفه بالبيان ولا يبعد ان تختلف الاشياء على الروح ظهورا وخفاء فانه كالشمس (والشمس تجرى) فى البروج (لمستقر) أى للوصول الى غاية (لها) فيكون لها فى كل برج خاصية كذلك يكون للروح خاصية ينكشف بها بعض الاشياء فى الدنيا وبعضها فى البرزخ وبعضها فى القيامة ويستقر فيما ينكشف له هنالك ولا اختيار له فى ذلك اذ (ذلك تقدير العزيز) أى الغالب عليها (العليم) بما فيها بالقوة فيخرجها الى الفعل ولا يبعد أن يختلف أحوال الاعتقادات والاخلاق والاعمال فى الاستنارة بنور الروح فانها كالقمر (والقمر قدرناه منازل) يستزيد فى بعضها النور ثم ينقص (حتى عاد) أى صار (كالعرجون القديم) كالشمراخ المعوج كذلك تختلف أنوار هذه الاشياء زيادة ونقصا بحسب الاماكن من الدنيا والبرزخ والقيامة فيزيد البعض نورا وينقص البعض وليس للروح ادراك كمال هذه الاشياء بكل حال كما انه (لا الشمس ينبغى لها) لبطء سيرها (أن تدرك القمر) بكل حال مع سرعة سيره (ولا الليل) لستره ضوء النهار وتعقيبه اياه (سابق النهار) بحيث يفوته ولكن يعاقبه (و) ليس للعجب منع ادراكها اذ الكل سائر الى الله كما انه (كل) من الشمس والقمر (فى فلك يسبحون) أى يسيرون بتبعية حواملها التى فى ثخن الافلاك الممثلة فلا بد من اجتماعها فى وقت من الاوقات (وآية لهم) على تسييرنا اعتقاداتهم

واخلاقهم

(قوله جل وعز من قوم) اى مكتوب (قوله عز وجل مبثوثة) أى متفرقة فى كل مجالسهم (قوله مسغبة) أى مجاعة (قوله مقربة) أى قرابة (قوله جل وعز متربة) أى فقر كانه قد لصق بالتراب من الفقر (قوله تعالى مرحمة) أى رحمة (قوله الماعون) فى الجاهلية كل عطية ومنفعة والماعون

وأخلاقهم وأعمالهم معهم فى سفرهم الى الآخرة رضوا أو كرهوا (انا حملنا ذريتهم) معهم
وان كرهوا حملهم (فى الفلك المشحون) أى المملوء والقبر لهم بمنزلة الفلك (و) من لا قبر له
ينزل مكانه منزلة القبر لذلك (خلقنا لهم من مثله) أى مثل الفلك (ما يركبون) عليه فى البر
مثل الفرس والجمل (و) لا يدل هذا التسيير على وصول المذكورات بالسلامة الى الآخرة بل
هو على وفق هذا المثال (ان نشأ نغرقهم) بالارتداد والرياء والعجب (فلا صريخ لهم)
وان كان قد يوجد عند غرق الفلك المحسوس (ولاهم ينقذون) بالخروج عن الغرق وان
كان قد ينقذ الغريق بالوصول الى الساحل أو الى سفينة أخرى (الا رحمة منا) بالتوفيق
للايمان بعد الارتداد فان صاحبه ينقذ فى الدارين ان كان من قلبه (و) الا كان انقاذه
(متاعا الى حين) وهو الموت (واذا قيل لهم) أى لمنكرى البعث ان لم تؤمنوا به من
هذه الدلائل فالواجب على العاقل ان يكون حذرا حذر راكب السفينة (اتقوا ما بين
أيديكم) من عذاب الآخرة اذ لا دليل على انتفائه (وما خلفكم) من غرور الدنيا فلا
تضيعوا لها الآخرة ولا تحملوا لها ما أمكن من عذاب الابد (لعلكم ترحمون) فى الدنيا
بجزم الاعتقاد وفى الآخرة بالنجاة وفوز الدرجات أعرضوا عن هذا القول اعراضهم عن
الآيات (و) ذلك لان من عادتهم انهم (ما تأتيهم من آية) علموا انها (من آيات ربهم) الذى
رباهم بالنعم ولا يبعد أن يربيهم بالآيات فان أعرضوا انتقم منهم حسبما أنعم عليهم (الا
كانوا عنها معرضين و) لا يخصون اعراضهم بما لا يوافق رأيهم بل يعرضون عما اتفقوا
عليه مع زيادة الكفر والاستهزاء فانهم (اذا قيل لهم انفقوا) فى سبيل الله على الفقراء
(مما رزقكم الله) أى ملككم فاضلا عن حاجتكم (قال الذين كفروا) بأمر الله
وقدرته وابتلائه وثواب الصدقة (للذين آمنوا) فاحالوا الامور على مشيئة الله وانه يأمر
بما يشاء ويثبت على ما يشاء ويبتلى كيف يشاء (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) فاذا
أعطيتموهم بعد ما حرمهم الله فقد خالفتم الله وعارضتم ارادته بارادتكم وادعيتم انكم أجود
من الله (ان أنتم الا فى ضلال مبين) وهذا من كفرهم بأمر الله وبأن أفعال الحيوانات تابعة
لاراداتهم التابعة لاهويتهم التى خلقها فيهم بحسب استعداداتهم وان العبد كيف يكون
أجود من الله مع انه طالب عوض من مدح أو ثواب ولا يعطى مالم يلق فى قلبه الاعطاء فهو
المعطى بالحقيقة وهو مسخر له (و) اذا قيل لهم انما لم يطعمهم الله ابتداء لانه أفقرهم وأغناكم
ابتلاء لكم هل تطعمونهم فيثيبكم على احيائهم أولا فيعاقبكم على اماتتهم (يقولون متى هذا
الوعد) الذى لاجله الاتقاء والانفاق بينوا لنا وقته (ان كنتم صادقين) واذا لم يصدقوهم
فى أصل الوعد بعد اقامة الدلائل لا يصدقونهم فى وقته ولا فى أصله من أجل ما لم يروه فهم
(ما ينظرون) أى ما ينتظرون الايمان به (الا صيحة واحدة) هى النفخة الاولى لكونها
مقدمة قريبة لها لانها (تأخذهم) أى تأخذ من فى المشرق والمغرب (و) الايمان لا ينفع
مع المقدمات البعيدة كطلوع الشمس من المغرب فكيف مع المقدمة القريبة سيما ولا شعور

فى الاسلام الزكاة
وقيل هو ما ينتفع به المسلم
من أخيه كالعارية والاغاثة
ونحو ذلك قال الفراء
وسمعت بعض العرب يقول
الماعون الماء وأنشد
يمج صبيره الماعون صبا
الصبير السحاب (قوله تعالى
مسد) قيل هو السلسلة التى
ذكرها الله فى الحاقة تدخل
فى فيه وتخرج من دبره

لهم بجميعها اذ (هم) حينئذ (يخصمون) أى يتكلمون فى المعاملات الدنيوية ولو وقع فلا يمكنهم
اذ يسرع تأثيرها فيهم (فلا يستطيعون توصية) اذ بقى لهم قريب أو صاحب كيف
(ولا الى أهلهم يرجعون) بالمكالمة (و) كيف ينفع الايمان مع هذه المقدمة مع انها كنفس
ماهى مقدمته وهو البعث لوقوعه حين (نفخ فى الصور) فهو كما يقبض الارواح بمرة يردها
الى الاجساد ايضا بمرة (فاذا هم من الاجداث) أى القبور (الى ربهم ينسلون) أى
يسرعون فيكاشفون عنه كشفا تاما فكيف يقبل الايمان به حينئذ ولا يمكنهم الايمان قبل
الوصول اليه ولا بين النفختين اذ يكونون بين النفختين فى غاية التجرد فيكونون كالراقدين
وبعد البعث لا يعرفونه حتى تبين لهم لذلك (قالوا يا ويلنا) تعال الينا فبين لنا (من بعثنا
من مرقدنا) فكيف يتصور منهم الايمان حال الرقود أو حال اليقظة من غير ان يعلموا انه
البعث حتى يقال (هذا ما وعد الرحمن) على السنة رسله بمقتضى عموم رحمته لايقاظ عباده
ليستعدوا له فاذا أعرضوا عنه أخرجهم من عموم رحمته (وصدق المرسلون) فى تبليغ
وعده فلم يعلموا اصدقهم الى الآن فكيف يأتى منهم الايمان بهم حينئذ ولا بعد ما قيل لهم لانه
وجب الحضور عند ربهم لانه (ان) أى ما (كانت) مدة البعث والنسل والحضور (الا)
مدة تسع (صيحة واحدة فاذا هم جميع) أى وان كانوا متفرقين فى اطراف الارض (لدينا)
أى فى مكان يسمعون فيه كلامنا (محضرون) فلم يقع بين النفخة والحضور زمان يعتد به
حتى كأن ما وقع بينهما من قولهم يا ويلنا ومن النسل الى الله لم يكن ولا ينافى ذلك ما ورد من
انشقاق الارض لبعضهم قبل بعض لانه لنبت الاجساد والنفخ لايصال الارواح الى الاجساد
ولا ينافيه اتيانهم أفواجا لانه ليس معناه اتيان فوج عقيب آخر بل اتصاف كل فرقة بهيئة
خاصة والاسراع بالصيحة الواحدة وان أشعر بغاية الغضب (فاليوم) لكونه يوم الحضور
عند أعدل الحكام (لا تظلم نفس) وان اشتد غضب الله عليها (شيأ) والاحباط ليس بظلم
لانه بسبب ما عمل من المحبط (و) أنتم وان عذبتم بتلك الشدائد (لا تجزون الا ما كنتم تعملون)
ولو قيل رؤية أصحاب الجنة آلام أقاربهم وأحبابهم تؤلمهم ظلم يقال (ان أصحاب الجنة
اليوم) الذى حضروا فيه عند محبوبهم (فى شغل) عن أقاربهم وأحبابهم وكفى بهم شغلا
أنهم (فاكهون) أى متلذذون بحضورهم عند محبوبهم وباكرامه اياهم حيث وقاهم حر
الشمس فى المحشر اذ (هم وأزواجهم) بتبعيتهم وان لم يبلغن بانفسهن حد كرامتهم (فى
ظلال) من العرش من غير نصب بالقيام بل مع كونهم فى حضرته (على الارائك متكؤن)
ومن كراماتهم انهم قبل دخول الجنة (لهم فيها) أى فى تلك الظلال (فاكهة) كقربى
الملوك فى حضرتهم (و) لا يعلون بخدمتهم اذ (لهم ما يدعون) أى يشتهون وبالجملة لا يؤذيهم
شئ بعد ان يشرف عليهم ربهم فيقول (سلام) عليكم يا أهل الجنة فيسمعونه (قولا) أزليا
(من رب) رباهم باسماع كلامه النفسى ليرحمهم بكل رحمة خاصة من اتصافه بوصف (رحيم
و) لو لم يكن لهم عنهم شاغل لم يتألموا برؤية آلامهم أيضا اذ قيل لهم (امتازوا اليوم) الموضوع

و يلوى سائرها على جسده
وقيل المسد ليف المقل
وقيل المسد حبال من
ضروب من أوبار الابل
وقيل المسد الحبل المحكم
فتلا من أى شئ كان تقول
مسدت الحبل اذا أحكمت
فتله ويقال امرأة ممسودة
اذا كانت ملتفة الخلق
ليس فى خلقها اضطراب

(باب الميم المضمومة)

لتمييز

لتمييز المجرم من المؤمن (أيها المجرمون) فلا تخالطوا أهل الجنة لتتنعموا بجوارهم أو يتأذوا بمجاورتكم على ان مخالطة أهل الكرامة لاهل الذلة ذلة لاهل الكرامة وكرامة لاهل الذلة وقد امتازوا عن معبودكم عن معبودهم وقد اخترتموه مع ظهور عداوته على من كان منه جميع النعم مع نهيه عنه على سبيل المبالغة (ألم أعهد اليكم يا بني آدم) الذي عاداه الشيطان وعادى من أجله ربه (أن لا تعبدوا الشيطان انه) لم ينقطع عداوته بانقطاع آدم بل هو (لكم عدو مبين) عبدتموه أو لم تعبدوه يأمركم بانكار الله وانكار معاده وجزائه وانكار النبوة واليوم الآخر وباقرار الهية الاصنام ويعدكم الثواب عليها (و) لم تضطروا الى عبادته بأن نهيتكم عن عبادته بل عهدت اليكم (أن اعبدوني) لما لم أزل عليكم منعما بأنواع النعم (هذا) أي ترك عبادة الشيطان واختيار عبادة الرحمن (صراط مستقيم) بين الافراط بعبادة الغير والتفريط بترك عبادة الحق ولا يخاف في المستقيم الضلال (و) كيف خفيت عليكم عداوته مع انه (لقد أضل منكم جبلا) أي خلقا (كثيرا) لان كل فرقة تعتقد ان مذهبها هو الرشد وان ما عداه هو الضلال ولا سبب له سوى الشيطان (أ) عبدتموه بعد هذا العهد مع هذه العداوة والاضلال (فلم تكونوا تعقلون) كيف وقد اوعدناكم عليه جهنم فان لم تكونوا تعقلونها في الدنيا فأبصروها اليوم (هذه جهنم التي كنتم توعدون) على عبادة الشيطان وترك عبادة الرحمن واختيار الضلال (اصلوها) أي ادركوا آلامها (اليوم) قبل دخولها (بما كنتم تكفرون) بها وبعبادة الشيطان وانكار الرحمن وليس هذا دعوى بلا بينة أو بينة يتوهم فيها الكذب بل بشهادة بعض أجزاء المدعى عليه اذ (اليوم) الذي هو يوم العدل والحكم بمجرد الدعوى أو بينة يتوهم فيها الكذب ظلم (نختم على أفواههم) لئلا يعارض قول اللسان قول سائر الاعضاء (وتكلمنا أيديهم) فتقر بما عملت (وتشهد أرجلهم) على فعل الايدي (بما كانوا يكسبون ولو نشاء) ترك تعذيبهم على الاعتقادات والاعمال الباطنة (لطمسنا على أعينهم) أي أعين عقولهم (فاستبقوا الصراط) أي تركوه سابقا عليهم لا يمكنهم قطعه فان قطعوه (فأنى يبصرون) مقصدهم ليفوزوا بفوائده (ولو نشاء) ترك تعذيبهم على الافعال الظاهرة (لمسخناهم) أي اقلبنا أجسادهم جمادات مع بقائهم (على مكانتهم) أي مرتبتهم في العقل لكن لا يبقى لجوارحهم حركة (فما استطاعوا مضيا) في أوامرنا (ولا يرجعون) عن نواهينا (و) ربما يكتفي بأقل من ذلك بان نعمره فان (من نعمره) أي من نطول عمره (ننكسه) أي نذلله (في الخلق) بنقص عقله وضعف أفعاله (أ) يريدون ذلك التذلل لترك التعذيب (فلا يعقلون) وان زعموا ان هذه الدلائل من القياس الشعري المركب من المقدمات التخييلية المؤثرة في النفس تنفيرا وترغيبا على خلاف مقتضى الحقائق يقال (وما علمناه الشعر) أي القياس الشعري (وما ينبغي له) أي وما يليق بحاله ورتبة كماله (ان هو) أي ليس ما نزل عليه (الا ذكر) أي كلام شريف يرفع ذكره ويعرف صدقه بأدنى التذكر لكونه من

(قوله عز وجل المؤمن) هو المصدق والله جل وعز مؤمن أي مصدق ما وعد به ويكون من الامان اي لا يأمن الامن آمنه (قوله جل وعز المفلحون) الفلاح هو البقاء والظفر أيضا ثم قيل لكل من عقل وحزم وتكاملت فيه خلال الخير قد أفلح (وقوله أو يقين هم المفلحون) أي الظافرون بما طلبوا والباقون في الجنة

المقدمات التي تشبه الاولية (وقرآن) جامع بين اقامة الدلائل ورفع الشبه (مبين) لكل ما يحتاج اليه في الدين بطريق معجز (لينذر من كان حيا) كاملا في القوة النظرية والعملية (ويحق القول) أي ويلزم الحجة الموجبة للعذاب (على الكافرين أ) يريدون بالكفر بذلك القول ان يخرجوا عن التكليف الانساني الى الشهوة الحيوانية وهو خروج عن المالكية الى المملوكية (و) كانهم (لم يروا انا خلقنا لهم) لا من كسب أيديهم بل (مما عملت أيدينا) أي قدرتنا وارادتنا وأمرنا ولا دخل لهم في تحصيله أصلا (أنعاما فهم لها مالكون) يتصرفون فيها بالبيع والشراء لاجل انسانيتهم فاذا صاروا الى شهواتهم وتركوا لها الانسانية صاروا مملوكين لشهواتهم وادنى من مملوكية الحيوان لان الشهوات عملت فيهم حيوانيتهم (و) انما كانت مملوكة لهم لانا (ذللناها لهم) وان كانت أقوى منهم فينبغي لهم أن يذللوا شهواتهم لعقولهم فبذلك يتم الانتفاع بها كما أن بتذليل الحيوانات يتم الانتفاع بها (فمنها ركوبهم) أي مركوبهم (ومنها يأكلون) كذلك يحصل من تسخير الشهوية للعقلية أمر المعاد والمعاش اذ بها تصير النفس مركوبة للناطقة في العمل الذي به التزود للمعاد والسفر اليه (و) في تذليل الشهوية للعقلية منافع من العلوم والاخلاق ومشارب من الاحوال والمعارف كما ان (لهم فيها منافع) كحمل الاثقال وقص الصوف والاوبار (ومشارب) من اللبن والسمن (أ) يعكسون الامر في تسخير العقلية والشهوية (فلا يشكرون) بصرف نعمة العقلية والشهوية لما خلقناه له (و) لتذليلهم العقلية صاروا في الالهيات التي خلق للوصول اليها العقل من الحماقة الى حيث (اتخذوا من دون الله) مع ان العقل لو بقي بحاله لمنع من اتخاذ الادنى الها (آلهة) متعددة مع ان العقل لو صرف مصرفه منع من تعددهم (لعلهم ينصرون) بهم على أعدائهم مع دلالة صريح العقل على انهم (لا يستطيعون) أن يحصلوا (نصرهم) استقلالا ولا شفاعة (و) لو وقعوا منهم ذلك في الآخرة (هم) في العداوة يوم القيامة (لهم جند) يهلكونهم أهلاك الجند (محضرون) معهم في النار يصيرون وقودها لهم وجند العدو قد يفارقون واذ بلغوا من الحماقة الى هذا الحد (فلا يحزنك قولهم) فيك من كونك مجنونا اذ تعدهم بالبعث بعد الموت (انا نعلم ما يسرون) من ايثار شهواتهم على أعمال الآخرة (وما يعلنون) من التفضيل عليك (أ) يتفضلون عليك بانكار البعث عن شبهة امتناع خلق حيوان من جماد (ولم ير الانسان) المدعى كمال العقل الموجب قياس المعاد على المبدا (انا خلقناه من نطفة) هي جماد (فاذا هو) حيوان بل انسان كامل اذ هو (خصيم) يتكلم بكل ما يجر نفعا او يدفع ضرا (مبين) للامور الخفية من كمال عقله (و) بعد تكميلنا اياه بهذا الفضل (ضرب لنا مثلا) بالناقصين العاجزين (ونسي خلقه) الاول الذي يقاس عليه المعاد (قال من يحيي العظام) أي يقدر على احيائها (وهي رميم) أي بالية (قل) لا تقاس قدرة الخالق على قدرة المخلوقين وانما تقاس اعادته على ابدائه (يحييها الذي أنشأها أول مرة و) لا يمتنع

عليه

...جل وعز مستهزئون)
...اخرون الله يستهزئ
...م أي يجازيهم جزاء
...هزائهم (قوله جل وعز
...ابها) أي يشبه بعضه
...اني الجودة والحسن
...ال يشبه بعضه بعضا
...لصورة ويختلف في
...م (وقوله تعالى كتابا
...ابها) يشبه بعضه بعضا
...صدق بعضه بعضا
يختلف ولا يتناقض

عليه جمع الاجزاء بعد تفرقها اذ لا مانع منه سوى الجهل (هو بكل خلق عليم) ولا يمتنع عليه اعادة المزاج الذى به تعلق الروح بعد انعدامه بالكلية اذ هو (الذى) يبدل مزاج الشجر بمزاج النار اذ (جعل لكم من الشجر الاخضر) البارد الرطب (نارا) حارة يابسة لا فى مجرد التأثير كالادوية بل فى الظاهر أيضا (فاذا أنتم منه توقدون) تنكرون قدرته على بعثهم (و) تعتقدون انه (ليس الذى خلق السموات والارض) فقدر على هذه الاجرام الكبار مع ما فيها من العجائب الفائتة للحصر (بقادر على أن يخلق مثلهم) ثانيا بعد ما خلقهم أولا (بلى) هو القادر (وهو الخلاق) مرة بعد أخرى بحسب مقتضى علمه الكامل اذ هو (العليم) فلا يبعد الاشياء مرارا كثيرة لئلا يلجئ الى الايمان وليس ذلك لصعوبة أمر الاعادة عليه وكيف يصعب عليه مع انه بمجرد أمره (انما أمره) أى شأنه (اذا أراد شيأ) أى اذا تعلقت ارادته بايجاد شئ (أن يقول له كن) أى ان يتعلق به كلامه الازلى من جهة تكوينه (فيكون) أى فيوجد عن أمره (فسبحان) أى تنزه عن العجز تنزها تاما (الذى بيده) أى فى سلطنته (ملكوت) أى حقيقة (كل شئ) لا يمكنها مخالفة أمره (و) لا يخرج عن يده شئ بايجاد ولا باعدام بل (اليه ترجعون) فى الايجاد الى اسمه الظاهر وفى الاعدام الى اسمه الباطن * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الصافات)

سميت بها لاشتمال الآية التى هى فيها على صفات للملائكة تنفى الهية الملائكة من الجهات الموهمة لها فيهم فينتفى بذلك الهية ما دونهم فيدل على توحيد الله وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بالتجلى الشهودى بكمالاته الملائكته حتى صفوا له بعبادته صفا (الرحمن) بجعله بعضها زاجرات للاجرام العلوية والسفلية تكميلا للمواد باخراج ما فيها بالقوة الى الفعل (الرحيم) بجعله بعضها تاليات لذكره تكميلا للانسان بما يفيد قربه من حضرته (والصافات) أى الملائكة الصافات فى عبادة الله (صفا) يراعون فيه آداب حضرته رعاية العبيد حضرة الملوك (فالزاجرات) أى الملائكة التى تزجر الاجرام العلوية والسفلية (زجرا) تحركها بالتدبير المأمور فيها (فالتاليات) أى الملائكة التى تنزل على الانبياء فتتلو عليهم من الله (ذكرا) انها ليست بآلهة لانها اما من جهة القرب وهى جهة الاصطفاف الدال على كمال العبودية أو من جهة التأثير وهى جهة الزجر الذى كثيرا ما يكون لمن لا يعظم أو من جهة الارشاد وهى جهة الرسالة فاقسم بالملائكة باعتبار هذه الصفات الدالة على عدم صلوحها للالهية وعلى توحيد الله تعالى (ان الهكم لواحد) فهو (رب السموات والارض) وان كانتا مساكن هؤلاء (وما بينهما) وان كان محل تصرف هؤلاء الملائكة لانه اذا لم يكن لهم محل التصرف الاول فمحل التصرف بالواسطة أولى أن لا يكون لهم (ورب المشارق) فلا يربها الكواكب لان أولى الاوقات بربوبيتها وقت ابتهاجها وهو زمن لطيف والالهية تجب

(قوله جل اسمه مطهرة) يعنى عما فى نساء الآدميين من الحل والحيض والغائط والبول ونحو ذلك ومطهرات خلقا وخلقا محببات محببات (قوله جل وعز عز جزحه) أى بمعده (قوله تعالى مخلصون) الاخلاص لله عز وجل أن يكون العبد بقصد بنيته وعمله الى خالقه

أن تكون دائمة ويكون فيها كواكب أثر والالهية يجب أن لا تنتقل ولم يذكر المغارب لانها
أبعد من توهم الالهية فيها الدناءة ما فيها وكيف تكون الكواكب آلهة السماء وهي زينتها
(انا زينا السماء) ولا يقتضي ذلك ركوزها فيها بل يكفي اضاءتها لها ووصف السماء بقوله
(الدنيا) ليدل على انها زينة شيء دنيء (بزينة الكواكب) وزينة الشيء لا تكون به بل
كثيرا ما تكون مربوبه (و) حفظناها بها ولم يذكره للاشعار بأنه لا يحتاج اليها في الحفظ
لكن جرت سنته بأن لا يفعل شيأ الا بسبب (حفظا) وحافظ دار الملك لا يكون ملكا (من)
وصول (كل شيطان مارد) أي خارج عن الطاعة عن أخبارها لئلا يدعي من مارديه علم
الغيب بها فيدعي الالهية لنفسه وكيف يكونون آلهة ولا يمكنهم الوصول الى خواص عباد
الله اذ (لا يسمعون) بالاصغاء (الى الملا الاعلى) من ملائكة السماء أخبار تدبيرهم
(و) اذا قصدوا ذلك (يقذفون) أي يرمون (من كل جانب) من السماء (دحورا)
أي طردا وابعادا فهم مهانون في جميع أطراف السماء (ولهم) اذا ماتوا من اصابة الرمي
أو غيرها (عذاب واصب) وهذه مهانة فوق مهانة ثم استثنى من قوله لا يسمعون قوله (الا
من خطف الخطفة) أي اختلس الكلمة (فاتبعه) أي لحقه (شهاب) يقتبسه الملك من
الكواكب في موضع مقابلته (ثاقب) أي مضيء ضوء الكواكب لو كان دخانا لم
يضئ ذلك الضوء ولم ينزل الى الارض والمرجوم قد يصيبه فيحرقه وقد لا يصيبه ولا ينافيه كونه
من النار اذ ليس ضرفه على ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها واذا لم
يكن الملائكة والشياطين آلهة بأنفسهم ولا يجعل الله اياهم آلهة لامتناع كون الالهية أثرا
لشيء مع ان غيرة الله مانعة عن التشريك فيها ولم يكن لهم قوة أن يجعلوا أنفسهم آلهة على
تقدير امكان ذلك مع منع غيرة الله لضعفهم معه (فاستفتهم) أي فاسألهم كيف جعلتموهم
آلهة (أهم أشد خلقا) أي تأثيرا حتى يؤثروا بالالهية (ام من خلقنا) بلا واسطة مادة
وهم الملائكة فتكون قدرتهم أشد مناسبة لقدرتنا لقربهم منا لكن كيف يكونون أشد منهم
مع ان الضعف مقتضى حقيقتهم (انا خلقناهم من طين لازب) أي منتن ولم يكن استفتاؤك
منهم طلبا للعلم منهم (بل عجبت) فسألت سؤال متعجب (ويسخرون) من تعجبك (واذا
ذكروا) أي وعظوا على سخريتهم (لا يذكرون) أي لا يتعظون (واذا رأوا آية) تدل
على صدق ما ذكروا به وعلموا انه لو سخر منها أحدهم لسخر به المؤمنون (يستسخرون)
أي يستدعي بعضهم بعضا ليجتمعوا على السخر بها حتى يصير من يريد السخر بساخرهم
مسخورا لهم (وقالوا) في السخر بالآية (ان هذا) الخارق (الا سحر مبين) بنفسه
كونه سحرا لا يلتبس بالمعجزة أصلا وجعلوا المعجزة القولية أعني القرآن من السحر لدلالتها
على البعث الباطل بالضرورة في زعمهم فيكون الاستدلال باطلا (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما)
انبعث (أئنا لمبعوثون) فان أمكن بعث أولا من مات أولا (أ) نبعث نحن (وآباؤنا
الاولون) معا (قل) ليس هذا من الضروريات لانكم مقهورون تحت القدرة الالهية

فان

ولا يجعل ذلك اعرض الدنيا
ولا احسن عند مخلوق
(قوله جل اسمه مصيبة)
ومصابا ومصوبة الامر
المكروه يحل بالانسان
(قوله جل وعز اوسع) أي
المكثر أي الغني (قوله المقتر)
أي المقل أي الفقير (قوله
مبتليكم) أي مختبركم (قوله
مسومة) تكون من سامت
أي رعت فهي سائمة وأسمتها

فان أمكنكم دفع الآيات بالجدل الباطل فليس لكم دفع القدرة الالهية به (نعم) تبعثون (وانتم داخرون) أى ذليلون لا جدل معكم يدفعه ولا قدرة كيف وليس بقدرة مثل قدرتكم ولا بكلمة مثل كلماتكم (فانما هى) أى نفخة البعث (زجرة) أى صيحة (واحدة فاذاهم) احياء قيام أولو قوة مدركة بها (ينظرون و) محركة بها (قالوا ياويلنا هذا يوم الدين) أى الجزاء فيقول بعضهم لبعض لا تدعوا فيه الويل مع ان (هذا يوم الفصل) أى الفرق بين المحسن والمسيء (الذى كنتم به تكذبون) فانتم أتم اساءة من غيركم فاولى بالفصل التام اذلك يقال (احشروا الذين ظلموا) سيما بانكار يوم الفصل (وأزواجهم) أى اتباعهم من الاهل وغيرهم (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الشياطين والاصنام الى مكان ليتميزوا عن غيرهم من كل جهة (فاهدوهم) فعرفوهم ماانفصلوا به عما سواهم حتى صاروا (الى صراط الجحيم و) لا تستعجلوا بهم حتى يتم الفصل بل (قفوهم) للسؤال عما انفصلوا به عن سواهم (انهم مسؤلون) عن اعتقاداتهم وأخلاقهم وأعمالهم ليلزموا الحجة التى بها انفصالهم ولا ينتصرون فى الزام الحجة بل يقال لهم (مالكم لا تناصرون) أى لا تدفعون لزوم الحجة عليكم ولا يمكنكم الجدل بالباطل (بل هم اليوم) الذى يظهر فيه الحق والباطل (مستسلمون) لكل مايلزمون من الحق وان كان أشق مما كانوا يدفعونه اذ يخافون من ذلك أن يقعوا فيما هو أشق منه (و) لما رأوا عجزهم عن سبب الدفع ورأوا انهم لا يخفف عنهم بالاستسلام (اقبل بعضهم على بعض يتساءلون) عن سبب الدفع ولما علم التابعون ان ليس عند المتبوعين وجه دفع أرادوا أن يلزموهم ذنوبهم لتندفع عنهم أو يخفف عليهم (قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أى عن القهر فتكرهوننا على الكفر أو عن شبهة قوية (قالوا لم نكرهكم على الكفر (بل لم تكونوا) عن اختياركم (مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان) أى شبهة قوة تشبه الحجة (بل كنتم قوما طاغين) مجاوزين الحجج القطعية الى الشبهة الواهية ثم اتبعنا تلك الشبهة (فحق علينا قول ربنا) لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (انا لذائقون) ماحق علينا الاتباع تلك الشبهة ثم ألقيناها عليكم (فأغويناكم) لا لنفوز بالهداية بل (انا كنا غاوين) فكما اشتركوا فى اتباع تلك الشبهة فى الدنيا (فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون) لا فضل فيه للمتبوع على كل تابع اذ التابع أيضا متبوع لغيره غالبا (انا كذلك) أى مثل تعذيبهم (نفعل بالمجرمين) وان فرض انه لا تابع فيهم ولا متبوع لاشتراكهم فى أقبح القبائح وهو الاستكبار على من يأمرهم بالتوحيد (انهم كانوا اذا قيل لهم) قولوا (لا اله الا الله يستكبرون) على قائله فلا يمتثلون أمره (ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا) بهذا التوحيد (لشاعر مجنون) أى لقول من يقول بالمقدمات الخيالية عن الجنون فرد عليهم بأنه لم يأت بكلام مخيل (بل جاء بالحق و) لا عن جنون لانه وان خالف مألوفهم (صدق المرسلين) الذين هم أعقل الخلائق فى يتفقون على قول مصدره الجنون وهذا القول منكم لو لم يكن مما يخل بالكمال موجب لاذاقتكم العذاب (انكم لذائقوا العذاب الاليم) لهذا القول سيما المتضمنه

انا وسومتها او تكون مسومة معلمة من السماء وهى العلامة وقيل المسومة الطهمة والتطهيم التحسين (وقوله جل وعز منضود (وقوله جل وعز) مسومة عند ربك) يعنى حجارة معلمة عليها امثال الخواتيم (قوله جل وعز محررا) اى عتيقا لله (قوله جل ذكره ممترين) اى شاكين (قوله عز اسمه) مسومين اى معلمين بعلامة

مما يخل بالكمال من الشرك فهذا بكم (و) ان بلغ ما بلغ من الشدة (ما تجزون الا ما كنتم
تعملون) وهذا التساؤل واقع بين العباد يوم القيامة اذا اجتمعوا (الا عباد الله المخلصين)
فانهم اذا اجتمعوا لا يجرى بينهم هذا التساؤل اذ سببه نقص حظ أحد المجتمعين بالآخر وههنا
ليس كذلك اذ (اولئك لهم رزق معلوم) بحسب أعمالهم وأخلاقهم واعتقادهم فان كان
فيه نقص فمن جهة تقصيره ولو فرض وقوعه من جهة صاحبه فليس مما يتضرر به وانه اذ هو
(فواكه) يقصد بها التلذذ دون التغذى والتقوت فلا ينازع فيه ذو مروءة أصلا على ان التفاوت
فى اللذة انما يعرف بالمشاركة فى فاكهة لكنهم أشعروا بالدناءة (وهم مكرمون) ولو وقعت المشاركة
لم يظهر التفاوت لصاحب النقص لانهم جميعا (فى جنات النعيم) وهذا الظهور ينغص النعيم
ولذلك لم يقع التفاوت فى مكانهم المبصرة لذلك كانوا جميعا (على سرر متقابلين) ثم ان وقع
التفاوت فى السرر لا يطلع صاحب المفضول على فضيلة سرير صاحبه لاشتغاله عنه بلذة عظيمة
اذ (يطاف عليهم بكأس) اى اناء خمر (من معين) اى خمر جارية فى العيون (بيضاء) من صفاء
ما بينهم (لذة للشاربين) من كمال محبة ما بينهم ولا يقع بينهم نزاع يحصل بين اهل السكر اذ
(لا فيها غول) اى فساد من مفاسد خمر الدنيا (ولا هم عنها ينزفون) اى يسكرون (و) هى وان لم
تسكرهم تزيدهم لذة بنسائهم اذ (عندهم) فوق سررهم نسوة (قاصرات الطرف) على أزواجهن
فلا يقع بسببهن نزاع وليس اصغر اعينهن لانهن (عين) كبار الاعين ولا نقص فى حسنهن اذ هن
فى غاية الحسن (كأنهن بيض) اى بيض النعام فى الصفاء (مكنون) اى مستور لم يركب
عليه غبار فهن أيضا مما يشغلهم عن فضل اصحابهم ومع ذلك لا يحصل لهم الاشتغال عن
حقوق الصحبة (فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون) لا سؤال توبيخ بل عما جرى بينهم فى الدنيا
أو نحوه من ذلك ما (قال قائل منهم) قيل هو يهوذا المؤمن (انى كان لى) فى الدنيا (قرين)
اى صاحب هو قطروس الكافر وهما المذكوران فى قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين
(يقول) اذا تصدقت بمالى لثواب الآخرة (أئنك لمن المصدقين) بالجزاء مع ظهور استحالته
(أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما) نبعث (أئنا) اذا بعثنا (لمدينون) اى مجزيون على أعمالنا
ثم (قال) لهم رعاية لحق صحبتهم فى عدم استبداده بشئ دونهم وليعلموا امتيازهم عن منزلة أهل
النار ويجتمعوا على توبيخهم فيتلذذوا بذلك (هل انتم مطلعون) على أهل النار من كوى
الجنة (فاطلع) هو اولا ليبصرهم اذا اطلعوا (فرآه فى سواء) اى وسط (الجحيم قال تالله
ان كدت لتردين) اى انك قاربت من اهلاكى بما قصدت به نهيى من منع الصدقة بناء على
انكار الجزاء (ولولا نعمة ربى) عصمته وهدايته (لكنت من المحضرين) معك فى النار
وكفانى ذلك لو لم اعذب فيها (أ) صدقت فى نصحك انا لا نعيش فى القبر ليحصل انه نوع من الجزاء
ثم نموت ثم نعيش لانه وجوه الجزاء (فما نحن بميتين الا موتتنا الاولى) بل متنا وعشنا (وما
نحن بمعذبين) اى ونحن مخصوصون بعدم التعذيب فى القبر والقيامة (ان هذا) التخلص
من عذاب القبر والقيامة وان كان عقيب آفات الدنيا من اذيتهم وغيرها (لهو الفوز العظيم)

(قوله يعرفونها الى الحروف (قوله محصنات) ذوات الازواج والمحصنات والمحصنات جميعا الحرائر وان لم يكن متزوجات والمحصنات أيضا العفائف (قوله جل وعز مسافحات) اى زوان (قوله جل وعز مختال) اى ذى خيلاء (قوله جل وعز مقيتا) اى مقتدرا قال الشاعر وذى ضغن كففت النفس عنه

لولا الجنة ومافيها فكيف اذا انضم اليه الفوز بذلك أيضا (لمثل هذا) الفوز (فليعمل العاملون) من الاولين والآخرين انواع الاعمال لولم يفوزوا بالجنة ولا برؤية الله تعالى (أذلك) اى هل فوا كه جنات النعيم وسررها وكؤسها وحورها (خير نزلا) ما يقدم للنازل أولا (أم شجرة الزقوم) ثمر شجرة صغيرة الورق ذفرة وليس كما يقول الجهال انه ازبد وتمر بلغة بربرة فليست لغة القرآن ولا يستحيل كون الشجرة فى النار فمن الاشجار ما ينسج من جلدها ثياب اذا توسخت جعلت فى النار فيحرق وسخها فتصير مغسولة (انا جعلناها فتنة) اى ابتلاء (للظالمين) فى الدنيا بانكار كون الشجرة الرطبة فى النار و بحملها على لغة اخرى وفى الآخرة بالاكل (انها شجرة) فى غاية الخبث اذ (تخرج فى) اسوأ المنابت (أصل) اى قعر (الجحيم) كانه نواها وترتفع اغصانها فى دركاتها (طلعها) اى حملها فى تناهى القبح والهول (كأنه رؤس الشياطين) اى مثل ما يتخيل ويتوهم من قبح رؤس الشياطين فهى قبيحة الاصل والثمر والمنظر والملمس ومع شدة كراهتهم لها يضطرون اليها من شدة الجوع الذى يعذبون به اضعاف عذاب النار (فانهم لآكلون منها) مع كونها اشد حرارة من النار سبعين ضعفا فى أيام سلطنتها وابرد من الزمهرير كذلك فى أيام سلطنته (فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا) اى مزجا (من حميم) يمازجها فى بطونهم فيقطع امعاءهم وذلك يكون خارج الجحيم (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) وانما كانت لهم هذه الشجرة لمتابعتهم آباءهم (انهم ألفوا) اى وجدوا (آباءهم) الذين هم اصولهم (ضالين) مناسبين للجحيم (فهم على آثارهم) المناسبة للثمرات (يهرعون) اى يسرعون من غير نظر فتختلط عليهم الامور وهو موجب للنظر كيف (ولقد ضل قبلهم) اى قبل آبائهم (أكثر الاولين) الذين هم بمنزلة الآباء لآبائهم فلما جاز الضلال على اكثرهم جاز مثله على آبائهم (و) لضلالهم (لقد أرسلنا فيهم منذرين) فكذبوهم فاهلكوا (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) فهى اجل دليل على ضلالهم لانها لم تكن لجميعهم لانها اصابتهم (الا عباد الله المخلصين) فنجوا منها لهدايتهم فقابلوهم لابد وأن يكونوا ضالين (و) مما يدل على ان اهلاك المنذرين كان لضلالهم ان قوم نوح انما اهلكوا لدعوته فانه (لقد نادانا نوح) بقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولا تزد الظالمين الا تبارا ونحو ذلك فان فرض انه لم يكن على الحق (فلنعم المجيبون) نحن اذ لا نجيب الا ما كان على الحق (و) للدلالة على كونه على الحق بأن (نجيناه واهله من الكرب العظيم) الاغراق واذية قومه (و) اكدنا دلالة كونه على الحق بأن (جعلنا ذريته هم الباقين) وكان له ثلاث بنين سام ابو العرب والفرس والروم وحام ابو السودان ويافث ابو الترك (و) كيف يتوهم كونه على الباطل مع انا (تركنا) أى ابقينا (عليه) بأن جعلناله من الثناء فى حياته (فى الآخرين) اى فى طوائف المتأخرين من أهل الملل المختلفة بحيث اذا سمعوا اسمه قالوا (سلام على نوح) ولا تختص هذه التحية بنوع الانسان بل هى منتشرة (فى العالمين) انواع الموجودات لكونه ناظرا الى الله تعالى فى كل ما يراه فكان ذلك

وكنت على مساءته مقيتا
اى مقتدرا وقيل مقيتا
اى مقدرا لاقوات العباد
والمقيت الشاهد الحافظ
الشئ والمقيت الموقوف
على الشئ قال الشاعر
ليت شعرى وأشعرن اذا ما
قربوها منشورة ودعيت
الى الفضل ام على اذا حو
سبت انى على الحساب مقيت
اى انى على الحساب موقوف
(قوله عز وجل مراغما)

جزاء احسانه (انا كذلك نجزى المحسنين) الناظرين اليه فى الاشياء بشرط الايمان وهو ان لا يعتقد الهية مادونه او كان نوح كذلك (انه من عبادنا المؤمنين ثم) بعد ما أنجيناه وأهله بجعلهم فى السفينة (أغرقنا الآخرين) بمقتضى دعوته اظهارا لضلالهم ودفعا لاذيتهم للمؤمنين واذيه أولادهم لاولادهم وكيف يتوهم كون نوح على الباطل (وان من شيعته) اى اتباعه (لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم) عن مبالاة غيره لاقتصار نظره عليه ولذلك أنكر على ابيه وقومه عبادة غيره (اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون) اى ما الذى تعبدونه من هذه الاشياء لذواتها أو لظهور الحق فيها اذ لا عبرة بأمر آخر لكن كلاهما باطل اذ الالهية بوجوب الوجود وليس ذلك لذواتها ولا لظهور الحق فيها (أئفكا آلهة دون الله تريدون) اى تريدون بطريق الكذب آلهة دون الله فان اعتقدتم صدق ذلك فقد فعلتم فعل من اقام فى بلد الملك ايام حياته وقيامه بالملك ملكا آخر (فما ظنكم برب العالمين) هل يترك شريكا أو قائلا به مع اخلاله بربوبيته للعالمين ولما علم انهم انما يعبدونها لتخيلهم فيها القدرة واراد اظهار عجزها لهم بكسرها ورأى عجزه عن ذلك بحضورهم تحيل فى ذلك يوم خروجهم للعيد فمشى معهم فى بعض الطريق (فنظر نظرة فى) مواقع (النجوم فقال انى) مشارف للسقم كانى (سقيم) لا يمكننى الخروج معكم وكان قد غلب عليهم الطاعون فخافوا العدوى (فتولوا عنه مدبرين) لا يلتفتون اليه (فراغ) اى فذهب فى خفية (الى آلهتهم فقال) اظهارا لنقد ما يتوهم فيها اعبدتها (ألا تأكلون) ما وضع بين أيديكم من الطعام ولما لم يأكلوه ولم يجيبوه قال (ما لكم لا تنطقون) فغلبت عليه الغيرة الالهية اذ جعلوها شركاء مع غاية قصورهم (فراغ) اى فذهب قاهرا (عليهم) ليضربهم (ضربا باليمين) التى هى اقوى الباطشتين فرجعوا من معبدهم الى بيت اصنامهم فوجدوها مكسرة وعلموا أنه انما تخلف عنهم ابراهيم لذلك (فأقبلوا اليه) اى الى ابراهيم (يزفون) اى يسرعون فى لومه وهتكه فأخذ يلومهم بعبادتها (قال أتعبدون ما تنحتون) فتؤثرون فيه أقبح التأثيرات (و) تتركون عبادة من له التأثيرات كلها فى الذوات والاعراض والافعال اذ (الله خلقكم وما تعملون) فلم يلتفتوا للومه بل ازدادوا عنادا حتى (قالوا ابنوا له) اى لاحراقه (بنيانا) عظيما تسعرون له فيه (فألقوه فى الجحيم) اى فى النار الشديدة بحيث لا يمكنه الخروج عنها وقصدوا بذلك اظهار عجز الاله الذى يعبده وعلوهم على الهه (فأرادوا به كيدا) فجعلها الله له برهانا يعلى شأنه اذ جعلها عليه بردا وسلاما (فجعلناهم الاسفلين) باظهار جعلهم عبدة العاجزين ظاهرا وباطنا اذ لم يتمكنوا من تأثير النار فيه (و) ازداد ارتفاعا اذ (قال انى ذاهب الى) مكان عبادة (ربى سيهدين) للوصول الى مقامات قربه والسير فيه وعنه بمقتضى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (رب هب لى) اذا سرت عنك ولدا (من الصالحين) المتصفين بالولاية النبوية التى هى فوق النبوة الفائقة على ولاية الاولياء لينضم صلاحه الى صلاحى ويعيننى فى الدعوة اليك ويبقى داعيا بعدى (فبشرناه بغلام) هو اسمعيل عليه

السلام

اى مهاجرا (قوله منافق) ماخوذ من النفق وهو السرب اى يستتر بالاسلام كما يستتر الرجل فى السرب ويقال هو من قولهم نافق اليربوع ونفق اذا دخل نافقاءه فاذا طلب من النافقاء خرج من القاصعاء واذا طلب من القاصعاء خرج من النافقاء والنافقاء والقاصعاء والراهطاء

السلام فى الصحيح (حليم) يصبر على الطاعات والبليات وعن المعاصى والحلم رأس الصلاح
(فلما) ولد و (بلغ) ان يسعى (معه السعى) سبع سنين او ثلاث عشرة (قال يا بنى) ناداه
مصغرا طلبا لاقباله فى فهم مزيد شفقته من جهة بنوته مع صغره (انى ارى فى المنام) ورؤيا
الانبياء حق (أنى أذبحك) والانبياء لايذبحون ولدا الا بأمر الله وأمر الله مقدم على الشفقة
(فانظر) وبين لى (ماذا ترى) هل تصبر لامر الله فتمضيه أو تسأله العفو لينسخه قبل الفعل
(قال يا ابت) ان شفقتك وان دعتك الى طلب العفو بالنسخ فليس اليك (افعل ما تؤمر)
ولا تخف على كراهة أمر الله (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) على أوامره (فلما أسلما)
اى انقاد الامر الله فاجرى ابراهيم السكين على حلقومه واحتمله اسمعيل (و) لما لم يره يجرى
من جهة الوجه بعد تشحيذه مرتين أو ثلاثا (تله) اى صرعه على الارض ملصقا (للجبين)
بها ليجريه من خلفه (و) منعنا السكين ان يقطع شيأ منه اذ (ناديناه أن يا ابراهيم قد
صدقت الرؤيا) اى امتثلت ما أمرت فيها وكانها وقعت فاعطيناك اجر الامتثال والصبر
وابقينا عليك الولد لاحسانك (انا كذلك نجزى المحسنين) اى الناظرين الينا اذا عجزوا
عما امروا به بعد قصدهم الامتثال وقد كمل احسانك فى هذا البلاء (ان هذا) الابتلاء بذبح
الولد (لهو البلاء المبين) اصدق الاحسان (و) لاقتضاء الاحسان دفع البليات أو تعويض
ما فات فيها (فديناه) اى ولده ليكون جامعا بين الدفع والتعويض (بذبح) اى كبش
(عظيم) لمناسبته له فى الانقياد (و) لمشايعته نوحا (تركنا عليه فى الآخرين) مثل ما تركنا
على نوح وهو (سلام على ابراهيم) كيف وهو مقتضى الاحسان اذ (كذلك نجزى المحسنين)
بابقاء جاههم فى الدنيا لكن لا عبرة بجاه الكافرين فانما اعتبرنا جاهه لايمانه (انه من عبادنا
المؤمنين وبشرناه) لمزيد احسانه بما يزيد جاهه (باسحق) مقدرا كونه (نبيا من الصالحين)
بولاية النبوة (وباركنا عليه) بضم فوائد نبوة ابنيه وولايتهما الى نبوته وولايته (وعلى اسحق)
بضم فوائد نبوة أولاده وولايتهم الى نبوته وولايته (و) فوائد احسانهم واحسان غيرهم دون
نقائص ظلم من ظلم منهم اذ (من ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) لايخفى ظلمه بالانتساب
اليهما اذ لا تزر وازرة وزر أخرى (و) لا يبعد مباركتنا عليهما جميعا فانا (لقد مننا) بالنبوة
العامة الباقى احكامها مدة مديدة والولاية الخاصة وتعظيم الآيات (على موسى وهرون)
جميعا من أولادهما (و) مما مننا به عليهما من جهة الامر الدنيوى ان (نجيناهما وقومهما
من الكرب العظيم) أذية فرعون وقومه بذبح الاولاد وغيره (و) لم نقتصر على الانجاء بل
(نصرناهم) فى المعارضات القولية والفعلية (فكانوا) مع ضعفهم وقوة فرعون وقومه
(هم الغالبين) حتى ورثوا ملكهم (و) مما مننا به عليهما من جهة الدين ان (آتيناهما
الكتاب المستبين) للحقائق والاحكام واسرارها (وهديناهما الصراط المستقيم) فى باب
الاعتقادات والاخلاق والاعمال بالتوسط بين طرفى الافراط والتفريط (و) قد كملناهما
الى حيث (تركنا عليهما فى الآخرين) ان يقال عند سماع اسمهما (سلام على موسى وهرون)

والدامياء أسماء لجمرة اليربوع
(قوله جل وعز والمنخنقة)
التى تختنق فتموت ولا تدرك
ذكاتها والمتردية التى تردت
اى سقطت من جبل
أو حائط أو فى بئر فماتت
(قوله جل اسمه متجانف
لاثم) اى متمايل الى حرام
(قوله مكلبين) اى أصحاب
كلاب ويقال رجل مكلب
وكلاب اى صاحب صيد

لانهما مع هذا الملك كانا ناظرين الى الله تعالى فكانا محسنين وهذا جزاء المحسنين (انا كذلك نجزى المحسنين) لا باعتبار احسانهما الى الاتباع احسان الملوك الى الرعية بل باعتبار احسانهما فى النظر الينا (انهما من عبادنا المؤمنين و) لا يقتضى هذا الاحسان رؤية الهية كل شئ حتى لا ينكر على عبادة الاصنام بل لابد للرسول من الانكار وان بلغ ما بلغ من الاحسان (ان الياس لمن المرسلين) وقد بلغ من قوة الاحسان الى حيث ركب فرسا من نار ومع ذلك انكر على قومه عبادة غير الله (اذ قال لقومه ألا تتقون) فى دعوى الاحسان برؤية الكل الها الغيرة الالهية فى عبادة غيره (أتدعون بعلا) هو اسم صنم كان للملك المسمى بك وبه سميت القرية بعلبك ولا شئ له من الخلق الذى به استحقاق العبادة لانها غاية التذلل فلا يستحقها الامن له غاية الانعام (وتذرون) عبادة أكمل المنعمين لكونه (أحسن الخالقين) باظهار جماله فيما يخلقه لكن لا يجعله بذلك الهابل (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) مع ان ظهوره فيهم اتم من ظهوره فى بعل وامثاله (فكذبوه) بأن جماله الذى ظهر فيه لا يغايره فكان الها وكان هذا التكذيب منهم لمن هو أكمل المظاهر تكذيبا للاله صريحا (فانهم) بهذا التكذيب (لمحضرون) فى العذاب (الا عباد الله المخلصين) فانهم وان رأوا ظهوره فى الكل لا يعتقدون الهية الكل حتى يعبدوه (و) انما يعبدونه من حيث الاطلاق ولم يبطل بذلك احسانهم كما لم يبطل بهذا الانكار احسان الياس لذلك (تركنا عليه فى الآخرين سلام على آل ياسين) اى ابنه فانه الياس ابن ياسين وفيه اشارة الى ان الاحسان لا يبطل خصوصيات الاشياء كما لا يبطل انتسابه الى عبادة الله انتسابه الى ابيه (انا كذلك نجزى المحسنين) فكان محسنا وان غار على بعل بمقتضى ايمانه (انه من عبادنا المؤمنين و) كيف يمنع هذا الاحسان الانكار على عبادة الاصنام وقد اقتضى الانكار على مادونه من الفواحش لذلك انكر لوط على قومه وان علم ان الفاعل فى الكل واحد (ان لوطا لمن المرسلين) للانذار عن الفواحش لذلك فاز بالنجاة (اذ نجيناه وأهله أجمعين) عن عذاب قومه المنذرين (الا عجوزا) هى امرأته فانها وان خرجت عن مكان عذابهم كانت (فى) حكم (الغابرين) اى الباقين فيه (ثم) بعد انجائهم (دمرنا) اى اهلكنا (الآخرين) بجعل قريتهم عاليها سافلها وامطار حجارة من سجيل عليهم وان كان الفاعل هو الله لكنه ظهور باسمه المضل الذى يعقبه ظهور باسمه القهار (وانكم) ايها الزاعمون ان الله لا يؤاخذنا بما فعل فينا (لتمرون عليهم مصبحين وبالليل) فترون دائما علامات مؤاخذتهم (أ) تكذبون الرؤية الدائمة (فلا تعقلون) فان الرؤية ان كذبت حينا فلا تكذب الدائمة أصلا ولم يذكر السلام على لوط لانه لم يسلم احسانه اذ قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد ثم ان فعل الله وان لم يسقط المؤاخذة فجعله محل الشفقة (و) لذلك عوتب يونس على تركها (ان يونس لمن المرسلين) للانذار عن القبائح ومع ذلك عوتب على ترك الشفقة على قومه اذ كذبوه بوعدهم العذاب فخرج الى مكان قريب فاظل عليهم العذاب فاستغفروا وتضرعوا وفرقوا بين الاطفال وأمهاتهم

بالكلاب (قوله الارض المقدسة) اى المطهرة (قوله مهيمنا عليه) اى شاهدا وقيل رقيبا وقيل مؤتمنا وقيل قفانا يقال فلان قفان على فلان اذا كان يحفظ أموره وقيل القرآن قفان على الكتب لانه شاهد بصحة الصحيح منها وسقم السقيم والمهيمن فى أسماء الله القائم على خلقه

فان تنح عنهم العذاب فلما سمع به هرب فهو تب (اذ ابق) بغير اذن ربه عمن يريد التقرب اليه
بواسطته (الى الفلك المشحون) اى المملوء الذى لا يجرى الا عن قوة الريح فاحتبست عنهم
فقال الملاحون ان ههنا عبدا آبقا فاقترعوا لالقائه (فساهم) اى فقارع فخرجت القرعة
عليه مرارا (فكان من المدحضين) اى المغلوبين بالقرعة وأصله الزلق عن الظفر فقال انا
الآبق ورمى بنفسه فى الماء (فالتقمه) اى ابتلعه لقمة واحدة (الحوت وهو مليم) نفسه
بالخروج من غير اذن ربه فكان فى لومه نفسه مسبحا لربه (فلولا أنه كان من المسبحين)
اى القائلين لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين (للبث) حيا معذبا عذاب القبر
(فى بطنه الى يوم يبعثون) لكن رحمناه بهذا التسبيح وان وقع بعد المؤاخذة (فنبذناه)
بأن حملنا الحوت على لفظه (بالعراء) اى المكان الخالى (وهو سقيم) بلى لحمه ورق عظمه
قيل التقمه ضحى ولفظه عشية وقيل بعد ثلاثة وقيل سبعة وقيل عشرين وقيل أربعين
(وأنبتنا عليه) ليقيه عن الذباب والشمس (شجرة من يقطين) اى منبسط على الارض
والاكثر على انه الدباء ولما رحمناه بذلك صار راحما (وارسلناه الى مائة الف) لو اعتبر عدد
المهروب عنهم (أو يزيدون) لو اعتبر الداخل فيهم (فآمنوا) اى جددوا الايمان به عند
حضوره (فمتعناهم) بالحياة والعبادات (الى حين) اى حين انقضاء الآجال ولم يذكر
السلام عليه لانه لم يتم احسانه حيث هرب بغير اذن ربه وان زعموا ان نجاة قوم يونس لم تكن
لايمانهم ولا هلاك من هلك لكفرهم والا لهلك آباؤنا فلم يلدونا بل نحن المحسنون برؤيته
فى كل شئ (فاستفتهم) اى اسألهم هل احسانهم لتفضيلهم أنفسهم على الله (ألربك
البنات ولهم البنون أم) لتفضيلهم أنفسهم على الملائكة اذ قالوا (خلقنا الملائكة اناثا)
وجعلناهم ذكورا (و) ليس هذا التفضيل مما يلزمهم من غير شعورهم بل (هم شاهدون)
لكن لا تقبل شهادتهم لظهور كذبهم فى حق الله (ألا انهم من افكهم) اى كذبهم الصارف
عن الحق (ليقولون ولد الله) مع ان الولادة من خواص الاجسام القابلة للفساد (و) لو صدقوا
فى ان لله ولدا (انهم لكاذبون) فى ان أولاده اناث لا غير (أصطفى) لنفسه (البنات)
الناقصة (على البنين) الكمل ليتفضلوا عليه (ما لكم) اى اى شئ عرض لعقلكم (كيف
تحكمون) بتخصيص الله بكل نقص وتخصيصكم بالكمالات (أ) ترون أنفسكم أكمل من
ربكم من كل وجه (فلا تذكرون) ما فى أنفسكم من النقائص مع ظهورها لكم الكم
مشاهدة ذلك (ام لكم سلطان مبين) اى حجة ظاهرة ولا يجوز ان تكون عقلية بل غايتها
ان تكون نقلية (فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين) فى هذه الدعوى (و) لو فرضنا ايتاؤهم
بكتاب فانما يكون مما أنزلته الجنة عليهم وهم يقبلونهم اذ (جعلوا بينه وبين الجنة نسبا) اى
قرابة مثل قرب أو اتحاد اليه (و) لكنهم لا يبالون بما يتكلمون به على الله فانه
(لقد علمت الجنة انهم لمحضرون) فى النار يوم القيامة فأيسوا عن رحمته فاذا وصفوه بشئ يجب
ان ينزه عنه (سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين) من الجنة فانهم لا يصفونه بما

بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم
وقيل أصل مهيمن مؤيمن
اى مفيعل من امين كما قيل
بيطر ومبيطر من البيطار
فقلبت الهمزة هاء لقرب
مخرجيهما كما قالوا ارقت
الماء وهرقت وأيهات وهيهات
واياك وهياك وابرية وهبرية
للخزاز يكون فى الرأس
(قوله مبلسون) اى يائسون
ملقون بأيديهم ويقال

يجب تنزيهه عنه اذلم ييئسوا عن رحمته ولم يعلموا انهم لمحضرون وان كانوا معبودين لهم من غير استدعاء منهم ولا رضا (فانكم وما تعبدون) من الملائكة والجنة والصلحاء (ما انتم عليه بفاتنين) اى مفسدين بالافتراء عليه (الا من هو) كافر (صال الجحيم) فانه المفسد الاعتقادات والاعمال (و) الملائكة وصالحو الجن والانس لايدعون الالهية لانفسهم ولا النسب بل يقولون (ما منا) أحد (الا له مقام معلوم) والاله محيط بالكل (وانا) لو كان لنا جميع المقامات لم نخرج عن عبوديته انا (لنحن الصافون) فى عبادته (و) لو تركنا العبادة الظاهرة لعارض (انا لنحن المسبحون) عما لا يليق به من الشريك والولد وكيف يتأتى لهم الآن دعوى كونهم مع آبائهم على الحق وان لهم كتابا (وان) اى وانهم (كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا) اى كتابا يذكرنا (من) كتب (الاولين لكنا عباد الله المخلصين) واذا كان ذلك قولهم فقد أقروا على أنفسهم بالكفر (فكفروا به) فان لم يعلموا الآن (فسوف يعلمون) اذا ماتوا (و) ربما لا يتوقف على الموت بل يعلمون عند نصر الله الرسل اذ (لقد سبقت كلمتنا) وعدنا (لعبادنا المرسلين انهم) وان نصر عليهم أعداؤهم حينا (لهم المنصورون) آخرا كيف (و) هم من جنود الله (ان جندنا) وان قلوا وظهر ضعفهم (لهم الغالبون) آخرا فان لم يثقوا بهذا الوعد (فتول) اى اعرض (عنهم حتى حين) اى حين استقرار النصر لك (و) مع الاعراض (أبصرهم) الدلائل فان لم يبصروا الآن (فسوف يبصرون) عند استقرار النصر لك (أ) لا يبصرون عند استقرار النصر لك بل ينتظرون عذاب الآخرة (فبعذابنا يستعجلون) لكن لا يفيد الابصار بعده (فاذا نزل) نزول العسكر (بساحتهم) اى فناء دارهم (فساء) ابصارهم بعد انذارهم بأنه لا يقبل بعد فبئس الصباح (صباح المنذرين و) ان اصروا الى استعجال العذاب بعد هذا البيان (تول عنهم حتى حين) اى حين نزول العذاب بهم (و) مع ذلك (ابصر) لهم الدلائل لتأكد عليهم الحجة (فسوف يبصرون) عند رؤية العذاب كيف تأكدت الحجة عليهم وانما لا يبصرون لو اخلف الله وعده لكن تنزه عن الاخلاف (سبحان ربك) الذى تنسب اليه كمالاتك من ان تنسب اليه نقيصة اخلاف الوعد أو غيرها مع اتصافه بوصف (رب العزة) التى منها فيض الكمالات على الموجودات فلابد ان تنزهه (عما يصفون) من النقائص كالشريك والولد واخلاف الوعد وترك الانصاف وغير ذلك (و) لتنزهه عن النقائص تنزه عن ارسال ناقص حتى صح (سلام على المرسلين) من ان يصفوه بما لا يليق به أو يغيروا عليه رسالته (و) لكماله ظهر بكمالاته فى مظاهر المرسلين وبعثهم لاستكمال الخلائق حتى صح (الحمد لله رب العالمين) بارسال الرسل لاظهار معارفه واحكامه المفيدة لظهوره بالكمالات فيهم فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

(سورة ص)

سميت به لتضمنها باعتبار محتملاتها افضال الله عليه السلام التى تقتضى ارساله وهذا من اعظم

المبلس الحزين النادم ويقال المبلس المتحير الساكت المنقطع الحجة
(قوله مستقر) يعنى الولد فى صلب الاب ومستودع يعنى الولد فى رحم الام
(قوله مشتبها وغير متشابه) قيل مشتبه فى المنظر وغير متشابه فى الطعم منه حلو ومنه حامض وقيل مشتبه فى الجودة والطيب وغير متشابه فى الالوان والطعوم

مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلی بكمالاته فی رسوله وكتابه (الرحمن) بارساله وانزاله (الرحيم)
باظهار كمالاتهما الخواصه (ص) اقسم الله سبحانه وتعالى بصدق محمد صلى الله عليه وسلم الذى
اعترف به الكل فی غير دعوى النبوة حتى صدقه أهل الكتابين فی اخباره عن الغيوب الدال
على الصدق فی دعوى النبوة أو بصفائه عن رذائل الاخلاق وقبائح الافعال الدال على صفائه
عن نقيصه الكذب أو بصعوده فی مدارج الكمالات الدال على صعوده فی مدارج القرب من
الله أو بصبره الكامل الذى هو من لوازم الرسالة على انه رسوله (والقرآن ذى الذكر) أى
الشرف الدال على براءته عن نقيصة الكذب وصفائه عن الاختلاط وصعوده الى حد الاعجاز
وعلى كثرة فوائده المفتقرة الى الصبر على انه منزل من عنده وانما يظهر ذلك لمن صدق نظره
وصفا عن الحسد وصعد فی درك الامور وصبر على التأمل فيهما فمن كفر بهما فانما كفر لاخلاله
بهذه الامور فليس لاطلاعه على كذبه أو نقيصة فيه (بل الذين كفروا) انما كفروا لانهم
(فی عزة) اى كبر (وشقاق) اى عداوة فلا يصدق نظرهم ولا يصفو ولا يصعدون الى مدارج
الحق لان الله تعالى يغار عليهم لكبرهم بل يعاديهم لعداوتهم ولا يصبرون لان كفرهم
وعداوتهم يمنعهم من ذلك والكبر والحسد من اسباب الهلاك الذى لا يقبل معه عذر فانه
(كم) اى كثيرا (أهلكنا من قبلهم من قرن) لكبرهم أو عداوتهم (فنادوا) بالاعتراف
بالذنب والندم والاستغفار رجاء النجاة (ولات) أى وليس حين الهلاك (حين مناص)
أى نجاة فلا وجه لاهمال النظر قبله مع تكرر مشاهدة ذلك فی القرون الماضية (و) لا مانع
لهم من النظر سوى انهم (عجبوا) مما هو الواجب فی الحكمة من مناسبة الرسول للمرسل
اليه من (أن جاءهم منذر) عن امر سماوى مع كونه (منهم) لم يصعد السماء فی نظرهم
مع انه لا حاجة اليه بل يكفى نزول الملك عليه وهو وان لم يرى يستدل عليه بظهور المعجزات على
يديه (وقال الكافرون) أى الساترون لاعجازها ودلالتها على الصدق مع صدقه فی ذاته
(هذا ساحر) مع ان السحر يمكن معارضته بخلاف المعجزة (كذاب) فی دعوى صعوده
الى السماء أو نزول الملك عليه واستدلوا على كذبه بمخالفته الآباء فی تعدد الآلهة فقالوا
(أجعل الآلهة الها واحدا) مع انه لا يكفى للخلق الكثير قياسا على الضعفاء الجهال
وقالوا فی ابطال المحال (ان هذا لشئ عجاب و) رأوا الاصرار على المحال الباطل صبرا على
الحق حين (انطلق الملأ منهم) أى الاشراف من قريش من مجلس ابى طالب أتوه حين أسلم
عمر فشق عليهم فقالوا جئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال هؤلاء قومك يسألونك فلا تمل عليهم كل الميل فقال ماذا يسألون فقالوا ارفضنا
وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعطونى كلمة واحدة
تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقالوا نعم وعشر أمثالها فقال قولوا لا اله الا الله
فقالوا كيف يسع الخلق اله واحد فشأنكم (أن امشوا) فی طريق آبائكم (واصبروا على)
عبادة (آلهتكم ان هذا) الصبر (لشئ يراد) بابتلائنا بازدياد قوة محمد صلى الله عليه وسلم

(قوله معجزين) اى فائتين
(قوله متبر) مهلك (مجرمين)
أى مذنبين (قوله مردفين)
أى أردفهم الله بغيرهم
ومردفين أى رادفين يقال
ردفته وأردفته اذا جئت
بعده (قوله متحيزا الى فئة)
أى منضما الى جماعة يقال
تحيز وتحوز وانحاز بمعنى
واحد (قوله مكاء وتصدية)
أى صفيرا وتصفيقا (قوله
جل وعز مخزى الكافرين)

وكثرة اصحابه لان تعدد الآلهة استمر عليه الملل (ما سمعنا بهذا) التوحيد (في) ملة النصارى (الملة الآخرة) التي نسخت لغاية كمالها ما سبقها من الملل فلو كان حقا لكان أحق الملل به أكملها فاذا لم يقل به علم انه (ان هذا الا اختلاق) أي ما هذا التوحيد الا فرية محضة اذ لا مستند له سوى هذا الذكر لكنه لو كان ذا شرف لاختص بالاشراف (ءانزل عليه الذكر من بيننا) مع ان فينا من هو أشرف منه نسبا وأعلى رياسة و يستحيل من الحكيم اعطاء منصب شريف الدون مع وجود الاعلى وليس هذا انكارا منهم لتعين المنزل عليه مع الاعتراف باصل الانزال (بل هم في شك من) انزال (ذكرى) على أحد وليس هذا الشك لفقدان الدليل (بل) مع كثرة الدلائل أصروا على انكاره لانهم (لما يذوقوا عذاب) على الانكار أهم ينزلون على من يشاؤا من غير أن يكون عندهم شيء من الخزائن (أم) هم ينزلون على من شاؤا من تلك الخزائن اذ (عندهم خزائن رحمة ربك) يتغلبون على الله في اعطاء من منع ومنع من اعطى مع اتصافه بوصف (العزيز) أي الغالب الذي لو جعل الخزائن بيد غيره لم يكن له ان يتصرف فيها بدون اذنه و بوصف (الوهاب) الذي وهب الشرف للشرفاء والرياسة لمن شاء أينكرون كونه للعزيز الوهاب مع اعترافهم بان له الملك الكلي (أم لهم) في زعمهم (ملك السموات والارض وما بينهما) فان ادعوا لانفسهم هذا الملك (فليرتقوا) أي فليصعدوا (في الاسباب) التي هي معارج الوصول الى العرش ليستووا عليه فيدبروا العالم و ينزلوا الوحي على من شاؤا واين لهم ذلك بل غاية أمرهم انهم (جند ما) من الجنود الكائنة (هنالك) أي في مكان البعد (مهزوم) من جند آخر مسلط عليهم (من الاحزاب) المهزومة فيما تقدم اذ (كذبت قبلهم قوم نوح) المهزوم بالطوفان (وعاد) بالريح (وفرعون) بالبحر مع انه (ذو الاوتاد) أي القوى لم يوصله بقوم نوح ليعلم ان البحر جند مستقل كالطوفان ووسط ذا الريح لانها المعينة في التلف بهما (وثمود) بالصيحة (وقوم لوط) بالحجارة (واصحاب الايكة أولئك الاحزاب) لم يكن لهلاكهم سبب سوى التكذيب (ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب) فهو منسوب الى التكذيب الذي وقع عقيبه مع صلوحه للعلة فلا ينسب الى غيره (وما ينظر) أي ما ينتظر (هؤلاء) المكذبون لك من تلك الجنود الهازمة لهم (الا صيحة واحدة) هي نفخة القيامة التي لا يتأتى لهم معها ايمان ولا استغفار لانها (ما لها) أي لاهلاكها (من) توقف مقدار (فواق) ما بين الحلبتين (و) لا يخافون من تعجيلها بالاهلاك بل طلبوا أعجل منها اذ (قالوا ربنا) مقتضى تربيتك ايانا ان تعجل لنا كل ما نسألك فيه (عجل لنا قطنا) أي قسطنا من عذاب الآخرة (قبل يوم الحساب) السابق على دخول النار وذلك لمبالغتهم في التكذيب والاستهزاء (اصبر على ما يقولون) فلا تؤمن لدعائهم (واذكر) لهم اذا اعتمدوا على قوتهم أو اتباعهم او اموالهم أو عقولهم (عبدنا) الكامل الذي اجتمعت فيه هذه الامور اكمل منهم (داود) خوفه لا لضعفه في ذاته بل مع كونه (ذا الايد) أي القوة التي قهر بها جالوت (انه) مع انتهائه في باب القوة (أواب) أي رجاع الى الله تعالى من شدة الخوف ولم يكن خوفه من قلة

(قوله أي مهلكهم (قوله مؤتفكات) مدائن قوم لوط ائتفكت بهم أي انقلبت بهم (قوله مرجون) أي مؤخرون (قوله جل اسمه مطوعين) متطوعين (قوله المعذرون) هم المقصرون الذين يعذرون أي يوهمون أن لهم عذرا ولا عذر لهم (ومعذرون) أيضا معتذرون ادغمت التاء في الذال والاعتذار

اتباعه اذ قد تبعه الانسان والحيوان والجماد (انا سخرنا الجبال) لتكون (معه يسبحن) تبعا لتسبيحه (بالعشي والاشراق و) سخرنا معه (الطير محشورة) من الجوانب يسبحن معه وانما تبعه الكل اذ (كل له أواب) أي رجاع الى الله مستفيض منه بواسطته (و) لم يكن خوفه من قلة امواله اذ (شددنا ملكه) بحيث لا يمكن الملك آخران يقصد (و) لا من قلة علمه اذ (آتيناه الحكمة) الاطلاع على الحقائق (وفصل الخطاب) في اقامة الدلائل ورفع الشبه وكان يقيم بذلك العدل الجالب محبة الخلائق ولا يخاف احد من اقاربه ولا من الاجانب (و) من كمال خوفه انه تنبه لذنبه في محل غضبه مع خفائه بحيث لا يطلع على مثله الا كامل الحكمة بلا غضب (هل اتاك نبؤا الخصم) أي الملائكة المتصورين بصورة الخصماء (اذ تسوروا المحراب) أي صاروا على سور بيت العبادة وهو من اسباب الغضب (اذ دخلوا على داود) يوم خلوته للعبادة وهو أيضا من اسباب الغضب (ففزع منهم) لانهم نزلوا عليه من فوق والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه (قالوا لا تخف) انما يخاف من اللصوص ولسنا منهم بل (خصمان) أي فوجان متخاصمان وانما اتحدا كجنا اليك في يوم خلوتك لانه (بغى) أي تعدى في ذلك اليوم (بعضنا على بعض) لا حربي على حربي حتى لا يلزم الحكم بينهما (فاحكم) بقطع البغي الواقع (بيننا بالحق) أي بما يطابق امر الله (ولا تشطط) أي ولا تبعد عن الحق لو اشرت الى صلح (و) ان كانت الخصومة عن التباس (اهدنا الى سواء الصراط) بحيث لا تميل عن الحق أصلا (ان هذا اخي) في الدين والصحبة (له تسع وتسعون نعجة) انثى من الضان وقد جعل كناية عن امرأة في موضع التعريض (ولي نعجة واحدة) فلم ينظر الى غناه عنها ولا الى افتقاري اليها بل أراد التغلب علي (فقال أكفلنيها) أي اجعلني كافلها واجعلها نصيبي (وعزني في الخطاب) أي غلبني في المكالمة (قال) داود ان كان الامر كما قلت فوالله (لقد ظلمك بسؤال) أي طلب (نعجتك) التي أنت اليها أحوج ليضمها (الى نعاجه) مع استغنائه عن هذا الضم ولا يبعد منه لانه خليط (وان كثيرا من الخلطاء) الذين خلطوا اموالهم باموال اصحابهم (ليبغي بعضهم على بعض) بغي الحربيين بعضهم على بعض فهذه عادة الخلطاء (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يعتادون ذلك (و) الذين لا يبغون منهم اصلا (قليل) قلة (ما هم) تحرجا من عنده (وظن داود) من مناسبة حكومتهم لخطبة امرأة خطبها أوريا فغلب عليه (انما فتناه) أي امتحناه بالحكومة هل يتنبه لشأنه أم لا فتنبه (فاستغفر ربه) لما كان منه من شبه الذنب (و) تذلل في الاستغفار حتى (خر راكعا) أي سقط ساجدا (و) ازداد تضرعا حتى (اناب) أي رجع الى الله من كل وجه قيل مكث أربعين يوما لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه فاتاه النداء اني قد غفرت لك (فغفرنا له ذلك) وان كان من حق الخلق (و) لا يبعد لقربه منا (ان له عندنا لزلفى) أي قربى تقتضي ارضاء خصومه (وحسن مآب) لكن لا ذنب له بل صارت توبته وبكاؤه حسنات أجل من سائر العبادات واقرب من الله وحسن رجوعه اليه مع حلمه على الخصوم عند اساءة الادب بتسور المحراب والدخول وقت الخلوة وكمال خوفه وحكمته استحق الخلافة

يكون بحق ويكون بباطل ومعذرون الذين أتوا بعذر (قوله جل وعز مجريها) أي اجراؤها أي مجراها اقرارها وقرئت مجراها بالفتح أي جريها ومرساها أي استقرارها (قوله منيب) أي راجع تائب (قوله متكأ) أي نمرقا يتكأ عليها وقيل متكأ مجلسا يتكأ فيه وقيل طعاما وقيل متكا وقيل

حتى قال له ربه (يا داود) ناداه ليقبل اليه فيتم له قابلية الخلافة (انا جعلناك) باعتبار مقام عظمتنا (خليفة) أى نائبا عنا (فى الارض) التى هى عالم الكون والفساد لنفوض اليك صلاح العالم ظاهرا كما فوض اليك بالرسالة باطنا فكانت خلافتك مكملة لرسالتك المكملة لنبوتك فالنبوة تنبيه القلوب بالعلوم الغيبية بطريق الكشف المأمون فيه من الغلط والرسالة الامر بتبليغها والخلافة التصرف بها ولما كانت نيابة عن الله اعتبر فيها ما يناسب صفاته لكونه حيا يحفظ المملكة حفظ الحياة للبدن عالما بوجوه التدبير قادرا على اقامة الاحكام مريدا بتخصيص كل منصب باهله سميعا الاقوال الحكمة بصيرا بالامور متكلما بالحق والامر ما أمر الله سبحانه وتعالى باطاعة أولى الامر ورفع لكل واحد منهم عبادة سبعين صديقا كيف وعبادة الرعية الخالصة بحفظهم الاموال والانفس (فاحكم بين الناس) الذين نسوا حقوق الله وحقوق الخلق (بالحق) المطابق لامر الله لا بما يتعارفه الملوك (ولا تتبع الهوى) الميل الى مال أو جاه أو رعاية قريب أو صاحب ولو متمسكا بأمر شرعى مقاب عن وجهه (فيضلك عن سبيل الله) الموصلة الى الكمالات كحفظ المملكة والنصر على الاعداء والنجاة فى الآخرة ورفع الدرجات فيها (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد) فى الدنيا بكثرة الآفات وفى الآخرة بالعذاب على معاصيه أو على معاصى عماله ورعاياه يحاسبون بكل ذلك (بما نسوا يوم الحساب و) لا بد منه اذ بدونه يكون خلق الانسان وتمكينه من المعاصى والمظالم باطلا ولكنه خلاف سنة الله تعالى لانا (ما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) بل للدلالة عليه وليست تلك الدلالة باطلا بل يترتب عليها الرجوع اليه للجزاء اذ ليس محله هذا العالم لكثرة الحجب فيه (ذلك) أى اعتقاد خلقها باطلا (ظن الذين كفروا) بحكمة الله ووجوده ودوام ربوبيته وذلك يدعوهم الى كفران نعمه والجراءة على معاصيه (فويل للذين كفروا من النار) من هذه الوجوه وغيرها انترك البعث بالكلية (أم) نبعث و (نجعل الذين آمنوا) فشكروا نعمة العقل والكتاب (وعملوا الصالحات) فشكروا نعمة الاعضاء (كالمفسدين) بصرف العقل والاعضاء الى غير ما خلقت له فسادا ساريا (فى الارض) انترك المجازاة بالكلية (أم) نجازى و (نجعل المتقين) مخالفة أمر الله رعاية لمحبته (كالفجار) الذين يخالفون أمر الله ولا يبالون بعدا وته فان لم يكفهم دلالة السموات والارض والدلائل العقلية المقتضية للفرق المذكور فليضم اليه الدلائل النقلية وهو الكتاب المعجز فانه (كتاب) لا يعرف كنه عظمته لكونه مما (أنزلناه) من مقام عظمتنا منتهيا (اليك) يا أعظم الخلائق (مبارك) كثير الخير (ليدبروا آياته) أى لينظروا فى الفاظه وترتيبها ولوازمها فيستخرجوا منها علوما بطريق الاستدلال (وليتذكر أولوا الالباب) يستخرجوا من اشاراتها علوما يعجز عنها أهل الاستدلال (و) أولوا الالباب وان بلغوا من الكمال ما بلغوا وهبوا ذلك الكتاب زيادة فى تكميلهم كما (وهبنا لداود) بعد كمال نبوته ورسالته وخلافته (سليمان) زيادة فى تكميله لكمال عبوديته التى هى أشرف مقامات الانسان حتى قيل فيه (نعم العبد)

هو الاترج وقيل هو الزماورد (قوله مزجاة) أى يسيرة قليلة من قولك فلان يزجى العيش أى يدفع بالقليل يكتفى به والمعنى جئنا ببضاعة انما ندافع بها وتقوت ليست مما يتسع به (قوله جل وعز معقبات من بين يديه ومن خلفه) ملائكة يعقب بعضها بعضا وقوله لا معقب لحكمه أى اذا حكم حكما فامضاه

وذلك

اتباعه اذ قد تبعه الانسان والحيوان والجماد (انا سخرنا الجبال) لتكون (معه يسبحن) تبعا لتسبيحه (بالعشى والاشراق و) سخرنا معه (الطير محشورة) من الجوانب يسبحن معه وانما تبعه الكل اذ (كل له أواب) أى رجاع الى الله مستفيض منه بواسطته (و) لم يكن خوفه من قلة اموال اذ (شددنا ملكه) بحيث لا يمكن للملك آخران يقصد (و) لا من قلة علمه اذ (آتيناه الحكمة) الاطلاع على الحقائق (وفصل الخطاب) فى اقامة الدلائل ورفع الشبه وكان يقيم بذلك العدل الجالب محبة الخلائق ولا يخاف احد من اقاربه ولا من الاجانب (و) من كمال خوفه انه تنبه لذنبه فى محل غضبه مع خفائه بحيث لا يطلع على مثله الا كامل الحكمة بلا غضب (هل اتاك نبؤا الخصم) أى الملائكة المتصورين بصورة الخصماء (اذ تسوروا المحراب) أى صاروا على سور بيت العبادة وهو من اسباب الغضب (اذ دخلوا على داود) يوم خلوته للعبادة وهو أيضا من اسباب الغضب (ففزع منهم) لانهم نزلوا عليه من فوق والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه (قالوا لا تخف) انما يخاف من اللصوص ولسنا منهم بل (خصمان) أى فوجان منا كمان وانما تحاكمنا اليك فى يوم خلوتك لانه (بغى) أى تعدى فى ذلك اليوم (بعضنا على بعض) لاحربى على حربى حتى لا يلزم الحكم بينهما (فاحكم) بقطع البغى الواقع (بيننا بالحق) أى بما يطابق امر الله (ولا تشطط) أى ولا تبعد عن الحق لو اشرت الى صلح (و) ان كانت الخصومة عن التباس (اهدنا الى سواء الصراط) بحيث لا تميل عن الحق أصلا (ان هذا اخى) فى الدين والصحبة (له تسع وتسعون نعجة) انثى من الضان وقد جعل كناية عن امرأة فى موضع التعريض (ولى نعجة واحدة) فلم ينظر الى غنائه عنها ولا الى افتقارى اليها بل أراد التغلب على (فقال أكفلنيها) أى اجعلنى كافلها واجعلها نصيبى (وعزنى فى الخطاب) أى غلبنى فى المكالمة (قال) داود ان كان الامر كما قلت فوالله (لقد ظلمك بسؤال) أى طلب (نعجتك) التى أنت اليها أحوج ليضمها (الى نعاجه) مع استغنائه عن هذا الضم ولا يبعد منه لانه خليط (وان كثيرا من الخلطاء) الذين خلطوا اموالهم باموال اصحابهم (ليبغى بعضهم على بعض) بغى الحربيين بعضهم على بعض فهذه عادة الخلطاء (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يعتادون ذلك (و) الذين لا يبغون منهم اصلا (قليل) قلة (ما هم) نخرجا من عنده (وظن داود) من مناسبة حكومتهم لخطبة امرأة خطبها أوريا فغلب عليه (انما فتناه) أى امتحناه بالحكومة هل يتنبه لشأنه أم لا فتنبه (فاستغفر ربه) لما كان منه من شبه الذنب (و) تذلل فى الاستغفار حتى (خر راكعا) أى سقط ساجدا (و) ازداد تضرعا حتى (اناب) أى رجع الى الله من كل وجه قيل مكث أربعين يوما لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه فاتاه النداء انى قد غفرت لك (فغفرنا له ذلك) وان كان من حق الخلق (و) لا يبعد لقربه منا (ان له عندنا لزلفى) أى قربى تقتضى ارضاء خصومه (وحسن مآب) لكن لا ذنب له بل صارت توبته وبكاؤه حسنات أجل من سائر العبادات واقربه من الله وحسن رجوعه اليه مع حلمه على الخصوم عند اساءة الادب بتسور المحراب والدخول وقت الخلوة وكمال خوفه وحكمته استحق الخلافة

يكون بحق ويكون بباطل ومعذرون الذين أتوا بعذر (قوله جل وعز مجريها) أى اجراؤها أى مجراها اقرارها وقرئت مجراها بالفتح أى جريها ومرساها أى استقرارها (قوله منيب) أى راجع تائب (قوله متكأ) أى نمرقا يتكأ عليها وقيل متكأ مجلسا يتكأ فيه وقيل طعاما وقيل متكا وقيل

من الملك (انك أنت الوهاب) أي المبالغ في الهبات فهب لي ابلغ الهبات وهب من شئت ابلغ
منها (فسخرنا) أي ذللنا (له) أي تكميلا للملك (الريح) التي لا تطيع شيطانا ولو قام مقامه
(تجري بأمره) من غير عقد همة منه (رخاء حيث أصاب) أي لينة في مكان الاصابة لا تؤذي
احدا وان كانت عاصفة في السير بكرسيه وهذا اعجاز آخر كونها اللينة مع افادتها فائدة العاصفة
(و) سخرنا له (الشياطين) بحيث لا يمكن أحدا منهم ان يتسلط عليه ينتفع بهم في الخيرات اذ
سخرنا له (كل بناء) يبني له ابنية عظاما من المساجد والقناطير وغيرهما لتسكين عسكره
(وغواص) يستخرج له جواهر البحر لينفق من اثمانها على العسكر (و) سخرنا له شياطين
(آخرين) لا يتأتى منهم الخير ولكن دفع عنهم الشر اذ كانوا (مقرنين) أي قرن بعضهم ببعض
(في الاصفاد) أي القيود ولم يكلفه في هذا الملك ما يشق عليه بل قلنا له (هذا عطاؤنا) الذي
لا نطلب في مقابلته عوضا ولا نكلف عليه شيئا (فامنن) أي أعط منه ما شئت لمن شئت
(أو أمسك) أي امنع وكل ذلك لك (بغير حساب و) لم يعده عذا تصرفه في عطائنا على وجهه
بل (ان له عندنا لزلفى) أي قربى (وحسن مآب) اذ لم يذهب بطيباته في حياته الدنيا ولم يأت بها
بجعله عندنا في هذا الملك العظيم مع اجتماع الشياطين حوله (واذكر) في باب شدة الابتلاء
بالشيطان وحسن عاقبة من احتملها (عبدنا) الكامل في التحقق بالعبودية (أيوب اذ نادى
ربه) الذي رباه بالابتلاء بالشيطان شاكيا عنه (اني مسني) أي اصابني (الشيطان بنصب) أي
تعب من جهة اذهاب المال والاهل (وعذاب) أي ألم في الجسد وذلك ان ابليس قال الهي
نظرت في عبدك أيوب فوجدته عبدا انعمت عليه فشكرك ولو ابتليته لحال عما هو عليه
فقال عز وجل سلطتك على ماله فقال ابليس لعفاريته ماذا عندكم من القوة فصول احدهم
اعصارا من نار فاحرق ابله ورعاتها وصاح آخر على الغنم ورعاتها فماتوا وصار آخر ريحا عاصفة
فهبت على حرثه فنسفت فتمثل ابليس بصورة راع وحارث واتاه وهو يصلي فقال اقبلت نار
فغشيت ابلك فاحرقتها ومن فيها وصاح على غنمك شيطان فماتت وهبت على حرثك ريح
فنسفت فقال الحمد لله انها مال الله اعارنيها وهو أولى بها وقديما وطنت نفسي ومالي على الفناء
فقال ابليس الهي ان أيوب يرى انك متعته بولده فانت تعطيه المال فهل أنت مسلطي على ولده
فهي المصيبة التي لا يقوم لها أحد قال نعم فأتاهم وهم في قصورهم فلم يزل يزلزلها حتى اسقطها
عليهم ثم نكسهم فتمثل بمعلمهم وهو صريخ فأتاه وقال لو رأيت بنيك كيف عذبوا ونكسوا
يسيل دمهم ودماغهم وشقت بطونهم وتناثرت أمعاؤهم فقال ياليت أمي لم تلدني ثم افاق
واستغفر سريعا فرجع خاسئا وقال الهي انما هون على أيوب المال والولد لانه يرى انك متعته
فانت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطي على جسده قال على غير لسانه وقلبه فأتاه فوجده
ساجدا فنفخ من قبل وجهه في منخره نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثآليل
مثل اليات الغنم ووقعت فيه حكة فلم يزل يحك حتى قرح لحمه وأنتن واخرجه أهل القرية
ورفضه غير امرأته رحمة بنت افرايم بن يوسف فتمثل لها ابليس في صورة رجل فقال لها اين

بعلك

رافعي رؤسهم يقال أقنع رأسه اذا نصبه لا يلتفت يمينا ولا شمالا وجعل طرفه موازيا لما بين يديه وكذلك الاقناع في الصلاة (قوله جل وعز متوسمين) أي متفرسين يقال توسمت فيه الخير اذا رأيت ميسم ذلك فيه والميسم والسمة العلامة (قوله عز وجل المقتسمين) أي المتخالفين على عضه رسول الله صلى

قوله فخرج من قرنه الى قدمه الخ رد المحققون ذلك فانه يخل بمنصب النبوة والذي وقع له من بلاء جسمه انما هو مجرد علة جادية غير مشوهة اهـ مصحح

بعلك فقالت هو ذلك بحك قروحه و برد الديدان فى جسده فلما سمعها طمع ان تكون كلمة جزع
فذكرها ما كانت فيه من النعم ثم أتى بسخلة وقال ليذبح لى أيوب هذا فيبرأ فجاءت تصرخ
يا أيوب الى متى يعذبك ربك أين المال وأين الولد وأين لونك الحسن اذبح هذه السخلة فاسترح
فقال أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك أرأيت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من
اعطانيه قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمذ كم ابتلانا قال سبع سنين
واشهرا قال ويلك ما أنصفت لتصبرين فى البلاء ثمانين سنة كما كنا فى الرخاء والله لئن شفانى الله
لاجلدنك مائة جلدة أمرتنى ان اذبح لغير الله لاأذوق شيأ مما تأتينى به بعد هذا اعزبى عنى
فذهبت فلما رأى أيوب ليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر لله ساجدا وقال انى مسنى
الشيطان بنصب وعذاب فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك (اركض) أى اضرب
(برجلك) الارض ساعيا فى قلب ترابها ماء فركض برجله فنبعت عين فقيل (هذا مغتسل بارد)
يذهب بالحرارة المؤذية فاغتسل فلم يبق من دائه ودرنه شئ الاسقط وعاد اليه شبابه وجماله
كاحسن ما كان (و) ضرب مرة اخرى فنبعت عين أخرى فقيل هذا (شراب) فشرب فلم يبق
فى جوفه داء الاخرج فقام صحيحا هذا ما يتعلق ببدنه وقدمه لانه اهم وانما قدم أولا ما يشير الى
اهلاك المال والولد لتقدمه فى الواقع (ووهبنا له أهله) باحيائهم باعيانهم (ومثلهم معهم) بان
رددنا على المرأة شبابها فولدت سبع بنين وسبع بنات وقيل ستة وعشرين ذكورا (رحمة
منا) فوق أجر الصبر المؤخر الى يوم القيامة (و) انما اعطيناه ما اعطيناه ليكون (ذكرى لاولى
الالباب) ليذكروا انه اذا أعطى فى دار المحنة هذا المبلغ فماذا يعطيه يوم الجزاء ولئلا ييأسوا
عن روح الله (وخذ) لحلفك على ضرب امرأتك (بيدك) لابيد غيرك لما فيها من مزيد الاهانة
(ضغثا) أى حزمة صغيرة (فاضرب به) امرأتك ضربة واحدة تكفك عن مائة ضربة اذا اشتمل
على مائة عود وأصاب الجميع ولا تشدد لرعايتها حقك وصبرها معك (و) مع ذلك (لا تحنث)
بترك الضرب الذى فيه رعاية حقنا وانما آتيناه ما ذكرنا وخففنا على امرأته من اجل صبره
(انا وجدناه) فى كل ما ابتليناه به (صابرا) والصبر رأس العبادة لذلك صح فيه (نعم العبد) كيف
وكمال العبودية فى الرجوع الى مولاه (انه أواب) وكذلك كل صبار (واذكر) فى تكميل
العبودية بالصبر على اتمام الاعمال والمعارف (عبادنا) فى العبادات الظاهرة والباطنة (ابراهيم
واسحق ويعقوب) لكونهم (أولى الايدى) العاملة للاعمال القلبية والقالبية (والابصار)
الناظرة فى تحقيق الاعتقادات واتمامها وتكميل الاعمال عن كمال الصبر فيها بالاعراض عن
الدنيا (انا أخلصناهم) عن الالتفات الى الدنيا (بخالصة) أى بهمة وعزيمة خالصة لطلبنا حتى
التزموا (ذكرى الدار) الآخرة لالما فيها من المأكولات والمشروبات والمنكوحات بل من
منازل القرب والكرامات عند الله (و) ذلك لاصطفائنا اياهم (انهم عندنا لمن المصطفين)
اقربنا بل من (الاخيار) من بين طوائف المقربين (واذكر) فى أن القرب بالصبر على اعمال
التزكية (اسمعيل) المنقاد للذبح المفنى للنفس (واليسع) خليفة الياس بشرط ترك الشهوات

الله عليه وسلم وقيل المقتسمين قوم من أهل الشرك قالوا تفرقوا على عقاب مكة حيث يمر بكم أهل الموسم فاذا سألوكم عن محمد صلى الله عليه وسلم فليقل بعضكم هو كاهن وبعضكم هو ساحر وبعضكم هو شاعر وبعضكم هو مجنون فمضوا فاهلكهم الله وسموا المقتسمين لانهم اقتسموا طرق مكة (قوله

والغضب (وذا الكفل) خليفة اليسع بشرط قيام الليل وصيام النهار وترك الغضب (و) هؤلاء وان بالغوا في التزكية التي بها التجلي الشهودي للرب المفضي الى دعوى الربوبية في حق القاصرين فليسوا من أهل البعد بل (كل من الاخيار) اذ غاية (هذا) التجلي انه (ذكر) أي شرف لهم لا يخرجهم عن العبودية الى الربوبية فلا ينافي كونهم من الاخيار بل يؤكده (و) هذه المقامات وان كانت شريفة فلا يشتاق اليها العوام فلا بد لهم من مشوق آخر يشوقهم الى ما ألفوه فيقال (ان للمتقين) تناول المحرمات فانهم وان فاتهم ما ذكر (لحسن مآب) يناسب طباعهم (جنات عدن) يقيمون فيها بدل الانهماك في الشهوات (مفتحة لهم الابواب) أي أبواب الشهوات التي لم تفتح لهم في الدنيا لو أرادوها منها باب الجاه لذلك يكونون (متكئين فيها) على سررهم اتكاء الملوك وباب الاطعمة والاشربة اذ (يدعون فيها) الى أماكنهم بدل سعيهم الى فواكه الدنيا (بفاكهة كثيرة) تناسب الاطعمة المتروكة من الدنيا (وشراب) يناسب الشراب المتروك (و) باب الانكحة اذ (عندهم) بدل النسوة المتروكة من المحرمات نسوة (قاصرات الطرف) على ازواجهن مع حضور أصحابهم (اتراب) مستويات السن ليس فيهن عجوز ولا صغيرة (هذا ما توعدون) على ترك المحرمات (ليوم الحساب) فاذا تركتم أعطيتم بحساب ذلك ولو فعلتم عوقبتم بذلك الحساب لكن المتروك كان فانيا لا محالة وهذا غير فان (ان هذا لرزقنا ما له من نفاد) كما لا نفاد لنا (هذا) وان دل على انه لا يفوت بالتقوى شيء من المشتهيات بل يحصل في مقابلتها ما هو أكمل منها مما لا يتناهى من المراتب لا يكفي داعيا الى التقوى لمن لا يرضى بترك اللذات العاجلة للذات آجلة فلا بد من تخويف عظيم بان يقال (وان للطاغين) أي المجاوزين حد الشهوة المباحة (لشر مآب) لا يقوم خيرها اليسير بازاء ذلك الشر الكثير وهو أن لهم (جهنم) بدل تلك الجنات (يصلونها) بدل لذات النواكه بل على التلذذ بتلك الشهوة التي فنيت وبقي هذا ابد الآباد (فبئس المهاد) على انه يكون بدل اتكائهم على السرر ويقال لهم بدل شراب الجنة بل بدل ما شربوا في الدنيا من الاشربة المحرمة (هذا فليذوقوه) جزاء على ذوق الشراب المحرم (حميم وغساق) ما يسيل من الصديد (و) لهم مذوق (آخر من شكله) أي شبه ما مر هو (ازواج) أي أنواع من العذاب من جملتها التخاصم بينهم وبين اتباعهم بدل التلذذ بالنساء وذلك انه اذا ورد التابعون في النار قال خزنتها للمتبوعين الذين وردوها قبلهم (هذا فوج مقتحم) أي داخل النار ليكونوا (معكم) كما كانوا في الدنيا فيقول المتبوعون (لا مرحبا بهم) أي ما لقوا سعة (انهم) في ضيق من الشدائد اذ هم (صالوا النار قالوا بل انتم) احق بما قلتم (لا مرحبا بكم) بتخفيف العذاب لمشاركتنا اياكم (انتم قدمتموه) أي الصلى (لنا) بتلقين العقائد الردية والاعمال القبيحة فتقررت في قلوبنا هي تقررنا في النار (فبئس القرار) سيما وقد تقررت عداوتهم أيضا حتى (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا) حتى يكون (ضعفا) لعذابنا (في النار) وراء سائر وجوه العذاب (وقالوا) أي الاتباع انما اتبعناكم لانكم أوقعتم في اعتقادنا كون المؤمنين شرارا وأنكم خيار (ما لنا لا نرى)

جل وعز مفرطون) أي مقدمون معجلون الى النار وقيل مفرطون أي متروكون منسيون في النار ومفرطون بكسر الراء مسرفون على أنفسهم في الذنوب ومفرطون مضيعون مقصرون (قوله عز وجل مبصرة) أي مبصرا بها (مترفوها) هم الذين تنعموا فيها أي في الدنيا في غير طاعة الله عز وجل (قوله ملحدا) أي معدلا وعدلا أي ملتجأ يميل

فى النار (رجالا) من المؤمنين (كنا نعدهم) لفقرهم وتركهم دين آبائهم (من الاشرار) واذا
ذكروا فضل ايمانهم واعمالهم (اتخذناهم سخريا) اهم خارجون من النار فليسوا من الاشرار
(أم) هم مع سائر الاشرار فى النار لكن (زاغت عنهم الابصار ان ذلك) القول وان وقع حال
الاشتغال بالعذاب (لحق) لانه (تخاصم أهل النار) يريد البعض دفع العذاب عن نفسه
اوتخفيفه عليها او تغليظه على صاحبه ولو بايهام شرية المتبوع الخيروخيرية المتبوع الشرفان
زعموا ان غاية هذا انه مبالغة فى التخويف وهو مالم يظهر له أثرموجب السخرية (قل) انما
يظهر اثره بالتعذيب لكنه ليس بيدى (انما أنا منذر و) لوكان بيدى لكنت الها لكن
(مامن اله الا الله) لانه (الواحد) فى الالهية (القهار) لكل الهسواه لو كان وانما احتيج الى
الواحد لانه (رب السموات والارض ومابينهما) من المحدثات المفتقرة الى المحدث وكثرتها
لاتوجب تعدده لانه مبطل لعزته لكنه (العزيز) على الاطلاق ولذلك لايظهر بجميع كمالاته
فى المظاهر فلابد أن يستر الهيته عنها لانه (الغفار) فان زعموا ان غاية هذا انه استدلال على
شريته ما يب الطاغين وهو انما يكون حجة على من أصغى اليه لكنا عنه معرضون (قل) انما
يعرض العاقل عما يراه سهلا والمستدل عليه فيما نحن فيه (هو نبؤ عظيم) بحسب مقتضى عزته
القاهرة لالهية ماسواه فهى تقتضى قهر من أشرك به (أنتم) مع ادعائكم كمال العقل لانفسكم
(عنه معرضون) لاعن جهلكم بصدقه بل مع علمكم بصدقه لمطابقته كتب الاولين من غير
اطلاع لى عليها ولاسماع من أهلها ولامن الشياطين المستمعة من الملا الاعلى فانه (ما كان
لى من علم بالملا الاعلى) أى بكلامهم (اذ يختصمون) أى يبحثون عن المعارف والاخبار
وكيف يكون لى هذا من الشياطين مع انه (ان) أى ما (يوحى الى الا انما أنا نذير) من اضلال
الشياطين (مبين) بعيدا اضلاله وهو عداوته مع الله لاجل غضبه عليه من ترك السجود لآدم (اذ
قال ربك للملائكة) الذين هم فوق ابليس (انى خالق بشرا) فلاينبغى ان تزدريه اعينكم لكونه
(من طين) يغلب عليه التراب والماء اذ أشرفه بتعديل المزاج (فاذا سويته) أى عدلت مزاجه
بحيث يحصل له وحدة تقتضى فيضان الروح منى (و) ازيده تشريفا اذا (نفخت فيه من روحى)
أى نورته بنور روح فاض منى (فقعوا) على الارض (له) نظرا الى جمعه بين العلويات والسفليات
(ساجدين فسجد الملائكة) السماوية والارضية (كلهم أجمعون) لم يتأخر سجود بعضهم عن
بعض (الا ابليس) فانه وان كان دونهم ثم لحقهم بالعبادة حتى دخل فى أمرهم لم يسجد لانه
(استكبر و) دعاه استكباره الى جحود وجوب امتثال امر الله فكأنه (كان) قبل ذلك (من
الكافرين) وان كان مبالغا حينئذ فى عبادته (قال يا ابليس) بعدما غير اسمه اذ كان اسمه
عزازيل (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى) أى جمعت فى خلقه بين صفاتى المتقابلة التى بها
افعل الاشياء فعل اليدين (أستكبرت) عليه مع كونك ادنى من الملائكة الساجدين (أم) لم
تستكبر ولكن (كنت من العالين) أى الملائكة الذين فوق السموات لم يؤمروا بسجوده
لكونهم ممن لايعلمون انه خلق آدم ام لا لاستغراقهم فى مشاهدة جلال الله تعالى (قال) انى وان

(قوله عز وجل المهل) هو دردى الزيت ويقال ما أذيب من النحاس والرصاص وما اشبه ذلك (قوله تعالى مرتفقا) متكأ على المرفق والاتكاء الاعتماد على المرفق (قوله عز وجل المثلى) تانيث الامثل (قوله مشفقون) هى خائفون (قوله مضغة) هى لحمة صغيرة سميت بذلك لانها بقدر ما يمضغ (قوله عز وجل اليه فيجعله حرزا

لم اكن من العالين فيمكنني فى الامتناع كونى اعلى منه (أنا خير منه) عنصرا اذ (خلقتنى من نار) أى من عناصر يغلبها النار (وخلقته من طين) ومركز النار اعلى وتاثيرها اشد (قال) اذ خرجت من أمرى ومن العقل الكامل بترك النظر الى شرف روحانيته (فاخرج منها) أى من رتبة الملائكة (فانك رجيم) أى مطرود عن رتبة القرب اللازمة لرتبة الملائكة (و) لا اقتصر فى حقك بمجرد الطرد بل العنك (ان عليك لعنتى) أى غضبى الذى لا ينقطع (الى يوم الدين) فلا ينقطع العذاب عنك بعده (قال رب) مقتضى تربيتك اياى فيما تقدم ان لا تعجل عقوبتى (فانظرنى) اى امهلنى (الى يوم) الجزاء العام اذ (يبعثون) فيه (قال) اذا استمهلتنى بتربيتى السابقة (فانك من المنظرين) لا الى يوم البعث لتبقى بعد جميع بنى آدم بل (الى يوم) النفخة الاولى الواقعة فى (الوقت المعلوم) اى المعين لانتهاء أمر الدنيا فانه يغلب فيه القهر الكلى فلا تسلم فيه (قال) اذ قهرتنى بعزتك وحجبتنى بها عنك اذ ظهرت بيديك فى آدم (فبعزتك) أقسم (لاغوينهم) أى لاضلنهم (اجمعين) بمقتضى حجاب العزة (الا عبادك منهم المخلصين) لخروجهم عن تلك الحجب بنور اخلاصهم فمر قولك وعبدك (قال) انك وان صرت مبطلا (فالحق) قلت فى الاغواء والاستثناء (والحق أقول) فيما يترتب عليه فاقسم (لأملأن جهنم) بمقتضى القهر اللازم للعزة (منك وممن تبعك منهم أجمعين) فهذا الوعيد هو مبدأ الانذار فان اعرضوا عن انذارك بعد بيان مبدئه لانه يشق عليهم الاصغاء اليه (قل) انما يشق الاصغاء الى ما فيه غرم لكن (ما اسئلكم عليه من اجر) أو امارة كذب كالتكلف لاصلاح الكلام (وما انا من المتكلفين) أو اختلال غرض ولا اختلال فيما ادعو اليه (ان هو الا ذكر للعالمين) أى شرف للكل اذا ظهرت علومه وعمل بها (و) انتم لو خفيت عليكم فوائده (لتعلمن نبأه) المتضمن لتلك الفوائد (بعد حين) اما فى الدنيا عند كثرة العلماء أو فى الآخرة * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

(سورة الزمر)

سميت بها لاشتمالها على الآية التى ذكرها المشيرة الى تفصيل الجزاء والزام الحجة وبطلان المعذرة وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى فى كتابه بتفاصيل اسمائه وصفاته واحكامه وافعاله واجمال ذاته (الرحمن) بتنزيله لبيان تلك التفاصيل (الرحيم) بانزاله لبيان ذاته اجمالا (تنزيل الكتاب) لبيان تلك التفاصيل (من الله) المشتمل عليها مع احتجابها باعتبار اسمه (العزيز) ليصير الى عالم الحكمة باعتبار اسمه (الحكيم) وبين ذاته فى اثناء بيان تلك التفاصيل اجمالا للكل (انا انزلنا) من مقام الجمع (اليك) يا مظهر الجمع (الكتاب) الجامع للتفصيل مع الاجمال متلبسا (بالحق) لتعبده باعتبار جمعه فى ذاته وتفصيله فى مظاهره (فاعبد الله) باعتبار جمعه بين الاجمال والتفصيل غير مشرك به المظاهر بل (مخلصا له الدين) والمظاهر وان عبدت ورجع عبادتها الى الله فليس ذلك دينه بل (الا لله الدين الخالص) عن وجوه الشرك (و) عبادة المظاهر لا يخلو عنه اذ (الذين اتخذوا من دونه أولياء) يقولون (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله)

مخالفة) مخلوقة تامة وغير مخلقة هى غير تامة يعنى السقط (قوله عز وجل المحتر) هو الذى يراك ولا يسأل (قوله تعطيه) أى معطلة (قوله جل وعز متروكة على هيئتها (قوله عز وجل معاجزين) أى مسابقين ومعجزين أى فائتين ويقال مثبطين (قوله جل وعز ملعنين) أى مقصرين أى معتادين (قوله عز وجل المضعفون)

لانهم مظاهره الكاملة فعبادتهما تزيدنا معرفة به والزيادة فيها تفيدنا (زلفى) أى قربا فوق قربنا بلا واسطتهم لكنهم ليسوا مظاهره الكاملة بل اختلف ظهوره فيها لذلك اختلفوا فى معرفة الله (ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) من معرفته وظهر بذلك كذبهم انها تفيدهم مزيد معرفته بل انها تحجب عنه (ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار) فهى وان كانت للاستدلال بها على الصانع فانما يستدل الكامل دون هؤلاء سيما القائلين بظهوره بالالهية فيها فهو كاذب فى هذا الزعم كفار بنسبة هذه الرتبة الى من ليست له فلا يهتدى الى معرفة الالهية أصلا فان زعموا انه وان لم يظهر الحق فى أوليائهم بالالهية ظهر فى بعضهم بالسر الذى يظهر من الوالد فى ولده فيقال هذا التوسط انما يتم لو أمكن أن يكون له ولد لكنه انما يتصور بمباشرة المرأة وهى من خواص الحيوان ولو تصور بغيرها فبالاصطفاء فحينئذ (لو أراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى) لاعطاء هذه الالهية (مما يخلق) مع ما فيه من النقيصة المنافية لهذه الرتبة الشريفة (ما يشاء) لا ما يشاؤن لكنها انما تتم بالمشاركة وقد تنزه (سبحانه) عن المشاركة لانه (هو الله) الجامع للكمالات كلها وهو انما يتم له لو انفرد بها فهو (الواحد) بحيث لو امكن شئ منها لغيره فهو (القهار) له وكيف يكون ظهوره فى أوليائهم ومعبوديهم أكمل من ظهوره فى كل ما عداهم مع انه (خلق السموات والارض) أكمل مظهرية منهم بظهور تفاصيل اسماء الحق وصفاته فيهما كانهما متصفان (بالحق) ومع ذلك لا يخلوان عن نقص به صار كمالهما قابلا للقهر فمن كمالهما الليل والنهار وهو يقهرهما اذ (يكور الليل) أى يجعله لباسا (على النهار و) يقهر هذا القاهر بقهوره اذ (يكور النهار على الليل و) يقهر ما هو سلطانهما اذ (سخر الشمس) سلطان النهار (والقمر) سلطان الليل والتسخير قهر على ان منتهى أمرهما القهر عليهما اذ (كل يجرى لاجل مسمى) هو أجل القيامة قاهرة لكل ما سواه فيقهران فيه وكيف يظهر بكمالاته فى مظاهر النقص وهو ينافى عزته (الا هو العزيز) فهو وان ظهر بعزته فى قهره للاشياء يستر عزته وسائر كمالاته من حيث هو (الغفار) فلا يظهر بكمالها فى شئ بحيث يستحق العبادة فيه ولا يبعد عليه أن يظهر بكماله فى شئ و يستره عن الناظرين حال ظهوره اذ (خلقكم من نفس واحدة) فظهر فيها بالكمالات التى يظهر بها فيكم لكن لم يظهرها لكم الى حين اخراجكم (ثم) لا يبعد عليه الجمع بين الظهور والبطون كما لا يبعد عليه الجمع بين الذكورة والانوثة فى تلك النفس اذ (جعل منها زوجها و) كيف لا تكون تلك النفس الجامعة لكمالاتكم من أكمل المظاهر مع ان من كمالكم انه (أنزل لكم) أى جعل تحت قهركم (من الانعام ثمانية أزواج) ومما يدل على كمالكم أنه (يخلقكم فى بطون امهاتكم) لتأخذوا اسرارها الباطنة كما أخذتم أسرار آبائكم (خلقا من بعد خلق) فيجتمع فيكم حقائقها وتصير اسرارا بتبعية ظلمات الاماكن اذ خلقكم (فى ظلمات ثلاث) ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة (ذلكم) المدرج فيكم هذه الاسرار هو (الله) الجامع لها لا مظهر من مظاهره اذ لا ربوبية لها وادراجه من حيث هو (ربكم) فان كان هو المظهر فلا يستحق العبادة لان المستحق لها هو الملك ولا ملك لهذه المظاهر بل (له الملك)

أى ذوو الاضعاف من الحسنات كما تقول رجل مقو أى صاحب قوة وموسر أى صاحب يسار (قوله جل وعز متبرجات) أى مظهرات محاسنهن مما لا ينبغى أن يظهرنه و يقال متبرجات متزينات (قال أبو عمر قيل متبرجات أى منكشفات الشعور) (قوله عز وجل مشرقين) أى مصادفين شروق الشمس

كيف والمظاهر والظهورات متعددة وهو (لا اله الا هو فانى تصرفون) عن عبادته الى عبادة
مظاهره أو ظهوراته ولا يلومكم على صرفكم لانه يضره فانكم (ان تكفروا) لم يضره كفركم والا
كان محتاجا اليكم والى ايمانكم لكن لا حاجة له الى شئ (فان الله غنى عنكم) وان توقف ظهور
بعض أسمائه كالرزاق والمحيى والمميت والغفور والشكور عليكم فهو غنى عن ذلك الظهور
أيضا (و) لكن يحبه لذلك (لا يرضى لعباده الكفر) لانه ينقص مظهريتهم فينقص ظهوره فيهم
وهو يحب كمال ظهوره فيهم اذ هو كمال الظهوره (و) لحبه كمال ظهوره (ان تشكروا يرضه لكم) اذ
يكمل بذلك مظهريتكم فيكمل ظهوره فيكم (و) لو فرض كمال ظهوره بكافر لم يعتد به لان نقيصة
كفره تعارضه الا أن يحملها متحمل لكن (لا تزر وازرة وزر أخرى ثم) هذا النقص وان لم يرجع
منكم الى الله تعالى لكن (الى ربكم مرجعكم) فكانت نقيصتكم أيضا راجعة اليه وقد رجعت
الى ظهوره بالحقيقة (فينبئكم بما كنتم تعملون) من الخيانة فى حقه والاعمال وان تعلقت
بالجوارح التى ليست مظاهره الكاملة فلها تاثير فى مظهرية الصدور فينبئكم بها (انه عليم
بذات الصدور و) لحبه كمال مظهرية القلب ربما يضر الجوارح لتكميله فانه (اذا مس
الانسان ضر دعا ربه) فيكمل بذلك مظهرية قلبه اذ يصير (منيبا) أى راجعا (اليه ثم) بعد ازالته
بدعائه (اذا خوله) أى ملكه (نعمة) عظيمة (منه) ليزداد رجوعا اليه (نسى ما كان) من الضر
(يدعوا) الله (اليه) أى الى دفعه (من قبل) أى من قبل هذه النعمة (و) نسى المنعم أيضا اذ
(جعل لله أندادا) لا لرؤيته اياهم وسائط نعمته بل (ليضل عن سبيله) باعتقاداتهم مظاهر كاملة
له والكمال الظاهر فيها عين النقص بالنسبة الى كمال الحق واعتقاد النقص فى كماله موجب للضلال
عن سبيله فان زعم انه بذلك متقرب اليه لذلك ينعم على الحق بواسطتهم (قل تمتع بكفرك) الذى
هو توسيطهم للاستفاضة منه على أنهم مظاهره الكاملة تمتعا (قليلا) فى الظاهر لا فى الحقيقة
(انك من أصحاب النار) باعتقادك النقص فى كمال الحق وتوسيطك ما جعلته شريكه فى الكمال
الذى به استحقاق العبادة وكيف لا يعذب هذا المتمتع بالنعم مع كفره بالمنعم وتشريكه به من لا نعمة
منه أصلا اذ غايته انه من أسبابها التى لا أثر لها فيقال اهذا الكافر خير من ذلك الشاكر الذى تعب
بخدمة المنعم (أمن هو قانت) أى قائم بوظائف الطاعات شكر المنعم (آناء) أى ساعات (الليل)
حال غفلة هذا المتمتع (ساجدا) بالتذلل له (وقائما) باوامره (يحذر الآخرة) التى يجازى فيها على
تقصيره فى شكره وخدمته بالتذلل له (ويرجوا) لخيره (رحمة ربه) الذى رباه بالنعمة قبل استحقاقه
فان أصروا على القول بتفضيله عليه (قل) أين أنتم من التفضيل بل هل يستويان فان التزموا
القول بالاستواء قل (هل يستوى الذين يعلمون) النعم والمنعم (والذين لا يعلمون) شيأ منهما لكن
(انما يتذكر) بهذه الكلمات هذه اللطائف (أولوا الالباب) الآخذون بلب كل شئ فان زعموا
ان أهل اللب لا يرون الله ينتفع بالطاعات ولا يتضرر بالمعاصى فلا يتعبون أنفسهم بالسجود
والقيام آناء الليل ولا يحذرون الآخرة ويغلب عليهم الرجاء على انه عز وجل يعلم انه لا يتيسر فى
أرضنا فلا يكلفنا بما يعسر فيها على خلاف مقتضى رحمته بنا ولا يتيسر لنا الخروج عن أرضنا

أى طلوعها (قوله عز وجل
مصحرين) أى مطلين
بالطعام والشراب أى انما
أنت بشر (ممرد) مملس
ومنه الامرد الذى لا شعر
على وجهه وشجرة مرداء
لا ورق عليها (قوله تعالى
المحضرين) أى محضرين
النار (قوله عز وجل منيبين)
أى راجعين تائبين (قوله
عز وجل مقمحون) أى
رافعو رؤسهم مع غض

الا بصبر عظيم عن مالوفا تنافيها فالتكليف به ايقاع فى الحرج المنافى لمقتضى رحمته (قل يا) بصبراء تعلمون انكم أهل اللب لانكم (عبادى) والمولى يتصرف فى العباد كيف يشاء وأنتم من (الذين آمنوا) بانه أمر ونهى ووعد وأوعد وانه صادق فى كل ذلك قادر عليه فحقكم أن تتقوا مخالفته (اتقوا ربكم) الذى رباكم بالنعم أن يسلبها عنكم ويذيقكم النقم ان خالفتموه فان لم ينتفع به هو ولم يتضرر فلا شك أنكم تنتفعون به اذ (للذين أحسنوا) اعتقاداتهم وأعمالهم (فى هذه الدنيا) المشتملة على الشهوات والغرور (حسنة) هى القرب من الله والفوز بثوابه لايثار جنابه على ماسواه وحصول ماتزرعوا بزرعهم (و) ان لم يتيسر لكم ذلك فى أرضكم فاخرجوا الى غيرها اذ (أرض الله) التى يتيسر فيها طاعته (واسعة) فان عسر عليكم الخروج اليها فالصبر عليه أعظم للاجر ولا ينافى تكليفه بذلك عظم رحمته لانه (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) فان زعموا ان أهل اللب أهل التوحيد الذى لا يتصور معه عبادة ولا عابد (قل انى) وان كنت من أعلى الموحدين (أمرت) باعتبار ان حقيقتى العبودية وانما التوحيد باعتبار اشراق نور الوجود عليها (أن أعبد الله) الجامع للانوار المشرقة نور الوجود على الكل يشرف بها على حقيقتى لا لاستقلالها بالعبادة بل (مخلصا له الدين) بالتوحيد (و) لا أخرج بتوحيدى عن العبودية اذ (أمرت لان أكون أول المسلمين) أى المنقادين بحقيقتى وبما أشرق على من نور الوجود للوجود الحقيقى المشرق بهذه الانوار فان زعموا ان التوحيد رافع للعقاب لامتناع أن يعاقب أحد نفسه فاذا لم يخف وقوعه فما معنى التكليف (قل انى أخاف) أى من جهة حقيقتى (ان عصيت ربى) بمخالفة أوامره ونواهيه التى كانت بها حقيقتى المرباة بنور أشرق عليها من الوجود الحقيقى المزيد هاتربية (عذاب يوم عظيم) بالتجلى الجلالى عليها بدل التجلى الجمالى فان زعموا انه كيف يبقى نظر التوحيد مع العبادة بل يكون العابد عابدا لنفسه على انه انما يعبد الله لينفع نفسه (قل الله) لا لنفسى (أعبد) والتوحيد لا يوجب اتحاد الحقيقة مع نور الوجود الحقيقى المشرق عليها فضلا عن الاتحاد بذاته (مخلصا له دينى) عن طلب نفع لنفسى (فاعبدوا ماشئتم) من أنفسكم أومنافعها (من دونه) فان زعموا ان العبادة اذا خلت عن نفع النفس وقد أخلت بالشهوات الدنيوية كانت محض خسران (قل) ليس الخسران المحض خسران شهوة فانية وتعب فان بل (ان الخاسرين) الخسران المحض هم (الذين خسروا أنفسهم) التى بها كان التلذذ بالشهوات وكانت أحب اليهم من كل مشتهى (وأهليهم) الذين أحب اليهم من أنفسهم خسرانا أبديا لفوات الشهوات كلها عليها وعليهم أبدا لوقوعه (يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين) الذى لا يسترو بح هذا من جهة فوات الشهوات وأما من جهة اجتماع وجوه التعب فهو انه (لهم من فوقهم) لفساد اعتقاداتهم واخلاقهم وأعمالهم الباطنة (ظلل) أى أطباق (من النار ومن تحتهم) لفساد أقوالهم وأعمالهم الظاهرة (ظلل) ولا ينافى ذلك عظيم رحمته اذ (ذلك يخوف الله به عباده) ليرحمهم باصلاح اعتقاداتهم وأخلاقهم وأعمالهم التى بها الفوز بقربه وثوابه والنجاة عن بعده وعقابه وحجابه ولكونه أشد من العذاب

أبصارهم ويقال المقمح الذى جذب ذقنه الى صدره ثم رفع رأسه (قوله عزوجل مظلمون) أى داخلون فى الظلام (قوله تعالى ذكره مستسلمون) أى معطون بايديهم (قوله المدحضين) أى المغلوبين وقيل المقروعين وقيل المقمورين (قوله عزوجل مليم) الذى اتى بما يجب ان يلام عليه (قوله عزوجل

على أخص خواصه قال لهم (يا عباد فاتقون) أى ذاتى وان كنتم من أهل التوحيد (و) ليس من الحسن ترك عبادة المظاهر بل (الذين اجتنبوا الطاغوت) أى الشيطان المبالغ فى الطغيان لا بانكار مظهر يقابل (أن يعبدوها) وان أوهم لفظ التوحيد كون الكل معبودا (وأنابوا) أى رجعوا عن عبادة المظاهر (الى) عبادة (الله لهم البشرى) بكل ربح من قربه وثوابه والفوز باحسن محامل التوحيد فمن وجوهه ما هو كفر صريح كاعتقاد الهية الكل وأحسن وجوهه اعتقاد ان الوجود الحقيقى واحد مختص بالله ووجود ما سواه من اشراق نوره عليه وهكذا كل لفظ يحتمل وجوها يجب اتباع أحسنها (فبشر عبادى الذين) يخصوننى بالعبادة وان سمعوا من الكمل ان كمال التوحيد اعتقاد وحدة الكل لانهم وان كانوا (يستمعون القول) من الكمل ينظرون الى وجوهه (فيتبعون أحسنه) أى أحسن محمل له (أولئك) وان أنكر عليهم ملاحدة الموحدين فهم (الذين هداهم الله) اذ لا هداية فى الوجوه القبيحة وان كانت وجوه الاقوال الكمل (وأولئك) لا يلامون بمخالفة الظواهر فى بعض الالفاظ لانهم (هم أولوا الالباب) أى البواطن فيما خالفت الظواهر العقل الصريح والا أخذوا بها جميعا (أ) يكون أهل الهداية من أخذ بالظاهر وان قبح بحيث يدل العقل على انه كفر صريح (فمن حق عليه كلمة العذاب) يكون من أهل الهداية من غير أن يسعى فى انقاذ نفسه من حقية كلمة العذاب عليها باقامة دليل آخر عقلى فى مقابلته (أ) تسعى فى انقاذه بدلالة ظاهر اللفظ (فأنت تنقذ من فى النار) وليس من التقوى ترك التأويل فيما دلت الدلائل العقلية على استحالة الظواهر (لكن الذين اتقوا ربهم) أن يضلوا عن سبيله يجرون دلائل عقلية ويبنون عليها نتائج ثم يجمعون بينها وبين الدلائل النقلية والكشفية فيجرون أنهار المعارف المفضية الى الاحوال الشريفة والمقامات الكريمة لذلك يكون (لهم غرف) أى منازل رفيعة لابتناء مطالبهم على الدلائل النقلية والعقلية والكشفية (من فوقها غرف مبنية) ابتنائهم الاحوال والمقامات عليها (تجرى من تحتها الانهار) لاجرائهم أنهار المعارف وهذا وان لم يجب على الله فلا بد من وقوعه لكونه (وعد الله لا يخلف الله الميعاد) لما فيه من نقيصة الكذب فان زعموا ان الموعود المستقبل انما يستقر فى الخاطر برؤية نظيره فى السابق يقال (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) وهو نظير انزاله مواد العلوم العقلية والنقلية والكشفية (فسلكه ينابيع فى الارض) وهو نظير ايقاعها فى تركيب الادلة (ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه) وهو نظير استخراج النتائج المختلفة (ثم يهيج) أى ييبس (فتراه مصفرا) وهو نظير آثار التزكية والتصفية (ثم يجعله حطاما) أى فتاتا متكسرا وهو نظير الاحوال والمقامات التى لا عبرة فيها للوجود المجازى (ان فى ذلك لذكرى) نحو ما ذكرنا (لاولى الالباب) فمن تذكر من هذه الامور المحسوسة تلك الامور المعقولة تذكر تلك الامور المحسوسة من هذه الامور المعقولة فكأنهم لغاية تعمقهم ينقلبون من المحسوس الى المعقول ثم منه الى المحسوس فهذا المحسوس كأنه نظير لذلك فافهم ويحتمل أن يقال انما نزل الله تعالى العقول والكتاب فسلكه ينابيع القلوب لاخراج زرع الاعمال المختلفة ثم ان ذلك الزرع يختلف له

الاحوال

مغتسل) وغسول الماء الذى يغتسل به والمغتسل أيضا الموضع الذى يغتسل فيه (مقتحم معكم) داخلون معكم بكرههم والاقتحام الدخول فى الشئ بشدة وصعوبة (قوله عز وجل متشاكسون) عسرو الاخلاق (وقوله عز وجل مقرنين مطبقين) من قولك فلان قرن فلان اذا كان مثله فى الشدة (قوله عز وجل

الاحوال باعتبار البرزخ والقيامة فلا يبقى لها أثر ما بل تنقلب الى صور أخر ففي البرزخ يبقى فيه أثر من هذا العالم ويمحى أثره بالكلية في القيامة ويحتمل أن يقال لو قالوا ذكر الله والتوجه اليه يفيد ذلك من غير شرط التقوى اذ يحصل لأهلهما في الدنيا الخوارق فلا يبعد أن يحصل لهم تلك الغرف فيقال ان لذكر الله والتوجه اليه فضاء عما ويا يفيد تصفية وتزكية من اجراء أنهار المعارف ويثبت ما يشبه الكرامات لكن لا بقاء لها بدون التقوى فان الاهوية الفاسدة تفسد ذلك الزرع على سبيل التدريج وهذا الوجه أقرب من الاولين فان زعموا ان كثيرا ممن ظهر كمال لبه لا يتذكرون شيأ من أمثال ما ذكر ثم قيل انما يتذكرها من شرح صدره للاسلام دون من قسا قلبه (أ) يتذكر كل من اشتهر باللب وان لم يستعمل لبه في أمور الدين (فمن شرح) أي وسع بالتصقيل لانطباع صور الامور الدينية كأنه تلين لها تلين الشمع لقبول الصور (الله) باعتبار ذاته واسمائه وصفاته (صدره) وجه القلب يلي النفس (للاسلام) أي لامور الدين بالتصفية والتزكية حتى يتجلى الله تعالى فيه (فهو على نور من ربه) الذي رباه بالتصقيل والتليين والشرح لكن قسا قلبه ولم يتصقل ولم ينشرح ولم يستنر ولم يلن بل جمد على الامور الدنيوية (فويل للقاسية قلوبهم) لم تلين ولم تتصقل (من ذكر الله) الكاشف عن الحقائق الدينية (أولئك) وان اهتدوا في الامور الدنيوية (في ضلال مبين) عن المطالب الدينية كيف وقد ضلوا عن أحسن ما أنزل الله تعالى للايصال اليها اذ (الله) باعتبار ذاته واسمائه وصفاته (نزل) مرآة فعل المصقل (أحسن الحديث) الحديث تصقيلا للقلوب (كتابا) جامعا للحقائق والاحكام ويترتب عليها (متشابها) يشبه بعضه بعضا في غاية الكمال ليكون أشرح للصدور (مثاني) يرجع بعضه الى بعض بالتأييد فيكون اشد تاثيرا بحيث يسري من القلوب الى الجلود (تقشعر) أي تنقبض (منه جلود الذين يخشون ربهم) من سريان أثر الخشية من قلوبهم الى جلودهم عند التجلي الجلالي (ثم تلين جلودهم) عند التجلي الجمالي (و) لذلك تميل (قلوبهم الى ذكر الله) فلا يزال يوصلها الى مراتب القرب منه والرضوان (ذلك) وان اقتضى كونه هداية لجميع أولى الالباب الا انه لكونه (هدى الله) الخاص به (يهدي به من يشاء) من خواصه وهو المؤثر فيه دون هذه الاسباب وان جلت (و) لذلك ترى (من يضلل الله) فانه وان كان كامل اللب جامعا للعلوم مبالغا في الاعمال (فما له من هاد) فان زعموا ان الضال هو الذي يغتر بهذه الكلمات ويقشعر منه جلده دون من يثبت على دين اتفق عليه عقلاء الاولين قيل (أ) من تأثر قلبه بذكر الله وتلاوة كتابه حتى اقشعر جلده ثم لان الى ذكر الله حتى كوشف له ضال أم من قسا قلبه مع ان القاسي يجب أن يجازى بمنع التحرك بان يغل يده الى عنقه (فمن يتقي) أي يحفظ (بوجهه) اذ يدفع به (سوء العذاب يوم القيامة) يوم الجزاء الوفاق هاد في زعمكم ولو نظر الى تلينه لاعمال الدنيا فهو ظالم لصرفه أعضاءه المخلوقة لعبادة الله تعالى الى اهويته (وقيل للظالمين) بعد تصوير أعمالهم بالصور المؤلمة (ذوقوا ما كنتم تكسبون) ولو كانت أعمالهم صالحة كفى تكذيبهم سببا لتعذيبهم فانه (كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب) ولا يجب الشعور به قبل مجيئه ليؤمنوا عند قربه لان سنة الله قد

مقترنين) أي اثنين اثنين (قوله جل وعز مقتدرون) منيعون (قوله مبشرين) أي مخبرين (مسيطرون) أرباب يقال قد تسيطرت علي أي اتخذتني خولا (قوله عز وجل والمؤتفكة أهوى) المؤتفكة المخسوف بها وأهوى جعلها تهوي (قوله عز وجل مستمر) أي قوي شديد ويقال مستحكم (قوله مزدجر) أي متعظ

بجرت باتيان العذاب (من حيث لايشعرون) وكيف لايعذبهم على التكذيب والتكذيب
اذلال (فأذاقهم الله الخزى) بالقتل والسبى والاجلاء والمسخ والخسف (فى الحيوة الدنيا)
وان لم تكن دار الجزاء ليكون دليلا عليه (و) ليس الدليل كالمدلول بل (لعذاب الآخرة أكبر)
يعلمون كبره (لو كانوا يعلمون) الحقائق فان يوم الجزاء يوم ظهور الله بكمال عزته وعظمته فلابد
وأن يكون الجزاء مناسبا له (و) لم نقتصر على هذا الدليل بل (لقد ضربنا) بينا (للناس) الذين
نسوا الحقائق (فى هذا القرآن) الذى هو دليل فى نفسه من اعجازه (من كل) دليل عقلى وكشفى
ينزل منزلة (مثل لعلهم يتذكرون) به ما يهمهم من أمور الآخرة من غير صعوبة لكونه (قرآنا
عربيا) أى مقروأ بألسنتهم (غير ذى عوج) من التعقيد والقصور والايهامات والتخيلات
الفاسدة (لعلهم يتقون) العذاب والخزى يوم الجزاء بالاتقاء من الافعال القبيحة والاخلاق
الرديئة والاعتقادات الفاسدة ومن أجل ذلك الامثال ما مثل به ليتقى من أعظم المخوفات وهو
الشرك (ضرب الله مثلا) للمشرك والموحد رجلين مملوكين (رجلا فيه شركاء متشاكسون)
مسيؤ الاخلاق يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهماتهم المختلفة لايزال متحيرا متوزع القلب
(ورجلا سلما) أى خالصا من الشرك لكونه ملكا (لرجل) واحد فهو وان كان مسىء الخلق
متصيرا لانبلغ اساءته مبلغ اساءة الجماعة (هل يستويان) فى متاعب العبودية والتحير وتوزع
القلب فيكونان (مثلا) أى متماثلين هذا لو لم يكن للمشرك وراء ذلك العذاب الخالد
وللموحد الثواب الخالد (الحمد لله) على انجائه عبيده من الشركاء المتشاكسين وجعلهم
سالمين له لكن لايحمده الاكثر على ذلك (بل أكثرهم لايعلمون) ان هذا يقتضى الجهل بل
يعتقدون ان كثرة الآلهة أقضى للحوائج وفيها كثرة الشفعاء فان لم يرتفع منهم هذا الجهل
بهذا البيان ارتفع بالموت (انك ميت وانهم ميتون ثم) ان بقى لهم بعد الموت رجاء الشفاعة
يرتفع عند تحاكمهم (انكم يوم القيامة) يوم الرجوع الى الله للفصل (عند ربكم تختصمون)
فى اختصاصه بالالهية أو مشاركته فيها فيحكم على الاولين بالثواب الخالد وعلى الآخرين
بالعذاب الخالد لافراط ظلمهم بحيث لامدخل للشفاعة فيه فان شكوا فى الظالم والمظلوم من
هؤلاء المتخاصمين قيل لهم (فمن أظلم) من المتخاصمين عند الله (ممن كذب على الله) فجعل
له شريكا بلا دليل (وكذب بالصدق) أى بدليل التوحيد (اذ جاءه) من عند الله فلاشك
فى كفره ومؤاخذته بالعذاب فى النار الا ان لايبقى فيها موضع (أليس فى جهنم مثوى) أى
مسكن (للكافرين و) لو لم يكن هذا لما كان الظالم هو (الذى جاء بالصدق) أى بدليل
التوحيد من عنده (وصدق به) فلم يعتقد بشبهة يقابلها مع ان (أولئك هم المتقون)
أى المتحفظون عن الظلم فى حق نفسه وحق من جاءه فاقل جزائه ان يقيه الله ما يكره حتى
افوات شىء أرادوه (لهم ما يشاؤن) بل أكمل منه لكونهم (عند ربهم) الذى يربى
المتقين حتى يجعلهم محسنين فيجزيهم بالنظر الى وجهه الكريم (ذلك جزاء المحسنين) كيف
وانما جعلهم محسنين (ليكفر الله عنهم) أى يمحو بحسناتهم (أسوأ الذين عملوا) مما يوجب

الحجاب

ومنتهى وهو مفتعل من
زجرت (قوله عز وجل
منهمر) أى كثير سريع
الانصباب ومنه همر الرجل
اذا أكثر الكلام وأسرع
(قوله المحتظر) أى صاحب
الحظيرة كأنه صاحب الغنم
الذى يجمع الحشيش فى
الحظيرة لغنمه والمحتظر هو
الحظار (قوله عز وجل
مستطر) أى مكتوب (قوله
مدهامتان) أى سوداوان

الحجاب بينه وبين ربهم فيرفعه عنهم (ويجزيهم أجرهم بأحسن) العمل (الذى كانوا
يعملون) وهو النظر الى الله تعالى فى أعمالهم فيجزيهم بالنظر اليه مع رفع الحجب فان زعموا
ان الناظر الى الله تعالى يفوته سائر المشتهيات فكيف يكون لهم مايشاؤن عند ربهم قيل
(أليس الله) اذا تجلى التجلى الشهودى لعبده (بكاف عبده) عن سائر المشتهيات فكانها
اجتمعت له وهو أيضا كاف فى دفع الاسواء وجزاء الاحسن وتحصيل المرادات بل ينمحى عن
باطنه جميع مادونه (ويخوفونك) يا أكمل من محى عن باطنه مادونه (بالذين من دونه)
فهذا التخويف من اضلال الله اياهم اذ يرونك أمثالهم (ومن يضلل الله فماله من هاد و) كيف
يؤثر فيك ولا يؤثر فى حق عوام أهل الهداية فان (من يهد الله فماله من مضل) وكيف يقبل
الضلال وقد غلب الحق على قلبه برحمته كما يغلب على الضال بانتقامه (أليس الله بعزيز ذى
انتقام و) من غاية ضلالهم انهم أنكروا كفاية الله لحوائجهم بعدما عرفوا كفايته
فى خلق السموات والارض بحيث (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل
أ) تعترفون بكفايته لخلقهما الا لحوائجكم (فرأيتم ماتدعون من دون الله) كافية لما لا يكفيه
الله الذى فوقهن بل تعتقدون غلبتهن عليه (ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات) أى
رافعات (ضره أو) ان (أرادنى برحمة هل هن ممسكات) أى مانعات (رحمته) فقد
غلبتم من غاية ضلالكم بعض مافى السموات والارض على خالقهما فان زعموا أنا لا نعتقد
غلبتهن عليه ولكنه غير كاف فى حوائجنا بدونهن (قل حسبى الله) الكافى خلق السموات
والارض فان زعموا ان أفعاله متوقفة على الاسباب قيل لهم (عليه) لا على الاسباب التى
لا تؤثر وان جرت سنة الله تعالى بالتأثير عندها (يتوكل المتوكلون) فان كان لها أثر فهو المهيئ لها
فان زعموا انا وجدنا بعبادتنا لهن هذه الرتبة الشريفة فى كثرة المال وعظم الجاه ولم يجدوها
بعبادة الله تعالى وحده (قل يا قوم اعملوا) التذلل لما دون الله (على مكانتكم) أى شرفكم
لتستزيدوا منه (انى عامل) التذلل لله وحده ليبدل ذلى عزة فان لم تعلموا الان عاقبة
العاملين (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) من القتل والاسر يوم بدر فيبطل مكانته
(ويحل عليه عذاب مقيم) فى القيامة بحيث لا يرتفع خزيه أبدا ولا يتوقف هذا العلم على
حصول ذلك بعدما أعلم به الكتاب المعجز (انا أنزلنا) من مقام عظمتنا (عليك) يا أكمل
الرسل (الكتاب) الجامع للعلوم والدلائل (للناس) الذين نسوا مافيهم من قابلية الكمالات
من غير تلبيس بل (بالحق) ليرفعكم الى المراتب العالية (فمن اهتدى) بدلائله
(ف) انما يهتدى مقيدا (لنفسه) المراتب العالية من الاطلاع على الحقائق والاعمال المنجية
والمهلكة والقرب من الحق (ومن ضل فانما يضل) مسقطا الضرر (عليها) من بقائها
على جهلها بما ذكرنا (و) أنت وان أنزل عليك هذا الكتاب لغاية كمالك (ما أنت عليهم
بوكيل) عنا فى الزامهم الهداية ثم أشار الى جملة من دلائل ذلك الكتاب كثيرة فى ألفاظ يسيرة
بطريق التمثيل الذى هو أقرب الى أذهان العامة فقال (الله يتوفى) أى يقبض بالحقيقة

من شدة الخضرة والرى
(قوله جل وعز مخلدون)
أى مبقون ولدانا لا يهرمون
ولا يتغيرون ويقال
مخلدون مسورون ويقال
مقرطون ويقال محلون
ويقال لجماعة الحلى
الخلدة (قوله جل وعز
مغرمون) أى معذبون
من قوله عز وجل ان
عذابها كان غراما أى
هلاكا وقيل انا لمغرمون
أى انا لمولع بنا (المزن)

(الانفس حين موتها) أى مفارقتها الابدانها بابطال تصرفها فيها بالكلية (و) يتوفى (التى لم تمت) أى لم يدخل وقت موتها (فى منامها) بابطال تصرفها بالحواس الظاهرة ثم انه قد يدخل فى اثناء النوم وقت الموت وقد لا يدخل (فيمسك التى قضى عليها) فى أثناء المنام (الموت) الى يوم القيامة كالتى يتوفاها حين موتها (ويرسل الاخرى) التى لم تمت فى ابتداء النوم ولم يدخل وقت موتها فى اثناء النوم (الى أجل مسمى) هو نوم آخر وموت (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) منها ان من أحبه قبضه بالكلية حتى يفنى فيه ومن تقرب اليه قبضه حين تقربه اليه ثم انه قد يمسكه فى مقام التقرب ويرسل من سواه الى وقت التقرب فهذه فوائد الهداية تحصل لصاحبها وتفوت على من ضل ومنها ان الموت ليس باعدام كالنوم وان الرد بعد الموت كالرد بعد النوم وان اللذات والآلام فى القبر كاللذات والآلام فى النوم ومنها ان المتعلق بالاجل لا يحصل قبله وان وجد سببه كالقبض عند النوم فكذا البعث قبل القيامة اذ لا أجل واحد كاجل الموت فلا يتكرر فتفكروا فى تلك الآيات (أم) اعرضوا عنها اعتمادا على شفاعة شفعائهم حيث (اتخذوا) على تكذيب آيات الله والاعراض عن التفكر فيها (من دون) جعل (الله شفعاء قل أ) تعتقدون انهم يغلبون مالك الاشياء كلها (ولو كانوا لا يملكون شيأ) أو يعتقدون انهم يمنعونه من ارادته على وفق علمه (و) لو كانوا (لا يعقلون) شيأ وان زعموا انا وجدنا من شفاعتهم أشياء لا يتأتى لنا انكارها (قل) تلك الاشياء من فعل الله لا من شفاعتهم اذ لا يملكونها بل (لله الشفاعة جميعا) يملكها اذ (له ملك السموات والارض ثم) لو ملكوها فالقبول مفوض اليه اذ (اليه ترجعون و) كيف يقبل شفاعتهم فى حق من يكره انفراده بالالهية فانه (اذا ذكر الله وحده اشمأزت) أى تنفرت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) اذ لا يعتقدون الرجوع اليه ولا يرونه منفردا بخلق المنافع والمضار (واذا ذكر) شفعاؤهم (الذين) اتخذوهم شفعاء (من دونه) أى من دون جعله اياهم شفعاء (اذا هم يستبشرون) اذ يرون المنافع والمضار من شفاعتهم فان زعموا انها انما تحصل عقيب عبادتنا لها واستشفاعنا اياها (قل اللهم فاطر السموات والارض) ليس لغيرك خلق شفيع وان خلقوا فليس لهم الاطلاع على من يستحق الشفاعة ومن لا يستحقها اذ لا اطلاع لجاعلهم شفعاء على ذلك فهو مخصوص بك يا (عالم الغيب والشهادة) اذ عليك اطلاع الشفعاء على ذلك ولو كانت لهم الشفاعة من غير اطلاع على حال المشفوع له لكان لهم الحكم على الله ان لا يحكم بين عباده لكن (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من شأنك (و) كيف يرجى قبول الشفاعة فى حق من لا يقبل منهم الفدية فانه (لو أن للذين ظلموا) بالاشمئزاز من ذكره والاستبشار بمن دونه وجعلهم شفعاء من دونه (ما فى الارض جميعا) من يوم ابتدائها الى يوم تبديلها (ومثله معه لافتدوا به) لو قبلت منهم الفدية بدلا (من سوء العذاب يوم القيامة) من افراط غضب الله عليهم فلا يسيئهم هذا الفداء العظيم (و) هم وان اعتقدوا رضا الله فى أعمالهم (بدا) أى ظهر (لهم

من

السحاب (قوله مقوين) أى مسافرين سموا بذلك لنزولهم القواء أى القفر ويقال المقوين الذين لا زاد معهم ولا مال لهم [illegible] المقوى أيضا الكثير المال وهذا من الاضداد (قوله عز وجل مدهنون) أى مكذبون ويقال كافرون ويقال مسرون خلاف ما يظهرون وكذلك قوله عز وجل ودوا لو تدهن فيدهنون أى لو تكفر

من الله) من غضبه على أعمالهم (مالم يكونوا يحتسبون) وذلك لانهم كانوا يحتسبونها
حسنات لاقبح فيها (وبدا لهم سيئات ما كسبوا و) كان في سيآتهم ما لاحسن فيه من وجه
كالاستهزاء لذلك (حاق) أي أحاط (بهم ما) أي كسب ما (كانوا به يستهزؤن) بالله كاتخاذهم
شفعاء من عند أنفسهم تحكما على الله واستخفافا به (ف) كيف لايبدو يوم القيامة سيآت
اكسابهم سيما كسب اتخاذ الشفعاء من دونه وقد بدت لهم في الدنيا سوءه وهي دار الابتلاء فانه
(اذا مس الانسان ضر دعانا) من غير توسيط شفيع مما اتخذوهم شفعاء لعلمهم انه خطأ بل لاأثر
للاسباب بدونه (ثم) يناقض نفسه برؤية الاثر للاسباب التابعة بها فانا (اذا خولناه) أي ملكناه
(نعمة منا) فلا ينسبها الينا بل الى السبب القائم بنفسه اذ (قال انما أوتيته) أي هذا الشئ لاني
(على علم) هو سبب اكتسابه مع ان نفسه غير كافية في تحصيل ذلك العلم (بل هي) أي هبة ذلك
العلم ثم هبة تلك النعمة (فتنة) أي اختبار له هل ينسبهما الى الله فيشكره أم لا فيكفره (ولكن
أكثرهم لايعلمون) انها فتنة وانما يعلمها من يعتبرها بمن سبق بهذه الكلمة فانه (قد قالها
الذين من قبلهم) فاصابهم العذاب الذي لايندفع بعلمهم ولا بما اكتسبوا به (فما أغنى) أي
دفع (عنهم ما كانوا يكسبون) بذلك العلم لدفع الشدائد بل صار ذلك العلم بهذه الاعتقاد ضارا
اكتسبوا به ما يضرهم وان كان العلم والكسب به نافعين في أنفسهما (فاصابهم سيآت
ما كسبوا) بهذا الاعتقاد (و) لايدفع تلك السيآت الشفعاء بل هو مؤكد لذلك اذ (الذين ظلموا
من هؤلاء) المتخذين اياهم شفعاء (سيصيبهم سيآت ما كسبوا) بذلك الاعتقاد واعتقاد كونهم
شفعاء (و) ان ظنوا انهم تقووا بشفعائهم لكن (ماهم) بتلك القوة (بمعجزين) من اعطاهم
تلك القوة وغايتها انها كقوة الاعوان من كثرة الرزق (أ) يعتقدون ان شفعاءهم يقوونهم
بتكثير الرزق بحيث يغلبون به ربهم كما يغلب به بعضهم بعضا (ولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر) فلو علموا ذلك وقالوا بتعجيز الله به لكانوا قائلين بتعجيز من يقوي من يشاء ويضعف
من يشاء (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) منها انه قوي بذاته له تقوية من يشاء وتضعيف من
يشاء ومنها انه فياض بذاته لايتوقف فيضه على الشفعاء ومنها انه مؤثر بذاته لايتوقف تأثيره
على سبب بل قد يجعل سبب النفع سبب الضر فان زعموا ان الله تعالى خلق الاسباب مؤثرة فلا
بد من وقوع أثرها فالكفر والمعاصي لابد وان يكونا مؤثرين فلا فائدة في الايمان والتوبة
بعدهما (قل يا عبادي الذين) حقهم ان يعبدوني دون الاسباب (الذين أسرفوا) في الظلم (على
أنفسهم) بالكفر والمعاصي من غير ان يعارضهما سبب آخر (لاتقنطوا من رحمة الله) بايجاد
سبب يمحوا أثرهما فتتركوا الايمان والتوبة (ان الله يغفر الذنوب جميعا) لمن تاب وآمن بلا
قنوط وكيف يقنط عنه مع انه قد يغفر بلا توبة بمقتضى بعض أسمائه (انه هو الغفور الرحيم
و) لاتجعلوا رجاءكم أمنية بترك الانابة بل (أنيبوا) أي ارجعوا (الى ربكم) أوامره ونواهيه
وارجوا مع ذلك قبول الطاعات وتكفير المعاصي كيف (و) الرجاء بدونها يشبه رجاء الكافر
(أسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب) على هذا الرجاء مع الكفر (ثم لاتنصرون) بالتمسك بهذا

فيكفرون ويقال لونه انع
فيها نعون ويقال داهن
الرجل في دينه وأدهن في
دينه اذا خان فاظهر خلاف
ما اضمر (قال أبو عمر لو تدهن
أي تنافق)* (قوله عز وجل
مستخلفين فيه) أي على
نفقته في الصدقات ووجوه
البر ويقال مستخلفين فيه
أي مملكين فيه أي جعله
في أيديكم خلفاء له في ملكه
(قوله عز وجل المزمل)
الملتف في ثيابه وأصله

الرجاء كيف (و) لا ينبغي للراجي ان يتساهل بل يجب عليه ان يحتاط (اتبعوا أحسن ما أنزل اليكم) أحوطه (من ربكم) ليربيكم بالكمالات (من قبل أن يأتيكم العذاب) على بعض ما تساهلتم فيه (بغتة) لقلة التفاتكم اليه (وأنتم لا تشعرون) لرجائكم الذي ظننتم كونه عبادة موجبة للثواب تداركوا ماذكرنا من قبل (أن تقول نفس) لم تتبع الاحسن (يا حسرتى) تعالى (على ما فرطت) أي قصرت (في جنب الله) أي في جانب أمره ونهيه اذلم اتبع أحسن ما أنزل وكيف اتبعه (وان) أي واني (كنت لمن الساخرين) لمن يتبع الاحسن بانه ترك ما هو الكمال الحاضر من اللذات الدنيوية وأخذ بالكمال الموعود من ثواب الطاعات (أو تقول) نفس لم تسلم (لو أن الله هداني) للاسلام (لكنت من المتقين) من هذا الكفر (أو تقول) نفس لم تتب الى ربها (حين ترى العذاب) على فعل المعاصي وترك الطاعات (لو أن لي كرة) أي رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) الناظرين الى الله تعالى في عبادته فلا أعمل الشهوات الداعية الى المعاصي اصلا فيقال للقائل لو أن الله هداني (بلى) هداك الله اذ (قد جاءتك آياتي فكذبت بها و) لم يكن فيها ما يوجب تكذيبها لكن (استكبرت و) هو وان قدر عليك الكفر (كنت) باختيارك (من الكافرين) ولم يقل لمن لم يتب أو لم يتبع الاحسن شيأ اذ لم يعتذرا (و) ان زعموا ان هذا انما يتم لو صدق مدعو الرسالة يقال لو كانوا مؤمنين بيوم القيامة لابدوا ان يصدقوا لانهم يعلمون انه (يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) فادعوا رسالته كذبا (وجوههم مسودة) بين جميع الخلائق من الاولين والآخرين كيف والمحترق بالنار لابد وان يسود ولا يمكن انكار كونهم من أهل النار بتكبرهم على عباد الله بدعوى الفضل عليهم (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) فكيف لا يكونون من أهلها بالكذب على الله (و) لا يضر التابعين كذبهم ولو فرض انهم كذبوا وأظهروا الآيات الدالة على صدقهم ولم يلح لهم أمارة من أمارات الكذب ورأوا حسن طريقهم فخالفوا مخالفتهم فانه (ينجي الله الذين اتقوا) تكذيب صاحب الآيات حسن الطريقة بلا أمارة كذب (بمفازتهم) اي باتيانهم بأسباب الفوز من الاعتقادات المبنية على الدلائل والاعمال الصالحة (لا يمسهم السوء) من فرض كذبهم اذ لم يعارض دلائل صدقهم أمارة كذب (ولا هم يحزنون) للاحتمالات البعيدة في تلك الدلائل كتصديق الكاذب وكاظهار الآيات لا للتصديق وانما يترك متابعة صاحب الآيات لو ادعى محالا والنبوة من الممكنات التي تقتضي الحكمة ايجادها فلا يتركها الله اذ (الله خالق كل شيء) تقتضي الحكمة خلقه وكيف لا يخلقه وفيه حفظ قواعد العدل الذي به انتظام أمر الخلق (وهو على كل شيء وكيل) أي حفيظ كيف وقد أغلق أبواب العدل بما غلب على الخلق من الشهوات والغضب فلابد من فتحها وبيده مفاتيحها اذ (له مقاليد) أي مفاتيح مغلقات (السموات والارض و) قاعدة العدل وان كانت مما يخسر بها فوائد الشهوة والغضب فلا يعتد بخسرانها في مقابلة فوائد العقل فحينئذ (الذين كفروا بآيات الله) الداعية الى مقتضيات العقل (أولئك هم الخاسرون)

متزمل فادعت النساء في الزاي (وقوله المدثر) معناه المتدثر بثيابه (قوله عز وجل منفطر به) أي منشق به أي باليوم (قوله مستنفرة) أي نافرة ومستنفرة أي مذعورة (قوله مستطيرا) أي فاشيا منتشرا يقال استطار الحريق اذا انتشر واستطار الفجر اذا انتشر الضوء (قوله عز وجل من المعصرات) السحاب

رتبة الانسانية بالمصير الى الحيوانية بل الى أدنى منها لذلك صار المكذبون الى عبادة غير الله فان زعموا ان فيها فوائد شفاعتهم والتصديق بالآيات مخسرة لها (قل أ) أكذب بآيات الله لمتابعتكم (فغير الله) أعبد اذ (تأمروني) بذلك (أعبد) غير الله مع أني أجل منه لكن تأمروني بذلك لجهلكم بجلالة قدري (أيها الجاهلون) بالمراتب (و) ماذكرتم من فوائد الشفاعة باطل وعلى تقدير صحته معارض بما فيه من الضرر العظيم فانه (لقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) المفيد لك القرب والرضوان الالهي (ولتكونن من الخاسرين) سعادة الابد وثوابه فلا تتبعهم (بل الله فاعبد) أي خصصه بالعبادة لتنال فوائد القرب والرضوان وسعادة الابد (و) لو أردت تحصيل ما يتوقعون من شفاعة معبوديهم (كن من الشاكرين) فانه يفيد من المزيد فوق ما يتوقع من شفاعتهم لو كانت لهم شفاعة (و) ربما يزعمون ان معبوديهم يفيضون عليهم ما لا يفيضه الله فهم شركاؤه في الافاضة وذلك لانهم (ما قدروا الله حق قدره) أي ما عرفوا مقدار عظمته لاحتجابه عنهم (و) سيظهر لهم بها يوم القيامة اذ (الارض جميعا قبضته) أي مقبوضة قدرته يبدلها كيف يشاء (يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) أي بقوة سلطانه على ان الشريك لابد وان يقارب شريكه وأين لشركائهم هذه القدرة فقد تنزه (سبحانه) عن المشاركة (وتعالى عما يشركون) أي عن مراتبهم (و) من عظيم قدرته أنه قد جعل النفخ في الصور سبب موت الكل تارة وحياتهم أخرى فانه (نفخ في الصور) أمرا للاماتة (فصعق) أي مات كل (من في السموات ومن في الارض) من شركائهم وغيرهم (الا من شاء الله) من خواص الملائكة المقربين (ثم نفخ فيه) مرة (أخرى) للاحياء (فاذا هم قيام ينظرون) كل شيء هنالك (و) لا يمنع منه تكوير الشمس وتكوير النجوم لانه (أشرقت الارض بنور ربها) اذ يتجلى لهم لاقامة العدل والجزاء (و) لذلك (وضع الكتاب) الذي كتب فيه اعتقاداتهم وأعمالهم (وجيء بالنبيين) لابطال دعواهم الغفلة عن فساد الاعتقادات والاعمال (والشهداء) لابطال انكار صدورها عنهم (و) لو نازعوا الانبياء والشهداء (قضي بينهم بالحق) أي الحجة المطابقة للواقع (وهم لا يظلمون) بالزام الشبهة الواهية (ووفيت كل نفس ما عملت) فلا ينقص من خيرها ولا يزاد في شرها (و) لا يمكنهم دعوى الزيادة في عمل الخير ولا النقص في عمل الشر اذ (هو أعلم بما يفعلون و) لم تتراخ عنهم هذه التوفية بل (سيق) تعجيلا مع الاذلال (الذين كفروا) فاستهانوا بالحق (الى جهنم) دار المهانة (زمرا) طوائف متفرقة لاختلافهم في وجوه الكفر رعاية للعدل في التقديم والتأخير فلم يزالوا في سوق المهانة (حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها) لكل فريق باب لا قبل مجيئهم لئلا يتأذى منها غير أهلها (و) لم يؤذوا الا بعد تجديد الزام الحجة عليهم باقرارهم اذ (قال لهم خزنتها) المفوض اليهم تعذيبهم لئلا يرقوا عليهم (ألم يأتكم رسل) تعرفون صدقهم وأمانتهم لكونهم (منكم يتلون عليكم آيات ربكم) التي هي المعجزات القولية التي هي أبعد عن توهم السحر

التي قد حان لها ان تمطر فيقال شبهت بمعاصير الجواري والمعصر الجارية التي قد دنت من الحيض (قوله جل وعز مسفرة) أي مضيئة يقال اسفر وجهه اذا اضاء وكذلك اسفر الصبح (قوله جل وعز للمطففين) الذين لا يوفون الكيل والوزن (قوله عز وجل بمسيطر) أي بمسلط وقيل نزلت قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخه الامر

(و ينذرونكم) بتلك الآيات المصدقة لهم (لقاء يومكم هذا) بهذه الشدائد (قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب) لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (على الكافرين) فاعتذروا بالقدر وليس بحجة لهم بل عليهم فلذلك (قيل ادخلوا أبواب جهنم) لكل نوع من الكفر باب (خالدين) أى مقدرين الخلود (فيها) لاشتراككم فى الكفر المقتضى له وانما خلدتم فى دار الهوان لاستهانتكم بالله الدائم الجميل (فبئس مثوى المتكبرين) جامعا لوجوه العذاب (وسيق) تعجيلا مع التعظيم (الذين اتقوا ربهم) فلم يكفروا به ولم يعصوه اذ لابد فى هذا التعجيل من الطاعة مع الايمان فلا يكفى فيه أحدهما بخلاف ما سبق فان الكفر وحده كاف فيه (الى الجنة) دار الكرامة (زمرا) لاختلاف مراتب تقواهم (حتى اذا جاؤها) وجدوا من الاكرام مالا يحصى (و) من اكرامهم انه (فتحت) لهم قبل وصولهم اليها (أبوابها وقال لهم خزنتها) فى مقابلة قول خزنة النار لاهلها (سلام عليكم) رأن يصيبكم ماتكرهون أو يفوتكم ماتحبون لسلامتكم عن الكفر والمعاصى اذ (طبتم) بالايمان والطاعة فناسبتم جوار الله الطيب (فادخلوها) لم يقل أبوابها اذ لاتخصيص ههنا بل قد يتفضل على الادنى بدخول باب الاعلى ولم يقدر بقدر أعمالهم بل (خالدين) فيها (و) لما عاوا انه بالتفضل المحض (قالوا الحمد لله الذى) تفضل علينا اذ لايجب عليه شئ وان كان قد وعدنا فالوعد ليس بواجب عليه لكنه لماوعد (صدقنا وعده و) لم يقتصر فى حقنا على ماخلقه لنا بل (أورثنا الارض) أى أرض الجنة من سائر طوائف الكفر على انه لم يخصنا بمكان من الجنة دون مكان بل جعلنا (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) واذا كان للعامل هذا الاجر (فنعم أجر العاملين) الذين لو عملوا ذلك القدر لغيره لم يجدوا الا أقل شئ (و) لا يقتصر لهم على هذا الاجر ولا لاهل النار على تلك الشدة بل (ترى الملائكة) يسوءتزيدون للفريقين (حافين) أى محدقين (من حول العرش) محل الفيض من كل جانب (يسبحون بحمد ربهم) ليناسبوه فيستفيضوا منه فيفيضوا على أهل الدارين (وقضى بينهم) فى جعل بعضهم أهل الخير وبعضهم أهل الشر (بالحق) أى بما يناسب ماعليه حقائقهم (و) لايتألم أهل الشر منهم من الملائكة أشرهم من اهل النار بل (قيل) فى الفريقين (الحمد لله رب العالمين) تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المؤمن)

سميت به لاشتمالها على كلمات مؤمن آل فرعون المتضمنة دلائل النبوة ورفع الشبه عنها والمواعظ والنصائح وسلامته عن أعدائه وعما أخذوا به وهى من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بأسمائه اجمالا وتفصيلا فى كتابه (الرحمن) بتفصيل أسمائه بعد اجمالها (الرحيم) باجمالها بعد التفصيل (حم) أى الحث على الخيرات والمنع عن السيآت يتضمنه (تنزيل الكتاب) المعرف لهما اذ لايعرفان بالعقل اذ ليس عنده شر محض

بالقتال (قوله تعالى مؤصدة) أى مطبقة يقال أوصدت الباب وآصدته اذا أطبقته (قوله عز وجل منفكين) اى زائلين

(باب الميم المكسورة)

(قوله عز وجل ميثاق) أى عهد موثق اى مفعال من الوثيقة (قوله عز وجل ملة ابراهيم) أى دين ابراهيم (قوله عز وجل مهادا) أى فراشا (قوله عز وجل مسكين) أى

ولاماغالبه الشر (من الله) المنزل للخيرات والسيآت لكنه باعتبار اسمه (العزيز) يمنع الجراءة عليه بالسيآت فينزل مايرفعها بمقتضى اسمه (العليم) تارة بلا توبة باسمه (غافر الذنب و) تارة بها باسمه (قابل التوب) فان لم يرفعها اقتضت عزته مع اسمه (شديد العقاب) قهره ولم يعم مقتضى هذا الاسم كل مجترئ عليه بمعارضة مقتضى اسمه (ذى الطول) مقتضاه لكن لم يرفع مقتضاه بالكلية لان وحدة الالهية تقتضى الجمع اذ (لا اله الا هو) فيكون (اليه المصير) للخيرات والشرور أو الحجة والمعذرة يتضمنه التنزيل الالهى لان الالهية تقتضى تعريف الذات وعزته تقتضى الحجاب فتجلى اسمه العليم يرفعه بالحجة لكن لا يرتفع بها الحجاب بالكلية فيحتاج الى المعذرة فيغفر تارة بلا توبة للعجز وتارة بالتوبة حيث لا عجز لكون ذلك القدر من المعرفة منصوصا عليه فى الكتاب فان لم يعتذر بها عوقب بمقتضى شدة العقاب وان اعتذر ترك بمقتضى ذى الطول فاجتمع فيه الطول والشدة لانه لا اله الا هو فليس للطول اله غير اله الشدة فاليه المصير لهما أو الحماية عن النقائص والمدد بالكمالات يتضمنه التنزيل من الله الرافع للنقائص بمقتضى افاضته للعزة وانما بقى منها ما بقى بمقتضى علمه بالحقائق ثم ارتفاع البعض منها بمقتضى معذرته وبعضها بواسطة التوبة واقتضت عزته أيضا القهر لمن اشتدت جراءته عليه بمقتضى شديد العقاب وأدنى الجراءة عليه وان اقتضت ذلك لكن يعارض فيه طوله ولا يرفعه بالكلية لان الالهية تقتضى الجمع اذ اليه مصير الكل أو الحسن والمتانة يتضمنه التنزيل من الله لان حسن جماله يقتضى الظهور وكماله يقتضى متانة المظهر ليستعد لقبول كمال تجليه لكن عزته تمنع كمال الظهور فاقتصر على مقتضى العلم بالحقائق وبمقتضى العلم بها أيضا تارة تتغير المظاهر من حال النقص اما بالذات فيغفر بلا توبة واما بواسطة التوبة وتارة يثبت على النقص فيتسلط عليه شديد العقاب وانما اختلفت تجلياته لكونه ذا الطول وهو معطى كل حقيقة مقتضاها اذ لا معطى لها سواه لانه لا اله الا هو كما انه لا مرجع لها سواه اذ اليه المصير واذا كانت آيات الله متضمنة لهذه الكمالات من الحث والمنع والحجة والمعذرة والحماية والمدد والحسن والمتانة (ما يجادل) للطعن (فى آيات الله الا الذين كفروا) بالله عن حجاب العزة فلم يرتفع عنهم بهذه الآيات بل احتجبت عنهم ليؤثر فيهم بالشدة (فلا يغررك تقلبهم) متنعمين (فى) جميع (البلاد) فان عموم هذا التقلب لا ينافى تعقيب الشدة فقد عمت الشدة بعد هذه النعمة فى أقوام تقلبوا مثل تقلبهم فى البلاد فانه (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب) أى الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم كعاد وثمود (من بعدهم) أى من بعد سماع اخبارهم ومشاهدة آثارهم لتأثير حجاب العزة فيهم بالشدة فلم يبالوا بشدة سبقت على أمثالهم لمثل افعالهم (و) لم يكن تاثير الشدة فيهم لضعفهم بالنسبة الى رسلهم بل (همت) اى قصدت (كل امة برسولهم) الشدة (ليأخذوه) بمايه دهم من الشدة (و) لم يكن ذلك من عدم ظهور حججهم بل بعد ظهورها لكنهم (جادلوا) فقابلوا حججهم (بالباطل) من حيث الهم (ليدحضوا) أى ليزلقوا (به الحق) الثابت بالحجة

مفعيل من السكون وهو الذى سكنه الفقر أى قلل حركته قال يونس المسكين الذى لا شئ له والفقير له بعض ما يقيمه وقال الاصمعى بل المسكين أحسن حالا من الفقير لان الله عز وجل قال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فاخبر ان المسكين له سفينة من سفن البحر وهى تساوى جملة (قوله عز وجل المحراب) هو

الصحيحة لكنه لا يندحض وان كثرت الشبه فتقررت عليهم الحجة وأثرت فيهم بالشدة (فأخذتهم) بغاية الشدة فى الدنيا (فكيف كان عقاب) فى دار الابتلاء فيقاس عليه أمر دار الجزاء (و) ليس هذا القياس مما يفيد ظنا بل (كذلك حقت كلمت ربك) لاملأن جهنم (على الذين كفروا انهم أصحاب النار) لتأثير حجاب العزة فيهم بالشدة ثم أشار الى ان الاحتجاب بحجاب العزة ليس بمعذرة لمن كفر فانه أمر عام حتى حملة العرش والطائفين به اذ (الذين يحملون العرش ومن حوله) مع غاية قربهم من الله لا يخلون عن حجاب العزة لذلك (يسبحون) أى ينزهون ربهم عما يتوهمون فى ذاته (بحمد ربهم) فيقولون انه أجل مما يعتقد فيه لان اعتقادنا لا يخلو عن نقص وهو فى غاية الكمال (و) لا يرتفع بهذا التسبيح والحمد حجابهم لذلك (يؤمنون به) بما يظهر لهم من آثاره ودلائله (و) لعلمهم بان حجاب اهل الارض أغلظ من حجابهم (يستغفرون) نقص الاعتقاد الواقع (للذين آمنوا) فاعتقدوا فيه انه خلاف ما يدركه الوهم والخيال والعقل والحس لكن فى اعتقادهم ما يناسب ذلك فيقولون (ربنا وسعت كل شئ رحمة) فلا تؤاخذهم بما يخطر فى قلوبهم مما لست عليه مع انهم ينزهونك من مدرك مشاعرهم (وعلما) وقد علمت انه انما يقع فى قلوبهم ذلك من احتجابهم بحجاب العزة لكن لا يستقرون عليه (فاغفر للذين تابوا) عما يقع فى قلوبهم من تلك الخواطر (واتبعوا سبيلك) الذى هو التسبيح بحمدك (وقهم عذاب الجحيم) الذى تعذب به من اعتقد فيك اعتقادا فاسدا لانهم لم يستقروا عليه (ربنا وادخلهم جنات عدن التى) خلقتها للعارفين وهؤلاء وان قصرت معارفهم لكن (وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) بتبعيتهم فهم الاصل فى وفاء هذا الوعد كيف والقصور لهم من لوازم عزتك (انك انت العزيز) وقد اقتضت الحكمة ان لا تخلو معرفتهم عن القصور وأنت لا تخالفها لانك أنت (الحكيم وقهم السيئات) أى سيئات الاعمال ان تؤثر فى اعتقاداتهم فتزيدهم قصورا فوق قصور (ومن تق السيئات) فعصمته منها بالكلية (يومئذ) أى يوم غلبة وجودها فى أكثر الخلائق (فقد رحمته) بسلامة الاعتقادات (وذلك) وان لم يخل عن قصور بمقتضى حجاب العزة (هو الفوز العظيم) بنيل السعادة الابدية كيف والسيئات قد تفضى الى الكفر وهو شقاوة عظيمة (ان الذين كفروا) وان كانوا على وفق حجاب العزة (ينادون) ازالة لتوهم كونهم على وفق محبة الله بكونهم فى هذا الحجاب المحبوب له (لمقت الله) أى بغضه اياكم (اكبر من مقتكم انفسكم) حين تعذبون فانه مقت تعززكم عليه حين كونكم فى هذا الحجاب المقتضى لاعترافكم بالعجز والقصور وتذللكم له (اذ تدعون الى الايمان) به فتعززون عليه (فتكفرون) فتكونون على خلاف مقتضى العزة فيصير مقته بحيث لو كان قابلا للتأثير لتألم اشد من تألمكم بالعذاب (قالوا ربنا) مقتضى تربيتك ايانا أن تقتصر من مقتضى مقتك ايانا على ما حصل اذ (امتنا اثنتين) اماتة ايلام احداهما عند انقضاء الحياة الدنيا والثانية بعد احياء القبر عند النفخة الاولى (واحييتنا اثنتين) للتعذيب احداهما فى القبر والثانية فى القيامة ولم يعتبر الحياة الدنيا ولا حياة

مقدم المجلس واشرفه وكذلك هو فى المسجد والمحراب أيضا الغرفة والجمع المحاريب (قوله عز وجل مثقال ذرة) أى زنة نملة صغيرة (وقوله عز وجل منهاجا) أى طريقا واضحا (قوله مدرارا) أى دارة يعنى عند الحاجة الى المطر لان تدر ليلا ونهارا ومدرارا للمبالغة (قوله تعالى ميقات) أى مفعال من الوقت (قوله عز وجل محال) أى عقوبة.

يوم الميثاق ولا الموت بعدها اذ لا ايلام معها فاذا عذبتنا بهاتين الاماتتين والاحياءين (فاعترفنا) أى فاقررنا (بذنوبنا) بعد حصول مقتضى مقتك المغفرها لنا (فهل الى خروج) من العذاب (من سبيل) فيقال (ذلكم) المقت اجل من ان ينقطع مقتضاه بهذا التعذيب لوقوعه (بانه اذا دعى الله وحده كفرتم) فابطلتم مقتضى عزته من التوحيد (وان يشرك به تؤمنوا) وهو موجب لاذلاله فهذا الفعل منكم خلاف مقتضى العزة فلو أخرجنا كم زالت ذلتكم فلم يبق لنا ما حكمنا عليكم بمقتضى العزة (فالحكم لله) بمقتضى عزته مع اعتبار اسمه (العلى) المقتضى للعلو على من يذله على خلاف مقتضى اسمه (الكبير) الدال على كبريائه فى ذاته ولا يمنع احتجابه بحجاب العزة من الايمان به لانه لا يمنع من معرفته بالكلية اذ (هو الذى يريكم آياته) التى ظهر فيها وجعلها كاشفة للحجب الغليظة لمن تأمل فيها (و) دعا الى التأمل فيها بالتودد اذ (ينزل لكم من السماء) المنسوب ما يكون منها اليه (رزقا و) انما فعل ذلك مع غناه عنكم لما علم انه (ما يتذكر الا من ينيب) أى يميل اليه وقد قصد الميل اليه لتعبدوه (فادعوا الله) أى فاعبدوه فان العبادة مقتضى عزته وعلوه وكبريائه وانما تقع على وفق ذلك بالاخلاص فكونوا (مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) فلا تستحيوا منهم فانهم اقل من ان يلتفت اليهم سيما فى مقابلة ما يحبه (رفيع الدرجات) ومما ظهر من رفعة درجاته انه (ذو العرش) الذى هو ارفع المحسوسات وقد رفع درجات بعض عباده اذ (يلقى الروح) أى المعنى المفيد لحياة الخلق (من امره) اى تكليفه (على من يشاء من عباده) الخواص ليحصل من تلك الرفعة نصيب الاتباعهم لانه انما يلقى اليه (لينذر) عذابه على الاعتقادات الفاسدة والافعال القبيحة (يوم التلاق) الذى هو يوم القرب منه ليصلحوا بذلك اعتقاداتهم وأعمالهم فيتقربوا منه يوم تلاقيه فيحصل لهم نصيب من رفعة درجاته وهو وان كان يوم القرب منه فهو أشد للخوف لانه (يوم هم بارزون) بجميع اعتقاداتهم وأعمالهم بصورها لهم والشئ الواحد وان لم يقبل صورا مختلفة فى الدنيا يقبلها هنالك فيصيرون بحيث (لا يخفى على الله منهم شئ) ولا يمكنهم دفع شئ من ذلك اذ لا يملكون شيأ من امورهم فانه لا ملك يومئذ لغيره حتى يقول (لمن الملك اليوم) ولا يجيبه غيره لانه نوع من التصرف الذى هو من الملك فيقول (لله الواحد) أى المتفرد بالملك (القهار) لكل ملك سواه ولكن لا يقهر الا من يستحقه بقدر الاستحقاق (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) ولو عفى فيه عن البعض وزيد بالتفضل لكن (لا ظلم اليوم) بنقص ثواب أو زيادة عقاب ولا يكون فيه ظلم بمطل الثواب لانه انما يكون بطول الحساب لكن يكون حساب ذلك اليوم سريعا (ان الله سريع الحساب و) كما لا يؤخر الثواب لا يؤخر العقاب ولا يؤخر يومهما الى حيث لا يخاف لبعده فان لم يخافوا مع ذلك (انذرهم يوم) المجازاة (الآزفة) أى القريبة على انه لو بعد كل البعد لوجب ان يخاف كل الخوف لكمال ما فيه من الخوف (اذ القلوب) من أهواله ترتفع عن أماكنها فتصير (لدى الحناجر) أى لدى الحلوق ولا تعود الى أماكنها فيستريحوا ولا تخرج ليموتوا بل لا يزالون

ونكال ويقال كيد ومكر ويقال المحال من قولهم محل فلان بفلان اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك (قوله عز وجل مرفقا) ومرفقا جميعا ما يرتفق به وكذلك مرفق الانسان ومرفقه ومنهم من يجعل المرفق بفتح الميم وكسر الفاء من الامر والمرفق من الانسان (قوله عز وجل مسامى) أى

يزدادون غما حتى يصيروا (كاظمين) اى ممتلئين غما بما افرطوا من الظلم لانه (ما للظالمين من حميم) اى قريب يهتم بشأنهم فيخفف عليهم غمومهم (ولا شفيع) يشفع فى تخفيفها عليهم فان شفع فلا (يطاع) اى لا يقبل شفاعته ولا يمكنهم اخفاء شئ من ظلمهم لانه (يعلم خائنة الاعين) اى النظرة الخفية بالخيانة الى ما لا يجوز (و) كيف لا يعلمها مع انه يعلم (ما تخفى الصدور) عن اربابها (و) لا يفيدهم الاخفاء على الغير اذ (الله) وان كان هو الشاهد فهو الذى (يقضى) ولا يلام بالجمع بين الشهادة والحكم لانه يقضى (بالحق و) لا يعارضه احد لانها لو وجدت فانما توجد من معبوديهم لكن (الذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ) من حق ولا باطل كيف واكثرهم جمادات لا سمع لها ولا ابصار وان كان فيهم من كان له سمع او بصر فلا يعلم خائنة الاعين ولا ما تخفى الصدور (ان الله هو السميع البصير) فهو الشاهد والحاكم جميعا (أ) يتوهمون انهم يعارضون الله بقوتهم (ولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين) قصدوا معارضة الحق (كانوا من قبلهم) امتنعت عليهم معارضته مع انهم (كانوا هم اشد منهم قوة و) اشد (آثارا) كالقلاع الحصينة مما لا يقوى معها من له زيادة القوة (فى الارض) لكن لم يمكن معارضة لله عند مؤاخذتهم (فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله) مؤاخذته (من واق) اى مانع مما يمنع اولى القوة البشرية ولا يفارق كفار هذا العصر كفار ذلك العصر فى المعصية التى اخذوا عليها اذ (ذلك) الاخذ كان على تكذيبهم الرسل (بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا) بالله وآياته ورسله اعتمادا على قوتهم وحفظ آثارهم (فاخذهم الله) لاظهار انه لا يعارض فى قوته وشدته (انه قوى) على الاطلاق (شديد العقاب) سيما من لا يبالى لشدته (و) ممن اخذه الله بقوته وشدته على دعوى معارضته بعد ارسال الرسل فرعون وهامان وقارون (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) اى المعجزات الفعلية (وسلطان مبين) اى حجة قولية (الى فرعون) مدعى المعارضة بقوة الملك (وهامان) مدعيها بقوة العسكر (وقارون) مدعيها بقوة المال (فقالوا) فى معارضة الآيات الفعلية (ساحر) وفى معارضة الحجة القولية (كذاب فلما) رد معارضتهم بتعجيز السحرة والزام الحجة ورفع الشبه بحيث ظهر للعامة انه (جاءهم بالحق) المعلوم بالضرورة كونه (من عندنا) خافوا ان يتفق الناس على متابعته (قالوا) لا يمكن منع متابعته الا بابتلاء متابعيه باشد البلاء (اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) اى اتركوهن احياء (و) لكن لم يكن ذلك مانعا من ظهوره فانه (ما كيد الكافرين) فى دفع ما اراد الله من ظهور دينه (الا فى ضلال) فلم يبال المتابعون بهذا البلاء (وقال فرعون) عند عدم رؤيته مبالاتهم بهذا البلاء (ذرونى) اى اتركونى على رأيى قتل موسى فلا تعارضونى (اقتل موسى و) غاية ما فى قتله تأثير دعوته (ليدع ربه) فانى لا ابالى اهلاكى عن دعوته (انى اخاف) فى ترك قتله (ان يبدل دينكم) فلا يبقى من يتدين به (او ان يظهر) باجراء احكامه (فى الارض الفساد) اى فساد مملكتى اذ يتفق الكل على متابعته (وقال موسى) انما تؤثرون فى باسم ربى او باسم ربكم (انى عذت بربى وربكم من) تأثير شر

كل

(قوله مماسة ومخالطة (قوله تعالى مشكاة) اى كوة غير نافذة (قوله مصباح) اى سراج (قوله معشار) اى عشر (مرية) شك (منسأته) بهمز وبغير همز عصاه وهى مفعلة من نسأت البعير اذا زجرته وقيل نسأته ضربته بالمنساة وهى العصا (قوله عز وجل مرة) اى قوة وأصل المرة الفتل يقال انه لذو مرة اذا كان ذا

(كل) من أرادنى بسوء من وصف (متكبر) يناقض مقتضى عبوديته وقد أنكر دوام ربوبية الله على نفسه لانه (لايؤمن بيوم الحساب) فلا يبالى بما يحاسب عليه من التكبر على الله وآياته ورسله وقتلهم (وقال) فى معارضة رأى فرعون (رجل) كامل لانه (مؤمن) مع انه من المتفقين على الكفر والعناد (من آل فرعون) لكنه أقرب الى النصح لكونه منهم ولم يظهر لهم مايتوهمونه به اذ كان (يكتم ايمانه اتقتلون) أى اتريدون ان تقتلوا (رجلا) من أجل (ان يقول ربى الله) فيقرر ربوبيته المتضمنة ابطال دعوى فرعون ما علمت لكم من اله غيرى لالاجل رسالته فقط مع انه لم يقل هذه الكلمة من عند نفسه بل من اذن ربه (و) لذلك (قد جاءكم بالبينات) التى لاتتصور الا (من ربكم) لتصديقه (وان يك) مع هذا التصديق الالهى (كاذبا) مع عدم مايدل على كذبه أصلا (فعليه كذبه) أى فهو مختص بضرر كذبه لو صدقتموه لتصديق ربه اياه ابتلاء له (وان يك صادقا) فى دعوى الرسالة (يصبكم بعض الذى يعدكم) لانه وان لم يجب تصديق كل وعيد لجواز العفو فلا بد من تصديق البعض اذ لا فائدة للارسال بدونه وقد ظهر ذلك لانه لو كان للابتلاء لم يكن مستقيم الاعتقاد والأفعال ولا داعيا الى الخيرات فى العموم (ان الله لايهدى من هو مسرف) فى السحر بحيث زاد على سحرة الدنيا لانه افضى الى التلبيس المحض اذ لادليل على كذبه مع انه (كذاب) فى دعوى الرسالة فى زعمكم (ياقوم) ان أمكن لكم قتل الرسل اذ (لكم الملك اليوم) المفيد لكم قوة بجعلكم (ظاهرين) أى غالبين تأثيرا (فى) جميع أهل (الارض) حتى الرسل لكن قتلهم سبب قهر الله (فمن ينصرنا من بأس) أى قهر (الله ان جاءنا) على قتل رسوله مع انه لامعارض له فكأنكم تريدون تعجيل اهلاككم بقتله (قال فرعون ماأريكم) فى قتله (الا ماأرى) من الرأى الذى عرفتم اصابته اذ الباس السماوى من أجل قتله امر متوهم فاتباعه غلط (وما اهديكم) باراءة رأى قتله (الا سبيل الرشاد) وهو دفع تبدل دينكم واظهار الفساد فى الارض باظهار أحكامه المخل بمملكتى (وقال الذى آمن ياقوم) لاضرر فى تبديل الدين الفاسد ولايخاف فساد المملكة مع الايمان بل يتقرر بالتأييد السماوى ولكن يخاف فى قتله أشد مما جرى على الامم الماضية بمجرد التكذيب فان لم يكن أشد فلا أقل من المثل (انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) أى الطوائف الهالكة بالتكذيب (مثل داب) أى سنة (قوم نوح) من الغرق (وعاد) من الريح العقيم (وثمود) من الصيحة (والذين من بعدهم) مما يدل على ان الهلاك سنة مستمرة لاهل التكذيب اذ لم يكن لهم ذنب آخر يوجبه (و) لم تكن مؤاخذتهم بلا ذنب لانه (ما الله يريد ظلما للعباد) فضلا عن فعله وان كانوا املاكه (وياقوم) لو لم يؤاخذكم فى الدنيا مثل مؤاخذتهم (انى اخاف عليكم) للمؤاخذة (يوم التناد) أى يوم القيامة الذى ينادى فيه بعضكم بعضا للاستغاثة لكن لا اغاثة (يوم تولون) أى يولى بعضكم بعضا ظهره لتصيروا (مدبرين) عنهم فلا تروا وجوههم لئلا تدعوا رؤيته الى الاغاثة مع عجزهم عنها اذ (ما لكم من) عذاب (الله من عاصم) أى مانع لتقرر الحجة عليكم وان لم تقبلوها لان الله أضلكم (ومن يضلل الله فما له من

رأى محكم ويقال فرس مرأى موثق الخلق وحبل مرأى محكم الفتل (قوله عز وجل مرصاد ومرصد) أى طريق (قوله ان ربك لبالمرصاد) أى لبالطريق المعلم الذى يرتصدون به وقوله عز وجل ان جهنم كانت مرصادا اى معدة يقال أرصدت له بكذا اذا اعددته له لوقته والارصاد فى الشر ويقال رصدت له وأرصدت فى

هاد) من حجة ولا رسول (و) كيف لم يتقرر عليكم الحجة التي جاء بها موسى مع بيناته (لقد جاءكم)
بها (يوسف من قبل) أي قبل مجيء موسى مؤيدة (بالبينات) ومع علمكم بكونه صديقا في نفسه
وقد صدقته بيناته (فما زلتم في شك مما جاءكم به) مع ظهور واستقامته الكافية في الدلالة على
صحة ما جاءكم به فلم يزل يقررها (حتى اذا هلك) أي مات (قلتم) انقطعت حجج الله بموته لانه (لن
يبعث الله من بعده رسولا) يقرر حججه فقطعتم من عند أنفسكم بعدم ارسال الله لرسول مع
الشك في ارسال من اعطاه البينات من افراط اضلاله اياكم (كذلك يضل الله من هو مسرف)
في التشكيك عند ظهور البراهين القطعية (مرتاب) مع ظهور لوائح اليقين وهم (الذين
يجادلون في آيات الله) المنسوبة الى عظمته (بغير سلطان أتاهم) من معارضة أو مناقضة
أو نقص أو غير ذلك من القوادح فان الله يضله لا محالة لانه (كبر مقتا عند الله) وهو موجب
للاضلال (و) يدل عليه انه كبر مقتا (عند الذين آمنوا) وهم المظاهر التي يصدق فيها ظهور
الحق وانما كان موجبا للضلال لانه موجب للطبع ولا بعد في ذلك اذ (كذلك) أي مثل
طبع الله على قلوبهم (يطبع الله على كل قلب متكبر) لا يقبل الحجة (جبار) في المجادلة فانه
لا يكاد يظهر له الحق (وقال فرعون يا هامان) لما طبع الله على قلبهما من كبرهما وتجبرهما
واسرافهما وارتيابهما (ابن لي صرحا) أي بناء ظاهرا لا يخفى على ناظر وان بعد (لعلي ابلغ
الاسباب) أي الطرق التي لم يبلغها من سبقني لكونها (أسباب السموات) لاصعد عليها (فأطلع
الى اله موسى) لاسأله عن ارساله اياه (واني لاظنه كاذبا) اذ ليس له مثل هذا الصرح فكيف
اتصل به فبناه فبناه لم يبلغ ارتفاعه بناء أحد فارتقى فرعون وأمر بنشابة فرمى نحو السماء فردت
اليه ملطخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى فبعث الله جبريل فضربه بجناحه فوقعت قطعة
على عسكره وأخرى في البحر (و) كذا زين لفرعون هذا الفعل مع ظهور فساده (كذلك
زين لفرعون سوء عمله) مع علمه بفساده (و) لكن قصد بذلك التلبيس على العامة لانه (صد
الخلق (عن السبيل) الذي خلقوا للسلوك (و) لكن لم يتم له صده في العموم لانه (ما كيد
فرعون) عند خواص عباد الله (الا في تباب و) لاظهار تبابه (قال الذي آمن يا قوم) لا تغتروا
بكيد فرعون الذي في تباب فانه يضلكم (اتبعون) على متابعة موسى (اهدكم) باهدائه
(سبيل الرشاد) الذي خلقتم لسلوكه للوصول الى سعادة الابد (يا قوم) لو كان فرعون هاديا
فانما يهدي الى ما لا بقاء له (انما هذه الحيوة الدنيا متاع) سريع الزوال (وان الآخرة) التي
يوصل اليها سبيلي (هي دار القرار) التي يستقر فيها الجزاء سواء كان مثل العمل أو زائدا عليه
والاول جزاء السوء (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها) لكنها وان كانت أصلية استقر
جزاؤها (و) الثاني جزاء الخير فان (من عمل صالحا) ولو واحدا (من ذكر) كمل عقله وفهمه
لعلمه فاستكمله (أو انثى) فقصر (و) لكن جبر قصوره اذ (هو مؤمن فاولئك) لاجل ايمانهم
(يدخلون الجنة يرزقون فيها) مع تفاوت درجاتهم بحسب أعمالهم (بغير حساب) ينقطع
بانقطاعه والذي عمل بمتابعة فرعون فقدر محسوب يفوت به ما لا يحصى ويعاقب به ما لا غاية

اللغة والشرح جميعا

(باب النون المفتوحة)

(قوله عزوجل نكالا) أي عقوبة وتنكيلا وقيل معنى فكالا لما بين يديها وما خلفها أي جعلناها قرية أصحاب السبت عبرة لما بين يديها من القرى وما خلفها ليتعظوا بهم (وقوله عزوجل فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) أي غرقه في الدنيا ويعذبه في الآخرة

له (و) كأنه لما قال لهم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد قالوا له اتبعناك فنخاف من ايذائنا فقال (يا قوم مالى) أى أى حال حصل لى معكم اذ (أدعوكم الى) الايمان الذى هو سبب (النجاة) عن النار (وتدعوننى الى) سبب الوقوع فى (النار) لانكم (تدعوننى) الى الاقرار بربوبية فرعون (لا كفر بالله) بانكار ربوبيته (و) لو لم تدعونى الى انكارها كنتم داعين الى ان (اشرك به) فرعون وأقل ما فيه أن لا شبهة على شركه فضلا عن حجة فان كان بشبهة فلا شك انه اشرك (ما ليس لى به علم) أى دليل قطعى يكون لى عذرا وانكار ربوبية الله والشرك به سبب الوقوع فى النار (و) انما كنت داعيا الى النجاة لانى ادعوكم الى الايمان بالله وهو مفيد للنجاة اذ (انا ادعوكم الى العزيز) أى الغالب على ما سواه فلا يمكن غيره ان يوقع المتمسك به فى النار وهو لا يوقعه لاتصافه بوصف (الغفار) ثم قال (لا) أجيبكم الى من تدعوننى اليه لانه (جرم) أى تحقق (انما تدعوننى اليه) من الاقرار بربوبية فرعون عديم الفائدة (ليس له دعوة فى الدنيا) لدفع الشدائد الامراض ونحوها (ولا فى الآخرة) لدفع أهوالها وكفى بذلك مانعا (و) كيف تدعوننى اليه وقد تحقق (ان مردنا الى الله) وفى دعوة ما سواه عدوانه فكيف نعادى من اليه المرد لاجل من لا مرد اليه (و) لو لم يكن اليه المرد فلا شك ان فى دعوة ما سواه اسرافا فى التذلل وقد تحقق (ان المسرفين هم اصحاب النار) زيادة فى اخزائهم الذى اختاروه فان زعمتم ان لدعوة فرعون أثرا هو عطاياه الدنيوية وان انما اليه مردا فى الاخذ والحكومات والرد الاخروى أمر متوهم وأنت المسرف فى الخوف من ذلك الامر المتوهم وانك يخاف عليك ايذاء فرعون وقومه (فستذكرون) عند رؤية تلك الشدائد (ما أقول) فيما انصح (لكم) انه لا عبرة لعطايا فرعون يومئذ ولا للرد اليه وان الرد الاخروى الى الله أمر محقق وانه أحق بشدة الخوف منه (و) لا اخاف أذية فرعون وقومه اذ (افوض امرى الى الله) الذى لا يسلط من يتكبر عليه على من يفوض أمره اليه بعد الاخلاص معه (ان الله بصير بالعباد) فلا يسلط بعضهم على بعض الا بمقتضى بصارته (فوقاه الله سيئات ما مكروا) أى شدائد ما أرادوا به من الشر قيل أمر فرعون بطلبه ففر الى جبل فاتبعه طائفة من آل فرعون فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم (وحاق بآل فرعون) أى احاط بالطالبين له من قومه (سوء العذاب) قتل فرعون فى الحال وقتل النار فى البرزخ والقيامة اذ (النار يعرضون) بعد جعل أرواحهم فى اجواف طير سود (عليها) فى البرزخ (غدوا وعشيا) فقتلهم كل يوم مرتين (ويوم تقوم الساعة) يستمر عليهم ما هو أشد من القتل اذ يقال لهم (ادخلوا آل فرعون اشد العذاب) على انكار ربوبية الله والاقرار بربوبية عدوه وارادة قتل رسوله ومن نصح بمتابعته من أوليائه بعد ظهور الآيات والكرامات (و) لا تندفع الشدة عن الآل بكونهم اتباعا (اذ يتحاجون) لدفعها مع تحمل البقاء (فى النار فيقول الضعفاء) الذين يشبهون المضطرين (للذين استكبروا) فاستتبعوهم بما يشبه القهر (انا) لم نختر هذا الكفر بانفسنا بل (كنا لكم تبعا) فيه فكنا كالمضطرين فيه (فهل أنتم مغنون) أى دافعون

وفى التفسير نكال الآخرة والاولى نكال قوله ما علمت لكم من اله غيرى وقوله أنا ربكم الاعلى فنكل الله به نكال هاتين الكلمتين (قوله عز وجل ما ننسخ من آية) النسخ على ثلاثة معان أحدهن نقل الشئ من موضعه الى موضع آخر كقوله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون والثانى بنسخ الآية بان يبطل

(عذابا نصيبا) أى جزأ (من) شدة (النار) بتحمل أوشفاعة (قال الذين استكبروا) فوقع عليهم
من الشدة مالم يقع على غيرهم (انا كل فيها) فلولم يكن عذابنا أشد من عذاب الاتباع لم يكن انا
نحمل شدة فوق شدة ولم يتأت مناقشة شفاعة مع كوننا فى محل الغضب وكيف تحكمون بالزيادة فى
عذابنا والنقص فى عذابكم على خلاف حكم الله (ان الله قد حكم) حكما فاصلا (بين العباد)
بما تكون الزيادة عليه ظلما (وقال الذين فى النار) من الضعفاء والمستكبرين لما أيسوا من
التخفيف عند المحاجة (لخزنة جهنم) الذين علموا انهم ليس من شأنهم الترحم ان لم ترحمونا
بانفسكم لما فيها من مخالفة أمر الله بالتشديد علينا (ادعوا ربكم) ان لم يعف عنا (يخفف عنا)
فان لم يخفف دائما يخفف (يوما) فان لم يخفف فى جميع الانواع يخفف فى نوع (من العذاب
قالوا) انما يكون لنا الدعاء لمن لم يسبق علمه بهذه الشدة الدائمة (ا) ما علمتموها (ولم تك تأتيكم)
مرة بعد اخرى (رسلكم) ببيان دوام هذه الشدة مقرونة (بالبينات) المتكاثرة على صدقهم
(قالوا بلى) جاؤا واخبروا بها مع البينات (قالوا فادعوا) ان كان ينفعكم (و) لكن (ما دعوا
الكافرين) الذين هم محل الغضب بعد الوصول الى مكانه (الا فى ضلال) أى ضياع وكيف
يقبل دعاؤهم وفيه نصرهم على الرسل والمؤمنين على خلاف ما وعدنا (انا لننصر رسلنا
والذين آمنوا) باهلاك الكافرين (فى الحيوة الدنيا ويوم) القيامة اذ يكذبون الرسل حينئذ
(يقوم الاشهاد) على تبليغهم الرسالة وتكذيبهم ظلما بحيث لا يبقى لهم عذر فكيف ينصر
الظالمين (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم و) كيف والنصر والنفع رحمة (لهم اللعنة و) كيف
يخرجهم عن اللعنة ولا عامر لجهنم سواهم اذ (لهم سوء الدار) ولا بد لها من عامر يقتضى
القهر الالهى (و) كيف لا ننصرهم بعد ما نصرناهم بالدلائل وقد جمعنا بين النصرين فى حق
موسى فانا (لقد آتينا موسى الهدى) اقامة الدلائل على مطالبه مع نصرنا اياه على فرعون
وقومه باهلاكهم (و) نصرنا مؤمنى قومه بالدلائل نصرا مستمرا اذ (اورثنا بنى اسرائيل
الكتاب هدى) يستدلون به على بعض مطالبهم (وذكرى) لدلائل لم ينص عليها يستدلون بها
فى البعض الآخر لكنه (لاولى الالباب) منهم خاصة واذا كان الله تعالى ناصر الموسى
بالنوعين وقد حصل لك النصر بالحجج وأنت أفضل منه وامتك أفضل من امته (فاصبر) على
تكذيبهم واذياتهم (ان وعد الله) بنصرك عليهم بتعذيبهم الدنيوى والاخروى (حق واستغفر
لذنبك) فى استعجاله قبل وقته (وسبح) أى نزه ربك من ان يكون تأخيره لهذا الوعد بلا حكمة
فاجعله مقرونا (بحمد ربك) على رعايته للحكمة فان فى تأخيره حكمة فى حق المحجوبين
لعلهم يرجعون وقت كشفه (و) المكاشفين اذ يرون حكمته فى (الابكار) وكيف
(بالعشى) لا يوثق بوعد النصر بعد اقامة الدلائل التى لا دخل للمجادلة الصائبة فيها بل انما تكون باطلة
عن كبر يوجب القهر لو لم يكن فى آيات الله (ان الذين يجادلون فى آيات الله) لم يكن لهم ان يجادلوا
فيها لو نسبت الى غير الله لان جدالهم (بغير سلطان) أى دليل قاهر (أتاهم) قادحا فى أدلة الانبياء
مع ذهولهم عنه (ان فى صدورهم) أى ما فى قلوبهم من دواعى المجادلة (الا كبر) هو موجب

حكمها ولفظها متروك
كقوله عز وجل قل للذين
آمنوا يغفروا للذين
لا يرجون أيام الله لقوله
واقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم والثالث أن
تقلع الآية من المصحف ومن
قلوب الحافظين لها يعنى
فى زمن النبى صلى الله
عليه وسلم ويقال ما ننسخ
من آية أى نبدل ومنه
قوله عز وجل واذا بدلنا

للقهر

للقهر ولو لم يكن في آيات الله فكيف عليها وليس منشؤه توهم علوهم عليها بل (ماهم ببالغيه) لعلمهم باعجازها لكن يوسوس لهم الشيطان انهم يقدرون عليها (فاستعذ بالله) أن يحصل لك مثل وسواسهم (انه هو السميع) لاستعاذتك ووساوسه (البصير) بمداخله فيمكنه سدها عليه وكيف يخاف الله وعدك بالنصر الاخروى عليهم وغاية ما فيه انه يتوقف على بعثهم ولا صعوبة فيه بل (لخلق السموات والارض) من غير مادة سابقة عليهما (أكبر من خلق الناس) من مادة سابقة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيجعلون اعادة الشيء أعظم من خلقه عن عدم (و) كيف يترك البعث مع عدم صعوبته وقد اقتضته الحكمة فانه ما يستوى العالم والجاهل كما أنه (ما يستوى الاعمى والبصير) لكن كثير من الجهال أحسن حالا في الدنيا من كثير من العلماء (و) كذلك ما يستوى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) والذين كفروا وعملوا القبائح فان الاولين كمحبى الملوك المراعين رضاه والآخرين كاعدائه المجترئين على مكارهه (و) كيف ينكر الفرق بينهما مع الاتفاق على انه (لا) يستوى (المسيء) والمحسن فالحكمة تقتضى الفرق والله تعالى يراعيها في جميع أفعاله عند من تذكر فيها لكن (قليلا ما تتذكرون) فاذا تذكرتم وعلمتم انها لم توجد في هذه الامور في الدنيا فلا بد من وجودها في الآخرة (ان الساعة لآتية) لمراعاة الحكمة فيما اختلت (لا ريب فيها) اذ لا يرتاب في رعاية الحكيم اياها في جميع أفعاله فهذه النكتة توجب الايمان بها (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون و) كيف يشك في الساعة مع انه لا يستجاب لكثير من الناس في الدنيا دعوتهم بعدما (قال ربكم ادعوني أستجب لكم) لان الدعاء من العبد غاية في التذلل لربه وهو محبوب لربه فاذا أتى العبد بمحبوب الرب عظمه بالاستجابة واذا لم يستجب له في الدنيا عوضه في الآخرة ولحبه التذلل أمر العباد بالعبادة فان استكبروا اذلهم غاية الاذلال (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم) دار الذلة (داخرين) ذليلين ذلا لا يعقبه عز أبدا وكيف لا يلزم العباد عبادته وقد أنعم عليهم بما يقتضى شكره بالعبادة وأقله خلق الليل والنهار اذ (الله الذي جعل لكم الليل) مظلما (لتسكنوا فيه) وتستريحوا فتنشطوا للاعمال (والنهار مبصرا) لتتحركوا فيه لتحصيل الاكساب الدينية والدنيوية فقد تفضل الله عليكم بهما وبما فيهما (ان الله لذو فضل على الناس) ليشكروه بعبادته (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) ولو لم يتفضل عليكم بشيء لكان مستحقا للعبادة اذ (ذلكم) العالى بالذات لانه (الله) الجامع للكمالات التي من جملتها استحقاق العبادة مع انه (ربكم) الذي رباكم بجميع أسرار الموجودات فيكم كيف وهو المنعم عليكم بسائر النعم لانه (خالق كل شيء) حادث اذ لا بد له من محدث ولا محدث سواه اذ (لا اله الا هو) لكنكم تنسبون بعض الاشياء الى اسبابها التي لا تؤثر الا به (فأنى تؤفكون) أي فكيف تصرفون من المؤثر بالذات الى المؤثر بالغير لو كان له أثر ثم أشار الى انه يشبه افك المعطلة اذ (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) وكيف يجحدون آيات الله مع عظمها اذ (الله الذي جعل لكم الارض قرارا) مع ان اجسام العالم متحركة دائما لتستدلوا به على استقراره على ما كان عليه في الازل (والسماء

آية مكان آية (قوله ننسأها) وننسها من نؤخرها) (قوله عز وجل النسيان (قوله ننقص) أي ننقص (قوله نحس) أي نلتعن عز وجل نبتهل) أي ندعو الله على الظالمين (قوله عز وجل نطمس وجوها) أي نمح ما فيها من عين وأنف (قوله عز وجل فنردها على أدبارها) أي نصيرها كأقفائها والقفا هو دبر الوجه (قوله

بناء) مع ان ثقله يقتضى سقوطه لتستدلوا به على ارتفاع شأنه على سائر الموجودات (وصوركم) صورة جامعة لامور كثيرة مع انكم من مادة واحدة لتستدلوا على ان هذه الكثرة انما حصلت من ذلك الواحد (فأحسن صوركم) بجعل كل عضو فى مكان يليق به ليتم الانتفاع به فتستدلوا بذلك على كمال حكمته (ورزقكم من الطيبات) لتستدلوا بذلك انه يطلب ميلكم اليه لتعبدوه فهذه الدلائل دالت على انه (ذلكم) المدلول بها هو (الله) الجامع للكمالات كلها مع انه (ربكم) الذى رباكم بتلك الكمالات واذا كانت له هذه الكمالات من ذاته فلا حاجة الى الاسباب (فتبارك الله) لكنه خالق الاسباب لانه (رب العالمين) وهو وان رباها فليس لها أثر اذ لا حياة لها من ذواتها بل (هو الحى) بالذات اذ الحياة مرجع صفات الالهية فلا تكون لغيره بالذات اذ (لا اله الا هو) فلا تأثير لغيره بالذات فلا يستحق العبادة غيره اذ هى للمؤثر بالانعام والانتقام عن اختيار كامل يتوقف على الحيوة بالذات (فادعوه) وانعامه بالاخلاص وانتقامه بتركه فكونوا (مخلصين له الدين) وكيف لا تخلصون له الدين مع انه المستقل بجميع التأثيرات لذلك يقال فيه (الحمد لله رب العالمين) فان زعموا ان ربوبيته للعالمين بوسايط الاسباب فى البعض وبدونها فى البعض وبذلك استحق جميع المحامد فصار معبودا بالذات وبالظهور فى الاسباب جميعا فأكمل العبادات أن نعبده باعتبار ذاته وباعتبار مظاهره (قل) لو كانت عبادته بالاعتبارين كمالا كنت مأمورا بعبادة معبوديكم وليس كذلك بل (انى نهيت أن أعبد الذين تدعون) لانها تذلل الاعلى للادنى أما دونهم فلكونهم (من دون الله) واما علوى فلأنى (لما جاءنى البينات) التى لم تجئهم كنت أعلى منهم اذ دلت على قربى (من ربى و) لم أصر بها مستحقا للعبادة اذ (أمرت أن أسلم) له على انه لو اعتبر الاسلام لظهوره فى المظاهر فلا يختص بذلك مظهر دون آخر بل يجب الانقياد (لرب العالمين) ولا تتنزل المظاهر الكلية منزلة رب العالمين اذ اعظم المظاهر الانسان وفيه من وجوه النقص ما يمنع من استحقاقه للعبادة وانما يعبد من نقله من النقص الى الكمالات وبالعكس اذ (هو الذى خلقكم من تراب) هو أدنى البسائط العنصرية (ثم من نطفة) هو أدنى المياه (ثم من علقة) هو أشبه بالهواء (ثم يخرجكم طفلا) هو أشبه بالجمادات (ثم) ينميكم نماء النباتات (لتبلغوا أشدكم) فتكمل فيكم الحيوانية (ثم) يحطكم (لتكونوا شيوخا) فتعودوا الى ما يشبه الجمادات (ومنكم من يتوفى) فيصير جمادا (من قبل) أى من قبل أن يصير شيخا (و) من ترك فانما يترك للمصير الى الجمادية (لتبلغوا أجلا مسمى) ثم تصير واجمادا (و) انما فعل ذلك (لعلكم تعقلون) ان المظاهر وان بلغت ما بلغت من الكمال ففيها من النقص السابق أو اللاحق ما يمنع من استحقاق العبادة وكيف يستحق الغير العبادة مع انها اما للشكر على النعم وأجلها الحياة وهى من الله اذ (هو الذى يحيى و) اما للخوف وأجله خوف العاقبة وهو منه اذ هو (يميت فـ) له القدرة التامة على كل مرجو ومخوف لانه (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) ثم ان المظاهر الكاملة انما هى آيات الله لكنهم يجعلونها

من

عزاسمه نقيرا) النقير النقرة التى فى ظهر النواة (النطيحة) أى المنطوحة حتى ماتت (قوله عز وجل نقيبا) أى ضمينا وأمينا والنقيب فوق العريف (قوله تعالى النعم) هو البقر والابل والغنم وهو جمع لا واحد له من لفظه وجمع النعم انعام (قوله نفقا فى الارض) أى سربا فى الارض

من السحر وهو نقص ويجعلون المظاهر الكاملة أصنامهم (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله) فيجعلونها من السحر (أنى) أى كيف (يصرفون) ولو أمكن توهم ذلك فى الآيات الفعلية لم يمكن فى الآيات القولية كالكتاب ويقرب منه أقوال الرسل فلظهورهما حكم المظاهر حتى كان الخارج عليهما كالخارج على الله ولذلك قال (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا) فهم وان لم يعلموا ان تكذيبهم لهما يتنزل منزلة تكذيب الله المستلزم للخروج عليه (فسوف يعلمون) ذلك حين ما يفعل بهم ما يفعل بالخارجين على السلاطين (اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل) فى أيديهم وأرجلهم (يسحبون) أى يجرون معهما (فى الحميم) أى الماء الحار لدفعهم برد اليقين من دلائل الكتاب والسنة (ثم فى النار يسجرون) أى يحرقون لاحراقهم الادلة العقلية والنقلية (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله) فكنتم تجعلونها مشاركة للمظاهر فيها لينصروكم (قالوا ضلوا عنا) فلا ينصروننا ثم بعد ما تكلموا بما يتضمن الاقرار بعبادتهم ينكرونها بقولهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ) وذلك من افراط حيرتهم (كذلك يضل الله الكافرين) فيتحيرون فى الدلائل القطعية من العقل والنقل بل كانوا يرجحون شبهاتهم عليها فيفرحون بها لذلك يقال لهم (ذلكم) العذاب (بما كنتم تفرحون) حين كنتم مستغرقين (فى) أمر (الارض بغير الحق) من الشبهات الواهية (وبما كنتم تمرحون) أى تختالون بايراد الشبهة فى دفع الحق فأوجب ذلك دخولكم فى عداوة الله (ادخلوا أبواب جهنم) التى للداخلين فى عداوة الله مع الاستكبار عليه وعلى آياته وكتبه ورسله (خالدين فيها) بحيث تكون مأواكم على الابد (فبئس مثوى المتكبرين) وهذا وان اقتضى استعجال العذاب عليهم (فاصبر) الى وقت مجيئه فانه فى حكم الموجود لكونه من موعود الله (ان وعد الله حق) ولكن لا يتعين له زمان (فاما نرينك) أى يتحقق اراءتك فى الدنيا (بعض الذى نعدهم) لا كله لعدم انقطاعه مع أن الدنيا منقطعة (أو نتوفينك) قبل الاراءة (فالينا يرجعون) فيحصل لهم جميع المواعيد على أكمل الوجوه (و) لو فرض كذب وعدنا مع رسول واحد فكيف يتصور مع من لا ينحصر من الرسل فانا (لقد أرسلنا رسلا من قبلك) أولى عدد فاتت للحصر (منهم من قصصنا عليك) لتقف على ما وفينا لهم من وعد النصر اياهم فى الدنيا (ومنهم من لم نقصص عليك) لما فيه من التطويل مع ان قصصهم تناسب قصة المذكورين فتقل الفائدة فى ذكرهم (و) لم يتوقف صدق مواعيدهم على اتيانهم بالآيات المقترحة فانه (ما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) فلا يأذن الا اذا علم ايمان المقترح له أو أراد اهلاكه (فاذا جاء أمر الله) عند عدم الايمان بالآية المقترحة بعد اتيانها (قضى بالحق) من المؤاخذة بعد تقرير الحجة المقترحة لهم (وخسر هنالك المبطلون) فوائد اتباع الآيات من المنازل الرفيعة وزاد خسرانهم باقتراح الآيات وترك متابعتها ولو لم يؤاخذوا على تكذيب الآيات الظاهرة على أيدى الانبياء فكيف يتركون على تكذيبهم الآيات فى الآفاق الدالة على التوحيد

(قوله عز وجل نبا) أى خبر (قوله نكدا) معناه قليلا عسرا (قوله عز وجل نتقنا الجبل فوقهم) أى رفعنا الجبل فوقهم وينشد ينتق أقتاد الشليل نتقا أى يرفعه على ظهره والشليل المسح الذى يلقى على عجز البعير ويقال نتقنا الجبل أى اقتلعناه من أصله فجعلناه كالظلة على رؤسهم وكلما اقتلعته فقد نتقته

بشركهم فمن دلائل التوحيد ان رب الكل واحد لارتباط البعض بالبعض حتى الحيوانات فربكم ورب الانعام واحد (الله الذى جعل لكم الانعام) مسخرة (لتركبوا) على بعض (منها) لقتال الاعداء والفرار منهم (ومنها تأكلون) ليبقى قوام أبدانكم (ولكم فيها منافع) تشبه الاكل كالالبان وتشبه القتال والفرار كالجلود والاوبار (و) فى الركوب فائدة أخرى وهى (لتبلغوا عليها حاجة) لاتحصل فى بلادكم وتبقى (فى صدوركم) من الاكل والتزوج والتجارة وقتل العدو (و) لم يضيق فيها بتعين طريق بل جعل للوصول اليها طريقين طريق البر وطريق البحر (عليها) فى طريق البر (وعلى الفلك) فى طريق البحر (تحملون) فتحت يده جميع هذه الامور المختلفة فهو الاله الواحد للكل (ويريكم) فى الآفاق مع هذه الآية سائر (آياته) الدالة على وجوده وتوحيده وصفاته وأفعاله (فأى آيات الله تنكرون أ) ينكرون معاقبته على انكار آياته (فلم يسيروا فى الارض) التى فيها آثار المعاقبين على انكار آيات الله (فينظروا كيف كان عاقبة الذين) أنكروا آيات الله (من قبلهم) ولم يكن ذلك عن قلتهم اذ (كانوا أكثر منهم و) لاعن ضعفهم اذ كانوا (أشد قوة و) لاعن عدم تحصنهم اذ كانوا أكثر وأشد (آثارا) كالحصون والقصور لكنها انما تفيد فى مقابلة من يقتصر على تصرفه (فى الارض) وأما من يتصرف فى السماء فلا يفيد فى مقابلته شئ من ذلك ولا غيره (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) مما لا يدفع به الامر الارضى ولا السماوى من التجارات وغيرها ولم يكن ذلك لقصورهم فيها بل قد بلغوا فيها الى حيث رجحوا علومهم على علوم الانبياء (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) من علومهم (فرحوا بما عندهم من العلم) حتى استهزؤا بالرسل من عدم تلك العلوم عندهم فأخذوا بذلك الاستهزاء (وحاق بهم) جزاء (ما كانوا به يستهزؤن) من علومهم فلم تنفعهم تلك العلوم وقد كانت تلك العلوم ولحوقهم بالشياطين فى شركهم (فلما رأوا بأسنا) فانهزمت عنهم الشياطين (قالوا آمنا بالله وحده) اذ هو الذى أفاض تلك البينات من العلوم القاهرة لعلوم الشياطين (وكفرنا بما كنا به مشركين) من تلك الشياطين المفيضة لعلومهم انصارا ومقهورين أيضا فهذا الايمان وان كان دافعا للبأس قبل مجيئه (فلم يك ينفعهم ايمانهم) بعد تأثير كفرهم (لما رأوا بأسنا) والمانع فى اثناء التأثير وان كان قاطعا للاثر فى سائر الاسباب فليس الايمان بقاطع لأثر الكفر بعد البأس لكونه (سنت الله التى قد خلت فى عباده) اذ لا يبقى بدون ذلك للتحذير من الكفر معنى (و) الايمان وان كان رابحا قبل ذلك بساعة لطيفة (خسر هنالك) بمجرد مجئ البأس (الكافرون) الى ذلك الوقت فاتهم سعادة الابد وحصلت لهم شقاوته والعياذ بالله من ذلك * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة حم السجدة)

سميت بها لاشتمالها على آية سجدة تدل على بطلان عبادة المظاهر بالكلية وان الله يستحق بذاته أجل العبادات وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكماله فى تنزيله

(الرحمن)

ومنه تنقت المرأة اذا كثرت الولد أى تنقت ما فى رحمها أى اقتلعته اقتلاعا قال النابغة لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم طفحت عليك بناتق مذكار (قوله عز وجل نكص على عقبيه) أى رجع القهقرى (قوله عز وجل نكثوا) أى نقضوا (قوله تعالى نجس) أى قذر ونجس أى قذر

(الرحمن) بتفصيل آياته (الرحيم) بجعله قرآنا عربيا (حم) أى حاوى الكمالات وماحى النقائص أو الحلاوة والملاحة أو الحياة والمناصب أو الحب والمكانة (تنزيل) اصفة كلامه الازلى (من الرحمن) المنعم بجلائل النعم (الرحيم) المنعم بدقائقها فمن الجلائل التجلى بالصفات الالهية التى هى الكمالات المطلقة الماحية اصفات الحوادث التى هى النقائص وتكميل القوة النظرية والعملية ورفع نقائصهما وفى ذلك حلاوة للمتصف بها وملاحة فى النظر اليها وبذلك كمال الناطقة بأنوار الحياة الازلية وسائر الصفات المفيدة للمناصب العالية ثم فى الاتصاف بها المناسبة مع الله الموجبة لحبه الموجب للمكانة عنده ومن الدقائق جزئيات هذه الامور وما يترتب عليها من الفروع ومعنى تنزيلها اظهورها بمظهر جامع هو (كتاب) مجمل (فصلت آياته) بالاشتمال على جميع المطالب الدينية والحقائق اليقينية مع الدلائل العقلية والنقلية مع كونه (قرآنا) اجتمع فى ألفاظه اليسيرة معان غير محصورة وانما تيسر فيه ذلك لكونه (عربيا) يتيسر فيه من جميع الفوائد ما لا يتيسر فى غيره لكن الاطلاع على ذلك انما هو (لقوم يعلمون) مقداره وكيفية الاستخراج منه بعد اطلاعهم على أكثر العلوم ويدعوهم اليه كونه (بشيرا) للناظرين فيه والمستخرجين منه (ونذيرا) للمعرضين عنه لكنه لما كان من الرحمن الرحيم اغتر برحمته الجهال وهم الاكثر (فأعرض أكثرهم) لظنهم انهم مرحومون بكل حال وان عاندوه (فهم لا يسمعون) ما للمعاند فيه وان الرحمة الرحمانية والرحيمية انما هى للناظر فيه والمستخرج منه والعامل به (وقالوا) انما لا نصغى اليه لانه لا يصل الى قلوبنا اذ (قلوبنا فى أكنة) فهى محجوبة (مما تدعونا اليه) من الامور الاخروية اذ لا تراها فلا تصدق بها (و) القلوب وان كانت تصدق كثيرا من الغائبات عند سماعها فلا تسمع هذه المغيبات اذ (فى آذاننا وقر) أى ثقل لمخالفته ما ألفناه (و) لو لم يكن فيها وقر فانما نسمع ممن عرفنا حقيقته لكن (من بيننا وبينك حجاب) فلا نعرف حقيقتك فان كشف لك عن حقيقته (فاعمل) بموجبه (اننا عاملون) أعمالا ألفناها واعتمدنا فيها على رحمته الرحمانية والرحيمية (قل) قولكم قلوبنا فى أكنة ليس بعذر فان غايته انه حجاب البشرية ورفعه ممكن (انما أنا بشر مثلكم) لكن رفع عنى حجاب البشرية فصرت بحيث (يوحى الى) لا من جهة الشياطين لانه شرك ووحى توحيد (أنما الهكم اله واحد) وحجاب البشرية يرتفع بالاستقامة (فاستقيموا) فى الاعمال الموصلة (اليه واستغفروه) على الحجب الظلمانية التى من جملتها حب المال الداعى الى البخل سيما اذا انضم الى الشرك (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة و) لو أتوها لم تفدهم اذ (هم بالآخرة هم كافرون) فان افادتهم فانما تفيدهم أجرا دنيويا منقطعا بخلاف أجر أعمال المؤمن (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أى غير منقطع لان عمله هدية مقبولة عند ملك الملوك الذى لا غاية لعظمته ولا لبقائه ولا لعطائه فان زعموا أن أجرهم من اعتمادهم على رحمته الرحمانية والرحيمية أيضا غير ممنون (قل)

فاذا قيل رجس نجس أسكن على الاتباع (قوله تعالى النسئ زيادة فى الكفر) النسئ تأخير تحريم المحرم وكانوا يؤخرون تحريمه سنة ويحرمون غيره مكانه لحاجتهم الى القتال ثم يردونه الى التحريم فى سنة أخرى كأنهم يستنسئونه ذلك ويستقرضونه (قوله عز وجل نقموا) أى كرهوا

ان شركتكم انكار لرحمانيته ورحيميته وانه اعدم كفايته وحده (أئنكم لتكفرون) من اعتقاد عدم الكفاية (بالذى خلق الارض) أى عالم العناصر (فى يومين) يوم لمادتها ويوم لصورتها الجسمية فتجعلونه غير كاف فى التكوين والافساد فيها (و) لذلك (تجعلون له أندادا) أى أمثالا ومتى يتصور له الامثال مع انها حادثة مربوبة (ذلك رب العالمين و) لكن من كمال تربيته جعل البعض أسبابا للبعض لذلك (جعل فيها رواسى) جبالا رفيعة (من فوقها) لتستقر بثقلها فلا تحركها رياح ولا مياه (و) باستقرارها استقرت الحيوانات اذ (بارك فيها) بايجاد الحيوانات (وقدر فيها) لاستقرار بقاء الحيوانات الى آجالها (أقواتها) فى يومين يوم للحيوانات ويوم للاقوات فصار الكل (فى أربعة أيام) ولم يجعل لمادة كل عنصر يوما لاتحادها فيها ولا لصورتها النوعية اذ هى فى حكم الاعراض المتزايلة ولم يجعل للجبال يوما ولا للمعادن لانهما من اجزاء الارض فكانت هذه الايام (سواء) أى مستقيمة فى الجواب (للسائلين) عن عدد أيام الشؤن الكلية الالهية (ثم) لما كان الكون والفساد فى هذا العالم منوطا بالاوضاع الفلكية بمقتضى السنة الالهية من غير حاجة (استوى الى) تصوير (السماء و) قد وجدت مادتها (هى دخان) حصل من ضرب الريح الماء الذى كان عليه العرش وحصل منه أيضا زبد هو مادة الارض (فقال لها وللارض ائتيا) لما فيكما بالقوة الى الفعل (طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) وان كان فيها ما يؤدى الى النقص طلبا لرضاك ولما لم يتم الكون والفساد الا باختلاف الاوضاع ولا اختلاف الا بتكثير السموات ولابد من احكامها لتبقى دهورا (فقضاهن) أى أحكمهن بازالة رخاوة الدخان (سبع سموات فى يومين) يوم للفلك ويوم للكواكب ولم يجعل لمادتها يوما لانها كمادة الارض قد دخلت فى يومها (وأوحى فى كل سماء أمرها) اختصر كل سماء بتأثير مع تأثير الاوضاع المختلفة (و) جعلناها محل النظر اذ (زينا السماء الدنيا بمصابيح) معلقة بها وبما فوقها ليكون داعيا الى الاستدلال بها على قدرة صانعها وحكمته وجماله (و) جعلنا النظر حفظا عن الوساوس الشيطانية كما جعلنا المصابيح (حفظا) لاخبار السماء ولم يكن ذلك لحاجة له الى الاسباب بل (ذلك تقدير العزيز) أى الغالب على كل شئ لكن اقتضى علمه ترتيب بعض الامور على بعض بمقتضى اسمه (العليم فان أعرضوا) عن هذا الاستدلال وعن الايمان بهذا العزيز العليم (فقل أنذرتكم) مع العذاب الاخروى عذابا شديد الوقع يشبه (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) لانكم مثلهما فى العناد ومثل عاد فى الاستكبار ومثل ثمود فى استحباب العمى على الهدى اما عنادهم فهى (اذ جاءتهم الرسل) مبينين لهم ما يكون (من بين أيديهم) من الرجوع الى الله عز وجل والثواب والعقاب (و) ما كان (من خلفهم) من المبدا وما جرى على الكفار السابقين قائلين لهم (ألا تعبدوا الا الله) الذى منه المبدا واليه المعاد (قالوا) انما نسمع قولكم لو صحت رسالتكم لكنها من المحالات الصريحة اذ (لو شاء ربنا) ارسال رسول (لانزل) من عنده (ملائكة) كما يفعله الملوك فى الارسال

(قوله غاية الكراهية) أى (قوله نسوا الله فنسيهم) (قوله تركوا الله فتركهم) وانكرهم عز وجل نكرهم واستنكرهم بمعنى واحد (قوله تعالى نذير) بمعنى منذر أى محذر (قوله جل وعز نرتع ونلعب) أى نتنعم ونلهو ومنه القيد والرتعة يضرب مثلا فى الخصب والجدب ويقال نرتع نأكل ومنه قول الشاعر

الى بعض قراه فانه لا يرسل اليهامن هو فيها فانه غير معقول فاذا استحالت رسالتكم (فانا بما أرسلتم به) من عبادة الله وحده (كافرون) هذا ما اشترك فيه الفريقان وأما الذى افترقا فيه (فأما عاد فاستكبروا) مع كونهم (فى الارض) لا بالحق على ماسواه بل (بغير الحق و) هو قوة أنفسهم اذ (قالوا من أشد منا قوة) نخاف عذابه لو تركنا عبادته أو عبدنا معه غيره (أ) ذهلوا عن قوة الله (ولم يروا أن الله الذى) أعطاهم القوة اذ (خلقهم) بجميع أعراضهم (هو أشد منهم قوة) اذ أثر فى نفس قوتهم بقوته لكن انما يعرفه الناظر فى الدلائل (و) هؤلاء (كانوا بآياتنا) التى هى أقوى الدلائل (يجحدون) والمنكر لعذابه تمسكا برحمته كأنه يدعى انه أقوى منه بهذا التمسك وقد زعم بعضكم أنه أقوى من الزبانية (فأرسلنا عليهم) لدعواهم القوة (ريحا صرصرا) أى شديد الصوت فى هبوبها وتأكدت شدتها بكونها (فى أيام نحسات) تسلب عنهم سعادة القوة لو كان لها مقاومة الريح (لنذيقهم عذاب الخزى) بالدفن فى التراب مع كونهم (فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة) على استكبارهم (أخزى وهم لا ينصرون) بقوتهم التى استكبروا بها (وأما ثمود فهديناهم) باخراج الناقة من الصخرة الى البعث (فاستحبوا العمى على الهدى) بحبهم دوابهم التى كانت تحجبهم عن الله بكونها أسباب المعاش وكانت تهرب من الناقة لعظمها فتموت بالبرد فى الشتاء لكون الناقة بأعلى الوادى وبالحر فى الصيف لكونها بأسفله فذبحوا الناقة وان كان يحصل لهم منها ما يحصل من دوابهم (فأخذتهم صاعقة) أى شدة (العذاب الهون) لارادتهم ترجيح دوابهم على ناقة الله (بما كانوا يكسبون) من التكبر بدوابهم على من سواهم مع تكبرهم على آيات الله ورسله (و) يدل على ذلك انا (نجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) من عذابهم مع مخالطتهم اياهم (و) كما أنذرتكم صاعقة عاد وثمود فى الدنيا أنذرتكم صاعقتهما (يوم يحشر) أى يجمع لمزيد الفضيحة بين الاولين والآخرين (أعداء الله) المشركون والجاحدون كمن أشرك علك البلد غيره أو جحده لمضاربهم معها (الى النار فهم) ينكرون عداوته ومخالفته لذلك (يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم ليتم الزام الحجة عليهم بين جميعهم فلا يبقى لهم مقال لانهم لا يزالون يجادلون عن أنفسهم (حتى اذا ما جاؤها) فبالغوا فى انكار المخالفة (شهد عليهم سمعهم) بأنهم سمعوا الحجج فأعرضوا عنها وسمعوا الشبه فاتبعوها وسمعوا الفواحش فاستحسنوها (وأبصارهم) بأنهم رأوا الآيات فلم يعتبروها ورأوا القبائح فاختاروها (وجلودهم) بأنهم باشروا المعاصى فوصل أثرها الى القوة اللامسة منهم فيشهد كل عضو وجزء (بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم) المدركة ألم العذاب الذى لا يدركه السمع والبصر (لم شهدتم علينا) بما يوجب ايلامكم (قالوا أنطقنا الله) بهذه الشهادة فى الباطن أولا كما انه (الذى أنطق كل شئ) فى الباطن بتسبيحه (و) أظهره الآن عليكم كما فعل فيكم بتوحيده اذ (هو خلقكم أول مرة) موحدين ثم ستر عليكم التوحيد ثم أظهره عليكم اليوم (و) ذلك حين (اليه

ويحيينى اذا لاقيته
واذا يخلو له لحمى رتع
أى أكله ونرتع أى نرتع ابلنا
وترتع أى ترتع ابلنا ونرتع
بكسر العين نفتعل من
الرعى (قوله تعالى نستبق)
أى نفتعل من السباق
يسابق بعضنا بعضا فى الرمى
(قوله عز وجل نتخذه ولدا)
أى نتبناه (قوله عز وجل
وغير أهلنا) يقال فلان

ترجعون و) لا يبعد انطاق الله ايانا بهذه الشهادة ظاهرا وباطنا مع انكم (ما كنتم تستترون) عند فعلكم الفواحش عن السمع والابصار والجلود مخافة (أن يشهد عليكم سمعكم ولا) مخافة أن يشهد عليكم (أبصاركم ولا جلودكم) باشهاد الله اياها وان فرض علمكم انها تشهد عند الاستشهاد ولكنه انما يتصور لو علم الله بجميع أفعالكم فاستشهدها عليها (ولكن ظننتم أن الله) لنفيكم علمه بالحوادث الجزئية (لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم) من جهله بأكثر أعمالكم مع انه الذى رباكم بخلق علمها فيكم (أرداكم) أى أهلككم بالجراءة على مخالفته فى الدنيا ومجادلته فى القيامة (فأصبحتم) أى صرتم (من الخاسرين) لاعمال النجاة والدرجات فى الدنيا ونيلهما فى الآخرة فلم يبق لهم الا الصبر أو الاستعتاب (فان يصبروا) لم يكن صبرهم مفتاح الفرج (فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا) أى طلبوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبون (فما هم من المعتبين) أى المجابين اليه (وقيضنا) أى عوضنا (لهم) عن محبوبهم الذى طلبوا الرجوع اليه (قرناء) من الشياطين الانس والجن الذين قارنوهم فى الدنيا (فزينوا لهم ما بين أيديهم) من الموت على الكفر بأنه مفيد للسعادة بشفاعة معبوديهم (وما خلفهم) من اللذات العاجلة (و) باغترارهم بهذا التزيين (حق عليهم القول) لأملأن جهنم لدخولهم اعتقادا وعملا (فى أمم قد خلت من قبلهم) فحق عليهم القول اتفاقا (من الجن) كابليس وأعوانه (والانس) كعاد وثمود وقد عذبوا لا بطريق الابتلاء لأن المطمع فى الأجر بل (انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا) فستروا زينة أدلة القرآن عن أتباعهم الذين زينوا لهم شبهاتهم الواهية (لا تسمعوا لهذا القرآن) المشكك فى دين آبائكم (و) ان اتفق سماعكم له (الغوا فيه) اعراضا عن التدبر فيه (لعلكم تغلبون) حججه التى يغلب بها عقولكم واذ كانوا مريدين للغلبة على حججنا بعنادهم نغلبهم بشدة العذاب (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا و) لما أساؤا الى أدلتنا بالالغاء (لنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون) لا ما عملوا من الصالحات لعداوتهم مع المجازى (ذلك) الجزاء بالاسوا دون الاحسن (جزاء أعداء الله) وهى (النار) القاتلة لهم دائما ولا يفنون بهذا القتل بل (لهم فيها) أى فى النار (دار الخلد) يخلد فيها وحده وهى الصناديق التى يجعلون فيها آخرا يبقى بذلك أبد الآباد الكل (جزاء بما كانوا بآياتنا) الدالة على العظمة الدائمة (يجحدون وقال الذين كفروا) أى ستروا دلائل القرآن وسائر الحجج الالهية اذا استرعنهم المضلون الذين قالوا لهم لا تسمعوا لهذا القرآن لينتفعوا باتباعهم انتفاع امام البغاة بعسكرهم حين ينعكس عليهم الامر فيقولون (ربنا أرنا) الفريقين (اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا) كما كانا تحت أقدامهم (ليكونا) بدل طاعتنا لهم (من الاسفلين) من أهل الدرك الاسفل من النار ثم أشار الى قرناء الخير لاهله فقال (ان الذين قالوا ربنا الله) فانهم وان أنكروا ربوبية الملائكة ناسبوا الملائكة فى توحيدهم (ثم استقاموا) فى أخلاقهم وعقائدهم وأعمالهم فزادت مناسبتهم معهم فأوجبت مقارنتهم لذلك (تتنزل عليهم الملائكة)

بالالهام

نار أهله اذا حول اليهم
أقواتهم من غير بلده (قوله
تعالى نزغ الشيطان بينى
وبين اخوتى) أى أفسد
بيننا وحمل بعضنا على بعض
(قوله تعالى نار السموم)
قيل لجهنم سموم والسموم اسمها
نار تكون بين السماء الدنيا
وبين الحجاب وهى النار
التى تكون منها الصواعق
(قوله عز وجل نقيرا) نقرا

بالالهام (ألاتخافوا) على التوحيد ضرر الشركاء ولا على الاعمال الصالحة لومة لائم ولا
وسواس شيطان ولاشبهة (ولاتحزنوا) على فوات لذة عاجلة هذا فى الدنيا وعند الموت
لاتخافوا سؤال منكر ونكير ولاعذاب القبر ولاتحزنوا لما تركتم من الاهل والمال وعند
البعث لاتخافوا أهوال القيامة ولاتحزنوا للحساب والميزان وجواز الصراط (وأبشروا)
بدل اللذة العاجلة (بالجنة التى كنتم توعدون) على تركها ولاتفوتكم بعارض وسوسة
كمالاتفوتكم بتعرض الزبانية فى الآخرة اذ (نحن أولياؤكم) ندفع عنكم الشيطان
(فى الحيوة الدنياو) الزبانية (فى الآخرة و) اتصالكم بنا لايمنعكم من اللذات الحسية
بل (لكم فيها ماتشتهى أنفسكم و) لاتلحقون بالاشتغال بها بالحيوانات العجم بل (لكم
فيها ماتدعون) من الكمالات الملكية ولايبعد اجتماع الامرين فيما يكون (نزلا من غفور)
يستر كلا منهما بالآخر فلا يمكن أن يغلبه ليبطله (رحيم) بافاضة فوائدهما لكن انما
يكون ذلك قبل الرؤية أو بعدها فانه يسترعنهم أحيانا ليرحمهم بذلك (و) من لم يكن
قرناؤه الملائكة لايضطر الى قرناء السوء من الجن والانس مع وجود قرناء الخير بل هم أحسن
فانه (من أحسن) استحقاقا للاتباع لكونه أحسن (قولا ممن دعا الى الله و) دل على
صدقه بأن (عمل صالحا و) يكفى فى صحة دلالته على صدقه أنه (قال انى من المسلمين) وان لم
يطلع على باطنه (و) لايحتاج فى معرفة دعوة الخير من دعوة الشر الى تدقيق النظر فانه
(لاتستوى) فى بداهة النظر الدعوة (الحسنة) مع السيئة (ولا السيئة) مع الحسنة
فان جاءك داعى السوء (ادفع) دعوته (بالتى هى أحسن) من بين طرق المناظرة فانه
لايسر العداوة بل يقلبها صداقة (فاذا الذى بينك وبينه عداوة) ممتدة ينقلب
صديقا فى الحال (كأنه ولى) من أول الامر (حميم) يغضب لغضبك على من آذاك (و) لكن
دفع سيئة العدو بحسنة منك خصلة عالية (ما يلقاها) أى لايتلقاها بالقبول (الا الذين صبروا)
اى ثبت صبرهم على تجرع الشدائد (وما يلقاها) أى خصلة الصبر (الا ذو حظ عظيم) من
الاخلاق الكريمة والاعمال الصالحة (واما ينزغنك) اى وان تحقق فى مكافأة السيئة
بالحسنة (من الشيطان نزغ) نخس يحرك غضبك لمكافأة السيئة بالسيئة (فاستعذ بالله)
لتسكين غضبك (انه هو السميع) لاستعاذتك اذا علم صدقك لانه (العليم و) من نزغات
الشيطان ان يلقى الى المجادل ان الدعوة الى عبادة المظاهر ليست بسيئة لانها فى الحقيقة دعوة
الى عبادة الله ومن أحسن ما يدفع به ان أعظم ما يعبدونه الشمس والقمر وهما فى المظهرية
دون الليل والنهار اذ (من آياته) التى ظهر فيها باسمه الباطن والظاهر (الليل والنهار) وهما
المقصودان من الشمس والقمر (والشمس والقمر) وان كانا مظاهر اسمه النور فالمقصود منه
الظهور والاظهار فاذا لم تسجدوا للمقصود بالذات (لاتسجدوا للشمس ولا للقمر) كيف ولا
ظهور له فيهما بل باعتبار الهيئة لانها بوجوب الوجود بالذات (واسجدوا لله) لا باعتبار ظهوره
فيهما بل باعتبار أنه (الذى خلقهن) وظهوره لاينافى خلقه لانه بارادته وتوجهه الى حقيقة

والنفير القوم الذين يجتمعون
ليصيروا الى أعدائهم
فيحاربوهم (قوله عز وجل
ونأى بجانبه) أى تباعد
بناحيته وقربه أى تباعد
عن ذكر الله والنأى البعد
ويقال النأى الفراق وان
لم يكن بعد والبعد ضد
القرب (قوله جل وعز
نقد) فى (قوله ندا) مجالسا
(قوله عز وجل لننسفنه

ترجعون و) لا يبعد انطاق الله ايانا بهذه الشهادة ظاهرا وباطنا مع انكم (ما كنتم تستترون)
عند فعلكم الفواحش عن السمع والابصار والجلود مخافة (أن يشهد عليكم سمعكم ولا)
مخافة أن يشهد عليكم (أبصاركم ولا جلودكم) باشهاد الله اياها وان فرض علمكم انها تشهد
عند الاستشهاد ولكنه انما يتصور لو علم الله بجميع أفعالكم فاستشهدها عليها (ولكن
ظننتم أن الله) لنفيكم علمه بالحوادث الجزئية (لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذى ظننتم
بربكم) من جهله بأكثر أعمالكم مع انه الذى رباكم بخلق علمها فيكم (أرداكم) أى أهلككم
بالجراءة على مخالفته فى الدنيا ومجادلته فى القيامة (فأصبحتم) أى صرتم (من الخاسرين)
لاعمال النجاة والدرجات فى الدنيا ونيلهما فى الآخرة فلم يبق لهم الا الصبر أو الاستعتاب (فان
يصبروا) لم يكن صبرهم مفتاح الفرج (فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا) أى طلبوا
العتبى وهو الرجوع الى ما يحبون (فما هم من المعتبين) أى المجابين اليه (وقيضنا) أى
عوضنا (لهم) عن محبوبهم الذى طلبوا الرجوع اليه (قرناء) من الشياطين الانس
والجن الذين قارنوهم فى الدنيا (فزينوا لهم ما بين أيديهم) من الموت على الكفر بأنه مفيد
للسعادة بشفاعة معبوديهم (وما خلفهم) من اللذات العاجلة (و) باغترارهم بهذا التزيين
(حق عليهم القول) لأملأن جهنم لدخولهم اعتقادا وعملا (فى أمم قد خلت من قبلهم)
فحق عليهم القول اتفاقا (من الجن) كابليس وأعوانه (والانس) كعاد وثمود وقد عذبوا
لا بطريق الابتلاء المطمع فى الاجر بل (انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا) فستروا
زينة أدلة القرآن عن أتباعهم الذين زينوا لهم شبهاتهم الواهية (لا تسمعوا لهذا القرآن)
المشكك فى دين آبائكم (و) ان اتفق سماعكم له (الغوا فيه) اعراضا عن التدبر فيه (لعلكم
تغلبون) حججه التى يغلب بها عقولكم واذ كانوا مريدين للغلبة على حججنا بعنادهم نغلبهم
بشدة العذاب (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا و) لما أساؤا الى أدلتنا بالالغاء (لنجزينهم
أسوأ الذى كانوا يعملون) لا ما عملوا من الصالحات لعداوتهم مع المجازى (ذلك) الجزاء
بالاسوا دون الاحسن (جزاء أعداء الله) وهى (النار) القاتلة لهم دائما ولا يفنون بهذا
القتل بل (لهم فيها) أى فى النار (دار الخلد) يخلد فيها وحده وهى الصناديق التى يجعلون
فيها آخرا يبقى بذلك أبد الآباد الكل (جزاء بما كانوا بآياتنا) الدالة على العظمة الدائمة
(يجحدون وقال الذين كفروا) أى ستروا دلائل القرآن وسائر الحجج الالهية اذا استرعتهم المضلون
الذين قالوا لهم لا تسمعوا لهذا القرآن لينتفعوا بمتابعتهم انتفاع امام البغاة بعسكرهم حين
ينعكس عليهم الامر فيقولون (ربنا أرنا) الفريقين (اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما
تحت أقدامنا) كما كانت تحت أقدامهم (ليكونا) بدل طاعتنا لهم (من الاسفلين) من أهل
الدرك الاسفل من النار ثم أشار الى قرناء الخير لاهله فقال (ان الذين قالوا ربنا الله) فانهم
وان أنكروا ربوبية الملائكة ناسبوا الملائكة فى توحيدهم (ثم استقاموا) فى أخلاقهم
وعقائدهم وأعمالهم فزادت مناسبتهم معهم فأوجبت مقارنتهم لذلك (تتنزل عليهم الملائكة)

تمار أهله اذا حمل اليهم
أقواتهم من غير بلده (قوله
تعالى نزغ الشيطان بينى
وبين اخوتى) أى أفسد
بيننا وحمل بعضنا على بعض
(قوله تعالى نار السموم)
قيل لجهنم سموم والسموم ها
نار تكون بين السماء الدنيا
وبين الحجاب وهى النار
التى تكون منها الصواعق
(قوله عز وجل نفيرا) نفرا

بالالهام

بالالهام (ألا تخافوا) على التوحيد ضرر الشركاء ولا على الاعمال الصالحة لومة لائم ولا وسواس شيطان ولا شبهة (ولا تحزنوا) على فوات لذة عاجلة هذا فى الدنيا وعند الموت لا تخافوا سؤال منكر ونكير ولا عذاب القبر ولا تحزنوا الماتركتم من الاهل والمال وعند البعث لا تخافوا أهوال القيامة ولا تحزنوا للحساب والميزان وجواز الصراط (وأبشروا) بدل اللذة العاجلة (بالجنة التى كنتم توعدون) على تركها ولا تفوتكم بعارض وسوسة كما لا تفوتكم بتعرض الزبانية فى الآخرة اذ (نحن أولياؤكم) ندفع عنكم الشيطان (فى الحيوة الدنيا و) الزبانية (فى الآخرة و) اتصالكم بها لا يمنعكم من اللذات الحسية بل (لكم فيها ما تشتهى أنفسكم و) لا تلحقون بالاشتغال بها بالحيوانات العجم بل (لكم فيها ما تدعون) من الكمالات الملكية ولا يبعد اجتماع الامرين فيما يكون (نزلا من غفور) يستر كلا منهما بالآخر فلا يمكن أن يغلبه ليبطله (رحيم) بافاضة فوائدهما لكن انما يكون ذلك قبل الرؤية أو بعدها فانه يسترعنهم أحيانا ليرحمهم بذلك (و) من لم يكن قرناؤه الملائكة لا يضطر الى قرناء السوء من الجن والانس مع وجود قرناء الخير بل هم أحسن فانه (من أحسن) استحقاقا للاتباع لكونه أحسن (قولا ممن دعا الى الله و) دل على صدقه بأن (عمل صالحا و) يكفى فى صحة دلالته على صدقه أنه (قال اننى من المسلمين) وان لم يطلع على باطنه (و) لا يحتاج فى معرفة دعوة الخير من دعوة الشر الى تدقيق النظر فانه (لا تستوى) فى بداهة النظر الدعوة (الحسنة) مع السيئة (ولا السيئة) مع الحسنة فان جاءك داعى السوء (ادفع) دعوته (بالتى هى أحسن) من بين طرق المناظرة فانه لا يسر العداوة بل يقلبها صداقة (فاذا الذى بينك وبينه عداوة) ممتدة ينقلب صديقا فى الحال (كأنه ولى) من أول الامر (حميم) يغضب لغضبك على من آذاك (و) لكن دفع سيئة العدو بحسنة منك خصلة عالية (ما يلقاها) أى لا يتلقاها بالقبول (الا الذين صبروا) اى ثبت صبرهم على تجرع الشدائد (وما يلقاها) أى خصلة الصبر (الا ذو حظ عظيم) من الاخلاق الكريمة والاعمال الصالحة (واما ينزغنك) اى وان تحقق فى مكافأة السيئة بالحسنة (من الشيطان نزغ) نخس يحرك غضبك لمكافأة السيئة بالسيئة (فاستعذ بالله) لتسكين غضبك (انه هو السميع) لاستعاذتك اذا علم صدقك لانه (العليم و) من نزغات الشيطان ان يلقى الى المجادل ان الدعوة الى عبادة المظاهر ليست بسيئة لانها فى الحقيقة دعوة الى عبادة الله ومن أحسن ما يدفع به ان أعظم ما يعبدونه الشمس والقمر وهما فى المظهرية دون الليل والنهار اذ (من آياته) التى ظهر فيها باسمه الباطن والظاهر (الليل والنهار) وهما المقصودان من الشمس والقمر (والشمس والقمر) وان كانا مظاهر اسمه النور فالمقصود منه الظهور والاظهار فاذا لم تسجدوا للمقصود بالذات (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) كيف ولا ظهور له فيهما بل باعتبار الهيئة لانها بوجوب الوجود بالذات (واسجدوا لله) لا باعتبار ظهوره فيهما بل باعتبار أنه (الذى خلقهن) وظهوره لا ينافى خلقه لانه بارادته وتوجهه الى حقيقة

والنفير القوم الذين يجتمعون ليصيروا الى أعدائهم فيحاربوهم (قوله عز وجل ونأى بجانبه) أى تباعد أى تباعد بناحيته وقربه عن ذكر الله والنأى البعد ويقال النأى الفراق وان لم يكن ببعد والبعد ضد القرب (قوله جل وعز نقد) فى (قوله نديا) مجلسا (قوله عز وجل انسفنه

المظهر فان خصصتموه بالعبادة فى الباطن عند عبادتكم المظاهر فى الظاهر فاعبدوه بدونها (ان كنتم اياه تعبدون) لان عبادتكم اياه فيها تجعله مقيدا بها او هو غيرها (فان استكبروا) عن عبادته بلا مظهر لانه يشبه العدم فهى جهة وجوب الوجود التى هى متعلق عبادة من يعبدونهم فى ضمن عبادة الشمس والقمر والاصنام (فالذين عند ربك) أعلى عبادتهم التسبيح ولذلك يواظبون عليه اذ (يسبحون له بالليل والنهار) باعتبار بطونه وظهوره أن يكون مثل الامور المعقولة أو المحسوسة (و) هذا الاعتبار وان كان ابعد من التعقل (هم لا يسأمون) عنه لعلمهم انه أعلى مراتب العبادة له (و) لو اعتبر فى العبادة الظهور بالاسماء فأعلاها اسمه الحى ومن مظاهره الارض ومن الاسماء الالهية المحيي ومن مظاهره الماء اذ (من آياته أنك ترى الارض خاشعة) أى ذليلة يابسة لا نبات عليها (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) اى تحركت للانبات (وربت) أى زادت قدرا فقد ظهر فى الارض باسمه الحى وفى الماء باسمه المحيي لكنهما لا يستحقان العبادة باتفاق بل فائدة الظهور فيهما انما هى الاستدلال حتى يقال (ان الذى أحياها لمحيي الموتى انه على كل شئ قدير) واذا كان ظهوره فى الاشياء باسمائه ليكون آية يستدل بها على اسمائه كان العدول عن الاستدلال الى العبادة الحادا (ان الذين يلحدون فى آياتنا) فانهم وان زعموا انهم يقصدون عبادتنا من جهات كثيرة (لا يخفون علينا) انهم يغيرون مقاصدنا فانهم بذلك يستحقون النار والذين لا يغيرون شيأ من مقاصدنا آمنون من ذلك (أ) يزعمون انهم لعبادتهم اياه من تلك الجهات خير (فمن يلقى فى النار) لتغييره شيأ من مقاصدنا (خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة) الذى لا يأمن فيه من غير شيأ من مقاصدنا وان لم يزل آمنا أيام حياته كيف وقد اختاروا للعبادة جهة الحدوث وتركوا جهة الوجوب الذاتى (اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير) ولو صحت عبادة المظاهر لكان أولى ما يعبد كتابه لكنهم كفروا به (ان الذين كفروا بالذكر) أى بالشرف الذى ظهر به فى كتابه مما هو أقرب الى استحقاق العبادة من سائر الصفات لكنهم رأوه أدنى (لما جاءهم و) لكن مجيئه لم يجعله أدنى (انه) لاعجازه (لكتاب عزيز) لا يصل اليه طاقة الخلائق ولا دنو فيه من جهة اشتماله على الباطل اذ (لا يأتيه الباطل من بين يديه) فى شئ من مقدماته (ولا من خلفه) فى شئ من نتائجه ودناءة النزول فيه لم تجعله أدنى لانه (تنزيل) لاسرار الحكمة (من حكيم حميد) يحمده كل من رآه فزعم أن من أوتيه فقد أوتى خيرا كثيرا والخبر محذوف وهو كفرهم كفر بمن ظهر فيه بكمالاته ولا يخل بشرفه طعنهم فيمن أنزل عليه اذ (ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل) المشهورين بالشرف (من قبلك) وعدم مؤاخذة الطاعنين فيهم لا يدل على دناءتهم (ان ربك لذو مغفرة) أى ستر فى الدنيا ابقاء للتكليف (وذو عقاب أليم) فى الآخرة سيما اذا لم يعاقب فى الدنيا (و) لا يتوقف اعجازه على جعله أعجميا منزلا على رسول عربى بل (لو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا) لا نعلم اعجازه الا بعد فهمه (لولا فصلت) اى بينت بالعربية (آياته) بحيث يعرف اعجازها وكيف يتصور اعجاز العرب بالكتاب العجمى (أ) ألمعجز (أعجمى و) المتحدى (عربى) فان زعموا انه لو كان معجزا لاتفق

في اليم) أى نطرحه ونذريه في البحر (قوله تعالى نفحة من عذاب ربك) النفحة الدفعة من الشئ دون معظمه (قوله تعالى نفشت فيه غنم القوم) أى رعت ليلا يقال نفشت الغنم بالليل وسرحت بالنهار وسربت وهملت بالنهار (قوله جل وعز نقدر عليه) نضيق

العقلاء على الانقياد له (قل) انما ينقاد له من ينتفع به وهم المؤمنون اذ (هو للذين آمنوا هدى) اى الدلائل (وشفاء) عن الشبه (و) انما لا ينقاد له المعاندون لمج اسماعهم اياه اذ (الذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر) اى ثقل (و) لو سمعوا لم ينظروا فيه اذ (هو عليهم عمى) وليس ذلك لنقص فى اسماعهم أو ابصارهم بل لبعدهم عنه (أولئك ينادون من مكان بعيد) ولا لاختلاف فيه قربا او بعدا وقع فيه الاختلاف (و) وقوع الاختلاف فى كتاب لا يدل على نقصه كما لم يدل وقوع الاختلاف فى التوراة على نقصها اذ انا (لقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه و) هذا الاختلاف لعظم موقعه بحيث (لولا كلمة) بتأخير الفصل الى يوم القيامة (سبقت من ربك) لابقاء التكليف (لقضى بينهم) بالفصل وكيف لا يؤخر فانما يؤخر فى حق من يرجى له اليقين (وانهم لفى شك منه) اى من ذلك القضاء لا زائل بأدنى التفات بل (مريب) موقع فى زيادة الريب مع انه لا وجه له أصلا للاتفاق على ان (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) مع انا كثيرا ما نجد الامر بالعكس وهو ظلم (و) قد اتفقوا على انه (ما ربك بظلام للعبيد) وكيف تنكر القيامة مع وجود هذا الدليل القاطع لشبهة واهية كالجهل بساعة ابتدائها مع انها انما تتم لو كانت مجهولة على الاطلاق لذلك (اليه يرد علم الساعة) كيف (و) لا ينكر خروج ثمرة من اكمامها للجهل بساعة ابتدائه بل اليه يرد علم ساعة خروج (ما تخرج من ثمرة من اكمامها و) كذلك لا ينكر وجود الحمل والوضع للجهل بوقتهما فانه (ما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) والمطلع على ذلك انما يطلع باعلامه لا بسبب من الاسباب (و) كيف ينكر وجودها مع انه انما ينكر ذلك لدعوى انه انعم بايجاد الثمرات والاولاد وحده وقد اشركوا به فى ذلك فلا بد ان يكلمهم فى ذلك بعد ان يظهر لهم بطلان الشرك (يوم يناديهم أين شركائى قالوا آذناك) اى اعلمناك من اعتراف بواطننا بالتوحيد حين كوشفنا به (ما منا من شهيد) يشهد على ان لك شريكا لان الشهادة هو القول المطابق لما فى القلب وهذا القول لا يطابق ما فى القلب الآن وأنت مطلع على ما فى القلوب فقلوبنا اعلمتك بذلك (و) كيف يشهدون بذلك وقد (ضل عنهم) فاعمى عن قلوبهم (ما كانوا يدعون من قبل و) لكن لم يفدهم هذا المحو لانهم بقى عليهم حجاب الشرك بحيث (ظنوا) أى ايقنوا (ما لهم من محيص) أى مهرب عن هذا الحجاب الموجب للعذاب لانهم فوتوا وقت الهرب وكان الواجب على الانسان ان يبالغ فى الهرب منه لانه من أعظم الخيرات مع انه (لا يسأم) أى لا يمل (الانسان من دعاء الخير و) كيف لا يبالغ فى الهرب عنه مع انه أشد وجوه الشر مع انه كان بحيث (ان مسه الشر فيؤس) من رحمة الله (قنوط) من الخير كله (و) هذا اليأس والقنوط وان لم يتحقق له فى الدنيا يتحقق له فى الآخرة لانه لا يتخلص من شدائدها اصلا لانا علمنا من الانسان انا (لئن اذقناه رحمة منا) من غير استحقاقه اياها بذاته لكونها (من بعد ضراء مسته) ولو استحقت ذاته الرحمة لم يمسه الضراء أصلا (ليقولن هذا) حق (لى) فلو خلصناه من العذاب الاخروى لرأى التخليص حقه فيجترئ على المعاصى مرة اخرى (و) كيف يخلص وهو يقول الآن (ما اظن الساعة قائمة) فاذا خلص يمكنه ان يقول أنا لا ابتلى بمثل ذلك ثانيا لان الله

(قوله يبسط عليه من الرزق لمن يشاء ويقدر أى (قوله تعالى ناديكم) أى مجلسكم (قوله عز وجل نجيه) أى ندره (قوله عز وجل نكير) انكارى (قوله تعالى نذير) انذارى (قوله نصب) أى تعب (قوله عز وجل نسلخ منه النهار) أى نخرج منه النهار اخراجا لا يبقى معه شئ من ضوء النهار (قوله تعالى نبكسه فى الخلق)

تعالى خلصني منه مع علمه باني اعود الى معصيته (و) أيضا انه يقول (لئن رجعت الى ربى) عند قيام الساعة (ان لى عنده للحسنى) أى الجنة فلعله يقول اذا اخرج من النار انى اذا عدت الى المعاصى ادخل النار واخرج فادخل الجنة واذا امتنع فى الحكمة اخراج الكافرين من النار بهذه الوجوه (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) انها موجبة للخلود فى النار فلابد من هذا الوعد (و) لابد من اتمام ذلك الاعلام بامضاء هذا الوعد (ولنذيقنهم من عذاب غليظ و) كيف ينعم عليهم بالاخراج من النار وأقل ما فيهم الاعراض عن المنعم فانه (اذا انعمنا على الانسان اعرض) عنا (ونأى) أى تباعد عن طاعتنا آخذا (بجانبه) ترجيحا له علينا (و) كيف لا نخلدهم فى النار وفيه تذللهم لنا وهو مقتضى عظمتنا فانه (اذا مسه الشر فذو دعاء عريض) فان زعموا انه مخالف لما ذكرتم من اجابته المضطر اذا دعاه (قل) انما يجيب من لم يضطر بالعذاب على الضلال سيما بالعداوة وقد تحقق ضلالكم (أرأيتم) اى أخبرونى (ان كان) القرآن (من عند الله) فعلمتم كونه منه (ثم كفرتم به) لانه (من أضل ممن هو فى شقاق) أى خلاف مع الله (بعيد) وكيف ينكرون كون القرآن من عند الله مع انه جامع لآياته فان لم يروها فيه (سنريهم آياتنا) ظهورا تنا بالاسماء (فى الآفاق) تفصيلا (وفى أنفسهم) اجمالا بعد تفصيل لينظروا فيها فيجدوها فى هذا القرآن (حتى يتبين لهم انه) أى القرآن هو المجلى الكامل كأنه هو (الحق) فمن كفر به فقد كفر بالحق وكيف ينكر كون القرآن من عند الله مع انه استدل عليه بتجليه فيه وهو أقوى الدلائل (أ) يشكون فيما يستدل به على وجوده (ولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد) أى دليل لانه به وجد وبنوره ظهر فكيف يكون تجليه كافيا فى معرفة جميع الاشياء مع قصور التجلى عليه ولا يدل تجليه مع كماله فى القرآن على حقية كونه منه نعم انما يشكون فيه لشكهم فى تجليه (الا انهم فى مرية) أى شك (من لقاء ربهم) أى تجليه مع انه لا وجه له لانه انما وجد به (الا انه بكل شئ محيط) فانه انما ظهر ما ظهر من احاطة اشراق نور وجوده به اذ به تحققه فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة حم عسق)

سميت به لان محتملات تأويلها من أعظم مقاصد القرآن ولم يعتبر معها حم لعمومها فى سائر السور وبالشورى لاشعار آياتها بذلة الدنيا وعزة الآخرة وصفات طالبيها مع اجتماع قلوبهم بكل حال وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بتجليه الجامع فى مقطعات فواتح سور كتابه (الرحمن) بجعل سائر وحيه كذلك (الرحيم) بظهوره مع كمال عزته وكمال حكمته فيه (حم عسق) أى الحواية والمتانة عمت سور القرآن أو حكمه ومعارفه عظيم سعادة قائمة أو جمعها المستقيمة عصمة لسائر القوى أو حفظه والمواظبة عليه عنوان سر القبول أو غير ذلك مما يناسب المقام ولا يختص هذا بهذه السورة بل (كذلك يوحى اليك) فى سائر السور (والى الذين من قبلك) فى زبرهم (الله) الجامع للكمالات فلا يبعد أن يكون مجلاه حاويا

(العزيز)

أى نزده (قوله تعالى نحسات) أى مشؤمات (قوله عز وجل فى يوم نحس مستمر) أى استمر عليهم بنحوسه أى بشؤمه (قوله تعالى ننتسخ) أى نثبت ويقال ننتسخ أى نأخذ نسخته وذلك أن الملكين يرفعان عمل الانسان صغيره وكبيره فيثبت الله منه ما كان له ثواب أو عقاب ويطرح منه اللغو نحو قوله هلم واذهب وتعال (قوله

(العزيز) فلا يبعد ان يكون مجلاه أحكاما وحججا (الحكيم) فلا يبعد ان يكون مجلاه متينا أو مشتملا على معارفه مستعدة أو حججه مستقيمة أو حفظه عاصما ولا يبعد ظهوره بكمالاته في كلامه بعد ما ظهر فيما كان في السموات والارض اذ (له) مجلى (ما في السموات وما في الارض و) لا يعرض له دناءة في ظهوره في الارضيات اذ (هو العلى) بذاته وما بالذات لا يزول بعارض بل ظهوره فيهما باعتباراته (العظيم) وقد ظهر بكلامه في عالم السموات بالحروف المعنوية فظهر فيهما من عظمته ما (تكاد السموات يتفطرن) أى يتشققن من جهة ما تجلى عليهن (من فوقهن والملائكة) مع كمال مظهريتهم انارا وظهوره في تلك الحروف (يسبحون) ربهم عن ان يعرفوه بانفسهم دون تعريفه فاذا عرفهم بذلك قارنوا تسبيحهم (بحمد ربهم) على ما أنعم عليهم بذلك الظهور (و) لما كان ظهوره في الحروف الحسية دون ذلك الظهور فقصرت معارف أهل الارض (يستغفرون لمن في الارض) لئلا يؤاخذهم باعتقادهم فيه ما ليس عليه كيف لا يستغفرون وقد ستر عليهم ذلك لعدم احتمالهم معرفته الكاملة رحمة بهم (الا ان الله هو الغفور الرحيم و) من رحمته بعباده أن (الذين اتخذوا من دونه اولياء) فالحقوه بالناقصين بعد ظهوره بكمالاته سيما في كتابه فانهم وان لم يحفظوا عليه شيأ من حق كماله (الله) بكماله (حفيظ) لهم الى أجلهم وان كان حفيظا (عليهم) اعمالهم الى تلك المدة ليعذبهم أشد مما يعذبهم لو عجل عليهم (و) لكن (ما انت عليهم بوكيل) من الله في الانتقام منهم كراهة ان تستعجل عليهم العذاب من غلبة الغيرة الالهية عليك فيفوت عليهم التدارك بالتوبة المستوجبة للرحمة عليهم فهذا من رحمته عليهم وان انقلبت مزيد غضب عليهم لو لم يتداركوا (و) كما رحمناهم بالحفظ رحمة يخاف انقلابها غضبا (كذلك أوحينا اليك) ما هو رحمة يخاف انقلابه عذابا أما انه رحمة فلكونه (قرآنا) جامعا للعلوم (عربيا) يفهمه العرب بانفسهم وغيرهم بتعلم لغتهم التي هي أحسن اللغات وأما خوف انقلابه عذابا فلان وحيه اليك (لتنذر أم القرى) وان كانت حرما آمنا (ومن حولها) تنذرهم أيام القرى الهالكة فيما مضى (وتنذر يوم الجمع) الذى تكون الفضيحة فيه أعظم ويخاف لو كان محتملا فكيف اذا كان (لاريب فيه) والخوف فيه أعظم الاشياء فوات نعيم الجنة وحصول أليم العقاب اذ فيه (فريق في الجنة وفريق في السعير) وقد رحم الخائف بدخول الجنة والنجاة من النار وهو أعظم رحمة يخاف انقلابه أعظم انتقام (و) رحمته وان اقتضت ادخال الكل الجنة فهي غير موجبة كقهره بل (لو شاء الله لجعلهم امة واحدة) مرحومة أو مقهورة (ولكن) يراعى مقتضاهما بمشيئته اذ من سنته رعاية مقتضيات الحقائق لذلك (يدخل من يشاء في رحمته) لعدلهم في باب الاعتقادات والاخلاق والاعمال والافعال فيوالبهم الله وينصرهم ويدخل من يشاء في قهره لانهم ظالمون (والظالمون مالهم من ولى) يجرهم الى رحمة الله وجنته (ولا نصير) ينجيهم من ناره فان زعموا ان لهم أولياء يقال هل اتخذوا الله وليا مع غيره (ام اتخذوا من دونه أولياء) وعلى التقدير بن لا ولى لهم اما على تقدير الشرك (فالله هو الولى) ولا يوالى من

(قوله عز وجل فنقبوا في البلاد) أى طافوا وتباعدوا ويقال نقبوا في البلاد أى ساروا في نقوبها أى طرقها الواحدة نقب ونقبوا أى بحثوا وتعرفوا هل من محيص أى هل من محيص أى هل من محيد لا فلم يجدوا ذلك (قوله والنجم اذا هوى) اذا سقط في الغرب وقيل كان القرآن ينزل نجوما تعالى نضيد) أى منضود

أشرك به وعلى تقدير اتخاذهم من دونه أولياء فلعدم صلاحيتهم للولاية التى تفضى الى ادخال الجنة والانجاء من النار لانهم ما فرع الاحياء (وهو يحيي الموتى) بل فرع القدرة الكاملة (وهو على كل شئ قدير) فيقدر على انتزاع قدرتهم لو كانت لهم قدرة على ذلك (و) كما لا يصلحون للموالاة المفيدة دخول الجنة والنجاة من النار لا يصلحون لموالاة تكون سبب ذلك مثل ان يأتوا بأحكام تصير سببا لذلك بل (ما اختلفتم فيه من شئ) هل هو مفيد لذلك أو ضده (فحكمه) مفوض (الى الله) يراجع فيه كتابه وسنة رسوله واجماع المجتهدين فيه تنصيصا أو قياسا على معنى مستنبط من أحدهما فان ادعى أحد ذلك لنفسه فلا أو من بربوبيته بذلك بل (ذلكم الله ربي) فان خوفنى (عليه توكلت و) ان رأيت منه منافع أو مضار فلا ابالى له بل (اليه انيب) أى ارجع وكيف ارجع الى الغير أو اتوكل عليه أو اخاف منه أو اتخذه ربا مع أنه مفطور لاختصاص الله بانه (فاطر السموات والارض) كيف وغاية ما فى الغير انه يتفاوت فاضلا أو مفضولا لانه (جعل لكم من انفسكم أزواجا) أى اصنافا مختلفة الى كامل وناقص فلو استحق كل كامل الهية كل ناقص لكان لكل شئ الهية لا تنحصر (و) لكان للمتوسط كالحيوان الهية ومالوهية اذ جعل (من الانعام أزواجا) فللانسان عليها الهية ولبعضها على بعض الهية مع ان المتوسط مفضول فعليه الهية لما فوقه بل (يذرؤكم) أى يفرقكم (فيه) فيجعل الفاضل مفضولا من وجه فيكون الشئ الها الشئ ومألوها له وهذا باطل بالضرورة فالمعتبر انما هو الكمال المطلق وهو انه (ليس كمثله شئ) أى ليس مثله شئ فكنى بنفى مثل المثل عن نفى المثل اذ لو كان له مثل لكان مثلا لمثله فاذا نفى لزم نفيه (و) لا يلزم من نفى المثل نفى الصفات الكاملة التى تطلق على المخلوقات وهو نقص اذ يكفى فيه كونه له بالذات وللغير بالظهور بان يقال (هو السميع البصير) على سبيل الحصر بالذات وانما سمع الغير وبصره باعتبار ظهوره فيه ولا يناقضه قوله تعالى وله المثل الاعلى لانه المناسب بالوجه الخاص والمثل بالكسر هو المشارك فى النوع ومن ظهوره بالاسماء سمية الاشياء فلا يستقل بدون اذنه لذلك (له مقاليد) أى مفاتيح أسباب (السموات والارض) ويستقل بدون الاسباب لذلك (يبسط الرزق لمن يشاء) وان لم يباشر سببا (ويقدر) أى يضيق على من يشاء وان بالغ فى جمع الاسباب ومع ذلك لا يفعل بطريق التحكم بل بحسب استعدادات الحقائق (انه بكل شئ عليم) فيعلم تلك الاستعدادات التى خفيت على الاكثر فهى أسباب خفية ولما جعل هذه الاسباب غير مستقلة بدونه نهى عن الخوف عنها والتوكل عليها والرجوع اليها حتى (شرع) أى سن (لكم من الدين) أى الاعتقاد (ما وصى) أى امر على سبيل التوكيد (به نوحا) ان يأمر به قومه وهو توحيد الافعال بحيث لا يرون مؤثرا سواه فى جميع الاشياء (و) الامر العظيم (الذى أوحينا اليك) من غير توكيد من توحيد الذات ان تأمر به خواص قومك (وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) من توحيد الصفات وبالجملة أمرناهم (ان اقيموا الدين) باحدى التوحيدات (ولا تتفرقوا) أى ولا تعتقدوا الفرق بالجمع (فيه) وانما

فاقسم الله بالنجم منه اذا
نزل (قوله تعالى نذير من
النذر الاولى) محمد صلى
الله عليه وسلم (والنجم
والشجر يسجدان) النجم
ما نجم من الارض أى طلع
ولم يكن على ساق كالعشب
والبقل والشجر ما قام
على ساق وسجودهما
انهما يستقبلان الشمس
اذا طلعت ويميلان معها
حتى ينكسر الفئ
والسجود من جميع الموات

أكدنا عليهم بذلك لانه (كبر على المشركين) فى الافعال والذات والصفات (ماتدعوهم اليه) من احدى التوحيدات سيما الذاتى اذ لا يحصل بالكسب بل (الله يجتبى) فيجذب (اليه من يشاء) من غير انابة سابقة (ويهدى) للوصول (اليه من ينيب) أى من يرجع اليه حتى يتحقق بالتوكل ثم يصير موحدا فى الفعل ثم فى الصفات ثم فى الذات (و) لو قيل لو أقر هؤلاء الرسل بهذه التوحيدات لاخذبها أهل الكتاب قيل (ماتفرقوا) أى مااعتقدوا التفرقة المحضة قدماء أهل الكتاب (الامن بعدما جاءهم العلم) أن هؤلاء الرسل اوجبوا الاخذ باحدى التوحيدات (بغيا بينهم) و بين دعاة التوحيد (و) هذا البغى موجب للمؤاخذة فى الحال (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير القضاء بينهم (الى أجل مسمى) هو القيامة (لقضى بينهم) و بين دعاة التوحيد بمؤاخذتهم لوجود مقتضاها من البغى على أهل الحق ودعاته (و) لا يعذر باقتدائهم المتأخرون (ان الذين اورثوا الكتاب) المخالف لمقالاتهم وان كانوا (من بعدهم) لكنهم انما يقتدونهم لو لم يكونوا فى شك من مقالاتهم لكنهم شاكون انهم (لفى شك منه مريب) أى موقع لهم فى الريب فيما نقلوا من الكتاب أيضا (فلذلك) أى فلكون متأخرى أهل الكتاب فى شك من اعتقاد قدمائهم ونقلهم الكتاب (فادع) الى مالا يشك فيه (واستقم) فى الاعتقادات والاعمال الثلاثتهم (كما امرت) وان كان لك فيه خواص لا توجد فى امتك (و) ان طعنوا فيك بمخالفة قدمائهم (لاتتبع اهواءهم وقل) كيف اوافقهم على خلاف كتب الله مع انى (آمنت بما أنزل الله من كتاب و) ان ذكروا انهم لم يخالفوا كتب الله بل اولوها دفعا للتعارض فى الظاهر فيها قل (امرت لاعدل) فى التأويل بحيث يقع الاتفاق (بينكم) لو انصفتم وان طعنوا بان كتابك يخالف كتبنا فى نسخ بعض الاحكام قل (الله ربنا وربكم) فله ان يربينا باحكام و يربيكم باحكام ولا يناقض فى ذلك اذ (لنا اعمالنا) فى عصرنا (ولكم اعمالكم) فى عصركم (لا حجة بيننا وبينكم) بان هذا النسخ ابطال لحكم الله بل هو بيان لانتهاء حكمه ولا يلزم من ذلك التفرقة فى أحكامه بل (الله يجمع بيننا) و بينكم فى حكمه باعتبار عصره فلو كنا فى عصركم لحكم علينا باحكامكم واذا كنتم فى عصرنا حكم عليكم باحكامنا (واليه المصير) فى الحكمين فلابد وان يراعى مصلحة العصرين (والذين يحاجون فى الله) فى أحكامه الناسخة (من بعد ما استجيب له) أى أجاب عن حججهم العقل والكشف ونقل الكتب السالفة مقوية لحجج الله كما طلب منهم ذلك (حجتهم داحضة) أى زائلة (عند ربهم) لا يعتد بها فى الدنيا (و) لا يعفى عن المتمسك بها لكونها شبهة بل (عليهم غضب) اذ تحكموا على الله ان لا يحكم على أحد الا بما حكم به عليهم (ولهم عذاب شديد) لا يخفف منه شئ لاجل شبهتهم بعد شدة عنادهم بحجة داحضة وكيف ترد أحكام هذا الكتاب لمخالفته كتب الاولين مع انه أكمل منها اذ (الله) باعتبار جمعيته هو (الذى انزل الكتاب) حتى صار معجزا ولم يعارض دلالة اعجازه بطلانه فى ذاته لكونه ملتبسا (بالحق و) ليس هذا دعوى بلا برهان لانه أنزل (الميزان) لمعرفة اعجازه ومعرفة حقيته وقد دل الميزان على حقية النسخ اذ

الاستسلام والانقياد لما سخره (قوله تعالى والنخل ذات الاكمام) أى ذات الكفرى قبل ان تنفتق وغلاف كل شئ كمه (قوله عزوجل النشأة الاخرى) أى الخلق الثانى البعث يوم القيامة (قوله عزوجل نضاختان) أى فوارتان بالماء (قوله جل وعز نجوى) سرا ونجوى متناجون

الاوقات مختلفة بقرب الساعة وبعدها فالاقرب أشد فسادا فلولم يرخص فيه لازداد فسادا (و) من انكر قربها قيل له (مايدريك) بعدها (لعل الساعة قريب) فاذا ذكر قربها استعجلوها استهزاء بها اذ (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها) وأى فساد أعظم من هذا الفساد المانع من خوف الله بالكلية الزاجر عن الفساد (والذين آمنوا) فهم وان كان لهم الامن اذلم يلبسوا ايمانهم بظلم (مشفقون) أى خائفون (منها) لان مايخافونه من الله انما يكون فيها والرخص تمنعهم من اليأس (و) ليس خوفهم من اعتقادهم امكان وقوعها فقط حتى لم يخف من وجه بل (يعلمون) قطعا ويقينا (انها الحق) وانما المحتمل وقوع الخوف من الله تعالى عليهم مع تحقق وقوعه على الذين يمارون فيها (الا ان الذين يمارون) أى يجادلون (فى الساعة لفى ضلال بعيد) لانكارهم عدل الله وحكمته ودوام ظهوره بالجلال والجمال ودوام ربوبيته على الارواح اذا اعتقدوا فناءها أوتعطيلها وهؤلاء لوثقل عليهم لازدادوا بعدا ولا يبعد من الله انزال مثل هذا الكتاب الجامع لطفا بالعباد اذ (الله لطيف بعباده) ولايلزم من هذا اللطف ان يطلع العوام على اسراره اذ (يرزق من يشاء و) لايعسر عليه جمع المعانى الكثيرة فى الالفاظ اليسيرة اذ (هو القوى) ولايعسر عليه ان يستر على العوام بعض ماظهر به فيه اذهو (العزيز) ثم من لطفه بهذا الكتاب تفضيل رخصه على عزائم امورمن تقدمه ومن لطفه تكثير الثواب على الاعمال اليسيرة لانه يرزق من يشاء بلاسبب فلايمتنع عليه ان يعطى بسبب الرخصة مالايعطى بسبب العزيمة ولو كان للعمل أثرفاثر لطفه أعظم اذهو القوى ولو كان للعزيمة مزيدقوة فهو العزيز الغالب وأيضا لايبعد ان يمهل أهل الضلال البعيدة مدة بعيدة من مزيد لطفه ثم يزيدهم لطفا بان يرزقهم ولايبالى بهم اعتمادا على قوته فى مؤاخذتهم ويكون ذلك مقتضى عزته اذيتجلى لهم بالتجلى الجلالى فى الدنيا بالحجاب وفى الآخرة بالقهر والعقاب ولايبعد ان يختص لطف فهم اسرار الكتاب بطالب الآخرة اذ (من كان يريد حرث الآخرة نزدله فى حرثه) بنيات صالحة ومساع باطنة مقوية له فكذا نزيد له فى فهم اسرار الكتاب (و) لايبعد ان لايطلع على اسرار الكتاب طالب الدنيا الا اسرارا تناسب أهلها اذ (من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها) بتوجيه الناس اليه (و) لكن يكون ذلك مانعاله من ثواب الآخرة بحيث (ماله فى الآخرة من نصيب) وأيضا لايبعد ان يستفيد من الرخص طالب الآخرة مالايستفيده من العزائم طالب الدنيا كما انه يقع التفاوت بينهما فى العمل فى الواحد وأيضا اللطف الحقيقى فى أهل الآخرة اذ يزيدله فى حرثه لافى أهل الدنيا لانه لايعطى جميع مايتمناه ومع ذلك يصير مانعا عماهو أعظم من الدنيا كلها ثم ان أهل الكتاب ينكرون العمل بهذا الكتاب حيث كان ناسخا لكتابهم ويعملون بما حرفه علماؤهم ألهم نسخ كتاب الله (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) لافى كتابهم ولاعلى لسان رسول (ولولا كلمة الفصل) أى ولولا قول الله ان لاأؤاخذ احدا الا بعد ان أفصل عليه بالدين ولا افصل قبل يوم القيامة (لقضى) بمؤاخذتهم فى الحال قطعا للنزاع (بينهم) وبين ربهم

ايضا كقوله واذهم نجوى أى متناجون أى يسارّ بعضهم بعضا (قوله عز وجل نصوحا) فعول من النصح ونصوحا مصدر نصحت له نصحا ونصوحا والتوبة النصوح البالغة فى النصح التى لا ينوى التائب معها معاودة المعصية وقال الحسن هى ندم بالقلب والاستغفار

في كتابه (و) لايدل تأخيره على تعطيله بعد تحقق ظلمهم (ان الظالمين لهم عذاب اليم) سيما الظالمين بشرع الاحكام من غير اذن الله (ترى الظالمين) سيما بهذا الظلم (مشفقين) أي خائفين يوم الفصل (مما كسبوا) من الضلال والاضلال (وهو) أي جزاء كسبهم (واقع بهم) وان تابوا قبل الموت لان الاضلال حق الخلق (و) قد وقع عليهم مع ذلك مافوتوا من الروضات اذ (الذين آمنوا) بالناسخ والمنسوخ (وعملوا الصالحات) بالمنسوخ قبل النسخ و بالناسخ بعده (في روضات الجنات) روضة للايمان بهما وروضة للعمل بالمنسوخ قبل النسخ وروضة للعمل بالناسخ بعده ولموافقتهم مراد الله (لهم مايشاؤن عند ربهم) وهم وان اتوا بالموافقة الواجبة عليهم فاعطاء الله مرادهم فضل منه (ذلك هو الفضل الكبير) لكونه من الرب الكبير وهو وان لم يجب على الله فهو في حكم الواجب عليه لان قول الله تعالى واجب الوقوع سيما مابشر به أحدا سيما خواصه لكن (ذلك الذي يبشر الله) به (عباده) الخواص اعني (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فان زعموا انه كيف يكون هذا التبشير فضلا عليهم مع انه به فضل عليهم واحدا منهم (قل) تفضيل ذلك الواحد عليكم من جملة الفضل عليكم اذ يفيدكم دينا ولا ينقص شيأ من دنياكم اذ (لا أسئلكم عليه اجرا الا) مايزيدكم اجرا اعني (المودة) الراسخة (في) حق (القربى) لتتقربوا بهم الى نبي الى ربكم روي انها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك من هؤلاء قال علي وفاطمة وابناهما رضي الله عنهم (و) انما طلبنا ذلك لان (من يقترف) اي يكتسب مع مودتهم (حسنة نزد له فيها حسنا) يزداد به ثوابا ويغفر له ماقصر فيها ويقبل قبول الكامل (ان الله غفور شكور) أيشكرون تبشيره كراهة فضله عليهم وان افادهم فضلا (أم يقولون افترى على الله كذبا) فكان أظلم ممن شرع الاحكام اذ لم يدع الوحي اليه لكنه لا يتأتى ممن شرح الله قلبه بالعلوم الغيبية فان تأتى منه (فان يشإ الله يختم على قلبك) فلا يبقى انشراحه لتلك العلوم بعد الافتراء عليه وكيف يترك ذلك (و) قد علم من سنة الله انه (يمح الله الباطل) ولا يمحى هذا الباطل من الافتراء الا بالختم على قلبك ولكنه يزيدك شرح القلب فيزيد لكلماتك اثباتا (و) قد علم من سنته انه (يحق الحق بكلماته) ولا يعكس الامر من جهله لاطلاعه على الغيوب كلها (انه عليم بذات الصدور) لتحقيقه الحق بكلماته تحقق مايميل اليه لذلك (هو الذي يقبل التوبة عن عباده) لميلهم اليه فيثبتهم لديه (و) لمحوه الباطل بالحق (يعفو) بها (عن السيآت) التي فيها الميل الى ماسواه من الباطل (و) مما يشبه العفو عن السيآت انه (يعلم ماتفعلون) ولا يؤاخذهم بها في الحال (و) مما يشبه قبول التوبة قبول الدعوة لذلك (يستجيب) دعوة (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فيعطيهم دعوتهم (ويزيدهم من فضله و) مما يشبه محو الباطل ابطال اعمال الكفار لميلهم الى الباطل حتى يصير (الكافرون لهم عذاب شديد و) كيف يبسط الله على من يبغي عليه بالافتراء عليه علوما غيبية وهو رزق معنوي وقد كره بسط الرزق الحسي على الكل كراهة بغي بعضهم على بعض فانه (لو بسط الله الرزق لعباده) فاغنى جميعهم (لبغوا)

باللسان والترك بالجوارح واضمار ان لا يعود (قوله جل وعز نفر) جماعة مابين الثلاثة الى العشرة (قوله تعالى ناشئة الليل) أي ساعاته من نشأت أي ابتدأت (قوله تعالى نضرة النعيم) أي بريق النعيم ونداه ومنه وجوه يومئذ ناضرة أي مشرقة من بريق النعيم ونداه (قوله

بعضهم على بعض بغيا ساريا (فى الارض ولكن ينزل) على كل واحد منهم مما قسم له (بقدر) نظر فيه الى استعداد حقيقته لابطريق الايجاب بل (ما يشاء) لكن مشيئته لاتخالف قدره رعاية للحكمة (انه بعباده) اى باستعداداتهم الباطنة (خبير) وباستعداداتهم الظاهرة (بصير) ولما كره البغى فى الامور الظاهرة فهو فى الامور الباطنة اشد كراهة وهو لازم لترك الوحى بالكلية فلابد من الوحى فى الحكمة (و) لايبعد عليه انزال الوحى عليكم بعد قنوطكم عنه واهداؤ كم به بعد اضلالكم اذ (هو الذى ينزل الغيث) على اهل القحط (من بعد ما قنطوا) اى ايسوا (وينشر رحمته) بانبات الزرع واخراج الثمار وكيف يترك ذلك (وهو الولى الحميد و من آياته) الدالة على كونه وليا حميدا (خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة) لمنافع العباد (و) لايخل بحمده وولايته مايجرى بينهما من التظالم اذ (هو على جمعهم) للانتصاف (اذا يشاء قدير و) كما لا ينافى حمده وولايته تظالم الدواب لا ينافيهما اصابة المصائب اذ (ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و) هو يفعل بكم بمقتضى ولايته وحمده أكثر مما يفعل بمقتضى كسبكم اذ (يعفو عن كثير) فلا يؤاخذكم بها فى الحال و يرجى ان لا يؤاخذكم بأكثرها فى الآخرة أيضا (و) ليس عفوه لعجزه اذ (ما أنتم بمعجزين) رب السموات والارض مع كونكم (فى الارض و) لكنكم العاجزون اذ (ما لكم من دون الله من ولى) يعينكم عليه (ولا نصير) يخلصكم عنه (ومن آياته) الدالة على ان رعايته بمقتضى ولايته أكثر من رعايته بمقتضى كسبهم (الجوار) اى السفن الجارية (فى البحر) اللطيف مع أنها فى الثقل (كالاعلام) اى الجبال (ان يشا) أن يفعل بمقتضى كسبهم (يسكن الريح) التى هى سبب جريها (فيظللن) اى يصرن (رواكد) اى ثوابت لافى قعره لثقلها بل (على ظهره) رعاية لجهة الولاية من وجه (ان فى ذلك) اى فى تحريكهن بتحريك الريح اللطيفة وتسكينهن بتسكين الريح فلاتؤثر فيها أمواج البحر تأثيرا يعتد به مع امساكها اياهن على ظهره حال سكونها (لآيات) على كمال قدرته وحكمته ورعايته لولايته أكثر من رعايته للاكساب مبصرة (لكل صبار) حبس نفسه على النظر فى الآيات (شكور) لما يرى فى آياته من آلائه ذكر الآيات بعد تسكين الريح لانه المذكر غالبا لقلته عند الجرى وعدمه عند الهلاك الكلى (أو) يجعلها عاصفة بحيث (يوبقهن) اى يهلك السفن اعتبارا (بما كسبوا) لكنه قليل جدا (ويعف عن كثير) بمقتضى ولايته وانما راعى كسبهم على القلة لئلا يذهب الخوف عن قلوب الناس بالكلية (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا) انا اذا اردنا اهلاكهم (ما لهم من محيص) اى مخلص لا التمسك بولايته ولا غيرها ولا يغتر المجادلون بتضييق الرزق والجاه على المؤمنين وتوسيعهما عليهم (فما أوتيتم من شئ) من مال وجاه (فمتاع الحيوة الدنيا) وقد سلبتم متاع الحياة الابدية عند الله (وما عند الله خير) فى نفسه (و) اقل وجوه خيريته انه (أبقى) وانما يحصل لاعدائكم اى (للذين آمنوا و) لم يشب ايمانهم بشرك اذ (على ربهم يتوكلون و) لاضعف لانهم (الذين

يجتنبون

تعالى بخرة وناخرة) أى بالية ويقال نخرة بالية وناخرة يعنى عظاما فارغة يصير فيها من هبوب الريح كالنخير (قوله عز وجل فارق) أى وسادة واحدها نمرقة ونمرقة (قوله عز وجل النجدين) الطريقين طريق الخير وطريق الشر (قوله عز وجل لنسفعا بالناصية) أى لنأخذن بناصيته الى

يجتنبون كبائر الاثم) المضعفة للايمان بالذات (والفواحش) اى الصغائر التى تفحش برؤيتها
صغائر (و) لايزالون يتقون حتى انهم (اذا ماغضبوا هم يغفرون و) قد قووا ايمانهم
بالتكاليف الشرعية لانهم (الذين استجابوا لربهم) أوامره ونواهيه فلا يفقدهم حيث
امرهم ولا يجدهم حيث نهاهم (و) تمت لهم تلك الاستجابة اذ (أقاموا الصلوة) سيما
بالجماعة الموجبة اجتماع قلوبهم (و) قد راعوه خارج الصلاة أيضا اذ (امرهم شورى
بينهم) فلا يعملون برأى حتى يجتمعوا عليه هذا فى الاعمال البدنية (و) اما المالية فيراعون
جميع حقوق المال اذ (مما رزقناهم ينفقون) فى جميع سبل الخيرات (و) اما الاخلاق
فهم (الذين اذا اصابهم البغى) ورأوا العفو عنه مضعفا للاسلام (هم ينتصرون) لاعلاء
كلمة الله لا لانفسهم والانتصار لنفسه وان كان جائزا فهو جزاء سيئة (وجزاء سيئة سيئة)
لانه (مثلها) لا فى الصورة وحدها بل فى المعنى أيضا من حيث النسبة الى النفس على انه
ادنى من العفو (فمن عفا و) لم يقتصر عليه بل زاد خيرا اذ (اصلح) ما بينه وبين اخيه من
مفسدة الحقد والغل (فأجره على الله) الذى راعى بنيانه بعفوه واصلاحه وقد تخلق
باخلاقه لكنه لا يعفو عن الظالم ولا يصلحه لانه فرع محبته له (انه لا يحب الظالمين و) المنتصر
لنفسه وان فعل سيئة فليس بظالم لا يحبه الله بل (لمن انتصر بعد ظلمه) اى بعد ماظلمه
صاحبه (فاولئك ما عليهم من سبيل) ابغض الله وغضبه حتى ترتفع محبته الاصلية عنهم (انما
السبيل) المذكور فى الظالمين انما هو (على الذين يظلمون الناس) الذين هم بنيان الله
(و) يتعدون حدود الله اذ (يبغون) بغيا على عباد الله مع كونهم (فى الارض) لا باذن الله بل
(بغير الحق) فعليهم سبيل الغضب الالهى و بغضه وما يترتب عليه (اولئك لهم عذاب اليم)
من حمل معاصى المظلومين عليهم ونقل اعمالهم الصالحة اليهم (و) المظلومون وان
حصل لهم ذلك لو تركوا الصبر والعفو فلا يبلغون مبلغ الصابرين العافين اذ (لمن صبر وغفر)
قارب رتبة اولى العزم من الرسل (ان ذلك لمن عزم الامور و) كيف لا يكون لله سبيل على
الظالمين وقد ضلوا برؤيتهم ان فى الظلم لهم عظمة ومعاشا والتفصى عنه وان كان واضحا لهم
لم يهتدوا اليه لانه (من يضلل الله فماله من ولى) يهديه (من بعده) اى بعد ثباته على اضلاله
(و) ذلك التفصى ان العظمة والمعاش انما يعتمد بهما اذا لم يعقبهما مذلة ولا شدة وههنا
تحصل الشدة بحيث (ترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد) الى الدنيا بعد لقاء
الله والرجوع اليه (من سبيل و) المذلة بحيث (تراهم يعرضون عليها) اى على النار
(خاشعين) اى متذللين مما يلحقهم (من الذل ينظرون) الى النار يبتدئ نظرهم (من طرف
خفى) اى من تحريك لاجفانهم ضعيف على ان المعاش انما يعتد به لو لم يقابله خسر (و) قد
(قال) اعداؤهم (الذين آمنوا) شماتة بهم (ان الخاسرين) هم (الذين خسروا انفسهم
واهليهم يوم القيامة) ولا ينقطع بانقطاعه بعد طوله (ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم)
ابد الآبدين كيف (وما كان لهم من أولياء) فى القيامة ولا بعدها (ينصرونهم) بالتخليص

النار يقال سفعت بالشئ اذا أخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الرأس (قوله عز وجل فيؤخذ بالنواصى والاقدام) يقال يجمع بين ناصيته ورجليه ثم يلقى فى النار (قوله عز وجل ناديه) أى مجلسه والجمع النوادى والمعنى فليدع أهل ناديه (قوله عز وجل نقعا) أى غبارا (قوله عز وجل

(من دون الله) من الزبانية فضلا عن الله (و) لا يكون لهم مخلص بتدبير انفسهم لان (من يضلل الله فما له من سبيل) يسلكه للتخلص عنه وليس ذلك لعدم السبيل اصلا فقد وجد لاهل الاستجابة قبل الموت (استجيبوا لربكم) ليريكم بهداية سبيله لا بالاضطرار بل (من قبل أن يأتي يوم) تضطرون فيه للاستجابة (لا مرد له من الله) لتردوا الى عالم الحجاب الذي تعودون فيه الى اختياركم ولا يندفع اضطراركم فيه بملجأ اذ (ما لكم من ملجأ) تفرون اليه (يومئذ) لان كل ملجأ فيه راجع الى الله (وما لكم من نكير) ينكر على الله في مؤاخذته لكم (فان أعرضوا) عن دعوتك الى استجابة الله لان لهم سبيل الهداية المتيسرة لهم كانهم تحت قبضتهم (فما ارسلناك عليهم حفيظا) تحفظ ما في قبضتهم من سبيل الهداية لو قصدوها فلا تلجئهم الى قصدها (ان عليك الا البلاغ) اي تبليغ ما في قصدها من الفوائد وما في الاعراض من الآفات (و) انما اعرضوا عن استجابتنا لانهم لا يرون منا نعمة ويرون منا كل مصيبة (انا اذا اذقنا الانسان منا) لا باستحقاقه (رحمة فرح بها) كانها مقتضى ذاته (وان تصبهم سيئة) لم تكن مبتدأة منا بل (بما قدمت أيديهم) كفر بنسبة الظلم الينا (فان الانسان كفور) بنسبة الظلم وسلب نسبة النعمة الينا وكيف يتصور نسبة الظلم الى الله فيما يتصرف في ملكه اذ (لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء) بمقتضى مالكيته ولو تعين عليه شيء لم يكن على مقتضى مطلق المالكية على ان حاصل المصيبة غالبا منع فضل النعمة فكما لا يسمى عند منعه الفضل ظالما لا ينبغي ان يسمى في افاضة المصيبة ظالما وذلك لانه لا يسمى ظالما فيما يقسم من الاولاد وان كان بعضهم ناقص الحظ جدا فانه (يهب لمن يشاء اناثا) وهو انقص حظا ممن يعطى الذكور جدا وتنكيرهن اشارة الى ان من حقهن التنكير (ويهب لمن يشاء الذكور) وهو وان كان اكمل من الاول ناقص بالنسبة الى ما بعده فكما لا ظلم ههنا فكذا فيما قبله وعرفهم اشارة الى ان من حقهم التعرف بالاتصاف بالكمالات ثم قال (او) للاشارة بأنه كالمقابل للمشيئة اذ لا ترجيح فيه لاحد الجانبين على الآخر (يزوجهم) اي يجمع الموهوب بين (ذكرانا واناثا) قدم الذكور ههنا لانه لم يظهر ههنا أثر المشيئة الموجبة تقديم الاناث اذ لا كراهة فيه لكونه غاية الكمال ونكر الذكور رعاية للمناسبة ولم يعكس بتعريفهما اشعارا بوجوب القرار عليهن من التعرف ثم قال (ويجعل من يشاء عقيما) لكونه أثر محض المشيئة اذ لا دخل فيه للهبة اصلا ومع هذا لا يعد ظالما فكيف ما تقدم وليس هذا على سبيل التحكم بل بتبعية العلم مع القدرة على خلافه (انه عليم قدير) بقدرته رفع بعض البشر الى حد المكالمة مع الله ومع ذلك راعى مقتضى علمه ببشريته وبالهيته نفسه لذلك (ما كان لبشر) نبي لروحه تعلق ببدنه (أن يكلمه الله الا وحيا) اي الهاما بالقاء المعنى في قلبه يقظة أو مناما (او) بطريق الهواتف أو على لسان الشجرة مثلا أو اسماع كلامه النفسي (من وراء حجاب أو يرسل) اليه من الملائكة (رسولا فيوحي) اي يبلغ اليه كلامه (باذنه) لا باستقلال حتى يحتمل الاضلال (ما يشاء)

لا خلافه

النفاثات) سواحر ينفثن أي يتفلن اذا سحرن ورقين

(باب النون المضمومة)

(قوله عز وجل نسبح بحمدك) أي نصلي ونحمدك (قوله ونقدس لك) نطهر لك (قوله تعالى) نسك أي ذبائح واحدتها نسيكة (قوله تعالى ننشزها) أي نرفعها الى مواضعها مأخوذ من النشز وهو

لاخلافه اذا أذن بشئ لاشفاها لان رؤيته مذهلة عن فهم كلامه (انه على) لايبلغ البشر حد مكالمته شفاها ولا يحتمل سماع كلامه مع رؤيته (حكيم) فى تبليغ كلامه العلى الى البشر الضعيف روى ان اليهود قالوا الم لاتكلم الله ولاتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله تعالى فأنزل الله تعالى ذلك (و) كيف يكون مكالمة الله مع من تقدمك بوجه أعلى من هذه الوجوه مع ان وحيهم كان دون وحيك ولم يبلغوا فوقك لكن (كذلك) اى على أحد هذه الوجوه الثلاثة (أوحينا اليك) يا اكمل الرسل اكمل الوحى حيث كان (روحا) اى نازلا منزلة الروح كما اوحى الى من تقدمك لكونه (من امرنا) المنسوب الى مقام عظمتنا الذلك كان معجزا وقد تأكد أمر الاعجاز فى حقك اذ (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا) ما انزل من اجله اعنى (الايمان) وان كنت متصفا به فالاتصاف بالشئ لايستلزم العلم بحقيقته كما لايستلزم العلم بحقيقة الكفر الاتصاف به لحجب البشرية وان كانت مانعة لك عن رؤية ذلك الروح من أمرنا (ولكن جعلناه) اى الروح من أمرنا (نورا) يكشف الحجب عن طريق الهداية الينا (نهدى به من نشاء من عبادنا) الى المعارف والحقائق بالاطلاع على اسرار اعجازه ان قبل الهداية منا بالتوجه الينا (و) من لم يكن كذلك امكنك ان تبلغه الى ذلك (انك لتهدى الى صراط مستقيم) من الاعتقادات والاعمال والاخلاق المتوسطة الموصلة الى التزكية والتصفية التى تنجلى بها مرآة القلب فيهتدى الى تحصيل المعارف والحقائق لتوجهها الى (صراط الله) الموصل الى علمه المحيط لانه (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) ولا يبعد ان يرجع علم العبد فى هذه الرتبة الى علم الله من وجه (ألا الى الله تصير الامور) كلها بوجه من الوجوه فافهم فانه مزلة لقدم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

(سورة الزخرف)

سميت به لدلالة آيته على ان الدنيا فى غاية الخسة فى نفسها وغاية العداوة مع ربها بحيث لاتليق بالاصالة الا لاعدائه وهذا من اعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بجميع مكارمه فى كتابه سيما فى مقطعات فواتح سوره (الرحمن) بجعله مبينا لكل ما يحتاج اليه فى ابواب الدين (الرحيم) بجعل بيانه باللسان العربى الذى هو افصح الالسن واجمعها للمعانى (حم) اى بحبنا ومننا أو بحلنا للمشكلات ومحونا للشبهات أو بحكمتنا ومتانة تدبيرنا أو بحمدنا ومجدنا (والكتاب المبين) لكل ما يحتاج اليه فى ابواب الدين (انا جعلناه) بافراط حبنا ومننا عليكم وعنايتنا بحل المشكلات ومحو الشبهات وحكمتنا فى ايصال المعارف والحقائق والاحكام اليكم ومتانة تدبيرنا فى رفع أمركم وحمدنا بالانعام عليكم ومجدنا باافاضة المكارم (قرآنا) جامعا لهذه الفوائد (عربيا) يسهل تحصيلها لكمال فصاحتها ويسهل فيه جميع الفوائد فوق ما يسهل فى لغة أخرى (لعلكم تعقلون) اى تستعملون عقلكم فتستخرجون هذه الفوائد منه (و) انما فعلنا ذلك لعجزكم عن الوصول اليه بدونه (انه فى أم الكتاب)

● المكان المرتفع العالى أى نعلى بعض العظام على بعض وننشرها أى نحييها وننشرها من النشر ضد الطى (قوله تعالى غلى لهم) أى نطيل لهم المدة (قوله نشوز) بغض المرأة للزوج والزوجة للمرأة يقال نشزت عليه أى ارتفعت عليه ونشز فلان أى قعد على نشز ونشز من الارض أى مكان مرتفع (قوله عز وجل

اى القلم الاعلى الذى يعسر عليكم الوصول اليه لكونه (لدينا) اى فى حضرة القرب منا (لعلى) لا يصل اليه كل مقرب لانه (حكيم) اى جامع لانواع الحكم كلها فلا يبلغه الا الكمل من المقربين لكن جعلنا فيكم قابلية تحصيل ذلك بواسطة جعله عربيا لكنكم معرضون عن ذلك (أ) نهملكم مع ما فيكم من هذه القابلية (فنضرب) اى نبعد (عنكم الذكر) اى الذى يذكركم تلك الحكم التى فى قابليتكم بل نعرض عنكم (صفحا) اى اعراضا كليا من أجل (ان كنتم قوما مسرفين) فى الاعراض عنا وعما فيكم من قابلية الكمالات هذا اذا فتح ان ولو كسرت فمعناه ان فرض وقوع اسرافكم الذى حقه ان يكون مستحيلا فرض وقوع المحال (و) لكن الاسراف لا يقتضى الاهمال بل ارداف الحجج لذلك (كم) اى كثيرا (أرسلنا من نبى) قرروا الحجج الكثيرة (فى) قلوب (الاولين و) لم يزالوا يزدادون به اسرافا بحيث (ما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن) وانما اردفنا فيهم الحجج مع عدم انتفاعهم بها لان اسرافهم اقتضى تعجيل اهلاكهم (فأهلكنا) لا اهلاكهم استعدادهم بتغليب القوة الحيوانية على العقلية (اشد منهم بطشا) اى قوة ولم تدفع عنهم الاهلاك وانما تدفعها القوة العقلية (و) لم يخفف عنهم الاهلاك بل (مضى) اى تقرر على الكمال (مثل الاولين) اى القصة العجيبة الشان فى شدة العذاب عليهم مع غاية قوتهم (و) كيف لا يمضى مثلهم وقد كان استهزاؤهم بالرسل مثلا لانهم استهزأوا بهم فى الدعوة الى الله مع اعترافهم بأنه خالق الكل فانك (لئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن) الله لانه (العزيز) الذى يمكنه ان يغلبها (العليم) الذى راعى الحكمة فى خلقها ويلزم من ذلك انه يمكنه ان يغلبهم فيهلكهم وقد اقتضت الحكمة ذلك اذ قد علم اعراضهم عنه واستهزاءهم بمن يدعوهم اليه وبتمهيدهم قواعد العقائد عنده مع علمهم بأنه (الذى جعل لكم الارض مهدا و) يجعل لهم الاعمال الصالحة طرق الوصول اليه مع علمهم انه (جعل لكم فيها سبلا) لاهتدائكم الى تحصيل المعاش والمعاد اولى بذلك فكأنه جعلها لتقيسوا سبل الآخرة عليها (لعلكم تهتدون و) بدعواهم انزال الوحى من السماء لاحياء القلوب الميتة بالجهل بما يليق بها مع علمهم انه (الذى نزل من السماء ماء بقدر) اى بمقدار ما ينفع ولا يضر (فأنشرنا) اى أحيينا (به بلدة) لكونها مكانا للمحسوسات (ميتا) فالانسان الميت بالجهل لكونه مجلى الهيا أولى بالاحياء بالعلم وقد دل على الاهتمام بذلك الاحياء لكونه سببا للمعاش الاخروى حيث جعله دليلا على البعث بأنه (كذلك تخرجون) من القبور يوم القيامة (و) بدعواهم الاختصاص بمنصب النبوة مع علمهم بأنه (الذى خلق الازواج) اى الاصناف المتفاوتة لكل نوع والانواع المتفاوتة لكل جنس (كلها) وهذا اعلى اصناف اعلى انواع اعلى الاجناس وهو الحيوان اعلاه الانسان واعلاه الانبياء عليهم السلام واعلاه محمد رسول الله خاتم الانبياء عليه وعليهم السلام كيف (و) لابد فى الحكمة من نبى يهيئ مراكب الوصول الى الله تعالى من العلوم الظاهرة فى بر الشريعة والباطنة فى بحر الحقيقة لذلك

(جعل

للاتى تخافون نشوزهن) عما عصيتهن وتعاليهن عما اوجب الله عليهن من مطاوعة الازواج (قوله تعالى نصليهم نارا) أى نشويهم بالنار (قوله تعالى نورا) أى ضوأ (قوله تعالى نصب) ونصب ونصب بمعنى واحد وهو حجر أو صنم منصوب يذبحون عنده ونصب تعب واعياء (قوله جل وعز مسنى الشيطان

(جعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون) ولكونهم التقاس عليها المراكب الاخروية المطلوب فيها الاستقامة جعلت (لتستوا على ظهوره ثم) لاتعجبوا بأنفسكم بل (تذكروا نعمة ربكم) فى تسخيرها وتسخير الريح والبحر وفى تسخير النفس للاعمال (اذا استويتم عليه و) لاتنسبوا ذلك الى قوتكم بل (تقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا) من ان يشاركه فى القدرة (و) نحن وان كان لنا وجه من القدرة (ما كنا له مقرنين) اى مطيقين وكذا الانسان لايطيق العمل بنفسه اذ لاتلين له نفسه ولايرتفع الكسل ولاسائر العوارض والعوائق ولاتصفو له الاعتقادات مالم يقم له ربه عليه البراهين أو يكشف له عن الحجب والشبهات (و) لابد لنا من مركوب أخروى يسهل السير الى الله (انا الى ربنا لمنقلبون) فعلم بما ذكر ان الرسل ليسوا محل الاستهزاء بل هم اولى به فيما استهزأوا به (و) فى غيره اذ قد (جعلوا له من عباده جزأ) حيث قالوا بولادته للملائكة ولعزير وعيسى عليهم السلام والولد جزء ابيه فلو أمكن ان يكون له جزء لم يكن مستهانا بالعبودية ففيه كفر من جهتى التجزئة والاستهانة (ان الانسان لكفور مبين) وقد ضموا الى ذلك الاهانة بالانوثة سيما مع تفضيل الانسان عليه باعطاء الذكور أتخذ مما يخلق ذكورا كعزير وعيسى عليهم السلام (ام اتخذ مما يخلق بنات) وفى قوله مما يخلق اشارة الى ان المخلوقية تنافى الولادة (وأصفاكم) فضلكم على ذاته (بالبنين و) لولا هذا التفضيل بالبنين على نفسه كفى بالبنات اهانة فى عرفهم لانه جرت عادتهم انهم (اذا بشر احدهم) بالانثى وهى بشارة (بما ضرب للرحمن مثلا) لان الولد يماثل الاب وكفى بهذا التمثيل له اهانة (ظل) اى صار (وجهه مسودا وهو كظيم) اى ممتلئ بالحزن (أ) يجعلونه مثل من لا كمال له أصلا تارة كالاصنام (و) مثل (من) لا كمال له فى ذاته لكنه يستكمل بالغير اذ (ينشؤ فى الحلية) اى الزينة (و) لكن لاعبرة به مع فوات الكمال الحقيقى اذ (هو فى الخصام) اى المناظرة (غير مبين) ما فى قلبها لقصور عقلها فقد جعلتم أكمل الموجودات مثل هذه النواقص (و) سبب ذلك انهم (جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن) الذين جعلهم لكمالهم وكلاء رحمته العامة بناته فجعلوهم (اناثا) من غير دليل (أشهدوا خلقهم) فرأوا فيهم ما للنساء (ستكتب شهادتهم) لئلا ينكروها عند السؤال (و) ذلك لانهم (يسئلون) عنها لا محالة ثم ان من جملة ما يوجب الاستهزاء بهم انهم عبدوا الملائكة مع اعتقادهم هذا النقص فيهم (و) تمسكوا فى عبادتهم بمشيئة الله اذ (قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) وانما استدلوا بذلك لانهم (ما لهم بذلك) اى بطريق الاستدلال (من علم) لانه انما يتم لو كانت مشيئته أمرا وانما يقولون بذلك تخمينا لاعتيادهم (ان هم الا يخرصون) اى يقولون بالتخمين فى كل مكان أآتيناهم على ذلك دليلا لا عقليا (أم آتيناهم كتابا) يدل على ان مشيئته امره وهو وان كان (من قبله فهم به مستمسكون) مع انه قابل للنسخ لتعلقه بالعبادات الفرعية لا دليل لهم عقلى ولا نقلى قابل للنسخ ولا غير قابل (بل) محض تقليد الجهال اذ (قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) اى طريقة (و) لا حاجة لنا

بنصب) أى ببلاء وشر (قوله عز وجل ونرد على أعقابنا) يقال رد فلان على عقبيه اذا جاء لينفذ فسد سبيله حتى يرجع ثم قيل لكل من لم يظفر بما يريد رد على عقبيه (قوله عز وجل نجيك ببدنك) أى نلقيك على نجوة من الارض أى ارتفاع من الارض ببدنك ويقال انما ذكر البدن دلالة على خروج الروح منه أى نجيك ببدن لا روح فيه

فى سلوك طريقهم الى دليل يهدينا (انا على آثارهم مهتدون) اتم من هداية دلائلكم (و) ليس هذا ببديع منهم اذ (كذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير) لاهلها يخوفهم العذاب على ماهم عليه (الا قال مترفوها) اى متنعموها الذين لا يفرغون للاستدلال بالدلائل لاشتغالهم بشهواتهم (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) سواء حصلت فيها هداية أم لا لجزمكم بالهداية فى اقتداء الآباء منكم ببديع (قل) فى رد هذه الزيادة (أ) تهتدون بطريقتهم (ولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) ان كان لهم هداية (قالوا) لا نسلم ان فى طريقك هداية فضلا عن ان يكون اهدى (انا بما أرسلتم به كافرون) وقد اقتدوا بمن كفر برسلنا (فانتقمنا منهم) مع شكهم فى كونه هداية وهؤلاء قد جزموا بكونه هداية (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) هل هى عاقبة أهل الهداية أم عاقبة أهل الضلال واذا أخذوا مع الشك فى كونه هداية فمع الجزم بذلك أولى بالمؤاخذة (و) ان اصروا على الاقتداء بهم بعد العلم بالانتقام منهم لكونهم آباء فأولى الآباء بالاقتداء ابراهيم اتفاقا وقد ترك الاقتداء بأبيه وقومه فاذكر (اذ قال ابراهيم لابيه) مع تقدمه عليه (وقومه) مع كثرتهم وتقدم جماعة منهم (اننى براء) مصدر بمعنى برىء (مما تعبدون) اى من جميع معبوديكم لانهم يضلوننى (الا) معبودكم (الذى فطرنى) فانى لا أبرأ منه خوف اضلاله (فانه سيهدين) الى تحصيل الكمالات ودفع النقائص (و) لم يجعل الله هذه الكلمة مردودة عليه بحيث لم يقبلها أحد من أولاده بل (جعلها كلمة باقية فى عقبه) فلا بد من عقبه من يتكلم بها فيسمعها منه الناس (لعلهم يرجعون) الى مقتضاها لكونها مجربة فى افادة الهداية لكنهم لم يشتغلوا بتجربتها (بل) اصروا على كفرهم اذ (متعت هؤلاء وآباءهم) على كفرهم بما يهدى للاصنام فعدوا ذلك من تجربة الكفر بافادتها الامتداد ذلك مدة مديدة (حتى جاءهم الحق) اى فوائد الهداية التى لا تبطل بعارض (ورسول مبين) لها واضر تلك الهداية وعبادة معبوديهم (ولما جاءهم الحق) اى الامر الثابت الذى لا يمكنهم رده من الحجج على ذلك (قالوا هذا) الكلام (سحر) يرى الشئ على خلاف ماهو عليه (و) لو وقع لقلوبنا اصدقه لا نؤمن به (انا به كافرون وقالوا) كيف نؤمن به مع نزوله على من لا عظمة له (لولا نزل هذا القرآن على رجل) كامل (من القريتين) مكة والطائف (عظيم) فيها بالمال والجاه مثل الوليد ابن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفى ولم يعلموا أن الشرف الحقيقى التحلى بالكمالات القدسية دون الزخارف الدنيوية (أهم يقسمون رحمت ربك) الخاصة التى هى النبوة فيعطونها من شاؤا الا من شاء الله وليس لهم ذلك فى أدنى الامور اذ (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) التى ينتفعون بها (فى الحيوة الدنيا) التى لا فضيلة لها لو لم تكن مزرعة الآخرة (و) لا يبعد منا رفع بعض الناس على بعض بفضيلة النبوة ليتخذ بعضهم بقيتهم سخرية باستعمالهم ما يأمرهم وقد (رفعنا بعضهم فوق بعض درجات) فى تلك المعيشة (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) اى ليستعمل بعضهم بعضا فى حوائجهم فينتظم أمرهم (و) اذا كان هذا فى أدنى الامور وهى

الاموال

د يقال يدنك أى بدرعك والبدن الدرع (قوله عز وجل نغادر) نبق ونترك ونخلف يقال غادرت كذا وأغدرته اذا خلفته ومنه سمى الغدير لانه ماء تخلفه السيول (قوله نكرا) أى منكرا (قوله عز وجل نزلا) النزول ما يقام للضيف ولأهل العسكر (قوله عز وجل نحرى) عقول واحدها نهية (قوله عز وجل لنحرقنه) يعنى بالنار

الاموال فاعلاها وهى النبوة أولى اذ (رحمت ربك) وهى النبوة (خير مما يجمعون) من الاموال التى يتخذ بها بعضهم بعضا سخريا كيف (و) لو كان المال منصبا شريفا لم يعط العبيد ولا الاعداء لكنه (لولا) كراهة (أن يكون الناس أمة واحدة) متفقة على الكفر بالله (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن) لتكثير النعم عليه مع كفره بالمنعم فيزداد عذابا (لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) اى مصاعد من فضة (عليها يظهرون) اى يرتقون (ولبيوتهم ابوابا) من فضة (و) نجعل لهم فيها (سررا) من فضة (عليها يتكؤن و) نجعل لهذه الاشياء فوق الفضة (زخرفا) اى زينة من ذهب وجواهر (و) لا دلالة فى شئ من ذلك على فضيلتهم لانه (ان كل ذلك) اى لاشئ من ذلك (لما) اى الا (متاع الحيوة الدنيا) التى تعم الخاصة والعامة فلا خصوصية لها فيها بحيث يدل عدمها على عدم منصب النبوة (و) انما الذى يدل عدمه على عدم النبوة التقوى اذ (الآخرة عند ربك للمتقين) فالنبوة انما تكون لمن كمل تقواه سواء كانت عنده الدنيا أم لا وانما كانت الزينة الدنيوية أحق بالكفار لانها تثير ظلمة الاهوية المانعة من رؤية الحق بحيث يصير صاحبها اعشى (ومن يعش) فيغفل (عن ذكر الرحمن) المانع من تمكن الشيطان بالقلب (نقيض) أى نقدر (له شيطانا) ليلزمه (فهو له قرين) فى كل ما توجه اليه (وانهم ليصدونهم عن السبيل) الموصلة الى الله والى السعادة الابدية باراءة الاهوية المضارة منافع حاضرة وان ضررها متوهم والمنافع الاخروية أمورا موهومة (ويحسبون) لعماهم (انهم مهتدون) الى الكمالات الحقيقية ولا يزالون على هذا (حتى اذا جاءنا) فأدرك غاية عداوته وصده عن السبيل (قال ياليت) أى يا هؤلاء التمنى تعال فانى أتمنى لو ان (بينى وبينك بعد المشرقين) أى بعد ما بين المشرق والمغرب اذ يخاف فيما دونه ان يؤثر فى نوعا من التأثير المضر (فبئس القرين) انت اذ لا يتوقع منك التأثير بالخير أبدا قال تعالى هذا التمنى انما كان ينفعكم قبل هذا اليوم (و) لكن (لن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) بقبول ما دعاكم الشيطان اليه من غير اكراه ولا شبهة يعتد بها فضلا عن حجة فلا يتحمل عنكم العذاب ولا شيأ منه (انكم فى العذاب مشتركون) وانما كان ينفع من كان يسمع الزواجر عن الهوى ويبصر مضارها لكن الشيطان جعله عن ذلك أصم وقد كان قبله اعمى (أ) تزيل صممه (فانت تسمع الصم أو) تزيل عماه فانت (تهدى العمى و) ان أمكنك ذلك فى حق من لا يعاند فكيف تسمع وتهدى (من كان فى ضلال مبين) من العناد بحيث ان دعوته الى الهداية عاداك فلا يتركونه ما لم تنتصر عليهم بالعذاب فان تأخر نصرك عليهم (فاما نذهبن بك) أى فان تحقق توفيتنا اياك قبل تعذيبهم (فانا) لنصرك بعد توفيتك (منهم منتقمون أو نرينك) فى حياتك (الذى وعدناهم) من العذاب فلا يبعد (فانا عليهم مقتدرون) ولا نخاف الوعد مع القدرة عليه فانتقم منهم يوم بدر واذا تحقق ما وعدناهم على تكذيبك فهو دليل صدقك (فاستمسك بالذى أوحى اليك) كيف ولولا ذلك لوجب الاستمساك به لاستقامته (انك) فى جميع أمورك (على صراط مستقيم) كامل

ونحرفه نبرده بالمبارد (قوله عزوجل نكسوا على رؤسهم) معناه أثبت الحجة عليهم ونكس فلان اذا لم يقل رأسه وارتفعت رجلاه ونكس المريض اذا خرج من مرضه ثم عاد الى مثله (قوله عزوجل نشورا) أى حياة بعد الموت (نمكن لهم حرما) أى نسكنهم ونجعله مكانا لهم (قوله عزوجل نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر

الاستقامة من كل وجه (و) لولم يظهر استقامته لوجب عليك متابعته لاختصاصه بشرف الاعجاز وليس هـذا الشرف بحيث لايتعداه بل (انه لذكر) أى شرف (لك ولقومك و) لوتركتم هـذا الشرف فلا تسلون رأسا برأس بل (سوف تسئلون) عن تركه كيف (و) ليس فيه ضرر ترك عبادة من يتوقف رحمة الله على شفاعتهم لانه انما يتحقق لوأمر الله بعبادتهم (اسئل) أم (من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن) للوصول الى كمال رحمته (آلهة يعبدون) وكيف نرسل رسولا لعبادة الغير (ولقد أرسلنا موسى) لمنع عبادة الغير واعتقاد الهيته ولوادعى أحد ذلك لم يكن له آية البتة وكان ارسال موسى (بآياتنا) المصدقة له (الى فرعون) لينهاه عن الاستعباد (وملائه) لينهاهم عن العبادة فلم يترك جانبا يوهم الرخصة من وجه (فقال انى رسول رب العالمين) لبيان ان لايستحق العبادة غيره وليس لاحد سواه استعباد لانه احق بالربوبية المطلقة وكانوا يعبدون فرعون من غير دليل وطالبوا موسى بالآيات مع ظهور دلائل التوحيد (فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون و) لم يكن ذلك لقصورها بل (ما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها) السابقة عليها (و) اكد دلالتها على صدقه اذ (أخذناهم بالعذاب) الدنيوى فى ضمنها كالسنين والطوفان وغيرهما مما يلجئ الى الرجوع ولا أقل من رجائه (لعلهم يرجعون و) مع ذلك لم يرجعوا بل (قالوا) حال التجائهم الى موسى (ياأيه الساحر) باتيان الآيات والعذاب (ادع لنا ربك) بزعمك متوسلا اليه (بما عهد عندك) من ان لايعذب من آمن بك ليكشف عنا العذاب فانه اذا كشفه عنا (اننا لمهتدون) بما تزعم انه الهداية (فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) أى فاجأ نكثهم للعهود من غير تأخير (و) للاعتذار عن النكث (نادى فرعون) بنفسه اذلو كان غيره ربما اعترض عليه (فى) مجمع (قومه) لانهم اذا اتفقوا عليه لم يعتد بمخالفة من عداهم (قال ياقوم) الذين حقهم ترجيح قولى لم يعارضه شئ أو دلت آيات موسى على صدقه فقد ظهر كذبه فى قوله انى رسول رب العالمين لخروج ملك مصر عن ربوبيته (أليس لى ملك مصر و) ليس باعتبار الظاهر فقط بل فى الباطن أيضا اذ (هذه الانهار) انهار النيل ومعظمها نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس (تجرى من) أمرى الى حيث شئت فهى (تحتى) أى تحت ربوبيتى فى الباطن أيضا (أ) تنكرون ذلك وهو محسوس (فلا تبصرون) ثم ان رسول رب العالمين يجب أن يكون أعز الخلائق وخيرهم اهو أعز وخير منى (أم أنا خير) بهذه العزة وهذا الملك (من هذا الذى هو مهين) ليس له شئ من الملك ولايعزه الناس (و) ليس فيه مايوجب العزة من كمال البيان ذ (لايكاد يبين) شيأ من مقاصده لثلغ فى لسانه ثم ان الرسول المكرم لايخلو من زينة وحشم بقدر عظمة المرسل (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين) يعينونه ويصدقونه (فاستخف قومه) أى تلبس على قومه بهذه المغالطات طلبا لخفتهم

في

وجاءكم النذير) قال قتادة احتج عليهم بطول العمر وبالرسول صلى الله عليه وسلم وقد قيل النذير الشيب وليس هذا القول بشئ لان الحجة تلحق كل بالغ وان لم يشب وان كانت العرب تسمى الشيب النذير (قوله عزوجل نحاس) أى دخان (قوله ونحاس) قبل عزوجل ن والقلم) النون الحوت والجمع النينان

فى طاعته (فاطاعوه) وان لزمهم الخروج عن طاعتنا سيما نكث العهود (انهم كانوا قوما فاسقين) عن طاعتنا أولا ثم ازدادوا فسقا حتى أغضبونا (فلما آسفونا) أى أغضبونا بطاعة عدونا وقبول مغالطاته بلا دليل وتكذيب موسى وآياته وندائه بالساحر ونكث العهود (انتقمنا منهم) فى الدنيا (فاغرقناهم اجمعين) لاستغراقهم فى بحر الضلال (فجعلناهم سلفا) أى حجة للهالكين بعدهم (ومثلا) أى عبرة (للآخرين) أى الناجين ولولا أحد الامرين كان الاولى تأخير عذابهم الى يوم القيامة لئلا يخفف عنهم بالعذاب الدنيوى عذاب الآخرة (و) كما استخف فرعون قومه فاطاعوه استخف عبد الله بن الزبعرى قومك فاطاعوه مع ضعفه فانه (لما ضرب ابن مريم) أى جعله ابن الزبعرى (مثلا) للاصنام التى تصير حصب جهنم لكونها معبودة اذ عبدته النصارى (اذا قومك منه يصدون) أى يضجون فرحا أو يعرضون عن دلائلك بمجرد هذه المغالطة (و) غاية ماقرروا فيها انهم (قالوا أآلهتنا) التى هى حصب جهنم عندك (خير أم هو) ولاشك انه خير عندك فاذا جوزت فى الخير كونه حصب جهنم ففى الدون أولى فلا عبرة لقولك وهو مع هذه المبالغة كلام فى غاية السقوط لانهم (ماضربوه) مثلا ليكون ناقضا (لك الا جدلا) بطريق المغالطة لظهور الفرق بين المقيس والمقيس عليه اذ الاصنام لاتتألم بالنار ويزداد عابدوها بها عذابا وعيسى يتألم بالنار مع ان غاية كونه معبودا أنه سبب وهو انما يؤثر لو لم يكن معه مانع وقد منع سبق العدة الحسنى لعيسى عليه السلام وهذه مغالطة من هذا القائل رضى بها قومك لا لالزامك بطريق التحقيق (بل) بطريق المغالطة اذ (هم قوم خصمون) ثم انه وان كان خيرا من الاصنام لم يكن فيه شىء من الالهية (ان هو الا عبد) غاية كماله انا (انعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه) فى كمال نبوته (مثلا) أى كالمثل السائر (لبنى اسرائيل) فاتخذوه الها (و) لا الهية بذلك بل غايته الملكية التى يجوزعومها الناس بحيث (لو نشاء لجعلنا منكم ملائكة) مع كونكم (فى الارض) كانهم (يخلفون) أى يكونون بدلكم وكيف لايكون ملكية (وانه لعلم للساعة) أى من اشراطها ينزل بقربها والبشر المحض لايبقى الى هذه المدة لكن هذا البقاء ربما يوهم الهيته (فلا تمترن بها) أى بملكيته فتجعلونها الهية (و) لاتتبعوا أهل ملته فى ذلك بل (اتبعون) فى القول بنبوته وصيرورته الى الملكية (هذا صراط مستقيم) لتوسطه بين افراط القول بالهيته وتفريط القول بكونه ولد الزنا (ولا يصدنكم الشيطان) عن هذا الصراط بانكم خالفتم اجماع من تقدم لان أهل ملته يقولون بالهيته ومخالفوه يقولون انه ولد الزنا (انه لكم عدو مبين) يأمركم باتخاذ شريك الله أو باسم انه نبى (و) كيف تأخذ بقول أهل ملته مع مخالفتهم ما نص عليه فانه (لما جاء عيسى بالبينات) المنافية لقول أعدائه لم يدع الالهية لنفسه بل النبوة اذ (قال قد جئتكم بالحكمة) لأبين لكم الحقائق التى لم تظهر من كتب الاولين (ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) فيكفر فيه بعضكم بعضا (فاتقوا الله) ان تكفروا بريئا أو تقولوا مايؤدى بكم الى الكفر

وقيل هو الحوت الذى تحت الارض وقيل النون الدواة (قوله عز وجل نقر فى الناقور) أى نفخ فى الصور (قوله عز وجل النفوس زوجت) أى جمعت مع زوجت) أى جمعت مع مقارنيها الذين كانت على رأيهم فى الدنيا (قوله عز وجل نحلة) أى هبة يعنى ان المهور هبة من الله تعالى للنساء وفريضة عليكم ويقال نحلة أى ديانة يقال مانحلتك أى ما دينك (قوله عز وجل نسيا منسيا)

(واطيعون) بما آمركم به من صواب الاعتقاد والعمل وان كان فيه نسخ بعض الاعمال فلا بعد فيه (ان الله هو ربي وربكم) فلا ان يامركم أمراو يأمر بخلاف ذلك (فاعبدوه) فيما يأمركم به فصرح بنفي الهية نفسه واستحقاقها للعبادة وقال كما قلت (هذا) أي القول بنبوتي دون الهيتي وكوني ولد الزنا (صراط مستقيم) لا افراط فيه بالشرك ولا تفريط باستهانة الانبياء عليهم السلام واذا كان هذا قول عيسى فلا عبرة باجماع من يخالف صريح نصه لان حجية الاجماع انما تثبت بالكتاب والسنة فلا عبرة بما خالفهما على انهم مختلفون فهم وان اتفقوا على ان الصواب لايخرج عن أقوالهم يجوز احداث قول آخر في الاصح على انه اختلاف لاستدلاله (فاختلف الاحزاب) اختلافا نشأ (من بينهم) لا من قول الله تعالى ولا من قول عيسى عليه السلام فيجوز احداث الزائد بلا خلاف على ان الاجماع انما يعتدبه لولم يكن أهله ظالمين بالعناد اذ لايجوز الاخذ بقولهم لانه موجب للتعذيب (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم) أي مؤلم بنفسه لولا فيه جهنم من شدة الاهوال وكثرة الفضائح وظلمهم بترك النظر في الدلائل العقلية والنقلية (هل ينظرون) لظهور الصواب لو كانوا طالبيه (الا الساعة ان تأتيهم) مبينة لهم الصواب اذ لايعارض بيانها شيء ولا يعرض له شبهة لكنه لا يفيد لانه انما يستفيد به من كان مؤمنا به قبلها ولا يأتي لمنتظري الساعة ذلك لانها تأتيهم (بغتة و) لايكون اتيانها كسائر الامور المفاجئة مع نوع من الشعور قبله بل بحيث (هم لايشعرون) بها بوجه من الوجوه وظهور الصواب وان كان ملذا ههنا ينقلب مؤلما من حيث ظهور الخطائه وهو وان كان ملذا قبل ظهور حاله فهو كالخلة ينقلب مؤلما هنالك اذ (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو) اذ كان بعضهم يدعو بعضا الى لذات تنقلب هنالك آلاما (الا المتقين) فانهم لما دعا بعضهم بعضا الى ما ينقلب ملذا هنالك لم يزل تلذذهم بخلتهم بل يزداد كالذي كان على الصواب ههنا يتلذذ بصوابه هنالك أكثر وكيف تكون بين المتقين عداوة مع ان مادون التقوى وهو عبادة الله مع الايمان والانقياد لشرائعه رافع لا آلام موجب لانواع الملاذ اما رفع الآلام فلانه يقال لهم (ياعباد) الذين عبدوني (لاخوف عليكم) من الآلام (اليوم) بالنسبة الى الحال والاستقبال وان كان يوم الشدائد والاهوال (ولا أنتم تحزنون) بالنسبة الى الماضي بما قصرتم وانما خصصتم بذلك من بين عباد سائر الامم لاختصاصكم بالايمان والاسلام لانكم (الذين آمنوا) في الباطن (بآياتنا وكانوا مسلمين) أي منقادين في الظاهر وكيف لايكون ذلك سبب دفع الآلام مع انه سبب دخول الجنة (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم) وان قصر ايمانهن واسلامهن من قصور عقلهن لكن يتبعنكم تكميلا لسروركم اذ بهن (تحبرون) أي تسرون من كل وجه وقد أريد كمال سرورهم لذلك (يطاف عليهم بصحاف) أي قصاع (من ذهب) مملوءة بالوان الاطعمة (وأكواب) أي كيزان لاعرى لها مملوءة بانواع الاشربة (و) لايقتصر على ذلك بل (فيها) جميع (ماتشتهيه الانفس) من الاصوات الحسنة

والروائح

النسي الشيء الحقير الذي اذا ألقي نسي ولم يلتفت اليه

(باب الواو المفتوحة)

(قوله عزوجل ويل) كلمة تقال عند الهلكة وقيل ويل واد في جهنم وقال الاصمعي ويل قبوح وويس استصغاره وويح ترحم (قوله تعالى واسع) أي جواد يسع لما يسئل ويقال الواسع المحيط بعلم كل شيء كما قال وسع كل شيء علما (قوله تعالى ود) أي تمنى وود أحب (قوله

والروائح الطيبة (وتلذ الاعين) من الجواهر الشريفة والصور الجميلة فيجتمع لهم أنواع الملاذ (و) لا يتكدر بتوهم الانقطاع اذ يقال لهم (أنتم فيها خالدون) لا تخافون زوال شئ منها كيف ولا ينقطع ثواب الاعمال المتناهية (و) لذلك يقال لهم (تلك الجنة) وان كانت هي (التي أورثتموها بما كنتم تعملون) فليست بقدر أعمالكم اذ (لكم فيها فاكهة كثيرة) أي كثرة غير متناهية لا يمكنكم أكل جميعها بل (منها) أي بعضها (تأكلون) وكيف لا يكون الاخلاء بعضهم لبعض عدو اذ لم يكونوا متقين مع انهم يعذبون بالنار على معاص حصلوها من خلتهم سيما الكفر (ان المجرمين في عذاب جهنم) بدل لذات الجنات للمؤمنين (خالدون) خلود المؤمنين في لذات الجنات والعذاب وان لم يتزايد تزايد الجنات يكفي فيه كونه (لا يفتر) أي لا يخفف (عنهم و) لا يرجون تخفيفه اذ (هم فيه مبلسون وما ظلمناهم) بتبديل لذات الجنات بهذا العذاب الخالد على أعمال قليلة (ولكن كانوا) بتلك الاعمال سيما الكفر (هم الظالمين) لانهم عادوا الله والملك اذا ظفر بعدوه قتله لكن القتل ههنا نجاة فعوض بهذا العذاب (و) لكمال ظلمهم لا يجدون هذا القتل المعوض عنه وان تشفعوا فيه يقابلهم بالعذاب اذ (نادوا يا مالك) سل ربك أن يفعل بنا ما يفعله الملوك باعدائهم من القتل (ليقض علينا ربك) بقضاء الملوك باعدائهم (قال) انما لا يفعله لانه نجاة ولا نجاة لكم (انكم ماكثون) في عذابه وكيف لا تمكثون فيها وقد كفرتم بما لا ينقطع من الحق فانا (لقد جئناكم بالحق) من الاعتقادات التي لا ينقطع معتقدها (ولكن أكثركم) قطعوا اعتقادهم عنها اذ أكثركم (للحق كارهون) أصعوبة اعتقاده عليهم لمخالفته مألوفهم ولكن لا وجه لكراهته بعد قيام الدلائل على حقيته أترددوا في حقيته (ام ابرموا) أي قطعوا (امرا) لا ينقطع من الاعتقاد الفاسد فسواء ترددوا أو جزموا (فانا مبرمون) أي قاطعون بالعذاب عليهم أيحسبون انا لا نؤاخذهم على الاعتقادات لكونها بواطن والملوك لا يؤاخذون بها (ام يحسبون انا) انما نؤاخذهم بها لو علمناها لكن لا نعلمها لانا (لا نسمع سرهم ونجواهم) ما يناجي به بعضهم بعضا (بلى) نسمعها (و) نشهد عليها الملائكة اذ (رسلنا لديهم) حاضرون ولا يمكنهم تغليطهم اذ (يكتبون) ما يجري على ظواهرهم وبواطنهم فان زعموا ان هؤلاء الرسل أولاده فان أنكرتم ولديتهم كتبوا عليكم (قل) انما يكتبون ذلك لو كانوا أولاده لكنهم ليسوا كذلك (ان كان للرحمن) الذي يرحم باعطاء الاولاد والاموال وسائر النعم وغيره (ولد فانا أول العابدين) أي السابق في عبادته لانه رحمني أكثر مما رحم غيري فانا أولى بطلب مرضاته التي لا تكمل الا برضا أولاده الذي لا يتم بدون عبادتهم لو كانوا لكنهم لو وجدوا لكانوا فوق عالم الاجسام فانه تنزه (سبحان رب السموات والارض رب العرش) المحيط بالاجسام (عما يصفون) من ان له ولدا في عالم الاجسام مع انها اخس الموجودات (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) بدينهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) لجزائهم على خوضهم ولعبهم

عز وجل أمة وسطا) أي عدولا خيارا (قوله تعالى وجيها في الدنيا والآخرة) أي ذا جاه في الدنيا بالنبوة وفي الآخرة بالمنزلة عند الله والجاه والوجه المنزلة والقدر معا (قوله عز وجل وجه النهار) أي أول النهار (قوله الوسيلة) أي القربة (قوله تبارك اسمه وبال أمره) أي عاقبة أمره في الشر والوبال الوخامة وسوء العاقبة

وكيف يكون له في عالم الاجسام ولد (وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله) فلو كان له هنالك ولد لاجتمعت الهيته بالهيته وهو موجب للفساد (وهو الحكيم) الدافع للفساد الا أن يخفى عليه لكن لا يخفى عليه لانه (العليم و) لو لم يكن فيه فساد للاتفاق بينهما لكان فيه قصور الولاية لكن (تبارك) أي تعاظم بكمال الولاية (الذي له ملك السموات والارض وما بينهما و) سيظهر كمال ذلك يوم القيامة وانما خفي على من خفي لخفائه اذ (عنده علم الساعة و) لكنه في معنى الجلي اذ لا بد من الرجوع الى من هو له لكن (اليه) لا الى غيره (ترجعون و) ان زعموا ان اختصاصه بالرجوع اليه لكونه أعظم ومن دونه وان لم يملك لكن يملك الشفاعة عنده يقال (لا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) عنده (الا من شهد بالحق) على نفسه فلم يدع الالهية نفسه (وهم يعلمون) حال المشفوع له انه موحد (و) الا فكيف يشفع للمشرك بالله مع علمه بان الشريك لم يخلق شيأ والله تعالى خالق الكل فانك (لئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) أي يصرفون الى القول بانه يشاركه من لا يخلق شيأ (و) لو شهدوا بتوحيد المشركين لا يملكون أن يدعوا (قيله) أي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا رب) أي يا من رباني فجعلني أكمل منهم فلا يعارضون قولي بقولهم (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) بالتوحيد والرسالة واليوم الآخر هذا على قراءة النصب وقرئ بالجر على تقدير ولا يملكون دفع قيله على نية المضاف وبالرفع على حذف الخبر أي قوله المذكور دافع لشهادتهم فان اصروا بعد هذا البيان (فاصفح) أي أعرض (عنهم وقل) لليأس عن مجادلتهم (سلام) أودعكم به وهم وان كانوا بحيث تعجز عن تعليمهم (فسوف يعلمون) ما تقول لهم فافهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

يقال ما وبيل وكلاو بيل أي وخم لا يستمرأ ونضمر عاقبته والوبيل والوخيم ضد المرئ* (قوله تعالى وقر) أي صمم (قوله وكيل) أي كفيل ويقال كاف (قوله عز وجل وجلت) أي خافت (قوله عز وجل ولايتهم) والولاية بفتح الواو النصرة والولاية بكسر الواو الامارة مصدر وليت ويقال هما لغتان بمنزلة الدلالة والدلالة والولاية

(سورة الدخان)

سميت به لدلالة آيته على انه جزاء غشيان أدخنة النفوس الخبيثة بصائر قلوب أهلها وأرواحهم ولذلك رأوا الدلائل شبهات الشيطان وجعلوا المميز بينهما مجنونا وان القرآن كاشف عنه ككشف الدخان المحسوس عنهم (بسم الله) المتجلي باسمائه الحسنى في كتابه سيما في مقطعات فواتح سوره (الرحمن) بانزاله في ليلة مباركة للانذار المصلح لافعال العامة (الرحيم) بتفريق كل أمر حكيم فيه برحمته الخاصة لتكميل الخواص (حم) أي اقسم باسمي الحكيم المتين أو الحميد المجيد أو الحسيب المقيت أو الحنان المنان (والكتاب المبين) لمقتضيات أسمائه الحسنى (انا أنزلناه) لان اسمه الحكيم يقتضي انزال ما يتضمنه الحكمة على من يستعد لها والمتين يقتضي انزاله لتقوية العقلية والحميد يقتضي اظهار كمالاته بالمظاهر الكاملة الموجبة أقصى المحامد والمجيد يقتضي تمجيده اعتقادا وعملا ولا يتأتى الا بانزاله والحسيب يقتضي انزال ما يكفي في اقامة الدلائل ورفع الشبه والمقيت يقتضي انزال ما يصير

قوت الارواح والقلوب والحنان يقتضي مايوصل الى الرحمة الاخروية والمنان يقتضي المنة بافادة السعادة الابدية والنجاة عن الشقاوة الابدية (في ليلة) اذ اسمه الحكيم يقتضي نوع سترابقاء للتكليف والمتين يقتضي تقوية الباطن اذلا يعتد بتقوية الظاهر وحده والشئ انما يحمد لوعم حسنه الباطن والجد الباطن أكمل من الظاهر والكفاية تقتضي تعميم الظاهر والباطن والقوت الروحاني الباطن أتم والطف الحنان المنان انما يتم لوعم الباطن (مباركة) أي كثيرة الخير تناسب الحكمة التي هي الخير الكثير والمتانة زيادة في القوة التي هي الخير المحض والكمالات التي يحمد عليها خيرات كلها والجد أعظم أبواب الخير والكفاية انما يعتد بها لو كانت من كثرة الخير والقوت الروحاني خير من الجسماني والحنان المنان لا تخفى كثرة خيرهما فهي تناسب هذه الاسماء كلها (انا كنا منذرين) من خالف مقتضى الحكمة وقوة الدلائل واختار المذام وتذلل للهوى والغضب ولم يكتف بهداية الله ولم يقتدر وجه بقوت معارفه ولم يستوجب تحننه ومنه وكيف لا تكون مباركة مع ان (فيها يفرق) أي يفصل مما أجمل في الالواح العالية (كل أمر حكيم) تقتضيه الحكمة على وجه متين محمود عند أرباب الجد محسوب عند الكمل تقتات به أرواحهم ويرحم بها قلوبهم ويمن بها على نفوسهم وانما كان كذلك لكونه (أمرا من عندنا) يقتضي هذه الاسماء يفصله الملائكة المتعلقة بهذه الاسماء بعد نزولهم الى الارض بارسالنا (انا كنا مرسلين) أجل الملائكة لمصالح العباد كجبرائيل عليه السلام لعظم رحمتنا لكونها (رحمة من ربك) الذي عمت رحمته كل شئ لكن يخصص كل شئ بقدر استعداده (انه هو السميع) لدعوة حقائق الاشياء بمقتضياتها (العليم) بمقادير قابلياتها ولا يبعد عليه الارسال والانزال والظهور بهذه الاسماء لانه (رب السموات والارض وما بينهما) تعاون ذلك (ان كنتم موقنين) أي أهل اليقين من الاستدلال بالاثر على المؤثر أو من المؤثر على الاثر وكيف لا يرسل اليكم ولا ينزل عليكم وهو (لا اله الا هو) وقد أشركتم ويبطل شرككم انه (يحيي ويميت) من غير مانع ولو نسبتم ذلك الى الاوضاع الفلكية التي لا مانع فيها وجعلتم كواكبها آلهة وجعلتموها قديمة يقول انه (ربكم ورب آبائكم الاولين) الذين لا يخلون عن انسان كامل لا يبلغ اليه الفلكيات لكن لا يعرفون الكمال في حق الانسان (بل هم في شك) لا يعتقدون هذا الكمال في الانسان ولا في ربهم اذ لا ينظرون في الحقائق بل (يلعبون) باهلها ودلائلهم لغشيان أدخنة أهوية نفوسهم بصائر قلوبهم وأرواحهم (فارتقب) أي انتظر لمجازاتهم (يوم تأتي السماء) من امساك امطارها الموقع في الجوع العظيم المخيل (بدخان مبين) أي محسوس (يغشى الناس) من غلبة الجوع عليهم وذلك ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف وكان الرجل يرى من الدخان ما يحول بينه وبين صاحبه فيسمع كلامه ولا يراه فيقال لهم (هذا عذاب أليم) على الكفر قبل يوم

أيضا الربوبية ومنه هنالك الولاية لله الحق يعني يومئذ يتولون الله ويؤمنون به ويتبرؤن مما كانوا يعبدون (قوله عز وجل وليجة) كل شئ أدخلته في شئ ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة وقوله عز وجل ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة أي بطانة ودخلاء من المشركين يخالطونهم

القيامة فيقولون (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) مقرون بالايمان عند كشف
عذاب القحط الآتي بالدخان قال تعالى (أنى لهم الذكرى) أي من أين يتذكرون هذا
الوعد عند كشف العذاب عنهم (و) لم يتذكروا دلائل الرسول فانه (قد جاءهم رسول
مبين) للعذاب الاكبر على الكفر يوم القيامة بالدلائل التي هي أعظم دلالة عليه من هذه
البلية فرأوها امنوه وسمعوها (ثم تولوا) أي اعرضوا (عنه وقالوا) في الاعتذار انه
(معلم) يعلمه الشيطان هذه الشبهات ولايدري انها شبهات وان يعلمه الشيطان لانه (مجنون
انا كاشفوا العذاب) المذكور عنكم زمانا (قليلا) اظهارا لاخلافكم الوعد (انكم
عائدون) الى الكفر بعد كشفه لكن نفعل ذلك ليكون حجة عليكم اذا طلبتم كشف عذاب
الآخرة لانا ننتقم منكم (يوم نبطش البطشة الكبرى) بطشة القيامة (انا منتقمون)
أي مستمرون على انتقامكم بهذه الحجة (و) مما يدل على الانتقام يوم البطشة الكبرى بعد
الدخان انا (لقد فتنا قبلهم) بالسنين ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم (قوم فرعون و) لم يكن ذلك من الابتلاء العام لوقوعه عقيب تكذيب
الرسول اذ (جاءهم رسول كريم) يستحي من الكذب فامرهم (ان ادوا الى عباد الله)
الذين استعبدتموهم بطريق الغصب (اني) نافع (لكم) بدفع غضب الله عنكم
والاداء الي أداء الى الله لاني (رسول أمين) لا أطمع في استعبادهم بعد نزعهم من أيديكم
(و) نهاهم (ان لا تعلوا على الله) بانكار ربوبيته ودعوى الربوبية لانفسكم وتكذيب
رسوله وغصب عباده (اني آتيكم بسلطان مبين) أي حجة واضحة على ربوبية الله ونفي
ربوبيتكم وعلى رسالتي وعلى أن بني اسرائيل عباده الخاصة (و) مما يدل على ذلك عجزكم
عن قتلي ورجمي مع قدرتكم عليه في حق مثلي ولامانع في حقي سوى استعاذتي (اني عذت
بربي) ليعصمني منكم (وربكم) ليمنعكم من (أن ترجمون) مع انه لا يعصم من افترى
عليه (و) لكن مكنتكم من ايذائي لتضعيف العذاب عليكم (ان لم تؤمنوا لي فاعتزلون)
فان ايذائي سبب تضعيف العذاب عليكم فآذوه (فدعا ربه) الذي رباه بالنبوة ليربيه بالنصر
(ان هؤلاء) مع قرب شأنهم (قوم مجرمون) أي قائمون على ترك الايمان فلا وجه لامهالهم
فقيل اذا طلبت مؤاخذتهم (فاسر بعبادي) أي اذهب ببني اسرائيل (ليلا) بحيث
يتم خروجهم قبل الفجر (انكم) بعد الفجر (متبعون) يتبعكم قوم فرعون فلو خرجتم
نهارا ادركوكم قبل ان تدخلوا البحر اما اذا خرجتم ليلا يمكنكم ضرب البحر بالعصا
وصيرورته طريقا يبسا يمكنكم العبور بسهولته (واترك البحر رهوا) أي مفتوحا ذا فجوة
واسعة ليدخلوه فيغرقوا (انهم جند مغرقون) وانما أهلكوا بالغرق دون شئ آخر ليحصل
هلكتهم لاعدائهم فانه أشد عليهم لذلك (كم) أي كثيرا (تركوا من جنات) أي بساتين
(وعيون) يسقى بها ويشرب منها ويتنعم بالنظر فيها هذا في التفكه والتنزه (وزروع)
في القوت (ومقام كريم) محافل مزينة ينتفع بزينتها ويأكل الفواكه والقوت فيها

(قوله عز وجل ويودونهم) الذي يتقدمهم واردهم) (قوله في الماء فيستقي لهم) (قوله عز وجل ودود) أي محب (قوله عز وجل أولياءه) (قوله عز وجل ومالهم من دونه من وال) أي من ولي (قوله عز وجل وجلون) أي خائفون (قوله عز وجل واصبا) أي دائما (قوله عز وجل وصيد) فناء البيت وقيل عتبة الباب (قوله عز وجل ورقكم) أي فضتكم

(ونعمة)

(ونعمة) أى تنعم بالنسوان (كانوا فيها فاكهين) أى متنعمين تركوا الكل (كذلك)
من غير تغير فيها (و) لكن غيرنا ملاكها اذ (أورثناها قوما آخرين) قاموا على معاندتهم
ومضادتهم لم يرثوهم بنسب ولا سبب لذلك لم يحزنوا عليهم حزن الوارث على الموروث بل
لم يحزن عليهم شئ (فما بكت عليهم السماء والارض) بخلاف المؤمن فان موته سبب خراب
العالم وكانت عبادته سبب شرف موضعها من الارض ومصعدها من السماء كيف والحزن
انما هو لفوت الخير ولا خير فيهم والا لانظرهم الله (و) لكن (ما كانوا منظرين)
للتوبة (و) كيف يكون فى موتهم حزن وبكاء وقد كان موجبا لفرح الباقين فانا (لقد نجينا)
باهلاك قوم فرعون خيار الناس (بنى اسرائيل) وفى فرحهم فرح الباقين فرحا كليا
اذ كان فرحهم بالنجاة (من العذاب المهين) وهو الاستخدام بأخس وجوه الخدمة وهو
أشد من الحسى والنجاة (من فرعون) كافية فى ذلك (انه كان عاليا) يستكبر على خيار
الناس مع أنه (من المسرفين) فى ايذائهم (و) انما كانوا خيار الناس لانا (لقد اخترناهم)
بجملتهم (على علم) فضلوا به (على العالمين) من أهل زمانهم (و) زدناهم اختيارا وتفضيلا
اذ (آتيناهم من الآيات) أى المعجزات والكرامات (ما فيه بلاء مبين) أى محنة واضحة على
أعدائهم فان زعموا ان تمثيلهم بقوم فرعون غير صحيح لانهم نفوا ربوبية الله وهؤلاء لم ينفوها
يقال لهم (ان هؤلاء) ينفون دوام ربوبية الله عليهم لنفيهم حياة القبر وحياة القيامة لانهم
(ليقولون ان هى) أى غاية أمرنا (الا موتتنا الاولى) فى الدنيا (و) ان كان بعدها
حياة (ما نحن بمنشرين) فان ادعيتم هنالك عذابا (فأتوا بآبائنا) أحياء بعد الموت
ليشهدوا لكم بما شاهدوا من ذلك (ان كنتم صادقين) الا هى معجزة ناطقة بصريح التصديق
من شاهدى المدعى فان سلم أنهم ليسوا كقوم فرعون فيكفى فى ذلك أنهم كقوم تبع (أهم
خير أم قوم تبع والذين من قبلهم) فانهم وان لم ينفوا ربوبية الله (أهلكناهم) على اشراكهم
وتكذيب الرسل (انهم كانوا مجرمين) بجرم يقتضى الاهلاك لمعاداتهم لله بالاشراك
وتكذيب رسله وتبع اسم ملك حمير ككسرى وقيصر لملك الفرس والروم والمراد أبو كرب
أسعد بن منبل آمن بنبينا عليه السلام قبل مبعثه اذ دخل المدينة وأراد تخريبها فانهاه عنه
كعب وأسد من احبار بنى قريظة بانها مهاجر نبى آخر الزمان وعن تخريب الكعبة فلما دنا
من اليمن قالوا لا تدخلها فارقت دينا فقال انه خير من دينكم فتحاكموا الى نار كانت باسفل
جبل لهم تؤذى الظالم ولا تضر بالمظلوم وخرج الحبران ومصاحفهما فى أعناقهما وخرجوا
باوثانهم فقعدوا عند مخرج النار فخرجت فاكلت الاوثان ومن حملها من رجال حمير ولم تضر
الحبرين فرجعت النار الى معدنها فمن هنالك كان أصل اليهودية باليمن (و) كيف يترك اهلاك
المجرمين وبه يبطل فائدة الاستدلال بالسموات والارض على الله تعالى فانا (ما خلقنا السموات
والارض وما بينهما لاعبين) بل للاستدلال وما لعبنا بهذا الاستدلال من غير أن يكون له
عاقبة اثابة أو معاقبة وانا وان كانت أفعالنا غير معللة بالاغراض (ما خلقناهما الا بالحق)

عزوجل وراءهم ملك) أى امامهم ووراءهم من الاضداد يكون بمعنى خلف ويكون بمعنى امام (قال أبو عمر فأما قوله عزوجل ويكفرون بما وراءه أى بما سواه) (قوله عزوجل وفدا) ركبانا على الابل واحدهم وافد (قوله عزوجل وسوس اليه الشيطان) ألقى فى نفسه شرا يقال لما يقع فى النفس من عمل الخير الهام من الله عزوجل

قوله اسعد بن منبل كذا بالاصلين بايدينا وفى السيرة الهشامية وابن خلدون اسعد بن كليكرب اه مصحح

أي بالحكمة وهي وان لم تكن داعية لنا الى الفعل لكن تفضلنا بها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) هذا التفصيل فيعرضون عنه ويستحقون به العقاب لكن لا يبالون به لانه ليس بمنجز اذ لا يكون قبل الفصل والعقل وان كان فاصلا فهم لا يبالون لفصله وانما ينتظرون الفصل الفعلي (ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين) فلا يسبقه ثواب لئلا يميل اليه الكل ولا عقاب لئلا يتنفر عنه الكل ولا يبطل فصله باغناء الموالي لانه (يوم لا يغني مولى عن مولى شيأ) من مقتضيات الفصل باعطاء ثواب وتحمل عقاب (ولا هم ينصرون) بشفاعة شافع (الا من رحم الله) بالايمان فانه ربما ينصر بشفاعة الشفعاء بمقتضى اسم الرحيم كما أنه قد يعذب بمقتضى اسمه العزيز وقد اجتمعا في التجلي عليه (انه هو العزيز الرحيم) فعصيانه من حجاب العزة والايمان من نور الرحمة وأما الكافر فمحجوب من كل وجه بحجاب العزة فلا يتجلى عليه الاسم الرحيم فيما يغنيه به عن الجوع والعطش فضلا عن غيره (ان شجرت الزقوم) بثمارها وأوراقها وأغصانها (طعام الاثيم) أي الذي جميع أعماله اثم وان كان فيها طاعات لعدم ايمانه ومن تجلي قهر العزة عليها صارت في شدة الحرارة (كالمهل) دردي الزيت أو ذوائب الفضة والنحاس هذا قبل الدخول في البطون فاذا دخلتها ولحقتها نارها (يغلي في البطون كغلي الحميم) أي الماء الحار عند انتهاء الغليان وهذه الشجرة في اطراف جهنم فاذا ملأ منها بطنه يقال للزبانية (خذوه فاعتلوه) أي ادفعوه بعنف (الى سواء الجحيم) أي وسطها الان النار هناك أشد (ثم) اذا استغاث للشراب (صبوا) صب المطر (فوق رأسه) ليستوفي جميع اجزاء بدنه نصيبها (من عذاب الحميم) هذا هو العذاب الحسي ويقال له بطريق التهكم (ذق انك أنت العزيز الكريم) ليحصل له العقلي ثم يزداد تحسرهم في الحسي بقوله (ان هذا ما كنتم به تمترون) اي تشكون مع ظهور دلائله ثم يزداد تحسرهم بفوات النعيم من كل وجه وحصوله لاعدائهم بان يقال (ان المتقين) أي الذين وقوا أنفسهم عن الكفر والمعاصي (في مقام امين) لا يفوتهم فيه شئ من اللذات التي آثرتم الدنيا الادناها كما لا يفوتكم شئ من العذاب الذي لم تحملوا من أمثاله في الايمان ففي باب الاكل والشرب (في جنات وعيون) وفي باب اللباس (يلبسون من سندس واستبرق) مارق من الديباج وغلظ وفي باب المحبة يكونون (متقابلين كذلك) لا يتغير تنعمهم بذلك كيف (و) لم يتغير بذلك تنعمهم بازواجهم اذ (زوجناهم بحور عين) والكل يتنعمون بتلك النعم اذ (يدعون فيها) أي يطالب بعضهم بعضا في تلك الحالة (بكل فاكهة آمنين) على أزواجهم في اخذهن النوا كهمن أصحابهم واعطائهن اياها لهم اذ لهم الامن الكلي حتى انهم (لا يذوقون فيها الموت الا) ان يذكروا (الموتة الاولى و) لكن لا يتألمون بها ما تلذذوا بالنجاة اذ (وقاهم عذاب الجحيم) بل انقلب لهم ألم الموت لذة (فضلا من ربك ذلك) أي الفضل بقلب الالم لذة (هو الفوز العظيم) ولا يبعد منه التفضل بطريق القلب فانه لاجله كالمقلب للصفة الالهية حروفا عربية تيسير اللفضل عليكم (فانما يسرناه) بتنزيله الى عالم الشهادة (بلسانك لعلهم يتذكرون) هذه الفوائد الجليلة للمؤمنين والاسلام

ولما يقع من عمل الشر وما لا خير فيه وسواس ولما يقع من الخير الهام ولما يقع من تقدير نيل الخير أمل ولما يقع من التقدير الذي لا على الانسان ولا له خاطر (قوله عز وجل وجبت جنوبها) أي سقطت على جنوبها (قوله تعالى ودق) مطر (قوله تعالى وزيرا من أهلي) أصل الوزارة من الوزر وهو الحمل

القطيعة للكفار فان لم يتذكروا (فارتقب انهم مرتقبون) عكس ماترتقب بل عكس ماتقتضيه العقول * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين الى يوم الدين

(سورة الجاثية)

سميت بها لتضمن آيتها بيان سبب تأخير البعث الى يوم القيامة لاجل اجتماع الامم محاكمة الى الله تعالى وفصله بينهم يوم القيامة وهى من المطالب الشريفة فى القرآن وتسمى سورة الشريعة لتضمن آيتها وجه نسخ هذه الشريعة سائر الشرائع وفضلها عليها وهو أيضا من المطالب العزيزة فيه (بسم الله) المتجلى بجلال عزته وجمال حكمته فى كتابه سيما فى مقطعات فواتح سوره (الرحمن) باظهار آياته فى السموات والارض لعامة المؤمنين (الرحيم) باظهار آياته فى الانسان وماينتفع به لخواصه (حم) أى حاوى الحجج وماحى الشبه أو حامى الكمالات ومزيل النقائص أو حارث السعادات ومحرق الشقاوات أو حاد النظر وممهد الفكر (تنزيل الكتاب) المتصف بهذه الاوصاف (من الله) المفيض لهذه الامور باعتبار اسمه (العزيز الحكيم) فعزته تقتضى افاضة الحجج التى بها الغلبة على الخصوم وافاضة الكمالات التى يعسر الوصول اليها وأنواع السعادات وحدة النظر والحكمة تقتضى محو الشبه وازالة النقائص واحراق الشقاوة وتمهيد الفكر وقد نزله من مقام عزته بمقتضى حكمته لتكميل القوة النظرية والعملية ليتوسل بها الى الكمالات الحقيقية من الايمان والايقان والعقل وذلك بالنظر الى انواع الآيات المتضمنة للحجج ورفع الشبه الحامية للكمالات المزيلة للنقائص الحارثة للسعادات المحرقة للشقاوات مع مافيها من حدة النظر وتمهيد الفكر فمنها آيات الاجسام (ان فى السموات والارض لآيات) على حدوثها (للمؤمنين) بان كل محدث مستند الى الواجب ابتداء وانتهاء قطعا للتسلسل ومنها أنها مسبوقة بالاجزاء فتكون حادثة واجزؤها كذلك لانها قبلت التركيب فتغيرت والواجب لايقبل التغير ومنها انها مركبة من الاجزاء فتفتقر اليها والواجب لايفتقر الى شئ فتكون ممكنة فتكون حادثة ومنها أنها لاتخلو عن الاعراض وهى حادثة لانها تابعة لمحالها فى الوجود ومالايخلو عن الحادث حادث اذ لاوجود له فى الازل للمنافاة بين الحدوث والازلية (و) منها آيات الارواح (فى خلقكم) أناسى بتعليق الارواح بابدانكم (و) خلق النفوس فى أبدان (مايبث) أى ينشر أنوارها الى قوتها المدركة والمحركة (من دابة آيات لقوم يوقنون) أى للقائمين على طلب اليقين باستعمال البراهين من الفلاسفة والمليين ومنها أنها متأخرة عن الاجسام والالكانت كلها عالمة بما فى الملكوت لتجردها والجسم ليس بمانع بل مكتسب للعلم بالمحسوسات وجواز النسيان لايستلزم عموم وقوعه فلو جاز للابتلاء لم يجز فيما لاابتلاء فيه ومنها أنها لو تقدمت فاما معطلة ولامعطل فى صنع الله تعالى لانه عبث أو مشتغلة بجسم آخر فيلزم التناسخ الموجب لتذكر أحوال تلك الاجسام اذ ليست شروطا للعلم بها ولا الجسم

كان الوزير يحمل عن السلطان الثقل (قوله عز وجل وكزه) ولكزه ولهزه ضرب صدره بجمع كفه (قوله عز وجل وصلنا لهم القول) أى أتبعنا بعضه بعضا فاتصل عندهم يعنى القرآن (قوله عز وجل ويكأن الله) معناه ألم تر ان الله ويقال ويك بمعنى ويلك فحذفت منه اللام كما قال عنترة ويك عنتر أقدم أراد ويلك وان منصوبة

الثاني مانع منها والا لم يعلم أحد أحوال جسم صاحبه ومنها أنها لو تقدمت فاما متعددة فان
اختلفت لم يكن الانسان نوعا واحدا واختلاف العوارض لا يستلزم اختلاف الذوات وان
اتفقت لم تميز بدون ابدان ولا وجود بلا تميز واما متحدة فان زال التوحد لزم التجزي والا كان
علم الواحد بالشئ علم الكل به (و) منها آيات الاعراض المتبدلة بالاضداد مثل (اختلاف
الليل والنهار و) الاعراض السيالة مثل حركة (ما أنزل الله من السماء) والاعراض
التي تتغير بها الاحوال مثل كونه (من رزق) والاعراض التي يحصل بها الكمال من نقص
مثل افادته الحياة (فاحيا به الارض بعد موتها و) الاعراض التي تختلف بها جهات الشئ
مثل (تصريف الرياح) ففي كل ذلك (آيات) على حدوث هذه الاعراض (لقوم يعقلون)
وان لم يكن لهم تدقيق نظر وليست هذه الامور مما ينتسب الى الاوضاع الفلكية بل (تلك
آيات الله) الدالة على كمال قدرته وحكمته وارادته يتضمنها آيات القرآن المعجز (نتلوها)
ليكون المدلول بها تاليا للدلائل (عليك) أيها المبعوث للاستدلال (بالحق) بحديث هو
ترجمة صفته الازلية ليؤمنوا به فان أبوا (فبأي حديث بعد) حديث (الله) القائم
مقام صفته القائمة مقام ذاته (وآياته) في الآفاق التي يتضمنها آيات كتابه (يؤمنون) وانما
تلوناها عليك ليستدلوا بها فيخرجوا عن ويل الافك والاثم فانه (ويل لكل أفاك) أي
كذاب يتكلم في حق الله وصفاته على خلاف الدليل فان لم يخالف فويل لكل (أثيم) بترك
الاستدلال سيما اذا لم يترك عن غفلة بل مع كونه (يسمع آيات الله) لا بالاخبار عنها بالغيب
بل (تتلى عليه ثم يصر) على انكارها (مستكبرا) عن قبولها لا يتأثر بها أصلا (كأن
لم يسمعها) حتى يطرئ الاخبار بالغيب ولا يصير عدم تأثره بها عذرا له لان منشأه الاستكبار
على الله وآياته فهو موجب لمزيد غضبه (فبشره بعذاب اليم) كما يبشر المتأثر بنعيم مقيم
(و) كيف لا يزداد غضبه عليه وهو بحيث (اذا علم من آياتنا شيأ) يكاد يؤثر فيه دفع
تأثيرها بأن (اتخذها هزوا) استهانة بها (أولئك) المستبعدون عن تأثيرها فيهم باهانتها (لهم
عذاب مهين) قبل دخول جهنم ولا يقتصر عليه بل (من ورائهم جهنم و) لا يخفف
عنهم بما سبق من العذاب المهين كأنه (لا يغني) أي لا يدفع شيأ من شدتها (عنهم ما كسبوا
شيأ) من أعمال البر (ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) ليشفعوا لهم عنده في دفع الاهانة
والالم كيف (ولهم) باتخاذهم أولياء مع استكبارهم على الله وآياته (عذاب عظيم) وكيف
لا يعظم العذاب عليهم باستكبارهم على آيات القرآن مع أن (هذا هدى) في نفسه والى آيات
الآفاق (والذين كفروا بآيات ربهم) في الآفاق فانها وان كانت دون آيات القرآن (لهم
عذاب من رجز) أي من شدة غضب الله عليهم (أليم) فكيف لا يعظم عذاب من كفر بما
هو آية في نفسه متضمن لتلك الآيات كلها وكيف لا يكون الكفر بآيات الآفاق موجبا لهذا
العذاب من الرجز مع أن فيها ما يتضمن عظيم النعمة عليهم اذ (الله الذي سخر لكم البحر)
بأن جعله بطنه وعليه ما يتخلل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه (لتجري الفلك فيه) فيفيد

بانها ما راعلم أن الله ويقال
وي مفصولة من كان
ومعناها التعجب كما يقال
وي لم فعلت ذلك كأن
معناها أظن ذلك واقدره
كما تقول كان الفرج قد
اتاك اي أظن ذلك واقدره
(قوله عز وجل وهنا على
وهن) أي ضعفا على ضعف
أي كلما عظم خلقه في بطنها
زادها ضعفا (قوله عز وجل
وطرا) أي اربا وحاجة

الثاني مانع منها والالم يعلم أحد أحوال حبيب صاحبه ومنها أنه الوتقيد متربص فيه والصيد منه شيأ (من فضله) من الجواهر والسمك (و) كيف لا يعذ بكم بالكفر بهذه الآية وقد انعم بها عليكم (لعلكم تشكرون) المنعم من جهة انعامه بالفائدة الدنيوية ومن جهة انعامه بالآية المفيدة للفائدة الاخروية كيف (و) لم يقتصر على هذه النعمة بل (سخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا) لا لاستحقاقكم بل تفضلا (منه) وأقل ما فيه من التفضل اراءة الآيات (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) منها ان ربط بعض العالم بالبعض دليل توحيده وجعل البعض سبب البعض دليل حكمته وجعل الكل مسخرا للانسان دليل كمال جوده فمن انكر هذه الايات ولم يشكر هذه النعم استوجب أعظم وجوه الانتقام فان زعموا انا نتعب أنفسنا بالفكر في هذه الامور بلا انتظار عاقبة له (قل للذين آمنوا) بتلك العاقبة اغفر والمنكري عاقبة الفكر اذيانهم (يغفروا للذين لا يرجون) أي لا يعتقدون على سبيل الظن فضلا عن اليقين (أيام الله) التي يثيب فيها او يعاقب ولا يكون لغيره فيها سلطنة ولا بد منها (ليجزى قوما) لم يجدوا جزاء أعمالهم الحسنة والقبيحة في الدنيا (بما كانوا يكسبون) من هيئات الاعمال لارواحهم من ذلك اتفق العقلاء على أن (من عمل صالحا فلنفسه) أي فهو تحسين منه لروحه (ومن أساء فعليها) أي فالصفة القبيحة منه واقعة عليها (ثم) لا يقتصر على ذلك التحسين والتقبيح بل يعذبون أنواعا من العذاب الحسي والعقلي حين (الى ربكم ترجعون و) هذا البيان وان كان موجبا للتفكر المؤدي الى الاتفاق لا يزالون يعاندون فيه عنادا هل الكتاب فانا (لقد آتينا بني اسرائيل الكتاب) المشتمل على الافكار (والحكم) استنباطه بها (والنبوة) الكاشفة عن اسرار الاحكام (ورزقناهم من الطيبات) اسرار الكتاب (وفضلناهم على العالمين) بمعرفة الحقائق (وآتيناهم بينات من الامر) من الحجج القاطعة ومع ذلك تعاندوا حتى اختلفوا في نسخ التوراة والانجيل (فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم) بما يجب الاتفاق عليه من نسخ الكتابين (بغيا بينهم) لكنه بقي اختلافا الى يوم القيامة (ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه) من نسخ كتابيه (يختلفون ثم) لما وقع اليأس عن اتفاقهم على كتابهم (جعلناك على شريعة من الامر) أي أمر الدين بحيث تفصل خصومتهم لو انصفوا (فاتبعها) لكونها فاصلة (ولا تتبع) أهواء أهل الكتاب لكونها (أهواء الذين لا يعلمون) ما كان عليه الكتابان قبل التحريف (انهم) وان زعموا انهم متمسكون بكتاب (لن يغنوا) أي لن يدفعوا (عنك من الله) من غضبه وعقابه على ترك شريعتك الفاصلة (شيأ) وكيف تتبعهم وهم ظالمون بالتحريف (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض و) لا يضرك تركموالاتهم اذا اتقيت الله اذ (الله ولي المتقين) ثم انك انما تتبعهم لو اشتبه عليك أمر شريعتك لكن لا اشتباه مع وضوح دلائل كتابك اذ (هذا) الكتاب (بصائر) أي دلائل واضحة (للناس و) لا معارض لها اذ هو (هدى و) لا شبهة فيه اذ هو (رحمة) رافعة للشبهات (لقوم

(قوله عز وجل وردة كالدهان) اى صارت كلون الورد ويقال معنى وردة أي حمراء في لون الفرس الورد والدهان جمع دهن اى تمور كالدهن صافية ويقال الدهان الاديم الاحمر (قوله وقعت الواقعة) اى قامت القيامة (قوله عز وجل واهية) اى متخرقة يقال وهى الشئ اذا ضعف وكذلك اذا انخرق (قوله الوتين) هو عرق متعلق بالقلب اذا انقطع مات.

يوقنون) أي يقومون على طلب اليقين أحسب الذين تمسكوا بالمحرف أو المنسوخ من الكتاب
أن نجعلهم كالمتمسكين بالمحفوظ الغير المنسوخ (أم حسب الذين اجترحوا) أي اكتسبوا
(السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) فالتسوية بين المتمسكين كالتسوية
بين هذين بل بين الحي والميت فهم بهذا الاعتقاد (سواء محياهم ومماتهم) أي حياتهم
وموتهم بل يفضلون أنفسهم بهذا التمسك على المتمسكين بالكتاب الناسخ المحفوظ
(ساء ما يحكمون) من عدم التفاوت كيف (و) المنسوخ لو ترك بحاله لم يكن له فضل الناسخ
فالتفاوت بين أحكام الله تعالى كالتفاوت بين خلقه فانه (خلق الله السموات والارض)
مع علو السماء وسفل الارض ولا ينافي ذلك حقية الناسخ والمنسوخ جميعا كما أنه خلق
السموات والارض (بالحق و) كذلك خلق الطاعات والمعاصي من غير ظلم على العاصي وان
كان (لتجزى كل نفس) لان جزاءها ليس من حيث خلق المعاصي فيها بل (بما كسبت)
من قصدها قبل ان خلقها (وهم لا يظلمون) بايجاد هذا القصد فيهم أيضا أو بتقديره عليهم
لانه مقتضى استعداداتهم (أ) رأيت من عمل بالمنسوخ أو المحرف فاعتقد أنه امتثل أمر
الله وهو يمتثل أمر هواه (فرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله) باراءته أمر هواه أمر
الله مع كونه (على علم) بان العمل بالمنسوخ أو المحرف امتثال لامر الهوى (و) لا يبالي
اعلاء ولا من ينبهه عليه اذ (ختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) كيف وقد هداه
الله بهذا الكتاب الى جميع ذلك فلم يهتد به لهذا الختم (فمن يهديه من بعد الله أ) تبالغون في
مجادلته رجاء هدايته (فلا تذكرون) ما فيه من موانع الاهتداء كيف (و) ربما ضلوا في ذلك
ضلال أهل التناسخ حيث (قالوا ما هي) أي البعثة (الا حياتنا الدنيا نموت) فيها مرة
بمفارقة تعلق بدن (ونحيا) مرة بالتعلق ببدن آخر (و) لو لم يقولوا بالتناسخ ذهبوا الى
مذهب القائلين بنسبة الحوادث اليومية الى الاوضاع الفلكية فقالوا (ما يهلكنا الا الدهر
و) هم وان زعموا انهم يتمسكون في ذلك بالبراهين العقلية (ما لهم بذلك من علم) يستند الى دليل
قطعي (ان هم الا يظنون) ظنا ينشأ من الشبهات الواهية (و) لاجلها يتركون البراهين
القاطعة لذلك (اذا تتلى عليهم آياتنا) النقلية (بينات) بدلائل أولية من العقل (ما كان
حجتهم) في مقابلتها (الا أن قالوا) لو صح البعث فاوجدوه من غير احتياج الى دليل عليه (ائتوا
بآبائنا ان كنتم صادقين قل) لو لم يكن من ايجاده مانع لاوجدناه لكنه يخل بمقتضى الالهية اذ
(الله يحييكم) ليظهر فيكم باسمه الحي (ثم يميتكم) ليظهر باسمه القاهر (ثم يجمعكم)
في البرزخ (الى يوم القيامة) ليظهر في البرزخ باسمه الجامع ثم بكمال عظمته في القيامة فهو
(لاريب فيه) اذ ظهور العظمة في بعث الكل أكثر من ظهورها في بعث البعض فهذا هو
المانع من ايجاد البعث الآن (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وكيف يترك القيامة مع أن
الملك لابد له من احسان وسياسة الى من أحسن أو اساء (ولله ملك السموات والارض) ولا
يظهر احسانه وسياسته في الدنيا الى كل محسن ومسيء (و) انما اخرهما لتتدارك السيئات

صاحبه وقد مر تفسيره
(ودا وسواعا ويغوث
ويعوق ونسرا) كلها أصنام
(قوله عز وجل تبتيلا) اى
(قوله عز وجل ثجاجا)
شديدا انصبابا الا يستمر (قوله
عز وجل وزر) ملجأ (قوله
عز وجل وهاجا) اى
وقادا يعني الشمس (قوله
عز وجل واجفة) اى خافقة
أي شديدة الاضطراب وانما
سمي الوجيف في السير لشدة
هزه واضطرابه (قوله عز
وجل والليل وما وسق) أي

بالتوبة

بالتوبة أو الحسنات لذلك (يوم تقوم الساعة) فهى وان أمكن التدارك قبلها (يومئذ
يخسر المبطلون) أعمالهم واعتقادهم بفوات التدارك (و) كيف يبعث قبل جمع
الكل فى البرزخ وهو يوم المحاكمة بين جميع الامم لذلك (ترى كل أمة جاثية) أى باركة
على الركب يلزم كل فرقة ما تسلموه من الدلائل لذلك (كل أمة تدعى الى كتابها) فيقال (اليوم
تجزون ما كنتم تعملون) من أعمال الكتاب أو أعمال المحرف أو المنسوخ أو ما يخالف
وان أنتم تمسكتم بالكتاب المنزل عليكم نحن نتمسك عليكم بالكتاب الذى كتب فيه أعمالكم
اذ الكتاب المنزل عليكم لا ينطق بأعمالكم و (هذا) الذى فيه أعمالكم (كتابنا) مثل
المنزل مع انه (ينطق عليكم) كلاما لا تأويل فيه لكونه ناطقا (بالحق) ولا يخل بحجيته
كتابة الملائكة له (انا كنا نستنسخ) أى نأمرهم أن ينسخوا (ما كنتم تعملون) ونحن وان
كنا نجازى بمقتضى هذا الكتاب لا نقتصر عليه فى حق المطيعين وانما نقتصر عليه فى الاحتجاج
به على الكافرين كما يحتج بالمنزل عليهم (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى
رحمته) التى لا نهاية لها (ذلك هو الفوز المبين) بتعظيم الله له ولاعماله واجره (وأما الذين
كفروا) فيلزمون بالكتابين فيقال لهم (ا) لم تكن تأتيكم رسلى (فلم تكن آياتى تتلى عليكم)
بلى اتتكم وتليت عليكم (فاستكبرتم) على الآيات والرسل (وكنتم) قبل ذلك (قوما
مجرمين) فاستمررتم على ذلك وهذا فى النبوة والكتاب (و) اما الآخرة فكنتم (اذا قيل لكم
(ان وعد الله) على العموم (حق والساعة) على الخصوص من جملة مواعيده آتية
بدلالة الوعد بها ودلائل أخر تدل على أنها (لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة) أى لا نعرف
مفهومها فضلا عن وجودها ودلائلكم لا تفيدنا جزما (ان نظن الا ظنا) ضعيفا (و) ان
بالغتم فى تقويتها (ما نحن بمستيقنين) هذا فى اعتقادها (و) اما الاعمال فقد (بدا)
اى ظهر (لهم سيئات ما عملوا) بصور قبيحة (و) لا تفارق العاملين اذ (حاق بهم ما كانوا به
يستهزؤن) فتصير صورهم مما يستهزأ بها من كل وجه (و) لما كان استهزاؤهم سببا
نسيانهم لما يترتب عليها لذلك (قيل اليوم ننساكم) أى نترككم فى العذاب ترك المنسى (كما
نسيتم) باستهزائكم بآياتنا (لقاء يومكم هذا و) لا نقتصر على تعذيبكم فى اليوم المنسى بل
(مأواكم) على الابد (النار) كيف (و) لا مانع من تخليدكم فيها اذ (ما لكم من ناصرين)
وكيف يكون لكم ناصر على عداوة الله الشنيعة اذ (ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا و) لم
تبالوا بالعداوة اذ لم تتوقعوا الرجوع اليه حيث (غرتكم الحيوة الدنيا) فزعمتم أن لا حياة
سواها على انكم ظننتم انه لو كان ثمة عداوة الله لم يتيسر لنا هذه الحياة فاذا لم يبالوا بعداوته اليوم
(فاليوم لا يخرجون منها و) لا يطلب منهم الخروج عن العداوة اذ (لاهم يستعتبون) أى
لا يطلب منهم ان يرضوا الله وان كان يطلب منهم ذلك قبل المؤاخذة وهذا التعذيب وان لم
ينتفع به المعذب فهو موجب لحمده لرعاية الحكمة (فلله الحمد) كيف وفيه رفع قوم وخفض
آخرين فلا بد من المتصف بوصف (رب السموات ورب الارض) مع ان العدل والاحسان

وما جمع وذلك ان الليل يضم
كل شئ الى مأواه واستوسق
الشئ اذا اجتمع وكمل ويقال
وسق علا وذلك ان الليل
يعلو كل شئ ويجلله ولا يمتنع
منه شئ (قوله عز وجل
ودعك) اى تركك ومنه قوله
استودعك الله غير مودع
اى غير متروك وبهذا سمى
الوداع لانه فراق ومتاركة
(قوله عز وجل اى وقب)
(قوله عز وجل
اى دخل
الوسواس) هو شيطان

من لوازم الملك وهو اعظم الملوك لاتصافه بوصف . (رب العالمين) بل لايتم تربيته باصلاح أفعال العامة الغالب عليهم الهوى والغضب بدون هذا التخويف ولايتم الابالايفاء به (و) كيف يترك الانابة والمعاقبة وفيه ظهور كبريائه على الكمال فوق ماظهر فى العالم اذ (له الكبرياء فى السموات والارض و) لايمنع عموم رحمته من التعذيب كالايمنع شدة غضبه من الانعام اذ (هو العزيز) فاجرى كلامنهما على وفق الحكمة لانه (الحكيم) تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الاحقاف)

سميت بها لان مكانها من حيث قبوله سرعة تأثير ريح العذاب فيه كالدليل على انذاره ففيه اشعار على ان انذارات القرآن كالدلائل على أنفسها فى قصتهم اتساق الانذار الى صيرورة المرجو مخوفا ففيه اشعار بان انذارات القرآن مما يخاف فيها صيرورة ما يرجوه الجهال مخوفا عليهم وذلك من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى كتابه (الرحمن) بتنزيله للاعجاز بالحكمة (الرحيم) بجعله مشتملا على مالايتناهى من الفوائد التى من جملتها ما اشير اليه بالحروف المقطعة (حم) أى حبل المتين (تنزيل الكتاب) للتمسك به فى الصعود الى الله لكونه (من الله العزيز) الذى يصعب الوصول اليه الا بالتمسك بما هو منه سيما من جهة اشتماله على انواع الحكم الموصلة الى الكمالات باعتبار اسمه (الحكيم) ولا يبعد منا ذلك لانا (ماخلقنا السموات والارض ومابينهما الا بالحق) أى الحكمة المفيدة للصعود من النقائص الى الكمالات التى ينتفع بها فى المعاد (و) لذلك جعلها على (أجل مسمى و) خوف عما فيه لكن (الذين كفروا عما انذروا معرضون) ويوجب اعراضهم النزول الى أسفل السافلين أو الحلى المزين تنزيل الكتاب الذى هو زينة العلوم المقربة الى الله المفيدة للعزة عنده لكونه العزيز بما فيها من الحكمة ولا يبعد هذا الانزال منه فانه ماخلق السموات والارض ومابينهما الا بالحق أى الحكمة المكتسبة للعزة السماوية باستعمال الحكمة فى أعمال الارض فينتفع بها فى المعاد وانذار بالذلة على خلاف ذلك فاعرض عنه الكافرون أو الحجج ومحو الشبه تنزيل الكتاب الجامع لها لكونه من الله وعزته تعطى الحجة التى بها الغلبة على الخصوص وحكمته ترفع الشبه ولايبعد منه ذلك لانه ماخلق السموات والارض ومابينهما الا بالحق اى بحكمة الاستدلال عليه ليغلب من تمسك بها ويقتضى العزة جعله على أجل مسمى ينتفع منه المستدل ويتضرر المعرض ويقتضى الحكمة انذار المعرض فاعرض عنه الكافرون أو الحكم والمواعظ تنزيل الكتاب الجامع لهما لكونه من الله وعزته تعطى المواعظ وحكمته الحكم وقد ظهرت حكمته فى خلق السموات والارض وعزته فى خلقهما الى أجل مسمى وانما جمع بينهما لان الحكمة انما تتم بالموعظة فالمعرض عنها كافر بالحكمة وبهذا الاعراض نزلوا فاعتقدوا الهية آلهتهم وذلوا فتذللوا لها وجهلوا رتبة الالهية فنسبوها اليها واخلوا بمقتضى الحكمة فعبدوها وان زعموا انهم صعدوا بعبادتها وتعززوا بها والاتهاو علوا ظهور الله بالالهية فيها وعرفوا حكمته

وهو الخناس أيضا يوسوس فى الصدور وجاء فى التفسير ان له رأسا كرأس الحية يجثم على القلب فاذا ذكر العبد الله خنس اى تأخر واذا ترك ذكر الله رجع الى القلب يوسوس فيه

(باب الواو المضمومة)

(قوله عز وجل وسعها) طاقتها وقوله ودأى محبة (قوله عز وجل سيجعل لهم الرحمن ودا) اى محبة

فى كونه معبودا الى ذاته ومظاهره (قل أرأيتم ماتدعون) هل هى آلهة مع كونها (من دون الله) فليس لها غاية الكمال فمن أين لكم فى عبادتها الصعود وفى موالاتها التعزز ومتى يكون فيها ظهور الله بالالهية مع أنها بغاية الكمال وهى دون ومعبوديته فى المظاهر انما هى لاهل الجلب لذلك ترون كماله بهذه المظاهر الدينية فان لم تعتبروا فى الاله غاية الكمال فلا أقل من اعتبار الخالقية (أرونى ماذا خلقوا من الارض) استقلالا أ (أم لهم شرك فى خلق الارضيات لعدم استقلاله (أم لهم شرك فى السموات) ولا يدل عليه حس ولا عقل فان كان فيه دليل نقلى (ائتونى بكتاب) سماوى وان كان (من قبل هذا) فانه لا يقبل النسخ فى الامور الاخبارية (أو أثارة) اى بقية (من علم) من الانبياء أو الاولياء أو العلماء (ان كنتم صادقين) فى أن لها خلقا استقلالا أو بمشاركة فى أمر أرضى أو سماوى فان لم يكن لها خلق ففى عبادتها مع النزول والذلة والجهل والحماقة غاية الضلال سيما اذا لم يكن لها ما يكون لمن دون الملوك من الوزراء والقضاة من الاجابة (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله) على زعم انه اله (من لا يستجيب له) دعاءه لعجزه عنها (الى يوم القيامة) وكيف يتصور منهم الاجابة (وهم عن دعائهم غافلون) وان كان لهم حياة يسبحون بها ربهم وبصر وسمع يشهدون به يوم القيامة لكنهم عن فهم دعائهم غافلون (واذا) زالت غفلتهم حين (حشر الناس كانوا لهم أعداء) يشهدون عليهم لشركهم (و) لا يرضون بجعلهم شركاء حتى يتصور منهم الشفاعة بل (كانوا بعبادتهم كافرين) فانى يكون بها الصعود والعزة والعلم ورعاية الحكمة كيف (و) قد طعنوا فيما يحصل به هذه الامور لهم لأنه (اذا تتلى عليهم آياتنا) الموضوعة لافادة هذه الامور (بينات) أزيل عنها كل اشكال (قال الذين كفروا) عن افراط عنادهم (للحق) الظاهر فى تلك الآيات لا قبل معرفتهم بها بل (لما جاءهم) فعرفوا عجزهم عنها (هذا سحر مبين) وعجزنا عنه لعدم اطلاعنا على أسرار السحر كيف وقد لبس عليه مما اتفق عليه العقلاء من آبائنا ايصرون على القول بكونه سحرا فهو اعتراف بالاعجاز اذ لا دخل للسحر فى المعجزة القولية التى ليست من قبيل الرقى (أم يقولون افتراه قل) كيف أفترى عليه مع علمى بقدرته على مؤاخذتى اذ لا يمكننى دفعها بنفسى ولا بكم (ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ) لو اجتمعتم على دفع مؤاخذته فكيف استقل به ولا اعتمد فى ذلك على جهله بافترائى اذ (هو أعلم) بكل شئ سيما (بما تفيضون) أى تخوضون (فيه) أى فى حقه فان زعمتم انى لا أبالى بقدرته ولا بعلمه (كفى به شهيدا) اذ أعطانى المعجزات المصدقة لى فانه بها يفصل (بينى وبينكم و) ان لم يؤاخذكم فى الحال اذ هو يتوقع توبتكم ليغفر لكم ويرحمكم اذ (هو الغفور الرحيم) ولذلك ستر عليكم أمور القيامة ورحمكم الى قيام الساعة فان طالبوك بفصل المؤاخذة الاخروية أو بتعيين وقتها (قل ما كنت بدعا من الرسل) آتيكم بالمؤاخذة الاخروية (و) من أين لى تعيين وقتها مع انى (ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) فيما لم يوح الى والوحى ببعض الامور لا يستلزم العلم بالباقى ولم يكن لى ان اضم الى الوحى كذبا من عندى (ان أتبع) فى تقرير

فى قلوب العباد (قال ابو عمر قال ابن عباس رضى الله عنه وقد سئل عن هذا قال نزلت فى على بن ابى طالب رضى الله عنه لانه ما من مسلم الا ولعلى فى قلبه محبة) (قوله تعالى وجدكم) اى سعتكم وسعكم ومقدرتكم فى الجدة (قوله عز اسمه وقتت واقتت) اى جعلت لوقت وهو يوم القيامة

(باب الواو المكسورة)

(قوله عز وجل وجهة هو

الامور الغيبية (الا ما يوحى الى و) مع ذلك لا يفوض الى شئ مما يوحى الى من تعذيب من لا يؤمن بى بل (ما أنا الا نذير) عنه (مبين) له بالدلائل القطعية فان زعموا من أين عرفت انه وحى الهى ولم لا يجوز كونه من الشيطان (قل) كيف جزمتم بكونه من الشيطان حتى كفرتم به (أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به) فرجحتم كونه من الشيطان (و) قد ظهر ترجيح كونه من الله اذ (شهد شاهد من بنى اسرائيل على) قراءة (مثله) فى كتب الاولين وعرف انه ليس من سرقة الشيطان لاعجازه (فآمن و) لم يكن كفركم لقدرتكم عليه بل لانكم (استكبرتم) نزعمتم انه مقلد ولكم ألستم ظالمين بترجيح المرجوح وهو كونه من الشيطان ولذلك منع الله هدايتكم (ان الله لا يهدى القوم الظالمين وقال الذين كفروا) أى استمروا على الكفر بعد هذا البيان فى معارضة هذا المرجح (للذين آمنوا) بانه (لو كان) من عند الله لكان (خيرا) ولو كان خيرا لكنا أولى به كسائر الخيرات من المال والجاه ولو لم نكن أولى به فلا أقل من المساواة فحينئذ (ما سبقونا اليه) فعارضوا دليل كونه من عند الله بعدم اهتدائهم وموافقته لكتب الاولين دليل كذبها جميعا (واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم و) انما الافك هو قولهم اذ كان (من قبله كتاب موسى اماما) للانبياء والاولياء والعلماء (و) كان خيرا سبق اليه أولئك السعداء اذ كان (رحمة) لهم يكاشفون فيه بالعلوم اللدنية (وهذا) لا ينقص عن درجته لانه (كتاب) جامع لمعانيه ولغيره (مصدق) له من غير تعلم من أنزل عليه اياه وانما كان أجمع منه لكونه (لسانا عربيا) وكيف يكون من الشيطان مع انه على ضد مراداته لانه (لينذر الذين ظلموا) بجعلوا القبائح حسنات وبالعكس (وبشرى للمحسنين) بجعل القبائح قبائح والحسنات حسنات والشيطان يلبس أحدهما بالآخر ويبشر الظالمين وينذر المحسنين ولو فرض كون مثل هذا الكتاب من وحى الشيطان فلا يضر المؤمنين به لانه محض الايمان بالله والاستقامة (ان الذين قالوا ربنا الله ثم) لم يجرهم ذلك الى مفسدة بل (استقاموا) فى سائر الاعتقادات والاخلاق والاعمال فانه وان فرض كونه من وحى الشيطان من غير علم المؤمن المستقيم به لعدم الدليل عليه (فلا خوف عليهم) من جهة كون ايمانهم واستقامتهم من وحى الشيطان (ولا هم يحزنون) من نسبة كونهما الى وحى الله تعالى عن دليل ظهر له بلا قادح بل (أولئك أصحاب الجنة) كالمؤمن المستقيم عن وحى الله ولا يتقدر بقدر أعمالهم بل (خالدين فيها) اذ هو جزاء الايمان وحده لا عن وحى أصلا فلا يبعد كونه جزاء مع الاستقامة فيكون (جزاء بما كانوا يعملون) كانه لا عن وحى أصلا على انه لو كان من وحى الشيطان كنا تاركين التوصية فى حقنا (و) قد (وصينا الانسان) ان يحسن (بوالديه احسانا) يشبه عبادتهما سيما فى حق أمه التى تعبت فى حقه ايام حملها ووضعها اذ (حملته أمه كرها) أى ذات كره بمرض كسوء هضم وعدم اشتهاء طعام وثقل (ووضعته كرها) من شدة الطلق (و) أيام التربية سيما أيام الرضاع وبالجملة يطول مدة تعبها اذ (حمله وفصاله ثلاثون شهرا) أى مدة الحمل التى تثبت

وليها) اى قبلة هو مستقبلها اى يولى اليها وجهه (قوله تعالى وردا) مصدر ورد يرد وردا وفى التفسير ونسوق المجرمين الى جهنم وردا اى عطاشا (قوله وزر) اى اثم (قوله عز وجل فانه يحمل يوم القيامة وزرا) اى حملا ثقيلا من الاثم (قوله تعالى ولدان مخلدون) أى صبيان واحدها وليد ومخلدون

النسب والرضاع التي تثبت الحرمة هذا المقدار ستة أشهر لاقل مدة الحمل وأربعة وعشرون للرضاع ولا تزال تتعب في تربيته (حتى اذا بلغ أشده) أي منتهى شبابه (و) لا ينقطع نعمها بذلك بل ينتهي الى أن (بلغ أربعين سنة) يكمل فيها عقله وسائر قواه عرف قدر النعمة وانها أعظم من ان يقوم بشكرها بنفسه فحينئذ (قال رب أوزعني) أي الهمني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي) من الايجاد والتربية وتكميل العقل والقوى (وعلى والدي) باعطاء ولد مثلي والتوفيق لتربيتي (و) ذلك الشكر صرف نعمتك الى مرضاتك وهو (أن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي) أعمالي ليسري نورها (في ذريتي) وأقل ذلك العمل التوبة عن المعاصي والانقياد للطاعات (اني تبت اليك واني من المسلمين أولئك) وان فرض عملهم الايمان والاستقامة من وحي الشيطان من غير ان يعلوا به هم (الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) فننظر الى ايمانهم واستقامتهم (ونتجاوز عن سيئاتهم) وهو كون عملهم الايمان والاستقامة عن وحي الشيطان لاعن علمهم به بل نجعل وعده على الايمان والاستقامة (في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) على لسان الرسل عليهم السلام (و) اذا صدق وعده بالجنة في الايمان والاستقامة صدق في ضدهما بالنار أيضا مثل (الذي قال لوالديه) حين دعواه الى الايمان والاستقامة (أف) اي اتضجر (لكما) من هذه الدعوة أتخوفانني بالعذاب على تركهما بعد البعث (أتعدانني أن أخرج و) لم تجر به سنة الله اذ (قد خلت القرون من قبلي) ولم يخرج أحد في قرن منها (و) هذا الشيطان اذا أوعد على الكفر والمعاصي بالنار ودل عليه مثل الوالدين اذ (هما يستغيثان الله) أي يطلبان الغياث من الله ان يلزما ولدهما حجة تلجئه الى الايمان والاستقامة فيقولان له استوجبت (ويلك) لولم تؤمن (آمن) فللايمان وتركه جزاء بوعد الله (ان وعد الله حق) فهذا الوعد وان فرض كونه وحي الشيطان يجب عليه قبوله عند ظهور صدقه له مالم يعلم بدليل قطعي كونه من الشيطان ولكنه يأبى عليه بشبهة واهية (فيقول ما هذا الا أساطير الاولين) أي الاكاذيب التي سطروها (أولئك) وان كانوا رادين لوعد الشيطان على ذلك التقدير كانوا كالرادين لوعد الله فيكونون من (الذين حق عليهم القول) الالهي بدخولهم (في أمم قد خلت) على تكذيب مواعيد الله (من قبلهم من الجن) الذين تميز عندهم وعد الله من كل وجه (والانس) الذين بقي عليهم توهم كونه من الشيطان اذ خسروا بذلك فوائد الايمان والاستقامة (انهم كانوا خاسرين) لكل شئ بخسر فوائدهما (و) كيف تتفاوت الاعمال بوحي الله أو بوحي الشيطان اذا لم يكن فيه تلبيس مع انه قد تقرر في العقول انه (لكل درجات مما عملوا) سواء عملوا من قول المحب أو العدو وكيف (و) لا يستعمل الايمان والاعمال الصالحة للمؤاخذة بل (ليوفيهم أعمالهم) والا كان ظلما عليهم (وهم لا يظلمون و) ليس من الظلم احباط أعمال الكفار اذ الاحباط انما هو باعتبار عدم قبولها الموجب لها كثرة الثواب لكن يؤدى اليهم مقدار ما يستحقونه عليها او يكون ذلك في الدنيا

يبقون ولدانا لا يهرمون ولا يتغيرون ويقال مخلدون أي مسورون ويقال مقرطون (قوله عزوجل وفاقا) في قوله جزاء وفاقا جزاء موافقا لسوء أعمالهم (قوله عزوجل الوتر) أي الفرد

(باب الهاء المفتوحة)

(قوله تعالى هادوا) تهودوا

لذلك (يوم يعرض الذين كفروا على النار) فاعترضوا بأن لهم حسنات قيل لهم (أذهبتم طيباتكم) أى بجزاء حسناتكم (فى حيوتكم الدنيا و) حيث تأخرت حسناتهم قيل لهم (استمتعتم بها) أى بالطيبات بجملات فى مقابلة حسناتكم المتأخرة فاذ الم تبق لكم حسنة عند الله توجب لكم العزة عنده الموجبة كثرة الثواب لاستكباركم عليه وخروجكم عن طاعاته (فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون) على من يجب عليكم التذلل له بالاعمال مع كونه فى غاية العلو وكونكم فى غاية السفل (فى الارض) لا بالله على ماسواه بل (بغير الحق) الذى له دناءة فى نفسه (وبما كنتم تفسقون) عن طاعته فاخرجكم عن كرامته (واذكر) لمن تمنى من الكفار أجر حسناته فى الآخرة ان غايته انه تصور بخيالكم كما تصور تمنى عاد للمطر بصورة سحاب فمع تصوره فى الخارج انقلب عذابا فاذكر (أخا عاد) هودا الناصح لهم وان توهموه عدوهم (اذ أنذر قومه) وهم (بالاحقاف) جمع حقف رمل مستطيل فيه انحناء فهو السرعة قبوله أثر الريح كالشاهد (وقد) شهد له أمثاله اذ (خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) أى قبله وبعده متفقين على (الا تعبدوا الا الله) وقال كل واحد منهم (انى أخاف عليكم) من عبادة غير الله (عذاب يوم عظيم) بمقدار هتككم عظمة الله بالشرك (قالوا أجئتنا) لمعاداتنا (لتأفكنا) أى لتصرفنا (عن آلهتنا) الكثيرة التى اعانتهم فى دفع النوائب أتم من اعانة الواحد وتخويفك كاذب (فأتنا) الآن (بما تعدنا ان كنت من الصادقين) فى انه آت لا محالة (قال) انى وان علمت اتيانه قطعا فلا أعلم وقته (انما العلم عند الله) فأنى يكون بيدى حتى أغيره من وقته الذى عند الله الى ماقبله (و) لو علمت وقته لم يلزمنى بيانه لانى انما (أبلغكم ما أرسلت به ولكنى أراكم) بانكار مالم تروه واعتقادان من علم وقوع شئ بالغيب يلزمه العلم بوقوعه وبيان وقته وان لم يرسل به واعتقاد دفع الحوادث بالاصنام (قوما تجهلون فلما رأوه) أى الموعود الذى استعجلوه متصورا سحابا (عارضا) فى أفق السماء (مستقبل) أى متوجه (أوديتهم) التى بها مزارعهم (قالوا هذا) سحاب (عارض) توجه الينا فهو (ممطرنا) مطرا يدفع القحط عنا قال هود ليس بمطر (بل هو ما استعجلتم به) بقولكم فائتنا بما تعدنا (ريح) تصور بصورة سحاب لتوهم انه ممتنا كم ثم تنقلب عليكم عذابا اذ (فيها عذاب أليم) ولا تقتصر على مجرد الايلام بل (تدمر) أى تهلك (كل شئ) من نفوسكم وأموالكم (بأمر ربها) الذى لا يعارض فلم تدفع عنهم آلهتهم بل دمرتهم (فاصبحوا) بحيث (لا يرى الا مساكنهم) أى بيوتهم وهذا لا يقتصر على عاد بل (كذلك نجزى القوم المجرمين) من أهل مكة وغيرها كيف (و) قد كان اجرامهم فوق اجرام عاد تقديرا فانا (لقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) ثم زدتم طغيانا وبغيا (و) لو لم يعتبر الاجرام التقديرى فلا بد من اعتبار الاجرام التحقيقى مع كمال الحجة فانا (جعلنا لهم سمعا) ليسمعوا المواعظ والآيات القولية (وأبصارا) ليعتبروا ما جرى على أمثالهم ويبصروا الآيات الفعلية (وأفئدة) ليستدلوا (فما أغنى عنهم

أى صاروا يهودا وهادوا تابوا من قوله عز وجل انا هدنا اليك أى تبنا (هدى وهدى) ما أهدى الى البيت الحرام واحدته هدية وهديه (قال أبو محمد يقال لما يهدى الى البيت هدى وهدى فواحد هدى هدية وواحد هدى هدية)

سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) أى شيأ من الاغناء (اذ) لم يصرفوها الى ما خلقت له
لان الله تعالى حجب عليها بما (كانوا يجحدون بآيات الله و) لم يكن حجابهم فى جانب دون
جانب ولا رقيقا فى جانب اذ (حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن و) كيف يقتصر ذلك على عاد مع
انا (لقد أهلكنا ما حولكم من القرى و) كيف لا يخاف عليهم مثله بعد الزام الحجة من
وجوه كثيرة اذ (صرفنا الآيات) ولم يكن تصريفها عبثا بل (لعلهم يرجعون) لكنهم
لم يرجعوا كما لم يرجع الهالكون اعتمادا على نصر الآلهة (فلولا نصرهم) أى فهلا منعهم
من الهلاك (الذين اتخذوا من دون الله) ليتقربوا بهم الى الله (قربانا) يمنعهم من
الهلاك لكن جعلوهم أعداء اذ جعلوهم (آلهة) فلم يقوموا مقام النصراء لهم (بل ضلوا)
أى غابوا (عنهم) لئلا ينسبوا الى عداوة الله تعالى وكيف يكون ذلك سبب قربهم من الله
(وذلك افكهم) أى صرفهم عن الحق (و) كيف يكون سبب قربهم ودعوى ذلك من جملة
(ما كانوا يفترون و) اذكر لمن زعم انه من مفتريات الشيطان (اذ صرفنا اليك نفرا من
الجن) كانوا يستمعون أخبار السماء فمنعوا بالشهب فاخذوا يتجسسون عن سببه فجاؤا
(يستمعون القرآن) ليعلموا انه هل هو السبب فى ذلك أو غيره (فلما حضروه) بقلوبهم
للاستماع (قالوا) بعضهم لبعض (أنصتوا) ليتم التدبر والتفكر (فلما قضى) أى
فرغ من قراءته كمل تأثرهم به فأرادوا التأثير به لذلك (ولوا) أى رجعوا (الى قومهم
منذرين) عما هم فيه من الضلال (قالوا يا قومنا) تنذركم عما أنتم فيه عن تحقيق (انا
سمعنا كتابا) عجيبا (أنزل من بعد موسى) المتفق على تعظيم كتابه أكثر مما اتفق على تعظيم
الانجيل والزبور وقد علم صدقه لكونه (مصدقا لما بين يديه) من هذه الكتب كلها وقد
فضل عليها اذ (يهدى الى الحق) أى الى معرفة الحقائق (والى طريق مستقيم) من
الطريقة والشريعة (يا قومنا أجيبوا داعى الله) للتقرب اليه (و) أعلى وجوهه الايمان
(آمنوا به) فاقل فوائد الايمان الغفران (يغفر لكم من ذنوبكم) أى بعضها التى بينكم
وبين الله تعالى (و) ان لم يغفر لكم بالكلية (يجركم من عذاب أليم) أشد ايلاما مما يعذبكم
به (ومن لا يجب داعى الله) لا يتخلص من عذابه بالتباعد عنه (فليس بمعجز) له بالهرب
عنه لكونه (فى الارض) فلا مهرب له الا السماء وهى له (و) لا شفيع له اذ (ليس له من
دونه أولياء) لانه عدو الله وقد جعلوا الشفعاء أيضا أعداء فمن اعتقد انه مع عداوته لله
يشفعه من هو عدو الله (أولئك فى ضلال مبين أ) يزعمون الله يعجز نفسه باماتتنا اذ لا يقدر
على احيائنا بعدها (ولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض) من عدم صرف (ولم يعى
بخلقهن) عن عدم (بقادر على أن يحيى الموتى) باعادة الروح الى الجسد بعد مفارقتها اياه
ليس كما توهموا (بلى انه على كل شئ قدير) من اعادة المعدوم لو فنيت النفس والجسد
بالكلية (و) مع هذا لا يزالون ينكرون قدرته على الاحياء الى يوم القيامة لذلك (يوم يعرض
الذين كفروا على النار) لانكارهم هذه القدرة يقال لهم (أليس هذا) الاحياء احياء

(قوله عز وجل هاجروا) تركوا بلادهم ومنه سمى المهاجرون لانهم هجروا بلادهم وتركوها وصاروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله هار) مقلوب من هائر أى ساقط يقال هار البناء وانهار وتهور اذا سقط (قوله عز وجل

(بالحق) بحيث لا يقبل الموت بعده (قالوا بلى وربنا) الذى ربانا بالحياة الابدية بعد الموت (قال) لانربيكم بعد كفركم بما ينفعكم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) واذا أصروا على كفرهم بعد هذا البيان بل ازدادوا ايذاء وتكذيبا (فاصبر) على تبليغ الرسالة وتكذيبهم وايذائهم (كما صبر أولوا العزم) أى الجد (من الرسل) كنوح على الضرب الى ان يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح الولد واسمعيل على الذبح ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر (ولا تستعجل لهم) وان اشتد عليك الامر من جهتهم كيف تستعجل بالعذاب عليهم ومدة الدنيا قصيرة فان لم يظهر الآن فسيظهر فى القيامة (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) من طول يوم القيامة ظنوا انهم (لم يلبثوا) فى الدنيا (الا ساعة من نهار) وليس من حق الرسل الاستعجال بل حقهم (بلاغ) على ان ترك الاستعجال لا يفيد الفاسقين لانه لابد من ظهور السياسة الالهية باهلاك قوم (فهل يهلك) بمقتضى العدل والحكمة (الا القوم الفاسقون) فسواء استعجل لهم أم لا لابد من اهلاكهم نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة محمد صلى الله عليه وسلم)

سميت به لما فيها من ان الايمان بما نزل على محمد متفرقا أعظم من الايمان بما نزل مجموعا على سائر الانبياء عليهم السلام وهو من أعظم مقاصد القرآن وتسمى سورة القتال لدلالتها على ارتفاع حرمة نفوس الكفار المانعة من قتالهم وما يترتب على القتال وكثرة فوائده (بسم الله) المتجلى بكماله فى الانسان سيما محمد صلى الله عليه وسلم وما نزل عليه (الرحمن) بتوفيقه للايمان بما نزل من كتبه والاعمال الصالحة بما فيها (الرحيم) بتوفيقه للايمان بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم خاصة (الذين كفروا) فانهم وان كانوا على صورة انسان لا يحرم قتالهم اذ لم تبق انسانيتهم التى بها حرمة القتال كيف (و) الانسانية بالتوجه الى الله تعالى وهم بالكفر (صدوا عن سبيل الله) فهم وان عملوا أعمالا من شأنها التصفية التى بها الانسانية (أضل) أى اضاع (أعمالهم والذين آمنوا) تبقى انسانيتهم (و) ان صدرت عنهم سيآت سيما اذا (عملوا الصالحات) المذهبة لها (و) الايمان بالله انما يعتد به اذا (آمنوا) عن كمال معرفته ويكفى فيه الايمان (بما نزل) فانه وان كان متفرقا لكنه لما نزل (على محمد) الجامع صار فيه مع التفرقة جمع (و) هو كمال المعرفة اذ (هو الحق) من كل وجه النازل (من ربهم) للتربية بكمال المعرفة فأقل ما فيه افادة التصفية التى بها الانسانية اذ (كفر عنهم سيآتهم و) لو لم يفدهم الانسانية أفادهم نصيبا منها اذ (أصلح بالهم) أى قلبهم فيبقى حرمة قتله (ذلك) أى عدم افادة أعمال الكفار الانسانية مع افادتها نوع تصقيل وافادة ايمان المؤمنين اياها البتة (بان الذين كفروا اتبعوا الباطل) فصارت قلوبهم كمرآة مجلوة قابلت الظلمة (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) الذى هو منبع الانوار فصاروا

كمرآة

هيت لك) أى هلم أى اقبل الى ما أدعوك اليه وقوله عز وجل هيت لك أى ارادنى بهذا لك وقرئت هئت لك ومعناه تهيأت لك (هوى النفس) مقصور يعنى ما تحبه وتميل والهواء ما بين السماء والارض وكل منخرق ممدود وقوله عز

كمرآة مجلوة قابلت أعظم الانوار فلا يضره مافيها من نقط الكدورة كل الضرر (كذلك يضرب الله) فى سائر آيات القرآن (للناس) الذين نسوا ما يليق بهم من الامثال (أمثالهم) واذا كان الكفر مبطلا للانسانية (فاذا لقيتم الذين كفروا) وهذه الملاقاة يخاف منها السراية (فضرب الرقاب) أى فاقتلوهم قتلا يشبه ضرب الرقاب واستمروا على ذلك (حتى اذا أثخنتموهم) أى اثقلتموهم فاسرتموهم (فشدوا الوثاق) بحيث لا يمكنهم الهرب منكم (فاما) تطلقونهم بغير عوض (منا) عليهم (بعد) أى بعد الاسر لزوال سبعيتهم بالكلية (واما) تطلقونهم بعوض مال أو مسلم أسروه ليكون (فداء) يتقوى به المسلمون أو يتخلص أسيرهم ولم يذكر القتل اكتفاء بما مر من قوله ما كان لنبى ان يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض وذلك فيمن يرى فيه الامام بقاء السبعية بالكمال ولم يذكر الاسترقاق لانه فى معنى استدامة الاسر وذلك فيمن يرى فيه نوع سبعية ولا تزالوا على ذلك (حتى تضع الحرب) أى أهلها (أوزارها) من الكفر والمعاصى الفرعية (ذلك) اى شرع القتال معهم لتنتصروا من أعدائكم (ولو يشاء الله لانتصر منهم) نظرا الى عداوتهم له (ولكن) جعل انتصاره فى ضمن انتصاركم (ليبلو بعضكم ببعض) أى بقتال بعض لينال ثواب الجهاد أو فضيلة الشهادة أو الغنيمة (و) لا تنتقل أعمالكم الى الكفار اذ (الذين قتلوا فى سبيل الله) لم يقتلوا ظلما اذ سبيل الله لا يكون ظلما (فلن يضل أعمالهم) ولو كان ظلما لكان مظلما للقلب لكنه منير فان لم يستنر فى الحال (سيهديهم) بنوره فى الاستقبال (و) ان لم يستنر فهو (يصلح بالهم و) هو مفيد لدخول الجنة لذلك (يدخلهم الجنة) كيف وقد آثروا بانفسهم من أجلها اذ (عرفها) أى طيبها (لهم) فشموا روائحها فى الدنيا (يا أيها الذين آمنوا) انتصاركم لانفسكم لا يخل باجركم اذ جعلتموه تبعا لنصر الله فانكم (ان تنصروا الله ينصركم) فلو أبطل أجركم لكان خاذلا لكم بالحقيقة (ويثبت) أجركم فى الآخرة كما انه يثبت (أقدامكم) فى محاربتهم تحقيقا لنصره اياكم فى الدارين (و) كيف يبطل أعمالكم وهو يشبه نقلها الى أعدائكم وقد سقطوا عن رتبة استحقاق الاجر اذ (الذين كفروا فتعسا) أى عثورا وانحطاطا (لهم) عن رتبة انتقال الاجر اليهم كيف (و) قد (أضل أعمالهم) التى باشروها بانفسهم (ذلك) الاضلال لاعمالهم (بانهم) لا يعملون لله اذ لا يمتثلون أمره ولو امتثلوا فهم كارهون له لانهم (كرهوا ما أنزل الله) ليعبد به ولا عبرة للعبادة مع الكراهة لها فضلا عن كراهة أصلها (فأحبط أعمالهم أ) ينكرون احباطها مع انهم انما يتوقعون نفعها فى الدنيا سيما عند الشدائد (فلم يسيروا فى الارض) التى كثر فيها أعمال الكفار (فينظروا كيف كان عاقبة الذين) كفروا (من قبلهم دمر) أى استأصل (الله) بانزال العذاب (عليهم) من غير تفرقة بين عاملهم وغيره فلم ينفعهم أعمالهم فى دفع ذلك (و) ان زعموا انهم ينتفعون بها فى الآخرة يقال (للكافرين) فى الآخرة (أمثالها) أى أمثال تلك المعاقبة فاذا لم يدفع أعمالهم أدنى المعاقبات فكيف يدفع أعلاها (ذلك) أى نفع أعمال

وجل أفئدتهم هواء قيل جوف لا عقول لها وقيل متخرقة لا تعى شيأ (قوله تعالى هشيما) يعنى مايبس من النبت وتهشم أى تكسر وتفتت وهشمت الشئ أى كسرته ومنه سمى الرجل هاشما وينشد هذا البيت

المؤمنين فى دفع الشدائد الاخروية دون أعمال الكفار مع تساويهما فى الامر الدنيوى (بأن الله مولى) أى معبود (الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) لو عبدوا الله لمخالفتهم أمره ولو عبدوا غير الله لم يبق لهم مولوية هنالك على ان الغير لو كان معطيا للاجر لم يكن ليعطى الجنة (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات) جنة على الايمان وأخرى على الاخلاق وأخرى على الاعمال (تجرى من تحتها الانهار) لانهم أجروا أنهار معانى الايمان والاعمال الصالحة فى بواطنهم (والذين كفروا) لا يتوقعون ذلك الاجر بل الاجر الدنيوى لغايتهم انهم (يتمتعون ويأكلون) بالمذائذ الدنيا من غير شكر ولا هم بل (كما تأكل الانعام) وتمتع لكن لا يعقبهم ضرر (و) هؤلاء يعقبهم (النار) من غير انقطاع بل هى (مثوى لهم) دائما (و) لا يمكنهم دفعها بقوتهم التى اكتسبوها من مأكولاتهم ومتمتعاتهم كيف وقد عجزوا عن دفع الشدائد الدنيوية بها فانه (كأين) أى كثير (من) أهل (قرية هى أشد قوة من قريتك التى) زعمت انها قاومت قوة الله تعالى اذ (أخرجتك أهلكناهم) الهلاك الدنيوى الذى هو دون الاخروى بكثير (فلا ناصر لهم) من قوتهم ولا ممن يزعمون انهم يتقوون بهم من معبوديهم (أ) نجازى الكفار على أعمالهم بجزاء المؤمنين (فمن كان على بينة من ربه) فى أعماله (كمن) لا بينة له بل (زين له سوء عمله) بحيث رآه حسنة (و) ما كان حسنة فى الواقع لم يتبعوا فيه أمر الله بل (اتبعوا أهواءهم) وكيف يكون جزاء من كان على بينة من ربه كجزاء من زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم مع ان الحكمة الالهية مع عظمته تقتضى تعظيم اللطف بالاولين لتقويهم وتعظيم القهر بالآخرين لجراءتهم فهل (مثل) المخلد فى (الجنة التى وعد المتقون) مخالفته (فيها أنهار من ماء غير آسن) أى متغير لصفاء اعتقادهم وأعمالهم (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) لبقائهم على الفطرة التى لا يتغير معها طعم الانسانية (وأنهار من خمر) لا سكر فيها بل مجرد (لذة للشاربين) لايثارهم حب الله على ماسواه (وأنهار من عسل مصفى) لوجدانهم حلاوة المعرفة والعبادة مع صفائهما (ولهم فيها من كل الثمرات) من أخلاقهم وأعمالهم (ومغفرة من ربهم) لمحو سيئاتهم (كمن هو خالد فى النار) المطلقة التى لا يستحق غيرها ان تسمى نارا بالنسبة اليها (وسقوا ماء حميما) بدل هذه الاشربة لتغييرهم ماذكر (فقطع) من افراط الحرارة (أمعاءهم) بدل تلذذهم بما ذكر (و) لو كان لمن ليس على بينة من ربه نصيب من الثواب لكان له نصيب من سماع القرآن لكن (منهم من يستمع اليك) اى الى قراءتك التى هى أشد تأثيرا فلا يتأثرون بها بانفسهم ولا بالسؤال عن العلماء (حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا) هل فيه ما يفيد هدى فان بينوه لم يستفيدوا منه شيأ اذ (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم) فلا يتطرق اليهم الهدى (و) كيف يتطرق اليهم وقد (اتبعوا أهواءهم) لرؤيتهم اياها هدى (و) لو لم يمنعهم ذلك لازدادوا هدى اذ (الذين اهتدوا) أى طلبوا الهداية (زادهم) استماعه وبيان العلماء مسائله ودلائله (هدى

عمرو العلا هشم الثريد لقومه
ورجال مكة مسنتون عجاف
كان اسمه عمرو فلما هشم
الثريد سمى هاشما (قوله
تعالى همسا) أى صوتا
خفيا وقيل يعنى صوت
الاقدام الى المحشر (قوله عز
هدا) سقوطا (قوله عز

و) يدل على زيادة هداهم انه (آتاهم تقواهم) عن الاهوية كلها وانما اتبعوا أهواءهم بانهم رأوها منافع حاضرة وانكروا ضررها لانكارهم الساعة (فهل ينظرون) لتحقيق ضررها (الا الساعة) ولا يتأتى بتدريج فهل ينظرون الا (أن تأتيهم بغتة) لكن العلم بمجيئها كاف وفى افادة العلم بضرر الاهوية والعلم بمجيئها حاصل (فقد جاء أشراطها) لكنها ليست ملجئة وهم انما ينتظرون الاشراط الملجئة (فأنى) يكون نافعا (لهم اذا جاءتهم) تلك الاشراط (ذكراهم) ضرر الاهوية والا استوى الكل فلا يبقى تمييز بين المحسن والمسيء وقد وضع له الساعة واذا كانت أشراط الساعة مفيدة للعلم بها وان لم تكن ملجئة وقد أعلم الله بها التدارك الشرك والمعاصى قبلها أو قبل أشراطها الملجئة (فاعلم انه لا اله الا الله) نفيا للشرك فى الافعال والصفات والذات (واستغفر لذنبك) الذى هو قصور أحوالك ومقاماتك التى ارتقيت عنها الى مافوقها (وللمؤمنين) جبرا لقصورك باستغفارهم (والمؤمنات) جبرا الاستغفارهن بوجه من الوجوه (و) كيف يستغنى أحد عن الاستغفار ولا يخلو عن تقصير وان لم يعلم به لكن (الله يعلم متقلبكم) من حال أو مقام أدنى (ومثواكم) أى سكونكم فيه مع امكان الترقى عنه (ويقول الذين آمنوا) بالساعة حين رأوا انتظار أعدائهم اياها (لولا نزلت سورة) أى هلا كثر انزال سورة فى كل مرة آمرة بقتالهم خاصة لتقوم عليهم القيامة الصغرى فى الحال (فاذا أنزلت) مرة واحدة (سورة محكمة) لا تقبل نسخا ولا تأويلا فكانت فى معنى النازلة بجميع المرات (وذكر فيها) مع أمور كثيرة (القتال) مع منتظريها (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق بعد قولهم ذلك مع سائر المؤمنين (ينظرون اليك) عند تلاوة تلك السورة التى هى سبب قتالهم (نظر المغشى عليه من) سكرات (الموت) فكان هذا الامر لهم بمنزلة السكرات والقتال نفس الموت فاذا كان هذا القول منهم سببا لهذه الفضيحة (فأولى لهم طاعة) لما يأمرهم الله من غير تمنى شىء مما لم يأمرهم الله أن يأمرهم (وقول معروف) لا يرده فعلهم واذا تمنوا ذلك (فاذا عزم الامر) أى جزم أمر القتال بانزال تلك السورة (فلو صدقوا الله) بمطابقة فعلهم قولهم وتمنيهم على الله (لكان خيرا لهم) من أن يعيشوا بلا جهاد لانهم لو قتلوا فازوا باجر الشهداء وان عاشوا فازوا باالنصر والغنيمة على ان العيش انما يكمل بتولى أمور الناس وهو عين الضرر (فهل عسيتم) أى قاربتم (ان توليتم) أمور الناس (أن تفسدوا) فسادا ساريا (فى الارض و) اعظمه ان (تقطعوا أرحامكم) الذين يشاركونكم فى المال والمنصب وهذا وان ظن انه خير لهم وأعظم شر اذ (أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم) عن سماع الحق عند الافساد وقطيعة الرحم (وأعمى أبصارهم) عن رؤيته هذا هو الغالب فى أهل الولاية سيما المنافقين (أ) يفسدون ويقطعون مع زعمهم انهم يؤمنون بالقرآن (فلا يتدبرون القرآن) المصلح أمور الدارين بحيث يتم به ملكهما ليتأتى لهم التدبر (أم) لا لانه بوصول أنوار الغيب الى القلوب لكن (على قلوب) منكرة لتلك الانوار (أقفالها) التى لا مفتاح لها فهم

قوله عز وجل هضما) نقصا بقوله وجل هضما) ولا يخاف ظلما ولا هضما أى ولا يظلم بان يحمل ذنب غيره ولا هضما أى ولا يهضم فينتقص من حسناته يقال هضمه واهتضمه اذا نقصه حقه (قوله عز وجل هامدة) أى ميتة يابسة (قوله هيهات

فى معنى المرتدين (ان الذين ارتدوا على أدبارهم) من غير موجب الادبار بل (من بعد ما تبين لهم الهدى) الكلى فى الاقبال (الشيطان سول) أى زين ذلك الادبار (لهم) مع ظهور قبحه (و) لكن استتر عليهم اذ (أملى لهم) أى أمهل فلم يؤاخذوا فى الحال (ذلك) التسويل مع ظهور قبحه (بأنهم) صاروا محجوبين من عند الله اذ (قالوا للذين) عادوا الله حتى (كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الامر) الذى يخالفون الله فيه فازال حفظه عنهم (و) هم وان قالوا ذلك سرا جرى الله معهم بمقتضاه اذ (الله يعلم اسرارهم) وهم وان فعلوا ذلك لدفع ضررهم الدنيوى (فكيف) يدفعون ضرر الله على الردة (اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم) التى ولوها عن الله الى أعدائه (وأدبارهم) التى ولوها عن الاعداء الى الله (ذلك) الضرب لا لصرفهم أنفسهم عنهم بل (بأنهم اتبعوا ما أسخط الله) من اطاعة أعدائه (وكرهوا رضوانه) فى معاداتهم فادى بهم الى الردة (فاحبط أعمالهم) التى تفيدهم النجاة عن ذلك الضرب وعن الفضائح الدنيوية أحسب المنافقون ان الله لا يعلم أسرارهم التى يفتضحون بظهورها (أم حسب الذين فى قلوبهم مرض) أى نفاق تفرع منه اضغان على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (أن لن يخرج) أى يظهر (الله أضغانهم) أى أحقادهم (ولو نشاء) أن نبالغ فى افتضاحهم (لاريناكهم) متصورين فى الحس بصور تلك الاضغان كما نفعل فى القيامة ولكن لا نفعل ذلك قبل القيامة ولكن نفضحهم فضيحة خاصة وعامة (فلعرفتهم) أى فوالله لقد عرفتهم معرفة خاصة (بسيماهم) أى علاماتهم التى يدركها المتفرسون الناظرون بنور الله (ولتعرفنهم) معرفة عامة (فى لحن) أى امالة (القول والله) تعالى لو لم يعلم أسراركم كما زعمتم فلا شك انه (يعلم أعمالكم) التى هى دلائل الباطن فيظهرها بهذه الظواهر (و) لو لم يمكننا أظهار بواطنكم بظواهركم (لنبلونكم) بتكليف الجهاد (حتى نعلم) أى نظهر ما علمنا فنظهر على العامة (المجاهدين منكم والصابرين) على قتال الاعداء وسائر تكاليف الجهاد (ونبلو أخباركم) فى ترك الجهاد من أول الامر وفى الفرار آخرا وفى موافقتكم مع الكفار وهذا الابتلاء ليس لدفع الضرر عن نفسه بل عن المبتلى (ان الذين كفروا وصدوا) أى منعوا الناس (عن سبيل الله وشاقوا الرسول) لا لظهور كذبه عندهم بل (من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيأ) لا بالكفر اذ غايته أن يبقى مجهولا لهم ويكفى فى كماله علمه بذاته ولا بالصد عن سبيله اذ غايته أن لا يعبده أحد ولا ينتفع بالعبادة فلا يتضرر بتركها ولا بمشاقة الرسول وان كانت عداوته عداوة الله اذ لا يتضرر بعداوة أحد (و) انما ابتلاهم لانهم يتضررون به لانه (سيحبط) اذا لم يتوبوا (أعمالهم) فتنقلب محاسنهم مضار وكيف لا يخاف هذا الاحباط على الكفر والصد والمشاقة مع انه يخاف على ترك اطاعتهما (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا) بترك اطاعتهما الذى يخاف افضاؤه الى الكفر بهما (أعمالكم) ثم أشار الى انه وان لم يتضرروا به لكنه لما كان ضررا فى نفسه ولم يزيلوه حين يمكنهم ازالته فلا بد ان يتضرروا به فقال (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم)

كناية عن البعد يقال هيهات ماقلت أى بعيد ماقلت وهيهات لما قلت أى البعيد ماقلت (قوله همزات الشياطين) نخسات الشياطين وغمزاتهم الانسان وطعنهم فيه

لا كفرهم لانه صار حجابهم ولا صدهم لانه حق الخلق بخلاف مالو ماتوا بعد التوبة فانه يغفر لهم
عن كفرهم ولا يعذبون بالصد دائما فلا يخلو عن نوع من الغفران واذا كان الله لا يترك الانتقام
منهم مع عدم تضرره بكفرهم وصدهم عن سبيله ومشاقة رسوله (فلا تهنوا) أى لا تضعفوا
عن قتالهم مع تضرركم بتركه (و) لا (تدعوا الى السلم) أى الصلح لدفع ضررهم لانه يوهم عجزكم
المفضى الى عود ضرر أشد (و) لا عجز لكم اذ (أنتم الاعلون) كيف (والله معكم) بالعون
والنصر (و) لا تتعللوا بفوات بعض كمال العبادات عند الاشتغال بالجهاد فان الله تعالى
(لن يتركم) أى لن ينقصكم (أعمالكم) ثوابا ولا وجه لترك الجهاد لاجل الدنيا (انما الحيوة
الدنيا لعب ولهو) فلا يرغب فيها العقلاء وانما يرغب فيها الجهال كيف والجهاد مقو للايمان
والتقوى (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) التى هى أجل من الدنيا وأبقى (و) لا يفوتكم
الدنيا اذ (لا يسئلكم أموالكم) فى مقابلة تلك الاجور ثم يسئلكم منها ما لا تتضررون بانفاقه
وتنتفعون بالاعوان وانما لم يسئلكم جميعها لانه (ان يسئلكموها فيحفكم) أى فيبالغ فى
طلبه بطلب كله (تبخلوا) ثم تحقدوا على الله ورسوله (ويخرج أضغانكم) فيوجب قتالكم
كقتال سائر الاعداء (ها أنتم هؤلاء) أى تنبهوا أيها المخاطبون مع ان اسم الاشارة لبلادتكم
مع ما فى ترك هذا السؤال من عظم اللطف وما لطف بكم فى سؤال الانفاق فى سبيل الله
مع خستكم اذ (تدعون) أى يدعوكم الله ورسوله (لتنفقوا فى سبيل الله) وهو أنفع لكم من
الانفاق على أنفسكم وأهليكم (فمنكم من يبخل) وان لم يخف (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه)
بمنع الثواب الابدى مع عدم بقاء المال لا عن المنفق عليه اذ الله ينفق عليه كيف (والله الغنى)
فلا يترك الانفاق على عبيده أصلا (و) انما أمركم بالانفاق على عبيده اذ (أنتم الفقراء) الى ثوابه
(وان تتولوا) عن أمره بالانفاق فى سبيله (يستبدل قوما غيركم) أى يهلككم ويأخذ بدلكم
لاقامة دينه قوما آخرين فلا تبقون أنتم ولا أموالكم لكم (ثم) بعد رؤيتهم اهلاككم
على التولى (لا يكونوا أمثالكم) فى البخل وترك الجهاد والايمان والتقوى فيحمدون وتبقون
مذمومين فى الدارين فافهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الفتح)

سميت به لدلالتها على فتح البلاد والحجج والمعجزات والحقائق وقد ترتب على كل واحد منهما
المغفرة واتمام النعمة والهداية والنصر العزيز وكل هذه أمور جليلة (بسم الله) المتجلى
بكمالاته فى فتحه (الرحمن) بجعله سببا لغفران الذنوب (الرحيم) بجعله سببا لاتمام النعمة
والهداية والنصر العزيز (انا) باعتبار مقام عظمتنا (فتحنا) البلاد تعظيما (لك) فى قلوب
العباد اذ كان (فتحا مبينا) لرجحان دينك على الدين كله فجعله سببا لتكثير حسناتك
بحسنات اتباعك (ليغفر لك الله) بتلك الحسنات (ما تقدم من ذنبك) قبل النبوة من عملك
بالاديان القاصرة التى نسخت بهذا الدين (وما تأخر) بعد النبوة قبل الفتح من التقصيرات

(قوله عز وجل هباء منثورا) يعنى ما يدخل الى البيت من الكوة مثل الغبار اذا طلعت فيها الشمس وليس له مس ولا يرى فى الظل (قوله هباء منبثا) أى ترابا منتشرا والهباء المنبث ما سطع من سنابك الخيل

مخافة الاعداء (ويتم نعمته عليك) بتوفية الاعمال التى لاتتأتى مع تشويش الاعداء (ويهديك صراطا مستقيما) فى باب الاخلاق من غير افراط ولاتفريط مما لايتأتى مع افراط الغضبية والشهوية (وينصرك الله نصرا عزيزا) على من لم يفتح بلادهم بعد بحيث لايغلبون على مافتح عليك من البلاد او انافتحنا لك عن الحجج والبينات فتحا مبينا اصدقك ليغفر لك الله بانارة قلوب الخلق وازالة الشبه عنهم ماتقدم من ذنبك من عدم اقامة الدلائل لهم وماتأخر من عدم ازالة الشبه الواردة على حججك ويتم نعمته عليك بافاضة وجوه الادلة عليك ويهديك صراطا مستقيما فى محاجة كل فرقة بمايناسبها وينصرك الله على من يجادلك بالباطل نصرا عزيزا تغلبه به وان كان معاندا أو انافتحنا لك عن المعجزات فتحا مبينا لكونها من عند الله لاتلتبس بالسحر ليغفر لك الله بظهور نور النبوة ماتقدم من ذنبك الذى هو احتجابك بالبشرية وماتأخر من احتجابك بالملائكة ويتم نعمته عليك بتكميل النبوة والولاية ويهديك صراطا مستقيما فى اظهار كل معجزة فى مكانها وينصرك الله نصرا عزيزا على من أراد معارضتك فى معجزاتك او انافتحنا لك عن حقائق الاشياء فتحا مبينا لعلو شأنك عند الله ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك الذى هو الجهل بالاشياء على ماهى عليه وماتأخر من القصور فى الاحاطة بها ويتم نعمته عليك بكشف الحقائق العلوية ويهديك صراطا مستقيما فى كشفها وينصرك الله على عوائق كشفها نصرا عزيزا وانما نسب هذا الفتح الى الله تعالى مع ان فتح البلاد منسوب الى قوة الرجال والحجج والبينات الى القوة المفكرة والمعجزات الى القوة القدسية والحقائق الى التصفية اذ (هو الذى أنزل السكينة) أى الثبات والطمانية (فى قلوب المؤمنين) حتى ثبتوا فى محاربة الاعداء فلم يولوهم الادبار وسكنوا للحجج فلم يتوهموا انها تلبيسات وللمعجزات فلم يقولوا انها سحر وللحقائق فلم يحتجبوا عنها بشئ (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) برؤية نصر الله وتقوية الاعتقادات بتكثير الحجج والمعجزات وتفاصيل الحقائق (و) المنسوب الى ماذكر منسوب الى الله وهو من جنوده اذ (لله جنود السموات والارض و) انما اتخذ الجنود مع غناه عنها لعله بترتيب بعض الاشياء على بعض واقتضاء حكمته ذلك اذ (كان الله عليما حكيما) على ان الظهور بكمال اللطف فى قوم والقهر فى آخرين بمقتضى الالهية من غير أن يرتبهما على التكاليف يشبه الظلم أو التحكم فرتبهما على الايمان الذى هو أصل التكاليف (ليدخل المؤمنين والمؤمنات) سيما الساكنين فى محاربة الاعداء وسماع الحجج ورؤية المعجزات وظهور الحقائق (جنات) كل جنة فى مقابلة اعتقاد أو عمل أو خلق (تجرى من تحتها الانهار) كما أجروا أنهار دماء الاعداء وعبارات الحجج ومعانى المعجزات وتفاصيل الحقائق (خالدين فيها و) لانعوق عنها سيئاتهم اذ (يكفر عنهم سيئاتهم و) انما نسب الى كمال لطفه مع ظهور هذه الاسباب اذ (كان ذلك عند الله فوزا عظيما) فوق ماتقتضيه الاسباب (ويعذب المنافقين والمنافقات) سيما الجبناء والرادين للحجج والمعرضين عن المعجزات والحقائق (و) هم وان لم يظهروا بعض هذه الامور فى معنى من ظهر بها من (المشركين والمشركات) وقوتهم الى

وهو من الهبوة والهبوة الغبار (قوله عز وجل هونا) أى مشار ويدا يعنى بالسكينة والوقار والهون أيضا الرفق والدعة (قوله تعالى هلم الينا) أى أقبل الينا (قوله همان) أى عياب وأصل الهمز الغمز

ظهروا بها كقوة رجالهم على نسائهم وكيف لا يعذبهم مع كونهم (الظانين بالله ظن السوء) مثل انه لا يصدق وعده النصر وانه يلبس بهذه الحجج وانه يظهر المعجزات على يد الكاذب على انهم اعتقدوا فيه ماليس عليه ولما دار بهم ظن السوء صارت (عليهم دائرة السوء) كيف (و) قد (غضب الله عليهم) بكل خصلة منها توجب هذه المعاقبة (و) ليس كغضبه على غيرهم اذ (لعنهم و) هو وان اقتضى تعجيل العقوبة اقتصر على ان (أعد لهم جهنم و) لا ينفعهم حينئذ لذاتذ الدنيا اذ (ساءت مصيرا) كيف وتنقلب صورا مؤلمة (و) لا يبعد جعلها أسباب تعذيبه اذ هي من جنود الله اذ (لله جنود السموات والارض و) لا ينافى كونها جنود الطفه أولا اذ (كان الله عزيزا) يمكنه جعل سبب اللطف سبب القهر كما ان له أن يجعل الاطعمة التى هى من أسباب اللذة أسباب الالم بالمرض وكيف يترك ذلك مع اقتضاء الحكمة ذلك من كونه (حكيما) ولاقتضاء الحكمة كمال اللطف والقهر من غير ملابسة ما يشبه الظلم رتبهما على التكليف بالايمان مبنيا على الدلائل القطعية والمكاشفات الجلية مع السائق والزاجر (انا أرسلناك شاهدا) باقامة الدلائل واظهار الحقائق (ومبشرا) بغاية اللطف ليكون سائقا (ونذيرا) بغاية القهر ليكون زاجرا فترتفع الاعذار (لتؤمنوا بالله ورسوله و) انما كان الايمان بالله مطلوبا لتضمنه ان (تعزروه) أى تعتقدوا قوته بحيث لا يحتاج الى شريك فتوحدوه (وتوقروه) أى تعتقدوا عظمته بحيث لا يشاركه شئ فى صفاته (و) غاية ذلك ان (تسبحوه) أى تنزهوه عن كمالات الحوادث فضلا عن النقائص وان رأيتم ظهوره فيها فى كل وقت سيما (بكرة وأصيلا) وانما كان الايمان بالرسول مطلوبا بالله لانه كالمتحد به حتى كانت مبايعته مبايعة الله (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) لفنائه عن نفسه وبقائه بربه ثم نزل يده منزلة يد قدرته وعطائه فكانما (يد الله فوق أيديهم) ومن ثم عظم أمر النكث والوفاء (فمن نكث) أى نقض بيعته (فانما ينكث) بايقاع الضرر (على نفسه) لا عليك كما لا يقع على الله (ومن أوفى بما عاهد عليه) رسوله فكانما أوفى بما عاهد عليه (الله) ولا يكون أجره على الرسول حتى يتوهم فيه القصور بل على الله (فسنؤتيه أجرا عظيما) يناسب عظمتنا كالجنات ومافيها وكالرؤية (سيقول لك) عند ظهور قوتك النا كثون وهم (المخلفون) عن استنفارك الى الحديبية قرية بمرحلة من مكة أو أقل سميت باسم بئر فيها وهم أسلم وجهينة ومزينة وغفار (من الاعراب) الذين ليس من شأنهم المبالغة فى حفظ الاموال والاهل باتخاذ قرية أو حصن (شغلتنا) عن بيعتك التى هى بيعة الله (أموالنا وأهلونا) اذ آثرناهما على الله ورسوله وقدموا الاموال لانها احب اليهم (فاستغفر لنا) لقصور استغفارنا يظهرون انهم يعتقدون عظمة هذه المعصية مع انهم لا يعتقدونها معصية اصلا فهم (يقولون) فى باب الاعتقاد (بألسنتهم) التى لا عبرة لها فى هذا الباب مالم يكن مترجما عن الباطن (ماليس فى قلوبهم) اعتقادا وان تصوروه ليعبروا عنه بالعبارة الكاذبة (قل) لا فائدة فى هذا الاشتغال مع ترك الالتفات الى الله الذى بيده الضر والنفع (فمن يملك لكم من الله شيأ) من دفع ضر (ان أراد بكم ضرا)

وقيل لبعض العرب الفأرة
ثم همز فقال السنوريه مزها
(قوله عز وجل هلوعا) أى
ضجورا كما قال الله عز
وجل لا يصبر اذا مسه الخير
ولا يصبر اذا مسه الشر
والهلوع الضجور الجزوع

فى أموالكم وانفسكم مع قيامكم بهما من غير التفات الى الله تعالى (او) من يملك عليكم شيأ من الضرعلى خلاف ارادة الله ان (أراد بكم نفعا) لو خرجتم بان تفوزوا بغنائم مع حفظ الاموال والاهلين ثم انه لم يحفظكم شغلهما (بل) قيامكم الظاهرة والباطنة خلاف كم الله بها اذ (كان الله بما تعملون خبيرا بل) اعتقادكم الفاسد اذ (ظننتم ان لن ينقلب) أى اعتقدتم انه ان يرجع (الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) بل يستأصلهم قريش (و) انتم وان علمتموهم انهم لم يقدروا عليهم اذ كانوا فى أيديهم فكيف بعد الخروج عنهم لكن (زين ذلك فى قلوبكم و) انما زين ذلك فى قلوبكم لانكم (ظننتم) بالله (ظن السوء) وهو انه لا يفى بوعده لرسوله بالنصر (و) انما ظننتم بالله ذلك لانكم (كنتم قوما بورا) أى هالكين بالكفر كيف وانكار وفاء الله وعده لرسوله كانكار ربوبيته ورسالته (ومن لم يؤمن بالله ورسوله) فانكره باعتبار اسمه الباطن والظاهر جميعا (فانا) وان لم نعذبهم فى الحال (اعتدنا للكافرين سعيرا) ولا يلزم من الغضب التعذيب فى الحال سيما فى حق من لا يتألم بغضبه فيدفعه بايلام المغضوب عليه (و) انما يؤله بمقتضى ملكيته اذ (لله ملك السموات والارض) ولذلك لا يضطر الى التعذيب بل (يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء و) لو فرض ان غضبه مؤلم له فهو معارض بغفرانه ورحمته اذ (كان الله غفورا رحيما سيقول المخلفون) بعذر الاشتغال باموالهم واهليهم بعد طلبهم الاستغفار اياهم (اذا انطلقتم) أى قصدتم السير (الى) أماكن (مغانم) كخيبر (لتأخذوها) دونهم (ذرونا) أى اتركونا فى الانطلاق اليها (نتبعكم) فى أخذها وقتال أهلها (يريدون) بعد ظهور كذبهم فى طلب الاستغفار (ان يبدلوا كلام الله) فى سورة التوبة فاذا استأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا وقصدوا بذلك ابطال النبوة (قل لن تتبعونا) فى القتال وانما تتبعونا فى أخذ الغنائم اذ (كذلكم قال الله من قبل) ولا يقبل هذا القول منه الفسخ لكونه من باب الاخبار فاذا ظهر بذلك نفاقهم (فسيقولون) لم يقل الله شيأ (بل تحسدوننا) فصرحوا باظهار الكفر فليس هذا من فطانتهم (بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) فان سألوا هل اسقط الله عنهم الجهاد (قل للمخلفين) ليس التخلف سببا لاسقاط الجهاد لكن سؤالكم عن قلة الفهم لكونكم (من الاعراب) بل انما حكم الله عليكم بعدم متابعتكم ايای غضبا عليكم لتحرموا الاجر متابعتى لكن (ستدعون) أى يدعوكم الائمة من بعدى (الى) قتال (قوم) من المرتدين كقوم مسيلمة ومانعى الزكاة (أولى بأس شديد) ربما يصعب قتالهم فوق صعوبة قتال من اقاتلهم ولا دخل للصلح والامن فيه بل (تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا) أمر الائمة (يؤتكم الله أجرا حسنا) وان لم يبلغ أجر متابعتى الذى حرمتم بالتخلف أول مرة وان كان قتالهم أشد من قتال من اقاتلهم (وان تتولوا) عن أمرهم (كما توليتم) عن أمرى (من قبل يعذبكم عذابا أليما) على التولين جميعا وخص من هذا الوعيد أصحاب الاعذار وان حدثت بعد التخلف الاول (ليس على الاعمى حرج) ما وان امكنه القتال باحساس صوت مشى العدو ومشى فرسه لكن يصعب عليه حفظ نفسه عنه (ولا على الاعرج حرج) وان أمكنه القتال

(قوله عز وجل الهزل) أى والهلاع أسوأ الجزع اللعب

(باب الهاء المضمومة)

(قوله عز وجل هدى) رشد أو (قوله عز وجل هودا) أى يهودا فحذفت الياء الزائدة وقيل كانت نصارى

قاعد الكن لايمكنه الفر والكر ولا يقوى قوة القائم (ولا على المريض حرج) فانه وان
أمكنه الابصار والقيام فلا قوة له فى دفع العدو فضلا عن الغلبة عليه (و) هؤلاء وان فاتهم الجهاد
لا ينقص ثوابهم اذا اطاعوا الله ورسوله فان (من يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من
تحتها الانهار) لما فاتهم من فوائد الاطاعة (ومن يتول) عن اطاعتهما فانه وان كان أعمى أو
أعرج أو مريضا (يعذبه عذابا أليما) أشد من عذاب البصير والماشى والصحيح وكيف لا يكون
للمطيع لله ورسوله ذلك الاجر مع ان من بايع رسوله على الاطاعة استوجب رضوان الله فانه
(لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) على ان يطيعوا الله ورسوله فى العسر واليسر (تحت
الشجرة) سمرة أو سدرة وكان ظلها فى الظاهر من اسباب طمأنينة الباطن (فعلم ما فى قلوبهم) من
الاخلاص (فأنزل السكينة) أى الطمأنينة (عليهم) ليدوم عليهم رضوانه (و) مما يدل عليه
انه (أثابهم فتحا) لخيبر (قريبا) مع قوتهم وقتالهم (و) أثابهم وراء النصر على اعدائهم (مغانم
كثيرة يأخذونها) ليتقووا بها على فتح سائر البلدان (و) هى وان كانت تمدهم قوة لكن
(كان الله عزيزا) أى غالبا على قوتهم وانما جعلها لكم مع كونه معكم لكونه (حكيما)
ولكونها لاتنافى الاجر الاخروى جعلها دلائل الغنائم المستقبلة اذ (وعدكم الله) وراء هذه
المغانم الكثيرة (مغانم كثيرة تأخذونها) حال الغنى كأخذكم هذه حال الفقر ليعلم ان حلها
ليس للاضطرار (فعجل لكم هذه) المغانم الخيبرية لتثقوا بوعده فى المستقبل (و) جعلها غنائم
باردة اذ (كف أيدى الناس) أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان (عنكم ولتكون) عطف
على لتثقوا المحذوف أى الغنيمة الدنيوية (آية) على الغنائم الاخروية (للمؤمنين) لانهم لما
اثيبوا بها فى غير دار الجزاء ففى داره بطريق الاولى بخلاف الكفار اذ لا ثواب لهم فى الآخرة
(ويهديكم صراطا مستقيما) لانكم اذا ورثتم أموال الكفار فى الدنيا تستدلون بذلك على
انكم ترثون منهم الجنة وان الثواب الدنيوى دليل الثواب الاخروى لا عدمه وانما منع الكافر
من ثوابه لعارض الكفر وان التلذذ بالطيبات الدنيوية لا ينافى التوجه الى الله تعالى بل
يزيده اذا شكره عليها وانما ينافيه لو شغله (و) يجعل لكم غنيمة (أخرى) من هوازن (لم تقدروا
عليها) بل وليتم منهم الفرار لكن (قد أحاط الله بها) من غير وساطتكم فاعطاكم النصر بعد
الفرار (وكان الله على كل شئ قديرا) فقدر على جعل المغلوب غالبا (و) النصر بعد الانهزام
من خواص المؤمنين فانه (لو قاتلكم الذين كفروا) بعد الانهزام (لولوا الادبار ثم لا يجدون
وليا) يصلح امورهم (ولا نصيرا) يغلبهم وهذا وان لم يمتنع عقلا يمتنع عادة لكونها (سنة الله التى
قد خلت) أى مضت فى كفار الامم السالفة مع مؤمنيها (من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)
اذ لا تتبدل العادات الا بطريق المعجزة او الكرامة وليس أهل الكفر من احدى القبيلتين
(و) كيف ينصر الكفار بعد هزيمتهم على المسلمين وفيه من مزيد هتكهم وقد راعى حرمة مكة
بعد ما راعى حرمة المسلمين ونصرهم اذ (هو الذى كف أيديهم عنكم) رعاية لحرمتكم حين
خرج عكرمة بن أبى جهل فى خمسمائة الى الحديبية فبعث عليه السلام خالد بن الوليد

اليهود تنسب الى يهوذا ابن يعقوب فسموا اليهود وعربت بالدال (قوله عز وجل هون) هوان (قوله عز وجل هدنا اليك) أى تبنا اليك (قوله عز وجل هنالك) يعنى فى ذلك الوقت وهو من أسماء

وهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة (وأيديكم عنهم) اذ صاروا (ببطن مكة) أى داخلها رعاية لحرمتها (من بعد ان اظفركم عليهم) فامكنكم ان تستأصلوهم كيف (و) هو انما ينصر المسلمين بعد هزيمتهم بالنظر الى أعمالهم الصالحة اذ (كان الله بما تعملون بصيرا) ولا عمل للكفار يقتضى النصر بعد الهزيمة الواقعة بالقهر الالهى على اعمالهم اذ (هم الذين كفروا و) هو وحده يقتضى القهر لكن لم يقتصروا عليه بل مع ذلك (صدوكم عن المسجد الحرام) وهو فى معنى قطع الطريق على أهل الله ان يصلوا اليه (و) صدوا ايضا (الهدى) وهو ما ساقه عليه السلام من البدن سبعين فصار (معكوفا) أى محبوسا من ان يصل الى الله تعالى لانه منع (ان يبلغ محله) من الحرم الذى جعل بمنزلة حريم دار السلطان (و) هذه الجرائم بحيث تبيح هتك حرمة مكة لكنها انما كدت بحرمة أهل الايمان (لولا رجال مؤمنون و) لا تقتصر هذه الحرمة على أهل الكمال منهم بل لولا (نساء مؤمنات لم تعلموهم) لم يكف أيديكم عنهم فهو انما كفها كراهة (ان تطؤهم) أى تدوسوهم (فتصيبكم منهم معرة) أى مكروه من الدية والكفارة والتعيير والاثم بالتقصير فى البحث عنهم (بغير علم) وانما ترك هؤلاء المؤمنين هنالك فكف أيدى المسلمين عن الكفار (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) منهم بتوفيقه للاسلام لكنه ليس بمانع بالحقيقة لان العبرة بالحال لذلك (لو تزيلوا) أى لو تميز المسلمون منهم (لعذبنا الذين كفروا منهم) بالاسر والقتل (عذابا أليما) سيما (اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية) بانكار اسم الرحمن ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم لا غيرة لحق بل (حمية الجاهلية) وذلك انه عليه السلام لما نزل الحديبية فهم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليرجع من عامه وتخلى له مكة من القابل ثلاثة أيام فقال عليه السلام لعلى كرم الله وجهه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يبطشوا (فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) فتحملوا الآن قتالهم يفضى الى قتال من فيهم من المسلمين (والزمهم كلمة التقوى) فلم يسيؤا اعتقادهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحملوا ذلك على ضعفه (وكانوا أحق بها) لان من بعدهم تبع لهم (وأهلها) لان الله تعالى استأصلهم بصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم (وكان الله بكل شئ عليما) فراعى من فيهم من المسلمين ولما أزال شبهة موافقة الرسول المشركين على جميعهم أزال شبهة كذب رؤياه التى هى وحى وذلك انه عليه السلام رأى فى المنام انه واصحابه دخلوا المسجد الحرام آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فحسبوا ان ذلك فى عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت فقال عز وجل قبل الوقوع (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) فليظهرن كونه (بالحق لتدخلن المسجد الحرام) من القابل (ان شاء الله) ان لا يميت احدا منكم ولا يشغله بشغل آخر (آمنين) من الصد والقتال وان لم يأمن بعضكم التقصير فى تكميل النسك اذ يكون بعضكم (محلقين رؤسكم و) بعضكم (مقصرين لا تخافون) من المكر ولو دخلتم العام لمكر بكم (فعلم ما لم تعلموا)

من

المواضع ويستعمل فى اسماء الازمنة (قوله عز وجل وهدوا الى الطيب من القول) أى ارشدوا الى قول لا اله الا الله (قوله عز وجل همزة لمزة) معناهما واحد أى عياب ويقال الامز الغمز فى الوجه بكلام

من فائدة الصلح من رعاية المسلمين الذين بايدى الكفرة والامن من المكر وأنتم ترون فيه موافقة المشركين فى حمية الجاهلية من غاية الضعف وانكسر خاطركم (ف) جبره الله تعالى بان (جعل من دون ذلك فتحا) لخيبر (قريبا) يدل على عدم ضعف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف لا يزيل شبهة ضعف الرسول وكذب رؤياه مع انه امانعة من ظهور دينه لكن (هو الذى) باعتبار ذاته (أرسل رسوله بالهدى) أى الدلائل القطعية (ودين الحق) أى الاعتقادات الصائبة المطابقة لما هو الواقع أشد مطابقة (ليظهره على الدين كله) يدل على ان ارساله من ذاته شهادته على رسالته بصريح قوله الذى هو صفة ذاته اذ (كفى بالله شهيدا) أذ شهد له بقوله (محمد رسول الله) وجعله من المعجزة القولية الدالة بذاتها على صدق من ظهرت على يديه (و) قد ظهر دين الحق فى اصحابه اذ (الذين معه) اعتدلت قوتهم الغضبية بتبعية اعتدال المفكرة والشهوية اذهم (أشداء على الكفار) لرسوخهم فى صحة الاعتقاد بحيث يغارون على من لم يصح اعتقاده (رحماء بينهم) لعدم ميلهم الى الشهوات هذا باعتبار الاخلاق واما باعتبار الاعمال فأنت (تراهم) يتذللون لله بالتوسط تارة (ركعا) وبالافراط اخرى (سجدا) ولا بأس بالافراط فيه لانهم (يبتغون فضلا) أى ثوابا (من الله) الذى لا نهاية لفضله (ورضوانا) يقربهم اليه ولا غاية للقرب منه وهذا الابتغاء وان كان أمرا خفيا لكن يظهر أثره فى الظاهر اذ (سيماهم) أى علامة ابتغائهم ظهور النور (فى وجوههم من اثر السجود) فى تنوير الباطن بحيث يسرى الى الظاهر (ذلك مثلهم) أى صفتهم العجيبة التى ذكرها الله (فى التوراة) اما (مثلهم فى الانجيل) فهو انهم (كزرع أخرج شطأه) أى فراخه وهو ظهور انسانيتهم بالاعتقادات الصائبة (فآزره) أى قواه وهو بالدلائل العقلية والنقلية (فاستغلظ) أى انتقل الى الغلظ بالاعمال (فاستوى على سوقه) أى استقام على قصبه وهو بالاخلاق (يعجب الزراع) أى زراع الآخرة بما يظهر فيهم من العلوم والكرامات (ليغيظ بهم) أى بطريقتهم (الكفار) اذ ينالون بلا رياضة ما لا يبلغون بالرياضات الصعبة (وعد الله الذين آمنوا) بطريقتهم (وعملوا الصالحات) وان لم يكن لهم احوالهم ومقاماتهم (منهم مغفرة) لقصورهم (واجرا عظيما) فوق أجر العامة لحبهم اياهم *تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الحجرات)

سميت بها لدلالة آيتها على سلب انسانية من لا يعظم رسول الله غاية التعظيم ولا يحترمه غاية الاحترام وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى رسوله بحيث جعل التقديم على الرسول تقديما على الله (الرحمن) بنداء أهل الايمان ليقبلوا الى سماع خطابه (الرحيم) بأمره ونهيه (يا أيها الذين آمنوا) ناداهم ليقبلوا الى اصغاء خطابه وابهمهم ثم فسرهم ليقع عظمتهم فى أنفسهم مزيد وقع وقد وقعت فى الخطر عند ورود الخطاب الالهى عليها فلا بد من المبالغة فى حفظها بتقضى الخطاب ونبههم لينتبهوا انهم اسرار خطابه و بى

خفى والهمز فى القفا

(باب الهاء المكسورة)

(قوله عز وجل هيم) أى ابل يصيبها داء يقال له الهيام تشرب الماء فلا تروى يقال بعير أهيم وناقة هيماء

(باب لام الف)

بالماضي ليعلموا ان لهم التقديم في هذه الصفة فلا بد لهم من التحفظ عليها لئلا ينصرم انصرام
الماضي (لا تقدموا) أنفسكم ولا غيركم قولا أو حكما على قول الله ورسوله وحكمهما في الكتاب
والسنة فتصيروا كالسائرين (بين يدي الله ورسوله) وهو مناف للايمان لانه مبني على
تعظيمهما في الغاية والتقديم ينافيه (واتقوا الله) ان تخالفوا أوامره ونواهيه ففيه تقديم
لاهوية أنفسكم عليهما ولا يخفى عليه (ان الله سميع) لاقوالكم اللفظية والنفسية (عليم)
بما قدمتم عليه من أجله فيجزيكم عليه (يا أيها الذين آمنوا) كيف لا ينافي الايمان التقديم
على الله ورسوله وقد ينافي رفع الصوت فوق صوته (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي)
بما فيه من تقديم أصواتكم الى اسماع الحاضرين قبل صوته كيف (و) قد ينافي الجهر له بالقول
(لا تجهروا له بالقول) وان لم يفق صوته (كجهر بعضكم لبعض) لاشعاره بقلة المبالاة به فيخاف
من ذلك زوال الايمان المقتضي (ان تحبط اعمالكم) ولا يتوقف على قصد قلة المبالاة به
بل يكفي الاشعار فيكون محبطا الاعمالكم (وانتم لا تشعرون) لعدم قصدكم قلة المبالاة به
(ان الذين يغضون أصواتهم) أي يبالغون في خفضها (عند رسول الله) وان لم يؤمروا بها
(أولئك الذين) احتاطوا لمزيد التقوى اذ خافوا الوقوع في الجهر وانما اتقوا هم لانهم
(امتحن) أي اختبر (الله قلوبهم) فوجدها كاملة لان تصير وعاء (للتقوى) فهم وان أخرجوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى استفهام كلامهم (لهم مغفرة) لانهم زادوا في توقيره (و) كيف
لا ومقتضاه (أجر عظيم) يدفع ذنب الاخراج الى الاستفهام وليس هذا الغض والجهر
مخصوصين بحضوره عليه السلام بلا حائل بل (ان الذين ينادونك) أي يدعونك ولو من غير
جهر بعضهم لبعض وقد ناداه من ورائها عيينة بن حصين والاقرع بن حابس (من) جهة
(وراء) أي خارج (الحجرات) عند كونك فيها استعجالا لخروجك اليهم ولو بتركك ما أنت فيه
من الاشتغال (أكثرهم لا يعقلون) اذ لا يفعل محتشم ولا يفعل لمحتشم فلا يراعون حرمة
أنفسهم ولا حرمتك ونسب الى الاكثر لانه قد يتبع عاقل جماعة الجهال موافقة لهم (ولو انهم
صبروا حتى تخرج) أي ولو ثبت صبرهم الى حين خروجك (اليهم لكان خيرا لهم) لان خروجه
باستعجالهم ربما يغضبه فيفوتهم فوائد رؤيته وكلامه وان صبروا استفادوا فوائد كثيرة
مع اتصافهم بالصبر ورعاية الحرمة لنبيهم وانفسهم (و) هذا وان كان اساءة للادب منهم مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن لكونهم في حكم المجانين يغفر لهم اذ (الله غفور) بل
يرحمون بفوائد رؤيته عليه السلام وكلامه لانه (رحيم) واذا كان الصبر خيرا في الاخذ من
الرسول عليه السلام فكيف لا يكون خيرا في الاخذ من الفاسق الى التبين (يا أيها الذين آمنوا
ان جاءكم فاسق) لا يمنعه ايمانه من الكذب كما لا يمنعه من سائر المعاصي (بنبأ) عن قوم يقتضي
ايذاءهم (فتبينوا) أي فاستظهروا صدقه من كذبه بطريق آخر كراهة (أن تصيبوا قوما)
اذية (بجهالة) باستحقاقهم اياها ثم يظهر لكم عدم استحقاقهم (فتصبحوا على ما فعلتم) من
ايذائهم (نادمين) وحق المؤمن ان يحترز عما يخاف منه الندم في العواقب (واعلموا ان فيكم)

(قوله عز وجل لاعنتكم) أي لاهلككم ويقال لكلفكم ما يشتد عليكم (قوله عز وجل لاوضعوا خلالكم) أي لاسرعوا فيما بينكم يعني بالنمائم وأشباه ذلك والوضع سرعة السير

من

من الجهل ما يفوق جهل المنادى من وراء الحجرات وجهل الاخذ بنبأ الفاسق بلا تبين وهو انكم ترون ان على الرسول ان يأخذ بكل ما تشيرون له فكانكم لا تعلمون ان فيكم (رسول الله) فحقكم ان تطيعوه فى كل ما يشير اليكم ولا تنتظروا اطاعته فى كل ما تشيرون له فانه (لو يطيعكم فى كثير) فيه اشارة الى انه لا بد وان يأخذ ببعض ما تشيرون له اذا امر بمشاورتكم (من الامر لعنتم) أى اهلكتم باعتقادان رأيكم أجل من رأيه وهو يمنعكم من الايمان به (ولكن الله حبب اليكم الايمان و) عارض زينة رأيكم زينة الايمان به اذ (زينه فى قلوبكم و) لم يجعلها بحيث تفيد أدنى ترجيح له على الكفر بل (كره اليكم الكفر و) بالغ حتى كره اليكم مقدماته أعنى (الفسوق) أى الخروج عن مقتضى الدلائل (و) لواحقه أعنى (العصيان) أى مخالفة أوامره ونواهيه (أولئك) وان كان فيهم هذا الجهل (هم الراشدون) لانهم عارضوه بما هو رشد محض وهم وان كانوا مختارين فى ذلك فاختيارهم فرع تحبيب الله وتكريهه فكان (فضلا من الله و) كيف لا وقد كان (نعمة) مع وجود المانع وهو الجهل (و) لم يكن (الله) بفضله عليهم متحكما لانه (عليم) باستعدادهم وهو وان لم يوجب عليه شيأ فلا يفعل على خلاف الحكمة وهو (حكيم و) من الجهل الذى لا يندفع بحب الايمان وكراهة الكفر اقتتال المؤمنين بالشبهة الباطلة ظنا (ان) اقتتل (طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) بالشبهة (فاصلحوا بينهما) بازالتها (فان بغت) أى تعدت بعد ظهور ضعف الشبهة (احداهما على الاخرى) تفرقا (فقاتلوا) باتباع الامام الطائفة (التى تبغى) أى تستمر على البغى (حتى تفئ) أى ترجع (الى أمر الله) من اطاعة الامام (فان فاءت) فطلبت كل طائفة منهما ما أخذ منها (فاصلحوا بينهما بالعدل) برد العين وقيمة ما أتلف بعد القتال (وأقسطوا) فى التقويم (ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون أخوة) فلا ينبغى ترجيح جانب واحد دون آخر فى التقويم فان اختلف اثنان فى تقويم شئ (فاصلحوا بين أخويكم) بما يقع الاتفاق بينهما (واتقوا الله) فى ترجيح جانب واحد على جانب الآخر (لعلكم ترحمون) بما يفوق رحمة من ترحمون جانبه ولما نهى عن قتال المسلمين نهى عن دواعيه المقاتلين فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى الايمان ان لا يرى الشخص نفسه خيرا من غيره (لا يسخر قوم من قوم) فيرى نفسه خيرا من المسخور من غير علم (عسى أن يكونوا خيرا منهم) عند الله ثم عمم غير المقاتلين فقال (ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) فانهن وان كن أكثر أهل النار فلعل ما فى هذه الطائفة المسخورة أقل ما فى الطائفة الساخرة (و) كالتعييب بالافعال (لا تلمزوا) أى لا تعيبوا أخاكم لانكم تعيبون به (أنفسكم) لمباشرتها ما نهى عنه وهو قبيح (و) كالدعوة بلقب السوء (لا تنابزوا) أى لا يدع بعضكم بعضا (بالالقاب) السيئة لانه نسبة الى الفسوق الزائل بالايمان (بئس الاسم) أى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين (الفسوق) ان تذكروا به (بعد الايمان) الذى ازاله لايهامه انه لم يزله (و) هذه وان كانت صغائر لكنها اذا اجتمعت صارت فى معنى الاصرار على صغيرة وهو فى معنى الكبيرة على انها حقوق الخلق فهى أشد لذلك (من لم يتب فأولئك هم الظالمون) ولما فرغ من

(قال أبو عمر الايضاع أجود ويقال وضع البعير واوضعته انا (قوله عز وجل لا جرم ان الله) بمعنى حقا (قال أبو محمد لا رد لقولهم) أى ليس الامر كما ذكرتم جرم انهم فى النار أى كسبهم النار يقال كسبت الرجل الشئ يعنى ملكته اياه ومنه قول

المنفرات الظاهرة شرع فى المنفرات الباطنة ككثير ظن السوء فقال (يا أيها الذين آمنوا)
مقتضى ايمانكم اجتناب الاثم وهو من لوازم تكثير ظن السوء (اجتنبوا كثيرا من الظن)
السوء (ان بعض الظن) الذى هو من لوازم تكثيره (اثم) وهو الكذب (و) كالتجسس
(لا تجسسوا) أى لا تبحثوا عن عورات المسلمين لما فيه من كشف ستر الله (و) كالغيبة (لا يغتب
بعضكم بعضا) بان يذكره بما يكره وهو غائب فاتلاف العرض كاتلاف اللحم فى الايلام والغائب
كالميت فى الغفلة وهو لكونه مؤمنا كالاخ (أيحب أحدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا) فلو عرض
عليكم نفرت عنه نفوسكم (فكرهتموه) وكذا ينبغى ان تكرهوا الغيبة (واتقوا الله) ان لم
تكره نفوسكم الغيبة بعد هذا التمثيل وهذه وان كانت حقوق الخلق يمكن ازالتها بالتوبة
بالاستحلال من صاحبها ان امكن وبالتصدق والدعاء والتضرع الى الله ان لم يمكن (ان الله تواب
رحيم) ثم أشار الى أن منشأ هذه الرذائل الكبر واجله الفخر بالآباء والامهات (يا أيها الناس)
الذين نسوا انسبتهم الى خالق الله وذكروا النسبة الى الآباء والامهات (انا خلقناكم) فاذا
لم تفتخروا بهذه النسبة لاستواء الكل فيها فكيف تفتخرون باعتبار كونكم (من ذكر وانثى)
مع استواء الكل فيه (و) غاية فخركم بالشعوب والقبائل لكن (جعلناكم شعوبا) جمع
شعب أصل يجمع قبائل (وقبائل) تجمع عمائر تجمع بطونا تجمع افخاذا تجمع فصائل فخزيمة
شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة (لتعارفوا) أى
ليعرف بعضكم بعضا لا لتفاخروا ولو صح فبالتقوى لايجابها الكرامة عند الله (ان أكرمكم
عند الله أتقاكم) ولا عبرة بالكرامة عند غيره لان مرجعها الى الذلة لكن التفاخر انما يكون
بالامر الظاهر والتقوى من البواطن فالكرامة بها انما تكون عند الله لاحاطته بالظواهر
والبواطن (ان الله عليم) بالظواهر (خبير) بالبواطن ودلالة ظواهر الاعمال على التقوى
كدلالة كلمة الاسلام على الايمان فى الخلق (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا) وان أخبرتم عنه
فالخبر كاذب (ولكن قولوا أسلمنا) أى تكلمنا بكلمة الاسلام (و) الايمان وان كان متصورا
ابباطنكم حتى عبرتم عنه لكن (لما يدخل الايمان فى قلوبكم و) لا تفيدكم أعمالكم بدونه
اذ لا طاعة فيه لله ولرسوله (ان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم) أى لا ينقصكم (من أعمالكم شيأ)
كما ينقص الاجر الاخروى بدون اطاعتهما بل يغفر لكم ويرحمكم وراء أجورها (ان الله
غفور رحيم) فان زعموا انا مطيعون لله ولرسوله بهذا الايمان الظاهر يقال لهم ليس المؤمن
بالايمان الظاهر مؤمنا مطيعا (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) فى الظاهر (ثم لم يرتابوا)
فى الباطن (و) يدل عليه فى الظاهر الجهاد فهم الذين (جاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله)
اعلاء لكلمته (أولئك) لا يتوهم عليهم النفاق بل (هم الصادقون) فى دعوى الايمان فان زعموا
انه انما يحتاج الى دليل الايمان فى حق الخلق لا فى حق الله فيكفى فى حقه انا مؤمنون فى أنفسنا
(قل) قولكم انا مؤمنون ان كان أخبارا للخلق فلا دليل على صدقه وان كان للحق فلا معنى له
(أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) كيف (والله) باعتبار الهيته

قول الشاعر * ولقد طعنت أبا عيينة طعنة * جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا) * أى كسبتهم الغضب (قوله عز وجل لاحتنكن ذريته) لاستأصلنهم يقال احتنك الجراد الزرع اذا أكله كله ويقال هو من حنك دابته

بكل

بكل شئ عليم) ومما يدل على عدم ايمانهم انهم (يمنون عليك أن أسلموا) بالاقرار بنبوتك وبمتابعتك فى الاعمال (قل لاتمنوا على اسلامكم) لكذب هذا الاقرار وبطلان هذه الاعمال فان كان الاقرار صادقا والاعمال صحيحة فلامنة لكم على ولا على الله (بل الله يمن عليكم) ولى فى منته دخل (أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين) لكن علم الله من قلوبكم انكم كاذبون لاطلاعه على الغيوب (ان الله يعلم غيب السموات والارض و) لايغره عملكم الظاهرة اذ (الله بصير بما تعملون) من اين نشأ عملكم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وآله أجمعين

(سورة ق)

سميت به لدلالته أو بدلالته على أسماء الله تعالى المقتضية ارسال الرسل فهى دلالة لمية وهى من اعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى باسمائه فى مقطعات فواتح سور كتابه (الرحمن) بانزاله مع مجده (الرحيم) بانذاره عن النقائص لافضائها الى اسوا العواقب (ق) أى اقسم باسمى القادر على الارسال والانزال والبعث والجزاء أو القدوس المقتضى للتطهير عن النقائص أو القابض حق المظلوم من الظالم والأعمال الصالحة اذا قبلها أو القائم على كل نفس بما كسبت (والقرآن المجيد) أى الشريف الذى لايكون الامن ماجد الى ماجد وجواب القسم محذوف وهو انك مرسل بمقتضى هذه الاسماء وبدلالة هذا القرآن وكانه مشتمل على لميته وانيته وقدم اللمية لتقدم رتبتها ثم ذكر الانية لقصور افهام العامة عن ادراك اللمية فلم يشكروا شيأ من هذه الاسماء ولا لمجد القرآن (بل) دلالتها على ارسال البشر اذ (عجبوا أن جاءهم منذر منهم) وعجبوا من انذاره العذاب بعد البعث (فقال الكافرون) بدلالة هذه الدلائل (هذا) المدلول الذى هو البعث (شئ عجيب) لووقع (أئذا متنا) أى أنرجع اذا متنا ولم نرمتا رجع (و) ان أمكن رجوع ميت أنرجع اذا (كنا ترابا) وان سلم دلالة هذه الاسماء والقرآن المجيد على ذلك فلاشك ان (ذلك رجع بعيد) لانه استدلال فى مقابلة أمر علم عدمه بالضرورة فاجيب بانه لايصير جميع أجزاء الميت ترابا بل يبقى الجزء الاصلى الذى هو عجب الذنب ولا يبعد علينا قلب أحوال تلك الاجزاء بعينها اذ (قد علمنا ماتنقص الارض منهم) وكيف لا (وعندنا كتاب حفيظ) لكل جزء فلايختلط بسائر الاجزاء وليس تكذيبهم لهذا تكذيبا لما علم بطلانه بالضرورة (بل كذبوا بالحق) لاحال غيبته بل (لما جاءهم) لكونه من الاوليات لكنهم توهموا انها من الوهميات التى تشبه الاوليات (فهم فى أمر مريج) أى مختلط وانما جعلوها من الوهميات لعدم جريان العادة بالبعث (١) ينكرون البعث لعدم جريان العادة به مع ان خلق الامور العظام ليس بطريق العادة (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم) لايتكرر خلقه وقد علموا من عادته رعاية الحكمة فلم يروا (كيف بنيناها) والبعث من مقتضى الحكمة (و) قد علموا أيضا ان من عادته رعاية الحسن والكمال وتدارك الخلل فى الامور العالية التى من جملتها الانسان فلم يروا كيف (زيناها) فلابد له من تزيين الانسان بالاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة فى الدنيا

اذا شد حبلا فى حنكها الى الاسفل يقودها به أى لاقتادنهم كيف شئت (قوله عزوجل لاهية قلوبهم) يعنى شاغلة غافلة ساهية مشغولة بالباطل عن الحق وتذكره (قوله عزوجل لازب) ولازم ولاتب ولاصق بمعنى واحد والطين اللازب

ثم بالثواب فى الآخرة (و) قد علموا من عادته ان لا يترك فى الامور العالية خللا لذلك (ما لها من فروج) أى فتوق فكيف يترك خلل الانسان بالاخلاق الرديئة والاعمال الطالحة ثم كيف لا يتدارك ذلك بالعقاب فى الآخرة (و) لا يبعد منا خلق الانسان من عجب الذنب فانه كمد الارض اذ (الارض مددناها و) لا يبعد منا ضم الاجزاء الفضلة اليها تقويتها كما (ألقينا فيها رواسى) لتقريرها (و) لا يبعد منا انبات الجزاء من الاعمال كما (أنبتنا فيها من كل زوج بهيج) أى صنف حسن وانما دللنا بهذه الامور على ما ذكرنا لانا خلقناها (تبصرة) للامور الاخروية بالدنيوية (وذكرى) للامور المعقولة بالمحسوسة لكنهما انما يحصلان (لكل عبد منيب) أى راجع الى الله تعالى بالتصفية فانه يريه بنوره المذكورات بواسطة هذه الامور (و) من لم ينب أخذ من الكتاب السماوى فانا أنزلناه مباركا كما (نزلنا من السماء ماء مباركا) كثير المنافع (فأنبتنا به جنات) أشجارا وثمارا (وحب الحصيد) أى الزرع الذى من شأنه أن يحصد (والنخل باسقات) أى طوالا (لها طلع نضيد) أى متراكم بعضه فوق بعض كذلك انبتنا بالكتاب جنات العلوم وحب الاعمال المنقطعة ونخل الاعتقادات الالهية والنبوية والامور الاخروية المثمرة للقرب والثواب رزقا للخواص كما كانت (رزقا للعباد) كيف (و) لم نقصد الرزق الدنيوى فقط بل الدلالة على الاخروى أيضا اذ (أحيينا به بلدة ميتا) فكما خروج النبات من بذور الارض (كذلك الخروج) أى خروج الانسان من بذر عجب الذنب وخروج الجزاء من بذر الاعمال ثم ان هذا الاستدلال لو كان فى مقابلة أمر علم عدمه بالضرورة لم يهلك المجادل عليه والمكذب له لكن قد جرت السنة الالهية باهلاك المكذبين قبلهم فانه (كذبت قبلهم قوم نوح) وجادلوه وضربوه (وأصحاب الرس) وهو بئر كانوا على شفاه فانهار بهم بعد ما جادلوا وقتلوا نبيهم حنظلة بن صفوان (وثمود) الذين جادلوا صالحا وقتلوا الناقة (وعاد) الذين جادلوا هودا فى أصنامهم (وفرعون) الذى جادل موسى فى الهية الله (واخوان لوط) المجادلون فى اتيان الرجال (وأصحاب الايكة) المجادلون شعيبا فى الكيل والوزن (وقوم تبع) المجادلون امامهم وعلماءهم فى الدين (كل) وان عمل اعمالا لم يؤخذ عليها وانما أخذ على التكذيب اذ (كذب الرسل) فى استدلالهم على الامور الاخروية والتوحيد (فحق وعيد) فلا يستبعد تحقق الوعيد الاخروى فان زعموا انه انما يستبعد لترتبه على البعث المحال (أ) يعجزونا عن البعث مع انه مثل الخلق الاول (فعيينا) أى عجزنا عن تعليق قدرتنا (بالخلق الاول) لا يمكنهم القول بذلك (بل هم فى لبس من خلق جديد) أى فى شبهة من شبهات امتناع اعادة المعدوم ولا علقة لتلك المسئلة بما نحن فيه لانه يجمع الاجزاء المتفرقة وتلك الشبهات وجوه أحدها لو فرضنا اعادة معدوم وهو قادر على ايجاد مثله مستأنفا فلا يتميز المعاد عن المستأنف قلنا يتميزان بالهوية ولا عبرة بعدم التميز عندكم الثانى لو أعيد بجميع العوارض لاعيد وقته الاول والموجود فيه مبتدأ لا معاد قلنا انما يكون مبتدأ لو لم يكن وقته معادا الثالث لو صح اعادة المعدوم لاتصف المعدوم بصحة العود وهو يستدعى تميزه قلنا صحة

هو المتلزج المتماسك الذى يلزم بعضه بعضا ومنه ضربة لازب ولازم أى أمر يلزم (قوله عز وجل لات حين مناص) أى ليس حين مناص أى ليس حين فرار ويقال لات انما هى لا والتاء زائدة (قوله عز وجل لاغية) أى لغو ويقال لاغية أى قائلة لغوا

العود صفة اعتبارية فلا تقتضى امتيازا فى الخارج والامتياز الذهنى يعم الكل الرابع ان
تخلل العدم بين الشئ ونفسه محال فالوجود بعد العدم غير الوجود قبله قلنا التخلل انما هو
لزمان العدم بين زمانى الوجود ويكفى التغاير الاعتبارى (و) انما لم نشتغل بحل هذه الشبهات
لعدم توقف مسئلة البعث على مسئلة اعادة المعدوم مع انها من دقائق الفلسفة والا فكيف
يجهل ذلك مع انها مخلوقة لنا فانا (لقد خلقنا الانسان) فأعراضه مخلوقة لنا (و) من جملتها
وساوسه فنحن (نعلم ماتوسوس به نفسه) وكيف لانعلمها (ونحن أقرب اليه) لا بالمكان
ولا بالزمان ولا بالرتبة بل بالذات من غير اختلاط ولا حلول ولا اتحاد (من حبل الوريد) أى
من العرق الوارد من الرأس الى مقدم العنق ولو لم نقرب اليه يكفى قرب من يقرب الينا من
الملائكة (اذ يتلقى) هذه الوساوس عند تقررها لتكتب نيات صالحة أو طالحة (المتلقيان) من
الملائكة أحدهما (عن اليمين) أى عن يمين القلب قعيد يكتب الحسنات كل حسنة بعشر أمثالها
أو أكثر (و) الآخر (عن الشمال قعيد) يكتب السيئات كل سيئة بمثلها ليكونا شاهدين
عليه وخص اليمين لكونه جانبا قويا بعمل يقتضى قوة بها قاهر النفس والشيطان والشمال
لكونه جانبا ضعيفا بعمل ضعف فيه عن قهرهما فاذا لم تتقرر فان عمل بها أو تلفظ كتبت عليه
فانه (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب) أى منتظر (عتيد) أى حاضر واذا كتب اللفظ الذى
هو ترجمة النية لدلالته على تقررها فالعمل الذى هو أدل عليه أولى بالكتبة (و) من لم يخرج
عن هذا اللبس بما ذكرنا خرج عنه بسكرة الموت اذ (جاءت سكرة الموت) أى شدته الغالبة
على العقل (بالحق) أى بالكشف الذى لايعرضه شبهة عن الامور الغيبية فيقال له (ذلك
ما كنت منه تحيد) أى تميل وتفر عنه عند تمام الدلائل عليه والآن لايمكنك ذلك لكن هذا
الكشف خيالى (و) للحسى (نفخ فى الصور) لرد الارواح الى الاجساد الحاملة للقوى
الحاسة كلها ولابد من رد جميعها لتذوق أنواع العذاب كما ذاقت أنواع اللذات المحرمة (ذلك
يوم الوعيد) الذى وعده أن يجزى كل سيئة بمثلها (و) لتحقيق الوعيد فيه (جاءت كل نفس
معها سائق) من أعمالها والملائكة الى مكان جزائها (وشهيد) من أجزائها والملائكة ثم يقال له
(لقد كنت) مع قيام الدلائل عليه (فى غفلة من هذا) عن الحجاب (فكشفنا عنك غطاءك)
وهو وان كان بدنك وحواسك فقد استنارت اليوم بنور يكشف لها عن ذلك (فبصرك اليوم
حديد) أى نافذ (و) يتأثر به سائر حواسك اذ (قال قرينه) الذى هو الشيطان الملحق بالسائق
والشهيد فيتخلص بمجرد ذلك من العذاب (هذا مالدى) أى شئ فى قبضتى فانا سائقه (عتيد)
أى مهيأ للنار أشهد بذلك عليه فيقال للسائق والشهيد من الملائكة (ألقيا فى جهنم كل)
واحد منهما والشيطان أولى لاتصافه بوصف (كفار) أى مبالغ فى الكفر (عنيد)
لايسمع دليلا فى مقابلة كفره وقد زاد على العناد بوصف (مناع للخير) الكلى هو الايمان
(معتد) أى متجاوز الحد فى العناد والمنع (مريب) أى موقع صاحبه فى الريب مع كثرة الدلائل
فانى يحصل له التخلص من العذاب بمجرد هذا السوق أو هذه الشهادة وقد استحق الشدة بهذه

(قوله عزوجل لايلاف
قريش الايلاف مصدر
الفت وآلفت مورد بمعنى
الفت قال ذوالرمة
من المؤلفات الرمل
وقيل هذه اللام موصولة
بما قبلها المعنى فجعلهم
كعصف مأكول لايلاف

الوجوه ويكفيه للشدة وجه واحد هو انه (الذى جعل) بتعلقه بالصنم (مع الله الها آخر) اذ اوهم الهيته (فالقياه) اهذا الوجه ولم تلقوه للوجوه المذكورة (فى العذاب الشديد قال قرينه) لما رأى انه معذب من هذا الوجه فطلب التخفيف (ربنا ما أطغيته) بالارابة ومنع الاسلام وجعل اله آخر معك (ولكن كان فى ضلال بعيد) بنفسه فوافقته على ذلك فلم تعذبنى ملازمة لك على جميع هذه الوجوه (قال لا تختصموا) أى لا تشكوا تعذيبهم (لدى) بعد ما أمرتهم (و) ما أمرتهم الا بعد ما (قد قدمت اليكم) فى كتبى وعلى السنة رسلى (بالوعيد) على جعل الاله مع الله والارابة ومنع الاسلام والوعيد وان جاز تخصيصه بالوعد فى مقابلته لكن (ما يبدل القول لدى) بالابطال الكلى على انه انما يستحق الابطال ما فيه ظلم (وما أنا) بالتعذيب بالنار ظالما (بظلام للعبيد) فنفى المبالغة فيه نفى لاصل الظلم بطريق الكناية وكيف أظلمهم بوعد يقتضيه ظاهره افانى وعدت النار أن أملأها من الجنة والناس فلا أملؤها بالبرآء (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) فلو كنت موفيا بوعدها بالظلم لملأتها بالبرآء لكن أملؤها بوضع قدمى أى بقهرها قهر من يضرب بالقدم (و) كيف أظلم البرآء بادخال النار ولم أظلمهم بابعاد الجنة عنهم اذ (أزلفت الجنة) أى قربت (للمتقين) ومجاوزتهم الصراط كعدمها اذ هى كالبرق الخاطف فكان وصولهم اليها (غير بعيد) بل يقال لهم فى الموقف (هذا ما توعدون) فكأنهم أدخلوها وهم فى الموقف كيف وهى مرجعهم اذ هى (لكل أواب) أى رجاع الى الله تعالى وقد حفظوا عن أهوال الموقف لاتصافهم بوصف (حفيظ) أى مبالغ فى الحفظ لانه لم يعتمد على رحمة الله ليجترئ على معاصيه بل هو (من خشى الرحمن بالغيب) لان أمره فى الرحمة والانتقام غيب وكذا أمر التوبة بعد الاجتراء على المعصية (و) مع خشيته للرحمن لم يفرغ عنه بل (جاء بقلب منيب) أى راجع اليه فسلم قلبه عن الالتفات الى ما سوى الله وسلمت جوارحه عن المعاصى وسلمت طاعته عن القوادح لذلك قيل لهم (ادخلوها بسلام) عن أهوال يوم القيامة كالحساب والميزان والصراط بل (ذلك) أى يوم البعث فى حقهم (يوم الخلود) فى الجنة وليس المراد انهم يخلدون فيها فى نعمة بعينها بل (لهم ما يشاؤن فيها و) لا يقتصر فى حقهم على نعيم الجنة بل لهم (لدينا مزيد) على الجنة وهو رؤية وجه الله تعالى الكريم (و) كيف لا يخشى الرحمن بالغيب مع انا (كم أهلكنا قبلهم من قرن) وكيف يعتمد على رحمته فى الحال وكان قدرحمهم بمزيد القوة اذ (هم أشد منهم بطشا) ورحمهم بالاستيلاء على الخلق (فنقبوا) أى تصرفوا (فى البلاد) ثم أهلكوا أهلاكا يقال فيه (هل من محيص) أى مفر (ان فى ذلك) الاهلاك بعد تلك الرحمة (لذكرى) أى تذكرة (لمن كان له قلب) صاف فانه لا يعتمد على رحمته بصفاته لما يرى من كثرة تقلبه بما يكدره (أو) لم يكن له قلب ولكن (ألقى السمع) لما أجرى الله على ألسنة أنبيائه وأوليائه (وهو شهيد) أى حاضر القلب فانه يخاف أن ينقلب قلبه من الحضور الى الغيبة ومن الطاعة الى المعصية وكيف لا يخاف تقليباتنا (ولقد خلقنا السموات) متقلبة بالحركة الدائمة (والارض وما بينهما)

متقلبة

قريش أى أهلك الله أصحاب الفيل لتألف قريش رحلة الشتاء والصيف وكانت لهم فى كل سنة رحلتان رحلة الى الشام فى الشتاء ورحلة الصيف الى اليمن

(باب الباء المفتوحة)

(قوله عز وجل يشعرون) يفطنون (قوله يستهزئ بهم)

متقلبة عناصرهما من صورة الى أخرى مع ان أصل ايجادهما بتقليب سريع اذ كان (فى ستة أيام) كيف (و) لا يعسر علينا التقليب اذ (مامسنا) فى تقليب السموات والارض (من لغوب) أى تعب فان أنكروا تقليب الرحمة بالعذاب (فاصبر على مايقولون وسبح) أى نزه ربك من أن يعجز عن هذا التقليب كيف ولا يناقض الحكمة فاجعل تسبيحك ملتبسا (بحمد ربك) وتوقع تغييره كما يتوقع فى العالم (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب و) ان حصل للحجاب (من الليل فسبحه) لتستنير بنور تنزيهه (و) كذا اذا حصل للحجاب نورانى من العبادة فسبحه (أدبار السجود) لتستنير بنوره لا بنور العبادة (و) لا يبعد استنارة المحتجب بالحجب الظلمانية بنوره فانه لا حجاب أعظم من الموت والاموات يستنيرون بنور اسرافيل فى صوته وهو أضعف من نور الله (استمع يوم يناد المناد) اسرافيل أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فيلخبر اسرافيل الموتى بنوره ليسمعوا نداءه (من مكان قريب) وذلك لاستنارته بنور ربه فاستمع (يوم يسمعون الصيحة) المستنيرة (بالحق) فكما كانت الاستنارة بنور الله مخرجة من حيز البشرية الى ما يناسب الالهية كانت الاستنارة بنور اسرافيل مخرجة من حيز الموت الى الحياة ومن ثم (ذلك يوم الخروج) وكيف لا يكون التنوير الاسرافيلى من استنارته بنورنا مع انه يفيدهم الحياة المنسوبة الينا (انا نحن نحيي) بافاضة نور الحياة منا عليه (ونميت) بقطعه وكيف لا يعود الينا فعل اسرافيل من الاحياء والاماتة (والينا المصير) بهذا الاحياء اذ يصيرون الينا (يوم تشقق الارض عنهم) بتأثير أرواحهم فيها عن استنارتهم بنورنا بحيث تغلب روحانيتهم على جسمانيتهم حتى يصيروا (سراعا) فى الوصول الينا (ذلك) الحشر الذى تغلب فيه الروحانية على الجسمانية وان عسر على غيرنا (حشر علينا يسير) اذ يسهل علينا تغليب الروحانية على الجسمانية ولما بالغ فى بيان الحشر بسهولته بالغوا فى الانكار عليه فقال عز وجل (نحن أعلم بما يقولون) فنقهرهم بمقتضى مايقولون وبمقداره (و) أنت وان كنت سبب هذا القهر (ما أنت عليهم بجبار) تقهرهم فى الحال الا بالزام الحجة ولكن انما يبالى بها من عرف صدق الوعيد واعترف بحقية القرآن المتضمن له (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) *تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة والذاريات)

سميت بها لانها مبدأ الخيرات فأشبهت العناية الالهية (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الذاريات (الرحمن) بايجاد الحاملات والجاريات (الرحيم) بايجاد المقسمات (والذاريات) أى الرياح التى تذرى البخارات (ذروا) أى نوعا من الذرو ليعقدها سحبا وهو مثال العناية الالهية المذرية للوحى العاقدة للنبوة (فالحاملات وقرا) اى السحب الحاملة للامطار المنبتة للزروع والاشجار لافادة الحبوب والثمار وهو مثال حمل النبوة للعلوم المفيدة للمعارف والاعمال والاخلاق المفيدة للجزاء والقرب (فالجاريات يسرا) أى السفن التى

يجازيهم جزاء استهزائهم (قوله تعالى يظنون أنهم ملاقوا ربهم) أى يوقنون ويظنون ايضا يشكون وهو من الاضداد (قوله عز وجل يسومونكم) أى يولونكم ويقال يريدونه منكم ويطلبونه (قوله عز وجل ويستحيون نساءكم)

تجرى عند حملها تلك الحبوب والثمار بتلك الرياح جريا لا يتيسر بدونها وهو مثال انتقال تلك العلوم من النبي صلى الله عليه وسلم الى الصحابة ومنهم الى سائر العلماء فى البلدان (فالمقسمات أمرا) أى فالملائكة التى تقسم الارزاق على اهل البلدة التى هى منشأ الزروع والاشجار والتى جرت اليها السفن وهو مثال اقتسام الجزاء الى الدنيوى والاخروى أقسم الله سبحانه وتعالى بهذه الامور المترتبة المنتهية الى التقسيم المذكور (انما توعدون) من اقتسام الجزاء الى الثواب والعقاب الاخرويين المترتب على ماذكر (لصادق) صدق نظيره مع تأكده بالوعد (وان الدين) أى الجزاء المنقسم الى الدنيوى والاخروى (لواقع) وقوع نظيره مع تأكده بوقوع أحد القسمين ثم أشار الى ابطال قول من أبطله بالبديهة بقوله (والسماء ذات الحبك) أى الطرق المختلفة التى هى دوائر سير الكواكب (انكم) وان تمسكتم بما يعظم عندكم (لفى قول مختلف) فى أمر الجزاء والاختلاف فى البديهيات لا يعتد به وذلك لان منكم من ينكره بالكلية ومنكم من يخصه بالدنيا ومنكم من يخصه بالامر العقلى ومنكم من يخصه بالامر الحسى ومنكم من يقول بالكل ثم قال (يؤفك عنه) أى يصرف عن القول بالجزاء الاخروى (من أفك) أى صرف عن الحق الصريح اذ الظالم فيها كثيرا ما يكون أحسن حالا من المظلوم فلا بد لعدل الحق من دار أخرى ينتصف فيها البتة للمظلوم من الظالم ولم يؤفكوا لاتباعهم الدلائل بل لاخذهم بالخرص والتخمين فانه (قتل الخراصون) أى لعن الآخذون بالتخمين مع ترك دلائل اليقين (الذين هم فى غمرة) أى جهل يغمرهم بوجوب اتباع الدلائل القاطعة وترك الالتفات الى الشبهات الواهية (ساهون) أى غافلون عن المناقشات فى شبهاتهم وتلك الشبهات مثل انهم (يسئلون أيان يوم الدين) أى متى يكون يوم الجزاء فان الجهل بوقت وقوعه يدل على جهلكم باصل وقوعه وقصدوا بذلك ان يوقفوا الاقرار بوقوعه على مشاهدته لكن مشاهدته انما تكون (يوم هم على النار يفتنون) اى يحرقون لانكارهم اياه فاذا أرادوا الايمان به عند رؤيته قيل لهم (ذوقوا فتنتكم) التى طلبتموها للاقرار بها بل استعجلتموها قبل وقتها (هذا الذى كنتم به تستعجلون) حصوله فى الدنيا لتؤمنوا عند رؤيته ولا يعتد بذلك الايمان وانما يعتد بايمان من اتقاه فيقال لهم تحسيرا (ان المتقين) من توقيف الاقرار بالجزاء على مشاهدته ومن القول بالخرص والتخمين فى الامور الاعتقادية ومن الكفر بالعناد والمعاصى (فى جنات) من اعتقاداتهم وأعمالهم (وعيون) من لطائفهما ومعانيهما (آخذين ما آتاهم ربهم) من الطائف التى لا يقدر على أخذها غيرمن رباهم لها كرؤيته التى تعمى بها الكفار (انهم كانوا) من تربيته لهم (قبل ذلك محسنين) بوفقهم لعبادته كانهم يرونه ومن احسانهم غلبت عليهم محبته حتى انهم (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) أى كان وقت نومهم قليلا من الليل وانما ناموا لتقوى نفوسهم على عبادته بنشاط (و) لما كان هذا القليل غفلة عن الله استدركوه بالاستغفار بلا تراخ لذلك (بالاسحار هم يستغفرون و) كانوا يخرجون لحبه عن حب ما سواه لذلك كان

أى يستقبلون من الحياة (قوله أى يستبقونه من (قوله تعالى يهبط من خشية الله) أى ينحدر من مكانه (قوله عز وجل يستقصون) (قوله عز أى يستصرون (قوله وجل يا عنهم الله ويلعنهم اللاعنون) قال اذا تلاعن اثنان

(في أموالهم حق) يؤدونه الى كل مستحق ظاهر أو خفي فيجعلونه (للسائل) أي طالب الصدقة (والمحروم) أي المتعفف الذي يحرم لظن غناه (و) أي حاجة الى الخرص والتخمين في باب الاعتقادات مع كثرة الآيات الواضحة القريبة اذ (في الارض آيات للموقنين) أي لطلاب اليقين اما في الامور الاخروية وأعمالها فلانها اذا عمل فيها أعمال الزرع والغرس أحسنتها وزادت في الحبوب والثمار وانها تحيا بالمطر فتخرج منها النباتات والحشرات (وفي أنفسكم) أيضا آيات اما في الامور الاخروية وأعمالها فلانها يؤثر فيها الدلك والرياضة وقد خلقت من التراب ثم من النطفة ثم من العلقة ثم من المضغة ثم من العظام وهي جمادات (أ) تنكرون هذه الآيات مع غاية ظهورها (فلا تبصرون) وكيف يستبعد الجزاء مع ان غايته اما في رزق سماوي أو عذاب سماوي (وفي السماء رزقكم) الدنيوي لانه من الامطار السماوية (وما توعدون) لان مؤاخذات الاولين كانت من تلك الجهة فان أنكرتم مثل ذلك في الآخرة (فورب السماء والارض) الذي خلقهما للاستدلال بهما على الامور الاخروية (انه) أي ما يدلان عليه (لحق مثل ما انكم تنطقون) أي لامثل حقية الدال عليه من ألفاظكم وان كان في دلالتها خلاف فلا خلاف في دلالة السماء والارض ولو قيل لو دل الامر الدنيوي على الاخروي لدل خيره على خيره يقال انما يتم لو لم يكن مع الخير الدنيوي شر دنيوي (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم) ظهر منهم الشر في حق قوم لوط مع كونهم (المكرمين) لذلك أكرمهم ابراهيم بتحية أحسن من تحيتهم (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) ازالة الخوف منهم (قال سلام) بالرفع ليدل على الدوام والثبات وكان اكرامه من غير معرفته لهم اذ قال (قوم منكرون) فكان أبلغ ثم بالغ في اكرامهم ازالة للخوف عنهم من كل وجه (فراغ) أي ذهب (الى أهله) ليأمرهم بذبح عجل وشيه (فجاء) من غير تراخ (بعجل سمين) لانه ألين وأفيد للقوة (فقربه اليهم) بالوضع بين أيديهم فلما رآهم لا يأكلون مع القربة (قال ألا تأكلون) تصريحا للاذن بالاكل وحثا عليه فاصروا على ترك الاكل (فأوجس) أي أضمر في نفسه (منهم خيفة) أي نوعا من الخوف مع سلامهم واكرامهم لدلالة الامتناع من الاكل على قصد الشر به (قالوا لا تخف) فليس تركنا الاكل قصدا للشر بل لانه ليس من شأننا الاكل لانا ملائكة نخاف مجيئهم بالعذاب فأزالوه (وبشروه بغلام) لا من حيث هو حيوان بل من حيث اتصافه بوصف (عليم) كمالات انسانيته وهو اسحق عليه السلام (فأقبلت امرأته) سارة (في صرة) أي صيحة حياء (فصكت) أي لطمت باطراف الاصابع (وجهها وقالت عجوز عقيم) ويكفي أحد الامرين مانعا (قالوا) كما بشرناك (كذلك قال ربك) فاقبلي قوله ولا تتوهمي عليه خلاف الحكمة ولا الجهل بعدم قبولك للولادة (انه هو الحكيم العليم قال) اذا كان حكيما عليما لم يرسل الا بقدر ما يحتاج اليه والتبشير لا يحتاج الى هذه العدة اثني عشر أو ثلاثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل (فما خطبكم) أي أمركم العظيم الذي اجتمعتم لاجله (أيها المرسلون) من عند الحكيم

فكان أحدهما غير مستحق للعن رجعت اللعنة على المستحق وان لم يستحقها أحد منهم رجعت على اليهود (قوله عز وجل ينعق) بما لا يسمع الا دعاء ونداء) يصيح بالغنم فلا تدرى ما يقول لها الا أنها تنزجر

العليم (قالوا انا) تعددناهذا العدد لانا (أرسلنا الى) مؤاخذة (قوم) متعددين لكونهم (مجرمين) وهم قوم لوط والواحد منا وان كان كافيا فى مؤاخذتهم لكن تعددنا لانا انما أرسلنا (لنرسل عليهم حجارة) رجالهم على لواطهم وجعلت (من طين) ليدل انقلاب اللين عليهم بالشدة فلو كان المرسل واحدا طال زمن الارسال ولو أرسلت مرة واحدة ربما أخطأ الحجر صاحبه وقد كانت (مسومة) أى معلمة باسماء أصحابها الامن عندنا حتى لانبالى بالتغيير فيها بل (عند ربك) الذى رباك بالاطلاع على ان فى كل حجر خاصية بها يناسب صاحبه فاعتبر خاصية كل حجر فى التعذيب (للمسرفين) فى باب الشهوة باللواطة كيف وقد خيف اصابتها المؤمنين (فأخرجنا) قبل ارسالها باعلام لوط (من كان فيها) أى فى تلك القرية (من المؤمنين) وماشاع فى المجرمين لانه ما كان اعلام جماعة كثيرة (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) أى المنقادين ظاهرا فضلا عن الباطن فلم يكن فيهم منافق (و) كان تعذيبهم الدنيوى مفيدا لغيرهم اذ (تركنا فيها) أى فى تلك القرية (آية) تدل على اهلاكهم الدنيوى الدال على الاخروى (للذين يخافون العذاب الاليم) الاخروى (و) لايختص بتعذيبهم اذ تركنا (فى) اهلاك أعداء (موسى) آية (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) أى حجة ظاهرة (فتولى بركنه) أى فاعرض عنها بقوته (وقال) فى دفع حجته الفعلية والقولية (ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده) بسلب قوتهم التى غلبوا بها أقرانهم وسلب عقولهم أيضا (فنبذناهم فى اليم وهو) أى النبذ لهم (مليم و) تركنا (فى عاد) آية هى اهلاكهم بعد سلب عقولهم أيضا (اذ أرسلنا عليهم) فى انتظار ريح المطر لانبات الزرع (الريح العقيم) التى لاتأتى بخير بل (ماتذر من شئ) وان كان من شأنه الغاؤه اذا (أتت عليه الا جعلته كالرميم) أى الرماد المتفتت ومن سلب عقولهم اعتقادهم انها ريح المطر (و) تركنا (فى ثمود) آية هى اهلاكهم بعد سلب عقولهم (اذ قيل لهم) بعد عقر الناقة (تمتعوا) فى داركم (حتى حين) ثلاثة أيام (فعتوا) أى بالغوا فى الافساد خروجا (عن أمر ربهم) مكان التضرع (فأخذتهم الصاعقة) من نار غضب الله (وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام) فضلا عن الفرار (وما كانوا منتصرين) أى ممتنعين بالالتصاق بالارض فلا وجه لعتوهم سوى قلة عقولهم (و) الاهلاك عن قلة العقل لايختص بالمتأخرين بل تركنا فى (قوم نوح من قبل) آية هى اهلاكهم بعد سلب عقولهم حتى اختاروا الغرق على ركوب السفينة (انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن أمره فاخرج عنهم عقولهم فلم يدفعوا ما يسهل دفعه عنهم (و) كيف لا يفسق من خرج عن طاعتنا بعد ظهور قوتنا وكمال انعامنا اما ظهور قوتنا فهو أن (السماء بنيناها بايد) أى قوة (و) اما كمال انعامنا فهو توسيعنا الرزق بها (انا لموسعون) الرزق بها كما وسعنا بناءها وكيف لانستحق الطاعة (والارض فرشناها) أى مهدناها لمطيعونا عليها شكرا على استقرارهم واستمتاعهم بنعيمها (فنعم الماهدون) وكيف لايختلف جزاء من شكر وكفر (ومن كل شئ خلقنا

زوجين)

(قوله بالصوت عما هى فيه (قوله عزوجل بشرى) يتبع (قوله يطهرن) أى ينقطع عنهن الدم ويطهرن يغتسلن بالماء وأصله يتطهرن فادغمت التاء فى الطاء (قوله عزوجل يؤده) أى يثقله يقال ما آدك فهو لى آيد أى ما اثقلك فهو

زوجين) أي نوعين (لعلكم تذكرون) من تنوعه تنوع الجزاء واذا كنتم مجازين على الشكر بالخير وهو صرف النعم الى ما أنعم من أجله وأجله ايثار المنعم على ما سواه وعلى الكفران بالشر وأقله نسبة بعض النعم الى غيره (ففروا الى الله انى لكم منه) أى من الله لولم تفروا اليه (نذير مبين) ان يجازيكم على كفران النعم (و) لولم تفروا اليه (لاتجعلوا مع الله) بنسبة بعض النعم الى الغير (الها آخر انى لكم منه) أى من جعل الغير مشاركا فى الانعام (نذير مبين) فان نسبوا انذارك الى الجنون والمعجزات المصدقة له الى السحر كان أخوف عليهم اذ (كذلك) فعلت الامم الهالكة من قبل فانه (ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا) أى جهالهم هو (ساحر أو مجنون) كما صرح بنقله عن فرعون ولا موجب له سوى تقليد الآباء (أتواصوا به) أى هل أوصى بعضهم بعضا بهذا القول لكن لا يتصور مع تباعد الازمان والاماكن (بل) لا موجب له سوى الطغيان اذ (هم قوم طاغون) واذا نسبوك الى الجنون والسحر فى الآيات القولية والفعلية (فتول عنهم) أى أعرض عنهم (فما أنت بملوم) بالاعراض عنهم وان أشبه ترك التبليغ (و) لكن لا تتركه بالكلية بل (ذكر فان الذكرى) وان لم تنفعهم (تنفع المؤمنين) الذين هم المقصودون من الخلق لامن سواهم اذهم العابدون (و) هم المقصودون لانه (ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) أى لهذه الحكمة وان لم أرد اتمامها من بعضهم لانى ما أعطيتهم العقل لاعذبهم به دون سائر الحيوانات ولا ليرزقوا عبادى بما يكتسبون بعقولهم فانى (ما أريد منهم من رزق) لعبادى (وما أريد أن يطعمون) مما يكتسبون بعقولهم بل (ان الله هو الرزاق) لكل واحد فلا يستفيد منه شيأ كيف وانما يطلب للتقوى وهو بذاته (ذو القوة المتين) أى شديد القوة كاملها فى الغاية (ف) لكون الله تعالى خالقهم للعبادة (ان للذين ظلموا) بابطال حكمته (ذنوبا) أى دلوا من العذاب يصب فوق رؤسهم (مثل ذنوب أصحابهم) الذين مضوا على طريقتهم وهم وان عجل ذنوبهم (فلا يستعجلون) فانى أعذبهم فى الآخرة أشد من عذاب أصحابهم (فويل للذين كفروا) بالعذاب الاخروى بعد مشاهدة نظيره فى الدنيا (من يومهم) الذى هو أعظم من أيام الماضين وهو (الذى يوعدون) دون أيام الماضين ليكون العذاب عليهم أشد من عذاب الماضين لان عذابهم الدنيوى وان لم يصر كفارة لهم يرجى كونه مفيدا للتخفيف عنهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الطور)

سميت به لانه لما تضمن تعظيم مهبط الوحى فالوحى أولى بالتعظيم فيعظم الاهتمام بالعمل سيما وقد عظم مصعد العمل وثمرته وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بجماله وجلاله فى هذه الامور التى أقسم بها (الرحمن) بايجاد المقسم به لاصلاح الافعال فى العموم (الرحيم) بنفى دافعه ليتم الاصلاح فهو رحمة خاصة لمن أصلح له (والطور) أى طور سينين جبل بمدين

لى منه قل (قوله يتسنه) يجوز باثبات الهاء واسقاطها من الكلام فمن قال سانهت فالهاء من أصل الكلمة ومن قال سانيت فالهاء لبيان الحركة ومعنى لم يتسنه لم يتغير بامر السنين عليه قال أبو عبيدة ولو كان من

سمع فيه موسى كلام الله فهو مجلى جمالى واندك بنور التجلى على ما فى قصص الثعلبى فهو مجلى
جلالى (وكتاب مسطور) هو التوراة نكره لانه علم جنس (فى رق منشور) تجلى فيه بالجمال من
حيث هو هدى وبيان وبالجلال حين نسخ فامر بمحوه وسلط عليه التغيير بل الاحراق الكلى
فى عصر بختنصر (والبيت المعمور) هو الكعبة المعمورة بالآيات البينات فهو مجلى جمالى
لذلك اقتضى الطواف حوله والصلاة نحوه وبالجلال حين حولت القبلة الى صخرة بيت المقدس
وحين رفع فى الطوفان وحين مخرب به ذو السويقتين من الحبشة أورده بعد الكتاب الذى هو
الوحى لانه محل أعظم الاعمال المقصودة منه (والسقف المرفوع) وهو السماء التى هى مصعد
العمل فهو مجلى جمالى وقد ارتفع عنه الكون والفساد مدة مديدة لكنها ستنشق وتنتثر
كواكبها فتصير مجلى جلاليا (والبحر المسجور) أى الذى يصير نارا فيصير مجلى جلاليا بعد ان
يكون ماء وهو مجلى جمالى أورده بعد السقف المرفوع للاشارة الى انه اذا ارتفع العمل الى
السماء فاض منها على العبد من العلوم ما يجعله بحرا ومن المحبة ما يسجره بنار الشوق الى ربه (ان
عذاب ربك) الذى ربى الكل بالجلال والجمال (لواقع) أقسم بمهبط الوحى وكتبه وما عمل به
فيه وما ارتفع اليه وما نزل من ثمراته على ان من هتك بالوحى استحق العذاب لهتك حرمة هذه
الاشياء المعظمة اتفاقا (ماله من دافع) من تربيته السابقة بالجمال ولا من غيرها وكيف لا يقع
(يوم تمور) أى تضطرب من غضبه (السماء مورا) يفضى الى انشقاقها فلا تكون مظلة لمن
غضب عليهم (وتسير الجبال) عن وجه الارض (سيرا) يحركها فلا تبقى مقر أهل الغضب واذا
أثر غضبه على أهل المعاصى فى السماء والارض هذا التأثير (فويل يومئذ للمكذبين) الذين
لا يبالون بمعاصيه أصلا كيف ولم يكن تكذيبهم بطريق المناظرة اذ هم (الذين هم فى خوض) من
الاعتساف والاستهزاء (يلعبون) بآيات الله ودلائله فويل لهم (يوم يدعون) أى يدفعون
دفعهم الآيات والدلائل (الى نار جهنم دعا) عنيفا ويقال لهم استهزاء بهم (هذه النار التى
كنتم بها تكذبون أ) تكذبون بها الآن (فسحر هذا) تصور بصورة النار عندكم كما قلتم
فى المعجزات (أم أنتم لا تبصرون) نارا فضلا عن كونها سحرا كما لم تحسوا بدلائلها فكانكم
لا تقرون بها ما لم تصلوها (اصلوها) لتحسوا عذابها احساسا يلجئكم الى الاقرار بحقيتها واذا
كنتم لا تصبرون على تأمل الدلائل (فاصبروا) على مدلولها (أو لا تصبروا) فان احساسه
لا يتوقف على التأمل المتوقف على الصبر ولا يفيدكم الصبر الفرج فهما (سواء عليكم) وكيف
يتفاوتان بالصبر وعدمه مع انه لا يحصل الفرج بنقص ما أنتم فيه لانه بقدر اعمالكم الذى
يقتضيه دلتها (انما تجزون ما كنتم تعملون) ووقوع الافات على الامور المقسم عليها مع
عظم قدرها وبراءتها عن المعاصى لا يجوز وقوعها يومئذ على المتقين بل (ان المتقين) لتوقيهم
أسباب هذا الغضب المؤثر فى السموات والارض كانهم قبل دخولهم الجنان (فى جنات) كيف
(و) هم فى (نعيم) مع كون الخلق فى الاهوال وهم وان لم يدركوا نعيم الجنة يكونون (فاكهين)
أى متنعمين (بما آتاهم ربهم) من المآكل والمشارب والحور (و) لولا يكفيهم انهم (وقاهم

ربهم

وقال
الاسن لكان يتأسن
لم يتغير من
غيره لم يتسنه
أى متغير
قوله حما مسنون
من يتسنن
وأبدلوا النون
وتقضى
هاء كما قالوا تظنن
بعض العلماء
البازى وحكى
أى تغير (قوله
سنه الطعام
الربا) أى
عز وجل يمحق الله

ربهم عذاب الجحيم) الذى هو أعظم الاهوال المحيط بالخلائق فيقال لهم قبل دخول الجنة على ما نقله القرطبي فى تذكرته فى باب بيان المحشر (كلوا واشربوا هنيئا) بلا تنغص (بما كنتم تعملون) من الاطعام لله والسقى له ثم ان نعيمهم يشبه نعيم أهل الجنة اذ يكونون (متكئين على سرر مصفوفة) حول العرش كيف (و) قد (زوجناهم بحور عين) على تلك السرر فى المحشر (و) لا يبعد الحاق حور المتقين بهم من غيران يكون لهن من تقواهم اذ (الذين آمنوا) يلحقن بهم حورهم فى منازل الجنة وان لم يلحقن بهم فى المحشر كيف (واتبعتهم ذريتهم) فحكمنا لذريتهم (بايمان) من غيران يتصفوا بالتصديق ولا يختص ذلك بالدنيا بل (ألحقنا بهم ذريتهم) فى المنازل الاخروية فالحاق الحور بهم بطريق الاولى لانه أتم فى التلذذ منهم (و) كيف لا يكون أتم فى التلذذ مع انا (ما ألتناهم) أى ما نقصناهم (من عملهم من شئ) وكيف يكون حال المتقين دون حال المؤمنين مع انه (كل امرئ) من المؤمنين غير المتقين (بما كسب) من المعاصى (رهين) ولا رهين فى المتقين والرهين يشتد عليه الجوع والعطش (و) المتقون لا يقتصر فى حقهم على سد الجوع والعطش بل (أمددناهم) فى المحشر (بفاكهة ولحم مما يشتهون) ليزداد تنعمهم وقد زيد فيه باعظم من ذلك اذ (يتنازعون فيها) أى يتناولون فى تلك السرر (كأسا) أى خمرا (لا لغو فيها ولا تأثيم) أى لا يتكلم فيها [illegible] لا يفعلون ما يؤثمهم (ويطوف عليهم) بتلك الكأس زيادة فى التنعم (غلمان) [illegible]ون (لهم كأنهم) من بياضهم وصفائهم (لؤلؤ مكنون) أى مصون فى الصدف (و) اذا رأوا أنفسهم بهذا النعيم مع كون الخلائق فى الاهوال (أقبل بعضهم على بعض يتساءلون) عن سبب تنعمهم وخلاصهم (قالوا) أى بعضهم لبعض فى الجواب هذه الرحمة جزاء رحمتنا (انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين) لكن هذه الرحمة ليست بمقدارها (فمن الله علينا) لانه أحق بالرحمة منا (و) يكفى من منته ان (وقانا عذاب السموم) أى ريح جهنم ثم قالوا ليس ذلك بمجرد اشفاقنا فى أهلنا بل بعبادتنا له (انا كنا من قبل ندعوه) أى نعبده من قبل فلا بد ان يحسن الينا (انه هو البر) أى المحسن على من يعبده (الرحيم) به رحمة خاصة واذا كان مقتضى رحمته وبره رفع العذاب الاخروى عمن اتقاه وعبده وان وقعت آفاته الدنيوية على الامور التى أقسم عليها فى أول السورة والتقوى والعبادة منوطتان بتذكيرك (فذكر) بالبيان المعجز الذى يدل على صدقك مع كونك خيرا فى نفسك داعيا اليه فى العموم (فما أنت بنعمت ربك) من البيان المعجز مع كونك خيرا فى نفسك داعيا اليه فى العموم (بكاهن) فان الكاهن لا يكون خيرا فى نفسه ولا داعيا الى الخير فى العموم (ولا مجنون) فان بيانك وان خرج عن المعهود بين العقلاء فليس بجنون اذ هو نقص واعجازه من غاية كماله أيقولون بعد هذا انك كاهن أو مجنون (أم يقولون شاعر) بلغ حدا عجز عنه أقرانه لكنه لا يتم أمره لانه بعد بلوغ الغاية (نتربص) أى ننتظر (به ريب المنون) ما يقلق النفوس من الحوادث التى هى أسباب الموت فينقطع أمره (قل) ربما ينقطع قبل ذلك أمر عنادكم لينتشر أمرى بلا معارض (تربصوا فانى معكم من

يذهب به يعنى فى الآخرة حيث يربى الصدقات يكثرها وينميها (قوله جل وعز يبخس) أى ينقص (قوله عز وجل يلوون ألسنتهم بالكتاب) أى يقلبونه ويحرفونه (قوله يعتصم بالله) أى يمتنع بالله (قوله

المتربصين) أي أمرهم جنونهم بأنه شاعر مع أنه لا وزن لكلامه ولا قافية (أم تأمرهم
أحلامهم) أي عقولهم (بهذا) القول (أم) طغيانهم إذ (هم قوم طاغون) مجاوزون حد
العقل والجنون أي يقولون ينزل به عليه شيطان (أم يقولون تقوله) أي اختلقه من عند نفسه
ولم يقه ولو اذلك عن علم بدخوله تحت قدرة الشيطان والبشر (بل) مع علمهم بخروجه عن
قدرتهما لكن (لا يؤمنون) مع علمهم بإعجازه فإن أنكروا إعجازه (فليأتوا بحديث) فضلا
عن سورة (مثله إن كانوا صادقين) في كونه مقدور البشر أو الشيطان أي يقرون بإعجازه ولا
ينسبونه إلى الله فهل ينسبونه إلى العاجزين (أم) لا ينسبونه إلى شيء فهل (خلقوا من غير شيء)
خالقهم فإن نسبوه إلى العاجزين فهل خالقهم عاجز غيرهم (أم هم الخالقون) أنفسهم فهل
خلقوا أنفسهم فقط (أم خلقوا السموات والأرض) ولا ينكرون نسبة الحوادث إلى المحدث
(بل لا يوقنون) أن المحدث يجب أن لا يكون حادثا أي يقولون بتفضيل الواجب (أم) بتسويته
مع الحوادث لاتصافها بصفاته فيكون (عندهم خزائن ربك أم) بغلبتها عليه إذ (هم
المصيطرون) أي الغالبون على الإطلاق أي يقرون بربوبية الواجب وغلبته ولكن ينكرون
رسالته بما نزل عليهم من السماء (أم لهم سلم) يصعدون فيه إلى مقام سماوي (يستمعون فيه)
انه ليس [illegible] مستمعهم بسلطان مبين) كما أتى به الرسول أي ينكرون رسالته بالبديهة
(أم) بالفكر [illegible]داهم إلى القول بأنه (له البنات ولكم البنون) وهل ينكرون رسالته
لضرر يلحقهم في بدنهم (أم) في مالهم إذ (تسئلهم أجرا) ولا يقتصر منه على قليل (فهم
مما تكلفهم (من مغرم) أي غرم عظيم (مثقلون) أي حاملون للثقل وهل يستغنون عنك
بعقولهم (أم) بكشفهم إذ (عندهم الغيب فهم يكتبون) قواعد الشرع وما به كمال المعاش
والمعاد أي يريدون دفع رسالته بحجة (أم يريدون كيدا) برسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعلوه
في دار الندوة (فالذين كفروا هم المكيدون) وهل لهم قوة الدفع والكيد بأنفسهم (أم) بإله
آخر إذ (لهم إله غير الله) لا يتصور ذلك تنزهت عن أثر هذا الدفع والكيد (سبحان الله) أي مثل
تنزهه (عما يشركون) أي عن شركهم ولا يرون تنزهه عن ذلك أيضا (وإن يروا) عقيب هذا
القول (كسفا) أي قطعة (من السماء ساقطا) أي نازلا لتعذيبهم (يقولوا) أي من عدم
خطور العذاب ببالهم على هذا القول (سحاب مركوم) أي تراكم بعضه على بعض وإذا لم يبالوا
بالكسف فمتى يبالون بدلائلك (فذرهم) أي فاتركهم على ما هم عليه (حتى يلاقوا يومهم الذي
فيه يصعقون) أي يموتون لنفخ الصور فيه لكونه (يوم لا يغني) أي لا يدفع العذاب (عنهم
كيدهم شيئا) من الدفع (ولا هم ينصرون) أي لا يخلصون بجهة غير جهة الكيد (و) لا يتركون
إلى يوم الصعق على الإطلاق بل (إن للذين ظلموا عذابا) في القبر (دون ذلك) العذاب يوم
الصعق (ولكن أكثرهم لا يعلمون) عذاب القبر إذ لا يرون على الميت بعد النبش أثره ولا يعلمون
أن عذاب النائم لا يدركه المستيقظ بحضرته (واصبر لحكم ربك) بإمهالهم إلى يوم الصعق أو القبر
ولا تخف منهم (فإنك بأعيننا) بحيث نراك (وسبح) أي نزه ربك عن أن يعجز عن حفظك أو عن

عز وجل يغل) أي يخون
ويغل يخون (قوله عز وجل
يكبتهم) أي يغيظهم
ويحزنهم ويقال يكبتهم
أي يصرعهم لوجوههم
(قوله جل وعز يجتبي) أي
يختار (قوله عز وجل
يستبشرون) أي يفرحون

تعذيبهم ملتبسا (بحمد ربك) على ان امهالهم لايخلو عن حكمة فافعل ذلك وقت مزيد الخوف (حين تقوم) عن مجلسهم فتخاف اغتيالهم (ومن الليل) الذى يغلب فيه الاغتيال (فسبحه و) سبحه (ادبار النجوم) أى عقيب ذهاب أنوار النجوم بالصبح اذهو أيضا وقت يغلب فيه الاغتيال * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة النجم)

سميت به لانه اقهر المضلين عند مبعثه ففيه دلالة على حقية ما بعث قطعا وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بجلاله وجماله فى النجم لكونه قاهر الضلال ناشر الهداية (الرحمن) برفع الضلال والغواية عمن جعله آية مبعثه (الرحيم) بجعل جميع كلامه وحيا كثير الفوائد كانه يتجدد الوحى به بتجدد تلك الفوائد (والنجم اذا هوى) أقسم الله سبحانه وتعالى بالشهاب الذى كثر اسقاطه عند مبعثه قهرا للشيطان اذ اصعد السماء لاستماع اخبارها والقائها الى أوليائه لاغواء الخلق بالاخبار عن الغيب على انه (ماضل) أى ما مال عن الصواب (صاحبكم) اذلم يؤثر فيه صحبتكم (وماغوى) بالاحتجاب عنه اذلو كان فيه أحدهما لم يكن لقهر الشيطان بارسال الشهاب عليه معنى كيف (و) لوضل أوغوى لم يخل كلامه عن مزج الهوى لكنه (ماينطق) فى شئ من كلامه (عن الهوى) واذا لم يكن فى كلامه مزج الهوى وادعى انه وحى الهى لم تكن دعواه ذلك عن هوى فعلم بالضرورة انه (ان هو) أى ماهو (الاوحى) كيف وقد كثرت فيه فوائد الهداية فكانه (يوحى) كل حين فائدة من فوائدها واتماخلا كلامه عن مزج الهوى لانه (علمه شديد القوى) أى شديد تأثير قوى صفاته وارادته وقدرته وكلامه فلا يقوى معها الهوى ان يؤثر كيف وهو (ذومرة) أى قوة فى ذاته وقوة ماسواه من تقويته فذهب عن نفسه اعوجاج الهوى (فاستوى وهو) أى صاحبكم عند استواء نفسه صار (بالافق الاعلى) الروحانى (ثم دنا) من ربه بالتقرب من صفاته (فتدلى) أى تعلق بذاته باعتبار القرب الذاتى (فكان) فى هذا القرب (قاب قوسين) أى مقدار قوسى القرب الوجوب والامكان فى دائرة الوجود مع توهم خط فاصل بينهما (أوأدنى) باسقاط ذلك الخط المتوهم ولكن لم يصر بذلك الهايل عبدا منسوبا الى الهوية (فأوحى الى عبده ماأوحى) مما لايدركه العقل لكن لايأباه لذلك (ماكذب الفؤاد) الذى هو محل العقل (ماراى) بالبصيرة (أ) تنكرون مالايبلغه عقولكم (فتمارونه) أى تجادلونه (على مايرى) ببصيرته التى هى أصدق من العقل وهذه رؤيته رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بالافق الاعلى حين نزل اليه ربه نزولا معنويا (ولقد رآه) أى ربه حين نزل (نزلة اخرى) غير نزوله بالافق الاعلى نوعا فتجلى ربه (عند سدرة المنتهى) أى عند الشجرة المثمرة تجليات اهل النهايات شبهت بالسدرة التى هى اكثر الاشجار ثمارا أوثمارها تشتمل على طعوم مختلفة حلاوة وحموضة وعفوصة فى ظاهره ومرارة ودسومة فى باطنه وانما كانت محل التجلى اذ (عندها جنة المأوى) التى يأوى اليها الخلق لرؤية

(قوله عز وجل يميز) ويميز الخبيث من الطيب أى يخلص المؤمنين من الكفار (قوله تعالى يفقهون) يفهمون يقال فقهت الكلام اذا فهمته حق فهمه وبهذا سمى الفقيه فقيها (قوله عز

الحق فتجلى له فى هذه الشجرة (اذ يغشى السدرة) من تجلياته (ما يغشى) مما لا يحصى كثرة
وحسنا واليه أشار من فسره بالجراد من الذهب فمع حصول هذه التجليات له (ما زاغ البصر)
منه عن الحق الى تجلياته (وما طغى) برؤية كمال نفسه بجمعها وانما استعد لهذه التجليات
برؤية آياته فانه (لقد رآى من آيات ربه الكبرى) ولم يحصل له بهذه التجليات ولا السدرة
المنتهى ولا الجنة المأوى ولا للافق الاعلى الالهية (أ) ترون ظهوره بالالهية فى اصنامكم
(فرأيتم اللات والعزى) مجلى الهيته مع انها وجوب الوجود المنحصر فى الواحد (و) أنتم
لا تحصرونها فى الاثنين بل ضممتم اليهما (مناة الثالثة) لا باعتبار اتحادها بالاولين فى رؤية
التوحيد بل باعتبار كونها (الاخرى) لاختصاصها بتجل ليس فى الاولين ومع وصفكم اياها
بالالهية فى أصنامكم وصفتموها بالانوثة فجعلتم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من
المنان ثم جعلتموها بنات الله (ألكم الذكر وله الانثى) فان صح له الولد (تلك اذا قسمة ضيزى)
أى عوجاء لا يرضاها عاقل لنفسه فلا وجود لها الا فى ألفاظكم كالهيتها (ان هى الا أسماء)
خالية عن المعانى التى وضعت لها وانما وضعت اذ (سميتموها أنتم وآباؤكم) لكنه لا يصح
الا بتجوز أو نقل ولا ترون اطلاقها بالتجوز او بالنقل من عندكم فلا بد من نقل الشرع لكن
(ما أنزل الله بها من سلطان) بل على خلافه لكن لا يتبعونه لانهم (ان يتبعون الا الظن)
مثل ان يسمعوا آباءهم فظنوا انهم لا يقولون الا عن دليل (و) لا يتبعون كل ظن بل
(ما تهوى الانفس) كتقليد الآباء (و) يرجحونه على الادلة القطعية فانهم (لقد جاءهم من
ربهم الهدى) أى الدلائل القطعية لكنهم رجحوا عليها متابعة آبائهم عن هوى أنفسهم
أ للانسان ما ظنه وهواه (أم للانسان ما تمنى) فان تمنوا من الاصنام قضاء حوائجهم الدنيوية
أو الاخروية فهلا يتمنونه ممن يوقنون قدرته عليه وهو الله سبحانه وتعالى (فلله الآخرة
والاولى و) ان زعموا أن التمنى على الله انما يتم بشفاعتها رد بانها ليست باقرب من الملائكة
السماوية مع انه (كم من ملك فى السموات لا تغنى) أى لا تنفع (شفاعتهم شيأ) من النفع
(الا من بعد أن يأذن الله) لهم بالشفاعة ولا يأذن الا (لمن يشاء) ان يفعل به الخير بواسطته
(و) انما يفعل الخير بالواسطة لمن (يرضى) به من وجه لكنه لقصوره يحتاج الى الواسطة
وهؤلاء ليسوا مرضيين لله لعدم ايمانهم بدوام ربوبية الله عليهم اذ لا يؤمنون بالآخرة ولا
الملائكة لانهم يجترؤن عليهم بما يغيظهم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) فلا يبالون بفساد
العقائد والاقوال فى الله والملائكة (ليسمون الملائكة تسمية الانثى و) انما قلنا باجترائهم
لانهم (ما لهم به من علم) أى دليل بل شبهة (ان يتبعون الا الظن) الحاصل من حسن
ظنهم بآبائهم القائلين به (وان الظن) فى باب الاعتقادات (لا يغنى من) طلب دليل
الاعتقاد (الحق شيأ) من الاغناء لكنهم لا يطلبون الدليل بل يعرضون عنه وان خوفوا
بنا (فاعرض عن من تولى) أى أعرض (عن ذكرنا) لعدم ايمانه برجوعه الينا (و) لا
يلتفت الى دلائله لانه لا يريده بل (لم يرد الا الحيوة الدنيا) اذ يرى غاية سعادته التنعم بلذاتها

لاقتصار

وجل يستنبطونه) أى
يستخرجونه (قوله يألمون
كما تألمون) أى يجدون
ألم الجراح ووجعها
مثل ما تجدون (قوله
يستنكف) المعنى يانف
(قوله يجرمنكم)

لاقتصار نظره على المحسوسات (ذلك مبلغهم من العلم) اذ لم يوجد الله فيه علما باللذات الحقيقية العقلية ولا بالحسية التي تكون هنالك وليس ذلك بخل من الله بل لعدم استعداده له (ان ربك هو اعلم بمن ضل) اى كان استعداده الضلال (عن سبيله) بعد مبالغته في بيانه (وهو اعلم بمن اهتدى) اى كان استعداده الهدى وان لم يبالغ له في بيانه كعامة المقلدين للعلماء (و) كيف لا يكون فعله بحسب الاستعدادات وقد وضع كل شئ في موضعه مع ان له ان يضعه في غير موضعه اذ (لله ما في السموات وما في الارض) فهو انما وضع كل شئ ليدل على الجزاء (ليجزى الذين أساؤا) باتيان الحكمة دون غايتها (بما عملوا) فانها وان كانت مخلوقة لله تعالى لكنها انما كانت بحسب استعداداتهم واختيارهم وقد اتصفوا بها اتصافا يوجب لهم موضعا نازلا أنزلهم فيه (ويجزى الذين احسنوا) بابلاغ الحكمة غايتها (بالحسنى) أى بالمثوبة التي هي أحسن من اعمالهم عشر مرات فصاعدا لا بحسب الاستعداد المحض بل تفضلا منه ولذلك أسقط عنهم استعداد الحاصل من اكتساب اصغائر بلا اصرار عليها فهم (الذين يجتنبون كبائر الاثم) الموجبة للحد او الموعود عليها بالشدة (والفواحش) التي يكون فسادها أكبر من فساد الاول بل يجتنبون المعاصى كلها (الا اللمم) أى ما قل من الصغائر فانها مغفورة لهم بمجرد اجتناب الكبائر والفواحش وان لم يكن معها حسنات زائدة تفضلا من الله تعالى بستر استعدادها ولا يبعد ذلك على الله (ان ربك واسع المغفرة) أى السترلها كيف وقد ستر على المحسنين استعدادهم من منشئهم الارضى والدموى اذ (هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض) فلا تخلون عن استعداد جاذب اليها (واذ أنتم أجنة) تغتذون بدم الطمث اذ لا غذاء لكم سواه (في بطون أمهاتكم) فلا تخلون عن استعداد الخبث (فلا تزكوا أنفسكم) عن هذا الاستعداد اذا احسنتم واجتنبتم الكبائر لكنه رجح استعداد التقوى منكم اذ (هو أعلم بمن اتقى) مقتضى استعداد الخبث لكنه أمر خفى لا يطلع عليه سوى علام الغيوب وان بالغ في تزكية النفس وتصفية القلب (أ) ترى الاطلاع على غيب الله لغير المتزكى مع عدم الاطلاع على غيب النفس للمتزكى (فرأيت الذى تولى) أى أعرض عن التزكية بل عن أصلها وهو الايمان بالله وهو الوليد بن المغيرة اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مشرك تركت الاشياخ وضللتهم فقال انى خشيت عذاب الله فقال ان أعطيتنى كذا من المال تحملت عنك (وأعطى قليلا) في مقابلة العذاب الشديد الابدى (وأكدى) أى قطع عطاء الباقى (أعنده علم الغيب) بأن الآخذ تحمل عنه هذا العذاب واسقط عنه لا بطريق الاستدلال من الشاهد على الغائب لمخالفته ما يرى على من خرج على الملوك بهذا الطريق وكانه يدعى الكشف على خلاف مقتضى العقل (فهو يرى) اكوشف بذلك على خلاف كشف الانبياء (أم لم ينبأ بما في صحف موسى) أى صحف التوراة الماضية في مواضع كثيرة على خلاف ذلك مع صحة كشفها عند من يعتد به من العقلاء (و) لو زعم انه لا يعتد بكشفه

بكسب بنيكم من قولهم فلان جريرة أهله وجارهم أى كاسبهم (قوله عز وجل يتيهون) أى يحارون ويضلون (قوله عز وجل يعصمك من الناس) أى

وانما يعتقد بكذب ابراهيم عليه السلام وانه متمسك بدينه فكانه لم ينبأ بما فى صحف (ابراهيم) الذى كذب عليه بأنه متمسك بدينه لانه مشرك وابراهيم (الذى وفى) التوحيد حقه اذ لم يستعن بجبرئيل وميكائيل عليهما السلام على نار نمرود حين دعواه الى الاستعانة بهما وقد نص فى صحفهما (الا تزر) أى أنه لا تحمل نفس (وازرة) أى حاملة ثقل معاصيها (وزر) أى ثقل معاصى نفس (أخرى و) غاية المتحمل انه يحمل وزر كفره وفسوقه ووزر اضلاله لا وزر كفر الغير وفسوقه لما فى صحفهما من (أن ليس للانسان الا ما سعى) والمتحمل ساعى لكفر المتحمل عنه وفسوقه (و) لا يزول وزر الساعى بحال لما فى صحفهما من (ان سعيه سوف يرى) اذ يظهر بالصورة القبيحة ويكفى فى التعذيب (ثم) لا يقتصر عليه بل (يجزاه) أى ذلك السعى (الجزاء الاوفى) أى الكامل بادخال النار كيف (وأن الى ربك) الذى هو أعظم الاسماء الالهية ومن شأن الكامل التكميل (المنتهى) فيكمل الجزاء لا محالة ولا يبعد منه تكميل الجزاء فانه تكميل الفرح والحزن (و) قد كملهما فى كثير من الناس (أنه هو أضحك) بتكميل الفرح (وأبكى) بتكميل الحزن (و) لا يبعد منه المبالغة فيهما (أنه هو امات) فأبلغ فى ابكاء أهله (واحيا) فأبلغ فى اضحاك أهله (و) لا يلزم انقلاب أحدهما بالآخر فى الجزاء فان الله تعالى قد يخلق ما لا ينقلب (أنه خلق الزوجين) اللذين لا ينقلب أحدهما بالآخر (الذكر والانثى) وان كانت مادتهما قابلة للانقلاب لكونهما (من نطفة) من غير اعتبار ضميمة بل بمجرد الامناء (اذا تمنى و) اذا كان من سنته ان يخلق من المنى الزوجين المختلفين لحكمة ابقاء النوع علم انه لا يترك مقتضى الحكمة من الجزاء المرتب على النشأة الاخروية (أن عليه النشأة الاخرى) باخراج الحى من الميت اخراج الانسان من النطفة (و) كيف يترك النشأة الاخروية مع (أنه هو أغنى) بعض الناس فلا بد من سؤاله ملقمل فيما اعطاه من ماله (و) لو لم يسأل من اعطاه قدر كفايته فلا بد وان يسأل من (اقنى) أى اعطاه ما يدخره فلا بد وان يسأله عما فعل بالمحتاجين كيف (و) انما أغنى من أغنى وأقنى من أقنى ليشكره وقد ابدله بعضهم بالكفر فعبدوا الشعرى مع (انه هو رب الشعرى) كوكب مضى خلف الجوزاء ويسمى العبور وكاب الجبار سن عادتها ابو كبشة لقطعها السماء طولا وسائر الكواكب تقطعها عرضا وثمة شعرى اخرى تسمى الغميصاء لكنها اخفى منها وبينهما المجرة وعبادة غير الله موجبة لعقابه الاخروى (و) قد دل عليه باهلاك أقوام (أنه أهلك عادا الاولى) قوم هود لعبادتهم الاصنام والثانية عاد ارم (و) اهلك (ثمود) لعقرهم الناقة التى هى آيتهم فكيف لا يستحقه جاحد الآيات الكثيرة ويدل على انه عقاب انه عم الكل (فما أبقى) أحدا منهم وان كان العاقر معدودا (و) ليس مما يختص بالفريقين بدليل انه اهلك (قوم نوح من قبل) لا بطريق الابتلاء لانه انما يتصور مع الصلاح ولم يكن لهم (انهم كانوا هم أظلم) بايذاء نوح وضربه حتى لا يكون به حراك (وأطغى) فى صد الناس عنه وكانوا يتواصون ان لا يسمعوا له (و) استمرت تلك السنة بعد الفريقين أيضا

عنهم منهم فلا يقدرون عليك وعصمة الله عز وجل للبعض هذا انما هى منعه من المعصية (قوله عز وجل ينأون عنه) أى يتباعدون عنه (قوله عز وجل وينعه)

اذ (المؤتفكة) قرى قوم لوط (أهوى) أى اسقط بعد رفعها الى السماء ليجعل عاليها سافلها (فغشاها) أى البسها من العذاب (ما غشى) من الرمى بالحجارة واذا كان الله تعالى منعما بالاغناء والاقناء ومرسلا للرسل وقاهرا للاعداء لنصرهم وقد جعله سوطا للاولياء ليسوقهم الى الجنات والقرب والكرامات (فبأى آلاء ربك) ايها الجاحد (تتمارى) أى تدفع بالجدال وقد نهيت عن الجدال فى آلاء الله على ألسن النذر ولم يقتصر على من مضى منهم بل (هذا) أى محمد صلى الله عليه وسلم (نذير) واقل ما فيه انه (من النذر الاولى) فيخاف على من جادله أن يصيبه مثل ما أصاب مجادليهم فان لم يصبهم فى الدنيا فلقرب العذاب الاخروى فانه (أزفت الآزفة) أى قربت القيامة الموصوفة بالقرب فى العقول لكن (ليس لها من دون) بيان (الله كاشفة) تكشف عن تفاصيلها فبينها الله بهذا الكتاب المنزل على هذا النذير (أ) تنكرون هذا الحديث المبين لها بتفاصيلها بل اذا سمعتم تفاصيلها (فمن هذا الحديث تعجبون و) اذا رأيتم مبالغته فى بيانها بالوجوه الكثيرة (تضحكون و) لا تبالون لمخوفاته حيث (لا تبكون و) ذلك لانه لا يؤثر فيكم اذ (أنتم سامدون) أى متكبرون وانما يؤثر فى المتذلل لله فهو علاجكم (فاسجدوا لله) كسرا لهذا التكبر المؤدى الى شدائد القيامة (واعبدوا) بوجوه العبادة شكرا على ما أنعم عليكم بما لا يحصى سيما بهذا الحديث فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة القمر)

سميت به لانه من آيات الله فى نفسه وانشقاقه من أعظم آيات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فوق شق الصدر والتصرف فى الريح وآيات القيامة بتخريب العالم الدال على حدوثه وهذه من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الساعة (الرحمن) بتقريبها فى نظر العقل ليدعو الى اصلاح العمل (الرحيم) باظهار آية تدل عليها وعلى قربها وصدق من اخبر عنها (اقتربت الساعة) أى دنت القيامة فى نظر العقل كما تقرب ساعة فساعة اذ الانسان لم يعط العقل لتعذيبه مع اراحة البهائم عنه بل للنظر الى العواقب التى اجلها خالص التنعيم أو التعذيب وليسا فى الدنيا فلا يكون بالتناسخ الدنيوى (و) بالنظر الى علاماتها التى تشبه خواصها من انشقاق السماء اذ ازالت شبه امتناعه حيث (انشق القمر) فانه ثبت بالتواتر وتواتر من الآية الدالة عليه روى عن ابن مسعود انه قال حتى رايت حراء بين فرجتى القمر فقال كفار قريش سحركم ابن ابى كبشة فقال بعضهم ان كان سحركم فلا يسحر الارض كلها فاسألوا السفر فبعثوا الى الآفاق فقالوا رأينا مثل ما رأيتم فقيل سحر مستمر ولا يضر عدم تواتره بين جميع اهل الارض اذ ليس فى حد واحد لجميعهم وربما يحول منه وبين قوم سحاب أو جبل ثم عادة الناس بالليل الهدو واغلاق الابواب ولا يكاد يعرف امور السماء الا من رصدها ولذلك يخفى الخسوف على الاكثر وكثيرا ما يحدث التفاوت بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم لا يعلم بها الاكثر والدليل على خلاف الوجود غير مسموع على ان شبهتهم أوهن

مدركه واخذه بانع مثل تاجر وتجر بقال ينعت الفاكهة وأينعت اذا أدركت (قوله عز وجل يقترفون) أى يكتسبون والاقتراف الاكتساب

من نسج العنكبوت وهى ان لها ميلا مستديرا والخرق انما يكون بالمستقيم وهو يقتضى ثبوت مبدئه وبين المبدأين تناف ورد بأنه لا يمتنع اجتماع المبدأين وانما يمتنع اجتماع الحركتين على أنهما اجتمعا فى دحرجة الكرة ولا يمتنع تعاقبها وابعد منها الاستدلال بامتناع الحركة المستقيمة على المحدد اذ لا يبقى محددا وسائر الافلاك على طبيعته فهذا قياس بلا جامع على ما لا يتم الا فى المحدد (و) ليس انكارهم الساعة لعدم ما يدل عليها بل لانهم اعتادوا انهم (ان يروا آية) تدل على وجود الله أو توحيده أو النبوة أو القيامة (يعرضوا) عن دلائلها وان كانت بديهية (و) يتمسكوا فى انكارها باوهى الشبه بأن (يقولوا سحر) مع ظهور الفرق بين المعجزة والسحر فان قيل كيف سحر الدنيا او كيف بلغ سحره السماء يقولوا سحر (مستمر) بعم الارض والسماء والازمنة والخلق (و) لو ذكر لهم معجزة قولية لا مجال للسحر فيها أو دليل عقلى أو نقلى من كتب الاولين (كذبوا و) لم يكن تكذيبهم عن نظر بل عن تعطيله حيث (اتبعوا أهواءهم و) لم تكن لهم شبهة قادحة فى دلالة المعجزة أو الدليل العقلى أو النقلى بل (كل أمر مستقر) بحيث لا يلتفت العقل منه الى شبهة تورد عليها ولو وردت كما فى مقابلة البديهيات (و) لم يكن مدلول تلك الدلائل مما لا يبالى له اعنى الساعة فانه (لقد جاءهم من الانباء) أى الاخبار الصادقة فى اهواله وشدائده (ما فيه مزدجر) أى زجر كامل وهى لو لم تكن من الانباء لوجب قبولها لانها (حكمة بالغة) أى علم محكم بلغ غاية التحقيق فى نفسه فاذا لم تغن تلك الحكمة بنفسها (فما تغن النذر) بها وان ايدوا بالمعجزات الكثيرة فاذا تولوا عنك وعن انبائك التى هى الحكمة البالغة يوم لا يظهر لهم اظهار الحاجة الى تعرف ذلك للتوقى عن ضرر اهوال الساعة (فتول عنهم) أى اعرض عن تعريفهم وشفاعتهم يوم يحتاجون الى ذلك كل الاحتياج (يوم يدع الداع) اسرافيل (الى شئ نكر) لم يعرفوه لاعراضهم عن معرفته فى الدنيا ولا يمكنهم معرفته يومئذ بالبصر لكونهم (خاشعا) أى ذليلا (ابصارهم) بحيث لا يمكنهم النظر اليه من فظاعته ولو امعنوا النظر لم يمكنهم التأمل فيه لوقوعه حين (يخرجون من الاجداث) أى القبور من غير تاخير يفيدهم أنسا بتلك المواطن والاجتماع يتعاون فيه بعضهم ببعض فى النظر والتأمل لوقوعه حال تفرقهم (كانهم جراد منتشر) ولا يكون لهم فى الانتشار استراحة ساعة يتأتى معها النظر لكونهم (مهطعين) أى مسرعين (الى الداع) من غير تلبث يستريحون فيه ومن ثمة (يقول الكافرون هذا يوم عسر) لا استراحة فيه ساعة ولا انس لشدائده واهواله المنكرة اذ يغير من شديد الى أشد ومن منكر الى انكر وكما تتولى عنهم هنالك فكذا ههنا كيف والاصرار على دعوتهم مع إبائهم ملجئ الى دعاء استئصالهم بحيث لا يبقى لهم نسل يرجى اسلامه كما وقع لنوح مع قومه فانه (كذبت قبلهم قوم نوح) بالحكمة البالغة التى جاء بها فايدها بمعجزاته (فكذبوا عبدنا) الذى علم انتسابه الى عظمتنا بجمعيته (وقالوا) لمن نظر فى حكمته هو (مجنون) وكلامه جزء (و) آذوه فوق ما يؤذى المجانين حتى (ازدجر) عن التبليغ

ويقال يقترفون أى يدعون والقرفة التهمة والادعاء (قوله عز وجل يخرصون) يحدسون يريد الخمين وهو بالظن من غير تحقيق وربما أصاب

(فدعا

(فدعاربه) الذى رباه بالحكمة التى يغلب بها الخصوم (انى مغلوب) لعنادهم (فانتصر) لا أغلبهم بالقهر بدل غلبة الحكمة (ففتحنا أبواب السماء) التى فتحت لافاضة الحكمة التى بها حياة الارواح والقلوب (بماء منهمر) أى منصب فوق قدر الحاجة ليصير سبب الحياة الظاهرة سبب الهلاك (وفجرنا الارض) التى هى منبت الارزاق التى هى اسباب البقاء (عيونا فالتقى الماء) الارضى والسماوى ليجتمعا (على امر قد قدر) من اهلاكهم الكلى بعد ما كان سبب الحياة والبقاء لانهم جعلوا الحكمة التى بها كمال الروح والقلب سبب نقصهما وهو الجنون (و) لم نهلك نوحا لانا (حملناه على) سفينة (ذات الواح) غلاظ لا تنكسر بالامواج (ودسر) أى مسامير كبار تمنعها من التفرق ولا يخاف عليها الغرق اذ كانت (تجرى بأعيننا) أى بحفظنا اواياناخصصناه بالنجاة ليكون (جزاء لمن كان كفر) أى لنوح الذى جاءهم ببحر من العلم وسفينة من الاعتقادات والاعمال والاخلاق فما ردوه فما اغرقهم الله ونجاه والمؤمنين واماجزاء تحمله المشاق فباق (و) لكونه جزاء يعتبر به اللاحقون (لقد تركناها آية فهل من مدكر) تذكرة لمن بعدهم ان الماء قد فاق الجبل حتى جرت عليه مثل هذه السفينة الكبيرة (فكيف كان عذابى) بالاغراق لمن لم يكن فيها (و) كيف كان حال (نذر) بالنجاة عنه هذا لمن راى السفينة (و) من لم يرها (لقد يسرنا القرآن للذكر) بهذه السفينة وغيرها (فهل من مدكر) بوجه من وجوه تذكيره ثم اشار الى ان عدم التذكير لا يمنع العدل بل يوجب مزيد الشدة فيه فانه (كذبت عاد) هودا وحكمته ولم يعتبروا بما مضى على قوم نوح (فكيف كان عذابى) عليهم اشد من عذاب قوم نوح (و) كيف كان حال (نذر) فى النجاة اعجب من حال نوح (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا) شديدة الصوت لغلبة الاهوية الفاسدة عليهم المانعة من الاعتبار بما جرى على قوم نوح وهى وان كانت بشرى بين يدى الرحمة لكنها فى الايام السعدة وهذه كانت (فى يوم نحس مستمر) لا تنقطع نحوسته لمجيء يوم سعد لانتهائها الى حيث (تنزع الناس) أى تقلعهم عن اماكنهم ولو فى حفر حفروها فندق رقابهم (كانهم اعجاز نخل) أى اصول نخل بلا فرع (منقعر) أى منقلع ولم تصب هودا ولا المؤمنين (فكيف كان عذابى) مختصا بالكافرين (و) كيف كان حال (نذر) نجوا بلا واسطة سبب كسفينة نوح فالعبرة ههنا ازيد ولكنه لمن شاهد (و) من لم يشاهده (لقد يسرنا القرآن للذكر) أى لذكر مثله ومايفوق عليه (فهل من مدكر) بشئ من اذكاره ولا يختص هذا بانكار الحكمة بل يعم انكار الرسل حتى لا يقال الواجب على كل شخص متابعة عقله لا الرسل فانه (كذبت ثمود بالنذر) دون حكمتهم (فقالوا أبشرا منا) لا من الملائكة المتصورين بصورة البشر (واحدا) يخالف جماعة العقلاء (نتبعه انا اذا) لمخالفة عقولنا وعقول جماعة العقلاء (لفى ضلال و) هو موجب (سعر) لان الواجب متابعة عقله أو عقل الجماعة الكثيرة على ان أمر الارسال مستبعد (ءالقى) من السماء (الذكر عليه) أى الوحى (من بيننا) مع تقاربنا فى العقل فلا القاء (بل هو) بما أى مدعيه (كذاب أشر) أى متكبر

وربما أخطأ (قوله عز وجل يغنوا فيها) أى يقيموا فيها ويقال ينزلوا فيها ويقال يعيشوا فيها مستغنين والمغانى المنازل واحدها مغنى (قوله تعالى

على قومه بهذه الدعوى فقال تعالى انهم وان علموا صدقه بالمعجزات وكذبهم فى رد ما يشبه الضروريات (سيعلمون غدا) يوم استمرار العذاب عليهم (من الكذاب الاشر) هل هو القائل باستحالة الالقاء فتكبر على آيات الله أو غيره (انا مرسلوا الناقة) التى هى من اسباب هذا العلم قبل ذلك اليوم (فتنة لهم) أى اختبارا (فارتقبهم) أى انتظرهم هل يرونها من اسباب هذا العلم أم باية عليهم باهلاكهم واهلاك مواشيهم (واصطبر) لهذه الرؤية أياما (ونبئهم) أى اعلمهم بهذا الاختبار (أن الماء قسمة بينهم) أى بين أنفسهم ومواشيهم وبين الناقة (كل شرب محتضر) أى كل يوم فى وقت الشرب يحضره صاحب النوبة دون غيره مبالغة فى رعاية القسمة ثم لم يكفهم ومواشيهم تلك القسمة فاضطروا الى قتلها (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف ليصحبوه فى شقاوته (فتعاطى) أى فتناول السيف وكان كافيا فى المعصية ولكن لم يكتف به (فعقر) أى قتل الناقة (فكيف كان عذابى) على عقر الناقة التى هى آيتى فضلا عنه على الكفر بصالح (و) كيف كان حال (نذر) فى النجاة عنه مع كونه فيهم (انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة) من جبرئيل تناسب ما حصل من الناقة حال تعذيبها بالقتل فماتوا (فكانوا كهشيم المحتظر) أى الحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته أو كالشجر اليابس الذى يأخذه من يعمل الحظيرة ففيه عبرة لمن رأى (و) من لم ير (لقد يسرنا القرآن للذكر) أى لذكر امثاله وما فوقه (فهل من مدكر) بشئ من امثاله وكيف يرخص الانسان ترك متابعة الانبياء اكتفاء بمتابعة العقل وكثير منهم يجعلونه تابعا لهواهم كقوم لوط علموا قبح الفاحشة ولكن جعلوا عقلهم تابعا لهواهم فكذبوا الرسل فانه (كذبت قوم لوط بالنذر) الذين انذروهم العذاب عليها فاقتضى ذلك اقامة الحد الدنيوى عليهم (انا أرسلنا عليهم حاصبا) أى من يرميهم بالحصباء الحجارة الصغار (الا آل لوط) بنتيه معه (نجيناهم) أى ابعدناهم عن مكانهم (بسحر) قبيل مؤاخذتهم بالصبح (نعمة من عندنا) باعلامنا اياهم لانهم شكروا نعمة الشهوة فلم يصرفوها الى غير طلب النسل الذى خلقت له (كذلك نجزى من شكر) بالزيادة فى تلك النعمة أو غيرها (و) لم يسقط هذا الحد عنهم العذاب الاخروى لكفرهم فانه (لقد أنذرهم بطشتنا فتماروا) أى تنازعوا (بالنذر) فكفروا (و) لم يكن مؤاخذتهم قبل ظهور المعجزة فانهم (لقد راودوه عن ضيفه) ليذهبوا بهم (فطمسنا اعينهم) ليكون معجزة مصدقة لانذاره (فذوقوا عذابى و) اثر ما قاله (نذر) وهو وان كان نوعا من العذاب لم يقتصر عليه بل (لقد صبحهم) أى دخل عليهم وقت الصباح (بكرة) أى اول البكرة التى هى وقت نزول الرحمة (عذاب مستقر) دنيوى ثم برزخى ثم اخروى (فذوقوا عذابى و) اثر ما قاله (نذر) ضما للعذاب العقلى الى الحسى (و) هذا وان لم يكن محسوسا فى الدنيا يذكره القرآن (لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر و) كيف يوجب على الانسان متابعة عقله وان لم يتبعه هواه فانه كثيرا ما يدعوه الى التكبر كآل فرعون فانه (لقد جاء آل فرعون النذر) فدعاهم عقلهم من عزتهم الى التكبر على الله

قوله عز وجل
اليم) البحر (قوله عز وجل
ينكثون) أى ينقضون
العهد (قوله عز وجل
يعرشون) أى يبنون (قوله
عز وجل يعكفون) أى
يقيمون (قوله عز وجل

وآياته حق (كذبوا بآياتنا كلها) الدالة علينا وعلى صفاتنا وتوحيدنا وصحة ارسالنا (فأخذناهم أخذ عزيز) أي غالب غير مغلوب (مقتدر) على كل ما أراد من الشدة والادامة ولم يقل ههنا فكيف كان عذابي ونذر لفظاعة شأنهم بحيث لا يحتاج الى مذكر على ان الكتب السابقة مملوءة به (أ) تزعمون ان عزته وقدرته انما هي بالنسبة اليهم لا الينا اذ (كفاركم) بزعمكم (خير من أولئكم) في العزة والقدرة (أم) تزعمون ان أمر العزة والقدرة بالنسبة اليهم والينا بالسوية لكن (لكم براءة) من الله (في الزبر) التي أنزلها الله ثم هل لهم براءة من القتال (أم) لا براءة منه لكن (يقولون نحن) لاتنا (جميع) أي جمع كثير (منتصر) لا بل (سيهزم) أي ينكسر (الجمع و) لا يمكنهم الرجوع بعده الى القتال بل (يولون الدبر) تولية مستمرة وهو وان أشبه مؤاخذة الاولين فليس بموعدهم (بل الساعة موعدهم و) القتال وان كان داهية مرة عليهم بافنائهم لكن (الساعة أدهى وأمر) حتى يحلو الموت لهم كيف ولا يصلون الى ما يشتاقون اليه من اللذات ويتألمون بانواع الآلام (ان المجرمين في ضلال) عن لذاتهم (وسعر) لانهم ضلوا عن الحق واغضبوه وينضم الى ذلك الاهانة الفعلية (يوم يسحبون) أي يجرون (في النار على وجوههم) تنكيسا لهم على تكبرهم على الله وآياته والاهانة القولية اذ يقال لهم (ذوقوا مس سقر) أي النار القالعة للجلد لما أذاقوا الانبياء عليهم السلام شدائدهم فعلا وقولا ولا ظلم عليهم في ذلك وان كان الكفر والمعاصي من خلق الله (انا كل شئ خلقناه بقدر) ورتب المسببات على اسبابها وهي اختيارهم لها واستحسانهم اياها وكانا تابعين لاستعدادهم (وما امرنا) الذي به الايجاد (الا) كلمة (واحدة) يكون كل شئ بمقتضى استعداده فنفذت في الحقائق (كلمح بالبصر) في السرعة (و) لا يبعد على الله الاهلاك باسباب يخلقها فانا (لقد أهلكنا أشياعكم) بالامراض خلقناها فيهم (فهل من مدكر) يجعل الامور الغائبة مقيسة على الحاضرة (و) يكفي في التعذيب بهذه الامور اخراج الزبر التي كتب فيها عمالهم اذ (كل شئ فعلوه في الزبر) كيف (و) قد جمع فيها فضائحهم اذ (كل صغير وكبير مستطر) ويزيدهم عذابا فوات الجنات والدرجات عليهم وحصولها لاعدائهم (ان المتقين في جنات) بدل كون المجرمين في ضلال (ونهر) بدل كونهم في سعر (في مقعد صدق) بدل سحبهم على وجوههم لانهم حصلوا العقائد الصادقة والاعمال الخالصة (عند مليك) هو القوي المتسلط لقوة تسلطهم على اهويتهم (مقتدر) لاقتدارهم على أنفسهم عند تسلطها عليهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

*(سورة الرحمن)

سميت به لانها مملوءة بذكر الآلاء الجليلة وهي راجعة الى هذا الاسم (بسم الله) المتجلي بجمعيته في القرآن والانسان (الرحمن) بتعليم القرآن وخلق الانسان (الرحيم) بافاضة سائر

أي يعدون في السبت) أي يتعدون ويجاوزون ما أمروا به (قوله عز وجل يسبتون) أي يفعلون سبتهم أي يدعون العمل

الآلاء (الرحمن علم القرآن) أي هذا الاسم الذي له عموم الرحمة مع جلالتها اختص بتعليم القرآن ولاجل تلك الرحمة (خلق الانسان) ولاظهار مافيه (علمه البيان) ولما كان متفاوتا تفاوت الشمس والقمر في اظهار المحسوسات كانت له مراتب منتهاها القرآن على ان فهمه أيضا على مراتب لاتحصل بمرة واحدة بل بحساب معلوم كما انه في المحسوسات (الشمس والقمر بحسبان) أي يجريان في البروج والمنازل بحساب معلوم (و) مراتب الكمال في ذلك بانقياد القوة النباتية والحيوانية له والنباتية أقرب انقيادا والحيوانية تحتاج الى قوة ولكنها تصير في الانقياد كالشجر فهما في الانقياد الباطن كما في عالم الحس (النجم) مالا ساق له من النبات (والشجر) ماله ساق (يسجدان) أي ينقادان للانسان من غير اباء (و) حينئذ يرتفع أمر العقل كما في عالم الحس (السماء رفعها) لجريان الشمس والقمر (و) مع ذلك لا ينبغي ان يقتدي بالعقل وحده بل يوزن بميزان الشرع فانه ميزان الهي كما انه في عالم الحس (وضع الميزان) فالعقل وان ظهر رجحانه على الشرع لا ينبغي ان يطغى هذا الميزان كما انه أراد بوضع الميزان (الا تطغوا في الميزان و) لا تتركوا العقل بالكلية في استعمال الشرائع بل (اقيموا الوزن بالقسط) الذي يقتضيه العقل (و) لكن لا تبطلوا به شيأ من المنصوصات اذا لم تعقلوها كما اريد منكم ان (لا تخسروا الميزان و) كيف يترك الشرع ولا يستقر أمر العقل بدونه كما أن (الارض وضعها) مستقرا (للانام) فهو اذا توهم فيه الدنو فليكون مقدماته أولية لكنها منتجة لعلوم يتفكه بها كما ان الارض (فيها فاكهة و) ثمرات أحوال ومقامات عالية خفية كما ان الارض فيها (النخل ذات الاكمام) أوعية الثمر (و) يحصل منه الاطلاع على الحقائق فيصير أقوات الارواح والقلوب كما ان الارض فيها (الحب) الذي هو قوت الانسان (ذو العصف) أي الورق اليابس الذي هو قوت الحيوان (و) فيه مايشم منه روائح القرب كما أن الارض فيها (الريحان) هذا على الرفع وأما على الجر فالمراد ان الحب مفيد للقوت وطيب الرائحة فاذا كان في ظاهر القرآن هذه الفوائد (فبأي آلاء ربكما) أيها الانس والجن اللذين ربا كما بتعليمه (تكذبان) ولا يبعد من الله ان يظاهر فيما بينهم دونه هذه الفوائد فانه الذي (خلق الانسان من صلصال) أي طين يابس له صلصلة أي صوت (كالفخار) الطين المطبوخ بالنار فجعل له هذا البيان وعلو الرتبة (و) في عكسه (خلق الجان من مارج) أي صاف من الدخان (من نار) وللمارج علو فوق النار التي مركزها اعلى المراكز فنزل منزله أسفل سافلين لعدم انقياده للانسان واذا ظهرت هذه الفوائد في القرآن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ولا يبعد من الله عز وجل ان يجعل لظاهر القرآن مشرقا يطلع به على الامور الظاهرة ولباطنه مشرقا يطلع به على الامور الخفية ويخفيها على الاكثر كما جعل في الانسان مشرق الحواس للمحسوسات ومشرق العقل للمعقولات وجعل في العالم مشرق الشتاء ومشرق الصيف فانه (رب المشرقين ورب المغربين) واذا فعل ذلك في كتابه وفيكم وفي العالم الكبير (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ولا يبعد منه جمع

في السبت ويسبتون بضم أوله يدخلون في السبت (قوله عز وجل يلهث) يقال لهث الكلب اذا اخرج لسانه من حر أو عطش

العلوم

العلوم المختلفة فى هذا الكتاب بحيث لايدفع بعضها بعضا مع غاية كثرتها بل يجعل بعضها يجاور بعضا ويعاونه فانه الذى (مرج) أى ارسل (البحرين) العذب والمالح (يلتقيان) أى يتجاوران (بينهما برزخ) أى حاجز معنوى من أجله (لايبغيان) أى لايبغى شئ منهما على صاحبه وقد جعل فى الانسان امورا محسوسة وامورا معقولة يخالط بعضها بعضا بالمعاونة لابالتضاد (فباى آلاء ربكما تكذبان) وكما لايضر أحدهما الآخر فى الاجتماع لايضر فى النتائج بل ينتج جواهر المسائل الكبار والصغار كما انه (يخرج منهما اللؤلؤ) أى كبار الدر (والمرجان) أى صغاره واذا كان لاختلاف العلوم فيه هذه الفوائد (فبأى آلاء ربكما تكذبان و) هذه الفوائد لاتحصل الابالسفر الى الله تعالى على سفن الاعتقادات والاخلاق والاعمال الفاضلة الحاصلة عن الاجتهاد والتعمق كما ان (له الجوار المنشآت) أى السفن التى صنعتها العبيد ليجروا بها (فى) سفر (البحر كالاعلام) أى الجبال فكذلك تحصيل ماذكرنا بالاجتهاد ينقل ثقلها واذا كان فى القرآن هذه الارباح (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ثم هذه التجارة هى التى يبقى ربحها الى أبد الآباد لبقاء ما يطلب بها دون سائر الارباح اذ (كل من عليها) أى تلك الجوار من التجارة (فان ويبقى وجه ربك) الذى يطلب بالسفر فى اسرار القرآن اذ يظهر به انه (ذوالجلال والاكرام) فيفضى الى الفناء فيه والبقاء به وهو غاية النعم فاذا حصلت لايبالى لمادونه فاذا كان فى القرآن هذه النعم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وهذه الفوائد التى تحصل بالسفر الى الله انما تحصل بعونه وعونه بسؤاله بل لابد من سؤاله فى كل شئ فانه (يسئله من فى السموات والارض) وفيضه وان كان دائما فهو يختلف باختلاف الاحوال والازمان اذ (كل يوم هو فى شان) فهو يختلف باختلاف الاسئلة لانها من جملة الاحوال ثم انه يفيض على أهل القرآن كل يوم شأنا من شؤنه (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان زعمتم انا لانفرغ لاستنباط هذه الفوائد من القرآن ولا للاعمال التى تنكشف بها قيل لكم (سنفرغ لكم) أى لمجازاة كل واحد منكم (ايه الثقلان) أى الانس والجن اللذان ثقل عليهما الاستنباط والعمل مع فيضهما الابدى وقد انعمنا عليكما بالايحصى من النعم فلابد من ان من نسألكما عنها فاذا سألنا كما (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وكيف لاتتفرغون لامر لاتخرجون عنه بحيلة من الحيل اذ يقال لكم (يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا) أى تخرجوا (من اقطار) أى جوانب (السموات والارض) بحيلة من الحيل (فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان) أى حجة قوية لابشبهة واهية فاذا جعلنا تلك الحجة فى القرآن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ثم ذكر ذلك الامر وهو أنه (يرسل عليكما شواظ) أى لهب (من نار ونحاس فلا تنتصران) أى فلا تقدر على دفعهما الا بتلك الحجة فاذا اعلمنا كما تلك الحجة فى القرآن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان زعموا ان هذا النفوذ انما يتعذر قبل انشقاق السماء (فاذا انشقت السماء) سهلت قيل اذا انشقت انشق معها الارض فتظهر جهنم فتصل حرارتها الى السماء عن قريب (فكانت وردة)

وكذلك الطائر ولهث الانسان أيضا اذا أعيا (قوله عز وجل ينزغنك من الشيطان نزغ) أى يستخفنك منه خفة وغضب وعجلة ويقل

حمراء (كالدهان) أي الاديم الاحمر فالنفوذ اعسر الا بهذه الحجة التي يتضمنها القرآن
(فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان زعموا ان التكلم بالحجة في تلك الحالة اصعب فكيف يدفع بها
تلك الصعوبة قيل لا يحتاج الى التلفظ بها (فيومئذ لا يسئل) سؤال استعلام (عن ذنبه
انس ولا جان) فكيف يسئل صاحب هذه الحجة فاذا كان في القرآن هذه الحجة (فبأي آلاء
ربكما تكذبان) وانما لا يحتاج فيه الى السؤال لظهور العلامات فانه (يعرف المجرمون
بسيماهم) سواد الوجوه وزرقة العيون (فيؤخذ بالنواصي والاقدام) منهم بان تنضم
اقدامهم الى نواصيهم وراء الظهر أو تجعل رؤسهم على ركبهم ونواصيهم في أصابع أرجلهم
فيلقون في النار فاذا جعل لاهل النار هذه العلامة نعدمها كاف فكيف لا يدفع عنها هذه
الحجة القرآنية (فبأي آلاء ربكما تكذبان) بل يقال لاهل هذه الحجة (هذه جهنم) انما
نجوتم عنها مع قربها بهذه الحجة والمجرمون انما دخلوها لتعطيلها فهي (التي يكذب بها
المجرمون) ولما لم يتأت لهم في التكذيب الجزم بل التردد فهم (يطوفون بينها وبين حميم آن)
أي ماء حار بالغ النهاية يصب عليهم أو يسقون منه فاذا كانت في هذه الحجة مايزيل ترددكم
(فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه) فبالغ في النظر في حججه ليتخلص من هذا التردد
(جنتان) روحانية وجسمانية لمعارفه ولاعماله فاذا حصل الكمل الخلاص من النار والجحيم
والجنتان بهذه الحجة القرآنية (فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان) أي اغصان كثيرة
طويلة عريضة بحسب شعب معارفه وأعماله تظله عن وهج التجلي الجلالي عليه فاذا حصل
ذلك من القرآن (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان) من فيض المعارف والاعمال
(تجريان) من غير انقطاع الى الابد من معارف القرآن وأعماله (فبأي آلاء ربكما تكذبان
فيهما من كل فاكهة زوجان) أي نوعان نوع يناسب المعارف وآخر الاعمال بعد أن يكون
لكل معرفة وعمل فاكهة وكلها في القرآن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ثم انهم يأكلونها
(متكئين على فرش بطائنها من استبرق) أي ديباج غليظ لتصلب اعتقادهم وظواهرها من
سندس خضر وهو الديباج الرقيق الناعم لتلين ظواهرهم للاعمال (و) انما تيسر لهم
أكل الثمار عليها مع كونها على اشجارها لان (جنى) أي ثمار (الجنتين دان) أي
قريب تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله قائما أو قاعدا أو نائما وذلك لتقريب القرآن لها (فبأي
آلاء ربكما تكذبان) ويزداد تلذذهم باكلها مع محبوباتهم على الفرش وهن محبات لهم أيضا
اذ (فيهن قاصرات الطرف) على ازواجهن اذ (لم يطمثهن) أي لم يمسهن (انس قبلهم
ولا جان) وانما حصلت لهم لقصرهم النظر في القرآن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وكيف
لا يتم الالتذاذ بهن والتلذذ وهن في الحسن (كأنهن الياقوت) في الصفاء (والمرجان)
في البياض فان صغار الدر أشد بياضا من كبارها السريان صفاء قلوبهم وبياض اعتقادهم اليهن
وانما حصل لهم من التمسك بالقرآن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ولا يبعد ان يكون لكمل
أهل القرآن هذا الجزاء وهم محسنون أي ناظرون الى الله تعالى ومحسنون للاعتقادات

والاعمال

ينزغنك أي يحركنك بالشر ولا يكون النزغ الا في الشر (قوله عز وجل يمدونهم في الغي) أي يزينون لهم الغي (قوله عز وجل يحول بين المرء وقلبه) أي يملك عليه

والاعمال (هل جزاء الاحسان) أى احسان الاعتقاد والعمل (الا الاحسان) أى احسان الجزاء بتكميله واذا ثبت هذا الجزاء بالقرآن (فبأى آلاء ربكما تكذبان و) كيف لا يكون لهم ذلك مع انه يكون لمن دونهم من عامة المؤمنين اذ (من دونهما جنتان) على اعتقاداته وأعماله التى أخذهما من التمسك بالقرآن مع تقصير (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وهما وان لم يكن لاشجار هما الافنان المذكورة فهما (مدهامتان) أى سوداوان من شدة خضرتهما اذ التمسك بالقرآن وان قل يكثر هذه الكثرة (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) أى فوارتان وان لم تبلغا حد الجرى للتقصير فاذا كان مع المتمسك بالقرآن هذه الفوائد (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة) وان لم يكن فيهما جميع أنواعها ولا لكل نوع منها زوجان لقصوره معارفه وأعماله (و) لكن فيهما من أنواعها الشريفة (نخل) من علو الاعتقادات فى الجملة (ورمان) من لطائف الاعمال وان قلت واذا كان للمتمسك بالقرآن مع قصوره ذلك (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وهذه الفواكه وان لم تكن بلذة فواكه الاولين يكمل لهم بمشاركة محبوباتهم اذ (فيهن) أى فى أماكنهن تشاركهم نساء (خيرات) اخلاقا (حسان) أعمالا وهذه الاخلاق والاعمال تسرى اليهن من القرآن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وهن وان لم يكن كالياقوت والمرجان (حور) أى بكار الاعين لكن لا ينظرن الى من سواهم لانهن (مقصورات فى الخيام) لا يخرجن منها وحصل لهم ذلك من عدم خروجهم من القرآن بالكلية (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ويكفى فى وصفهن انهن (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) وذلك لانهم لم يمسهم اعتقاد وعمل يخالف القرآن بالكلية (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ويزيدهم تلذذا فى مأواهن كونهم (متكئين على رفرف) وسائد أو ذيل الخيمة (خضر وعبقرى) أى طنافس ثخان (حسان) وذلك لاتكائهم على القرآن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ولا يبعد أن يحصل من الله للادنى هذه الكرامات فانه (تبارك) أى تعاظم (اسم ربك) المتجلى على أهل النار والجنة من وصف (ذى الجلال والاكرام) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

* (سورة الواقعة) *

سميت بها لانها مملوءة بوقائع القيامة التى هى الواقعة العظمى لوقوعها فى أشد الاحوال (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الواقعة (الرحمن) بايقاعها لاصلاح الاعمال (الرحيم) برفع أقوام وخفض أعدائهم (اذا وقعت الواقعة) اى وقت وقوع الحادثة التى لا بد من وقوعها بالدلائل القاطعة (ليس لوقعتها) أى لدفع وقوعها شبهة (كاذبة خافضة) لدلائل الوقوع القاطعة (رافعة) لمقدماتها الوهمية بالحاقها بالاوهام اذ فى أفعال العباد ما يخفضهم أو يرفعهم فلا بد لهم من حالة خافضة أو رافعة فلا يشك فى وقوعها وانما الشك فى وقت وقوعها وغاية ما يمكن فى تعيينه انه (اذا رجت الارض رجا) أى زلزلت زلزالا شديدا (و) من تلك الزلزلة (بست الجبال بسا) أى فتت تفتيتا تاما (فكانت هباء منبثا) أى غبارا متفرقا كيف (و) من

قلبه ثم صرفه كيف شاء
(قوله واذ يمكر بك) المكر الخديعة والحيلة الذين كفروا ليثبتوك أى ليحبسوك يقال رماه فاثبته اذا حبسه ومريض مثبت

خواصها المتفرقة لذلك (كنتم أزواجا) أي أصنافا (ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) أي فأرباب اليمن والسعادة ما أعظم يمنهم وسعادتهم (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) أي وأصحاب الشؤم والسعادة ما أعظم شؤمهم وشقاوتهم (والسابقون) إلى الذين سبقوا سعادة الأولين وشقاوة الآخرين إذ لم يبالوا بهما (السابقون) إلى الله فلا حد لعظمتهم بدرك حتى يتعجب منها إذ (أولئك) البعداء عن درك المدركين هم (المقربون) من حضرة يتحير فيها فيصير فيهم ولم يفتهم ما للسعداء إذ هم (في جنات النعيم) يتنعمون بلذاتها أيضا وليست لأدنى المقربين بل لأعلاهم الذين اتفق الناس على غاية سبقهم وهم (ثلة) أي جماعة (من الأولين) الأنبياء وخواص أتباعهم (و) لعزته يكون فيه (قليل من الآخرين) و يتميزون عن سائر أهل الجنة لكونهم كالملوك (على سرر موضونة) أي منسوجة بالذهب والجواهر وغيرهم وإن كان لهم سرر لم تكن موضونة فإن كانت فليس لهم الاتكاء عليها وهؤلاء يكونون (متكئين عليها متقابلين) لا كملوك الدنيا متدابرين ولا كمقربي ملوكها ولكونهم كالملوك (يطوف عليهم ولدان مخلدون) لا ينتقلون من حال إلى حال آخذين (بأكواب) أي أقداح لا عرا لها ولا خرطوم مملوءة بمياه من آثار معارف لم تمسك فيها بالدلائل العقلية والنقلية بل بالكشف (وأباريق) لها خرطوم مملوءة بمياه من آثار معارف تمسك فيها بتلك الدلائل (وكأس من معين) أي خمر من آثار المحبة (لا يصدعون عنها) أي لا يحصل لهم من شربها صداع لأنه ألم (ولا ينزفون) أي ولا يسكرون لأنه حجاب (و) يتم لهم سائر التنعمات إذ يطوفون عليهم بأنواع (فاكهة مما يتخيرون) من آثار الأعمال الظاهرة (ولحم طير مما يشتهون) من آثار المساعي الباطنة (و) يطوف عليهم (حور) أي نساء بيض (عين) ضخام العيون من آثار أخلاق النفس (كأمثال اللؤلؤ المكنون) أي المخزون في الصدف لم تمسه الأيدي ولم تقع عليه الشمس والهواء وإنما يكون لهم الجنات ونعيمها (جزاء بما كانوا يعملون) والقرب جزاء الأحوال والمقامات ولا يضيع أحدهما بالآخر ولكمال جزائهم لا يشوبهم ألم حتى أنهم (لا يسمعون فيها لغوا) يؤلم العقل (ولا تأثيما) أي نسبة إلى الإثم يؤلم الروح والقلب (إلا قيلا) من كل جانب (سلاما سلاما) فهو غاية ما يتصور فيها من اللغو (وأصحاب اليمين) أي الجانب القوي الذي أخذوه بما تقدم لهم من السعادة (ما أصحاب اليمين) تعجب من أخذهم بالجانب القوي كما تعجب من سعادتهم (في سدر مخضود) أي نبق مقطوع الشوك لقطعهم شوك الإفراط والتفريط الشهوية (وطلح منضود) أي موز نضد حمله من أسفله إلى أعلاه لاستعمالهم المفكرة في جميع الاعتقادات والأعمال (وظل ممدود) لا يتقلص بالشمس لتهذيب الغضبية (وماء مسكوب) أي مصبوب سائل لاستعمالهم العلم الظاهر وقد ذكر ماء المقربين في الأكواب والأباريق لستر علومهم ولم يذكر لهؤلاء خمر القصور محبتهم إذ لم ينتهوا فيها إلى حد السكر (وفاكهة كثيرة) من كثرة أعمالهم الظاهرة (لا مقطوعة) بالزمن لمداومتهم على الأعمال (ولا ممنوعة) بالثمن لرفعهم العوائق

والعوارض

لا حركة به (قوله عز وجل بركة جميعا) بجعل بعضه فوق بعض (قوله عز وجل يجمعون) أي يسرعون ويقال فرس جموح الذي إذا ذهب في عدوه لم يثنه

والعوارض عنها ولم يذكر لهم فاكهة مما يتخيرون ولا لحم طير مما يشتهون (وفرش مرفوعة) لثباتهم على ظاهر الشرع المهد ولم يصلوا الى اسرارها ليصيروا على السرر الموضونة وهي تدل على النسوان التزاما والظاهر انهن نساء الدنيا الحقن بالحور (انا أنشأناهن انشاء) غير الانشاء الاول ليلحقن بالحور (فجعلناهن أبكارا) يجد الرجل امرأته في كل مرة بكرا (عربا) متحببة الى أزواجهن لتحببهم الى الله تعالى (أترابا) مستويات السن بنات ثلاث وثلاثين كأزواجهن رعاية لتطابق الواجب في الحكمة (لاصحاب اليمين) الذين طبقوا اعتقادهم وأعمالهم للشرع وهم أكثر من المقربين اذ هؤلاء (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) وهم قليل من الآخرين (وأصحاب الشمال) أى الجانب الضعيف اضعف عقولهم حيث انقادت للهوى والغضب انقياد السلطان للكلب اذلك قال (ما أصحاب الشمال في سموم) حر النار بدل الاطعمة المسكنة حرارة الجوع وزيد فيها باحاطة الظاهر والباطن (وحميم) ماء مغلى بدل المسكوب الجارى (وظل من يحموم) أى دخان أسود بدل الظل الممدود (لا بارد ولا كريم) أى ليس فيه فائدة الظل من دفع الحر وحسن المنظر الذى يكرم من تحته (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) أى متنعمين فوجب عليهم شكر المنعم لكنهم لم يشكروا المنعم لانكارهم الجزاء (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) أى اليمين الفاجرة أنهم لا يبعثون (وكانوا يقولون أئذا متنا) ولم نر ميتا بعث (وكنا ترابا وعظاما) ولم نر حياة للاجزاء المتفرقة (أئنا لمبعوثون أو) تبعث (آباؤنا الاولون) مع ان بعث من طالت مدة موته أبعد كيف ولم تجر سنة الله ببعث أحد فيما مضى (قل) انما لم تجر سنته فيما مضى لانه ينافى التكليف اذ يصير أمر الآخرة ضروريا فأخر بعث الكل الى ميقات واحد (ان الاولين والآخرين لمجموعون) للجزاء الذى لابد فى الحكمة منه وقد جرت سنته برعاية اقوهم مراعيها وان أخرها (الى ميقات يوم معلوم ثم) ان الله تعالى انما خلق فيكم العقل للجزاء اذ لا يحتاج اليه فى أمور الدنيا كسائر الحيوانات فمن لم ينظر اليه فهو ضال (انكم أيها الضالون المكذبون) لما عرف صدقه بالضرورة فنأكد ضلالكم (لآكلون) بدل ما أنعم عليكم من الطعام فلم تشكروه (من شجر) نوع منه لم تعهدوه (من زقوم) يزيد فى جوعكم (فمالئون منها البطون فشاربون عليه) بدل ما أنعم عليكم من الشراب (من الحميم) فيزيد فى عطشكم (فشاربون شرب الهيم) جمع أهيم ابل بها داء الهيام داء يشبه الاستسقاء (هذا نزلهم) ما يعد للنازل تكرمة فقيمته كم (يوم الدين) ثم أشار الى مزيد ضلالهم بالتكذيب بقوله (نحن خلقناكم) اختصصنا بخلقكم (فلولا تصدقون) قولنا بخلقكم مرة أخرى فان زعمتم انكم انما خلقتم من منى تمنونه وهو فرع حياة الآباء ولا حياة لهم حين البعث يقال (أفرأيتم) أى اخبرونى (ما تمنون) أى المنى الذى تمنونه (أأنتم تخلقونه) منيا ثم انسانا (ام نحن الخالقون) ولو كانت الحياة من لوازم المنى فمن أين يكون الموت (نحن قدرنا بينكم الموت) أى نحن مختصون بتقديره على أعمار مختلفة

(قوله يكنزون الذهب والفضة) كل مال أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان

(و) اذا قدرنا على الاماتة قدرنا على الاحياء اذ (ما نحن بمسبوقين) أى بعاجزين لان القدرة على أحد المتقابلين قدرة على الآخر ونحن قادرون (على ان نبدل) أمواتكم فنجعلهم (أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون) أى فى عالم لا تعلمونه وهو الذى يغلب فيه أثر الروحانية مع ظهور الجسمانية (و) كيف تنكرون النشأة الاخروية من جماد (لقد علمتم النشأة الاولى) من جمادات تراب ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظام ثم لحم (فلولا تذكرون) أى فهلا تقيسون تلك النشأة على هذه فان أصروا على انهم خلقوا من المنى الانسانى يقال ان القاء المنى حرثية وخلق الولد زراعة (أفرأيتم ما تحرثون) أى تبذرون حبه (أأنتم تزرعونه) أى تنبتونه (أم نحن الزارعون) ويدل عليه قدرتنا على جعله حطاما بحيث (لو نشاء لجعلناه حطاما) أى هشيما (فظلتم تفكهون) أى فصرتم تعجبون ولو كان منكم لما تعجبتم وكيف يكون منكم وأنتم لا تريدون ذلك اذ تقولون (انا لمغرمون) غرمنا الحب بلا عوض (بل نحن محرومون) حرمنا الرزق فان أصروا على انزال المنى منهم قيل انزال المنى منكم كشرب الرحم كانزال الماء لشربكم (أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن) أى السحاب (أم نحن المنزلون) ويدل عليه جعلنا اياه عذبا مع كون المزن من بخار البحر المالح فعذوبته من قدرتنا وكانقدر على ملوحته بحيث (لو نشاء جعلناه أجاجا) محرق الفم فكذا لو شئنا لجعلنا المنى محرقا للرحم (فلولا تشكرون) نعمة جعل الماءين سائغين للشاربين بنسبة خالقهما الينا فان زعموا ان هذا المنى انما حصل بحركتنا فاصله أيضا منا قيل هذه الحركة كايراء النار والاصل كشجرتها (أفرأيتم النار التى تورون) أى تقدحون (أأنتم أنشأتم شجرتها) التى فيها الزناد (أم نحن المنشؤن) فان زعموا ان هذا قياس لا يعتد به فى باب الاعتقادات قيل (نحن جعلناها تذكرة) لنار الآخرة فنحن جعلناها مقيسا عليها للامر الاعتقادى من الامور الاخروية (و) قد جعلناها مقيسا عليها للامور الدنيوية أيضا اذ جعلناها (متاعا) أى منفعة (للمقوين) أى الذين خلت بطونهم عن الطعام وكذلك جعلنا النطفة متاعا للرحم الخالى عن الولد واذا ثبت ان خلق الكل منسوب الى الله تعالى كان مفيض الكمالات كلها (فسبح باسم ربك العظيم) من ان يطوف حوله شئ من النقائص واذا كملت أسماؤه كملت صفاته بحيث لا يتجلى التجلى الشهودى الاعلى محل كامل يعظم القسم به واذا كان كذلك (فلا) حاجة الى القسم لكنى (أقسم) تأكيدا لبيان كرم القرآن (بمواقع النجوم) أى بمواضع يقع فيها نجوم القرآن بالتجلى الشهودى من قلوب الكمل وأرواحهم (وانه لقسم لو تعلمون) ان المجلى الالهى فى التجلى الشهودى لا بد وان يناسب ما تجلى فيه (عظيم) عظمة تناسب عظمة ما تجلى فيه من الصفة القديمة (انه لقرآن كريم) يعطى كل ناظر ما يليق به لكن بعد المبالغة فى الاجتهاد والتصفية والتزكية لانه (فى كتاب) جامع للعلوم (مكنون) أى مستور عن النظر الظاهر بل لا يحصل بالاجتهاد أيضا وانما يحصل بالتصفية اذ (لا يمسه) فى الظاهر (الا المطهرون)

ظاهرا يكوى به صاحبه يوم القيامة (قوله عز وجل يلزل) أى يعيبك (يحادد الله ورسوله) أى يحارب ويعادى وقيل اشتقاقه

عن الاحداث فكذا لايمس اسراره الا أهل التصفية وانما كان له هذا الكمال لانه (تنزيل من رب العالمين) الذى رباهم بالكمالات ونزلها عليهم فهو بتنزيلها فى تنزيل صفته أولى بافاضتها (أ) لاتهتموا باستنباط أسراره هذا الحديث (فبهذا الحديث أنتم مدهنون) أى متساهلون (وتجعلون رزقكم) أى نصيبكم منه الذى هو القوت الروحانى (أنكم تكذبون) فان كانت مساهلتكم لعدم مبالاتكم بمنزله (فلولا) أى فهلا تقاومونه فى نزع النفس (اذا بلغت الحلقوم و) لايمنع من المقاومة اخفاء الفعل اذ (أنتم حينئذ تنظرون و) لكن انما يقاومه من كان أقرب منه لكن (نحن أقرب اليه منكم) قرب الذات لا المكان والزمان والرتبة (ولكن لاتبصرون) فتتوهمون مقاومته من زعمكم انكم تساوونه فى القوة لكنكم لغاية قوته وعجزكم معه منقادون له (فلولا) أى فهلا (ان كنتم غير مدينين) منقادين له (ترجعونها) أى النفس الى مكانها (ان كنتم صادقين) فى عدم مبالاتكم به فان لم تبالوا بحال الحياة فلابد من مبالاته بعد الموت للتلذذ من قربه أو السلامة أو للقهر (فأما ان كان من المقربين) وهم السابقون (فروح) أى فله راحة التخلص عن حجاب ما بينه وبين محبوبه (وريحان) يشمه من فوائح محبوبه (وجنت نعيم) يتنعم فيها بأنواع اللذات أيضا (وأما ان كان من أصحاب اليمين) فهو من أهل النجاة لسلامتهم من موجبات القهر باتباعك تقليدا (فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين) ولا سبب لتكذيبهم سوى اتباع الهوى فكانوا هم (الضالين) بترجيحه على العقل والشرع (فنزل من حميم) من تعطشه الى المحبوب الذى اخطأ طريقه (وتصلية جحيم) من ترجيح هواه على العقل والشرع (ان هذا) المذكور فى حق كل واحد (لهو حق اليقين) أى لهو الامر المحقق لاهل اليقين الحاصل لهم على كمال التصفية والتزكية بمداومة ذكر الله تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) يستمر لك ذلك * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

* (سورة الحديد) *

سميت به لانه ناصر لله ولرسوله فى الجهاد فنزل منزلة الآيات الناصرة لله ولرسوله على انه سبب لاقامة العدل كالقرآن وأيضا انه جامع للمنافع فأشبهه أيضا فسميت سورة ذكر فيه بذلك (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى السموات والارض حتى سبحته (الرحمن) بخلق السموات والارض والاستواء على العرش (الرحيم) بتحصيل الفصول المختلفة من ايلاج الليل فى النهار وايلاج النهار فى الليل (سبح) فى الازل (لله) حقائق (ما فى السموات والارض) عما الحق من صفات الحوادث ما ظهر فيها منه كيف (وهو العزيز) فلا تلحقه خسة الحوادث وانما الحق ما ظهر منه لانه (الحكيم) فكان ظهوره فى كل حقيقة بحسبها ولا يلزم منه لحوق الحوادث المناسبة لها ما ظهر منه فيها او من لحوق تلك الحوادث دخلت فى ملكه حتى قيل (له ملك السموات والارض) كيف وقد صارت قابلة التصرفه اذهو (يحيى ويميت) ما يشاء فيهما

من اللغة كقوله يجانب الله ورسوله اى يكون فى حد والله ورسوله فى حد (قوله عزوجل يقبضون أيديهم) أى يمسكونها عن

(و) بذلك ظهرت قدرته فيها حتى قيل (هو على كل شئ قدير) لكن هذه الحوادث
لا تبطل اتحادها به من وجه وهو اتحاد الظاهر والمظهر اذ (هو الاول) الذى فاض منه وجود
الكل فيضان نور الشمس (والآخر) الذى يرجع اليه وجود الكل اذ لا وجود لها من ذواتها
كيف (و) هو (الظاهر) فى حقائق الموجودات (و) لكنه لما اكتنف بالحوادث فيها اختفى
وجوده الصرف فهو (الباطن) وكيف لا يكون للكل به اتحاد (وهو بكل شئ عليم) مع ان علمه
واحد ولا يعلم به الا معلوم واحد من وجه ووجود الاشياء وان كان متحدا به فهو حادث لدخوله
تحت الزمان فصح ان يقال (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم) بالرجوع اليه
لا تصير قديمة اذ الزمن فيضه باعتبار أنه (استوى على العرش) ولا يلزم من وحدة علمه جهله
بتفاصيل الجزئيات بل (يعلم ما يلج فى الارض) من الفوائد (وما يخرج منها) من الكوائن
(وما ينزل من السماء) من آثار حركاتها (وما يعرج فيها) من كمالات اخراجها اما بالقوة الى
الفعل كيف (و) هو علمه بذاته أيضا اذ (هو معكم أينما كنتم) من السماويات والارضيات
بالظهور فيكم فهو علمه بذاته من حيث معيته لكم بالعلم (و) من هذه المعية يبصر أعمالكم حتى
قيل فيه (الله بما تعملون بصير) وليست هذه المعية موجبة لمساواتكم له بل (له ملك السموات
والارض) بل معية المملوك للمالك فى رجوعه اليه (و) من هنا قيل (الى الله ترجع الامور) حتى
ان الامور الراجعة الى السماويات راجعة اليه اذ هو (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى
الليل) لتحصيل الفصول المختلفة لتكوين الكوائن وافساد الفواسد (و) كما ترجع اليه
الامور الظاهرة ترجع اليه الامور الباطنة لذلك (هو عليم بذات الصدور آمنوا بالله) الذى
اليه مرجعكم وهو قادر على تكميلكم وتقريبكم واثابتكم وتبعيدكم وتعذيبكم واذا قربكم
تجلى عليكم التجلى الشهودى فتتنزهون بمقتضى الحكمة وتتصفون بصفات العزة وزين
ظاهركم وباطنكم وكان معكم بانواع اللطف واولج ليل نفسكم فى نهار روحكم أو قلبكم
(ورسوله) الذى هو واسطة هذه الكمالات (وانفقوا) تأييدا لايمانكم لكونكم وما تملكونه
ملكا لله فليس بملككم بالحقيقة بل هو (مما جعلكم مستخلفين فيه) فانفقوا ماله فى سبيله وكالة
عنه لتؤثروا حبه على حب المال وتتوكلوا عليه لا على المال (فالذين آمنوا منكم وانفقوا
لهم أجر كبير) أجر الايمان واعتقادانكم وأموالكم ملك الله وايثار حبه والتوكل عليه
(وما لكم لا تؤمنون بالله و) قد ورد الشرع بايجابه اذ (الرسول يدعوكم) الى النظر فى ربكم
(لتؤمنوا بربكم) الذى رباكم بنعمه فوجب عليكم شكره لا بالعقل وحده بل به بعد ورود
الشرع (و) لم يستقل الشرع بايجابه بدون العقل بل (قد أخذ ميثاقكم) بالدلائل العقلية
(ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين للعقل بعد ورود الشرع تصديق البصر بعد طلوع الشمس
وليس لكم أن تقولوا لا ننظر ما لم يجب علينا ولا يجب علينا ما لم ننظر لان وجوب النظر بعد
ورود الشرع يصير ضروريا اذ (هو الذى ينزل على عبده) الكامل (آيات بينات) لا يتوقف الايجاب
بها على نظر فى نفس الدليل ولا فى رفع الشبه لان هذا التنزيل كان (ليخرجكم من الظلمات)

قوله تعالى (والصدقة والخير) أى
ترهق وجوههم) (قوله عز
وجل ويستنبئونك) أى يغشى وجوههم
يستخبرونك

ای

أى ظلمات الجهل ورفع الشبه (الى النور) أى نور اليقين الذى هو العلم الضرورى (و) كيف
لا يفعل ذلك (ان الله بكم لرؤف) فلا يؤاخذكم قبل ورود الشرع (رحيم) باقامة الدلائل
ورفع الشبه (و) اذا آمنتم بالله وهو يقتضى التوكل على الله وايثار حبه على كل ماسواه
(مالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله) ليكون لكم وسيلة الى الله (ولله ميراث السموات والارض)
يزول عنه توهم ملك الغير ويصير الى ملك الله عزوجل من كل وجه فكأنه ورثه من تركة الغير
فالتوسل به توسل بملك الله فى المآل بل فى الحال لكنه انما يتم توسلا حال كمال الحجاب لذلك
(لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح) الذى يشبه كشف الحجاب (وقاتل) قبله فانى فى روحه
ومن أنفق بعد الفتح وقاتل بعده بل (أولئك أعظم درجة) لكمال علمهم حال كمال الحجاب
(من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) من بعد لقصور علمهم بقصور الحجاب (و) لكن (كلا وعد
الله) المثوبة (الحسنى) لبقاء أصل الحجاب لكن انما تعظم درجة الاولين ويكون للآخرين
الحسنى اذا لم يضطروا الى ذلك من حياء الناس ولا للنفاق والرياء بل لله وحده (والله بما تعملون
خبير) هل عملتم له أو للحياء أو غيره ذلك ثم هذا الانفاق انما يكره لما فيه من اضاعة ما يدفع
فى الشدائد والانفاق فى سبيل الله ليس كذلك فانه اقراض من الله (من ذا) من العقلاء
السعداء (الذى يقرض الله قرضا حسنا) أى يخلص نيته ويتحرى له أحسن أمواله ولا يأخذه
الله لنفسه لغناه بل لعبده (فيضاعفه له) أى فيعطيه فى الدنيا اضعافه (وله) فى الآخرة (أجر
كريم) يليق بكرمه عزوجل يحصل له ذلك الاجر على الصراط قبل دخول الجنة وهو ان يصير له
نورا فوق أنوار المؤمنين (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) الكمل والناقصين (يسعى نورهم) على
حسب سعيهم (بين أيديهم) لان عملهم كان لما بين أيديهم من الآخرة (وبأيمانهم) لان أعمالهم
كانت بقوة أرواحهم وقلوبهم يقول لهم ذلك النور تسهيلا يسيرهم على الصراط (بشراكم
اليوم) الذى أنتم فيه على الصراط (جنات) فيها اشجار اعمالكم وثمارها (تجرى من تحتها
الانهار) من نتائج معارفكم واخلاقكم لا بحسب مدتكم ومدة اعمالكم بل (خالدين فيها ذلك)
النور والبشرى (هو الفوز العظيم) الذى لا يبالى معه لمشقة السير على الصراط ويبقى لكم
هذا النور (يوم يقول المنافقون والمنافقات) كاملهم وناقصهم اذا طفى نورهم الذى أعطوه
بقدر ما أظهروه من الاسلام ثم طفى بموتهم (للذين آمنوا انظرونا) أى انتظرونا واقفين
(نقتبس من نوركم قيل) أى قالت الملائكة أو المؤمنون (ارجعوا وراءكم) الى الدنيا (فالتمسوا)
ايمانا واعمالا تفيدكم (نورا) مستقرا (فضرب بينهم) أى بين المؤمنين والمنافقين (بسور) أى
بحائط يحجزهم عن أنوار المؤمنين لتتم ظلمتهم (له باب) يرى به المنافقون المؤمنين ليكلموهم
(باطنه) الجانب الذى يلى المؤمنين (فيه الرحمة) من أنوارهم وأنوار الجنة (وظاهره) الذى يلى
المنافقين (من قبله) من جهة ما يستقبلونه (العذاب) من ظلمتهم وظلمة النار وروائحهم
(ينادونهم) قائلين (ألم نكن معكم) فى الاسلام واعماله (قالوا بلى) فى الظاهر (ولكنكم)
فى الباطن (فتنتم أنفسكم) بالنفاق (وتربصتم) ظهور الكفر لتظهروا ما فى أنفسكم (وارتبتم)

(قوله جل وعز يهدى) أصله يهتدى فادغمت التاء فى الدال (قوله عز وجل يثنون صدورهم) أى يطوون ما فيها وقرئت تثنونى صدورهم أى تستتر وتقديره تفعوعل

فى قوله عز وجل ليظهره على الدين كله ووعده بنصر المؤمنين (وغرتكم الامانى) أى أمانى
المغفرة وانه سيظهر دينكم وان لكم عند الله الحسنى فلم تزالوا على ذلك (حتى جاء أمر الله)
بعذاب القبر وعذاب الآخرة (و) قد فعلتم جميع ذلك لا لدليل بل لانه (غركم بالله) الشيطان
الذى هو (الغرور) واذ فعلتم ذلك بتغرير عدو الله ووافقتموه (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية)
لو كانت لكم فضلا عن التخليص بلا شئ (ولا من الذين كفروا) ظاهرا وباطنا لاستواء ظاهركم
وباطنكم اليوم (مأواكم النار) جميعا وان فارقتموهم فى الدنيا لحقن دمائكم وأنتم ان أسلمتم
والاسلام يقتضى الجنة لكن النار (هى مولاكم) أى أولى بكم اذ لم يبق لكم ذلك الاسلام
(وبئس المصير) مصيركم اليها فوق مصير الكفار ولما كان النفاق المفضى الى ما ذكر من قساوة
القلوب والنور من خشوعها لذكر الله والقرآن قال (ألم يأن) أى ألم يحن (للذين آمنوا) وقت
(أن تخشع) لرفع القساوة واكتساب النور (قلوبهم لذكر الله و) استماع أو قراءة (ما نزل من
الكتاب (الحق) المتضمن للصراط واطفاء نور المنافقين عليه وضرب السور بينهم وبين المؤمنين
وانهم أولى بالنار ومصيرهم اليها أشد (و) انما كان ترك الخشوع موجبا للقساوة عند طول مضى
عهد النبوة لما جرب من أهل الكتاب (لا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم
الامد) أى الزمان (فقست قلوبهم) اذ لم يداوموا على الخشوع (و) افضى الى الفسق غالبا
لذلك (كثير منهم فاسقون) وهو بريد الكفر وانما كان الخشوع مانعا من هذه القساوة لانه
يسقى بماء الذكر والقراءة أرض القلوب القاسية التى أفضت بها القساوة الى الموت بالكفر
(اعلموا ان الله) يحيي القلوب بذكره وكتابه كما انه (يحيي الارض بعد موتها) الذى هو أشد من
القساوة بالماء المحسوس ولا بأس بقياس أمر القلوب على أمر الارض فانا (قد بينا لكم
الآيات) فى الآفاق (لعلكم تعقلون) أى تستعملون العقل فى قياس المعقولات
بالمحسوسات وكيف لا يكون الخشوع محييا للقلوب ساقيا لها مع ان الصدقة التى دونها تؤثر
لذلك (ان المصدقين والمصدقات) الكمل والقاصرين (و) لكن الخبر قصورهم اذ نووا بها انهم
(أقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم) فكأنه بمنزلة السقى المنبت لكل حبة سبع سنابل فى كل
سنبلة مائة حبة (ولهم أجر كريم) فكان محييا لها مفيدا للنور المستقر على الصراط (و) كيف
لا يكون للصدقة ذلك مع انه لعامة المؤمنين اذ (الذين آمنوا بالله ورسله أولئك) لتصديقهم
بجميع أخبار الله واحكامه وشهادتهم بحقية جميع ذلك (هم الصديقون والشهداء عند ربهم)
وهم وان تفاوت صديقيتهم وشهيديتهم (لهم أجرهم ونورهم) بحسب صديقيتهم وشهيديتهم
وأهل الصدقة قد أكدوا صدقهم وشهدوا كفاية الله وآثروا محبته فهم أولى بذلك والخاشعون
أتم سقيا منهم (و) كيف لا يكون لعامة المؤمنين ذلك الاجر والنور مع انهم قابلوا الكفار الذين
لهم العقاب والظلمة اذ (الذين كفروا و) قابلوا صديقية المؤمنين وشهيديتهم بان (كذبوا
بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) المتضمن للعقاب والظلمة فيكون لمن قابلهم الاجر والنور فان
زعموا انكم اذا جعلتم لنا قياس أمر على آخر قسنا أمورنا فى الآخرة على أمورنا فى الدنيا يقال

وهو للمبالغة وقيل ان
قوما من المشركين قالوا
اذا غلقنا أبوابنا وأرخينا
ستورنا واستغشينا ثيابنا
وثنينا صدورنا على عداوة
محمد صلى الله عليه وسلم
كيف يعلم بنا فانبأ الله عز

(اعلموا أنما) يتأتى القياس حيث ناسب الاصل الفرع ولا شئ من أمور الدنيا يناسب شيأ من أمور الآخرة اذ (الحيوة الدنيا) ماهى إلا (لعب) مباشرة باطل (ولهو) اشتغال بتخيل او متوهم (وزينة) بامور خسيسة كالاحجار والحرير نسج الدود والمسك دم الغزال والزباد عرق الهر (وتفاخر بينكم) بالآباء الذين أنتم من نطفهم القذرة وبالصنائع التى يكتسب بها كسب الاجراء (وتكاثر فى الاموال) التى هى احجار أو غيرها (والاولاد) الذين من النطف وهى مع خستها فانية آثروها الاعجابهم أولا ولا يعلمون انه باعتبار الفيض الالهى بها اذ هو (كمثل) نبات حصل من (غيث أعجب الكفار) أى الزراع (نباته ثم) يقع عليها ما ينقصها كما ان النبات (يهيج) أى ييبس (فتراه مصفرا) بعدما كان مخضرا (ثم) يقع عليها ما يهلكها كما ان النبات (يكون حطاما) أى هشيما (و) لا يناسب بدايتها ونهايتها شئ من الامور الآخرة اذ (فى الآخرة عذاب شديد) للبعض (ومغفرة من الله) للبعض (ورضوان) للبعض (و) لو فرضت مناسبة أمورهما (ما الحيوة الدنيا الامتاع الغرور) يأخذ صاحبها ملاعب الدنيا بدل ملاعب الحور العين ولهوها بملاذ الجنة وزينتها بزينة الجنة والتفاخر بدل التفاخر بجوار الله والقرب والتكاثر بالاموال والاولاد بدل نعم الله والولدان المخلدين فى الجنة فان زعموا انا نسابق الى الدنيا لنسبقها فاذا جاءتنا الآخرة سابقنا اليها يقال اهم المسابقة الى الدنيا مسابقة الى المعصية او الى الامور خسيسة تحجب عن الامور الشريفة فاذا جاءت الآخرة لا يمكنكم المسابقة اليها مع تلك المعاصى ولا مع تلك الحجب (سابقوا) أى اسعوا سعى السابقين فى المضمار (الى) أسباب (مغفرة) وهى وان لم تصلح للتأثير فيها فهى تحصل (من ربكم) المربيكم برفع حجب المعاصى وغيرها (و) الى أعمال صالحة هى أسباب (جنة) بدل الدنيا وهى مع غاية شرفها بحيث يكون موضع سوط منها خيرا من الدنيا وما فيها أعظم مقدارا فى الغاية اذ (عرضها كعرض السماء والارض) وليست مما يوعد بخلقها فى المستقبل والدنيا مخلوقة الآن لانها (أعدت) وليست المسابقة اليها بالاعمال الشاقة جدا لانها جعلت (للذين آمنوا بالله ورسله) ولا يبعد اعداد مثلها لمن ليس له أعمال شاقة اذ (ذلك فضل الله) ولا يختص بشرفاء الدنيا بل (يؤتيه من يشاء و) ليس شرف الدنيا من الفضل المنسوب اليه اذ (الله ذو الفضل العظيم) وانما تظهر عظمة فضله اذا اعطى مثلها لمن ليس له اعمال شاقة فان زعموا ان من سابق الى المغفرة والجنة سابقت المصائب الى ماله ونفسه يقال ليست تلك المصائب سبب المسابقة بل (ما أصاب) شئ (من مصيبة فى الارض) التى لا مسابقة لها (ولا فى أنفسكم الا فى كتاب) الهى لا يتغير بالمسابقة ولا بتركها كيف وقد كتب فيه (من قبل أن نبرأها) أى نخلق المصيبة والارض والانفس أى فى الازل ولا يتغير ما فيه (ان ذلك) أى كتبها فى كتاب مع لا تناهيها (على الله يسير) وانما كتبها من قبل أن يبرأها (لكيلا تأسوا) أى لئلا تحزنوا (على ما فاتكم) بانه للتقصير فى التدبير للاشتغال باسباب المسابقة مثلا (ولا تفرحوا بما آتاكم) انه بتدبيركم كيف وهذا الفرح عن التدبير موجب للاختيال والتكبر المكروهين (والله لا يحب كل مختال فخور) كيف والفرح

وجل عما كتموه فقال ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون (قوله عز وجل يؤس) أى فعول من يئست أى شديد الاياس (قوله عز وجل يلتقطه بعض السيارة) أى يأخذه على

بالشئ يوجب الحزن على فواته فيوجب البخل عليه ثم لايزال يرسخ فيه حتى يراه صفة محمودة يأمر بها من يحبه ثم يعم الناس فهؤلاء الفرحون هم (الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل) ليعرضوا عن أمر الله بالانفاق (ومن يتول) عن أمر الله لم يضر الله ولو بالبخل فيما يأمر بالانفاق فيه (فان الله هو الغنى) عن انفاقه (الحميد) الذى لا يلحقه الضرر الذى به الذم وليس التقدير مانعا من التدبير بل يتوقف بعض التقادير عليه لذلك (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) ليتدبر الناس فى صدقهم (وأنزلنا) الى الناس (معهم الكتاب والميزان) العقلى ليتدبروا بهما فى أمور دينهم ودنياهم (ليقوم الناس بالقسط) أى العدل عن كل التدبير (وأنزلنا) ليدبروا ويدفع المعاند عنهم (الحديد) اذ (فيه بأس شديد و) ليس انزاله لمحض الشر اذ فيه (منافع) كثيرة (للناس) كلهم لتوقف الصنائع عليه (و) البأس أيضا ليس بشر على الاطلاق اذ كثيرا ما يكون لنصر الله و رسوله فكان انزاله (ليعلم الله) أى ليظهر ما علم من أنه (من ينصره و رسله) وهو و ان كان ينتصر لذاته و رسله بعد كشف الحجب البتة لكن ربما لا ينتصر (بالغيب) وليس ذلك لضعفه وذلته حينئذ بل (ان الله قوى عزيز و) ارسال الرسل وان كان لافادة الهداية فانما يحصل لمن قدرت له والا فلا و ان كان من ذرية كبار الرسل فانا (لقد أرسلنا نوحا وابراهيم) من كبار الرسل (و) لم تنقطع نبوتهما و رسالتهما اذ (جعلنا فى ذريتهما النبوة و) الرسالة اذ جعلنا فيهم (الكتاب) لكن لم تعم الهداية جميع ذريتهما (فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم) لم يزل الفسق فيهم وان (قفينا على آثارهم) تأكيدا لرسالتهم (برسلنا) المنسوبين الى مقام عظمتنا (وقفينا) هؤلاء الكبار زيادة فى التأكيد (بعيسى) الملتبس بالاله عند جماعة لذلك فى بدء كونه (ابن مريم وآتيناه) تكميلا لرسالته (الانجيل) الذى هو أشمل الكتب المتقدمة على دقائق الحكمة (و) لذلك ظهرت له آثار جميلة اذ (جعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة) لاجلها لا يقتلون القاتل ولا يضربون الضارب والشاتم (ورحمة) بتحسين اخلاقها ومساعيها (ورهبانية) جعلناها فى قلوبهم حتى (ابتدعوها) قبل أن يرد فى نص كتاب ثم (ما كتبناها عليهم الا) لاجل أن فيها (ابتغاء رضوان الله) لانها مؤكدة للاعمال المشروعة الا انها لما كانت حرجا عليهم عجزوا عنها (فما رعوها حق رعايتها) فمع هذا التأثير ضل من قدر عليه الضلال حتى كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (فآتينا الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (منهم) أى من هؤلاء الرهبان (أجرهم) على دينهم ودين محمد صلى الله عليه وسلم ورهبانيتهم (وكثير منهم) وان كان فيهم الرأفة والرحمة والرهبانية (فاسقون) بترك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فلا يؤجرون على شئ منها وانما كثر فسقهم لعدم تقواهم اعتمادا على رهبانيتهم (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم بالله تقواكم لله (اتقوا الله) ولا تجترؤا على معاصيه اعتمادا على رهبانيتكم (و) انما يتم التقوى بالايمان بجميع الرسل سيما المتأخر (آمنوا برسوله) المتأخر فان الايمان به يتضمن الايمان بالكل (يؤتكم كفلين) أى نصيبين (من رحمته) أى ثوابه كفل على الايمان بالمتقدم وكفل على الايمان بالمتأخر كما يؤتى

غير طلب له ولا قصد ومنه قولهم لقيته التقاطا وورد الماء التقاطا اذا لم ترده فهجمت عليه قال الراجز * ومنهل وردته التقاطا *

اهل

أهل الكتاب (ويجعل لكم) بدون الرهبانية (نورا) يكشف عن الحقائق (تمشون به) في منازل
الشريعة والطريقة والحقيقة (ويغفر لكم) مايصدر عنكم حال الغلبة (و) هي وان كبرت
على أكثر الخلائق لاتكبر على الله اذ (الله غفور) بل ربما يجعلها حسنات اذ هو (رحيم)
وانما فعل ذلك بكم (لئلا يعلم) أي يعتقد (أهل الكتاب) المخصوصين أولا بالكفلين (أن) أي انه
(لايقدرون) أي المؤمنون من غيرهم (على) تحصيل (شئ من فضل الله و) لايعتقدوا (أن
الفضل) يختص بهم بل (بيد الله) وليس لهم منعه أن يؤتيه غيرهم بل (يؤتيه من يشاء) وانما
خص أهل الكتاب به أولا ترغيبا لهم في الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم عمم الكل (و) له أن
يفضل عليهم المؤمنين اذ (الله ذو الفضل العظيم) قال عليه السلام انما مثلكم ومثل اليهود
والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط
فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من نصف النهار الى العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى
ثم قال من يعمل لي من العصر الى المغرب على قيراطين قيراطين الا وأنتم الذين تعملون من
العصر الى المغرب الا لكم الاجر مرتين فغضب اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل
عطاء قال الله تعالى عز وجل هل ظلمتكم من حقكم شيأ قالوا الا قال فانه فضلي أعطيه من شئت ثم
والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المجادلة)

سميت بها لانها لما كانت لطلب الحق والصواب أشبهت مجادلة الانبياء والقرآن ولذلك سمع
الله لصاحبها (بسم الله) المتجلي بكمالاته في المجادلة حتى رأت قطع الظهار علاقة النكاح خطأ
(الرحمن) باظهار الصواب بعد طول مدة خفائه في العموم (الرحيم) بوضع الكفارة لرفع
التحريم العارض روي ان خولة بنت ثعلبة قالت يارسول الله ان زوجي اوس بن الصامت
تزوجني وأنا شابة ذات مال حتى اذا أكل مالي وأفنى شبابي ظاهر مني وقد ندم فهل من شئ
يجمعني واياه فقال عليه السلام حرمت عليه فقالت ماذكر الطلاق وانه أبو ولدي فقال حرمت
عليه فقالت أشكو الى الله فاقتي ووحدتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه
ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم اني أشكو
اليك اللهم فانزل على لسان نبيك فقالت عائشة رضي الله عنها اقصري حديثك ومجادلتك
اما ترين وجه رسول الله اذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي الي
زوجك فتلا عليه الآيات الاربع (قد سمع الله قول) أي قد أجاب الله دعاء (التي) دعت في ضمن
شكايتها حين (تجادلك في) قطع الظهار علاقة النكاح من قول (زوجها) أنت علي كظهر
أمي (و) كلما قال لها رسول الله حرمت عليه (تشتكي الى الله) عن كون هذا التحريم قاطعا
علاقة النكاح (والله يسمع) عن رضا (تحاوركما) أي ترجيعكما الكلام اذ كان عليه السلام يراه
مجازا أو كناية عن الطلاق وكانت تراه تحريما غير قاطع علاقة النكاح (ان الله سميع) لمجادلات
أهل الحق عن رضا (بصير) بمقاصدهم فلا يعاقب المخطئ ولا يذمه بل يؤتيه أجر الاجتهاد

(قوله عز وجل يعصرون) أي ينجون وقيل يعني العنب والزيت (قوله عز وجل يا أسفى على يوسف) الاسف الحزن على مافات (قوله عز وجل يدرؤن)

(الذين يظاهرون) أي يقولون لنسوتهم انتن علينا كظهور أمهاتنا يعنون في حرمة الركوب مع كونهم (منكم) جماعة المسلمين من أهل الناظرين الى الحقائق يتخاصون بذلك (من نسائهم) بجعلهن أمهاتهم مع أنهن (ماهن أمهاتهم) بالحقيقة ولا في حكمهن بالمجاز اذ لا يقتضي المجاز أن يكون في حكم الحقيقة الا بقلب الحقائق لكنه الانقلاب (ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم) ولحوق الجدات والمرضعات للمشاركة في الاصالة وافادة التنمية (و) ليس ههنا من الملحقات شيء لذلك (انهم ليقولون) في التجوز بلا معنى ملحق للفرع بالاصل (منكرا) وان كان (من القول) المتعارف لهم كيف (و) المجاز لا يكون زورا لوجود العلاقة وهذا كان (زورا) لعدم العلاقة (وان الله لعفو) أي مجاوز عن هذه المعصية لو لم تعودوا (غفور) بالكفارة لو عدتم (والذين يظاهرون من نسائهم) قيد بذلك لان ظهار الاجنبية لا يوجب الكفارة لوجود الحرمة هناك أولا فلا يكون القول منكرا او زورا محضا (ثم يعودون) بالتدارك (لما قالوا) وهو امساك المظاهر عنها زمانا يمكنه مفارقتها منه تنزيلا لسبب الجماع منزلته وعند أبي حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بالنظر بشهوة وعند مالك بالعزم على الجماع (فتحرير رقبة) أي فالواجب عليهم اعتاق رقبة وقيدها الشافعي بالمؤمنة قياسا على كفارة القتل (من قبل أن يتماسا) أي يجامعا اذ لا داعي الى أدائها بعده (ذلكم توعظون به) لاشعاره بان هذا الجناية تجعل رقبة الجاني أسيرة فيفكها باعتاق مثلها (والله بما تعملون) من المماسة قبل الكفارة (خبير فمن لم يجد) رقبة (فصيام شهرين متتابعين) لانه لكونه ضعف الواجب الاصلي في التجويع صار كالقتل وتأكد بالتتابع والقتل فك من الاسر وهو أيضا (من قبل أن يتماسا) لكن لو جامع المظاهر ليلا لم ينقطع التتابع عند الشافعي وينقطع عند أبي حنيفة ومالك (فمن لم يستطع) تتابع الصوم هذه المدة لهرم أو مرض أو شبق مفرط (فاطعام ستين مسكينا) أي تمليك ستين مسكينا ستين مدا وهو رطل وثلث وعند أبي حنيفة يعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره لان المعطى للغير أمسك عنه صاحبه فكان صامه وهو أيضا من قبل أن يتماسا لكنه لم يذكره اكتفاء بذكره في المبدل عنه وأباح أبو حنيفة ومالك التماس قبل الاطعام (ذلك) الصوم والاطعام لما كانا بمنزلة قتل النفس أفاد تصفية القلب (لتؤمنوا بالله ورسوله و) من لم يحصل له التصفية يجب عليه لانه حد الله اذ (تلك حدود الله) التي يجب الايمان بها وان لم تعقل وكذا العمل بها (وللكافرين) بحدوده لترجيحهم عقولهم (عذاب أليم) على انكارها وترك العمل بها وكيف وهم يحادون الله (ان الذين يحادون الله) أي يخالفونه في حدوده معقولة أو غيرها (ورسوله) الذي هو الاصدق من العقل (كبتوا) أي أخروا عن حد الانسانية ولا يعدفانه (كما كبت الذين من قبلهم) حين اعتمدوا في مخالفة الرسل على عقولهم (و) كيف يرجعون الى عقولهم بعد ظهور صدق الرسل بالضرورة اذ (قد أنزلنا آيات بينات) بحيث لا تقبل معارضة عقل ولا غيره فاذا رجحوا عقولهم عليها كانوا مستهينين بها وبمنزلها وبالرسل (و) لذلك يكون (للكافرين عذاب مهين)

(قوله عز وجل أي يدعون (قوله تعالى الذين آمنوا) أفلم ييأس أي يعلم ويتبين بلغة النخع (قوله تعالى يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) أي يختارونها على الآخرة (قوله تعالى يهرعون)

وتكون اهانتهم على رؤس الخلائق (يوم يبعثهم الله جميعا) أى مجتمعين (فينبئهم بما عملوا)
بمقتضى عقولهم وما فوتوا من حكم الله فى حدوده من وجه أو وجوه وعلى خلاف عقولهم
اذ (أحصاه الله) أى ما فوتوا من الحكم المعقولة لهم وغيرها وان كان فيها ما عقلوا فيها الحكمة
(و) لكن (نسوه) عند العمل بها أو بعد ذلك وكيف لا يحصيها الله (والله على كل شىء شهيد)
فان أنكروا شهوده لوجوه الحكمة وراء ما يدركونه بعقولهم قيل لهم (ألم تر أن الله يعلم
ما فى السموات وما فى الارض) وأنتم لا تعلمون أكثرها فان زعموا أنهم أحاطوا بجميعها
يقال لهم لو كنتم محيطين بالكل لاحطتم بما يناجى به بعضكم بعضا مع ان الله تعالى (ما يكون
من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) وان لزم من ذلك كونه شفع العدد وزعم انه واحد فى ذاته من
كل وجه وتر (ولا) يختص ذلك بالوتر الاول بل ما يكون من نجوى (خمسة الا هو سادسهم)
اذ وحدته ووتريته باعتبار ذاته وهذا باعتبار معيته (و) لذلك لا يكون من نجوى (لا أدنى
من ذلك ولا أكثر الا هو معهم) ولا ينافى ذلك اختلاف أمكنتهم بل (أين ما كانوا) لاستواء
الامكنة بالنسبة الى من تنزه عنها ولكن لا يطلعهم على ذلك الآن ابتلاء للتكليف (ثم ينبئهم
بما عملوا) يوم ارتفاع التكليف (يوم القيامة) فان لم يتصوروا معية الذات فليتصوروا معية
العلم (ان الله بكل شىء عليم) والمعلوم مع العالم تصورا فان أنكروا اتيانهم القبائح فيما خالفوا
أمر الله يقال (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى) حسنة أو قبيحة (ثم يعودون لما نهوا عنه)
فيزعمون انهم انما أتوا بالنجوى الحسنة (و) هم (يتناجون) بكل قبيحة (بالاثم) فيما بينهم وبين
الله (والعدوان) فيما بينهم وبين الخلق (ومعصيت الرسول) الجامع بين الحقين (و) لا يقتصرون
فى حقه على النجوى القبيحة بل يأتون بالقبيحة ظاهرا وان أرادوا اخفاءه فانهم (اذا جاؤك)
مظهرين محبتك (حيوك) بقولهم السام عليك أى الموت ولا يضرك لانهم حيوك (بما لم يحيك
به الله) الذى بيده الحياة والموت (و) يتوسلون بذلك الى تكذيب الرسول واستهانته
اذ (يقولون فى أنفسهم) لو كان الرسول حقا عزيزا عند الله (لولا) أى هلا (يعذبنا الله بما نقول)
فاجيبوا بانه انما لا يعذبهم الله فى الدنيا لانه لا يكفيهم ذلك العذاب بل (حسبهم جهنم)
الجامعة أنواع العذاب بل يكفيهم نارها اذ (يصلونها) فاذا كان معها غيرها (فبئس المصير)
من كل وجه ثم رخص للمؤمنين فى نجوى الخير اذ لا يدعونها فى مكان الشر لكن لما لم ينافه
قال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم اجتناب الشرور واجتذاب الخيرات (اذا
تناجيتم فلا تتناجوا) بوجه من وجوه الشر (بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) فانها
وان لم تناف الايمان تنافى مقتضاه (وتناجوا) بما هو مقتضاه (بالبر) فعل الخيرات (والتقوى)
عن الشرور (و) لا يعتمدوا على عدم منافاة الايمان بل (اتقوا الله) أن يسلب ايمانكم فان
لم يسلب فاتقوه أن يعذبكم فان لم يعذب فاتقوه أن تلقوه عصاة اذ هو (الذى اليه تحشرون)
وانما نهى من نهى عن النجوى مطلقا لانه (انما النجوى) التى تصدر عنهم (من الشيطان)
فان كان فيها خير يتوهم المؤمنون فيها الشر فكانت من الشيطان أيضا (ليحزن الذين آمنوا)

أى يصعدون والمعارج الدرج (قوله تعالى يتفسحوا) أى يتوسعوا (قوله عز وجل (فافسحوا)) أى بيده فى التراب (قوله عز وجل يدفنه حيا) (قوله عز وجل يحادون) أى ينكرون

و) لا ينبغي لهم أن يحزنوا اذ (ليس بضارهم شيأ الا باذن الله و) لا يأذن الله به في حق المتوكل
عليه وحق المؤمن التوكل عليه لذلك (على الله فليتوكل المؤمنون) ولا حزن مع التوكل
عليه لضمانه الكفاية عنه ولذلك كان المتوكلون في سعة من أهل الحزن الذين لا يخرجون
عن الضيق ولما أمر المؤمنين بمناجاة البر والتقوى تنافسوا في القرب من رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما في مناجاته من جمع وجوههما فاذا سبقوا الى مجالسه لم يفسحوا لمن أتى بعدهم
فانزل الله تعالى هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا) كما كان مقتضى ايمانكم التوسع فمقتضاه
التوسع لاخوانكم سيما اذا أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم (اذا قيل لكم تفسحوا) أي
توسعوا (في المجالس) من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فافسحوا يفسح الله لكم)
في العلوم فانه اذا كثر العلماء استفاد بعضهم من بعض ما لا يستفيد بنفسه ثم بالغ فقال (واذا
قيل انشزوا) أي انهضوا للتوسعة (فانشزوا) ولا يتوهم فيه اذلال اذ (يرفع الله الذين
آمنوا منكم) بمزيد طاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم باحسانهم الى اخوانهم بالتوسعة
درجات (والذين أوتوا العلم) بكثرة العلماء (درجات) في العلم لا يقدرون على تحصيلها
لو اشتغلوا بها كيف وقد يرتفع البعض في العلم بالعمل بما يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يرتفع به البعض الآخر لاخلاله به أو بما يفضله (و) ذلك بحسب خبرة المفيض عز وجل اذ
(الله بما تعملون خبير يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم التصفية عن حب المال سيما عند
مناجاة الرسول (اذا ناجيتم الرسول) لاكتساب العلم الرافع للدرجات (فقدموا بين يدي
نجواكم صدقة ذلك خير لكم) اذ اهتمامكم بحفظ ما أنفق فيه المال أكثر (وأطهر) لقلوبكم
فتكون كمرآة مجلوة لانطباع العلوم (فان لم تجدوا) فلا تحرجوا عن تحصيل العلوم
لفقدها (فان الله غفور رحيم) ثم نسخ ذلك بآية متصلة فقال (أأشفقتم) أي خفتم الفقر من
(أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) لكل نجوى صدقة (فاذ لم تفعلوا) مع كونه خيرا
لكم وأطهر ترجيحا لجانب المال على جانب العلم (وتاب الله عليكم) فنسخ (فأقيموا
الصلوة) الناهية عن الفحشاء والمنكر لئلا تصير حجابا عن العلم الحقيقي (وآتوا الزكوة) المفيدة
نوع تزكية من الشح المطاع (وأطيعوا الله ورسوله) ليفيض عليكم بمزيد تقربكم اليه
بواسطة رسوله (والله خبير بما تعملون) أي ببواطن أعمالكم فاذا لم يفض عليكم فالتقصير منكم
ثم أشار الى ما في موالاة أعدائه من الضرر وان قصد بها تحصيل العلم الرافع للدرجات فقال
(ألم تر الى) المنافقين (الذين تولوا قوما) من اليهود على زعم تحصيل العلم مع انهم (غضب الله
عليهم) فأنى يكون عندهم العلم الرافع للدرجات بل انما يحصل منهم ما يفيدهم التردد لذلك
(ما هم منكم ولا منهم ويحلفون) لكم مصرين (على الكذب) بأنهم منكم وانما يريدون
بالتعلم منكم الاحتجاج عليهم أو رفع شبهاتهم (وهم يعلمون) انه لا يتأتى منهم الاحتجاج
ورفع الشبهات (أعد الله لهم) بموالاتهم واستفادة ما يجعلهم في التردد (عذابا شديدا)
أشد من عذابهم (انهم ساء ما كانوا يعملون) من موالاة أعداء الله وتحصيل علم يفيدهم

بألسنتهم ما تستقبحه
قلوبهم (قوله عز وجل
يكبر في صدوركم) أي
ويعظم في نفوسكم (قوله تعالى
ينزغ بينهم) أي يفسد ويهيج

التردد والحلف الكاذب ومن أسوأ أعمالهم انهم (اتخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنة) عن ضرركم مع انكم انما تضرونهم بالجر الى سبيل الله وهم يكرهون ذلك (فصدوا) أى منعوا أنفسهم (عن سبيل الله) استهانة لسبيله بجعل ضرر تركه أهون من ضرر ذلك العلم المفيد للتردد (فلهم عذاب مهين) ولا ترفع تلك الاهانة أموالهم ولا أولادهم فانه (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) فان أغنيا فى الدنيا لم يغنيا فى الآخرة اذ (أولئك أصحاب النار) ولا يتخلصون عنها بحرمة مال ولا ولد بل (هم فيها خالدون) وكيف لا يكون لهم الخلود فى النار مع اصرارهم على الأيمان الكاذبة يوم القيامة فانهم يجترؤن على الله (يوم يبعثهم الله جميعا) فيسألهم عن جراءتهم عليه وصدهم عن سبيله (فيحلفون له كما يحلفون لكم) فيجترؤن عليه اجتراءهم عليكم مع اجترائهم عليه ههنا أيضا (و) لا يبالون بهذه الجراءة يوم القيامة اذ (يحسبون أنهم على شئ) من حيل دفع العذاب مع انه سبب زيادته اذ يظهر به كذبهم فى الدارين (ألا انهم هم الكاذبون) المستمرون عليه الى ذلك الوقت وانما يجترؤن على الأيمان الكاذبة حينئذ لانهم (استحوذ) أى غلب (عليهم الشيطان) فاوهمهم النجاة فيها (فأنساهم ذكر الله) فضلا عن ذكر علمه المحيط وقدرته الشاملة وحكمته البالغة فصاروا لا يبالون له كما لا يبالى له الشيطان اذ (أولئك حزب الشيطان) فى الدارين ولا يفيدهم شيأ فى الدارين (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) فوائد الدارين بالحقيقة وان حصلوا فى الدنيا بعض الخوارق نضررها أعظم من نفعها فان زعموا أنهم كيف لا ترفع درجاتهم اذ جمعوا بين علومهم وعلوم المسلمين يقال ان هذا الجمع ربما يدعو الى اتخاذ حدود غير حدود الله وهو يوجب الذلة (ان الذين يحادون الله ورسوله) أى يتخذون حدودا غير حدوده ويكفى فى ذلك مخالفة حدود رسول الزمان (أولئك) البعداء عن الامر الواجب مستقرون (فى) مقام (الاذلين) وكيف يحصل لهم رفع الدرجات بهذا الجمع ولا يزالون مغلوبين لانه (كتب الله لاغلبن أنا ورسلى) ولو لم يكتب لم يغلب أيضا (ان الله قوى) كيف والمغلوبية ذلة وهو (عزيز) فان زعموا ان محادة الله ورسوله انما تتصور من الكفار ونحن مؤمنون يقال (لا تجد قوما يؤمنون بالله) فان الايمان به يوجب محبته وهى توجب عداوة أعدائه (واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) لوضوح المنافاة بين الايمان بهما ومحبة أعدائهما فان الايمان به يوجب الاحتراز عما يضر فيه ومحبتهم ضارة فيه لانها توجب المعية بهم (و) هذه المنافاة ذاتية بحيث لا تعارضها المحبة التى هى كالذاتية (لو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) فكيف تعارضها المعارضة لطلب العلم وانما دفعت هذه المحبة تلك مع انها كالذاتية التى لا تزول بغير اذ (أولئك) الكمل الذين لا يبالون بما سوى الله (كتب فى قلوبهم الايمان) فمحا ما ينافيه سيما (و) قد (أيدهم بروح منه و) كيف يحبونهم وقد علموا وجوب قطع محبتهم لان الله تعالى يدخلهم النار والمؤمنون (يدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار) لاجرائهم أنهار المعارف بقلوبهم من قرب ربهم فلا حاجة لهم الى اكتسابها من أعدائه سيما وقد كانت

(قوله تعالى ينبوعا) يفعول من نبع الماء أى ظهر (قوله ينقض) أى عز وجل يسقط وينهدم وينقاض ينشق وينقلع من أصله ومنه قولهم فراق كقيض

معارفهم تزداد كل يوم لو خلدوا في الدنيا لذلك يكونون (خالدين فيها) وكيف لا يكون لهم هذا الفيض وقد (رضي الله عنهم و) رضاه عنهم يوجب تواتر فيضه عليهم بحيث (رضوا عنه) وكيف لا يفيض عليهم مع ان (أولئك حزب الله) وحزبه يستحق ما لا يتناهى من الفيوض (ألا ان حزب الله هم المفلحون) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الحشر)

سميت بها لدلالة اخراج اليهود عنده على لطف الله وعنايته برسوله وبالمؤمنين وقهره وغضبه على أعدائهم وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلي بالجلال والجمال فيما في السموات والارض (الرحمن) باظهار عزته وحكمته في ضمنهما (الرحيم) باللطف على المؤمنين باخراج أعدائهم عن جوارهم (سبح) أي نزه تنزيها مستحقا (لله) عن ان يكون في جلاله أو جماله نقص من مظاهرهما من جملة (ما في السموات وما في الارض و) ظهوره بالجلال من حيث (هو العزيز) وبالجمال من حيث هو (الحكيم هو الذي) باعتبار قهر عزته ولطف حكمته (أخرج الذين كفروا) فاستحقوا القهر وان كانوا (من أهل الكتاب من ديارهم) التي بها جاوروا المؤمنين لطفا بهم (لاول الحشر) اجلاء بني النضير الى اذرعات واريحا من الشام وخيبر حين نكثوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا له ولا عليه يوم احد بهزيمة المسلمين فخرج كعب بن الاشرف في أربعين راكبا فحالفوا قريشا عند الكعبة فأمر عليه السلام محمد بن مسلمة وكان أخاه من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم فصالحوه على الجلاء ودل على الحشر الثاني وهو اجلاء عمر أهل خيبر ودل المجموع على انه سنة الهية في اذلالهم فيتوقع مثله أو أشد منه يوم القيامة وأتى بصيغة الحصر ليدل على انه لا دخل لكم في اخراجهم لانكم (ما ظننتم) فضلا عن الجزم (أن يخرجوا) باخراجكم فصار آية لكم (و) كذلك لهم اذ (ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من) بأس (الله) فضلا عنكم (فأتاهم الله) أي قهره (من حيث لم يحتسبوا) أي من الجانب الذي لا دخل لحصونهم في تحصينهم بقتل رئيسهم (و) يكفي من قهره انه (قذف) من غير قتال (في قلوبهم الرعب) أي الخوف حتى أيسوا من الرجوع الى مكانهم باستغاثة من غيرهم فصاروا (يخربون بيوتهم) لئلا يسكنها المسلمون وسوّوا في التخريب بينهم وبين أعدائهم فخربوها (بأيديهم وأيدي المؤمنين) كأنهم جعلوا أعداءهم وكلاءهم حتى نسب تخريبهم اليهم (فاعتبروا) من حالهم في الدنيا حالهم في الآخرة (يا أولي الابصار) الناظرين للامور الغيبية بالقياس على المحسوسات (و) لو قيل الجلاء ليس بتعذيب فكيف يقاس عليه عذاب الآخرة يقال لو سلم قيس على العذاب المقدر فانه (لولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم) بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة وكأنهم عذبوا (في الدنيا ولهم) بالقياس على ذلك العذاب المقدر (في الآخرة عذاب النار ذلك) أي تقدير العذاب عليهم ليس بمجرد القياس على بني قريظة بل (بأنهم شاقوا الله ورسوله

ومن

السن أي لا اجتماع بعده أبدا (قوله تعالى يظهروه) أي يعلوه يقال ظهر على الحائط أي علاه (قوله عز وجل يموج) أي يضطرب (قوله تعالى وتركنا بعضهم

ومن يشاق الله) عذبه لامحالة (فان الله) وان كان حليما فلا يحلم أبدا على من شاقه فان يحلم في الدنيا فلمزيد شدة عليهم في الآخرة اذ هو (شديد العقاب) ولما كان الجلاء اذلالا للكفار واعزازا للمسلمين فكذا قطع بعض النخيل وابقاء البعض فانه عليه السلام أمر بقطعها فقالوا يا محمد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال النخيل تقطع فاستمر على القطع بعضهم وترك البعض فانزل الله تعالى (ماقطعتم من لينة) أي نخيل (أو تركتموها) لا لقصد الاحراق بل (قائمة على أصولها فباذن الله) ليعز المؤمنين باذهاب غيظهم على الكفار فيما قطع وبحصول الفيء لهم فيما أبقى (وليخزى الفاسقين) بجعل ما أبقى لاعدائهم وقطع رجائهم عما قطع (و) انما كان ابقاء ما بقي اعزازا للمؤمنين واذلالا للكافرين لان (ما أفاء الله) أي رد (على رسوله) بعدما خلق له الكل ثم جعله لمن دونه فانتزع (منهم فما أوجفتم) أي سيرتم بسرعة قبل أن يصل الخبر اليهم (عليه) أي على تحصيله (من خيل ولا) مادونه من (ركاب) أي مركوب من ابل أو حمار لابد منه في السير الى أرض العدو لئلا تسرع اليكم الهزيمة (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) بالقاء الرعب في قلوبهم فهو معجزة مخصوصة بقدرة الله لاعزاز رسوله واذلال أعدائه (و) لا يمنع من اذلال الكفار كثرة أسباب العزة عندهم ولا من اعزاز الرسول قلة أسبابها عنده اذ (الله على كل شيء قدير ما أفاء الله على رسوله) فهو وان خلق للرسول بالاصالة لكن نقل عنه بعض الاشياء فصار لاهل القرى فاذا أفاءه على رسوله فقد نزعه (من أهل القرى) فصار للنازع فيه سهم وللمردود عليه سهم (فلله) الاخماس الاربعة (وللرسول) خمس الخمس (ولذي القربى) بني هاشم والمطلب لا بني عبد شمس ونوفل لابطالهم قرابتهم بقطعهم المعاملة معه لان لهم دخلا في سببية حصوله وقدمهم لان حاجتهم كحاجته عليه السلام (واليتامى والمساكين وابن السبيل) لان لهم دخلا في النصر وقدم اليتامى لشدة حاجتهم ولم يجعل لهم في الصدقة نصيبا ولا لذي القربى لانها من أوساخ الناس فكره أن يكون منشؤهم عليها وانما قسم مال الفيء هذه الاقسام (كي لا يكون دولة) أي متداولا دائرا (بين الاغنياء منكم) أي أهل القتال اذ تصيرون أغنياء فيتركون القتال حبا للحياة (وما آتاكم الرسول) من الاخماس الاربعة التي أمر الله (فخذوه) من غير تقدير (وما نهاكم عنه) من أخذ الخمس الباقي (فانتهوا واتقوا الله) ان تأخذوا ما جعل لغيركم (ان الله شديد العقاب) والسهام الاربعة التي لله فهي لرسوله في حياته يجعلها (للفقراء) لانهم أحوج (المهاجرين) الى الله ورسوله فهم أحق بالعطاء سيما من حيث انهم (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) فلابد من تعويضهم عنها وكيف لا يتفضل عليهم بها مع انهم انما هاجروا (يبتغون فضلا من الله و) لا يصرفون الاموال في غير مصارفها لانهم يبتغون من الله (رضوانا) كيف (و) هم أولى المستحقين من المترصدين للجهاد لانهم (ينصرون الله ورسوله) وكيف لا يعطون سهام الله مع أن (أولئك هم الصادقون) في محبته فعطاؤهم ينزل منزلة عطائه عز وجل وكيف لا يخص هؤلاء بالعطاء مع ما فيه من الترغيب في الهجرة (و) الانصار نقص استحقاقهم لعدم هجرتهم لانهم

يومئذ يموج في بعض) أي يختلط بعضهم ببعض مقبلين ومدبرين حيارى (قوله تعالى يفرط علينا) أي يعجل الى عقوبتنا يقال فرط يفرط اذا تقدم أو

(الذين تبوؤا الدار) أى توطنوا دار الهجرة (و) تبوؤا (الايمان) فلا يخرجون عنه بمنعهم
العطاء و يخاف ذلك فى منع المهاجرين للعطاء وكيف يخاف على ايمان الانصار مع انه كان (من
قبلهم) ولا يكرهون عطاء المهاجرين لانهم (يحبون من هاجر اليهم) وان ضاقت بهم معايشهم
وعطاء المحبوب محبوب (و) بالجملة لا يكرهون المنع لانهم (لا يجدون فى صدورهم حاجة)
يريدون لاجلها اشيأ (مما أوتوا و) لو وجدوا حاجة لقدموا حوائج المهاجرين لانهم (يؤثرون)
المهاجرين (على أنفسهم) فى أموالهم ومنازلهم (ولو كان بهم خصاصة) أى شدة حاجة الى
ما آثروا به فلو كان مال الفيء بايديهم ماشحوا به عليهم (و) كفى بذلك فضيلة فان (من يوق شح
نفسه) وان كان من لوازمها (فأولئك هم المفلحون) بمحبة الله تعالى ومقامات قربه (و) كما لا يكره
عطاءهم الانصار لا يكرهه عامة المؤمنين اذ (الذين جاؤا من بعدهم) فانهم وان تأخر ايمانهم
فلم يستقر فى قلوبهم استقراره فى قلوب الانصار لا يريدون الاموال بل الغفران اذ (يقولون
ربنا اغفر لنا و) يريدون بالمهاجرين والانصار اذ يقولون اغفر (لاخواننا الذين سبقونا
بالايمان) فاذا طلبوا لهم ما هو اعظم عندهم لا يكرهون ان يعطوا ما هو ادنى (و) لو كرهوا
اعطاءهم لكان فى قلوبهم غل عليهم لكنهم يقولون (لا تجعل فى قلوبنا غلا) أى حقدا (للذين
آمنوا) على العموم فضلا عن المهاجرين والانصار ثم يقولون (ربنا انك رؤف) فارأف بالمغفرة
لنا ولمن سبقنا بالايمان (رحيم) فارفع برحمتك عن قلوبنا الغل للمؤمنين وارحمنا رحمة تغنينا بها
عن هذه الاموال فهذا شأن المؤمنين ان يقدموا اخوانهم على أنفسهم وان يحبوا لهم مثل
ما يحبون لانفسهم واما المنافقون فهم الذين يقدمون أنفسهم وان وعدوا تقديم اخوانهم
(ألم تر الى الذين نافقوا) عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه (يقولون لاخوانهم الذين كفروا)
ظاهرا وباطنا وان كانوا (من أهل الكتاب) بل هم أولى باخوة المنافقين اذ يدعون الايمان بكل
نبى بعثه كدعوى المنافقين لا تجيبوا محمدا الى ما دعاكم ولا تخرجوا بقوله من دياركم (لئن
أخرجتم لنخرجن معكم) فنجتمع على قتالهم (و) نحن وان كان لنا اخوة من المؤمنين
(لا نطيع فيكم) أى مخالفتكم وخذلانكم (أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم) بالقتال معكم
أو بتخذيل المؤمنين فيظهرون تقديم اخوانهم على أنفسهم فى تحمل الخروج والقتال (والله
يشهد انهم لكاذبون) معهم كما انهم كاذبون معكم بل ينتظرون من له الغلبة فى العاقبة ثم ليس
كذبهم بكذب جزء من مجموع ما قالوا بل بكذب كل جزء منه (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم)
مخافة ان يقتلوا فى الطريق أو الغاية (ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) بقتال ولا خذلان مخافة أن
يقتلوا أو يفضحوا (ولئن نصروهم) على سبيل الفرض فقاتلوا معهم (ليولن الادبار) انهزاما
(ثم) ان لم يولوا الادبار (لا ينصرون) وكيف ينصرون مع غلبة خوفكم عليهم (لانتم أشد
رهبة) أى مخافة مستقرة (فى صدورهم) بحيث لا يزول عنها بحال (من الله) اذ لا يخافونه فى ترك
الايمان بآياته ورسله و يخافونكم فى اظهار تركه (ذلك بانهم قوم لا يفقهون) ماذا ينبغى ان
يكون الخوف منه أشد ولشدة رهبتهم منكم (لا يقاتلونكم) وان كانوا مع اليهود وغيرهم

اذا
وأفرط يفرط
نجل
اذا قصر
اشتط وفرط يفرط
(قوله
ومعناه كله التقديم
(يسحتكم
عز وجل
ويستاصلكم
يهلككم
(قوله يسا) أى يا يسار قوله

(جميعا الا في قرى محصنة) أي محفوظة بالدروب والخنادق (أو من وراء جدر) وليس ذلك لجبنهم في أنفسهم بل (بأسهم) أي قتالهم اذا وقع (بينهم شديد) لكنهم اذا قاتلوكم جبنوا لتفرقة قلوبهم وان اظهروا الاجتماع بحيث (تحسبهم جميعا) أي مجتمعي القلوب (و) لكن (قلوبهم شتى) أي متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم (ذلك) الاجتماع في الظاهر مع افتراق البواطن (بأنهم قوم لا يعقلون) انه يوجب جبنهم المفضي الى الهلاك (كمثل الذين من قبلهم) من أهل بدر لما جبنوا (قريبا) أي في زمن قريب (ذاقوا وبال أمرهم) أي سوء عاقبة كفرهم بالقتل والسبي في الدنيا (ولهم) مع ذلك في الآخرة (عذاب أليم) ويوجب التبري بعد الاغراء على القتال (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر) فاني اعينك فيما يقع عليك (فلما كفر قال) مخافة ان يشاركه في عذابه (اني بريء منك) فلا اعينك (اني أخاف الله) ان اعينك على كفرك به مع كونه (رب العالمين) فلم ينفعه التبري كما لم ينفع الاول وعده الاعانة (فكان عاقبتهما أنهما في النار) ولم يفد الشيطان تبريه الخروج عن النار كما لم يلزمه ان يعينه في تحمل العذاب عنه ليخرج بل كانا (خالدين فيها) وكيف لا يخلدان فيها (وذلك) الخلود (جزاء الظالمين) في حق الله تعالى بالكفر وقيل المراد بالانسان ابو جهل قال له ابليس لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الآية وقيل راهب اسمه برصيصا عبد الله سبعين سنة فجاءه الشيطان بزي الرهبان فاقام عنده حولا لا يفطر في الاربعين الا مرة فلما حال الحول قال اني منطلق وعندي دعوات تشفي السقيم والمجنون قال اني أخاف أن يشغلني الناس عن عبادتي فلم يزل حتى علمه ثم تعرض لبنت الملك فخنقها فجاء بصورة متطبب ثم قال ان الذي عرض لها مارد لا يطاق اذهبوا الى برصيصا ليدعو فتشفى ففعلوا فلما انتقل برصيصا عن صلاته وقع في قلبه جمالها فخنقها الشيطان وكشف عنها وقال له واقعها ثم قال تب فلم يزل به حتى فعل وحملت فقال افتضحت فهل لك أن تقتلها وتقول لاهلها ذهب بها شيطانها فقتلها ثم دفنها الى جانب الجبل فأخذ الشيطان بطرف ازارها فبقي خارجا فانطلقوا اليه فقالوا ما فعلت اختنا فقال ذهب بها شيطانها فجاءهم الشيطان فقال انها مدفونة في موضع كذا وطرف ازارها خارج فوجدوها كذلك فأمر بصلبه فقال تطيعني في خصلة فآخذ باعينهم فأخرجك من مكانك قال ماهي قال تسجد لي فسجد له فقال هذا الذي أردت منك اني بريء منك (يا أيها الذين امنوا) مقتضى ايمانكم ان لا تأمنوا مكر الله (اتقوا الله) أن يسلط عليكم الشيطان ليغويكم بالكفر ثم يتبرأ منكم (و) أكثر ذلك من معاصيه في ضمن طاعاته كالرياء والعجب لذلك (لتنظر نفس) ان لم تنظر الكل (ما قدمت لغد) ما فيها من المعاصي التي لا يفضيه الى الكفر عن استحسان تلك الطاعات (و) اذا امعنتم النظر فلا تعتمدوا عليه بل (اتقوا الله) أن يكون في طاعاتكم معاص خفية اطلع الله عليها (ان الله خبير بما تعملون) ببواطن أعمالكم (و) اذا رأيتم عجزكم عن الاحاطة بالبواطن (لا تكونوا) في ترك النظر فيها (كالذين تركوا النظر بالكلية حتى (نسوا الله فأنساهم) ما يستكملون به (أنفسهم) فاتصفت

يتخافتون) أي يتساررون (قوله عزوجل ينسفها ربي نسفا) يقلعها من أصلها ويقال ينسفها يذريها ويطيرها (قوله عزوجل يركضون) أي يعدون

بالنقائص حتى صح ان يقال فيهم (أولئك هم الفاسقون) أى الكاملون فى الفسق لا غيرهم ولا ينبغى أن يلحظ خذلان الله بعض العاملين وانجاؤه بعض الفاسقين فانهما لا يستويان لوخذلا أونجيا كما (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) بل العاملون فائزون بالدرجات أو بتخفيف العذاب كانه (أصحاب الجنة هم الفائزون) بالنعيم والقرب لكنه يجب أن لا يزال الخوف عن قلوب العاملين وان ارتفعوا فيهم ارتفاع الجبال سيما بعد سماع مواعظ القرآن فانه (لو أنزلنا هذا القرآن) الجامع للمواعظ الموجب للنظر والتقوى بكل حال (على جبل) بتفهيمه له وتكليفه بما فيه بعد اعطاء القوى المدركة والمحركة (لرأيته خاشعا) أى متذللا لعظمة الله (متصدعا) أى متشققا (من خشية الله) مع عظم مقداره وغاية صلابته (وتلك) الامور وان كانت وهمية مفروضة فلا بد من اعتبارها لانها (الامثال نضربها للناس) الذين نسوا صغر مقدارهم فتكبروا ولينهم فقست قلوبهم (لعلهم يتفكرون) ليعلموا انهم أولى بذلك الخشوع والتصدع وكيف يترك الخشوع والتصدع لذات الله واسمائه مع انه (هو الله) له هوية تقتضى الهيبة فيجب ان يخشع لها سيما من جهة توحيده لانه (الذى لا اله الا هو) ويتصدع من خشيته لانه (عالم الغيب والشهادة) والمطلع على الاسرار يجب ان يخشع له ويخشى منه سيما من حيث (هو الرحمن الرحيم) المنعم بالنعم العامة والخاصة وحق المنعم ان يخشع له ويخشى أن تسلب نعمه وكيف لا يخشع للهوية باعتبار الالهية والتوحيد مع اقتضائها الملكية التى بها خشية الرعية وخشوعهم اذ (هو الله الذى لا اله الا هو الملك) مع انه (القدوس) اى المنزه عن العلائق فلا يناسبه نفس لم تزل عنها فيخاف ابعادها (السلام) عن النقائص فلا يناسبه المتصف بها على انه (المؤمن) أى المعطى الامان عن العلائق والنقائص لمن زكى نفسه فلا عذر لمن لم يتزل عن العلائق ولم يتصف بالكمالات مع انه (المهيمن) الرقيب الذى ينظر من يعمل ليأمن من العلائق والنقائص ومن لم يعمل له وكيف يناسبه اوالعلائق والنقائص مع أنه (العزيز) وذو العلائق والنقائص ذليل والذلة وان كانت ذاتية للعبد لكنه (الجبار) يجبر نقائص العبد بكمالاته واذا كمل فلا ينبغى ان يدعى الكمال لنفسه لانه (المتكبر) فيخاف ان يغضب على من يدعى لنفسه لانها على الاطلاق دعوى الالهية (سبحان الله عما يشركون) ثم ان هويته يجب ان يخشع لها ويخشى من حيث (هو الله الخالق) والخلق تقدير الاشياء بالمقادير المخصوصة فيخشى فيه نقص المقادير ومن حيث هو (البارئ) الذى برأ خلقه من التفاوت وانما هو من استعداداتهم واستعداد الخاشع الخاشى أقبل للكمالات من حيث هو (المصور) الموجد للصور اذ يخاف من مخالفته تغيير الصورة الى أدنى ومن موافقته الى اعلى اذ (له الاسماء الحسنى) يظهر بها فيمن يوافقه ويدل على ظهوره بها انه (يسبح له ما فى السموات والارض و) لكن يخفى جماله فى البعض من حيث (هو العزيز) لانه انما يظهر فى الكل بحسب استعداده اذ هو (الحكيم) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

وأصل الركض تحريك الرجلين تقول ركضت الفرس اذا أعديته بتحريك رجليك فعدا ولا يقال فركض ومنه قوله عز وجل

(سورة الممتحنة)

سميت بها لدلالة آية الامتحان على انه لا يكتفى فى باب الصحة بظواهر الادلة كالهجرة بل لابد من اختبار البواطن فدلائل الاعتقادات أولى بذلك وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى المؤمنين حتى يحبوا محبيه ويعادوا معاديه (الرحمن) ببيان ضرر محبة أعدائه (الرحيم) بابقاء الايمان مع هذه المحبة المضرة لذلك خاطب من والى بعض اعدائه خطاب المؤمنين وهو حاطب بن أبى بلتعة كتب الى أهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وأرسل مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبريل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فأدركوها فجحدت فسل على السيف فأخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش وليس لى فيهم من يحمى أهلى فأردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابى لا يغنى عنهم شيأ فقال عمر دعنى يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم بالله محبته واعتقاد أنكم من جنوده ويجب على المحب اتخاذ عدو المحبوب عدوا وعلى الجندى اتخاذ عدو الملك عدوا فمن أين لكم محبته (لا تتخذوا عدوى و) لاسيما اذا كان (عدوكم) أيضا أولياء وقدم الاول لان الاولى تقديم جهة عداوة المحبوب والملك فلو كان لكم اتخاذ واحد ولياء فمن أين لكم اتخاذ جماعة منهم (أولياء) وليس المنهى مجرد المحبة الباطنة بل الظاهرة أيضا وان تجردت مثل القاء المودة وأنتم (تلقون اليهم) الكتب (بالمودة و) كيف لا يقتضى الايمان عداوتهم مع عداوتهم للايمان اذ (قد كفروا) لا بما ظهر بطلانه أو احتمل بل (بما جاءكم من الحق) لاجل محبته اليكم دونهم وعادوكم من اجله اذ (يخرجون الرسول واياكم) من اجل (أن تؤمنوا بالله) الجامع للكمالات المقتضية انقياد الناقص له سيما باعتبار اتصافه بوصف (ربكم) الذى رباكم بالكمالات فهى بالحقيقة عداوة مع الله فهل لكم القاء المودة اليهم من أجله (ان كنتم خرجتم جهادا) أى لاجل جهادكم (فى سبيلى) لاخراجهم من سلكه فتوصلون بالمكاتبة اخباره (و) هل لكم طلب رضاهم ان كنتم خرجتم (ابتغاء مرضاتى) وكأنكم (تسرون) عنى أن تلقوا (اليهم بالمودة) كما تسرون عن رسول الله والمؤمنين (وانا أعلم بما أخفيتم) من حفظ أهلكم وانا أولى به (وما أعلنتم) من المودة معهم (ومن يفعله منكم) أى المذكور من اتخاذ جماعة منهم أولياء وايصال أخبار الجهاد اليهم وطلب رضاهم منكم (فقد ضل) بهذه الوجوه (سواء السبيل) الذى يسلكه بالايمان ثم ان القاء المودة اليهم مع ما فيها من وجوه الضلال لا يفيدكم المقصود فانهم (ان يثقفوكم) أى يظفروا بكم لم يراعوا القاء المودة بل

اركض برجلك (قوله عز وجل يدمغه) بكسره وأصله أن يصيب الدماغ بالضرب وهو مقتل (قوله عز وجل يستحسرون) أى يعيون

(يكونوا لكم أعداء و) لم يقتصروا على عداوة الباطن بل (يبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) بالقتل والشتم (و) ان لم يصيروا لكم اعداء (ودوا لو تكفرون) وهو اشد من العداوة ولو نفعتكم مودتهم لحماية أرحامكم وأولادكم (لن تنفعكم أرحامكم) أي أقاربكم (ولا أولادكم) اذا ما غضب الله على مودتهم لحماية هؤلاء (يوم القيامة) بل لا يحضرونكم اذ (يفصل بينكم و) لا يخفى على الله ايثاركم جانبهم على جانب الله اذ (الله بما تعملون بصير) فلو حضروكم كانوا أشد ضررا لكم فان زعموا أن هذا أمر يقطع الرحم قيل هذا القطع ليس بمنهي عنه بل مأمور به (قد كانت لكم) في قطعه (أسوة حسنة) استحسنها جميع الملل (في ابراهيم والذين معه) في رتبة الكمال في جميع أقوالهم (اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم) اى من ذواتكم فضلا عن قرابتكم (ومما تعبدون من دون الله) وان كان مظاهره فليس مظاهر الهيته بل مظاهر اشراق نور وجوده ولا نبالي بانعامكم علينا اذ (كفرنا بكم و) لا يعود تكم اذ (بدا) أي ظهر (بيننا وبينكم العداوة) في الظاهر (والبغضاء أبدا) في الباطن فلا تزالون (حتى تؤمنوا بالله وحده) فتخرجوا عن عداوته وبغضائه الموجبة لعداوتنا وبغضائنا (الا قول ابراهيم لابيه) رعاية لابوته فانه لا اسوة فيه (لاستغفرن لك) اى لاطلبن المغفرة من الله لك (و) لكن (ما أملك لك من الله) من نفع الاستغفار (من شئ) ومع هذا الاستغفار فالبراءة والعداوة والبغضاء متقررة ولا نبالي بضررها اذ توجهنا الى الله فقلنا (ربنا عليك توكلنا) في دفع ضررهم (و) ان وصل الينا ضررهم لمعاصينا (اليك انبنا و) ان لم ينقطع بذلك ضررنا فهو سبب كمالنا اذ (اليك المصير) ومع ذلك نقول اذا اشتد الضرر بحيث يلجئنا الى الكفر (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) باضلالهم ايانا (و) ان انقدنا لهم في بعض الامور (اغفر لنا ربنا) لكن هذا اذا اعطيتهم الغلبة علينا والا فلا يمكنهم ان يغلبوك اذ (انك انت العزيز) الغالب وانما تغلبهم اذا غلبتهم بمقتضى الحكمة لانك انت (الحكيم) لكن المرجو من الحكيم تغليب من توكل عليه وأناب اليه وتقويته من كان من جنده وتضعيف أعدائه فان زعموا أن هذه الاسوة وان كانت موصلة بابراهيم ومن معه فهي قاطعة من الله لان ذلك من لوازم قطع الرحم فان لم ينقطع منه فلا أقل من قطع ثواب الآخرة على صلة الرحم يقال لو كان كما قلتم لكانت اسوة قبيحة لكن (لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة) وهي انما كانت اسوة (لمن كان يرجو الله) لمعاداة اعدائه وان كانوا أقاربه (واليوم الآخر) بترجيح جانب الله على جانب أقاربه (ومن يتول) أعداء الله فالله تعالى لم يأمر بعداوتهم لاحتياجه اليها (فان الله هو الغني) ولا للتزين بالمعاصي لهم لانه (الحميد) بذاته ثم ان كانت المعاداة لله موجبة ضررا فلا يدوم ذلك الضرر بل ربما لا تدوم تلك العداوة (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) بتوفيقهم للايمان (و) لا يبعد من الله توفيق أعدائه للايمان به اذ (الله قدير) على جعل أعدائه أولياءه (والله غفور) لعداوتهم وكفرهم اذا آمنوا (رحيم) بجعل سيآتهم حسنات ولما نزل لا تتخذوا ترك المؤمنون البر بالكلي والاقساط اليهم لان ذلك نوع موالاة فأشار عزوجل

الى

(قوله تعالى يكاثروكم) أي يحفظكم وهو الكمال المعنى (قوله عزوجل ينسلون) أي يسرعون من النسلان يستفعلون من الحسير

الى أن النهى بقدر العداوة فقال (لاينهاكم الله عن الذين) لم يبالغوا فى العداوة اذ (لم يقاتلوكم) مستقرين (فى) عداوة (الدين و) لم يفعلوا بكم مايقاربه اذ (لم يخرجوكم من دياركم) عن (أن تبروهم) أى تحسنوا اليهم (وتقسطوا اليهم) أى تقضوا اليهم بالعدل فهذا القدر من الموالاة غير منهى عنه فى حقهم بل مأمور به (ان الله يحب المقسطين) وانما نهى عن موالاتهم القلبية ثم قال (انماينهاكم الله عن) الموالاة من كل وجه فى حق (الذين) بالغوا فى عداوتكم من أجل الدين اذ (قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم) ان قدروا بأنفسهم (وظاهروا على اخراجكم) ان لم يقدروا (أن تولوهم) ولو بالبر والاقساط اليهم (ومن يتولهم) بوجه من الوجوه (فأولئك) وان كانوا بارين بمن أساء اليهم مقسطين اليهم (هم الظالمون) بوضع الموالاة فى موضع العداوة ثم أشار الى أن تلك العداوة لاتنقطع الابالهجرة ولايصح الموالاة بعدها الابعد الامتحان فقال (ياأيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ان لاتوالوا أحدا الابالامتحان وان هاجر (اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) فدلت هجرتهن على ايمانهن فتلك الدلالة ضعيفة لاتبيح موالاتهن (فامتحنوهن) هل هاجرن لله أولدنيا أولغضب على زوجها بحلفها واستطلاع قرائنها فانه وان لم يفد القطع لاختصاصه بالله اذ (الله اعلم بايمانهن) يفيد مايشبه العلم (فان علمتموهن مؤمنات فلاترجعوهن) أى لاتردوهن وان جرى الصلح به برد نامن جاءنامنهم (الى أزواجهن (الكفار) لانه انقطع نكاحهن ومافيه شبهة من جانب (لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) فلاوجه للرد (و) لكن لماجرى الصلح بالرد وأمرنا بالاقساط الى أهله (آتوهم ماأنفقوا) أى ردوا المهور على الازواج فانه بمنزلة ردهن (ولاجناح عليكم أن تنكحوهن) لانقطاع نكاحهم بلاعدة اذلاحرمة لمائهم (اذا آتيتموهن أجورهن) أى مهورهن وراء ماردعلى الازواج ولاتبقى مهورهن على الذمة فلايرتفع الجناح بالكلية وان صح النكاح (و) كمابطل نكاح المؤمنة عن الكافر بطل نكاح الكافرة عن المسلم (لاتمسكوا بعصم الكوافر) أى بعقودهن التى تمسك بها فى الاتصال (واسئلوا) الكفار (ماأنفقتم) فى مهورهن وان جرى الصلح بأن لايردوا من جاءهم منالانه لمابطل فى عين المهاجرة منهم بالعوض بطل فى عين الذاهبة منابالعوض رعاية للتسوية فيمابطل فيه الصلح الأول من وجه (وليسئلوا) المرأة المؤمنة اذالم تهاجر (ماأنفقوا) فى مهرها لبطلان النكاح من جهتها (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) الآن نسخ به حكمه الاول بالصلح وسيصير أيضامنسوخا (و) انمافعل فى كل وقت بمقتضى مصالحه اذ (الله عليم حكيم وان فاتكم شئ من أزواجكم الى الكفار) أى وان ارتدت منكم امرأة فلحقت الكفار فلم يردوا مهرها (فعاقبتم) فغزوتموهم فوجدتم منهم غنيمة (فآتوا) من الغنيمة مقدما على القسمة (الذين ذهبت أزواجهم) من المسلمين (مثل ماأنفقوا) فى مهورهن (واتقوا) فى منعه (الله الذى أنتم به مؤمنون) فان الايمان يوجب تقديم حقوق عباده على حقوق أنفسكم ولمافرغ عن هجرة المكان ذكر هجرة الافعال فقال (ياأيها النبى) الذى له الاطلاع المبشر لضمان الثواب والمغفرة (اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) لضمان الثواب

وهو مقارنة الخطو مع الاسراع كمشى الذئب اذا أسرع يقال مر الذئب ينسل ويعسل (قوله عز وجل ينسلون) أى

والمغفرة (على) أعمال القلب (أن لا يشركن بالله شيأ و) أعمال البدن لشهوة البطن (لا يسرقن و) لشهوة الفرج الحاصلة من شهوة البطن (لا يزنين و) للغضبية المتعلقة بما حصل من شهوة الفرج (لا يقتلن أولادهن و) أعمال اللسان المتعلقة بالاولاد (لا يأتين ببهتان) أى بكذب يبهت السامع (يفترينه) أى يختلقنه فى الولد بأن تقول لزوجها هذا ولدى منك يسقطنه عليهم من مواقعتهم اياهن لصيرتهم (بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى) أمرك اياهن بفرض (معروف) عرف فرضيته (فبايعهن) على ضمان الثواب والمغفرة على استغفارهن عن أضداد ماذكر (واستغفر لهن الله) فانه يحقق الضمان أيضا (ان الله غفور) لمن استغفرت له (رحيم) بالثواب والمغفرة لمن ضمنت له (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم أن لا تتولوا الا من اتصف بالصفات التى لاجلها بايعهم الرسول (لا تتولوا قوما) اتصفوا بأضداد تلك الصفات لانهم (غضب الله عليهم) وكيف لا يغضب عليهم مع انهم انما اتصفوا بها حين (قد يئسوا) وهم أحياء (من الآخرة) أن ينالوا فيها اجزاء (كما يئس الكفار) ان ينالوا فيها خيرا اذ كانوا (من أصحاب القبور) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

يتناولون بالمكر ويجاورون أى يرفعون أصواتهم بالدعاء (قوله تعالى يألت) يحلف بفتعل من الالية وهى اليمين وقرئت يتألى

(سورة الصف)

سميت به لتسميته لما هو كصفته بما هو صفة من فعل ما يوجب حبه ليعلم ان هذه الافعال توجب الاتصاف بأوصافه عز وجل والتسمى بأسمائه قياسا على عكسه ههنا وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بأسمائه وصفاته فيما فى سمواته وأرضه حتى نزهته عن النقائص واعترفت ان ما نقص منها انما نقص من استعداده (الرحمن) بالتخويف عن ذلك النقص ليبدل بالكمال (الرحيم) بمحبة القتال مع أصحاب النقص لتنقلع أسبابه بالكلية (سبح) أى نزه من أن يظلم أحدا تنزيها ثابتا (لله) من ظهوره بكمالاته فى كل شئ لم ينقص استعداده (ما فى السموات وما فى الارض) اذ لم يظلم شيأ منها بالنقص (و) انما ظلم الناقص نقصان استعداده فستر عنه كماله من حيث (هو العزيز) لاستعداده اذ لا غلبة له وانما يستر عنه دون كامل الاستعداد رعاية للحكمة من حيث هو (الحكيم يا أيها الذين آمنوا) فاستعدوا بالايمان للكمالات التى من جملتها موافقة أقوالكم لافعالكم (لم تقولون ما لا تفعلون) به كما يقتضى موافقة القول للاعتقاد لئلا ينقلب نفاقا كذلك يقتضى موافقته للعمل لئلا يشبهه فيوجب مقتا يشبه مقته (كبر مقتا عند الله) الذى يحقر دونه كل عظيم والمقت أشد البغض (أن تقولوا ما لا تفعلون) وهذا المقت فى ترك الجهاد بعد قبوله قولا اتم لانه ترك المحبوب بعد التزامه (ان الله يحب الذين يقاتلون) ليجتمع الناس (فى) سلوك (سبيله) مصطفين له (صفا) يظهر اجتماعهم ليكون أخوف للعدو وسيما وقد اتصل بعضهم ببعض (كأنهم) فى عدم الفرجة (بنيان مرصوص) أى مستحكم لا يمكن للعدو أن يداخلهم * روى أن المسلمين قالوا لو علمنا أحب الاعمال الى الله لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فأنزل الله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون الآية

قولوا يوم أحد فنزلت يا أيها الذين آمنوا لم تقولون الآية (و) كيف لا توجب مخالفة القول مع
الرسول للفعل المقت وفيه ايذاء الرسول المستلزم للزيغ عنه الموجب للزيغ عن الله الموجب
لمقته اذكر (اذ قال موسى لقومه) المؤمنين به (يا قوم) الذين حقهم ان يفدونى كل راحة (لم
تؤذوننى) ولو بما لا يتضمن تكذيبى كنسبة الادرة الى (وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم) فحقكم
أن تعظمونى لا ان تؤذونى (فلما زاغوا) أى مالوا عن حق موسى (أزاغ الله قلوبهم) عن حق الله
كيف ولو لم يزغهم لهداهم ولكنهم خرجوا عن سبيله بايذاء رسوله (والله لا يهدى) لسبيله (القوم
الفاسقين) أى الخارجين عن سبيله وهذا دليل مقته على أدنى وجوه أذى رسوله بمخالفته
القول معه بقبول الجهاد مع من يؤذيه أشد ايذاء له فيكون أشد للمقت (و) يدل على ازاغة الله
قلوبهم تكذيبهم بعيسى (اذ قال عيسى ابن مريم) حين كذبوه على زعم أنه ولد الزنا لا ينتسب
الى الاب (يا بنى اسرائيل) الذين كثر فيهم الخوارق ومن جملتها التولد بلا أب (انى رسول الله
اليكم) كموسى وليس فى معجزاتى ما يبطلها لكونى (مصدقا لما) صدقته المعجزات (بين يدى
من التوراة و) لما تصدقه من بعدى لكونى (مبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) فطالبوه
بالبينات (فلما جاءهم بالبينات) التى هى أجل من بينات موسى (قالوا هذا سحر مبين) اذ لا تظهر
المعجزات على يدى ولد الزنا مع أنه لم يتحقق لهم كونه ولد الزنا بل ثبت بارهاصاته السابقة
ومعجزاته اللاحقة أن تولده بغير أب من جملة الخوارق ولو كانت معجزاته سحرا مع أنها أجل من
معجزات موسى فمعجزات موسى أولى بكونها سحرا لكنهم يدعون الايمان به من أجلها (ومن
أظلم ممن افترى على الله الكذب) فزعم أنه يلبس السحر بالمعجزات أو يظهرها على يدى المتنبى
تلبيسا له بالنبى (و) لا وجه للتلبيس فى الدعوة الى الخير المحض اذ (هو يدعى الى الاسلام) الذى
هو محض الخير وهم ظالمون فى تسميته محض الشر (والله لا يهدى) الى الخير المحض (القوم
الظالمين) وكيف لا يكون هؤلاء ظالمين مع أنهم (يريدون) بهذه الاقوال ابطال آيات الله
(ليطفؤا نور الله) الذى هو الهداية الى الخير المحض (بأفواههم والله متم نوره) باقامة الحجج
ورفع الشبه (ولو كره الكافرون) فارادتهم ضد ذلك لا يعارض ارادة الله وكيف لا يتم هذا النور
مع أنه (هو الذى ارسل رسوله) بهذا النور اذ ارسله (بالهدى) الحجج ورفع الشبه (ودين الحق)
أى الاعتقادات الصائبة والاحكام الحكمية التى لا تقبل النسخ (ليظهره) أى يرجحه (على
الدين كله ولو كره) ذلك أهل سائر الاديان فلا مبالاة لكراهتهم اذ هم (المشركون) بالله غيره
اذ جعلوا الغير قادرا على آياته (يا أيها الذين آمنوا) فلم يشركوا بالله أحدا يقدر على مثل آياته
(هل أدلكم على) ما يظهر به هذا الدين وهو انه متضمن (تجارة) أخروية لا توجد فى سائر
الاديان أقلها أنها (تنجيكم من عذاب أليم) على الشرك الذى لا يخلو عنه شئ من تلك الاديان
(تؤمنون بالله) ولا يؤمن به أهل سائر الاديان اذ لا يخلو من تجويز كون بعض المعجزات من غير
الله أو من الله على سبيل التلبيس للسحر بالمعجزات أو للمتنبى بالنبى ثم انكم تطلعون فى هذا الدين
على تفاصيل معرفة الله تعالى التى لا يوجد كثير منها فى سائر الاديان وبقدر الايمان بالله النجاة

على يتفعل من الالية أيضا
ويأتل أيضا يفتعل من
قولك ما آلوت جهدا أى
ما قصرت (قوله عز وجل
بحيف) أى يظلم (قوله
عز وجل يتسللون) أى
يخرجون من الجماعة

من العذاب الاليم (ورسوله) ولايخلو أهل سائر الاديان من انكار رسول وانكار واحد انكار للجميع لانه اذا جاز التلبيس فى معجزات الواحد فمعجزات الكل كذلك هذا فى الاعتقادات (و) فى باب الاعمال (تجاهدون) للاستقرار (فى سبيل الله بأموالكم) بانفاقها فى سبيل الخير (وأنفسكم) بتحمل متاعب الاستدلال والاعمال عليها وانما كان تجارة مع انه نقص للاموال والانفس اذ (ذلكم خيرلكم) من تركها بجمالها (ان كنتم تعلمون) أى أهل علم بالحقائق لانها لوتركت فنيت لامحالة بلا فائدة وان أفنيت بالجهاد فى سبيله أفادت فوائد (يغفرلكم ذنوبكم) التى حصلت من تصرفكم فى أموالكم وأنفسكم (ويدخلكم) على تعبكم فى الاعمال والاستدلال (جنات تجرى من تحتها الانهار و) لاجل الاحوال والمقامات والاخلاق يدخلكم (مساكن طيبة) عن تزكية النفس وتصفية القلب (فى جنات عدن) أى اقامة فى منازل القرب ولايعبأ بنقص الاموال والانفس وتحمل المتاعب لاجلها اذ (ذلك الفوز العظيم) الذى لانسبة للعوض فيه الى المعوض (و) هل أدلكم على تجارة فيه (أخرى تحبونها) لكونها عاجلة لاتبالون فيها المثل هذه الامور (نصرمن الله) على الاعداء مع قوتهم وضعفكم بالقاء الرعب فى قلوبهم (وفتح) لممالك كثيرة للاعداء (قريب) مع انه فى العادة لايتوقع الابعد مدة مديدة (وبشر المؤمنين) بما يترتب على هذا النصر والفتح من الامور الدنيوية التى تعينهم على دينهم فلايبالى معها النقص أوتعب أصلا (يا أيها الذين آمنوا) النصر والفتح والبشرى منوطة بنصركم الله على مقتضى ايمانكم (كونوا أنصار الله) عن قول نبيكم سيصيرشأنكم (كما) كان شأن الحواريين اذ (قال عيسى) وهو وان كان مستقلا بالانتصار من حيث اتصاله بالله فلم يخل عن عجزمن حيث هو (ابن مريم للحواريين) أصفياء أصحابه (من أنصارى) لابقوة نفسه بل بتوجهه (الى الله قال الحواريون) نصرك نصر الله (نحن أنصار الله) به لاهله على من يقطع سبيله فلم يزالوا ينصرون الله بالجهاد القولى والفعلى (فآمنت) بسبب جهادهم (طائفة من بنى اسرائيل) لرجوعهم الى الانصاف الاسرائيلى (وكفرت طائفة) لانعماء سر اسرائيل عنهم بالجهاد جهم وعنادهم (فأيدنا الذين آمنوا) بظهور السر الاسرائيلى فيهم فنصرناهم (على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) أى غالبين عليهم فى كل حرب وقد وعدنا ظهوركم أيها المؤمنون على أولئك الظاهرين ليكون أمركم أعلى من أمرهم فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

واحدا واحدا كقولك سألت كذا من كذا اذا أخرجته منه (قوله عز وجل يعيا بكم ربى) أى يبالى بكم (قوله يعمهون) يذهبون على غير قصد

(سورة الجمعة)

سميت بها لانها داعية الى اجتماع الناس على ذكر الله والانقطاع عما سواه وهذا من جملة أفعال القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى سمواته وأرضه حتى نزهته عن النقائص الذاتية والوصفية والفعلية (الرحمن) بارسال الرسول فى الاميين (الرحيم) بتلاوة آياته وتزكيته وتعليمه الكتاب والحكمة (يسبح) أى ينزه عن النقائص الذاتية والوصفية والفعلية تنزيها ثابتا (لله) من الازل الى الابد (مافى السموات ومافى الارض) لانها لحدوثها تفتقر الى (الملك)

وانما ملكهما من كان واجب الوجود فلابد وأن يتصف بوصف (القدوس) فى ذاته ولا يكون فى وصفه حادث لاتصافه بوصف (العزيز) ومن عزته تنزه عن العبث والسفه فاتصف بوصف (الحكيم) فى أفعاله (هو الذى بعث) باعتبار هذه الاسماء اذ الملك يبعث الى الرعايا والقدوس لايظلم بتعذيب الغافل عن التكليف ولاقبل التكليف ولا تصلح الافعال بدونهما والعزيز يقتضى العبودية والعبادة امتثال الامر فلابد من ايصاله الى المأمور والحكيم لايبطل الجزاء الذى به صلاح المعاش والمعاد (فى الاميين) الذين هم أحوج الى الرسول سيما وقد تغيرت الملل السابقة وانما بعث (رسولا منهم) ليعلم أن ماظهر على يديه من العلوم الغريبة انما هى من تعليم الحق كيف ولو كانت من تعليم الخلق لم تكن آياته لكنه (يتلو عليهم آياته و) ليست من قبيل السحر اذ لايفيد التزكية لكنه (يزكيهم) على انه انما يتوهم فى المعجزات الفعلية (و) هو (يعلمهم الكتاب و) ليس اعجازه بمزيد فصاحته بل لتضمنه (الحكمة) التى يعجز عنها الحكماء الماضون وكيف يكون سحرا وقد أفاد الهداية فى العموم (وان) أى وانهم (كانوا من قبل لفى ضلال مبين و) انما عمت الهداية لانهم لم تختص بالحاضرين بل عمت (آخرين منهم لما يلحقوا بهم) الى الآن (و) ليس فيه شىء من القاء الشيطان اذ (هو العزيز) فلايغلبه الشيطان وهو وان أمكنه من الاغواء فلايمكنه فى المعجزات لانه (الحكيم) فلايمكنه من اغواء لايمكن المكلف التخلص عنه وكيف يكون اغواء مع مافيه من الفضل بالهداية ولا ينسب الى الشيطان بل (ذلك فضل الله) وهو وان كان على غاية الجود فلايجود بالارسال على الكل بل (يؤتيه من يشاء و) لكنه يتفضل على الكل بالارسال اليهم اذ (الله ذو الفضل العظيم) فلابد له من عموم وخصوص فان زعموا انه لو كان فضلا لاخذ به أهل التوراة ولكن أكثرهم على انكاره يقال انما يأخذ به من بقيت انسانيته لامن صار الى الحمارية لكن (مثل الذين حملوا التوراة) أى كلفوا الآن يتصفوا بمانيها من الاخلاق الجميلة والاعمال الصالحة بعد حمل ألفاظها (ثم) بعد حمل ألفاظها (لم يحملوها) أى لم يتصفوا بمافيها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) منها يتعب بحملها ولا ينتفع بمافيها ولا يبعد اتفاق جمهور هؤلاء على ترك الفضل الالهى لميلهم الى الحمارية المرجحة للمال والجاه على تحصيل فضل الله فانه (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) فلا يبعد منهم الاتفاق على هذا القبيح (و) لايبعد أن لايهتدوا الى الفضل الالهى بعد ماظلموا بآيات التوراة اذ (الله لايهدى القوم الظالمين) للاعتراف بهذا الفضل الالهى فان زعموا أنهم لم ينتقلوا الى الحمارية بل صاروا الى أعلى مراتب الانسانية وهى الولاية (قل ياأيها الذين هادوا) مجرد اليهودية لايقتضى الولاية فضلا عن حصرها (ان زعمتم أنكم) بمجرد كونكم هودا (أولياء) خاصة (لله من دون الناس) أى مجاوزة تلك الولاية سائر الناس (فتمنوا الموت) فان الولى لابد وان يشتاق الى لقاء الله ويعلم انه لايحصل الا بالموت فلابد وأن يميل طبعه اليه وان كان مكروها شرعا فيحصل لكم الموت عقيبه بالدعوة النبوية لكن لاتتركون لذلك هذا التمنى (ان كنتم صادقين) فى هذه الدعوى (و) لكنهم (لايتمنونه أبدا) لافى وقت علوا الدعوة

كما يذهب الهائم على وجهه (قوله عز وجل يستصرخه) يستغيث به (قوله عز وجل يأتمرون بك) أى يتآمرون فى قتلك (قوله عز وجل يكفلونه) يضمونه

النبوية ولا في غيره (بما قدمت أيديهم) من الكفر والمعاصي المفضية الى الحجاب عن الله والعذاب (و) هم وان أنكروا ذلك لاخفائهم على الناس بعلمون انه لا يخفى على الله اذ (الله عليم بالظالمين) بدعوى الولاية مع ماقدموا من الكفر والمعاصي فيعاقبهم أشد من عذاب الكفر والمعاصي بدون هذه الدعوى فان زعموا أن ترك تمنيه يخلص من هذا العذاب (قل) ليس سببه التمني بل الموت (ان الموت الذي تفرون منه) بترك التمني (فانه) وان تأخر عند عدم تمنيكم (ملاقيكم ثم) لا تخلصون عن هذا العذاب اذ (تردون الى عالم الغيب والشهادة) فيعلم ما أخفيتم وما أعلنتم مما قدمتم (فينبئكم بما كنتم تعملون) ثم يعذبكم عليه لتتحسروا مزيد تحسر بذلك الانباء على مافرطتم (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم الاجتماع على الخير سيما الشكر على الانسانية لئلا تنقلب حمارية أو بهيمية في مقابلة اجتماع أهل الكتاب على الشر الذي يجرهم الى الحمارية والبهيمية (اذا نودي) أي أذن عند المنبر (للصلوة) التي هي أجمع العبادات لذكر الله وأنواع التذلل له (من يوم الجمعة) الذي خلق فيه آدم وجمع فيه الكمالات (فاسعوا الى) سماع (ذكر الله) في الخطبة والصلاة ليذكركم الله برحمته فيكمل انسانيتكم (وذروا البيع) وسائر ما يفضي الى تقوية البهيمية لئلا تعارضها (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) أن الانسانية خير من البهيمية ولكن لا تقتلوها بالكلية فانها مركب سفركم (فاذا قضيت الصلوة) أي أديت بكمالها (فانتشروا) بطلب ما يقوي البهيمية (في) أطراف (الارض و) مع ذلك (ابتغوا من فضل الله) من تحصيل علم أو عيادة مريض أو زيارة أخ في الله ليعارض البهيمية فلا تقوى في معارضة الانسانية (واذكروا الله كثيرا) ليمحو محبة البهيمية عن بواطنكم (لعلكم تفلحون) ببقاء الانسانية مع حصول مقاصد البهيمية من غير تضرر منها (و) كما ذهب انسانية اليهود يخاف ذهابها من المسلمين وقد ظهر فيهم أماراته فانهم (اذا رأوا تجارة) يحصل منها معيشة بهيمية (أو لهوا) يحصل منه لذة بهيمية من الاستروح بالباطل كضرب الطبل (انفضوا) أي تحركوا (اليها وتركوك قائما) على المنبر تسمعهم من ذكر الله ما يبقي عليهم الانسانية ويفيدهم الكمالات * روي أنه عليه السلام كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثني عشر فنزلت (قل ما عند الله) لمن آثر ذكر الله من الكمالات الروحانية المبقية للانسانية (خير من اللهو و) مما هو أفيد من اللهو (من التجارة و) لا يفوتكم بالبقاء ساعة في ذكر الله ما يحصل بالانفضاض بل لو تركتم التجارة بالكلية ربما عوضكم الله ما هو خير منها اذ (الله خير الرازقين) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المنافقين)

سميت بهم لانه ذكر فيها من كلماتهم ما جمعوا فيها بين الصدق والكذب كما انهم جمعوا بين الايمان والكفر ومن كلماتهم الشنيعة مالم يذكر في غيرها (بسم الله) المتجلي بكمالاته في رسوله حيث جعله مطلعا على الظواهر والبواطن مراعيا لهما (الرحمن) باظهار نفاق المنافقين

للتحذير

(قوله عز وجل يريد) أي يريد (قوله عز وجل يهدون) أي يوطؤن (قوله تعالى يصدعون) أي يتفرقون فيصيرون فريقا في الجنة وفريقا في السعير

للتحذير عن صحبتهم (الرحيم) بجعل شهاداتهم وأيمانهم جنة لدمائهم (اذا جاءك) أيها المطلع على البواطن (المنافقون قالوا) ليشغلوك عن بواطنهم بكلمة تخيلها مؤكدة بوجوه وهي (نشهد انك لرسول الله) أكدوها بلفظ الشهادة لانه اعلام عن شهود وبجعل الجملة اسمية مؤكدة بان واللام ليتقرر في ذهنك ان بواطنهم على ذلك (و) هؤلاء كما جمعوا بين الايمان والكفر في أنفسهم جمعوا بين الصدق والكذب في كلمتهم بأن المشهود به صدق لمطابقته للواقع الذي هو علم المرسل اذ (الله يعلم انك لرسوله و) جعلهم اياها شهادة مؤكدة تدل على أنها اعتقادهم كذب لمخالفته للواقع الذي هو اعتقادهم بشهادة الله اذ (الله يشهد ان المنافقين لكاذبون) ولا يبعد منهم أن يتخذوا هذه الشهادة جنة لدمائهم مع علمهم باطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الغيوب التي من جملتها بواطنهم فانهم (اتخذوا) مع علمهم باطلاع الله (أيمانهم جنة) حين تقاتل على الماء جهجاه أجير لعمر رضي الله عنه وسنان حليف لعبد الله بن أبي فلطم جهجاه سنانا فقال عبد الله والله ما صحبنا محمدا الا لنلطم أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني نفسه ومحمدا أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لأوشكوا أن يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب فنزلت فقال عليه السلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين واليمين وان جازت لدفع الضرر فهم زادوا بها ضررا اذا اصروا على الكفر (فصدوا) اعرضوا (عن سبيل الله) الذي هو اخلاص الايمان بالتوبة فالصد عن سبيل الله باليمين الفاجرة مع امكان الاخلاص والتوبة من أسوأ الاعمال (انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك) أي اجتراؤهم على اليمين الكاذبة دفعا للضرر الاخلاص والتوبة والقتل (بأنهم آمنوا) لرؤية المعجزات (ثم كفروا) بما خالجهم من الشبهات (فطبع على قلوبهم) فلا تحل لهم الشبهات (فهم لا يفقهون) أي تلك الشبهات لا تعارض دلالة المعجزات بل يرونها راجحة فيرون الاخلاص والتوبة كالقتل ضررا محضا (و) هذا الطبع يكاد يظهر ظلمته في وجوههم لكن (اذا رأيتهم) ربما لا تلتفت اليها لانه (تعجبك أجسامهم) اصباحتها ووضاءتها (و) عدم فقههم يكاد يظهر في أقوالهم لكنهم (ان يقولوا تسمع لقولهم) لفصاحتهم وحلاوة كلامهم (كأنهم) لا باطن لهم أصلا بل هم كالجمادات (خشب مسندة) أي منصوبة الى حائط فان فرضتم حيوانات فهم من الجبن (يحسبون كل صيحة) واقعة (عليهم) فان فرضتم شجعانا (هم العدو فاحذرهم) لكن لا يقدرون على اظهارها اذ (قاتلهم الله) فضعفهم مع تضعيف الله اياهم وتقويته رسوله (أنى يؤفكون) أي يصرفون عن الله الى الضعفاء (و) انما قوي فيهم هذا الصارف لصرفهم عن أنفسهم ما يصرف هذا الصارف فانهم (اذا قيل لهم تعالوا) الى ما يصرف عنكم هذه الشبهات الحاجبة عن الحق (يستغفر لكم رسول الله) فيكشف حجاب المعاصي عن قلوبكم فيظهر لها بطلان شبهاتكم (لووا) أي عطفوا (رؤسهم)

(قوله تعالى يجزى) أى يغني عنه ويقضي عنه ويجزي عنه بضم الياء أي يكفي عنه (قوله عزوجل يعرج اليه) أي يصعد اليه (قوله عزوجل

اعراضا عن أن يكون فى استغفاره مايصرفهم عن شبهاتهم (ورأيتهم يصدون) أى يعرضون عن الصارف عن شبهاتهم لو تحقق لهم (وهم مستكبرون) باعتقاد أن الصارف عن شبهاتهم هو الشبهة وشبهاتهم هى الدلائل القاطعة فهؤلاء لرسوخهم فى الكفر الى هذه الغاية (سواء عليهم) استغفارك لهم وعدمه بحيث يقال بعد استغفارك (أستغفرت لهم) باشفيع الخلائق فى أهوال القيامة (أم لم تستغفر لهم) فانك وان بالغت فى الاستغفار لهم (لن يغفر الله لهم) لانه مشروط بالتوبة عن الكفر لكن لايهديهم الله اليها لخروجهم عن مظنة الاصلاح لانهماكهم فى النفاق (ان الله لايهدى القوم الفاسقين) روى انه لما نزلت هذه السورة قيل لعبد الله بن أبى يا ابا حباب قد نزلت فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله يستغفر لك فلوى رأسه وقال أمرتمونى أن أومن به فآمنت وان أعطى زكاة مالى فأعطيت فما بقى الا أن أسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد بلغوا من غاية الفسق الى حيث (هم) لاغيرهم (الذين يقولون) لاهل المدينة (لاتنفقوا على من عند رسول الله) من فقراء المهاجرين (حتى ينفضوا) أى يتفرقوا فيضعف فلا يظهر بل ربما يترك دعوى النبوة (و) لم يعلموا انهم انما ينفضون عنه لو منعوا الرزق من جميع الجهات وهو انما يكون لو ملك أهل المدينة الكل لكن (لله خزائن السموات والارض) فيمكنه احياؤهم بلا طعام ويمكنه فتح الخزائن الارضية عليهم بتكثير غنائمهم أو بتسخير ناس آخرين كما سخر أهل المدينة لهم وهذا ظاهر لمن فقه (ولكن المنافقين لايفقهون) وانما لم يفقهوا لاعتقادهم ان الله تعالى انما يعطى خزائنه أعزة الناس وهم يرون العزة لانفسهم لغناهم والذلة لمحمد وأصحابه لفقرهم لذلك (يقولون لئن رجعنا الى المدينة) من غزوة بنى المصطلق التى وقع فيها تقاتل المذكورين (ليخرجن الاعز) يعنى نفسه (منها الاذل) يعنى محمدا (و) غلطوا اذ لاعبرة بالعزة المالية بالنظر الى سائر وجوهها بل (لله العزة) بذاته (ولرسوله) بر تبته العالية (وللمؤمنين) بقربهم من رب العالمين وقد رأى المنافقون الدنيا تنقاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مع فقرهم وقد نافقوهم خوفا من عزتهم (ولكن المنافقين لايعلمون) هذه الوجوه من العزة فحصروها فى عزة الاموال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم أن لاتبالوا بعزة المال والولد مع عزة الله (لاتلهكم) أى لاتشغلكم (أموالكم ولا أولادكم) وان كانا من الكمالات الخارجية (عن ذكر الله) المفيد للكمالات الذاتية (ومن يفعل ذلك) أى فوت الكمالات الذاتية للعارضية (فأولئك هم الخاسرون) لنوعى الكمالات الذاتية بالتفويت والعارضية بالزوال (و) لايشترط التجرد الكلى عن الاموال بل يكفى التطهير باخراج الحقوق الواجبة (أنفقوا مما رزقناكم) لئلا يحيط حبها بقلوبكم فلا يكون لحب الله مدخل فيها لكنه انما يعتبر (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) أى مرضه فانه يضعف هذه المحبة بحيث يتمنى بايثار حب الله عليها (فيقول رب) أى يامن ربانى بهذه الاموال (لولا) أى هلا (أخرتنى الى أجل) أى زمن (قريب) أى قليل (فأصدق)

يتوفاكم ملك الموت) فمن توفى العدد واستيفائه وتأويله انه يقبض أرواحكم أجمعين فلا ينقص واحد منكم كما تقول استوفيت من فلان وتوفيت من فلان

أى اخرج حقوق مالى (و) ايضا ان أخرتنى (أكن من الصالحين) بالتجرد الكلى عن الاموال والاشتغال بالله (و) لكن لايحصل له هذا التمنى لانه (لن يؤخر الله نفسا) قبضها (اذا جاء أجلها) أى وقت قبضها (والله خبير بما تعملون) فى ذلك الاجل من غير اعلام بمقداره كما هو المعتاد تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة التغابن)

سميت بها لدلالته على كمال المؤمنين فى نظر العاقبة اذ غبنوا الكافرين بأخذ أماكنهم من الجنة واعطائهم أماكنهم من النار وكمال سفه الكافرين اذ غبنهم المؤمنون وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بجلال ملكه وجمال حمده فيما فى سمواته وأرضه حتى نزهوه عن حلول الحوادث فيه (الرحمن) باظهار عموم قدرته (الرحيم) بخلق الانسان مظهرا كاملا لهما (يسبح) أى ينزه قبل الحوادث وبعدها تنزيها ثابتا (لله ما فى السموات وما فى الارض) عن ان يحدث فيه صفة منهما وان توهم حدوث الملك والحمد من الحوادث فيه لكن (له الملك وله الحمد) بكل حال كيف (و) هما راجعان الى عموم القدرة الازلية اذ (هو على كل شئ قدير) وقد كانا له فى الباطن فاراد اظهارهما ولاظهارهما على الكمال (هو الذى خلقكم فمنكم كافر) هو مظهر كمال الملك بالقهر (ومنكم مؤمن) هو مظهر كمال الحمد باللطف (و) انما يظهر كمال القهر واللطف فى الجزاء بحسب العمل اذ (الله بما تعملون بصير) وانما قلنا الانسان مظهر كامل للملك والحمد لانه (خلق السموات والارض بالحق) مظاهر للملك والحمد على التفصيل (وصوركم فاحسن صوركم) بجمع ما فى السموات والارض فكنتم مظاهر كاملة أجمل فيها ما فصل (و) ليس هذا الكمال للسموات والارض والانسان من ذواتها بل لكمالاتها اذ (اليه المصير) فلا الهية لشئ منها وكيف يكون لما فى السموات والارض الهية مع انها محاطة لعلم الله اذ (يعلم ما فى السموات والارض) والمحاط لا يكون الها (و) كيف يكون فى الانسان اله مع ان الاله لا يعلم منه الا ما يظهره والله تعالى (يعلم ما تسرون وما تعلنون) وكيف لا يعلم أسراركم واخفاها ما فى الصدور (والله عليم بذات الصدور) اذ هو الملقى فيها تلك الضمائر وان زعموا ان الكفار ليسوا مظاهر ملكه بالقهر كيف وفيه اهلاك الملك على انه انما يقهر الذميم ولا ذميم فى خلقه لانه حميد يقال هذا استدلال فى مقابلة الحس (ألم يأتكم نبؤا الذين كفروا من قبل) كانوا مظاهر ملكه بالقهر (فذاقوا وبال) أى ثقل (أمرهم) الذى هو الكفر بالقهر عليه (و) قد جعل دليلا على القهر الاخروى اذ (لهم عذاب أليم) فى الآخرة (ذلك) أى القول بكونه أثر الكفر لا بلية ثم يستدل عليه بوقوعه عقيب الكفر (بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا) فى تكذيبهم (أبشر يهدوننا) مع انه لا فضل للهادى على المهدى فلم يروا البينات فضلا وانكار الهداية كفر (فكفروا وتولوا) عن دلالة البينات على كونه هداية وهو أيضا كفر (و) الملك انما الايهلك ملكه عند

مالى عنده اذا لم يبق لى عليه شئ (قوله عز وجل يثرب) اسم ارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ناحية من يثرب (قوله تعالى يقنت) يطيع (قوله تعالى يلج فى الارض) أى

احتياجه اليهم ولا حاجة لله عز وجل أو عند جريانه مجرى المحتاج اليهم لاطاعتهم لكن لما لم يطيعوا الله (استغنى الله) عنهم فاهلكهم (و) لا يتقدمنه الاستغناء اذ (الله غنى) بالحقيقة لكنه يجرى مع المطيعين مجرى المحتاج اليهم لانه (حميد) لكن لا ينافى حمده اهلاك من لا يطيعه لانه محمود (زعم الذين كفروا) ان تقسيم الناس الى مؤمن وكافر انما يكون حقيقيا لو كان ثمة بعث وجزاء والا فهو اعتبار محض لكن علم من سنته فيما مضى (أن) اى انهم (لن يبعثوا) فى المستقبل (قل) هذا كفر لنفيه دوام ربوبية الله وحكمته وقدرته ولا دليل على نفى البعث مع انه ممكن أخبر عنه من صدقه الله بالبراهين القاهرة مقسما بمن أعطاها اياه وربما يجاء ما منها للحكمة فيه المقربة من الوجوب رافعا عنه الموانع (بلى وربى لتبعثن ثم) بعد البعث (لتنبؤن بما عملتم و) لا مانع من ذلك اذ (ذلك) البعث والانباء وان عسر على نهمكم (على الله يسير) ولا يضر فيه عدم قيام الدليل العقلى الموجب له قطعا اذ ليس من شأن الممكنات بل يكفى فيها ما يحسنها واذا ثبت البعث بقول المصدق بالبراهين المؤيد بالدليل العقلى المحسن بالمقرب له من الوجوب (فآمنوا بالله) المرجوع اليه بعد البعث (ورسوله) المعرف للبعث ولما يعمل له (والنور الذى أنزلنا) دليلا على ذلك وكيف تتركون الايمان بهذه الامور بايراد الشبهات عليها (والله بما تعملون) فى ايراد الشبهات (خبير) فيسهل عليه دفعها بل يفضحكم بها (يوم يجمعكم) بل يجمع أفعالكم على رؤس الخلائق الجامعين (ليوم الجمع) وأعظم ما يفضح فيه بالتغابن لذلك قيل فيه (ذلك يوم التغابن) وهو ان الكفار غبن عليهم باعطاء أماكنهم من الجنة للمؤمنين واعطائهم أماكن المؤمنين من النار على الابد (و) لا يتخلص عن فضائح ذلك اليوم الا صالحو المؤمنين لان. (من يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيأ تـه) التى بها الفضيحة بل يزينه (ويدخله جنات) على ايمانه وأعماله (تجرى من تحتها الانهار) على اجرائهم أنهار المعارف والاحوال ويغبنون بذلك الكفار اذ يأخذونها عنهم (خالدين فيها أبدا) وكيف لا يكون غبنا لهم مع ان (ذلك الفوز العظيم و) انما يفضح فيه الكفار بالغبن عليهم اذ (الذين كفروا) كان كفرهم عن عناد اذ (كذبوا بآياتنا) ولا يبالى بفضائحهم اذ (أولئك أصحاب النار) يأخذونها من المؤمنين بعد ما يعطونهم أماكنهم من الجنة وأى غبن أعظم عليهم من ذلك يفضحون به مع كونهم (خالدين فيها و) يكفى فى الغبن عليهم مجرد مصيرهم اليها اذ (بئس المصير) فان زعموا ان مصائب الكفار لم تكن لكفرهم بل كمصائب المسلمين يقال (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله) أى بقضائه وارادته فلا بد من حكمة فان وقعت على كافر فلذنبه ولا فائدة له اذ لا يستفيد منها الا من يهتدى بها (و) ان وقعت على مؤمن فلمزيد هدايته لان (من يؤمن بالله يهد قلبه) عند المصائب الى ذكر الله والاسترجاع والصبر والتذلل له فتصير له كالدواء (و) يختارها الله له على النعمة لما يعلم ان فيها طغيانه اذ (الله بكل شئ عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وان أصابتكم فى اطاعتهما مصائب من عداوة الشيطان ومن الابتلاء

(قوله عز وجل يدخل فيها) أى يعد (يسيرا) بمعزب) أى سهلا لا يصعب والسير أيضا القليل (قوله يجبى) يحيط (قوله عز وجل بس) قيل معناه يا انسان وقيل يا رجل وقيل يا محمد وقيل

الثانى مانع منها والالم بعلم أحد أحوال جسم صاحبه ومنها أنها وتقدمت اصائب ليدفعها الرسول (فانما على رسولنا البلاغ المبين) انه يجب اطاعتهما فى السراء والضراء وليس اليه دفع المصائب لاختصاصه بالله والرسول وان تحقق باخلاقه فليس باله اذ (الله لا اله الا هو) (و) لا تقع على المتوكل وان وقعت فلا تستمر عليه لذلك (على الله فليتوكل المؤمنون يا أيها الذين آمنوا) وأرادوا التوكل على الله فى المصائب (ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) يأمركم بالتوكل على غير الله ويمنعكم التوكل على الله بل يمنعكم الاشتغال بطاعته ويلجئكم الى الافعال المحرمة (فاحذروهم) وان كانوا محبيكم فى الظاهر (و) لا تعاقبوهم عند ذلك بل (ان تعفوا) عنهم بترك معاقبتهم (وتصفحوا) أى تعرضوا عن توبيخهم (وتغفروا) أى تستروا قبيح أفعالهم يرجى أن يغفر لكم توكلكم على غير الله والاشتغال بغيره (فان الله غفور رحيم) لكن لا تتركوا الفرائض ولا تباشروا المحرمات بكثرة المصائب فى الاموال والاولاد (انما أموالكم وأولادكم فتنة) يختبركم الله بهما هل تجترؤن على معاصيه أم لا سيما عند المصائب فيهما فان تركتم معاصيه من أجلهما وصبرتم على مصائبهما عظم الله أجركم (والله عنده أجر عظيم) يعطيه فى الدارين فان اضطررتم الى معاصيه من أجلها (فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا) مواعظ الله اتقوه حق تقاته (وأطيعوا) أمر الله لا أمر الازواج والاولاد (وأنفقوا) من الاموال التى ترون فى انفاقها تضييعا لانفسكم يكن (خيرا لانفسكم) فى الدارين بالتعويض والا أتلفها الله عليكم (و) أقل فوائد الانفاق وقاية الشح فان (من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وكيف تخافون فى انفاق الاموال ضياعها أو ضياع أنفسكم مع انه قرض الله (ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم) فى رزق الدارين (ويغفر لكم) المعاصى المضيقة للرزق وكيف لا يضاعف (والله شكور) يعطى المزيد للشاكر وقد شكرتموه بصرف نعمه الى ما خلقها من أجله (حليم) لا يعاجل بعقوبة من عصاه فكيف يعاجل بتضييع نفس المنفق فى سبيله وتضييع أولاده فان رأيتموه لا يعوض معطيا فلا طلاعه على نيته انه لم يعطه لله وانما أعطاه ليستر فى الآخرة اذ هو (عالم الغيب والشهادة) ولا يحمل على عجزه عن التعويض لانه (العزيز) ولا يتوهم عليه أنه يأمر بانفاق يفضى الى التضييع لانه (الحكيم) *تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الطلاق)

سميت به لبيانها كيفية الطلاق السنى وما يترتب على الطلاق من العدة والنفقة والسكنى (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى أحكامه حتى جعل الطلاق سنيا (الرحمن) بتشريع الطلاق عند عدم موافقة المرأة (الرحيم) بتشريع العدة حفظا للماء وتيسيرا للامر على الرجل والمرأة الثلاثين عنه المرأة بمرة ولا تبقى رجعية دائما (يا أيها النبى) والمؤمنون حذفهم لقيام النبى صلى الله عليه وسلم مقام الجميع لئلا يتوهم اختصاص هذا الحكم بالنبى صلى الله

مجازها مجاز سائر حروف التهجى فى أوائل السور (قوله تعالى يخصمون) يختصمون فادغمت التاء فى الصاد (قوله تعالى يستسخرون) أى يسخرون (قوله تعالى يقطين) كل

عليه وسلم وأورد لفظه للاشعار باطلاعه واطلاعه على معنى العدة كما ذكر (اذا طلقتم النساء) أى اذا أردتم تطليقهن (فطلقوهن) مراعين (لعدتهن) بايقاع الطلاق فى طهر خلا عن الوطء (وأحصوا العدة) أى اجعلوها محيطة بالطلقات الثلاث بايقاع كل طلقة فى طهر واحفظوا ابتداءها (واتقوا الله ربكم) فى تطويل العدة عليها بأن يطلقها ثم يراجعها قبل انقضاء العدة ثم يطلقها فيراجعها قبل انقضائها ثم يطلقها أو فى ايقاع الرجعة بعدها أو دعوى عدم انقضائها اعتدت وبيعها بغيره أو دعواها الانقضاء قبل ان تنقضى (لا تخرجوهن من بيوتهن) ليتم حفظ الماء وأضاف البيوت اليهن لبيان اختصاصها بهن (ولا يخرجن) بلا ضرورة كحرق أو غرق أو حاجة ليلا أو نهارا (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) أى بزنا عليه شهود فتخرج أو تخرج لاقامة الحد (وتلك) الاحكام أى ايقاع الطلاق للسنة واحصاء العدة ومنع الاخراج والخروج بدون الفاحشة (حدود الله) أى الغايات التى نهى الله ان يتجاوزها (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) بتعريضها العقابه (لا تدرى) نفسه (لعل الله يحدث بعد ذلك) التعدى الذى ينقص به عن شدة الحد (أمرا) أشد منه فلو طول عليها العدة ثم أراد تجديد النكاح بتحليل ربما طول المحلل فى العدة ولو لم يحص العدة احتياطا ربما لا يوافق المرأة فى التجديد ولو أخرجها ربما حدث على مائه وطء غيره وكذا لو أخرجت (فاذا بلغن أجلهن) أى شارفن آخر عدتهن (فامسكوهن بمعروف) أى راجعوهن بحسن عشرة وانفاق مناسب (أو فارقوهن بمعروف) ايفاء الحقوق واتقاء الضرر (وأشهدوا) على الرجعة والفرقة قطعا للتنازع ونفيا للريبة رجلين (ذوى عدل منكم) من المسلمين (وأقيموا) أيها الشهداء (الشهادة) عند الحاكم (لله) لا للرشوة ولا للمشهود له ولا تكتموها خوفا من المشهود عليه من جهة محبته أو قرابته أو رزقه (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله) فان الايمان به يوجب ترجيح أوامره على كل شئ (واليوم الآخر) فان الايمان به يوجب ترجيح ثوابه وخوف عقابه على كل ثواب وعقاب والفرار من الرشوة ورعاية المشهود له أو عليه (ومن يتق الله) من المطلق والشهود وغيرهما (يجعل له مخرجا) من المضايق سيما اللازمة من التقوى (ويرزقه) مالا أو امرأة (من حيث لا يحتسب) كيف والمتقى متوكل على الله (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) فى المضايق والارزاق وليست كفايته باعطاء الصبر فقط بل (ان الله بالغ أمره) لكن لا يستعجل عليه لانه (قد جعل الله لكل شئ قدرا) من الزمان وغيره لا يجاوزه أصلا ولما لم يكن طلاق الآيسة والصغيرة والحامل سنة ولا بدعة لاستواء الايام فى حقهن لم يخاطب فيه النبى صلى الله عليه وسلم وبين عدتهن فقال (واللائى يئسن) أى بلغن سن يأس عشائرهن أو بلدهن (من المحيض) أى الحيض الذى يجب ان يحوش طرف الطهرية (من نسائكم) أى نساء المؤمنين مؤمنات أو كتابيات دون الكفرة فانه لو جرى نكاحهم فى العدة وصحح فجرينه على الصحة اذا أسلموا أو لم تبق العدة الى الاسلام (ان ارتبتم) أى شككتم فى فجورهن لو منعن النكاح والا فلا

شهر لا يقوم على ساق مثل القرع والبطيخ ونحوهما (قوله تعالى يزنون) أى يسرعون يقال جاء الرجل يزف زفيف النعامة وهو أول عدوها وآخر مشيها ويقرأ

حاجة الى احصاء العدة (فعدتهن ثلاثة أشهر) اقامة لمدة الحيض والطهر غالبا مقامهما فكانهن من ذوات الاقراء تقديرا (واللائى لم يحضن) بعذر الصغر أو عارض آخر بهن وان لم يكن من ذوات الاقراء تحقيقا ولا تقديرا عدتهن أيضا ثلاثة أشهر لانها صارت عدة من لاقرء لها هذا فى الطلاق بعد الوطئ وكذا فى الفرقة فى الحياة بعده وكذا فى وطئ الشبهة وفى الوفاة ما مر من أربعة أشهر وعشرا (وأولات الاحمال) مطلقات أو موطوآت بالشبهة أو متوفى عنهن أزواجهن (اجلهن) أى منتهى عدتهن (أن يضعن حملهن) لان اعتبار القرء فى الاصل لتحقيق براءة الرحم فاذا علم اشتغاله فلا بد من تحقق براءته وقد طالت المدة التى اعتبرت لمصلحة الرجعة (ومن يتق الله) فلم ينكح فى العدة ولم يطلق للبدعة (يجعل له من أمره يسرا) بان يجعل له امرأة أحسن من المعتدة والمطلقة (ذلك) المذكور فى الآيسة والحامل وان لم يعقل معناه اذ لاماء فى الاولى وماء الثانى لا يقلب الولد اليه (أمر الله) يجب قبوله عليكم اذ (أنزله اليكم و) سيظهر سره للمتقى لان (من يتق الله يكفر عنه سيئاته) بحسناته فيكشف حجابه (ويعظم له اجرا) فى استكشاف اسرار الاحكام وهو ان الآيسة ربما ينفتح فم رحمها على الندور كعود الحيض ويمكن فى حق الحامل انعقاد ولد آخر أو يتقوى الولد الاول بماء الثانى (اسكنوهن) وان كان الغالب ان لاماء محفوظا لهن (من حيث سكنتم) أى مكانا من سكناكم لانه احفظ للماء (من وجدكم) مما تطيقونه من ملك أو اجارة أو اعارة (ولا تضاروهن) فى السكنى (لتضيقوا عليهن) أى لتلجئوهن الى الخروج (وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن) لتصل النفقة الى أولادكم بواسطتهن (حتى يضعن حملهن) فاذا وضعن (فان أرضعن) أولادكم (لكم) من غير وجوب عليهن لوجود مرضعة أخرى (فآتوهن أجورهن) على الارضاع زاد ونقص (وأتمروا بينكم) أى وليقبل بعضكم من بعض أمره فى الصبى اذا أمر (بمعروف وان تعاسرتم) أى تضايقتم فى الاجرة فلا وجوب عليها (فسترضع له أخرى) غيرها (لينفق) على المعتدة الحامل والولد (ذو سعة) أى غنى بما يليق به (من سعته) كما فى حال النكاح (ومن قدر) أى ضيق (عليه رزقه فلينفق) الفاضل على ضرورته (مما آتاه الله) وان لم يكن له معه لذيذ الطعام ولو لم يكن له فاضل على الضرورة فلا شئ عليه اذ (لا يكلف الله نفسا) انفاق شئ (الا) انفاق (ما آتاها) زائدا على ضرورتها وفقد لذيذ الطعام وان كان عسيرا عليها فليس بعذر فانه (سيجعل الله بعد عسر) فى فقد الطعام اللذيذ (يسرا) اذا اعتاد ذلك (و) ييسر هذا الاعتياد خوف الله فى مخالفة أمر الانفاق لاجل لذيذ الطعام فانه (كأين) أى كثير (من) أهل (قرية عتت) أى اعرضت (عن أمر ربها و) امر (رسله) لشدة فيه (فحاسبناها) على اللذائذ السابقة والمقارنة (حسابا شديدا) على كل صغيرة وكبيرة اقترفوا بها (وعذبناها) على كل ما حاسبناها (عذابا نكرا) أى غير معهود بحيث لانسبة لشدة الامر اليه (فذاقت) بسبب مخالفة أمر من أوامر الله ورسوله (وبال أمرها) أى سوء

يزفون أى يسيرون الى الزفيف ومنه قوله
تمنى حصين ان يسود جذاعه
فامسى حصين قد أذل وأقهرا
معناه أقهر أى صار الى القهر (قال أبو عمر الجذاع ههنا صبيان أخيه اراد

عاقبة تلك اللذائذ كما تلذذت بها كيف (و) قد ادت بهم تلك المعاصى بمخالفة ذلك الامر الى الكفر حتى (كان عاقبة أمرها خسرا) أى خسران الاعمال الصالحة واللذات الباقية واين يكون لهم اللذة مع انهم (اعد الله لهم عذابا شديدا) بحيث لا نسبة لشدة العذاب النكر اليه قبل وصولهم الى الآخرة لئلا يتأخر عن وقت وصولهم (فاتقوا الله) ان تخالفوا امرا من أوامره لشدة فيه وان خالفت ظواهر العقول (يا أولى الالباب) فلا تقولوا وصلنا الى لب كل شئ ولم نجد لهذا لبا اذ يكفيكم الاطلاع على صدقه اذا كنتم من (الذين آمنوا) بالنظر فى الباب الادلة القاطعة فاعتقدوا انه وان لم يكن معقولا ففيه ما يجلبكم الى تنوير القلب اذ (قد انزل الله اليكم ذكرا) أى ما يذكركم الله فكأنه جعله (رسولا) يدعو اليه ولا تلبيس فى دعواته لانه (يتلوا عليكم آيات الله) أى المعجزات القولية (مبينات) للحجج رافعة للشبهات وهى وان لم تخرج عقلاء العالم من ظلمات الاوهام والخيالات فهى (ليخرج) أهل الانصاف اعتقادا وعملا وهم (الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور) أى من ظلمات ضلال الاوهام والخيالات الى نور التحقيق والهداية (و) هذا وان أوجب الايمان والعمل بتلك الاوامر على تعب من مخالفة العقل وضيق لكنه اذا انكشف السر وقع فى لذة كاملة واتساع عظيم لان (من يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات) فلا يبعد ان يدخله فى الدنيا فى جنات لذات العبادات والاعتقادات والاتساع فيها (تجرى من تحتها الانهار) فلا يبعد ان يجرى لهؤلاء انهار المعارف (خالدين فيها ابدا) فلا يبعد ان يزداد معارف هؤلاء ولا يبعد ان يرزق مثله الاطلاع على اسرار تخفى على كمل العالم لانه (قد احسن الله له رزقا) فى الاسرار ولم يحسن لسائر أولى الالباب ولا يبعد أن يخلق الله فى الانسان اطوارا ويخلق لكل طور ادراكا كالقوى والنفس والعقل والقلب والسر والروح والخفاء اذ (الله الذى خلق) للمجردات (سبع سموات و) للماديات (من الارض) أى العالم السفلى طبقات (مثلهن) طبقة النار الصرفة وطبقة الاثير الممتزجة بالهواء يتولد فيها الشهب وذوات الاذناب وطبقة الزمهرير وطبقة الهواء الصرف وطبقة الماء الصرف وطبقة الطين المركب من الماء والتراب وطبقة التراب الصرفة عند المركز ولا يبعد ان يتنزل الامر الالهى من هذه الاطوار الى الاعضاء الدماغ والكبد والعين والاذن والانف واللسان والبشرة كما انه (يتنزل الامر) الالهى (بينهن) بالتحريك والتكوين والفساد وانما فعل ذلك (لتعلموا ان الله على كل شئ قدير) لانه لما قدر على الاسباب والمسببات دفعا للتسلسل الاسباب قدر على المسبب بدون الاسباب (و) لكنه راعى الحكمة فى ترتيب المسببات على الاسباب لتعلموا (ان الله قد احاط بكل شئ علما) فيقدر على انزال ما لا يدركه عقول أكثر أولى الالباب ويعلم من الاسباب الموجبة للثواب والعقاب ما لا يدركه عقولهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة التحريم)

أن يتبناهم بجزاء أخذوهم ويقرأ يزفون وأخذوهم) ويقرأ يزفون بالتخفيف من وزف يزف بمعنى أسرع ولم يعرفها الكسائى والفراء قال الزجاج وعرفها غيرهما (قوله عزوجل يتابع

سميت به تنبيها على عجب تحريم النبي ما أحل الله له لابتغاء رضا مخلوق ناقص وعجب ما يترتب عليه من تحليله مرة أخرى بايسر شئ وهو الكفارة (بسم الله) المتجلي بكمالاته في أحكامه بحيث لو غيرت رجعت الى حالها بادنى شئ (الرحمن) برفع الحرج عنها بالكفارة (الرحيم) بالعفو عن المغير روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم حفصة فعلمت بذلك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت مارية على نفسي وأبشرك ان أبا بكر وعمر يملكان أمر أمتي واستكتمها فاخبرت بذلك عائشة وكانتا متصادقتين فغضب عليه السلام عليها وطلقها طلاقا رجعيا واعتزل نساءه تسعا وعشرين يوما فانزل الله تعالى (يا أيها النبي) ناداه ليقبل اليه بالكلية ويدبر عن كل ماسواه من الازواج وغيرهن وعبر عنه بالمبهم اشعارا بانه من غاية عظمته بحيث لا يعلم كنهه وأتى بحرف التنبيه تنبيها على غفلته عن مقداره وأتى بلفظ النبي اشعارا بانه الذي نبئ باسرار التحليل والتحريم الالهي (لم تحرم) مع ان مقتضى نبوتك ان لا تغير شيأ من حكم الله بعارض يمين أو غيره (ما أحل الله) باعتبار ذاته وجميع أسمائه (لك) يا أكمل الخلائق (تبتغي) أي تطلب بتحريم ما فيه أكمل جهات الحل (مرضات أزواجك) مع انهن دون الرجال الذين يجب عليهم طلب رضاك وحقك ان لا تلتفت لرضا مخلوق على خلاف رضا الله (والله غفور) لذنب حالك وذنب أزواجك اذ الجانك الى تحريم ما أحل الله لك (رحيم) بك وبهن اذ لم يؤاخذ بذنب هذا التحريم الذي يشبه اعتقاد تحريم الحلال وهو كفر ومن رحمة الله انه (قد فرض) أي قدر (الله لكم) كفارة لهذا التحريم تشبه كفارة تقع (تحلة) عقد (ايمانكم) التي عقدت تحريم الحلال أو غيره وتحريم المرأة اذا لم ينو به طلاقا ولا ظهارا ولا عتقا بل تحريم الذات توجب كفارة يمين وكذا ان لم ينو على أصح قولي الشافعي وان حرم طعاما فلا كفارة قيل اعتق عليه السلام رقبة في تحريم مارية وقيل لم يكفر لانه كان مغفورا له (و) انما فرض ذلك لينصركم على أنفسكم المتبادرة الى تحريم الحلال اذ (الله مولاكم وهو العليم) بما يحل اليمين (الحكيم) في الامر بحله حيث كان فعل ما حرم باليمين خيرا (و) ان لم تعرف قدر المغفرة والرحمة في حقك حين حرمت ما أحل الله لك لرضا أزواجك فاذكر غضبه لغضب النبي صلى الله عليه وسلم (اذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا) حديث مارية وخلافة أبي بكر وعمر فافشت الى بعض أزواجه (فلما نبأت به) بعض أزواجه (وأظهره الله عليه) غضبا عليها لفعلها ما يغضبك (عرف بعضه) حديث مارية فلامها وطلقها واعتزل نساءه (وأعرض عن بعض) حديث الخلافة مخافة انتشارها الموجب للتحاسد (فلما نبأها به قالت) لترددها انه من عائشة فتغضب عليها أو من الله (من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير) من غضبه لغضب نبيه وكما غضب الله عليها غضب على من أفشت اليها وهي عائشة لرضاها به فقال لهما (ان تتوبا الى الله) ايرضى عنكما فيرضى رسوله (فقد صغت) أي مالت عن الواجب من مخالفة الرسول بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه (قلوبكما وان تظاهرا عليه) أي تتعاونا على مخالفته (فان الله هو مولاه) أي

أي عيون تنبع واحدها ينبوع (قوله عز وجل يهيج) أي ييبس كقوله عز وجل ثم يهيج فتراه مصفرا (قال أبو عمر هاج من الاضداد يقال هاج اذا طال وهاج اذا جف ومنه قول على بن

ناصره فلا يتركه فى غم مخالفتكما بل يجعله مشغولا به (وجبريل) يشغله بالوحى (وصالح المؤمنين) اشغله بالاسترشاد منه (والملائكة بعد ذلك) النصر المذكور (ظهير) أى معين بافاضة الخيرات عليه ثم انما تطلب كفاية هذا الغم لو بقين على نكاحه عليه السلام لانه لا غم عليه لو طلقهن من فوائتهن فانه (عسى ربه) الذى رباه بما لا يتناهى من الكمالات (ان طلقكن) فلم يترك خيرا فيكن (ان يبدله أزواجا خيرا منكن) لكونهن (مسلمات) أى منقادات للنبى فى حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه (مؤمنات) أى مصدقات له فيما يعده من الثواب على ذلك ويرعده من العقاب على خلافه (قانتات) أى متذللات لا يتكبرن عليه فى شئ هذا مع كونهن بالنسبة الى الله تعالى (تائبات) من الكفر والمعاصى (عابدات) بالصلاة والزكاة والصيام (سائحات) بالحج وفى حب النبى صلى الله عليه وسلم (ثيبات و) فى قطع النظر عن غيره (ابكارا يا أيها الذين آمنوا) كما يخاف على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى مخالفتهن تبديل صفاتهن الحميدة بالذميمة يخاف عليكم وعلى أهليكم فى المخاصمة (قوا) أى احفظوا بمقتضى ايمانكم (أنفسكم واهليكم نارا) اعدت للكافرين اذ يستبيح كل بغض صاحبه وشتمه بل ذمه (وقودها) من شدة ذكائها الاشياء الرطبة واليابسة المحضة (الناس والحجارة) ولا يكتفى بهذه الشدة بل (عليها) مع تلك الشدة (ملائكة غلاظ) لا شفقة لهم (شداد) أقوياء يدفع احدهم بدفعة سبعين ألفا فى النار (لا يعصون الله ما أمرهم) فيما مضى من الشدة (ويفعلون ما يؤمرون) فى المستقبل من مزيدها (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) بان أعمالكم كانت دون هذه الشدائد التى تزداد كل يوم بل (انما تجزون) قدر (ما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم التوقى من المعاصى التى يخاف جرها الى الكفر بالتوبة لتخلصوا من الشدائد المتزايدة على الابد (توبوا) ملتجئين (الى الله توبة نصوحا) أى خالصة لتخلصوا من المعاصى ظاهرا وباطنا وهى الندم على الذنوب الماضية واعادة الفرائض بقدر الامكان ورد المظالم على اربابها وورثتهم ثم التصدق بها واستحلال الخصوم ان أمكن ثم الاحسان اليهم والعزم على أن لا يعود وتربية النفس فى طاعة الله تعالى كما رباها فى معصيته (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم) الجارة الى الكفر الموجب للخزى (ويدخلكم جنات) بلا عقاب وخزى بل مع مزيد لذة وجاه اذ (تجرى من تحتها الانهار) ولا يبعد عدم الخزى فى أهوال يوم القيامة لكونه (يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه) من الكمل بل يتشرفون بالنور اذ (نورهم يسعى) على الصراط (بين أيديهم) بمسارعتهم الى الخيرات وتقديمهم اياها (وبايمانهم) لترجيحهم جانب الحق على أهويتهم (يقولون) اذا اطفئ نور المنافقين (ربنا أتمم لنا نورنا) وان كان فى اخلاصنا نقص (واغفر لنا) ما كان فينا من النفاق الخفى (انك على كل شئ) من اطفاء النور واتمامه مع النفاق الخفى (قدير) ولما لم يثبت للعوام التوبة النصوح مع رؤية الكفار على أحسن الاحوال والمؤمنين فى الشدائد والاهوال قال (يا أيها النبى) اذا ثبت الكفار والمنافقين فلم ينتهوا بل عاندوا (جاهد الكفار والمنافقين) لتغير احوالهم (واغلظ عليهم) ليضعفوا فلا

أبى طالب رضى الله عنه
ذمتى رهينة وأنا به زعيم لمن
صرحت له العبر لا يهيج
على التقوى زرع قوم ولا
يظماء عليها سنخ أصل) هاج
أى جف

يرغب في أحوالهم المسلمون بل يتوبون عن مثل أحوالهم سيما اذا تذكروا ان هذه أحوالهم
في الدنيا (و) حالهم في الآخرة ان (مأواهم جهنم وبئس المصير) لاحوالهم فيتحقق لهم التوبة
النصوح ثم أشار الى أن رؤية الكافرين للمؤمنين لا ترغبهم في أحوالهم حتى يتوبوا توبتهم
النصوح فقال (ضرب الله مثلا للذين كفروا) في عدم تأثرهم من المؤمنين (امرأت نوح)
واعلة او والعة (وامرأت لوط) واهلة أو والهة لان الوصلة من أسباب التأثير ولا اها وصلة
المرأة بالزوج واولى بذلك نسوة الانبياء عليهم السلام (كانتا تحت عبدين من) كمل (عبادنا
صالحين) أي مبالغين في الصلاح فلم تتأثرا برؤية صلاحهما (فخانتاهما) امرأة نوح بقولها
للناس انه لمجنون وامرأة لوط باخبارها القوم بها عن الضيف (فلم يغنيا) بحق الزواج الذي هو
أجل من حق النسب (عنهما من الله شيأ) من الاغناء (و) لكن (قيل) لهما يوم القيامة (ادخلا
النار مع الداخلين) الذين لا وصلة لهم مع أهل الصلاح وفيه تعريض لعائشة وحفصة على
اغلظ وجه واشده ان لم تتوبا (و) انما لا يتأثر الكفار من المسلمين لما يرون عليهم من الشدة فانه
(ضرب الله مثلا للذين آمنوا) في تحمل الشدائد (امرأت فرعون) آسية بنت مزاحم لما غلب
موسى السحرة آمنت فتأثرت منهم مع ما رأت من شدائده عليهم فلما تبين له ايمانها اوتد يديها
ورجليها باربعة اوتاد والقاها في الشمس وأمر بصخرة عظيمة تلقى عليها فاحتملت تلك الشدائد
(اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) أي في أعلى درجات المقربين وذكرت الجار قبل الدار
(ونجني من فرعون) ذاته (وعمله) الشرك (ونجني من) ايلام (القوم الظالمين) فنزع الله
روحها قبل وصول الصخرة اليها فلم تجد ألما وفيه اشارة الى انه لا عذر لشخص اذا ابتلى بصحبة
كافر وفيه تعريض لعائشة وحفصة في احتمال الشدائد في صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولو الى هذا الحد ثم أشار الى ان تحمل المؤمن أدنى الشدائد يفيده اعلى الدرجات فكيف تحمل
اعلاها (و) لذلك ضرب الله مثلا للذين آمنوا (مريم ابنت عمران التي) احتملت من الشدة انها
(أحصنت فرجها) فافدناها فائدة جليلة (فنفخنا فيه من روحنا) أي روح خلقناه بلا واسطة
أب (و) ليس ذلك بمجرد احتمال تلك الشدة بل لكونها مع ذلك (صدقت بكلمات ربها) التي
جاءت بها الرسل (وكتبه) المنزلة عليهم علما وعملا فتأثرت منها (وكانت) مع ذلك مبالغة
في المجاهدة بحيث عدت (من) كمل الرجال (القانتين) فتأثرت من المجاهدة قال عليه السلام
كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم
بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على
سائر الطعام وفيه تعريض لعائشة وحفصة لو كانتا تائبتين * تم والله الموفق والملهم والحمد لله
رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة الملك)

سميت به لاشتمالها على كثير مما ينبغي ان يكون عليه الملك من كثرة الخيرات وعموم القدرة
والاحياء والاماتة واختبار اعمال الناس والغلبة والغفران ورفع الابنية لخدامه وعدم

(قوله عزوجل يسامون) أي يملون (قوله عزوجل يذرؤكم) أي يخلقكم (قوله تعالى يقترف) أي يكتسب (قوله عزوجل يبشر) ويبشر معناهما واحد

التفاوت في رعاياه وتزيين بلاده والقهر على الاعداء والترحم على الاولياء والامن ورخص الاسعار وان لايقدر أحد على نصر من عاداه ولا على رزق من منعه وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي من عذاب القبر على مافي الحديث (بسم الله) المتجلي بكمالاته في ملكه (الرحمن) بكثرة خيراته (الرحيم) بالغفران مع عزته ورفع الابنية وابطال التفاوت والفطور وتزيين الملك وقهر الاعداء (تبارك) أي كثر الخيرات التي لاتتم الا بارسال الرسل (الذي بيده) أي تحت تصرفه (الملك) عالم الشهادة كثر به الخيرات للارواح باكتسابها منه كيف (و) لامانع من تكثيرها اذ (هو على كل شئ قدير) وهو يحب الخيرات فيكثر أحب ما يقدر عليه ولحبه تكثيرها يحبه من الانسان باختياره لذلك خلق فيه مايكون سببا لدواعيها فهو (الذي خلق الموت) اولا (والحيوة) ثانيا ليدل على أن بعد الموت حياة ينتفع فيها باعمال الخيرات ويتضرر فيها باعمال الشرور (ليبلوكم أيكم احسن عملا) فيناسبه في الاتيان بالخيرات فيفيض عليه الخير الكثير في الحياة الثانية (و) ان لم يحسن الاعمال افاض عليه الشدائد اذ (هو العزيز) أي الغالب على من اساء بالانتقام منه لكنه (الغفور) لمن خالط الاحسان مع الاساءة ترجيحا لجانب الخيرات وتكثير الخيرات مع رعاية عزته في رفع البناء وغفرانه في ستر نقائصه هو (الذي خلق سبع سموات) ليفيض بواسطة كل سماء فيضا خاصا ينسب اليه ويحتجب به ولحبه المحاسن جعلها (طباقا) يوافق بعضها بعضا بلا تضاد ليتم امر الحكمة في الكوائن والفواسد فيكون داعيا الى اتمامها في الاعمال فتصير احسن (ماترى في خلق الرحمن) أي عام الرحمة في عالم الكون والفساد والعالم العلوي اولى بذلك (من تفاوت) في رعاية الحكمة بل راعاها في كل كائن وفاسد فان شككت في ذلك (فارجع البصر) أي كرر نظر العقل (هل ترى من فطور) أي شقوق وخلل (ثم) ان خالج في قلبك قصور النظر الاول (ارجع البصر) أي كرره (كرتين) أي تكريرا بعد تكرير (ينقلب) أي يرجع (اليك البصر خاسئا) أي مطرودا كيف (وهو حسير) أي كال عن مطلوبه الذي هو الخلل فهذا دليل على انه يحب اتمام الحكمة في كل شئ فهو يحبها في اعمالكم لتصير احسن (و) اتمام الحكمة في العالم العلوي ظاهر مع رعاية المحاسن فانا (لقد زينا السماء الدنيا) أي القربى من العرش (بمصابيح) أي كواكب مركوزة فيها أو القربى من الارض بمصابيح مركوزة فيما فوقها لكن يتخيل أهل الارض انها مركوزة فيها لظهورها فيها وذلك ليتزين الانسان بالامور التي فوق مرتبته في الحال ليخرج ما فيه بالقوة الى الفعل في المآل (و) لكرا هتنا اساءة العمل (جعلناها رجوما للشياطين) المستمعة الى أخبارها لاغواء أهل الارض وافساد اعمالهم وذلك بان تثير الملائكة المتعلقة بها نارا من غير اقتباس منها وهذا اولى مما قيل انها ادخنة محترقة اذ لو احترقت لازدادت ضعودا لكن كثيرا ماتراها نازلة وذاهبة يمينا وشمالا (واعتدنا لهم) وراء هذا الرجم على هذا الاستماع المقصود به الاغواء (عذاب السعير) وان كانوا من النار فيسلط مادتهم على صورتهم للتعذيب (وللذين كفروا) فعبدوا هؤلاء المرجومين فاشركوهم (بربهم) الذي رباهم بافاضة انواع الخيرات سيما

(قوله عزوجل ومن يعش عن ذكر الرحمن) أي يظلم بصره عنه كان عليه غشاوة ويقال عشوت الى النار اعشو فانا عاش اذا استدللت عليها ببصر ضعيف قال الحطيئة

ارسال الرسل (عذاب جهنم) من النار والزمهرير والحيات والعقارب وغيرها (وبئس المصير) مصيرهم الى جهنم والى ربهم كاعداء الملك يحملون اليه فيعجل فيهم بمقتضى عزته وأول عذابهم الذي بعده أشد منه انهم (اذا القوا فيها) أى قاربوا ان يطرحوا فيها البصير واوقودها (سمعوا لها شهيقا) صوتا كصوت الحمار (و) هو صوت غليانها اذ (هي تفور) أى تغلى كالمرجل أو اشد اذ (تكاد تميز) أى تتفرق اجزاؤها الى السماء والارض (من الغيظ) على الذين اغضبوا الله حين بعث اليهم الرسل لذلك (كلما القى فيها فوج) أى جماعة اتفقوا على معصية او كانوا أهل بلد اوزمان أو أمة نبي وذلك لاستحقاق البعض التقديم والتنفل والبعض العكس (سألهم خزنتها) ليزدادوا غيظا اذا لم يكن لهم عذر (الم يأتكم نذير) أصلا والعقلاء اذا سمعوا من اذناهم مخوفا اجتهدوا فى النجاة عنه (قالوا بلى قد جاءنا نذير) واكثر (فكذبنا) جميع النذر مع ان لكل واحد منهم معجزات وحججا (وقلنا ما نزل الله) من الاوامر والنواهي والمعجزات (من شئ ان أنتم الا فى ضلال كبير) بافترائكم عليه هذه الامور (و) اعترفوا لانفسهم بالضلال الكبير الذى نسبوه الى الرسل اذ (قالوا لو كنا نسمع) مادات المعجزات على صدقه وان لم نعقله (أو نعقل) بديهة او نظر (ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم) تكذيب الرسل والاعراض عمادلت المعجزات على صدقه وعن العقول حين لا يفيدهم (فسحقا) أى بعدا عن النجاة والالطاف الالهية (لأصحاب السعير) بل هو سبب مزيد غيظ الله تعالى وغيظ الخزنة والنار والعياذ بالله من ذلك وغاية ما استفادوا من عبادة الشيطان رقى او أدوية ولا تفوت هذه الفائدة من خشى الله (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) فتركوا ما ينسب الى الشياطين من الفوائد الظاهرة (لهم مغفرة) لذنوبهم التى يبتلى من اجلها فيحتاج الى الرقى والادوية (و) لو ابتلوا الهم (أجر كبير) على صبرهم على الابتلاء وتركهم الاسترقاء (واسروا قولكم) بأن تقولوا للراقى ادفع عنا هذا الشيطان بما تعلم (او اجهروا به) فهما سيان عند الله (انه عليم بذات الصدور) أى بالخواطر المخصوصة بالقلوب التى ربما لا يشعر بها اربابها (الا يعلم) تلك الخواطر (من خلق) الخواطر والقلوب (و) لو لم يكن خالقهما لعلمهما أيضا (هو اللطيف) اذ هو المجرد والمجرد يجب ان يعلم الكل لانه (الخبير) بذاته وكل من علم ذاته جاز ان يعلمه مع غيره وكل ما جاز فى حق الله فهو واجب اذ كمالاته بالفعل لا بالقوة ثم اشار الى انه لا ينبغى ان يترك ارض لخوف شيطان ولا يجعل له رزق اذ الله (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) لا تصعب بشيطان (فامشوا فى مناكبها) أى جوانبها أو جبالها ولا تخافوا القاء الشيطان فيها (وكلوا من رزقه) فلا تجعلوه لشيطان (و) ان كان له أثر فهو باذن الله اذ (اليه النشور) أى المرجع فلا يأذن فى حق من توكل عليه (ءأمنتم) اذا خفتم شيطانا بعد التوكل عليه (من) هو اعز منه الـ[illegible] سلطانه (فى السماء أن يخسف بكم الارض) التى تتركون المشى فى مناكبها لاجله (فاذا هى تمور) تتحرك بكم وترتفع فوقكم (ام أمنتم) اذا استعنتم بشيطان فى دفع مرض أو مشقة (من فى السماء) سلطانه (ان يرسل عليكم حاصبا) أى حجارة فان تركـكم فى الدنيا (فستعلمون)

متى تأته تعشو الى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد ومن قرا يعش بفتح الشين معناه يعم عنه يقال عشى يعشى فهو اعشى اذا لم يبصر بالليل وقيل معنى

في الآخرة (كيف نذير) اى ما انذركم به من ارسال الحاصب وان صدقتموهم في اخبارهم السماوية فهذا تكذيب منكم للانبياء (ولقد كذب الذين من قبلهم) فانكرت عليهم بالاخذ الشديد (فكيف كان نكير) يزعمون انهم لو لم يصدقوا الشياطين في أخبارهم يقع عليهم الامر السماوى عن غفلة منهم (ولم يروا الى الطير) مع كونهن في محل السقوط لكونهن (فوقهم) فان أمسكهن كونهن (صافات) أى باسطات أجنحتها (و) لكن لا يؤمن عليهن اذ (يقبضن) أجنحتها فحينئذ (ما يمسكهن الا الرحمن) من رحمته بهن فالمتوكل أولى اذا قصده شيطان (انه بكل شئ بصير) ثم غاية الرقى والادوية انها جند يهزم أعداء الامراض فهل تعتقدون اذا حاربتم بجنودكم ان الله ينصركم (أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) وقد ظهر لكم غلبة فئة قليلة فئة كثيرة باذن الله لكنكم من كفركم بالله تغترون بجنودكم (ان الكافرون الا في غرور) بالظاهر من الحقيقة وان سلم ان الجند ناصركم فهم انما صاروا جندكم بما يعطيكم الله من الرزق أتعتقدون انكم ترزقونهم (أمن هذا الذى يرزقكم) هو يرزقهم وان كنتم رازقيهم فهل ترزقونهم (ان أمسك رزقه) عنكم فاذا لم ترزقوهم فكيف يبقون ناصرين لكم فهم ينصرونكم بما يعطيكم الله وهم لا يبالون بهذه المقدمات (بل لجوا) أى تمادوا (في عتو) أى عناد (ونفور) شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه (أ) تعتقدون ان من نظر الى الاسباب السفلية أهدى ممن نظر في مسبب الاسباب (فمن) أى فهل من (يمشي مكبا على وجهه) بالنظر في الاسباب (أهدى أمن يمشي سويا) بالنظر الى المسبب مع كونه (على صراط مستقيم) بجعل الاسباب مظاهر أسمائه المؤثرة والله تعالى مؤثر عندها لا بها لكنه يراعى الحكمة في ترتيب الامور فان ادعوا استقلال الاسباب (قل) لاشك ان جماع الوالدين سبب تكوين الولد لكن يعلم بالضرورة انه لا تأثير له في انشائه ولا في اعطائه القوى ومحالها بل الله (هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) فان نسبتموها الى الافلاك (قليلا ما تشكرون) بتوفية حقه في التوحيد وانفراده بالتأثير فان زعموا أن للاسباب معه تأثيرا (قل) لو صح ما ذكرتم فلاعمالكم أثر في الجزاء اذ (هو الذى ذرأكم) أى بثكم ليستعملكم (في الارض) أعمالا (واليه تحشرون) لجزائكم فالاعمال أسباب فلم تعطلونها (ويقولون) انما نعطلها لانه لا تظهر آثارها في مدة معلومة (متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) وانما لا تظهرونه لئلا يظهر كذبكم اذا لم يقع الحشر عنده (قل انما) لا نعينه لان الله أبهمه لانه ان قرب تعطلت أمور الناس من خوفه وان بعد لم يلتفت اليه فلذلك كان (العلم عند الله) لا عند غيره (و) انما أكون كاذبا لو عجزت عن دلائل وقوعه لكن (انما أنا نذير مبين) بالدلائل القاطعة مع المعجزات المصدقة لى ولو عينت لكم وقته لانتظرتم قربه (فلما رأوه زلفة) أى ذا قرب (سيئت) أى قبحت (وجوه الذين كفروا) بغبرة ترهقها قترة (وقيل) أى قالت الزبانية (هذا الذى كنتم به تدعون) انه لا يكون فان قالوا بل يسيء وجوهكم لافترائكم على الله بالنبوة (قل أرأيتم) أى اخبروني عن ترددكم في أمرنا مع تيقن أمركم (ان أهلكني الله

قوله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن) أى يعرض عنه (قوله تعالى يصدون) أى يصدون (قوله تعالى يتدبرون القرآن) يقال تدبرت الامر أى نظرت في عاقبته

ومن معى أو رحمنا) مع ان الله صدقنا باظهار المعجزات على أيدينا (فمن يجير) أى يمنع (الكافرين) به وبآياته (من عذاب أليم) تحقق لهم فان زعموا ان التردد بأمرنا وأمركم (قل) لا وجه للتردد فى أمرنا اذ (هو الرحمن) الذى شأنه أن يرحم من لا يكفر به ولا يعصيه (آمنا به وعليه) لا على الاسباب (توكلنا) فلم يعذبنا دونكم فان شككتم بعد هذا فلا يمكن تفهيمكم (فستعلمون من هو فى ضلال مبين) هل هو المؤمن به المتوكل عليه أو غيره فان زعموا ان القول بتعطيل الاسباب هو الضلال (قل أرأيتم) أى اخبرونى هل ترجعون الى سبب سماوى أو أرضى (ان أصبح ماؤكم غورا) لا تناله آلة (فمن يأتيكم) من الاسباب (بماء معين) سهل المأخذ أم ترجعون فى طلبه الى الله تعالى وحده من غير سبب * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين .

(سورة ن)

سميت به لدلالتها على مبدا خلق محمد صلى الله عليه وسلم أو مبدا نبوته (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى محمد صلى الله عليه وسلم (الرحمن) بخلق القلم الاعلى وسائر العقول العالية واللوح المحفوظ وسائر النفوس السماوية (الرحيم) بالانعام على محمد بالنبوة والولاية والهداية العامة والاخلاق الكريمة (ن والقلم وما يسطرون) أى اقسم بالنفس الكلية أى اللوح المحفوظ مبدا الوحى والقلم الاعلى أى العقل الاول من حيث هو مبدا ثبوته فى اللوح المحفوظ أو بالنفس الرحمانى الذى هو مبدا روحانيته عليه السلام وبالقلم الاعلى الذى هو روحانيته أو بنور الاحدية الذى هو مبدا حقيقته عليه السلام وبالقلم الاعلى الذى هو مبدا وجودها فان الروح أول ما وجد منها أو بنبوته وبالقلم الاعلى الذى هو مبدا نبوته فان النبوة كانت لروحه أولا ولكله آخرا وبما يسطره العقول من نفوس الكائنات على ألواح النفوس السماوية (ما أنت بنعمة ربك) من النبوة والولاية وسائر المقامات العالية والمنازل الرفيعة (بمجنون) وان كان فيها ما يحير عقول الجمهور كيف (وان لك) هداية كاملة توجب (لأجرا غير ممنون) أى غير منقطع الى يوم القيامة وكيف لا يكون لك تلك الهداية (وانك لعلى خلق عظيم) من اخلاق الله تجتذب بها الجمهور الى الهداية فيكون لك أجرهم الى يوم القيامة أو كيف تكون مجنونا والجنون انما يكون على الاخلاق الرديئة وأنت على مكارمها واذا كانت بك الهداية العامة كنت نورا تبصر به أنت ومن اتبعك وسيظهر لمن خالفك الشيطان ظهورا عقليا (فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون) أى باى الفريقين من المهتدين بك الملك أو المكذبين لك الشيطان الذى فتن عن الحق أى صرف عنه فصرف الناس عن الهداية وبلغ فى ذلك حتى جن من قارنه ولا ظلم فى صرفهم عن هذا النور بالاعماء عنه لانه تابع للعلم الالهى التابع لاستعدادات الحقائق المعلومة له فى الازل (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) واذا كان لك كمال العقل والهداية (فلا تطع المكذبين) لهدايتك الضرورية المنزهة عن الجنون اذ ادعوك لترك التشديد عليهم والطعن فى دينهم وآلهتهم طمعا فى

والتدبير هو قديس دبر الكلام بقبله لينظر هل يختلف ثم جعل كل شيء تدبيرا (قوله عزوجل يتربصكم) ينقصكم وينظلمكم يقال وترنى حقى أى ظلمنى (قوله

رجوعهم الى الهداية لكنهم ليسوا بهذه المظنة اذ غايتهم أنهم (ودوا لو تدهن) أى أحبوا ان
تلين لهم (فيدهنون) بترك الطعن عليك لكنه قاطع لدعوتك التى هى سبب هدايتك العامة
(و) اذ كانت لك الاخلاق الكريمة (لا تطع) ذا الاخلاق الذميمة التى هى منشأ الافعال
القبيحة (كل حلاف) وهو الوليد بن المغيرة حلاف لك اذا تركت التشديد عليه والطعن فيه
تأمل فى شأنك فيرجع الى الحق فلا تعتمد على حلفه لانه كثير الحلف لا سيما انه بالله من اتصافه
بوصف (مهين) اذ شأن العزيز رعاية عزة كل عزيز والمهين لا يترك التشديد عليه والطعن
فيه فانه كالعبد يقرع بالعصا كيف وهو متصف بوصف (هماز) أى كثير الغيبة وليس ذلك
من شأن الاعزة و يخاف أن يغتابك بالضعف على أنه اتصف بوصف (مشاء بنميم) أى كثير النقل
للاحاديث على نهج السعاية فهو أهون و يخاف أن ينم ضعفك الى الناس ليتقووا عليك ومع
ذلك متصف بوصف (مناع للخير) فكيف يرجى منه التأمل للرجوع الى الخير بل يزداد منعا
للناس عنه عند رؤيته ضعفك ولا يقتصر على منع الخير بل يتصف بوصف (معتد) أى مجاوز
الحد فى الظلم فيخاف أن يظلمك وأصحابك عند رؤية ضعفك ولا يبعد منه لاتصافه بوصف (أثيم)
أى كثير الاثم لاتصافه بوصف (عتل) أى غليظ لا يلين لوعيد الحق فلا يرجى منه التأمل
للرجوع الى الحق وهو (بعد ذلك) المذكور من مثاله متصف بوصف (زنيم) أى دعى ادعاه
أبوه بعد ثمان عشر سنة وهو منشأ جميع الاخلاق الذميمة ومن أعظم ما فيه من الذمائم أنه
يكفر فى موضع الشكر وهو انه لاجل (أن كان ذا مال و بنين اذا تتلى عليه آياتنا) المنسوبة
الى عظمتنا (قال) فى دفعها انها (أساطير الاولين) أى أكاذيبهم التى يسطرونها فقال الله
تعالى فى تعجيل جزائه (سنسمه على الخرطوم) أى سنكويه على أنفه فأصابه جراحة يوم بدر
فبقى أثرها ومع ذلك لم يزل مستشارا لاهل حتى قحطوا (انا بلوناهم) بالقحط سبع سنين من غير
أن يعم سائر البلاد لمشاورتهم هذا الجامع للذمائم سيما منع حق آيات الله (كما بلونا أصحاب
الجنة) المسماة ضروان كانت على الطريق بفرسخين من صنعاء لصالح كان ينادى الفقراء
وقت الصرام فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا فان المال قليل
والعيال كثير وكان مال أبينا كثيرا وعياله قليلا فأصابها البلاء دون ما حولها (اذ أقسموا)
على منع حق المساكين بمشاورة مكذبى مضاعفة الصدقة وأرباب الشح المطاع (ليصرمنها
مصبحين) أى ليقطعن ثمارها وقت الصباح بحيث لا يعلم مسكين بذلك (ولا يستثنون) أى ولا
يخرجون شيأ من حق المساكين (فطاف عليها) أى أحاط بها بلاء (طائف) وهى نار نزلت
من السماء (من) أمر (ربك) فاحرقتها غضبا عليهم لحق المساكين فكيف لحقك وحق آياته
(وهم نائمون) أى غافلون غفلة أهل مكة عن سبب القحط (فأصبحت) أى فصارت بالاحتراق
(كالصريم) كالليل الاسود أو كالرماد (فتنادوا) أى فنادى بعضهم بعضا (مصبحين) أى
وقت الصبح اذ لم يكشف لهم عما جرى عليهم بالليل (أن اغدوا) أى اخرجوا غدوة (على
حرثكم ان كنتم صارمين) أى قاصدين قطع ثمارها وقد قطعها البلاء من أصلها (فانطلقوا

وهم

أعمالكم)
تعالى ولن يتركم
أى لن ينقصكم شيأ من
ثوابكم ويقال وترت الرجل
اذا قتلت له قتيلا أو أخذت
له مالا بغير حق وفى الحديث
من فاتته صلاة العصر

وهم يتخافتون) أي فتشاوروا وهم يكتمون ذهابهم جازمين (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين)
ولم يمكنهم منع دخول البلاء الالهي كما جزم أهل مكة أن لا يدخل الاسلام أحد فيشاركونهم
في أرزاقهم (وغدوا على حرد) أي سرعة (قادرين) على تحصيل الغلة مسارعة أهل مكة الى
منع ظهور النبوة (فلما رأوها قالوا) أول ما رأوها ما هي بها (انا لضالون) طريقها ثم تأملوها
فقالوا (بل نحن محرومون) كذلك أهل مكة اذا رأوا القحط قالوا ليس بقحط حقيقي بل
انقطاع المطر أياما قلائل فلما استمر عليهم قالوا بل نحن محرومون عن الارزاق (قال أوسطهم)
أي أعدلهم رأيا (ألم أقل لكم لولا تسبحون) أي هلا تنزهون الله عن أن يخالف وعد المضاعفة
في الصدقة كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا تنزهون الله عن أن يشاركه في آياته غيره
فاذا تبين لهم الغلط اعترفوا بالظلم كما (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) وكان ظلمنا بمشاورة
أهل السوء (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضا لان منهم من أشار
ومنهم من استصوب كذلك اذا تحقق صدق الآيات يوم القيامة يلوم بعضهم بعضا (قالوا) أي
الملومون (يا ويلنا) تعال الينا (انا كنا طاغين) أي مجاوزين حدود الله بمنع حقوقه طغيان
هؤلاء في حقوق الآيات (عسى ربنا أن يبدلنا) ببركة التوبة (خيرا منها انا الى ربنا راغبون)
أي طالبون الخيرات بانتهاء الرغبة فيه الى الله تعالى قال ابن مسعود بلغني ان القوم أخلصوا
وعلم الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا
كذلك يرجى لهؤلاء اذا تابوا ان يعطوا خيرا مما ضيع عليهم لاجل القحط (كذلك) أي مثل
ابتلاء أهل مكة وأصحاب الجنة (العذاب) أي كل عذاب دنيوي يرجى بعده الخير (و) لا يرجى
ذلك في عذاب الآخرة (العذاب الآخرة أكبر) والغضب فيه أشد فلا يعقبه خير يعلمون ذلك
(لو كانوا يعلمون) الحقائق ولا ينتقض بما يحصل لعصاة المؤمنين من الجنة بعد العذاب لانه
ليس بعذاب بالحقيقة بل تطهير لهم لتكميل نعيمهم في الجنة (ان للمتقين) الكفر (عند
ربهم) الذي يزكيهم بالعذاب لمزيد التنعيم (جنات النعيم) بالحقيقة (أ) نجعل عذاب المسلمين
حقيقيا كعذاب الكفار (فنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون) بعدم الفرق
بينهما لتبطلوا فائدة المسلمين بل تقولون نحن نؤتى أفضل مما يؤتى المسلمون ألكم عليه دليل
عقلي (أم لكم كتاب) سماوي (فيه تدرسون) بالنص الجلي (ان لكم فيه لما تخيرون) أي
يجدونه خيرا فان كان فهل هو مجرد عن اليمين (أم) مقارن لها بل (لكم أيمان) تغلبون بها
(علينا) لا الى مدة منقطعة عن قريب بل (بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون) به علينا
فان اعترفوا انه لا دليل لهم عقلي ولا كتاب بل كلام آبائهم (سلهم أيهم بذلك زعيم) أي كفيل
فان ذكروه فهل هو عبد من عباد الله يحكم على الله (أم) من شركائه اذ (لهم) في زعمهم
(شركاء فليأتوا بشركائهم) لمناقضة الله ومغالبته (ان كانوا صادقين) فان أبوا بهم اليوم
فكيف يأتون بهم (يوم يكشف عن ساق) أي عن أصل الامر وحقيقته (و) ان زعموا انهم
ليسوا في معرض المناقضة والمبالغة لانهم مظاهره حتى كان سجودنا لهم سجود الله ونظرنا

فكأنما وتر أهله وماله (قوله عز وجل يغتب بعضكم بعضا) الغيبة أن يقال في الرجل من خلفه ما فيه واذا استقبل به فتلك المجاهرة واذا قيل ما ليس فيه فذلك البهت

اليهم نظرا الى الله وسطناهم لعجزناعن سجود المنزه والنظر اليه يقال لهم هذا باطل اذ (يدعون الى السجود) لله (فلا يستطيعون) اذ تصير ظهورهم طبقا واحدا (خاشعة) أى ذابلة (أبصارهم) فلا يستطيعون النظر اليه بل (ترهقهم) أى تغشاهم بكليتهم (ذلة) لانهم أذلوا الله اذ رأوا ظهوره فى شركائهم كماله الحقيقى وهو نقص (وقد) كذبوا فى دعوى عدم قدرتهم على سجود المنزه فانهم (كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون) سلامة المسلمين الذين سجدوا للمنزه وان كذبوا بقضية الكشف عن الساق والدعوة الى السجود (فذرنى) أى خلنى (ومن يكذب بهذا الحديث) فلا تعجل بدعاء المؤاخذة عليهم (سنستدرجهم) أى أجعلهم على درجات المعاصى فآخذهم (من حيث) أى من جهة (لايعلمون) انها جهة الاخذ (وأملى) أى امهل (لهم) وان عظموا الجرائم مكرا بهم (ان كيدى متين) لايمكنهم دفعه بكيدهم ايجعلون هذا كيدا منك لاتحصيل شئ (أم) لتحصيله اذ (تسئلهم أجرا فهم من مغرم) أى من تحمل غرامة بلا عوض (مثقلون) فان كان لك كيد لتحصيل شئ فهل علموه بدلائل (أم) بالكشف اذ (عندهم الغيب) فان صح (فهم يكتبون) مافيه ويستغنون به عنك واظهم يؤمنوا لك بعد هذا (فاصبر لحكم ربك) بتأخير العذاب عنهم لعلهم يتوبون أو يزدادون اثما (ولاتكن) فى استعجال العذاب عليهم (كصاحب الحوت) يونس بن متى عليه السلام استعجل العذاب على قومه فلم يجب فخرج عنهم من غير اذن ربه فركب السفينة فسكنت الريح فزعم اهلها انه انما يكون لعبد آبق فساهموا فخرج السهم باسم يونس فالقى نفسه فى البحر فالتقمه الحوت فهو وان كان كاملا الا انه تذلل (اذ نادى) بقوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين (و) كيف لايكون هذا التذلل من كمالاته مع صدوره منه اذ (هو مكظوم) اى مملوء غيظا والغائظ لايتذلل لكن مع هذا المأثر تبت على تركه الاولى كادت تسقطه عن كماله بحيث (لولا أن تداركه نعمة من ربه) هى عنايته بابقاء كمالاته (لنبذ بالعراء) اى الارض الخالية عن الاشجار فلا يخلو عن ذلة (وهو مذموم) لاكرامة له لكن تداركته النعمة فنبذ غير مذموم (فاجتباه ربه) للكرامات (فجعله من الصالحين) أهل الكرامات (و) لايبعد من الله اسقاط أهل الكمال الى مهواة الذم كما يبعد من الكفار اسقاطك بعد علمهم بكمالك (ان) اى انه (يكاد الذين كفروا) اى ستروا كمالك (ليزلقونك) اى يرمونك ويزلون قدمك (بأبصارهم) مع علمهم بكمالك (لما سمعوا الذكر) اى الكلام المعجز (ويقولون) لذمك انه ليس بكلام الله بل كلام جنى (انه لمجنون) ولم يعلموا ان كلام المجنون لايكون له شرف فضلا عن الاعجاز (و) هذا الكلام (ما هو الا ذكر) اى شرف (للعالمين) الجن والانس والملائكة فان كل من تكلم به قبل انه يتكلم بما يعجز عنه الكل فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة الحاقة)

(قوله عز وجل بأيكم) و بالتكم أى بفصكم يقال لات يليت وألت يألت لغتان

(قوله عز وجل يهجعون) (قوله عز وجل يتامون) أى يحوتون يصعقون)

سمعت

سميت بها الدلالتها على مزيد تأكيد تحقق يوم القيامة لوقوع حواق الامور وظهور حقائق الاشياء فيها وهذا من اعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الحاقة (الرحمن) بتعظيم شأنها للاستعداد لها (الرحيم) ببيان نظائر ما يقع فيها (الحاقة) اى الحادثة التى يحق وقوعها لوقوع حواق الامور من الجزاء والحساب والميزان ومعرفة حقائق الاشياء فيها يستفهم عنها تعظيما وتعجيبا فيقال (ما الحاقة) و يجاب عنها بقصور علم الخلائق عن كنهها فيقال (وما أدراك ما الحاقة) نعم يمكن بيانها بنظائر ما يقع بها سابقة من انواع العذاب المختلفة لاختلافه طولا وقصرا وشدة زائدة وغير زائدة مع تخليص من خلص منها فتفصيل ذلك انه (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) اى الحادثة التى تقرع الاجسام بالانفطار اقيمت مقام الحاقة لبيان مزيد شدتها (فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية) اى بالصيحة المجاوزة للحد فى الشدة فى مقابلة صيحة الناقة عند الذبح لمجاوزتهم حد التكذيب بمحو الآية بالكلية لكن قصر زمانها (وأما عاد فأهلكوا بريح) لغلبة الاهوية عليهم (صرصر) شديد الصوت (عاتية) شديدة الهبوب لا من الاتصالات الفلكية بل الله (سخرها) اى سلطها بغضبه (عليهم) لا على هود والمؤمنين به (سبع ليال وثمانية أيام) من صبيحة اربعاء الى غروب اربعاء لانهم تحملوا الاهوية تم تحفظ سبع سنين فطالت عليهم لكل سنة يوما وليلة مع زيادة يوم لانهم لم يقطعوا تحملهم بهذه المدة وانما لم تكن سبع سنين لانها كانت تحسمهم (حسوما) اى تقطع دابرهم قطعا كليا (فترى القوم فيها) اى فى تلك الايام والليالى (صرعى) اى موتى (كأنهم أعجاز) اى اصول (نخل خاوية) اى متآكلة الاجواف لأن الريح اخرجت احشاءهم (فهل ترى لهم من) نفس (باقية) فوقع على هاتين الفرقتين شدة لكنها غير زائدة ثم اشار الى الزائدة فقال (وجاء فرعون ومن قبله) اى من فى جهته من جنوده (والمؤتفكات) اى اهل قرى لوط (بالخاطئة) اى بالافعال ذوات الخطا كاستعباد بنى اسرائيل وذبح أولادهم واللواطة فارسل اليهم الرسول (فعصوا رسول ربهم) فى كل ما جاءهم به (فأخذهم أخذة رابية) اى زائدة على محض تكذيب الرسل بان اعطينا ملك فرعون وقومه لاعدائهم بعد اغراقهم وجعلنا المؤتفكات عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فلم يؤاخذوا بمجرد الخطايا ولم يختلف عذابهم بمجرد تكذيب الرسل بل ضم فى حقهم احدهما الى الآخر لزيادة الشدة وتنوعها يدل على كون ما مر مؤاخذة انجاء نوح والمؤمنين مع عدم خروجهم عن الطوفان الذى اخذ به قومه (انا) لعظم قدرتنا (لما طغى الماء) اى جاوز ماء طوفان نوح حده (حملناكم) اى آباءكم لتخليصهم (فى) السفينة (الجارية) فى ذلك الطوفان جريانا يشبه المشى على الصراط على متن جهنم (لنجعلها لكم تذكرة) تذكرون بها كيفية النجاة عند اهوال يوم القيامة وهذا لمن رآها (وتعيها) اى تحفظ ما تسمع منها لتوصلها الى آخرين (أذن واعية) لمن لم يرها ولما فرغ من ذكر النظائر السابقة اشار الى ما يقع فى القيامة من نظائرها فقال (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) هى نظير صيحة ثمود (و) يحصل منها

(قوله يسرنا القرآن للذكر) سهلناه للتلاوة ولولا ذلك ما اطاق العباد ان يلفظوا به ولا أن يسمعوه (قوله تعالى يطمثهن) أى

ريح بها (حملت الارض والجبال فدكتا) اى ضربت بعضها ببعض (دكة واحدة) صارتا
بها هباء فالريح كريح عاد والحمل كحمل المؤتفكات (فيومئذ وقعت الواقعة) على العالم
بالافناء (و) تبعه العالم العلوى حيث (انشقت السماء) لانها انما خلقت لتكوين الاشياء
وافسادها فى العالم السفلى (ف) اذا فنى لم يبق لها فائدة ولم يمنع من انشقاقها قوتها التى ابقاها
على مر الدهور اذ (هى يومئذ) بتأثير النفخ فيها (واهية) اى ضعيفة وقد تأكد بالنفخة
الثانية (والملك) المحرك لها الحركة الدورية المانعة من الانشقاق المتوقف على الحركة
المستقيمة قد صار (على أرجائها) فلم يبق له تحريك فامكن بتحريك النفخ لها اياها العسر على
الاستقامة كيف (و) اثر النفخ كاد يلحق العرش فقوى بزيادة أربعة من الحملة فيه اذ
(يحمل عرش ربك فوقهم) اى فوق ملائكة السماء لعجزهم عن حمله (يومئذ ثمانية) وكانوا
قبله اربعة (يومئذ) لظهور العرش بزوال الحجب السماوية (تعرضون) وظهر بظهوره
اللوح المحفوظ لذلك (لا تخفى) على أحد من أحد (منكم خافية) وعلم بظهوره ما فى كتاب
اعماله قبل ان يأخذه (فأما من أوتى كتابه بيمينه) لقوته وغلبته على هواه (فيقول)
للملائكة فرحا (هاؤم) اى خذوا كتابى (اقرؤا كتابيه) فليس فيه ما يحزننى (انى ظننت)
اى علمت فى الدنيا علما لا يقدح فيه ما لا يخلو عنه الانسان من خواطر اذ لم يستقر بقلبه
(أنى ملاق حسابيه) فحاسبت نفسى قبل ان احاسب (فهو) فى حال قراءة الكتاب مع وفور
الشدائد (فى عيشة راضية) اى ذات رضا كأهل سفينة نوح فكانهم قبل دخول الجنة
(فى جنة عالية) لكونهم فى اعلى درجات القرب من ربهم (قطوفها) ما يجتنى لهم من
ثمرات الجنة فى المحشر (دانية) اى قريبة منهم يقال لهم قبل دخولها (كلوا واشربوا)
من الجنة (هنيئا) لا يؤذيه شئ من هذه الشدائد (بما أسلفتم) اى قدمتم من الصيام
وغيره (فى الايام الخالية) اى الماضية (وأما من أوتى كتابه بشماله) لضعفه مع الاهوية
(فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه) فلم افتضح بما فيه (و) يا ليتنى (لم أدر ما حسابيه) فلم اعذب
بتذكره عذابا عقليا مع الحسى (يا ليتها) اى يا قبائحى (كانت القاضية) لى بالعذاب
من غير كتاب ولا حساب ومن غير ان أعرض على الله تعالى اذ ليس كسائر الملوك تنفع عندهم
المال لذلك (ما اغنى عنى ماليه) وانما ينفع عنده الحجة لكن (هلك عنى سلطانيه) اى حجتى
فيقول الله عزوجل لخزنة جهنم ضما للعذاب الحسى الى العقلى (خذوه) بالقهر والشدة
(فغلوه) اى ضموا يده الى عنقه اذ لم يشكر ما ملكته مما يعد بيده الى فيه (ثم الجحيم صلوه)
لانه لم يشكر شيأ من لذائذ النعم فاذيقه شدائد النقم (ثم فى سلسلة) اى حلقة منتظمة باخرى
وهى بثالثة وهلم جرا (ذرعها) اى مقدارها (سبعون ذراعا) بذراع الملك كل ذراع سبعون
باعا وكل باع ابعد مما بين مكة والكوفة (فاسلكوه) اى فادخلوه اى لفوه بها بحيث يكون
فيما بين حلقها امرهما لانه يدور على حركة (انه كان) قائلا بتسلسل الحوادث لكونه (لا يؤمن
بالله العظيم) فاستحق لعظيم العذاب كيف وليس معه من المخففات شئ اذ لا يتأتى له عبادة بدنية

يمسسن والطمث النكاح
التدمية ومنه قيل للحائض
طامث (بتماسا) كناية عن
الجماع (قوله عزوجل
يثقفوكم) أى يظفروا
بكم (قوله عزوجل

وانما

وانما يتصور له عبادة مالية (و) لكن كان (لا يحض على طعام المسكين) اى لا يأمر أهله به واذا كان غضب الله عليه الى هذا الحد (فليس له اليوم) الذى لا تملك فيه نفس لنفس شيأ سيما (ههنا) اى فى المحشر الذى يفر فيه المرء من ابيه واخيه و بنيه (حميم) اى قريب ينفعه قرابته (ولا طعام) لعدم شكره على طعامه وعدم حضه على طعام المسكين (الا من غسلين) غسالة أهل النار وصديدهم وهو من غاية قبحه بحيث (لا يأكله الا الخاطؤن) فى الاصول والفروع جميعا واذا ظهرت لكم هذه التفاصيل مع هذه اللطائف فى هذا الكلام المعجز مع الدلالة على كل مطلوب بقواطع الادلة (فلا أقسم) اى فلا احتاج الى القسم (بما تبصرون) من فوائده ولطائفه (وما لا تبصرون) منها (انه لقول) الله المنزل على (رسول كريم) ليس من شأنه الافتراء على الله (وما هو بقول شاعر) اذ ليس على أوزانهم ولا على طريقهم فى التخييل الفاسد لكن (قليلا ما تؤمنون) بما ظهر صدقه بالضرورة (ولا بقول كاهن) فانه وان اشتبه به على الضعفاء لكنه يزول بادنى تذكر لكن (قليلا ما تذكرون) بل هو معجز مشتمل على ما لا يتناهى من العلوم والفوائد فهو (تنزيل من رب العالمين) نزله لتربية الكل فى الامور الدينية والدنيوية (ولو تقول) اى افترى (علينا) بقوة فصاحته و بلاغته (بعض الاقاويل) مع ظهور أن لا يتأتى الاعجاز للفصحاء والبلغاء فى جميع اقاويلهم (لاخذنا منه) قوة الفصاحة والبلاغة (باليمين) اى بقوتنا (ثم لقطعنا منه الوتين) اى نياط قلبه الذى به يحرك لسانه فجعل كلامه ضحكة للناظرين وهزأة للساخرين كترهات مسيلمة وابى العلاء المعرى وغيرهما (فما منكم من أحد عنه) اى عن سلب بلاغته وفصاحته (حاجزين) اى مانعين فانكم وان اعنتموه حينئذ لم يتأت منه كلام بليغ فضلا عن المعجز وذلك لانه يفضى الى تلبيس لا يمكن رفعه وهو مناف للحكمة وكيف يكون افتراء (وانه لتذكرة للمتقين) فانهم بتصفيتهم للبواطن يتذكرون بها علوما تفيدهم فى الدارين من غير انتهاء لها ولا شئ من المفترى كذلك (وانا لنعلم أن منكم مكذبين) للتصفية والتذكر بها (وانه) اى تكذيب ذلك (لحسرة على الكافرين وانه) اى تحسرهم وان أنكروه (لحق اليقين) يشاهده أهل الكشف بالتصفية الحاصلة بذكر الله (فسبح باسم ربك العظيم) لتكميل تلك التصفية فيكمل يقينك * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

يسطرون) أى يكتبون (عين) فى قوله لاخذنا منه باليمين أى بالقوة والقدرة وقيل معناه لاخذنا بيمينه فمنعناه من التصرف والله

(سورة المعارج)

سميت بها لدلالتها على غاية رفعة الله تعالى بحيث لا تتناهى درجات الصعود اليه وان صاعديها لا يقدرون على دفع ارادته (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى معارجه فظهر لمن صعدها واحتجب عمن لم يصعدها (الرحمن) باصعاد أوليائه وابعاد اعدائهم (الرحيم) باصعادهم ليتوبوا فيصعدوا (سأل سائل) هو النضر بن الحرث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة الآية أو ابو جهل فأسقط علينا كسفا من السماء الآية اى دعا داع ذكره بطريق

المطابقة بعد مافهم التزاما ففيه ايهام الجمع بين المتقابلين ثم ان فيه ابهاما من حيث هو اسم
جنس وتنكيرا ففيه ايهام الجمع بين المثلين وتنكيره لتفخيم امره فى الكفر والعناد والاستهزاء
وتحقيره فى العقل والبصيرة ففيه ايهام الجمع بين الضدين ولم يذكر المسؤل لانه لما لم يحتمله
اسقطه من الاعتبار فاشير اليه باسقاطه من اللفظ (بعذاب) اى المؤاخذة به وتنكيره للتعظيم
مع الاستهزاء الموجب للتحقير وهو طلب الحاصل لانه طلب (واقع للكافرين) والسائل كافر
ولا يحتمل اللاوقوع فيطلب الجزم به اذ (ليس له دافع) لصدوره (من الله) الذى لادافع
لارادته لاتصافه بوصف (ذى المعارج) اى الدرجات الغير المتناهية وليس للادنى دفع
ارادة الاعلى بدرجات متناهية فكيف لغير المتناهية وانما كانت درجاته غير متناهية لانه
(تعرج الملائكة والروح) اى جبرئيل أو خلق اعظم من الملائكة (اليه فى يوم كان مقداره
خمسين الف سنة) مع انهم ينزلون من السماء الى الارض ويعرجون منها الى السماء فى لحظة
واحدة فذلك من تناهى الدرجات وانما جعله يوما لانهم من افراط شوقهم يستقصرون هذه
المدة ومع هذا الصعود ليس لهم شفاعة الكفار لعظم جرمهم (فاصبر) على استهزائهم (صبرا
جميلا) لايشوبه استعجال ولا اضطراب قلب وانما أمرناك بالصبر مع استعجالهم لانه من
استبعادهم (انهم يرونه بعيدا و) أمرناك بالصبر لانا (نراه قريبا) لانه يكون عند انقراض
ايام الدنيا وهو قريب فيكون (يوم تكون السماء) من ارتفاع لهب النار (كالمهل) كالفضة
الذائبة (وتكون الجبال) من غلبة الريح المصعدة لها عن النفخ فى الصور (كالعهن)
اى الصوف المصبوغ الوانا لان فيها حمرا وبيضا وسودا فاذا بست وطيرتها الريح رئيت كذلك
(و) بالجملة تكون شدة ذلك اليوم بحيث (لايسئل حميم) اى قريب (حميما) عن حاله
مع انهم (يبصرونهم) احوالهم ليرقوا لهم لكن لايبالون لهم بل (يود المجرم) اى يتمنى
الكافر (لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه) الذين هم محل شفقته (وصاحبته) التى هى
احب اليه (واخيه) الذى يستعين به فى النوائب (وفصيلته) اى اقاربه (التى تؤويه)
عند الشدائد (ومن فى الارض) من الثقلين (جميعا ثم ينجيه) اى نفسه من عذابه (كلا)
ردع عن ذلك التمنى (انها) اى النار التى جعلت السماء كالمهل (لظى) اى لهب خالص
من غضب الله على اعدائه (نزاعة للشوى) اى الاطراف أو جلدة الرأس (تدعوا) اى
تجذب الى نفسها (من ادبر) عن الايمان بالله (وتولى) عن طاعته (وجمع) المال ايثارا
له على الله (فأوعى) اى جعله فى وعاء منعا لصرفه فى حقوقه من قلة صبره وشدة حرصه
(ان الانسان خلق هلوعا) قليل الصبر شديد الحرص (اذا مسه الشر) الذى هو كاللازم
للايمان بالله وطاعته يكون (جزوعا) من قلة صبره فيدبر ويتولى (واذا مسه الخير) يكون
من شدة حرصه (منوعا) لخروجه عنه فيجمع ويوعى (الا المصلين الذين هم على صلوتهم
دائمون) لايشغلهم عنها جزع ولا منع بل تدفعهما (والذين فى أموالهم حق معلوم) هو الزكاة
والفطرة حاصل (للسائل) عن الناس (والمحروم) المتعفف الذى يحرمونه فانهم ليسوا جازعين

على

أعلم (يحموم) هو الدخان
وكل أسود يحموم (قوله
عزوجل يفجر امامه) قيل
يكثر الذنوب ويؤخر التوبة
وقيل يتمنى الخطيئة ويقول
سوف اتوب سوف اتوب

على خروج المال ولامانعين للخير لكنهم دون المصلين لانهما ربما يشغلانهم وان لم يؤثرا فيهم (والذين يصدقون بيوم الدين) اى الجزاء فانهم لا يجزعون بالشر ولا يمنعون الخير لعلمهم بجزاء البليات والصدقة لكنهم دون المصلين والمزكين لانهما كثيرا ما يشغلانهم لكن يرجحون عليهم بمقتضى علمهم بالجزاء (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) اى خائفون فيخافون من عقاب الجزع ومنع الخير بل (ان عذاب ربهم) مع الصبر وايتاء الخير أيضا (غير مأمون) اخره عن التصديق بالجزاء لان داعيه حب وداعيه خوف والعمل مع الحب اولى (والذين هم لفروجهم حافظون) فانهم صابرون (الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم) بترك الصبر عليه (غير ملومين) حتى يعدوا من اهل الجزع (فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون) اى المجاوزون حد العفة فلا يكونون صابرين اذا اتوا أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم أيضا فهذا متعلق بعدم الجزع فقط (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) فانهم ليسوا مانعين للخير واخره عن الاول لان الصبر اشد ولذا قدم قوله اذا مسه الشر جزوعا وعدم الجزع والمنع فيما ذكر محقق ثم أشار الى ما يتوهم فيه عدم الجزع فقال (والذين هم بشهاداتهم قائمون) اى حافظون فانهم يعزمون على الصبر لو اذاهم المشهود عليه وهذا كله فيما يقارن العمل ثم أشار الى ما يتأخر عنه فقال (والذين هم على صلاتهم) بعد الفراغ منها (يحافظون) فيصبرون عن الرياء والعجب (أولئك) المتزكون عن رذيلتي الجزع والبخل (فى جنات مكرمون) لاتصافهم بمكارم الاخلاق واذا فعل ما لكافرين اولى الاخلاق الذميمة والمؤمنين اولى المكارم (فما) اى اى حالة حصلت (للذين كفروا) حال كونهم (قبلك مهطعين) اى نحوك متطلعين تطلع المتأمل مع كونهم (عن اليمين وعن الشمال عزين) اى متفرقين تفرق المعرض كانهم يريدون التأمل فيخافون لزوم الحجة فيعرضون (أيطمع كل امرئ منهم) بترك التأمل لئلا تلزمه الحجة فيدخل النار (أن يدخل جنة نعيم كلا) ردع عن هذا الطمع (انا خلقناهم مما يعلمون) ليتأملوا فى مبدئهم ومنتهاهم فيعملوا بمقتضاه فيفوزوا والا خابوا وقد وجب التأمل اذ بعثت للامر به فاذا لم يتاملوا (فلا أقسم) اى فلا حاجة الى القسم (برب المشارق والمغارب) ثم استبدل طلوع كوكب بغروب ما يقابله وغروب كوكب بطلوع ما يقابله ومستبدل الظلمة بالنور والنور بالظلمة (انا لقادرون على أن نبدل) لصحبتك ليتاملوا فيما امرناهم (خيرا منهم) كالانصار (و) لا تعارض فى قدرتنا اذ (ما نحن بمسبوقين) اى مغلوبين واذا وجب عليهم التأمل وهم يخوضون ويلعبون (فذرهم يخوضوا) فى الباطل (ويلعبوا) بالآيات (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) للجزاء يجيبون فيه داعى الله وان لم يجيبوه اليوم فانهم (يوم يخرجون من الاجداث) اى القبور يسرعون الى الداعى (سراعا كانهم الى نصب) اى صنم نصب للعبادة (يوفضون) اى يستبقون لاستلامه طمعا فى ان يكون فى حق السابق ارحم منه فى حق غيره لكنهم من غضب الله عليهم لعدم اجابتهم داعيه فى الدنيا يكونون (خاشعة) اى ذليلة (أبصارهم) بحيث لا يمكنهم النظر اليه بل

(قوله تمطى) أى يتبختر يقال جاء يمشى المطيطاء وهى مشية يتبختر فيها وهو ان يلقى يديه ويتكفأ وكان الاصل تمطط فقلبت احدى الطائين ياء كما قيل يتظنى

(ترهقهم) اى تغشى جميع اجزائهم (ذلة) لاذلالهم داعيه فى الدنيا (ذلك اليوم) هو (الذى كانوا يوعدون) لارهاقهم الذلة على اذلالهم داعى الله فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة نوح عليه السلام)

سميت به لاشتمالها على تفاصيل دعوته وادعيته (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى نوح عليه السلام (الرحمن) بالانذار والامر بالعبادة والتقوى واطاعة الرسول فى الاحكام الفرعية (الرحيم) بوعد المغفرة والتأخير ان عبد الله واتقاه واطاع رسوله (انا) باعتبار مقام جمعيتنا بين الجلال والجمال للخروج من حجب الاول الى نور الثانى (ارسلنا نوحا) الجامع للمعارف المطلع على كيفية الخروج من الحجب الى الانوار (الى قومه) الذين هم محل شفقته ليخرجهم من حجب الجلال الى نور الجمال بالتخويف عن الاول (أن انذر قومك) الذين عرفوا نصيحتك وصدقك عن الحجب الجلالية (من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) لولم يخرجوا عنها (قال ياقوم) الذين شأنهم ان يخافوا ما خاف منه ويقبلوا نصحى لما عرفوا من صدقى (انى لكم نذير) عن البقاء فى الحجاب (مبين) لما يترتب عليه من العذاب ولا يصعب عليكم الخروج عنه فغاية ما عليكم فى ذلك (أن اعبدوا الله) فان عبادتكم اياه تخرجكم من حجب جلاله الى نور جماله (واتقوه) ان تعبدوا غيره على اعتقاد انه المظهر الكامل له فتعتقدوا النقص فى كماله فيغضب عليكم فوق ما يغضب لو اتيتم بالمعاصى الفرعية (واطيعون) فيما آتيكم منه من الاحكام الفرعية لتحترزوا عن المعاصى الفرعية وانما كانت رافعة للحجب لانكم ان فعلتموها (يغفر لكم) طائفة (من ذنوبكم) التى هى اسباب البقاء فى الحجب فرفعها رفع الحجاب وهى تركلكم فيما مضى من عبادة الله وتقواه ومخالفتكم احكامه لاما اكتسبتم بعد الاسلام ولا ما كان من حقوق الخلق (و) لم يؤاخذكم بهذه أيضا فى الدنيا بل (يؤخركم الى أجل مسمى) فى حق كل واحد لموته ولا تأخيرله لانه اجل الله (ان أجل الله) بالموت فى حق كل واحد (اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) انه لابد لكل واحد من الموت على اجله لكنه قد يتقدم عليه اذا كان المسمى معلقا بأمر لم يتحقق فيتحقق ما علق بضده عند تحققه فيصير هو أجل الله الذى لا يؤخر وبالجملة فالاجل فى حق كل واحد معين عند الله لو كان مجزوما وكذا لو كان معلقا للجزم بوقوع احد المعلقين فى علمه عز وجل فلما عجز عن اخراجهم عن الحجاب (قال رب) اى يامن ربانى بالاطلاع على كيفية الاخراج عن الحجاب الى الانوار (انى) أطلعت قومى على ما أطلعتنى على أكمل الوجوه لانى (دعوت قومى ليلا) بالادلة الخطابية (ونهارا) بالبراهين القاطعة على ضرر الحجاب واستعقابه للعقاب ونفع العبادة والتقوى واقامة الاحكام المفيدة انوار الجمال (فلم يزدهم دعائى الافرارا) من المدعو (وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم) معاصى تحجبهم فقد دعوتهم الى الفرار (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) لئلا تبلغهم الدعوة المانعة عن الفرار (واستغشوا ثيابهم) لئلا يروا الداعى حال دعوته (وأصروا)

واصله ينظنن وقيل يتمطى يتبختر ويمد خطاه فى مشيته تبخترا وقيل يلوى مطاه (قوله عز وجل أن ان يحور) لن يرجع والمطا الظهر أن لن يبعث (قوله عز وجل

على المعاصى الحاجبة (واستكبروا) على المعذب بها (استكبارا ثم) اى بعد هذا الاصرار والاستكبار وجعل الاصابع فى الآذان واستغشاء الثياب (انى دعوتهم جهارا) بطريق المكاشفة الرافعة للاصرار والاستكبار (ثم) لما انكروا طريق المكاشفة (انى) جمعت لهم بين الدلائل العقلية والكشفية اذ (أعلنت لهم) بالدلائل الكشفية (وأسررت لهم) بالدلائل العقلية (اسرارا) اذ ضممتها لدلائل الكشف التى بها تتم الحجج وترفع الشبه فلما لم ينفعهم هذا كله ابتلوا بالقحط والعقم وذهاب البساتين والانهار (فقلت استغفروا ربكم) هذه المعاصى التى حجبتكم عن الفوائد الدنيوية لعله يرفع عنكم الحجب بالكلية (انه كان غفارا) فان لم يرفعها بالكلية رفعها بما استغفرتم لاجله (يرسل السماء) اى السحاب (عليكم مدرارا) كثير الدر (ويمددكم بأموال) بتكثير الزرع وغيره (وبنين) بادرار الماء منكم (ويجعل لكم جنات) بتفجير ماء الارض (ويجعل لكم أنهارا) بتكثير ماء الارض بانفرادها أو مع ماء السماء فيخرجكم عن الحجب الموجبة للقحط والعقم وذهاب البساتين والانهار فان رضيتم البقاء فى حجب الجلال فمقتضاه تعظيم الله فحينئذ (مالكم) تتكبرون على الله اذ (لاترجون) اى لاتعتقدون اعتقادا راجحا كاعتقاد الراجى (لله وقارا) اى عظمة (وقد) ظهرت فيكم بعد ظهورها فى خلق العالم اذ (خلقكم أطوارا) اى تارات عناصر ثم مركبات غذاء ثم دما ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم لحما فان انكرتم عظمته فى العالم قيل لكم (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) بعضها فوق بعض اظهار الدرجات رفعته (وجعل القمر فيهن نورا) ليكون دليلا على تنور العالم بما تنور من نوره (وجعل الشمس سراجا) اضاءت الكل ليدل على انه المنور للعالم والعالم متنور به اظهر بذلك عظمة نوره (و) كيف تتكبرون على الله مع انه الذى رفعكم من مكان المهانة اذ (الله أنبتكم من الارض) التى هى اهون الاشياء (نباتا) ليرفعكم (ثم يعيدكم فيها) لتعودوا (ويخرجكم) للسؤال عن التكبر عليه وسائر معاصيه (اخراجا) للجزاء (و) كيف تنكرون اختلاف احوال المحجبين بالجلال والمتنورين بالجمال بكون الكل على بساط واحد من اشراق نور الوجود وقد دل الله عز وجل على اختلافها بعد الجمع اذ (الله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا) اى واسعة فكذلك سبل الجلال والجمال سبل واسعة الى النار والجنة وان جمع اشراق نور الوجود الكل ببساطه (قال نوح رب) اى يامن ربانى بكمال الدعوة (انهم) بعد هذه المبالغة فى الدعوة (عصونى) بالاصرار والاستكبار (و) لم يكن عصيانهم لاتباعهم من هو خير منى بل (اتبعوا من) توهموا خيريته بكثرة المال والاولاد ولم يعلموا ان خيريتهما اذا اكتسب بهما الآخرة وهؤلاء انما اتبعوا من (لم يزده ماله وولده الا خسارا) للامور الاخروية (و) لم يكن اتباعهم اياهم لنصحهم بل لمكرهم فانهم (مكروا مكرا كبارا) لسوابه الامر عليهم غاية التلبيس (و) من جملته أنهم (قالوا) ان اردتم عبادة الله (لاتذرن) عبادة مظاهره التى ظهر فيها بالالهية فكانت (آلهتكم) والالهية انما تكون لوجوب الوجود بالذات ولا يتصور فى الحوادث وانما ظهر

يدع اليتيم) أى يدفعه عن حقه

(باب الياء المضمومة)

(قوله عز اسمه يؤمنون بالغيب) أى يصدقون باخبار الله عن الجنة والنار والحساب والقيامة واشباه

بالوجود وهو عام لا يوجب للبعض أن يكون معبودا للبعض الآخر (ولا تذرن) على الخصوص صور رجال صالحين تم لهم التجلي الالهي وصورهم في حكمهم فلا تذرن (ودا) فانه مظهر محبته الذاتية التي هي مبدأ ظهوره في العالم (ولا سواعا) فانه مظهر ثباته لانه بمعنى السكون (ولا يغوث) فانه مظهر غوثه للمضطرين (ويعوق) فانه مظهر منعه (ونسرا) فانه مظهر قوته ولما تقارب بنافي المظهرية كانتا في معنى الواحد فلم تكرر لا فيما بينهما ولمزيد الاهتمام بالاول كرر لا تذرن فيه (و) يدل على مكرهم في ذلك ان عبادتهم لو كانت عبادة الله لكانت موصلة لهم اليه مفيدة للهداية لكنهم (قد أضلوا كثيرا) من العابدين عن الله اذ شغلتهم بانفسهم (و) اذا لم تقع عبادتهم الله فهم ظالمون بوضع ما يختص بالله باعتبار ذاته بمظاهره الجزئية (ولا تزد الظالمين الا ضلالا) اذ لو افاد أحدهم هداية لكانت داعية للكل الى عبادتهم او ترك عبادة الله باعتبار ذاته ولما ذكر نوح عليه السلام عصيانهم بعد دعوته البليغة اشار عز وجل الى ان عصيانهم كان مغرقهم في بحر المخالفة لذلك (مما خطيئاتهم) أي من أجل بعض خطيئاتهم التي لا يبالون لها وهي مغرقة لهم في بحر المخالفة (اغرقوا) في بحر الطوفان للمعاقبة الدنيوية (فادخلوا نارا) للمعاقبة البرزخية (فلم يجدوا لهم) أي آلهتهم التي عبدوها (من دون الله) فلم تقع عبادتهم لله (انصارا) ولو وقعت عبادتهم لله لكانوا انصاره بالشفاعة عنده وكيف يكونون انصاره (و) قد (قال نوح) الذي هو أكمل المظاهر (رب) يا من رباني بكمال المظهرية ولم اصر بها الها فمن اتخذ من دوني من المظاهر الها فهو كافر بك وهو اعظم ظلما من نقل عبادتك الى غيره (لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) يسكن دارا وكيف تتركهم مع انه مبطل لحكمة ايجادك العالم (انك ان تذرهم يضلوا عبادك) عن عبادتك بعبادة من دونك ما بقوا (ولا يلدوا الا فاجرا) أي مظهرا للباطل (كفارا) ستارا للحق ولما دعا على الكفرة بالمؤاخذة الكلية خاف على نفسه ان يؤاخذ بترك الاولى وعلى المؤمنين ان يؤاخذوا بالمعاصي الفرعية فقال (رب اغفر لي) ما يكون معاصي بالنسبة الى ما هو ترك الاولى (و) اغفر (لوالدي) معاصيهما وهما لمك بن متوشلخ وشمخا بنت انوش وكانا مؤمنين فدعا لهما ليكمل برهما (ولمن دخل بيتي) أي سفينتي (مؤمنا) لئلا يغرقها الله بمعصية احدهم (وللمؤمنين والمؤمنات) الى يوم القيامة كيلا تؤثر معاصيهم في المستقبل في اغراقهم بآبائهم (ولا تزد الظالمين) بعد اغراقهم وادخالهم النار (الا تبارا) أي هلاكا بزيادة العذاب لانه لو لم تزد عليهم لاعتادوا اعتيادا يألفونه فلا يجدونه عذابا وكان ذلك في معنى المغفرة لهم فيشاركون المؤمنين في نوع من المغفرة * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله اجمعين

(سورة الجن)

سميت بها لاشتمالها على تفاصيل أقوالهم في تحسين الايمان وتقبيح الكفر مع كون أقوالهم أشد تأثيرا في قلوب العامة لتعظيمهم اياهم (بسم الله) المتجلي بكمالاته في وحيه (الرحمن) باسماعه الجن والانس (الرحيم) باطلاع من اطلع منهم على محاسن الايمان وقبائح الكفر وعلى عجائب

ذلك (قوله عز وجل يقيمون الصلاة) اقامتها ان يؤتى بها بحقوقها كما فرض الله عز وجل يقال قام بالامر وأقام الامر اذا جاء به معطى حقوقه (قوله عز وجل ومما رزقناهم ينفقون) أي يزكون ويتصدقون

القرآن وانطاقهم بذلك (قل) لمن يقول انما كان القرآن معجز البشر لكونه كلام الجن انهم اعترفوا باعجاز القرآن لا بطريق الخبر منهم حتى يكون محتملا للصدق والكذب بل بطريق الوحى الالهى فانه (أوحى الى أنه) انهم اعترفوا باعجازه حين (استمع نفر من الجن) فرجعوا الى اصحابهم (فقالوا انا سمعنا قرآنا) أى كتابا جامعا للحقائق الالهية والكونية والأحكام والمواعظ وجميع مايحتاج اليه فى أمر الدارين (عجبا) غريبا لا تناسبه عبارات الخلق ولا يدخل تحت قدرتهم ومع ذلك (يهدى الى الرشد) الذى هو اعلى مراتب التحقيق فعلمنا انه لا يكون الا من الله لتصديق رسوله (فآمنا به) اذ لو لم نؤمن به لزمنا الاشراك بالله فى انزال المعجز (و) لكن (لن نشرك بربنا أحدا و) كيف نشرك به مع أن الاله يجب ان يكون له اعلى مراتب العظمة على الاطلاق (أنه تعالى جد) أى عظمة (ربنا) أن يشاركه فيها أو يكون من يقاربه فى العظمة لذلك (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا و) انما كنا نقول بالصاحبة والولد والشريك اتباعا لابليس على سفاهته (أنه كان يقول سفيهنا) ابليس (على الله شططا) ما يبعد عن شأنه (و) لكن ما عرفنا ذلك (انا ظننا أن) أى انه (لن تقول الانس والجن) مجترئين (على الله كذبا) اذ لا يجترأ على ذى جاه من الخلق فكيف يجترأ على الله (و) لكنهم اجترؤا من الكبر الحاصل لهم من قول الانس (انه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) يقولون اذا أمسوا بقفر نعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه (فزادوهم رهقا) أى طغيانا على الله (و) انما اجترؤا لظنهم ان لا بعث (أنهم) أى الجن (ظنوا كما ظننتم) أيها الانس (أن) أى انه (لن يبعث الله أحدا و) قالوا انا سمعنا هذا القرآن حين منعنا من أخبار السماء (أنا لمسنا السماء) أى قصدنا الوصول اليها كأنا نريد لمسها (فوجدناها ملئت) ملائكة تحرسنا من الوصول اليها (حرسا شديدا) أى قويا لا يمكننا مقاومته (وشهبا) بايديهم ليرمونا بها (و) انما قصدنا الوصول اليها الاستماع كلامهم (أنا كنا نقعد منها) أى من السماء (مقاعد) كثيرة (للسمع) أى سمع كلام الملائكة باخبار ما يحدث فى الارض لنخبر بها الكهنة وكانت خالية عن الحرس والشهب (فمن يستمع الآن) بعد نزول القرآن (يجد له شهابا رصدا) يرصده (وانا لا ندرى أشر اريد بمن فى الارض) لمنعهم أخبار ما يحدث فيها (أم أراد بهم ربهم رشدا) أى خيرا فمنع الشياطين أن يخلطوا اكاذيبهم (و) الظاهر ارادة الرشد (أنا منا الصالحون) لا يضمون الى ما سمعوا شيأ من الاكاذيب (ومنا دون ذلك) يضمون الى ما سمعوا اكاذيب فيخلطون الصدق والكذب وهو خلط الصلاح بالفساد ولا تتفق اكاذيب واحد باكاذيب الآخر فيلزم الاختلاف اذ (كنا طرائق قددا) أى متفرقة فلا يتفق الاكاذيب أيضا فمنعت جميع تلك الطرق الا طريق الصدق المحض وهو الوحى (وأنا) عند غلبة الظن ارادة الرشد باهل الارض (ظننا) أنا لو بقينا على ما نحن عليه لا يبعد ان يهلكنا وظننا (أن) أى انه (لن نعجز الله) مع انحصارنا (فى الارض ولن نعجزه) اذا هربنا من ظهرها الى بطنها (هربا وأنا) ظننا انه انما يهلك من لا يؤمن بالهدى بعد سماعه لذلك (لما سمعنا الهدى آمنا به) لنأمن (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا) أى نقصا لحقه (ولا رهقا) أى ذلة فضلا عن الاهلاك (و) مع هذا

(قوله تعالى يخادعون الله) بمعنى يخدعون أى يظهرون خلاف ما فى قلوبهم وقيل يخادعون أى يظهرون الايمان بالله ورسوله ويضمرون خلاف

لم يؤمن الكل بل (أنا منا المسلمون) أي المنقادون للحق (ومنا القاسطون) أي الجائرون عنه
(فمن اسلم فاولئك تحروا) أي اجتهدوا وصادفوا (رشدا) ففازوا بخير الدارين (وأما القاسطون)
فهم لو فازوا بخير الدنيا خسروا الآخرة (فكانوا لجهنم حطبا) أي وقودا (و) لا يبعد تعذيبهم بالنار
فانه كتنعيمهم بالماء ولاشك (أن) أي أن الشأن (لو استقاموا على الطريقة) المرضية (لاسقيناهم)
تنعيما لهم في الدارين (ماء غدقا) أي كثيرا وانما جعلنا ذلك تنعيمهم (لنفتنهم) أي نختبرهم هل
ينظرون (فيه) فيتقون عليه التعذيب في النار أم لا (و) لاشك ان (من يعرض عن ذكر ربه
يسلكه) أي يدخله (عذابا) يعلوه (صعدا) سواء كان بالنار أو بغيرها (و) من الاعراض عنه
دعوة غيره سيما في المساجد لما أوحى الى (أن المساجد لله) أي مبنية لعبادته (فلا تدعوا) فيها
(مع الله احدا) لئلا تجعلوها مشتركا بعد ما بنيت مختصا (و) انما شركوا لتعجبهم من عبادة الله
وحده حتى أوحى الى (أنه لما قام) رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو (عبد الله) بحيث
لا يتصور فيه مشاركة غيره اذ بعثه داعيا الى توحيده (يدعوه) في المسجد الحرام الذي لم يبن
اتفاقا للالهة (كادوا) أي المشركون (يكونون) من تعجبهم (عليه لبدا) متراكمين كلبدة الاسد
ولم يكن يشعر بهم لاشتغاله بالله فلما أوحى اليه (قال) لا عجب في ذلك (انما أدعو ربي) الذي
أرسلني داعيا الى توحيده (ولا أشرك به أحدا) على خلاف ما أرسلت به فان قالوا هل تملك انا
بهذه الدعوة شيأ (قل اني) وان بلغت من قربه بهذه الدعوة ما بلغت (لا أملك لكم ضرا) هو
تعجيل العذاب (ولا رشدا) يدفعه فان قالوا فما فائدة عبادتك له (قل اني) لو عبدت غيره (لن
يجيرني) أي يمنعني (من) عذاب (الله أحد) عبدته أو تبعته في عبادة الغير (و) كيف اعبد غيره
وانا منجذب اليه بحيث (لن أجد من دونه ملتحدا) أي ملجأ (الا بلاغا) أي تبليغا للفيض (من
الله ورسالاته) فاني أجدهما ملجأ من دونه لكونهما في حكمه (و) اذا كنت في حكمه حال
الانجذاب اليه وغيره كان عصياني كعصيانه (من يعص الله ورسوله فان له نار جهنم) وهم وان
كثروا يكونون (خالدين فيها أبدا) لكن لا يبالون له اعتمادا على كثرتهم وشفاعة أصنامهم فلا
يزالون على ذلك (حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا) الاصنام أو الرسل
(وأقل عددا) الكفار أو المسلمون فالمسلمون وان قلوا فهم لكمال قوتهم أكثر عددا والكفار وان
كثروا فهم لغاية ضعفهم أقل عددا فان قالوا لو عرفت ذلك لعرفت وقته (قل ان) أي ما (أدري
أقريب ما توعدون) استعجالا للجزاء بعد استحقاقه (أم) بعيد اذ (يجعل له ربي أمدا) أي مدة
لتكثير الله أو لاهله ولا يبعد على ان أجهل بعض الاشياء بما أعلمه من وجه فلست عالم الغيب بل
الله على الخصوص (عالم الغيب فلا يظهر) أي لا يطلع (على) شيء من (غيبه احدا) برفع
التلبيس عنه من كل وجه (الا) خواصه (من ارتضى من رسول فانه) يطلعه على الغيب مأمونا
عن التلبيسات اذ (يسلك) في ايصال غيبه اليه ملك ترصده ملائكة (من بين يديه ومن خلفه
رصدا) يحرسه من تلبيسات الشيطان والولي اذا أطلع على الغيب فلا يأمن من هذه التلبيسات
بهذا الطريق بل بعلامات أخر وكثيرا ما يحتاج الى شواهد الكتاب او السنة وانما فعلنا باطلاعه

ذلك

ما يظهرون فالخداع منهم يقع بالاحتيال والمكر والخداع من الله عز وجل يقع بان يظهر لهم من الاحسان ويعجل لهم من النعيم في الدنيا خلاف

ذلك (ليعلم) الرسول (أن) اى ان الشأن (قد أبلغوا) أى الملك الحامل الغيب والمترصدون معه (رسالات ربهم) من غير تغيير شئ منها من جهة الشيطان (و) لا يتصور من جهتهم لانه تعالى (أحاط بما لديهم) من الطبائع والاخلاق كيف (و) قد (أحصى كل شئ عددا) فيحيط بعدد طبائعهم واخلاقهم ولكن الرسل لا يطلعون على جميع الغيوب ليبقى الاختصاص الالهى بحاله فافهم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين.

(سورة المزمل)

سميت به لدلالته على عظم أمر الوحى لان أقوى الخلائق كان يرتعد عنده فيتزمل (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى المزمل حتى ارتعد لها فتزمل (الرحمن) بأمره بقيام الليل على أجزاء مختلفة (الرحيم) بالامر بترتيل القرآن (يا أيها المزمل) خوطب به اشارة الى عظم ما حل عليه وانه لا يخف الا بقوة الجذب الى الله تعالى وذلك بقيام الليل (قم الليل الا قليلا نصفه) أى قم نصف الليل الا قليلا يقرب به الى الثلث ذكر الليل أولا ليعلم ان الاصل قيام كله ثم لما استثنى توهم أنه استثناء منه فدل على انه لا يضر نقص القليل ثم لما ذكر النصف علم انه يقوم مقام الكل وان نقص منه القليل ثم قال (أو انقص منه قليلا) أى أو انقص من القليل المستثنى قليلا ليقارب النصف فانه أولى لقيامه مقام النصف القائم مقام الكل (أو زد عليه) أى على النصف بحيث يقارب الثلثين فهو وان نقص عن الكل فهو فى حكم الزائد على الكل ثم أمر بما ينشطه فقال (ورتل القرآن) أى بين حروفه بحيث يتمكن السامع من عدها (ترتيلا) يمكن التأمل فيها ليظهر بذلك عظمته التى لاجلها تثقل الاحاطة بما فيه (انا سنلقى عليك) بالتأمل فى القرآن بعد الوحى (قولا ثقيلا) أى عظيما يثقل عليك الاحاطة بعجائبه وتخصيصه بالليل لشدة تأثير القراءة فيه (ان ناشئة الليل) أى القراءة التى تنشأ بالليل (هى أشد وطأ) أى تأثيرا فى مواطأة القلب اللسان (وأقوم قيلا) أى أقوى الاقوال رسوخا فى القلب ولا يتحقق ذلك بالنهار لكثرة اشتغاله (ان لك فى النهار سبحا) أى تقلبا (طويلا) فى المهمات الشاغلة للقلب فلا يتم فيه المواطاة والقوام (و) النهار وان كان فيه سبح طويل فلا ينبغى ان يعطل بل (اذكر اسم ربك و) لا تشغلنك مهماتك عنه بل (تبتل) أى انقطع عنها (اليه) واقطعها (تبتيلا) وان لم تنقطع عنها فانظر الى الله تعالى فيها فانه (رب المشرق والمغرب) فله الظهور فى الاشياء مع البطون عنها اذ لا وجود لها بدون ذلك لانه (لا اله الا هو) فلو لم يظهر فيها أصلا لم توجد ولو ظهر بكليته لم توجد أيضا كما ان الظل بالشمس ولا ظل مع الشمس فلو لم يمكنك النظر اليه فى مهماتك (فاتخذه وكيلا) ليحصلها لك فانه أقدر على تحصيلها واعلم بالمصالح منك (و) اذا تبتلت الى الله تعالى (اصبر على ما يقولون) من نسبتك الى الجنون (و) ان لم يتأت لك الصبر مع اختلاطهم (اهجرهم) أى جانبهم (هجرا جميلا) لا حزن معه ولا غش ولا جزع (و) ان كذبوك فى كفاية الله من انقطع اليه أو توكل عليه (ذرنى والمكذبين) لانكارهم نسبة النعم الى مع كونهم (أولى النعمة) لكن ينسبونها الى أكسابهم

مايذهب عنهم ويستر من عذاب الآخرة لهم جزاء افعالهم فجمع الفعلان لتشابههما من هذه الجهة وقيل معنى الخدع فى كلام

ويكفرون بالمنعم الحقيق (و) مع ذلك لاتستعجل عليهم بل (مهلهم) زمنا (قليلا) هو أجلهم
لانزيدهم نعما نزيدون كفرا فازيدهم عذابا (ان لدينا) أنواعا من العذاب (أنكالا) قيودا
ثقالا لتقيدهم بالعالم المحسوس (وجحيما) أى نارا تحميهم امع ثقلها اذ حميت قوتهم الشهوية
والغضبية لاجل المحسوسات (وطعاما ذا غصة) ينشب بالحلق لكفرهم بالاطعمة السائغة لهم
(وعذابا أليما) من ضرب الزبانية ولدغ الحيات والعقارب وغيرها للاخلاق الرديئة التى كانت
لهم وان لم يدركوها اليوم لاستتارجهتم بالارض يدركونها (يوم ترجف) أى تضطرب بقوة
الريح (الارض) فتخرج جهنم من تحتها (و) لايمنع منه الجبال اذ ترجف (الجبال و) تعلوها قوة
الريح حتى (كانت الجبال كثيبا مهيلا) أى رملا سائلا ولايبعد مؤاخذتكم بالعذاب
الدنيوى مع كونكم مثل فرعون (انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم) بلزوم الحجة الموجبة
للمؤاخذة من عصيانكم (كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول) فصار شاهدا
عليه (فاخذناه) فى الدنيا (أخذا وبيلا) أى ثقيلا اذ أهلكناه واعطينا ملكه أعداءه فان اتقيتم
اليوم عن مثل عذابه بان لاتدخلوا البحر كما دخله (فكيف تتقون) أى تحفظون من العذاب
(ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا) من أهواله وأصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع
بالشيب ويكفى من أهوال ذلك اليوم انه (السماء منفطر به) أى متشقق فى ذلك اليوم وهذا
وان كان ممكنا فى الاصل صار بوعد الله واجبا اذ (كان وعده مفعولا) وليست هذه الكلمات
ترهات لايعبأ بها بل (ان هذه) الكلمات (تذكرة) موعظة تدعو للتقرب الى الله تعالى (فمن شاء
اتخذ الى) القرب من (ربه سبيلا) بالاتعاظ بها فان زعم انه انما يكون سبيلا الى الله تعالى لو
وافق التوراة والمخالف كفرعون يستحق المؤاخذة يقال انما يستحق المؤاخذة من كفر بها أو
ترك العمل قبل النسخ وأما من آمن وعمل قبل النسخ وتركه بعده فلا كمن عمل بمنسوخ هذا الكتاب
ثم تركه بعد النسخ كالتهجد (ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل) تارة (و) من (نصفه) تارة
(و) من (ثلثه) تارة تختار الادنى بعد اختيار الاعلى للعجز عنه (و) يقوم كذلك (طائفة من الذين
معك) فيخرجوا من الامر به قبل النسخ (والله) تعالى نسخه بمقدار غير محدود اذ الله (يقدر الليل
والنهار) مقادير مختلفة فلا يبعد ان يقدر عبادته بمقدار آخر غير ما قدره اولا كيف وفيه المصلحة
كمصالح اختلاف مقاديرهما اذ (علم ان لن تحصوه) أى ان تحيطوا بتلك المقادير المعينة
لصعوبتها (فتاب عليكم) بترك المقادير المعينة (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) أى فصلوا مقدار
قراءة يسيرة ثم نسخ غير المحدود أيضا بالصلاة الخمس بقوله (علم أن) أى انه (سيكون) بهذا القيام
ولو غير محدود (منكم) أى بعضكم (مرضى و) سيكون بعض (آخرون يضربون) أى يسافرون
سفرا ممتدا (فى الارض يبتغون من فضل الله) للتجارة أو لطلب العلم والقيام يعطل عليهم ذلك
(و) سيكون (آخرون يقاتلون فى سبيل الله) والقيام ربما يوهن القوى ووجه الترتيب ان الاول
يتعلق بالبدن والثانى بالبلد والثالث بالخارج (فاقرؤا ما تيسر منه) أى من القرآن (وأقيموا)
بتلك القراءة (الصلوة) المفروضة من الخمس ولما لم يكن نصا فى اجزاء أى قدر من المتيسر لم يعارض

العرب الفساد ومنه قول * الشاعر
طلب الريق اذا الريق خدع
أى فسد فهى يخادعون الله
أى يفسدون بما يظهرون
من الايمان ما يضمرون

قوله عليه الصلاة والسلام لاصلاة الا بفاتحة الكتاب (وآتوا الزكوة) قطعا لمحبة المال تكميلا لما فات من كمال الصلاة بترك قيام الليل (و) لا يشترط في قطع هذه المحبة صرف الاموال الى الزكاة بل يكفي تكميل الله اياها لمن استقرضه (أقرضوا الله قرضا حسنا) لا رياء فيه ولا عجب (و) لا يمنع هذا من الزيادة على قدر الواجب بل (ما تقدموا لانفسكم من خير) من الصلاة النافلة والصدقة المتطوعة والقيام بالليل والصيام بالنهار (تجدوه عند الله هو خيرا) يجازيكم به في الدنيا بحلاوة القرب (وأعظم أجرا) في الآخرة (و) ان بقي مع ذلك صرف ذنب (استغفروا الله ان الله غفور رحيم) تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المدثر)

سميت به لدلالته على عظم أمر الوحي بحيث كان يرعد مرة بعد أخرى بحيث يوجب التدثر في بعض الاوقات (بسم الله) المتجلي بكمالاته في المدثر لانها أوجبت ارتعاده الداعي الى التدثر (الرحمن) بجعله مخوفا بعد كونه خائفا (الرحيم) بامره بتكبير الرب والطهارة والصبر وغيرها *عن جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فترة الوحي فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض فخشيت منه رعبا فقلت زملوني زملوني فدثروني فانزل الله تعالى (يا أيها المدثر) أي المتغطي بثوبه خوفا من ملك الوحي حقك أن لا تخافه بل تخوف به الناس (قم) قيام جد (فانذر) الناس عذاب ربك (وربك فكبر) ليقع بقلوبهم عظمة عذابه لانها بقدر المعذب ولا بد من هذه المبالغة في التخويف ليكون ادعى الى تطهير الظاهر والباطن ولما كان نجاسة الظاهر من الامور الخارجية والباطن لا يطهر الا بعد طهارته قدم طهارة الثياب فقال (وثيابك فطهر) حتى لا يتلوث ظاهرك بنجاستها فتؤثر في الباطن (والرجز) أي نجاسة الاعتقادات الفاسدة والاخلاق الذميمة والاقوال الكاذبة والافعال القبيحة وسائر النجاسات المحسوسة (فاهجر) أي تجانب لتناسب الرب المنزه فتستفيض منه وتفيض على الخلق (و) من أعظم ملوثات الباطن الطمع لذلك (لا تمنن تستكثر) أي لا تعط أحدا شيئا أطلب عوضه أكثر فانه من الطمع الملوث للباطن (و) اذا غلبك طمع أو ملوث آخر (لربك) أي لطلب رضوانه وثوابه (فاصبر) فانه أجل عوض من المطموع فيه وكيف لا تصبر عن الملوثات وهي موجبة للشدائد في أشد الايام ولا يمكن الصبر عليها أصلا (فاذا نقر) أي نفخ (في الناقور) أي الصور أو قرن آخر (فذلك يومئذ يوم عسير) أي فوقت ذلك النقر في جملة أوقات يوم القيامة الذي هو أشد الايام وقت عسير لا نسبة لعسر سائر أجزائه اليه لكن لا يؤثر عسره في المؤمنين فضلا عن المقربين بل انما هو (على الكافرين غير يسير) واذا علمت عسر هذا اليوم على الكافرين من قهري عليهم فلا تستعجل عليهم قبل ذلك اليوم بل (ذرني) أيها المأمور بالصبر بعد الانذار بيوم النقر (ومن خلقت) فكان قابلا لقهري وقد استوجبه اذ كفر بنعمتي بعدما خلقته (وحيدا) ليس له مال ولا جاه ولا ولد والمراد الوليد بن

من الكفر كما أفسد الله عليهم نعمهم في الدنيا بما صاروا اليه من عذاب الآخرة (قوله عزوجل يزكيهم) يطهرهم (قوله عز

المغيرة (وجعلت) بطريق الانعام والتفضل (له مالا ممدودا) أي مبسوطا بالنماء من زرع وضرع
وتجارة (وبنين شهودا) أي حضورا ينتفع بلقائهم لا يسافرون لطلب المعاش استغناء بماله ولا
يرسلهم الى مصالحه لكثرة خدمه وكان له عشرة أولاد أكثرهم رجال أسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة
وهشام وأخرهم عن ذكر المال لانهم بدونه ثقيل (ومهدت له تمهيدا) أي وبسطت له الرياسة
والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش وأخر الجاه عن الاولاد لانهم من جملة أسبابه (ثم) مع
ما عليه من كفران النعم (يطمع أن أزيد) نعمه (كلا) زجر له عن هذا الطمع (انه كان لآياتنا
عنيدا) ومعاندة الآيات معاندة منزلها وهي تقتضي ازالة النعم فاين الزيادة قيل مازال بعد نزول
الآية في نقصان ماله حتى هلك (سأرهقه) أي سأكلفه (صعودا) جبل من نار اذا وضع الكافر
يده أو رجله ذابت فاذا رفع عادت لانه ترفع على آيات الله لسلوك طريقة شاقة من العناد وروى
انه لما أنزل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله اليه المصير قام عليه السلام في المسجد
والوليد بن المغيرة يسمع قراءته فاتى قومه فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ليس من كلام
الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو
ولا يعلى عليه ثم خرج فقالوا صبأ والله الوليد ولتصبأن قريش كلهم فقال أبو جهل انا
اكفيكموه فجلس الى جنبه حزينا فقال مالي اراك حزينا يا ابن أخي فقال هذه قريش يجمعون
لك نفقة يعينونك على كبر سنك يزعمون انك زينت كلام محمد لتنال من فضل طعامه فغضب
وقال ألم تعلم قريش اني من أكثرهم مالا وولدا وهل يشبع محمد وأصحابه من الطعام حتى يكون
لهم فضل ثم قام مع أبي جهل حتى أتى قومه فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط
قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر
فهل رأيتموه ينطق بالشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من
الكذب قالوا اللهم لا قالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه ثم قال ماهو الا ساحر اما رأيتموه
يفرق بين الرجل والمرأة وأهله وولده ومواليه وما يقوله سحر يؤثر فقال تعالى (انه فكر) في
القرآن (وقدر) أي نظر في مقدار عظمته (فقتل كيف قدر) أي فبلغ مبلغا استحق من حاسده
أن يدعو عليه (ثم) زاد في هذا المعنى (قتل كيف قدر ثم نظر) في أمر محمد (ثم عبس) أي قطب
وجهه لما لم يجد فيه طعنا (وبسر) أي اهتم اذ لم يدر ما يقول (ثم أدبر) من النظر (واستكبر)
على ما استعظمه من القرآن (فقال ان هذا) أي ما هذا القرآن (الا سحر) غايته انه قول
(يؤثر) أي يروى ويتعلم (ان هذا) كان سحرا أولا (الا قول البشر) فهذا منه غاية العناد
الموجبة غاية الغضب من أجله (سأصليه سقر) التي هي مظهر الغضب الالهي (و) هي من كمال
مظهريتها له (ما أدراك) يا أعظم الخلائق (ما سقر) وغاية ما يمكن من تعريفها انها (لا تبقي)
من أتي فيها احيا (ولا تذر) أي ولا تتركه ميتا أي محترقا بل يجدد جلده في كل مرة وهذا كما يترك
المعاند الدليل جدلا ولا يقدر على منعه وانما قلنا لا تذر لانها (لواحة للبشر) أي مسودة للجلد
فذلك في معنى الموت وثمة موت آخر وهو ضرب الزبانية اذ (عليها تسعة عشر) زبانية على عدد

وجل اليسر) ضد العسر وقوله عز وجل يريد الله بكم اليسر أي الافطار في السفر ولا يريد بكم العسر أي الصوم فيه (قوله عز وجل يؤلون من نسائهم) يحلفون على وطء

القوى الاثنى عشر الحيوانية الشهوية والغضبية والحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والسبع الطبيعية الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والنامية والغاذية والمولدة يصرف كل واحد منهم بمقتضى صرف تلك القوى عما خلقت من أجله ولما نزل قال أبو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم بخبر ابن أبي كبشة ان خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم أى الشجعان أيعجز كل عشرة أن يبطش بواحد منهم فقال أبو الاسد انا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني اثنين فنزل (وما جعلنا أصحاب النار) أى خزنة المعذبين لاهلها (الا ملائكة) لا يمكن مقاومة أحدهم لجميع البشر (وما جعلنا عدتهم) أى عددهم القليل (الا فتنة) أى اختبارا (للذين كفروا) هل يستيقنون فيعاندون أو يشكون أو يجزمون ببطلانها عن الجهل المركب لكن لاوجه للشك والجزم بالبطلان لانها (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) لموافقته ما في كتبهم (ويزداد الذين آمنوا) بتصديقهم (ايمانا و) ليس استيقانهم بحيث يبقى معه شبهة لاتؤثر بل بحيث يوجب ان (لايرتاب) بوجه من الوجوه (الذين أوتوا الكتاب و) يصيروا كما لا يرتاب (المؤمنون و) مع هذا يبقى الجهل المركب للمنافقين والكفار (ليقول الذين في قلوبهم مرض) أى شك ونفاق (والكافرون ماذا أراد الله بهذا) العدد المستغرب الواقع (مثلا) في الغرابة (كذلك) أى مثل هذا الضلال مع تيقن أهل الكتاب والمؤمنين (يضل الله) بخلق الجهل المركب (من يشاء و) مثل هذه الهداية عن الاطلاع على أسرار كتابه (يهدي من يشاء) لاوجه لشكهم وانكارهم مع جهلهم بجنود الله اذ (ما يعلم جنود ربك الا هو) وكيف لا يكون في التيقن بهذه العدة هداية (وما هي الا ذكرى للبشر) انه يسلط عليه عددا من الزبانية بعدد ما اختل من قواه ومن ضل بقلة العدد يقال له (كلا) أى انزجر عن اعتقاد المهانة بهم (والقمر) الذي ينتظر غروبه للاغارة وهو مثال ذهاب الحياة الدنيوية التي يغار بعدها اللذائذ الحسية (والليل اذ أدبر) فيدخل وقت الاغارة وهو مثال ذهاب حجب المحسوسات (والصبح اذا أسفر) فيدخل وقت الاغارة وهو مثال انكشاف عالم الغيب الذي ينكشف به مضار تلك اللذائذ فهذه أمور دالة على العدد مع ان كل واحد منها وقت الاغارة فيكبر أمرها (انها) أى ان هذه العدة (لاحدى الكبر) أى الامور الكبار التي لا يكثر عددها بل يكون أحدها (نذيرا للبشر) كلهم ففيها هداية أو ضلال (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) وكيف لا تكون احدى الكبر مع انه (كل نفس بما كسبت) بهذه القوى (رهينة) أى محبوسة على أيدي هؤلاء الزبانية (الا أصحاب اليمين) فانهم بقوة روحانيتهم لما صرفوا قواهم الى الجهة العلوية صاروا (في جنات يتساءلون عن) ضعف (المجرمين) في مقاومة قواهم الجاذبة الى العالم السفلي يقولون لهم (ما سلككم) مع كمال عقلكم الذي يمكنكم مقاومة القوى في جذبها الى العالم السفلي لينجذب الى العالم العلوي (في سقر قالوا) لانا لم نصرف القوى المحركة الى الصلاة والزكاة الجاذبتين الى العالم العلوي اذ (لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين) فلم نصرفها الى العبادة البدنية والمالية (و) لكن صرفناها في غير مصارفها اذ (كنا نخوض) أى

قوله لايمكن مقاومة الخ
لو قال لايمكن مقاومة جميع
البشر لاحدهم لكان
أحسن اهـ

نسائهم يعني من الالية وهي
اليمين يقال ألوة وإلوة وألوة
وألية اليمين وكانت العرب
في الجاهلية يكره الرجل منهم
المرأة ويكره أن يتزوجها
غيره فيحلف أن لا يطأها أبدا

نشرع فى الباطل (مع الخائضين) متابعة لهم (و) جعلنا العقل تابعا للقوى الجاذبة الى العالم
السفلى بحيث (كنا نكذب بيوم الدين) الذى خلق العقل من أجله ولم نزل على ذلك (حتى أتانا
اليقين) أى الموت فاذا جعلوا العقل تابعا للقوى الجاذبة الى عالم السفل بمتابعة الخائضين تكذيبا
ليوم الدين (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) لو اجتمعوا عليها اذ لم تبق لقواهم قابلية تنور بنورهم
واذا كانت هذه الكلمات بهذه الفوائد الجليلة المذكرة لما هم عليه (فما لهم) أى أى مانع
حصل لهم عن التذكرة بحيث صاروا (عن التذكرة معرضين كأنهم) فى الاعراض عن البلادة
(حمر) فى النفار عن استماعها (مستنفرة) ينفرها راعيها مع انها نافرة بانفسها اذ (فرت من
قسورة) أى عن الاسد لانهم يخافون أن يتأثروا بهذه التذكرة فتدعوهم الى الايمان بما أنزل
على الغير وهم لا يريدون الايمان بما انزل على الغير (بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا) أى
قراطيس (منشرة كلا) زجر لهم عن هذه الارادة اذ لم تكن من الشك فيما أنزل على الغير (بل)
من أجل انهم (لا يخافون الآخرة كلا) زجر عن ترك خوفها (انه) أى خوف الآخرة (تذكرة)
بنفسها لو لم يخوف منها فانها تتضمن الخوف بنفسها (فمن شاء ذكره) أى خوف الآخرة
(و) لكنهم لغلبة حب الدنيا عليهم وهو مخوف اذ (ما يذكرون) خوفها (الا أن يشاء الله) فانه
يخافها لانها تدل على الرجوع اليه وهو مخوف اذ (هو أهل التقوى و) تقواه مفيدة للمغفرة
اذ هو (أهل المغفرة) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

(سورة القيامة)

سميت به لتضمنها غاية تعظيم ذلك اليوم من لا يتناهى ثوابه وعقابه بحيث يتحسر فيه كل نفس من
تقصيرها وان عملت ما عملت (بسم الله) المتجلى بكماله فى القيامة اذ ظهر فيه بما لا يتناهى من
آثار جلاله وجماله (الرحمن) بجعل ثوابه وعقابه غير متناهيين (الرحيم) باعلامهم التلافى
التقصيرات لدفع ما لا يتناهى من العقاب وجلب ما لا يتناهى من الثواب (لا أقسم) أى لا حاجة
الى القسم (بيوم القيامة) الذى يعم فيه التحسر على التقصيرات (ولا أقسم بالنفس اللوامة)
فى الدنيا أربابها على تقصيراتهم اذ كل أنسان لا يخلو عن تقصير فى معرفة الله وعبادته ومن
أعظم تقصيراته انه لا ينظر فى عواقبه (أيحسب الانسان) أن لا عاقبة له اذ لا بعث لا لظنه انه
مبنى على اعادة المعدوم التى يتوهم امتناعها عن شبهات واهية بل يحسب أن لا يكون بجميع
الاجزاء المتفرقة أيضا فيظن (أن) أى انه (لن نجمع عظامه) المتفرقة (بلى) نجمعها (قادرين
على) ما هو أعجب من الجمع وهو (أن نسوى بنانه) أى نهيئ سلاماه لاعمالها ليقع الجزاء
على الهيئة التى صدرت الاعمال عليها ولا يحتاج فى هذا الى التعمق لكن الانسان لا يلتفت
اليه لا يجابه التوجه الى الله تعالى والاعمال الصالحة ولا يريد الانسان ذلك (بل يريد
الانسان) قطع النظر عنه (ليفجر أمامه) أى فى المستقبل كما فجر فى الماضى فاذا أمر بالنظر
المانع عنه (يسئل) الآمر (أيان) أى متى (يوم القيامة) الذى تأمرنى بالنظر فيه فانى

ولا يخلى سبيلها اضرارا بها فتكون معلقة عليه حتى يموت أحدهما فابطل الله عز وجل ذلك من فعلهم وجعل الوقت الذى يعرف فيه ما عند الرجل للمرأة أربعة أشهر

لا أنظر فيه مالم أعلم وقته لكن النظر فيه لا يتوقف على معرفة وقته بل يكفى له العلم بأنه لا بد
من لقاء الله ولقاؤه انما يكون يوم القيامة بظهور نوره فيه وكانه يريد تأخير الايمان به الى
وقته لكنه موجب للحيرة الداعية الى الفرار (فاذا برق) أى تحير لرؤيته (البصر)
تحيره لرؤية البرق (و) كيف لا وقد (خسف) عند ظهوره (القمر و) ان كان
لا ينخسف لرؤية الشمس بل (جمع الشمس والقمر) فى الانخساف لانمحاء نورهما عند
ظهوره فاذا رأى الانسان هذا النور المحير (يقول الانسان يومئذ) لعموم النور فيه الاماكن
(أين المفر كلا) زجر له عن طلب المفر (لا وزر) أى لا ملجأ عن تحيره ولا عن سخطه بل
(الى) نور (ربك) فى كل مكان (يومئذ المستقر) وبه يظهر ما يوجب سخطه اذ
(ينبؤ الانسان يومئذ) أى يوم ظهور نوره المظهر للاشياء (بما قدم) أى عمل (وأخر)
فلم يعمل مع انه لا حاجة الى انبائه بذلك (بل الانسان) مطلع عليه بنفسه لانه (على نفسه
بصيرة) أى كاملة النظر بما فيها (ولو ألقى معاذيره) الكاذبة عند الانباء وذلك الانباء
من اطلاعهم على نور الحق مع تحيره اياهم كاطلاعك على أسرار الوحى مع تحيرك عنه حتى
قيل لك (لا تحرك به) أى بما نبئت به حال حيرتك بالوحى (لسانك لتعجل به) أى تحفظه
خوفا من فواته عن التحير (ان علينا جمعه) فى قلبك بمعانيه (وقرآنه) أى تصويره بصور
الحروف (فاذا قرأناه) بتصوير حروفه (فاتبع قرآنه) بالاستماع اليه (ثم) ان بقى فيه
اشكال (ان علينا بيانه) فان زعموا ان غاية ما يحصل لهم يومئذ الحيرة من رؤية نور الحق
كحيرتك من رؤية جبريل ولا يفضى ذلك الى عذاب يوجب الفرار بل هو ملذة عظيمة
هى اقصى آمال المقربين اليه يقال لهم (كلا) زجر عن تمنى اللذة (بل) لا تحصل لهم
رؤية أصلا لانهم (يحبون العاجلة) فيصير حجابا لهم (ويذرون الآخرة) فلا
يعملون لها عملا يفيدهم نورا يرون به نوره عزوجل ولا تحصل لاهل الكمال حيرة من رؤيته
بل لهم (وجوه يومئذ) لظهور أنوار الاعتقادات والاعمال فيه على تلك الوجوه (ناضرة)
أى مشرقة فهى بقوة ذلك النور (الى) نور (ربها ناظرة) عيانا بلا حجاب ولا حيرة
وتأويل الآية بانتظار الانعام مردود لان الانتظار لا يسند الى الوجه ولا يعدى بالى (ووجوه
يومئذ) تقع فى الحيرة الموجبة للفرار لو حصل لها رؤية لانها (باسرة) شديدة العبوس فلا
تناسب ربها فى النورية ولها حيرة من أعمالها الطالحة وتقصيراتها عن الصالحة (تظن)
أى تتوقع من أجل ذلك (أن يفعل بها فاقرة) أى داهية تكسر الفقار فانى يكون لها لذة
الرؤية لو رأت وان زعموا ان هذه الامور من خصائص يوم القيامة لو وجد لكن لا وجود له
ولا تكون قبله يقال لهم (كلا) بل تكون عند الموت أيضا فانه (اذا بلغت) النفس
(التراقى) عظام الصدر (وقيل) أى قالت الملائكة (من راق) يرقى بروحه أملائكة
الرحمة أم ملائكة العذاب (وظن) المحتضر (انه الفراق) فراق الدنيا ولذاتها (والتفت
الساق بالساق) أى التوت شدائد الدنيا بشدائد البرزخ كالتواء الساق بالساق (الى

(قوله عزوجل يكلم الناس
فى المهد وكهلا) يكلمهم
فى المهد آية وأعجوبة
ويكلمهم كهلا بالوحى
والرسالة والكهل الذى

ربك) الموجب لهذا التحير من رؤيته ومن سائر الشدائد (يومئذ) قبل القيامة (المساق) سوق العبد الآبق ويزيده حيرة سؤاله فاذا سئل عن اعتقاداته وأعماله (فلا صدق) بالله وآياته ورسله (ولا صلى) الصلاة التي هي رأس العبادات (ولكن كذب) بدل التصديق (وتولى) بدل الصلاة التي بها كمال التوجه الى الله تعالى (ثم) مع هذه التقصيرات في جنب الله (ذهب الى أهله يتمطى) أي يفتخر فيقال له (أولى لك) المعاقبة (فأولى) الزيادة في البرزخ (ثم) في القيامة (أولى لك فأولى) فأنى له رؤية الله والتنعم بها (أيحسب الانسان) باعتقاده مشاركة الكل المؤمنين في التنعم برؤية الله تعالى (أن يترك سدى) أي مهملا لا يجازى على أعماله ولا يسئل عن نعمه كانه لم ينعم عليه (ألم يك نطفة) أي ماء قليلا (من مني يمنى) أي يصب في الرحم (ثم كان علقة فخلق) اعضاءه منه (فسوى) تلك الاعضاء لاعمالها وجعلها مختلفة بل وضع أصلها على الاختلاف (فجعل منه الزوجين) ليدل اختلافهما على اختلاف الجزاء وذلك بحسب كمال القوة النظرية والعملية ونقصهما كما جعل منه (الذكر والانثى) ولا ينكر ذلك الا من العاجز لكن (أليس ذلك) الذي قدر على احياء النطفة والعلقة لعمارة الدنيا (بقادر على أن يحيي الموتى) لعمارة الآخرة على الابد * ثم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الانسان)

سميت به لتضمنها ان الانسان ينقل من ادنى الاحوال الى أعلى الدرجات بلا عمل ولا اعتقاد فكيف لا ينقل اليها بالاعمال الصالحة والاعتقادات الصائبة ولو تركهما ينقل الى أدنى مما كان عليه (بسم الله) المتجلي باشراق أنوار ذاته وصفاته في الانسان (الرحمن) بهدايته السبيل (الرحيم) بترتيب الجزاء عليها (هل اتى) من القهر (على الانسان حين) طائفة محدودة من الزمان (من الدهر) الزمان الغير المحدود (لم يكن) فيه (شيأ) ثابتا في الخارج بل لم يكن (مذكورا) في الذهن فضلا عن اللفظ والخط ثم نال حين وجوده مقهورا القدرتنا (انا خلقنا الانسان) مقهورا بالذلة في أصله المادي اذ كان (من نطفة) وفي منشا مادته اذ كان من (أمشاج) أي مختلط من ماء الرجل والمرأة حاصل من جماعهما وفيه ذلة ثم حين فاضت عليه الصورة الانسانية كان مقهورا بالابتلاء اذ كنا (نبتليه) هل يصير عارفا بربه عابدا له أم لا (فجعلناه) لتحصيل مقدمات المعرفة والعبادة (سميعا بصيرا) لننظر هل يصرف سمعه وبصره الى استماع آيات الله والنظر فيها ثم (انا) ابتليناه بالدلائل العقلية والنقلية اذ (هديناه السبيل) أي سبيل المعرفة والعبادة فجعلناه (اما شاكرا) يقبل نعمة الهداية (واما كفورا) يردها ثم اذا كفر يتحقق عليه انواع القهر الالهي لا متأخرة الى الآخرة من كل وجه بل معدة قبلها (انا أعتدنا للكافرين) لانكارهم الصانع القديم الموجب لتسلسل الحوادث (سلاسل و) لحبسهم الادلة أن تمشي طرقها (أغلالا و) لحرقهم

وجوه

(قوله عزوجل يحسب الله

(قوله عزوجل يصروا على ما فعلوا) أي يقيموا عليه

انتهى شبابه يقال اكتهل الرجل اذا انتهى شبابه

وجوه دلالاتها (سعيرا) والشاكرا مامن الابرار أو المقربين بالاعمال أو الاحوال (ان الابرار
يشربون من كأس) أي خمرا بدل السعير (كان مزاجها) بدل حرارة السعير وتتنه
(كافورا) أي بماء عين الكافور ذي البرودة والرائحة الطيبة كانت عين الكافور (عينا)
مخصوصة لمقربي الاعمال ولذا (يشرب بها عباد الله) المقربون لكونهم أرباب اليقين
البارد أولى الروائح الطيبة وكيف لا وهم (يفجرونها) في الدنيا بأعمالهم (تفجيرا) لانفسهم
ولمن دونهم وذلك انهم (يوفون بالنذر) أي بكل ما ألزموا أنفسهم من الوظائف التي هي
في الاصل نوافل (و) يأتون بنوافل لم ينذروها لانهم (يخافون) لو تكاسلوا ان يلحقهم
ظلمات الطبع الداعية الى المعاصي التي تضرهم (يوما كان شره مستطيرا) أي منتشرا
(و) قد بالغوا في قطع الشح المطاع من جملة تلك الظلمات اذ (يطعمون الطعام) غالبين (على
حبه مسكينا) عجز عن تحصيله (ويتيما) وهو أعجز منه (وأسيرا) هو أعجز منهما وان
صاروا في الاحتياج اليه مثلهم * عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحسن والحسين
رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس فقالوا يا أبا الحسن
لو نذرت عن ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما رضي الله عنهم صوم ثلاثة أيام
ان برئا فشفيا فصاموا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري ثلاثة أصوع
من شعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا وخبزت خمسة اقراص فوضعت بين أيديهم
ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا
ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك فنزل
جبريل عليه السلام بهذه السورة وقال هنالك الله في أهل بيتك وقد صرحوا في ذلك بقطع
ظلمات الطبع اذ قالوا (انما نطعمكم لوجه الله) اذ (لا نريد منكم جزاء) أي عوضا محسوسا
(ولا شكورا) أي ثناء هو عوض معنوي اذ يعود معه ظلمة الطبع فيعود خوف اليوم
المذكور (انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) شديد العبوس وانما وصف اليوم ههنا
بعد ما وصفه بما يشعر تصوره الشح المطاع لانه يوهم منهم انهم قصدوا بذلك دفع الحياء من
جمع ذلك بالشح المطاع وهو يتضمن الرياء بما ذكر لان الايثار لذلك رياء وهو أشد من ترك
الايثار من أجل الشح لان الشح ليس بشرك والرياء شرك (فوقاهم الله) الذي خافوا منه
أن يبتليهم بشر يوم القيامة (شر ذلك اليوم) مع كونه مستطيرا (و) لم يوصل اليهم أثر كونه
عبوسا قمطريرا بل (لقاهم نضرة) حسنا بدل العبوس القمطرير (وسرورا) في قلوبهم
بدل الاحزان (وجزاهم بما صبروا) على وفاء ما التزموا وعن المعاصي (جنة) بدل السعير
(وحريرا) من ظهور صفاتهم الناعمة من أعمالهم (متكئين فيها على الارائك) ليكونوا
كالملوك جزاء على ما عبدوا ربهم (لا يرون فيها شمسا) حرارتها (ولا زمهريرا) برودته جزاء
على ما تحملوا من مشقة العبودية بل يصيرهو أو هو معتدلا لاعتدالهم الاخلاق والاعمال
(ودانية) أي قريبة (عليهم ظلالها) أي ظلال أشجار الجنة التي هي جزاء أعمالهم التي تقربوا

الذين آمنوا) أي يخلص
الله الذين آمنوا من ذنوبهم
وينقيهم منها يقال محص
الحبل يمحص محصا اذا
ذهب منه الوبر حتى يتماص

بها الى الله تعالى (وذللت) لتذللهم لله وللمؤمنين (قطوفها) أى قطوف ثمارها (تذليلا)
بقدر تذللهم (و) لاستصحابهم أوانى وكيزانا للوضوء (يطاف عليهم بآنية من فضة) لافادة
الوضوء بياض اعضائهم (وأكواب) أى كيزان (كانت قواريرا) فى الصفاء لتصفية
الوضوء القلوب وكانت فى البياض (قوارير من فضة قدروها) معتدلة لتعديلهم الوضوء اذ لم
يقصروا عن الاسباغ ولم يسرفوا فى الصب (تقديرا) بقدر رعايتهم للاعتدال (ويسقون)
أى هؤلاء المقربون بالاعمال (فيها) أى فى تلك الاوانى التى اعطوها على استصحاب أوانى
الوضوء المفيد للصفاء المقتضى نوع اشتياق (كأسا) أى خمرا (كان مزاجها زنجبيلا)
أى ماء عين الزنجبيل وكانت (عينا فيها) أى فى الجنة (تسمى سلسبيلا) تسمية لها بحال أصحابها
مقربى الاحوال الغالب عليهم الشوق المانع من الوقوف بحال أو مقام مخصوصين بل
لا يزالون طالبين للترقى بقوة الشوق لا بأنفسهم بل بربهم كأن كل واحد يقول لنفسه دائما
سل ربك سبيلا اليه فاصل العين لمقربى الاعمال ومزجها لمقربى الاحوال (و) لما كان
الغالب على مقربى الاحوال رؤية الحق بلا مظهر وعلى مقربى الاعمال رؤيته بالمظاهر
(يطوف عليهم ولدان مخلدون) أى مقرطون (اذا رأيتهم حسبتهم) من ظهور نور الجمال
الالهى عليهم (لؤلؤا منثورا) ينعكس شعاع بعضهم على بعض (واذا رأيت ثم) أى فى
السلسبيل وأهله ودرجاتهم (رأيت نعيما) فوق نعيم مقربى الاعمال (وملكا كبيرا)
يتصرفون به فى مقربى الاعمال ومن دونهم لما غلب عليهم من التخلق بأسماء الله والتحقق
بها فصارت صفات ثم ظهرت بصور اللباس عليهم لذلك صاروا (عاليهم ثياب سندس) رقيق
فيما لطف ظهوره (خضر) اذ أفاده خضرة العيش (واستبرق) غليظ حيث تم ظهوره
(وحلوا) لصفاء صورتهم (أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا) عن محبة غيره فيقال
لهم (ان هذا كان لكم جزاء) على محبتكم لله وتخلقكم بأسمائه وتحققكم بها وسيركم اليه
بالاحوال والمقامات (وكان سعيكم) اليه بالاحوال والمقامات من غير وقوف على أحدهما
(مشكورا) مقبولا مفيدا للمزيد ثم ان الله عز وجل جمع كمالات الكل لنبينا صلى الله عليه وسلم
اذ جعل كتابه مشتملا على جميعها فقال (انا نحن) من مقام جمعيتنا (نزلنا عليك) أيها
المستعد للجمعية الكاملة (القرآن) الجامع (تنزيلا) مفرقا لتجتمع فيك الكمالات المتضادة
فى الازمنة المختلفة واذا أمرت بجمعها فصعبت عليك (فاصبر لحكم ربك) الذى
رباك للكمالات (ولا) تبطل استعدادك لها بصاحبية عاص فانه يقطع الجمعية كاحباط
الكافر فلا (تطع منهم آثما أو كفورا) أى أحدهما (و) يتيسر لك جمع الخيرات
بالمداومة على ذكر الله (اذكر اسم ربك بكرة وأصيلا و) بقيام الليل بتطويل
السجود والتسبيح (من الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) فنزول القرآن مع هذه الاعمال
يعينك فى الجمعية اذا قطعت النظر عن أهل المعصية (ان هؤلاء) أى أهل المعصية (يحبون)
اللذات (العاجلة) فيثقل عليهم تركها سيما مع احتمال أمر ثقيل من الاجتهاد بالمداومة

على

وحبيل محص وملص
وأماص وقولهم ربنا محص
عنا ذنوبنا أى اذهب ما تعلق
بنا من الذنوب (قوله عز
وجل يطوقون ما بخلوا به

على الذكر والقيام (و) لكنهم (يذرون) كأنهم يجعلون (وراءهم يوما ثقيلا) لاستبعادهم وجوده ولا وجه له اذ (نحن خلقناهم و). لا وجه لنفي ثقله وشدته اذ (شددنا أسرهم و) ان فرض عدم ذلك اليوم فلا يأمن العاصي عذاب الله فانا (اذا شئنا) أهلكناهم ولو احتجنا الى أمثالهم (بدلنا أمثالهم تبديلا) حسنا يكون المبدل خيرا من المبدل عنه (ان هذه تذكرة) تذكر فوائد القرب من الله ومضار البعد منه (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) ليصل الى تلك الفوائد ويهرب عن تلك المضار (و) لكن (ما تشاؤن) سلوك سبيل الله (الا) وقت (ان يشاء الله) ان يسلكهم سبيله قسرا لكن لا يشاء لعلمه باستعداد أعيانهم انها لا تستعد لسلوك سبيله. (ان الله كان عليما) وهو ان قدر على خلاف ذلك لا يخالفه لكونه (حكيما) وهو خلاف الحكمة لكن ذلك لا ينافي مشيئته واختياره لذلك (يدخل من يشاء في رحمته) فيسلك بهم سبيله (و) يخرج عنه (الظالمين) لانه (أعد لهم عذابا أليما) *تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة السلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المرسلات)

سميت بها لتضمنها الدليل على ان ما يتوهم من الافعال كونه خيرا أولا ينقلب شرا آخرا (بسم الله) المتجلي بجلاله وجماله في الرياح (الرحمن) بجعلها دليل انقلاب ما يتوهم خيريته شرا (الرحيم) بجعلها ملقية ذكر الله عذرا أو نذرا (والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا) اقسم الله سبحانه وتعالى بالرياح التي يرسلها احسانا في الظاهر على أهل السفن لينتفع بها المسافرون والحاضرون فعصفت عليها فاهلكتها على وقوع ما يوعدون على الافعال التي ترى أرباحا دنيوية باهلاك أربابها اهلاك أهل السفن (والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا) واقسم بالرياح التي ينشرها الرحمة المطر فتفرق السحب فتلقي مطرا مخصبا فيوجب ذكر الله شكرا ماحيا لاساءة اتباع الشهوات فيصير عذرا أو مطرا مهلكا فيوجب ذكر الله خوفا (انما توعدون) على الافعال التي ترى منافع اخروية ولا يعلم ما يقارنها او يلحقها من أسباب الخير والشر (لواقع) ولا يغتر بحسن بعض الافعال في الحال فغايته انه كضوء النجوم (فاذا النجوم طمست) فذهب ضوؤها يذهب حسن تلك الافعال (و) لا ينافي احكامها في زعم فاعلها فانه يذهبه (اذا السماء فرجت) أي صدعت (و) لا ينافي تثبيتها في زعم فاعلها بالادلة فانه ينسف أدلته (اذا الجبال نسفت). ونسف الجبال لاجل الريح المغلبة للنار المصدعة للسماء المذهبة ضوء النجوم (و) بالجملة يقع (اذا الرسل اقتت) أي عين وقت شهادتهم وقيل (لاي يوم اجلت) شهادتهم فيجاب بانه (ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل) فانه لا يمكن بيانه الا بهذه الحوادث التي تقع فيه من شدة غضب الله على المكذبين (ويل يومئذ) فوق ما يقع على هذه الاجرام (للمكذبين) وكيف ينكر الويل الاخروي للمكذبين وقد وقع نظيره في الدنيا (الم نهلك) المكذبين (الاولين) كقوم نوح وعاد وثمود (ثم نتبعهم

يوم القيامة) قال النبي صلى الله عليه وسلم يأتي كنز أحدكم شجاعا أقرع له زبيبتان فيتطوق في حلقه ويقول أنا الزكاة التي منعتني ثم ينهشه (قوله عز

الآخرين) كقوم لوط وشعيب وموسى وغيرهم (كذلك) أي مثل ذلك الاهلاك الدنيوي (نفعل) يوم القيامة (بالمجرمين) كاهم لكنه يكون بحسب شدة ذلك اليوم (ويل يومئذ للمكذبين) من الاولين والآخرين المهلكين في الدنيا وغيرهم فان زعموا ان الامر الاخروي انما يقاس على الامر الدنيوي بعد ثبوته لكنه بعيد يقال لهم لا وجه لاستبعاده فانه أيضا مثل الخلق الدنيوي (الم نخلقكم من ماء مهين) كهانة لحوم الاموات وعظامهم الرميمة ولا يمنع من احيائها طول مدة لبثها في الارض فانه كمدة لبث النطفة في الرحم فانا استقر رنا الماء المهين (فجعلناه في قرار مكين) هو الرحم (الى قدر) أي مقدار من مدة الحمل (معلوم فقدرنا) على احياء ذلك الماء المهين بعد لبثه في الرحم هذه المدة المديدة (فنعم القادرون) على احياء اللحوم والعظام بعد لبثها مدة مديدة في الارض (ويل يومئذ للمكذبين) هذه القدرة بعد ظهور نظيرها فان زعموا ان ذلك خاصية الرحم والا فالنطفة لو جعلت في الارض لم يتولد منها انسان يقال (الم نجعل الارض كفاتا) أي كافتة ضامة (احياء) كالحشرات (واموانا) كالجمادات (و) ان زعموا انه ليس في الارض الطافة المنى التي باعتبارها يتولد منه الانسان وانما يتولد منها سائر الحشرات يقال في الارض ماهو في غاية الغلظ ويتولد منه ماهو في غاية اللطافة اذ (جعلنا فيها رواسي) أي جبالا (شامخات) أي مرتفعة لصلابتها (و) أخرجنا منها ماهو في غاية اللطافة اذ (أسقيناكم) من تحتها (ماء فراتا) فلا يبعد ان يخلق من الارض ماله لطافة المنى فيخلق منه الانسان مرة اخرى (ويل يومئذ للمكذبين) قدرته على خلق الانسان مرة اخرى بهذه الشبهات الواهية بحيث يقال لهم (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) من الجزاء (انطلقوا الى ظل) أي دخان (ذي ثلاث شعب) شعبة تقف فوق الكافر واخرى عن يمينه واخرى عن شماله على عدد الشبهات المذكورة الم نهلك الاولين الم نخلقكم الم نجعل الارض أو على عدد القوى المؤدية الى هذا العذاب الوهمية التي في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره (لا ظليل) يدفع الحر (ولا يغني) أي لا يدفع شيأ (من اللهب) فضلا عن الحر (انها) أي النار التي لها هذا اللهب (ترمي) من افراط غضب الله عليهم (بشرر) ما تطاير من النار (كالقصر) في عظم المقدار (كأنه) في اللون والتتابع وسرعة الحركة (جمالة) ابل (صفر) لما فيها من النارية (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا الجزاء وكيف لا يكون غضب الله عليهم الى هذا الحد بعد ما ألزمهم الحجة المؤدية للذهاب الى هذا الظل بحيث يقال (هذا يوم لا ينطقون) بدفع شيء مما ألزمهم (ولا يؤذن لهم) في الاعتذار بالأعذار الواهية (فيعتذرون) بل انما يؤذن بالاعذار القوية وهم لا يجدونها لتكذيبهم في الدنيا بالحجج وتمسكهم بالشبه (ويل يومئذ للمكذبين) بالحجج لاجل الشبه ثم يقال لهم (هذا يوم الفصل) بين الحجج والشبه (جمعناكم والاولين) فيه للانصاف (فان كان لكم كيد) في تلبيس الحجج بالشبه والشبه بالحجج (فكيدون) ان تأتي لكم مني كما تأتي مع ضعفاء

الانس

وجل يحرفون الكلم (قوله يقلبونه ويغيرونه (قوله عزوجل يفرطون) أي يقصرون وقوله عزوجل وهم لا يفرطون أي لا يضيعون ما أمروا به ولا

الانس (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا الفصل اعتمادا على كيدهم فلم يميزوا الحجج عن الشبه ولذلك يقال لهم حين ما يصار بهم الى ذلك الظل (ان المتقين) أى الذين خافوا ان يلتبس عليهم الحجج بالشبه والشبه بالحجج (فى ظلال) تدفع عنهم الحر اذ كانوا مستظلين بالادلة المفيدة برد اليقين (وعيون) تدفع عنهم حر العطش لما تفجر من حججهم عيون المعارف اليقينية (وفواكه مما يشتهون) تدفع عنهم حر الجوع لشبعهم من التحقيق فيقال لهم ضما للثواب العقلي وهو الاكرام الى الحسى (كلوا واشربوا هنيئا) لا يشوبه تنغيص كتنغيص الشبه (بما كنتم تعملون) من تخليص الحجج عن تنغيص الشبه وانما تيسر لكم ذلك لنظركم الى الله (انا كذلك نجزى المحسنين) الناظرين الى الله فى أعمالهم (ويل يومئذ للمكذبين) بفائدة تمييز الحجج عن الشبه والشبه عن الحجج فى الآخرة فان زعموا ان هذا انما يقال لهم يوم القيامة فى زعمكم وهم يحرمون الآن ونحن يطعمنا الله ويسقينا الآن ولا يبعد ان يديم لنا ذلك يقال لهم (كلوا وتمتعوا) بالمنافع الدنيوية زمنا (قليلا) ولا يدوم لكم ذلك لكفركم بالمنعم (انكم مجرمون) والمجرم يستحق السياسة لا الانعام وليست عليكم فى الدنيا فهى فى الآخرة (ويل يومئذ للمكذبين) بأمر الآخرة لاجل الدنيا الفانية (و) كيف لا يكونون مجرمين مع انهم (اذا قيل لهم اركعوا) أى صلوا شكرا لربكم على ما أنعم عليكم وتذللا له (لا يركعون) اذ لا يعترفون بنسبة النعم اليه ولا بوجوب الصلاة عليهم له (ويل يومئذ للمكذبين) بنسبة النعم الى الله ووجوب الصلاة شكرا له عليها واذا لم يؤمنوا بهذا الحديث العجيب المعجز المبين لكل ما يحتاج اليه (فبأى حديث بعده يؤمنون) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

قوله عز وجل يردوهم) يهلكوهم والردى الهلاك (قوله عز وجل وما يشعركم) أى يدريكم (قوله عز وجل بجليها لوقتها) أى يظهرها

يقصرون فيه (قوله عز

(سورة النبأ)

سميت به لعظمته فى ذاته ووقوعه وتعقله بحيث لا يزال مختلفا فيه وان بولغ فى بيانه (بسم الله) المتجلى بكماله فى نبأ القيامة حيث ظهر للبعض بما فيه من الجمال وخفى عن البعض بما فيه من الجلال (الرحمن) بتعظيم شأنه لاصلاح أفعال عباده (الرحيم) بتأخيره باعتبار ذاته وتعقله عن العامة لئلا تتعطل امورهم (عم يتساءلون) سأل سبحانه وتعالى توبيخا وتبكيتا عن سؤال بعضهم بعضا عن حقائق الامور الاخروية البعيدة عن أفهام العامة لمفضى الى انكارها أو التشكيك فيها مع ان الايمان بها لا يتوقف على ذلك ولا بد منه لانهم يتساءلون (عن النبأ العظيم) فى ذاته على السائلين وقوعا وتعقلا فهو (الذى) وان بولغ فى بيانه (هم فيه مختلفون) اختلافا لا ينقطع اذ ينفيه بعضهم بالكلية ويجعله بعضهم عقليا وبعضهم خياليا وبعضهم حسيا وبعضهم طورا وراء ذلك والحق انه جامع فربما يفضى الى الانكار أو التشكيك (كلا) ردع لهم عن السؤال بقصد افضائه الى الانكار أو التشكيك (سيعلمون) فى البرزخ بطريق التخييل (ثم كلا) ردع لهم عن ان يعتقدوا انه حقيقته

(يعلمون) فى القيامة ماهو حقيقته لتعلق الروح بالبدن مع غلبة معنى التجرد عليها فيطلعون
على جميعه حينئذ ولا يحتاجون فى الايمان بها الى معرفة حقائقها بل يكفيهم معرفة نظائرها
(الم نجعل الارض مهادا) أى مستقرا مع تحرك الافلاك وهو نظير كون الجنة والنار مهادا
لاهلهما مع تحرك الافلاك التى هما فيها (والجبال أوتادا) اذ كانت باعتبار مزيد ثقلها
مانعة من تحريك الارض بالرياح وهو نظير استقرار الجنة والنار باهلهما (وخلقناكم
أزواجا) أى اصنافا وهو نظير اختلاف الجزاء (وجعلنا نومكم سباتا) أى قطعا عن
الاحساس والحركة وهو نظير قطع الدنيا لذات الاعمال وآلامها التى تحصل فى الجزاء
(وجعلنا الليل لباسا) اى سترا وهو نظير ستر الدنيا ثمرات الاعمال (وجعلنا النهار معاشا)
وهو نظير كون الآخرة معاش تحصيل تلك الثمرات (وبنينا فوقكم سبعا) من السموات
(شدادا) لا تبلى بمر الدهور لغاية غلظها وهو نظير بقاء العالم الاخروى (وجعلنا سراجا)
مضيئا (وهاجا) شديد الحرارة وهو نظير التجلى الالهى يستنير به البعض ويحترق به البعض
الآخر (وأنزلنا من) الرياح (المعصرات) للسحب بالمطر (ماء ثجاجا) اى كثير الانصباب
وهو نظير اعصار النبات سحب الاعمال والاعتقادات والاحوال والمقامات بامطار الرحمة
الابدية (لنخرج به حبا) يقتات به وهو نظير جزاء الاعمال (ونباتا) يتقوم به القوت وهو
نظير جزاء الاعتقادات (وجنات الفافا) أى ملتفا بعضها ببعض وهو نظير جزاء الاحوال
والمقامات ويمكن ان يقال جعل الارض مهادا نظير استقرار ابدانهم مع ورود التغيرات
عليها كالارض تبقى مستقرا مع تغير ما عليها وجعل الجبال أوتادا نظير جعل الاعمال
أوتادا تحفظهم عن الفناء حفظ الجبال عن تحرك الارض بالرياح وخلق الناس أزواجا نظير
اختلاف وتدية الاعمال لاهل الجنة والنار وجعل النوم سباتا نظير قطع الدنيا وتدية
الاعمال وجعل الليل لباسا نظير حجب الدنيا لذات الاعمال وآلامها وجعل النهار معاشا نظير
ظهور لذاتها وآلامها وبناء السبع الشداد فوقنا نظير بناء الجزاء الغير المنقطع على
الاعمال والسراج الوهاج نظير أنوار الاعمال وشدائدها وانزال الماء الثجاج من المعصرات
نظير نزول فوائد الاعمال عند صعودها الى الله تعالى واخراج الحب نظير تحصيل ما زرع
فى الدنيا للآخرة واخراج النبات نظير تصوير الاعمال والجنات الالفاف نظير كثرة نعم الآخرة
من الحسية والعقلية والخيالية ثم أشار الى ان الاعمال وان كانت كالسحب الممطرة
فلا تنبت الجزاء الذى كالحب والنبات والجنات الالفاف فى كل وقت بل له وقت معين (ان يوم
الفصل) الفارق بين أعمال الخير وأعمال الشر (كان ميقاتا) اذ لو كان قبله لم يبق للتكليف وجه
تخص له ذلك اليوم لكونه (يوم ينفخ فى الصور) فيحشر فيه الجميع لكنه لا يوجب اجتماعهم
فى فوج لانه موضوع للفرق (فتأتون أفواجا) لكل أهل ملة أو عمل فوج خاص (و) انما
كان فارقا مع كونه جامعا لانه من نفخ الصور حصل غمام لاجله (فتحت السماء) اى شقت
(فكانت) من كثرة الشقوق (أبوابا) ظهر بها ما فى ألواحها من أنواع الفرق (و) انما كان يوم

(قوله عز وجل يلحدون فى أسمائه) أى يجورون فى أسمائه عن الحق وهو اشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز وقرئت يلحدون أى يميلون

الجزاء

الجزاء لانه يوم رفعت الارض التى كانت على وجه جهنم لانه (سيرت الجبال) التى كانت أوتاد الارض (فكانت سرابا) ترى على صور الجبال وليست على حقيقتها انفضت أجزاؤها ثم ان السماوات كانت أبوابا فلا يمكن الوصول الى الجنة فوقها الا بالخلاص عن أيدى المترصدة (ان جهنم كانت مرصادا) على ظهرها صراط عليه مترصدة يسألون عن الايمان والاعمال فمن حبسوه للعمل عذبوه بقدره ثم تركوه فيخلص الى الجنة ومن حبسوه للايمان لم يتركوه فكانت (للطاغين مآبا) ولا يبقى فى حقهم طريق لكونهم (لابثين فيها أحقابا) جمع حقب ثمانون ألف سنة كل سنة اثنا عشر شهرا وكل شهر ثلاثون يوما وكل يوم خمسون ألف سنة وليست الاحقاب جميع مدة لبثهم بل هى مدة (لا يذوقون فيها بردا) وبعدها يذوقون الزمهريرة (ولا شرابا) يطفئ حرارة الباطن (الا حميما) يزيد فى حرارته (و) ليس لهم شراب آخر يحصهم من جهة اخرى الا (غساقا) هو الصديد يجوز وانهما لكونهما (جزاء وفاقا) أى موافقا لاعمالهم لانها أوجبت الغضب الحار وهو ناشئ من أعمالهم وقد كثرت لهم تلك الاعمال (انهم كانوا لا يرجون حسابا) فينقطعوا عن بعض الاعمال من خوفه (و) زدنا أكد الغضب عليهم لانهم اعمالهم يرجو الحساب لانهم (كذبوا بآياتنا) الدالة على الحساب (كذابا) اى تكذيبا بليغا امانعا من احتمال صدقها مع انها ظاهرة الصدق فحسبنا عليهم جميع تلك الاعمال (وكل شئ) من أعمالهم (أحصيناه كتابا) اى فى كتاب الملائكة بخلاف من صدق بالآيات فانه يكفر بكثير من معاصيه فاعمالهم وان كانت كأعمال المؤمنين لا يتناهى العذاب عليها لصدورها عن المبالغة فى تكذيب الآيات الى غير النهاية (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) بعد انقطاع عذاب المؤمنين ومن زيادة العذاب عليهم فوز أعدائهم (ان للمتقين مفازا) هو نجاتهم من المترصدين بل من كل هم لان لهم (حدائق) بساتين من مياه أعمالهم (وأعنابا) ثمرات تلك الاعمال (وكواعب) جمع كاعبة جارية تنهد ثديها (أترابا) ابكارا لم يخالطهن حب الغير لتكمل لذة الثمار بأكل الاحباب معهم (وكأسا) من الخمر (دهاقا) اى مملوءة لا يزيد الحب فتزيد اللذة وما ثمت ما ينقص اللذة اذ (لا يسمعون فيها لغوا) يسمع من أهل الخمر (ولا كذابا) يسمع بين الزوجين وانما كمل هذا الكمال لكونه (جزاء من ربك) الكامل فيكون على حسب المجازى لا العمل فليس فى الحقيقة جزاء بل (عطاء حسابا) اى كافيا لا يبقى معه شئ وكيف لا يكمل عطاء من هو (رب السموات والارض وما بينهما) خلقهما رحمة منه من غير سبق وعد فهو (الرحمن) على الاطلاق فكيف لا تكمل رحمته على من وعدهم بكمالها وهو وان قرب منهم بهذه الرحمة فعظمته باقية لذلك (لا يملكون منه خطابا) ويزداد ظهور عظمته (يوم يقوم الروح) الذى تسميه الفلاسفة بالعقل (والملائكة) الذين يسمونهم بالنفوس السماوية (صفا لا يتكلمون) وان كان يوم الشفاعة والشهادة (الا من أذن له الرحمن) برحمته اياه فى حق من يرحمه (وقال) فى الشفاعة انه يستحق العفو (صوابا) لا يعلمه بخلاف الكافر وكيف يتكلمون فى ذلك اليوم بغير الصواب مع انه (ذلك اليوم الحق) فلا يتكلم فيه بغير الصواب فى غير

(قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك) أى ليحبسوك يقال رماه فاثبته اذا حبسه ومريض مثبت أى لا حراك به (قوله عز وجل يثخن فى الارض)

الشفاعة أيضا واستحقاق هذه الشفاعة انما يكون بالرجوع الى الحق بالايمان به (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) بالايمان به والا أصابه عذاب البعد ولا يبعد عنكم (انا أنذرناكم عذابا قريبا) يكفي فيه تصور أعماله لكونه (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) مصورة بصورة جميلة أو قبيحة يتلذذ بها أو يتألم (ويقول الكافر) عند رؤيته قبح صورته في الغاية (يا ليتني كنت ترابا) اى باقيا على صورتها فهي خير من هذه الصورة * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وآله أجمعين

(سورة النازعات)

سميت بها ترغيبا في اكتساب هذه الصفة التي يتوسل بها الى الكمالات المذكورة بعدها (بسم الله) المتجلي بجلاله وجماله في أهل النازعات (الرحمن) بأهل الناشطات (الرحيم) بأهل السابحات وما بعدها (والنازعات غرقا) أقسم الله سبحانه وتعالى بالقلوب النازعة نفوسها الغرق في الشهوات غرقا بليغا (و) بالقلوب (الناشطات) في عبادته لارتفاع تعويق نفوسهم عنها (نشطا) كاملا لا يوجد معه تعب (و) بالقلوب (السابحات) في بحار المعارف (سبحا) موصلا لهم الى الاحوال والمقامات (فالسابقات) في مقامات القرب (سبقا) كاملا (فالمدبرات أمرا) للخلق بالرجوع اليهم من الحق متصفة بما يناسب صفاته لترجعن الى الله الذي تعمل له هذه القلوب فان كنتم بهذه الصفات لم يضركم شيء من الشدائد والاضطراب بها (يوم ترجف الراجفة) اى تتحرك الاجسام الساكنة حركة شديدة كالارض والجبال (تتبعها الرادفة) اى التابعة كالسماء تنشق والكواكب تنتثر فهذه (قلوب) لا تصافها باضداد تلك الصفات (يومئذ واجفة) اى شديدة الاضطراب ولا تنتفع بالنظر الى الله تعالى اذ (أبصارها خاشعة) اى ذليلة لانهم لم تتميز بهذه الصفات العزيزة وكيف لا تؤثر فيهم الراجفة والرادفة بذلك وهم كالمنكرين للموت اذ (يقولون أئنا لمردودون في الحافرة) اى القبر فان أقروا به انكروا البعث بعده اذ يقولون (أئذا كنا عظاما نخرة) أى رميمة نبعث فان بين لهم بالدلائل الواضحة (قالوا) ان صح ما قلتم (تلك) الرجفة (اذا كرة) أى رجعة (خاسرة) أى منسوبة الى الخسران ولا وجه لاستبعادها لانها مرتبة على نفخة الصور ولا بعد فيها (فانما هي) اى النفخة التي يترتب عليها الراجفة والرادفة (زجرة واحدة) لدفع الارواح من الصور الى الابدان (فاذا هم) ملتبسون (بالساهرة) اى بالابدان المتيقظة فان زعموا انه لو كان للقلوب السابقة تدبير الخلائق لم يبق في الارض فساد يقال للسائل (هل أتاك حديث موسى) من كبار السابقين (اذ) بلغ من مقام القرب الى حيث (ناداه ربه بالواد المقدس طوى) اى الذي طوى فيه الالتفات الى الغير وقد بعثه الله لاصلاح أمر فرعون اذ قال له (اذهب الى فرعون) لتدبيره بما يصلحه (انه طغى) أى جاوز حده بدعوى الربوبية (فقل) له أولا (هل لك) رغبة (الى أن تزكى) عن الرذائل التي هي منشأ الطغيان (و) هل لك الى أن (أهديك الى ربك) الذي رباك باعطاء الملك فاعرفك ذاته وصفاته وأفعاله (فتخشى) أن يسلبك الملك ويذيقك البأس مكان النعم

فان

أي يغلب على كثير من الارض ويبالغ في قتل أعدائه (قوله عز وجل أي يعينوا يظاهروا عليكم (قوله عز وجل عليكم) أي يشاجرون يشاهون)

فان خشيت اعطاك ملك الآخرة الذى يعطيه المتقين فقال له فرعون لابد لمعرفة كونك مزكيا هاديا من آية (فأراه الآية الكبرى) التى لا يعرضها الشك (فكذب) بكونها آية (وعصى) بترك الرغبة فى التزكية والهداية وباختيار الطغيان (ثم) لما علم انه وقع بقلوب الحاضرين صدقها (أدبر) أى التفت (يسعى) فى ابطالها (فحشر) اى جمع السحرة لمعارضتها وانطلاق لابصار تلك المعارضة (فنادى) قبلها تهوينا لامره وتكذيبا له (فقال أنا ربكم الاعلى) فلو كان للعالم رب فهو دونى فرد على موسى تدبيره (فأخذه الله) بدل تقريبه لو قبل تدبيره (نكال) الكلمة (الآخرة) أنا ربكم الاعلى (و) الكلمة (الاولى) ما علمت لكم من اله غيرى والدنيا وان لم تكن دار جزاء فعله به ليكون عبرة (ان فى ذلك لعبرة) لمن بعده نافعة (لمن يخشى) الله فلا يعتمد على ملكه وقدرته وهذه العبرة وان لم تطرد فى الدنيا فلابد من اطرادها فى الآخرة فان استبعدتم الآخرة قيل لكم (ءأنتم أشد خلقا) اى أصعب ايجادا (أم السماء) التى هى أعظم مقدارا أو أكثر تفصيلا لجمع ما فيها من وفور القوة الجسمية اذ (بناها) بناء قويا لا يبلى بكثرة حركاتها مدة متطاولة ووفور القوة الروحانية اذ (رفع سمكها) اى ارتفاعها من غير عمد ولا اعتماد على الجدران وقواها بالنجوم (فسواها) اى عدلها فعلق بها نفوسا كاملة (و) جعلها مؤثرة بالتبريد والتسخين اذ (أغطش) أى أظلم (ليلها) فلم يجعل لها شعاعا مسخنا (وأخرج ضحاها) وجعل له شعاعا (و) لما كان لليلها ونهارها تبريد وتسخين وهى غير قابلة لهما جعل قابلهما الارض ومن ثمت (الارض بعد ذلك دحاها) اى بسطها ومن اجتماع الحرارة والبرودة فيها (أخرج منها ماءها و) من الماء والتراب مع الحرارة أخرج (مرعاها و) لحفظ المياه فيها (الجبال أرساها) وانما فعل ذلك (متاعا لكم ولانعامكم) فيختص بمدة بقائهما (فاذا جاءت الطامة الكبرى) اى الداهية العظمى المفنية لهما انشقت السماء واندكت الارض وهذه الطامة عليهما لما كانت لاجل غضب الله على الانسان بسبب مساعيه كانت (يوم يتذكر الانسان ماسعى و) كيف لا يتذكر وقد (برزت الجحيم لمن يرى) وهذا الغضب وان بلغ ما بلغ لا يعم أثره جميع الناس بل ينقسمون قسمين (فأما من طغى) بمجاوزة حد من حدود الله (و) أعظم أسباب الطغيان حب الدنيا بحيث (آثر الحيوة الدنيا) على الله وثوابه (فان الجحيم هى المأوى) لكونها مأوى البعداء عن الله بايثار الغير عليه (وأما من خاف مقام ربه) فلم يطغ فى حد من حدوده (و) لم يؤثر الحياة الدنيا لانه (نهى النفس عن الهوى) التى لاجلها يؤثر الحياة الدنيا (فان الجنة هى المأوى) واذ ذكرت كون الجحيم مأوى الطغاة المؤثرين الحياة الدنيا وكون الجنة مأوى الخائفين الناهين النفس عن الهوى وان ذلك يكون بعد الساعة (يسئلونك عن الساعة) التى يكون ذلك بعدها (أيان مرساها) أى فى أى آن استقرارها المزيل للشك فيها ولا يسألون بالتوبيخ فى السؤال لانه سؤال (فيم أنت من ذكراها) لكن لو بين لهم وقتها لم يكونوا ليؤمنوا بها قبل مجيئها لكن ليس اليك الاتيان بما ليؤمنوا بل (الى ربك منتهاها) ولو أمكنك الاتيان بها لم يلزمك لتصديقهم بل (انما أنت منذر من يخشاها) والخاشون لا يسألون عن وقت ارسالها

والمناهاة معارضة الفعل بمثله يقال ناهيته أى فعلت مثل فعله (قوله عز وجل يحاد الله ورسوله) أى يحارب ويعادى وقيل اشتقاقه من اللغة كقولك

لانه سؤال استبعاد وهم لا يستبعدونها كما لا يستبعدها من يراها حين وجودها ويتحقق له قربها (كأنهم يوم يرونها) يعتقدون فى قربها انهم (لم يلبثوا) فى الدنيا والبرزخ (الا عشية أو ضحاها) اى ضحى يومها * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة عبس)

سميت به ليصير عتابه عز وجل على من اعرض عن أدنى المسترشدين حالا بشغله عن أحسنهم حالا علما بسورة من كتابه دلالة على عظيم عنايته بالمسترشدين (بسم الله) المتجلى بكمالاته للمسترشدين (الرحمن) بعتابه على من أعرض عنهم ليصرفوا عنان همتهم الى ارشادهم (الرحيم) بتقديم من كان أدنى حالا منهم على من كان أحسن حالا من غيرهم روى أنه أتى ابن أم مكتوم رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعو صناديد قريش الى الاسلام فقال يارسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله وكرر النداء فظهرت الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال فى نفسه هؤلاء يزعمون أن أتباعه العميان والعبيد والسفلة وأعرض عنه فأنزل الله تعالى (عبس) اى كلح وقطب وجهه (و) لم يقتصر عليه بل (تولى) أعرض أيضا لا لاجل قصد اسلام الصناديد وأتباعهم اذ لا عبرة له مع عدم اسلامهم بل لاجل (أن جاءه الاعمى) مع انه بعث رحمة للعالمين وهداية لهم وأولى الناس بالرحمة الضعفاء سيما العميان وبالهداية المسترشدون ولم يخاطبه أولا لغيبته عن أمر الحق وان كان فى دعوة عباده اليه على انه لما غاب عن مطالب من أراد الحضور مع الحق جعل فى حكم الغائب عنه ثم خاطبه ثانيا كمن يشكو الى الناس من جفى عليه حتى اذا حمى فى الشكاية أقبل عليه يخاطبه وهنا لم يكن من يشكو عنه عنده فشكى عنه عنده ثم هذه الكراهة أولى أن تكون فى حق من عمى قلبه (وما يدريك) أنه عمى قلبه فان كان فى الحال (لعله يزكى) فيصير قلبه مرآة تنتقش فيه الغائبات فيدرك ما لا يدركه بصر العين الظاهرة (أو) لا يتزكى فلعله (يذكر) تذكرا لا يشوبه وهم وخيال (فتنفعه الذكرى) بجر المنافع ودفع المضار الحقيقية خيرا مما يجره ويدفعه بصره الظاهر وان رخص فى الاعراض عنه فلاجل ارشاد مسترشدين آخر (أما من استغنى) عن ارشادك بل عن الله وثوابه (فأنت له تصدى) اى تتعرض لارشاده معرضا عن المسترشد (وما عليك) شئ من البأس فى (ألا يزكى) هو ولا أتباعه فان أفادك الحرص على ايمانهم فلا يكون مثل ما يفيدك ارشاد المسترشدين لكن كأنك رأيت الفائدة الكلية فى الحرص على ارشاد المستغنى (وأما من جاءك يسعى) فى طلب الارشاد (وهو يخشى) فواته (فأنت عنه تلهى) أى تتشاغل كأنك لا تبالى افائدة ارشاده (كلا) زجر بعد العتاب أن تعود الى مثله (انها) اى دعوتك (تذكرة) لله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه وجزائه اختيارا لا يشوبه الجاء كما يشعر به الحاحك للمستغنى (فمن شاء ذكره) اى الله ذكرا يثبت (فى صحف) للملائكة (مكرمة) يكون المذكور فيها أكرم من كرام قريش استغنوا كيف وقد اتصفت

يحاد الله ورسوله أى يكون فى حد والله ورسوله فى حد (قوله يؤفكون) أى يصرفون عن الخير ويقال يؤفكون يحدون من قولك رجل محدود أى محروم

بوصف (مرفوعة) الى الله ولا سيما من جهة مناسبتها له باعتبار اتصافها بوصف (مطهرة) ليس فيها رياء ولا عجب ولا قادح آخر ولكونها مكرمة تكون (بايدى سفرة) اى رسل من الملائكة (كرام) لا يسخرون مع الفجار لاتصافهم بوصف (بررة) لا يكتبون الا البر (قتل) اى لعن (الانسان ما أكفره) اذ كفر عن خصه بهذه الكرامة لو ذكره وقد كرمه بعد دناءة أصله فلينظر انه (من اى شئ) من الاشياء الذليلة (خلقه) ولما علم انه لا يجيب حياء قال (من نطفة خلقه) فأكرمه غاية الاكرام (فقدره) اى اعطاه القدرة على الاشياء (ثم) أعطاه العلم الذى به (السبيل) اليه والى ثوابه (يسره ثم اماته) ليصل الى ما عمل من أجله فى البرزخ (فأقبره ثم) ليصل الى ماله فى الابد (اذا شاء أنشره) أى أخرجه من القبر فانه لا يتخلف عن مشيئته كما لم يتخلف عنها ماذكر فان توهم من اكرامه بعد كونه نطفة انه لو اعيد انسانا أعيدا كرامه يقال له (كلا) ردع له عن هذا التوهم لانه انما أكرم أولا لانه لم يصدر عنه معصية وأما الآن فقد عصى لانه (لما يقض ما أمره) فلا يستحق الاكرام بل الاذلال بعد الاكرام كالطعام (فلينظر الانسان الى طعامه) كيف يصير رجيعا بعد ما أكرم بعناية الحق به (أنا صببنا الماء) من السماء (صبا) عجيبا الاكماء الانسان (ثم شققنا الارض) لا كشق الرحم بآلة الجماع (شقا) لا يقدر عليه النبات الضعيف (فأنبتنا فيها حبا) هو الاصل فى القوت (وعنبا) فيه اقتيات وتفكه (وقضبا) نباتا يقطع مرة بعد أخرى معين فى أكل القوت (وزيتونا) دهنية وادام (ونخلا) يقتات به الضعفاء ويتفكه به الاغنياء (وحدائق غلبا) بساتين ملتفة تشتمل على فوائد كثيرة من الادوية وغيرها (وفاكهة) خارجة عن هذه (وأبا) تأكله الانعام أحسن بذلك (متاعا لكم ولانعامكم) لتشكروه فان كفرتم (فاذا جاءت الصاخة) اى صيحة القيامة عذبكم عذابا لا يخلص منكم عنه أحد لانه (يوم يفر المرء من أخيه) الذى هو أحب من الاجانب (وأمه) التى هى أحب من الاخ (وأبيه) الذى هو أحب من الام (وصاحبته) التى هى أحب من الابوين (وبنيه) الذين هم أحب منها اذ لا يقدر على الشفاعة لهم ولا على اعطائهم شيأ من حسناته بل لا يمكنه الالتفات اليهم اذ (لكل امرئ منهم يومئذ) لشدة أهواله (شأن يغنيه) عن شؤن غيره بل أهل الدرجات يفرون عن أهل الدركات اذ (وجوه يومئذ) لظهور النور الالهى فيه (مسفرة) مضيئة بقبول النور منه (ضاحكة) من الانعام عليهم والاكرام لهم (مستبشرة) بترقى درجاتهم كل يوم (و) هذه تنفر عن اضدادها اذ (وجوه يومئذ) من شدة أهواله (عليها غبرة) غبار من الذلة لاجل فجورهم (ترهقها) اى تغشاها (قترة) اى سواد وهو وان كان تحته لكنه لكونه أثر الكفر يغلب فيعلو الغبار اذ (أولئك) البعداء عن التنور بالنور الالهى (هم الكفرة الفجرة) الذين حجبهم كفرهم وفجورهم عن الاستنارة بنور ربهم

* تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وآله أجمعين

* (سورة التكوير) *

(قوله عز وجل يغضون) معناه ينقصون (قوله عز وجل يفات الناس) يطرون (قوله عز وجل يهرعون) أى يستحثون ويقال يهرعون

سميت به لانه أعظم حوادث ذلك اليوم على المطلوب بالذات بلا معارض بخلاف كشط السماء لانها مطلوبة لكواكبها وبخلاف تسعير الجحيم لانه معارض بازلاف الجنة على ان التكوير أعظم أسباب الانكشاف اذ كان نورها كاشفا من المحسوسات الحاجبة عن المعقولات فانكشفت باحتجابها (بسم الله) المتجلي بجلاله في هذه الحوادث وبجماله في الكشف عن الحقائق (الرحمن) باطلاع النفس في تلك الاهوال (الرحيم) باعلامها قبل وقوعها للاستعدادلها (اذا الشمس كورت) اى لف نورها فذهب انبساطه وكان نورها مقويا للحياة حتى يجد المريض خفة عند طلوعها فتكويرها يضعف تعلق الناطقة بالبدن فيزيد تجردها الكاشف فيكشف عن النبات والهيآت النفسية (واذا النجوم انكدرت) وهي مقوية للحواس الشاغلة بالمحسوسات وكان انكدارها كاشفا عن المعقولات (واذا الجبال سيرت) وكانت أوتاد الارض فتسييرها ابطل مهاديتها وهو مضعف للبدن فيضعف تعلق الناطقة به فيكشف لها (واذا العشار) جمع عشراء ناقة أتى على حملها عشرة أشهر (عطلت) وتعطيل الاموال سيما أحبها مضعف للبدن لان قوته بالمال (واذا الوحوش حشرت) أي جمعت وجمع غير المألوف مضعف للبدن (واذا البحار سجرت) اى أحميت وهو منشأ الرياح الحارة المبطلة اعتدال البدن الذى به تعلق الناطقة فيضعف (واذا النفوس زوجت) اى قرنت بالشياطين ومقارنة لعدو على انه يذكرها كامن السوء لتتعذب عذابا عقليا فوق الحسى (واذا الموؤدة) أى البنات التى دفنتها الامهات حية (سئلت بأى ذنب قتلت) وهو يظهر ما فى قلوب الابوين من كراهة خلق الله أوقلة الثقة بضمانه (واذا الصحف) التى كتب فيها الاعمال (نشرت) ليكشف عنها (واذا السماء كشطت) أى قلعت فتنزل الملائكة الصاعدة بالصحف وغيرهم (واذا الجحيم سعرت) أي أوقدت ايقادا شديدا وهو لكونه فى حق كل عامل بمقدار عمله يكشف عن الاعمال (واذا الجنة أزلفت) أى قربت من المؤمنين وهو أيضا كاشف عن مقادير أعمال الخير لان ازلافها بقدرها (علمت نفس) هى الناطقة (ما أحضرت) من نياتها وهيآتها واذا ظهرت الاسباب وزال ضعف بعضها باجتماعها (فلا) حاجة الى القسم على المسبب فان احتججتم فانى (أقسم بالخنس) أى بالكواكب الراجعة تارة (الجوار) أى السائرة على الاستقامة أخرى (الكنس) المختفية تارة فيجوز للنيات والهيآت الحاضرة للنفس الآن أن ترجع فتزول عن الخواطر وأن تجرى على الاستقامة فيظهر لها أثر وان تختفي فيضعف ذلك الاثر ويظهر ضده (والليل اذا عسعس) أى اظلم فتظهر الكواكب ويخفي ما الجو فيجوز للنيات والهيآت أن تظهر وتختفي آثارها السابقة بظهور أضدادها (والصبح اذا تنفس) أى أقبل فاستترت الكواكب وظهر ما فى الجو فيجوز ان يظهر للنيات والهيآت آثار كانت مستترة وتختفي ما كانت ظاهرة من قبل (انه) أى ان هذا القرآن المتضمن لهذا البيان (لقول رسول) وهو جبريل عليه السلام حكاية عن قولى من غير تغيير لاتصافه بوصف (كريم) ولا يتأتى منه التغيير ولو فرض انه وان لم يغير لضعف لكنه متصف بوصف (ذى قوة) كيف

أى بسرعون فأوقع الفعل بهم وهو لهم فى المعنى كما قيل أولع فلان بكذا وزهى زيد وارعد عمرو فجعلوا مفعولين وهم فاعلون وذلك ان المعنى أولعه

وهو متصف (عند ذي العرش) بوصف (مكين) وقد بلغ فيه الى حيث اتصف بوصف (مطاع ثم) أي في الملائكة وقرئ ثم تعظيما على الاول انما يمكن هذا التمكين لاتصافه بوصف (أمين) فلا يتصور منه التغيير فيما أرسل به (وما صاحبكم) يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي عرفتم كمال عقله بطول صحبته (بمجنون) مختل الخيال حتى لا يعتمد برؤيته صور الملائكة بقوة الخيال لان هذه القوة صحيحة من الصحيح وفاسدة من المجنون فساد سائر الحواس بالآفات العارضة ولذلك تعتبر صور الرؤيا الا من المختلين بعوارض تفسد القوة الخيالية (و) لم يعرفه بهذه الصورة فقط بل (لقد رآه) بحقيقته عند اتصاله (بالافق المبين) للحقائق فعرفه في كل صورة رآه من بعد وانما ظهر من بعد في هذه الصورة لانه لا يمكن أخذ الوحي من حقيقته (و) لا بد من انزال الوحي لان الله تعالى (ماهو على) اظهار (الغيب بضنين) أي بخيل ولا يمكن الا بارسال ملك على صورة بشر هذا اذا قرئ بالضاد وان قرئ بالظاء فمعناه كيف يشك في رؤيته رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه ماهو على اخباره عن الغيب بمتهم (و) ليست هذه الصورة صورة الشيطان والا لكان القرآن قول الشيطان لكنه (ماهو بقول شيطان رجيم) لانه لما رجم فليس له همة سوى اضلال من رجم من أجله والقرآن ارشاد محض واذا ظهر أنه قول الرسول الامين والرائي اعتمد على رؤية حقيقته أولا والحق غير مجمل والقرآن ليس بقول شيطان رجيم بل ارشاد محض (فأين تذهبون) الى القول بأنه مفترى وكيف يتصور مع انه (ان هو) أي ماهو (الا ذكر) أي شرف (للعالمين) وصل اليهم تعظيما لهم بما يوصلهم الى الكمالات النظرية والعملية فان لم يتعظم به الكل فهو تعظيم (لمن شاء منكم أن يستقيم) حتى تكمل قوتاه النظرية والعملية (و) لكن (ماتشاؤن) الاستقامة (الا أن يشاء الله) أن يقهرهم عليها لكن لا ينافي ذلك عموم ربوبيته للمستقيمين وغيرهم اذ هو (رب العالمين) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة الانفطار)

سميت به لانه أعظم أسباب تعلق العقول والنفوس السماوية بالنفس الانسانية حتى علمت ماقدمت وأخرت (بسم الله) المتجلي بجلاله في السماء والكواكب والبحار وبجماله في القبور (الرحمن) باطلاع النفوس على ماقدمت وأخرت (الرحيم) باعلامه قبل وقوعه للاستعداد له (اذا السماء انفطرت) أي انشقت فبطل تعلق النفوس السماوية بها فبطل تعلق العقول بتلك النفوس فتعلقتا بالنفوس الانسانية ليظهر لها كليات معاني ماقدمت وأخرت وجزئياتها (واذا الكواكب انتثرت) والنفوس السماوية كانت متعلقة بتلك الكواكب أولا فانضمت الى النفوس الانسانية لمناسبتها لها فصار لها الاطلاع على المعاني الجزئية لما قدمت وأخرت (واذا البحار فجرت) اي فتحت بعضها الى بعض فصار الكل واحدا فاختلطت المواد السماوية بالارضية التي منها البدن فتعلق بها العقول والنفوس التي كانت متعلقة بالمادة السماوية (واذا القبور بعثرت) قلب ترابها فلا يبعد أن تنقلب المعاني الخفية والجلية

طبعه وجبلته وزهاء ماله أو جهله وأرعده غضبه أو وجعه وأهرعه خوفه ورعبه والهمدة الدالة خرج هؤلاء الاسماء مخرج المفعول بهم ويقال لا يكون الا هراع

للاعمال فتصير الخفية جلية والجلية خفية (علمت نفس) المعانى الكلية والجزئية لكل (ماقدمت) الى الله تعالى من خير أو شر بفعله (وأخرت) منهما بتركه فلما قدمت شرا وأخرت خيرا فكان يشف عن معانيهما الكلية والجزئية قيل له (يا أيها الانسان) الذى حقه الانس بالحق والخيرات لكن تأنست بغير الله وبالشرور (ماغرك) من نفس وشيطان وخلق ودنيا (بربك) الذى رباك باعتبار اتصافه بوصف (الكريم) لانه (الذى) بمقتضاه (خلقك) اى قدر وجودك (فسواك) أى سوى مزاج بدنك بتسوية الطبائع من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة (فعدلك) اى عدل أركان بدنك بجعلها متساوية المقدار حفظا التسوية المزاج ليحفظ عليك لتحفظ أوامره ونواهيه ثم بمشيئته المحضة (فى أى صورة ما) من الصور الجميلة والقبيحة (شاء ركبك) أى جعل تركيب أعضائك لتخاف مشيئته فى تحسين صورتك فى القيامة أو تقبيحها فان زعمتم انكم تغترون بكرمه السابق قيل لكم (كلا) لا تغترون بكرمه لانه فرع الاقرار بالجزاء وأنتم لا تقرون به (بل تكذبون بالدين) أى بالجزاء الذى وصفه من كرمه لتطيعوه فيصلح لكم أمور الدارين ولا تعصوه فيفسد عليكم أمورهما (وان عليكم) من كرمه (لحافظين) من الملائكة (كراما) بكم لكونهم (كاتبين) لاعمالكم الحسنات لتستزيدوها اعتمادا على عدم ضياع شئ منها والسيآت لتحترزوا عنها مخافة أن تحاسبوا على جميعها ولا يفوتهم شئ من أعمالكم الظاهرة والباطنة لانهم (يعلمون ماتفعلون) فى الظاهر والباطن لكنهم انما يكونون كراما فى حق الابرار (ان الابرار) من احصائهم لحسناتهم كأنهم الآن (لفى نعيم و) يكونون كاتبين لا غير فى حق الفجار (ان الفجار) من احصائهم لسيآتهم كأنهم الآن (لفى جحيم) لكنهم لا يبالون لذلك انما يبالون له يوم الدين لانهم (يصلونها يوم الدين) وانما لا يبالون له اليوم لغيبتهم عن الجحيم (وماهم عنها) يوم الدين (بغائبين و) لو غابوا عنها تكفيهم شدائد يوم الدين فانه (ما أدراك مايوم الدين) فى شدائده فشدائده ليست دون شدائد الجحيم (ثم) ان جعلت شدائده كشدائد الجحيم (ما أدراك مايوم الدين) ويكفى من شدائده انه (يوم لا تملك نفس لنفس شيأ) من الشفاعة والنصر (والامر) فى شفاعة من تنفعه الشفاعة (يومئذ) لظهوره بغاية عظمته فيه (لله) فمن ارتضاه من وجه أمر الشفعاء بشفاعته والافليس لهم شفاعة أصلا • تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

•(سورة المطففين)•

سميت به لدلالته على ان من اخل بأدنى حقوق الخلق استحق أعظم ويل من الحق فكيف من اخل بأعظم حقوق الحق من الايمان به وبآياته ورسله (بسم الله) المتجلى بجلاله وجماله فى المكاييل والموازين اذا كانت جائرة أو عدلة (الرحمن) بتعريف مقادير الاشياء بهما ليقيسوا مقادير الاعمال (الرحيم) بحفظ حقوق الخلق بهما (ويل) أى قبح شنيع وبلاء عظيم لاعمل أدناه على أعظم الامور لازم (للمطففين) أى الآخذين طفيفا أى حقيرا

من

الاسراع المذعور وقال الكسائى والفراء لا يكون الاهطاع الا اسراعا مع رعدة (يسبغه) أى يجيزه (قوله عز وجل تبروا تتبيرا) يدمروا ويخربوا والتبار الهلاك

من حقوق الخلق وهم (الذين اذا اكتالوا) أى أخذوا الكيل مستعلين (على
الناس يستوفون) أى يطلبون الزيادة على ايهامهم انها تمام الكيل واذا فعلوا ذلك فى
الكيل الذى هو أجل مقدارا فى الوزن بطريق الاولى (واذا كالوهم) أى اعطوهم
الكيل (أو وزنوهم) فانه وان قل مقداره فلا يتركونه بحاله بل (يخسرون) فيه
أيضا باخراج شئ بعد شئ ولما جمع بين الامرين لان من استوفى فى الاخذ والعطاء أونقص
فيهما لم يكمل الويل عليه لان أحدهما يجبر بالآخر (الايظن) فضلا عن الاعتقاد الجازم
(أولئك) البعداء عن النظر فيما يقبح (أنهم مبعوثون) لاقامة العدل عليهم واسترداد
حقوق الله وحقوق الخلق منهم (ليوم عظيم) تعظم فيه الشدة على ما يستحقر من القبائح
مع مزيد الفضيحة لكونه (يوم يقوم الناس لرب العالمين) الذى يقتضى عموم ربوبيته ايفاء
الحقوق ثم قال (كلا) زجر عن هذا التطفيف فانه وان كان اتساعا دنيويا فهو عين
الوقوع فى ضيق الآخرة (ان كتاب الفجار) الذى كتب فيه أسماؤهم وأعمالهم (لفى
سجين) مبالغة فى السجن وهم فى أشد تضييق منه (وما أدراك ما سجين) أى ما غاية
تضييقه حتى سرى التضييق منه الى الكتاب الذى هو فيه فهو (كتاب مرقوم) كتب فيه
أسماء الفجار وأعمالهم ليقرأ على رؤس الخلائق فيفتضحوا وكفى به ضيقا مع انه لا يقتصر
عليه بل (ويل يومئذ) لكونه يوم الشدائد والاهوال (للمكذبين) بان حقوق الخلق
تسترد فهؤلاء هم (الذين يكذبون بيوم الدين و) هم يستحقون أعظم أنواع الويل لانه
(ما يكذب به الا كل معتد) جاوز حد الاقتصاد لانه مكذب لدوام ربوبية الله عليه وقدرته على
البعث وعدله باسترداد الحقوق كيف وانكاره يوجب الاجتراء على الآثام بحيث يتصف
بوصف (أثيم) وكفى فى اعتدائه واجترائه على الآثام انه (اذا تتلى عليه آياتنا) المنسوبة
الى عظمتنا الدالة على دوام ربوبيتنا وقدرتنا على البعث والجزاء واسترداد الحقوق (قال)
من اعتدائه واجترائه (اساطير الاولين) أى أكاذيبهم التى سطروها (كلا) زجر عن هذا
القول اذ لم يصدر عن دليل أوكشف (بل) منع منهم النظر والكشف لانه (ران) اى
غطى (على قلوبهم) هيئات (ما كانوا يكسبون كلا) زجر لهم عن ترك التصفية عنها
(انهم) لو تركوها (عن ربهم يومئذ) أى يوم ظهوره بالتجلى الشهودى (لمحجوبون)
بها فيفوتهم رؤيته التى هى أعظم اللذات (ثم) لا يقتصر على فواتها بل (انهم لصالوا الجحيم)
بل صليها انما يتم بمنع الرؤية لئلا يعارض آلامها لذة الرؤية (ثم يقال) ضما للعذاب العقلى الى
الحسى (هذا الذى كنتم به تكذبون) انه يتضمنه معاصيكم تضمن الحلاوات للسم
فى بعض الاطعمة يكذب بسمه الناظر الى حلاوته ثم يجد أثر السم. (كلا) زجر آخر عن ترك
التصفية عن هذا الرين كأنه يقول ان لم تبالوا لضرر تركها فكيف لا تبالون لفوات
فائدتها افاقل فوائدها انها ان لم تلحقكم بالمقربين تجعلكم من الابرار (ان كتاب الابرار لفى
عليين) بتبعيتهم (وما أدراك ما عليون) فى اتساعه وكثرة فضائله فهو كالمحيط بالنسبة الى

(قوله عز وجل ينغضون
اليك رؤسهم) أى يحركونها
استهزاء منهم قوله عز
وجل يزجى) أى يسوق
(قوله عز وجل يشعرن)
أى يعلمن (قوله عز وجل

المركز وقد حصلت فضائله الكتابهم فيه اذ هو (كتاب مرقوم يشهده المقربون) من حملة
العرش وكفى بشهودهم فضيلة له ولمن كتب فيه أسماؤهم وأعمالهم ومن فوائد شهودهم
انهم يفيدونهم النعم (ان الابرار) كأنهم الآن (لفي نعيم) يتلذذون باعمالهم
ومعارفهم وكأنهم في تلك اللذة كالملوك (على الارائك) من الفطر الصحيح (ينظرون) في
اسرار ربهم وأعمالهم له فتتلذذ بها بواطنهم ثم تسري الى ظواهرهم بحيث (تعرف في وجوههم
نضرة) أي بهجة (النعيم) الباطن وكيف لا وهم (يسقون) بهذا النظر (من رحيق)
هو خمر المحبة (مختوم) على غيرهم (ختامه) بدل الطين روائح القرب كأنها (مسك وفي
ذلك) لا في التطفيف المفضي الى اللذات الحسية التي يشاركه فيها البهائم (فليتنافس)
اي فليرغب (المتنافسون) الراغبون في الشئ النفيس وكيف لا يتنافس فيه (ومزاجه
من تسنيم) أي منهل عال كان (عينا يشرب بها) صرفا (المقربون) ومع عظم هذه
اللذات بحيث لا نسبة للذات الحسية اليها ينكرها المجرمون كل الانكار (ان الذين
أجرموا) من المطففين والمكذبين (كانوا من الذين آمنوا) فآثروا اللذات الحقيقية على
الحسية (يضحكون) لاعتقادهم انهم فوتوا كل شئ لما ليس بشئ سوى انه أمر متوهم
متخيل (و) لا يقتصرون على الضحك بل (اذا مروا بهم يتغامزون) مبالغة في السخر
(و) لاعتقادهم ان اللذات منحصرة في الحسية (اذا انقلبوا الى أهلهم) فاجتمعت لهم
تلك اللذات (انقلبوا فكهين) أي معجبين بانهم اوتيتهم شئ من الكمالات (و) يرون
اعتقاد ما ليس عندهم من الكمالات كالاضلال لا لذلك (اذا رأوهم) أي الذين يؤثرون الكمالات
الحقيقية على الحسية (قالوا ان هؤلاء لضالون و) ليس لهم ان يقولوا ذلك لانهم ان
ارسلوا لحفظ الكمالات على أنفسهم (ما أرسلوا عليهم حافظين) كمالاتهم بل انما يحفظون
كمالاتهم مادامت الدنيا فاذا ارتفعت انقلب الامر (فاليوم الذين آمنوا) فآثروا
الكمالات الحقيقية (من الكفار) المنكرين لتلك الكمالات المرجحين عليها الكمالات
الحسية الفانية (يضحكون) لوجدانهم جميع كمالاتهم وانقطاع كمالات الكفار عنهم وكيف
لا تكمل كمالات المؤمنين مع انهم (على الارائك ينظرون) الى الله تعالى والى انقطاع
كمالات الكفار وفضائحهم فيقال لهم (هل ثوب) أي جوزي (الكفار ما كانوا يفعلون)
من الضحك والتغامز والتفكه والاضلال * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الانشقاق)

سميت به لان انشقاقها على أمر الله عز وجل مع كونه أشق الاوامر من غير عاقبة ثواب
أو عقاب أعظم حجة على الانسان (بسم الله) المتجلي بكمالاته على السماء والارض حتى رأتا
جماله في امتثال أوامره وجلاله في مخالفته (الرحمن) على الانسان بجعل تكاليفه سببا
للوصول الى ثوابه أو عقابه (الرحيم) باقامة الدلائل على ذلك (اذا السماء) التي هي

منشا

يحاوره) يخاطبه يقال تحاور
الرجلان اذا رد كل
واحد منهما على صاحبه
والمحاورة الخطاب من
اثنين فما فوق ذلك (قوله
جل ذكره بقاب كتبه على

منشأ روحانية الانسان (انشقت و) لم يكن انشقاقها لضعف بنيتها بل لانها (أذنت) أي سمعت أمر ربها انذلالا (لربها و) لم يكن تذللها مما لا يليق بعظمتها بل (حقت) أي كانت جديرة بالتذلل له (واذا الارض) التي هي منشأ جسميته (مدت) أي بسطت لتتسع لقيام الناس عند ربهم (وألقت ما فيها) من اجزائهم ليحصل لوم القيام بجميع أجزائهم (وتخلت) عما تعلق بها من آثارهم للمجازاة عليها (و) لم يكن لها في ذلك غرض بل (أذنت لربها وحقت) لزمتك الحجة فيما أمرت لو خالفت فيقال لك (يا أيها الانسان) لست بأعظم من السماء والارض حتى تخالف أمر ربك وليس أمرهما كامرك بلا غاية من الثواب والعقاب بل (انك كادح) أي ساع للوصول (الى ربك كدحا) لتحصيل ثوابه ورضوانه وليس مجرد تخيل منك بل هو محقق (فملاقيه) مع ملاقاتك ما يحتج به عليك لو ضعفت مع نفسك وهواك وما تحتج به لو قويت عليهما وأول ما يظهر لك من تلك الحجة قوتك أو ضعفك في وصولها اليك (فأما من أوتي كتابه بيمينه) لكونه قويا على نفسه وهواها فغلبت حسناته (فسوف يحاسب) بعد حساب حسناته الغالبة (حسابا يسيرا) على سيئاته (و) هو وان عوتب على بعضها أو عوقب (ينقلب الى أهله مسرورا) لا يبالي بعتاب أو عقاب سبق بعد ما انضم سرور حسناته الى سرور ملاقاة أهله ولم يذكر من أوتي كتابه بشماله لانه وان لم يكن حسابه يسيرا فرجعه اليسير فكان في حكم الاول (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) لكون يمناه مغلولة الى عنقه لانقباضه عن الخير وكون يسراه مدخولة في بطنه مخرجة من ظهره لدخول آثار النفس راسخة في بطنه مع ادباره لامر الحق (فسوف يدعوا) بعد دعائه الشر على غل يمناه وجعل يسراه في بطنه واخراجها وراء ظهره (ثبورا) وهو جمع المكاره على حسابه (و) مع ذلك (يصلى سعيرا) من شدة الله عليه (انه كان في أهله مسرورا) بكفره ومعاصيه مع اجتماع سرور الدنيا عليه عند كونه في أهله وانما تم له هذا السرور من عدم مبالاته بالله (انه ظن أن لن يحور) أي أنه لا يرجع الى الله ولو رجع لا يجازى (بلى) يرجع اليه ويجازيه بظواهر ما عمل وبواطنه (ان ربه كان به) أي بكل ما في أعماله (بصيرا) فلا يبعد ان يكون في المعاصي مراتب يوجب أولها السرور وأوسطها الحجب أو قبائح أخر تنضم الى قبحها الاول وآخرها يكشف عن قبائحها الموجبة لدعوة الثبور وهذا واضح (فلا) حاجة الى القسم فان أحوجتموني اليه فاني (أقسم بالشفق) وهو الحمرة او البياض من أثر نور الشمس الموجب للسرور (والليل) الحاجب عن الاشياء (وما وسق) أي جمع من الظلمة كما يجمع المعصية للقبائح (والقمر اذا اتسق) أي اجتمع وتم بدرا فكشف ما ستره الليل وهو مثال ما ينكشف من قبائح المعصية بعد (لتركبن) في أمر المعصية (طبقا) أي مرتبة لها مجاوزين (عن طبق) سابق هذا واضح للعقلاء (فما لهم لا يؤمنون) بعد بيان القرآن له بغاية ما يمكن من الامثلة (و) عبارة القرآن معجزة فما لهم (اذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) تذللا لمن اعجزهم بها (بل

ما اندق فيها) أي يصفق
الواحدة على الاخرى كما
ينعل المتقدم الاسف على
ما فاته (قوله عز وجل يغادر)
أي يترك ويخلف وقد مر
تفسيره (قوله يضيقه وهما)

الذين كفروا يكذبون) بهذا البيان وباعجاز القرآن مع غاية ظهورهما (والله أعلم بما يوعون) أي يجعلون في وعاء نفوسهم من هذه القبائح (فبشرهم) على كل قبيح منها (بعذاب أليم) بدل تلذذهم بمخالفة أمر الله وحكمته وفرحهم على ذلك وظنهم ان لا رجوع اليه (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فمحوا كفرهم ومعاصيهم فلا عذاب عليهم بل (لهم أجر) على الايمان والاعمال الصالحة ومحو الكفر والمعاصي (غير ممنون) أي غير منقطع بالغفلة عن الايمان والعجز عن الاعمال لمرض أو موت * ثم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة البروج)

سميت بها لانها أشهر أسباب تعاقب الخير والشر ليدل على لعن من آذى المؤمنين بعد تمكينهم منه (بسم الله) المتجلي بكمالاته بالجمال في البروج السعيدة والجلال في النحسة (الرحمن) بخلق اليوم الموعود للجزاء لمصلح امور الخلائق (الرحيم) بخلق الشاهد والمشهود لاقامة العدل (والسماء ذات البروج) الدائرة بتعاقب الخير والشر بسعودها ونحوسها (واليوم الموعود) للجزاء (وشاهد) على أعمال بني آدم من نفسه وأجزائه والملائكة وغيرها (ومشهود) من تلك الاعمال انه لعن من آذى المؤمنين لايمانهم عند مجيء دائرة نحوسهم أو في اليوم الموعود بعد اقامة الشهود عليهم واظهار المشهود به منهم ويدل عليه فيما مضى انه (قتل) أي لعن (أصحاب الاخدود) أي الشق في الارض ليلقوا المؤمنين في (النار) التي فيها (ذات الوقود) أي الحطب الكثير تهويلا لشأنها أهلكهم بارتفاعها اليهم (اذهم عليها) أي على اطراف الاخدود (قعود) قبل ان يقوموا (و) ما أهلكهم الا بعد لزوم الحجة عليهم اذ (هم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) على أنفسهم لا يتأتى لهم انكاره أصلا روى انه كان الملك ساحر قد كبر فضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب يسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم حية حبست الناس فأخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي المرضى فعمي جليس للملك فابرأه فسأله الملك من ابرأك فقال ربي فغضب عليه وعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وذهب بالغلام الى جبل ليطرح من ذروته فرجف بالقوم فطاحوا ونجا الغلام فذهب به الى سفينة ليغرق فانكفأت بمن معه ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في أفواه السكك وأوقد فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرح فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا أماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وكيف لا ينتقم الله منهم (وما نقموا منهم الا) لعداوة (أن يؤمنوا بالله) مع استحقاقه اياه باسمه (العزيز) أي الغالب على كل ما سواه مع كثرة انعامه باسمه (الحميد) الموجب لشكره بالقلب واللسان

وبالجوارح

(قوله عز وجل يعمهون) أي يترددون منزلة الاضياف

(قوله عز وجل لان الجبارين لصاحب) أي يجارون لجاره

(قوله عز وجل بصهر) أي يذاب

(قوله عز وجل يعقب) أي يرجع

وبالجوارح وكيف يرخص فى ترك الايمان به مع انه (الذى له ملك السموات والارض) كيف وتقتضى عزته وحمده وملكه الانتقام من أعدائه سيما عند ايذائه أولياءه سيما (و) قد شهد عدواة الاعداء وولاية الاولياء وايذاء الاولين لهم لو الاتهم اذ (الله على كل شئ شهيد) واذا تم الدليل فى هذا الجزئى صح قياس الكلى عليه (ان الذين فتنوا المؤمنين) أى آذوهم لايمانهم (والمؤمنات) وان كان فى ايمان بعضهن ضعف (ثم لم يتوبوا) فالتائب وان عذب لحق الخلق فليس له هذه الشدة (فلهم عذاب جهنم) بانواعه أشد مما لغيرهم (ولهم) مع مزيد الشدة على سائر الانواع (عذاب الحريق ان الذين آمنوا) أى ثبتوا على الايمان مع ما فتنوا (وعملوا الصالحات) كالصبر والرضا وايثار جناب الله على ماسواه (لهم) فى مقابلة ما فتنوا (جنات) ينالونها عن قريب فعذابهم الدنيوى تكمن ضرولهم بحضرة محبوبه (تجرى من تحتها الانهار) فى مقابلة اجراء دمائهم فلا يبالى بعذابهم فى مقابلة ذلك اذ (ذلك الفوز الكبير) ومما يعظم به فوزهم شدة عذاب الله على من فتنهم (ان بطش ربك لشديد) بحيث لا نسبة لشدة فتنتهم اليه (انه هو يبدئ ويعيد) كل شدة عليهم (و) مع غاية شدته على أعدائهم (هو الغفور) لمعاصيهم وان عظمت لانه (الودود) المحب لهم لايمانهم وأعمالهم ومعاصى المحبوب مغفورة ولا يبعد منه شدة البطش مع عظم اللطف بالغفران والود لانه (ذو العرش) المحيط بالاجسام فلا يبعد منه الاحاطة بالافعال وقد اقتضاها اسمه (المجيد) وهو كما اقتضاها اقتضى الارادة أيضا انه هو (فعال لما يريد) ولا يبعد منه الجمع بين الانعام والانتقام فى حق الواحد (هل اتاك حديث الجنود) الذين أنعم عليهم ثم انتقم منهم كقوم (فرعون وثمود) ولا يجمع بينهما يوم القيامة فى حق الكفرة اذ لا يؤمنون بيوم القيامة ولا بجمعيته (بل الذين كفروا فى تكذيب) بجمعيته ويوم القيامة (و) لا يبطل بذلك جمعيته اذ (الله من ورائهم) أى خلف حجابهم (محيط) ومن كفرهم باحاطته كفرهم بالقرآن فانه لا ينحصر فيما يفهمونه (بل هو قرآن مجيد) وانما يظهر مجده بكماله لمن نظر (فى لوح محفوظ) فكل حرف من القرآن فيه أعظم من جبل قاف * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

وبقال بلفت (قوله عز وجل يوزعون) أى يكفون ويحبسون وجاء فى التفسير يحبس أولهم على آخرهم حتى يدخلوا النار

(سورة الطارق)

سميت به لانه الحافظ للسماء عن تطرق الشياطين اليها حفظ القرآن والقوة النظرية للانسان (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى السماء (الرحمن) بخلق الطارق لحفظ تلك الكمالات عليها (الرحيم) بحفظ النفوس الانسانية بالقرآن والقوة النظرية (والسماء) المحتاجة مع عظمتها الى ما يحفظها (والطارق) الحافظ لها عن الشياطين بأخذ عليها الطريق (وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب) للشياطين اذا رمى بشهاب ينشأ من نوره (ان) أى ما (كل نفس لما) أى الا (عليها حافظ) هو نظره فى مبدئه ومعاده بالقرآن والقوة

النظرية (فلينظر الانسان) أولا في مبدئه (مم خلق خلق من ماء دافق) ينزل دفقات نزول النتائج العلمية الدافعة للوساوس (يخرج) بعد نزوله من الرأس بطريق (من بين الصلب) عظام الظهر (والترائب) عظام الصدر نزول النظر من المفكرة في الرأس الى القلب الذى بينهما المتميزة عن الوهم والخيال والنظر لما كان من المبادى الى المطالب ثم من المطالب الى المبادى وهو نظير هذا الماء فهو دليل البعث (انه على رجعه لقادر) يرجعه بماء ينزله من تحت العرش فيخرج الحياة المكمونة في الميت (يوم تبلى) أى تظهر (السرائر) فيظهر من سر من عطل النظر في القرآن والقوة النظرية أنه عطل الحافظ (فماله من قوة) في نفسه تحفظه (ولا ناصر) خارج (والسماء ذات الرجع) أى التى ترجع في حركتها الى المواضع المتروكة (والارض ذات الصدع) أى التشقق بالنبات (انه) أى القول برجع الانسان الى الحياة المتروكة ظاهرا وبصدع الارض عنه (لقول فصل) بجزم لم يبق فيه شبهة للمنكر (وماهو بالهزل) لصدوره من الحكيم (انهم) أى القائلين بانه ليس بفصل بل هو هزل (يكيدون) أى يحتالون لدفعه (كيدا) من الشبهات (وأكيد) في دفع أقوالهم وشبهاتهم (كيدا) أعظم من كيدهم (فمهل الكافرين) بقولى حتى يظهر دينى (أمهلهم رويدا) أى زمنا قليلا فانه عن قريب يظهر دينى على الدين كله فابطل كيدهم بالكلية * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

ومنه قول الحسن لما ولى القضاء وكثر الناس عليه أى لابد للناس من وزعة من شرط يكفونهم عن الاذى (قوله عز وجل

(سورة الاعلى)

سميت به لانه مرجع البداية والنهاية كمالا ونقصا (بسم الله) المتجلى بكمالاته في اسمه الاعلى (الرحمن) على من سبحه (الرحيم) على من قرأ القرآن مستقرا بقلبه (سبح) أى نزه عن تدارك العقول والاوهام (اسم ربك الاعلى الذى) هو مرجع البداية حيث (خلق) كل شئ (فسوى) مزاجه بحسبه (والذى) هو مرجع النهاية كمالا حيث (قدر) اى اعطى القدرة على تحصيل الكمالات (فهدى) اليها بالعلم والعمل (والذى) هو مرجع النهاية نقصا حيث (أخرج المرعى) أى انبت مارعاه الحيوان رطبا اخضر او أصفر او أحمر او ابيض (فجعله غثاء) يابسا (أحوى) اسود فاذا سبحته نابيته قصرت مرجع الهداية بداية ونهاية كمال ونهاية نقص أما البداية فانا (سنقرئك) بعد تصقيل قلبك بهذا التسبيح بحيث لا يقبل الرين (فلا تنسى الا ماشاء الله) أن ينسخه فانه ربما ينسك على وفق المصالح (انه يعلم الجهر) أى المصالح الظاهرة (ومايخفى) وهذا بمنزلة تسوية المزاج الذى يتفاوت فيه بحسب المصالح (و) أما نهاية الكمال فهو أنا (نيسرك لليسرى) أى للطريقة اليسرى فلا حاجة الى المبالغة في اقامة الحجج ورفع الشبه واذا يسرنا لك الطريقة اليسرى فلا حاجة الى المبالغة في التذكير (فذكر ان نفعت الذكرى) وهذه قد تفيد منك نهاية كمال مافانه (سيذكر من يخشى) فيصل الى نهاية كمال من السعادة الابدية (و) تفيد نهاية نقص في

حق

حق الاشقى فانه (يتجنبها) من لايخشى وهو (الاشقى الذى) فى نهاية النقص لانه أضل من الانعام حيث (يصلى النار الكبرى) فيصير فحماً اسود كالغثاء الاحوى (ثم لايموت فيها) ليصير الى العدم الذى ليس فيه نهاية كمال ولا نقص لانهما صفتان وجوديتان (ولا يحيى) فيكون له نهاية كمال وهذا وان كان نهاية كمال فليس بكمال مطلق وانما هو بالتزكية لانه (قد أفلح) بنهاية الكمال المطلق (من تزكى) عن رذائل الاخلاق والافعال (وذكر اسم ربه) المنير لقلبه (فصلى) تنويراً للجوارح وتقريراً للنور القلب فله غاية الكمال المطلق ولكن أهل الشقاوة لايرونه كمالا (بل) يرون الكمال فى اللذات المحسوسة أو الجاه لذا (تؤثرون الحيوة الدنيا) التى هى كالمرعى الصائر غثاء أحوى على الله وعلى الآخرة (و) لا ينبغى ان تؤثر على الآخرة اذ (الآخرة خير) فكيف تؤثر على الله (و) لو كانت الدنيا خيراً من الآخرة لا ينبغى ان تؤثر على الآخرة اذ هى (أبقى) والدنيا فانية فهم أهل نهاية النقص وان كانوا يرونه نهاية كمال وليس هذا مما يقبل النسخ (ان هذا لفى الصحف الاولى) فلم ينسخ ولم يغير (صحف ابراهيم وموسى) قبل الزبور والانجيل فلم يختلف بحسب الازمنة كما لاونقصانا * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الغاشية)

سميت بها لما فيها من تأكيد الانذار بتهويل يوم القيامة وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الغاشية بجلاله فى الوجوه الخاشعة وجماله فى الناعمة (الرحمن) بالتخويف والتبشير (الرحيم) باقامة الادلة على ذلك (هل أتاك) استفهام تعظيم وتعجيب (حديث الغاشية) أى الداهية التى تغشى بشدائدها (وجوه) كانت قبل ذلك اليوم متعززة مستريحة عن الاعمال الشاقة والمتاعب مستلذة بالاطايب شاربة الذ المشارب آكلة أطيب المطاعم المسمنة المشبعة (يومئذ خاشعة) متضرعة متذللة ولو كان لهم خشوع فى الدنيا لكان لهم أعظم ثواب سيما اذا كان فى عمل من الاعمال الصالحة وهى هنالك (عاملة) يكلفون ارتقاء جبل من حديد فى النار وبمعالجة السلاسل والاغلال وبالخوض فى النار كالابل فى الوحل لكنها (ناصبة) أى تاعبة تعباً لا يعقبه ثواب بل ثوابها أشد تعباً منها اذ (تصلى) بدل استلذاذهم بالاطايب (ناراً حامية) أى شديدة الحر كأن غيرها من النيران لا حرارة لها ولا يعينهم عليها ماء بارد بل (تسقى) بدل شربهم الذ المشارب (من عين آنية) أشد حراً من النار باضعاف ثم من أثر الحرارة يتسلط عليهم الجوع بحيث يكون عذابه أشد من عذاب النار لكن (ليس لهم) بدل المطاعم المسمنة المشبعة (طعام الا من ضريع) اى شبرق يابس هو سم قاتل يتحاماه الابل فلا لذة فيه ومع ذلك (لايسمن) فيفيد قوة تسهل عليهم تحمل العذاب (ولا يغنى) أى لايفيد شيأ (من) دفع (جوع) وفوائد الطعام هذه الثلاثة اللذة والاسمان والاغناء من الجوع ولا ينافى هذا قوله تعالى ولا طعام الا من غسلين

يحيى) المعنى فيه يجمع
(قوله عزوجل يحبرون)
أى يسرون (قوله جل
ذكره يتقدون) يتخاصمون
(قوله تعالى ينزفون

وقوله تعالى طعاما ذا غصة وقوله ان شجرة الزقوم لاختصاص كل واحد بزمن أو قوم لاشئ من هذه الشدائد لمن تحمل لها شدائد الدنيا اذ (وجوه) تحملت الشدائد فى الدنيا (يومئذ ناعمة) بنعمة العز واللذائذ الحسية (لسعيها) أى اتعابها المتعب فى الدنيا (راضية) لانهم بسببه (فى جنة) تجمع اللذات اتم مما فى الدنيا (عالية) لا يصل اليها أهوال القيامة بل ليس فيها أدنى المؤذيات حتى انه (لاتسمع فيها) كلمة (لاغية) ذات لغو فضلا عن الشتم وهذا فى مقابلة صليهم النار (فيها) فى مقابلة العين الآنية لهم (عين جارية) ماؤها أبرد واصفى (فيها) فى مقابلة خشوعهم (سرر مرفوعة) طوال قوائمها (و) فى مقابلة أعمالهم الناصبة وما آكلهم الخبيثة (أكواب) جمع كوب آنية لا عروة لها ولا خرطوم (موضوعة) فوق سررهم كلما أرادوا طعاما أوماء وجدوه فيها بلا تعب فى طلبها بالنزول عن سررهم (و) لا يتعبون فيها حال الاتكاء اذ لهم فيها (نمارق) أى وسائد (مصفوفة) ضم بعضها الى بعض صفا (و) لا فى حالتى الجلوس والرقود اذ لهم فيها (زرابى) وهى البسط العريضة (مبثوثة) أى متفرقة (أ) ينكرون خشوع وجوه وعملها ونصبها وصليها وسقيها من العين الآنية وأكلها الضريع (فلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) ذلولة مع عظم جرمها عاملة بلا فائدة لها وتصلى بحر الشمس والعطش وتأكل الشبرق قبل اليبس (و) أينكرون علو الجنة فلا ينظرون (الى السماء كيف رفعت و) أينكرون السرر المرفوعة فلا ينظرون (الى الجبال كيف نصبت و) أينكرون صف النمارق وبث الزرابى فلا ينظرون (الى الارض كيف سطحت) أى بسطت واذا كانت هذه المذكورات امثلة الامور الاخروية (فذكر) بها لكن (انما أنت مذكر) لامكره اذ (لست عليهم بمصيطر) أى متسلط (الا) على (من تولى) عن تذكرك (وكفر) بالمذكر به فانت متسلط عليه فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالشهادة عليه (فيعذبه الله العذاب الاكبر) ويسهل علينا تعذيبه (ان الينا ايابهم ثم) يسهل علينا تكثير العذاب عليهم (ان علينا حسابهم) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الفجر)

سميت به لانه أدل المذكورات على جمع الناس فى القيامة للجزاء (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى فجر عرفة (الرحمن) بجمع الخلائق فيه يومئذ لاعظم اركان الحج (الرحيم) بجعله دليل جمع القيامة (والفجر) فجر عرفة جامع الحجاج فيها لاعظم اركان الحج (وليال عشر) من أول ذى الحجة جامعات الخلق بمواضع النسك أخرهن مع تقدم أكثرهن لان فضلهن بتبعية ذلك الفجر ولما توهم من ذلك نقصهن جبره بتنكيرهن للتعظيم (والشفع) ثانى أيام التشريق جامع الناس للرمى بمنى (والوتر) ثالث ايامه الذى لا يخلو عن جمع له وأوله الذى يكثر فيه الجمع (والليل) ليل الرجوع الى مكة (اذا يسر) الناس مجتمعين فى الطريق

لقصد

و (يتزفون) يقال نزف الرجل اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف وأنزف الرجل اذا ذهب شرابه واذا ذهب عقله أيضا وأنشد

القصد بقية المناسك أو ليل الرجوع الى مزدلفة لاخذ حصى الرمى وجواب القسم محذوف
أى ليجمعن الخلائق فى مواطن القيامة للجزاء جمعهم فى هذه المواطن للنسك (هل فى ذلك)
ريبة يزيلها (قسم لذى حجر) أى عقل بل هو مصدق به بلا قسم لان الجزاء مستبعد عن عنده
بل يكاد يوجبه فان استبعدت مجازاة الجمع الكثير أولى القوة يقال لك (ألم تر) أى ألم تعلم
بالتواتر النازل منزلة الابصار (كيف فعل) فى دار الابتلاء مما يدل على فعله يوم الجزاء
(ربك) الجامع لربوبيته الكل المقتضية لاقامة العدل والانصاف فيهم (بعاد) عاد (ارم) اسم
لبنائهم (ذات العماد) أى الاساطين الكبار الرفيعة (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أى فى بلاد
الدنيا روى انه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا الدنيا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد
فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا فبنى فى بعض صحارى
عدن حصنا من ذهب وفضة وبنى فيه الف قصر منها واساسها من الجزع اليمانى واساطينها
من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل
مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة فاهلكتهم وعن عبد الله بن
قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد) أى قطعوا صخر
الجبال بوادى القرى وبنوا الفا وسبعمائة مدينة من الحجارة (وفرعون ذى الاوتاد) أى ذى
العسكر الكثير الذين لكل واحد منهم خيمة مضروبة بالاوتاد اهلكهم الله لا طمعا فى ملكهم
بل رفعا لطغيانهم لانهم (الذين طغوا) طغيانا منتشرا (فى البلاد فاكثروا فيها الفساد) بافساد
عقائد العباد وقتلهم وسبيهم وسلب اموالهم (فصب عليهم) صب المطر الكثير (ربك) الذى هو
رب من افسدوا عليهم (سوط عذاب) أى نوعا منه ينزل منزلة السوط من السيف والرمح
بالنسبة الى ما أعد لهم فى الآخرة (ان ربك لبالمرصاد) أى لمثل الجالس على رأس الطريق
ينظر المارة فيه ممن اعطاه ومنعه يرقبه كيف يعرف فيهما هل يشكر ويصبر ام يكفر ويجزع
فكيف لا يرصد المفسدين ولا يصب عليهم العذاب لكن لا ينظر فى ترصده الا من هو أهله (فاما
الانسان اذا ما ابتلاه) بالمال (ربه) الذى بالمرصاد (فاكرمه) بالجاه المكتسب منه (ونعمه)
أى اعطاه النعم بسببه (فيقول ربى أكرمن) من غير ابتلاء فيأمن مكره ويظن انه لا يفعل به
سوى ما يناسب اكرامه الاول (واما اذا ما ابتلاه) بالفقر (فقدر) أى ضيق (عليه رزقه) وان
اعطاه قدر حاجته (فيقول ربى اهانن) من غير ابتلاء فييأس منه (كلا) ردع عن اعتقاد
الاكرام فى الاعطاء والاهانة فى المنع بل لطلب الشكر وهو صرف النعم الى ما خلقت له واعطاء
المال لاكرام الناس واحقهم الايتام وهم لا يفعلونه (بل لا يكرمون اليتيم و) اعطاء المال
الزائد لمواساة الضعفاء وهم (لا يحضون على طعام المسكين و) لكن يهينون اليتيم بما هو اهانة
عندهم وهى الافقار اذ (يأكلون التراث) اذ اكلوا لهم (اكلا لما) أى مختلطا بين
ما يستحقونه بالكفالة والقدر الزائد عليه (و) أيضا اعطاء المال للتفرغ عن طلب الرزق
والاشتغال بالعبادة وهم (يحبون المال حبا جما) أى كثيرا بحيث يمنع عن عبادة الله وعن

حقوق الضعفاء (كلا) زجر عن الغفلة عن الحكمة الالهية فى اعطاء المال والجاه فان لم يتذكروا الآن تذكروا يوم القيامة (اذا دكت الارض) أى دقت وكسرت (دكا دكا) مرة بعد أخرى بحيث لا يبقى ما عليها من جبل أو بناء فهو من اسباب الخوف الموجب للتذكر (وجاء ربك) أى عرشه (والملك) يقومون بين يديه (صفا صفا) محدقين بالجن والانس وهو أيضا من اسباب الخوف المذكر (وجىء يومئذ) مع هذه الاهوال المخوفة بأعظم مخوف (بجهنم) انها تغيظ وزفير حتى تنصب على يسار العرش (يومئذ يتذكر الانسان) ما ذكر وغيره (وأنى له الذكرى) أى من أين له فائدة التذكر سوى التحسر (يقول يا ليتنى قدمت) المال والاعمال الصالحة ذخيرة (لحياتى) الابدية لكن التحسر عذاب أشد من العذاب الجسمانى (فيومئذ لا يعذب عذابه) أى عذاب التحسر (أحد) لا النار ولا الزبانية ولا الحيات ولا العقارب لانه لا نسبة للعذاب الجسمانى الى العقلى (و) العقل وان كان شأنه الالتفات الى امور كثيرة يكون بعضها حجابا عن البعض اذ (لا يوثق وثاقه أحد) فانه يمنعه الالتفات الى ما فرطوا فى جنب الله لكن هذا لمن كان ملتفتا الى غير الله غير مطمئن بالله واما المطمئن بالله فلا يلتفت الى لذة كالة الارض ولا الرؤية الملائكة ولا لجهنم بل يقال له (يا أيتها النفس المطمئنة) أى المستقرة عند الله لا تلتفت الى غيره (ارجعى الى ربك راضية) بتجلى الجمال المشهودى لك (مرضية) بما يرى فيك من نور جماله (فادخلى فى عبادى) المقربين فى مقام الرؤية وهو السعادة العقلية (وادخلى جنتى) وهو السعادة الحسية اللهم اجعلنا بمحض كرمك ولطفك منهم وان بعدنا غاية البعد عنهم فانك أكرم الاكرمين وارحم الراحمين * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة البلد)

سميت به لانه ادل على ان الانسان لا بد له من تحمل الكبد فى الدنيا والآخرة (بسم الله) المتجلى فى هذا البلد بالجلال من حيث هو محل الكبد وبجماله من حيث هو منشأ الارض التى هى منشأ بدن الانسان (الرحمن) بهداية النجدين (الرحيم) بتوفيق اقتحام العقبة (لا) حاجة الى القسم على خلق الانسان فى كبد فان انكرتم فانى (أقسم بهذا البلد) الذى هو اصل الارض التى هى أصل الانسان مع كونه واديا غير ذى زرع يقصد زائره كبدا هذا فى ذاته (و) من الكبد العارض فيه (أنت حل) أى مستحل القتل والايذاء (بهذا البلد ووالد) هو آدم المخرج من الجنة (وما ولد) فى دار المحنة (لقد خلقنا الانسان) بمقتضى اصله الترابى والمائى (فى كبد) أى فى مشقة تصيب الكبد فلا بد ان يرجع اليه فى الدنيا باعمال التكاليف أو فى الآخرة باهمالها (أيحسب) هذا المخلوق فى كبد عند اهمالها (ان) أى انه (لن يقدر عليه) أى على مكابدته فى الآخرة (أحد) اعتمادا على عزته المكتسبة من انفاق المال اذ (يقول أهلكت) أى انفقت (مالا لبدا) كثيرا على ان الانفاق انما يفيد العظمة عند الله لو انفق فى سبيله وهذا انما أنفقه رياء وافتخارا او عنادا مع الله وسيذكر ذلك عند رجوعه الى الله

(قوله عزوجل يكور الليل على النهار) أى يدخل هذا على هذا وأصل التكوير

(أيحسب أن) أى انه (لم يره أحد) فيم ولم أنفق وكيف يعتقد عدم رؤ يته مع خلقنا العينين في الاشياء ليبصروا (ألم نجعل له عينين) ومن خاق في الغير ما يبصر به كيف لا يبصر بنفسه (و) كيف لا يعلم ما فى القلب من خاق لاظهار ما فيه للغير (لسانا وشفتين و) كيف لا يسمع منه ان الانفاق كله فى سبيل الله مع انا (هديناه النجدين) أى طريق الخير والشر ولو كان هذا منفقا في سبيل الخير لاحتمل كبد الكن لم يحتمل (فلا اقتحم) أى فلم يدخل (العقبة) وهى الطريق فى الجبل والمراد العالى الشاق وذلك لصعوبة الانفاق فيه بخلاف الانفاق فى سبيل الافتخار والرياء (وما أدراك ما العقبة) سؤال تعظيم (فك رقبة) عن رق اوقتل أو حبس (أو اطعام فى يوم ذى مسغبة) أى حاجة وأولى المحتاجين الايتام سيما الاقارب وهذا لم يطعم (يتيما ذا مقربة) أى قرابة يكون اطعامه صدقة وصلة رحم (أو) المساكين وهذا لم يطعم (مسكينا ذا متربة) أى لاصقا بالتراب (ثم) اقتحام العقبة انما يفيد من (كان من الذين آمنوا و) هو وان افادهم نجاة وثوابا فلا يفيد عظمة الا ان يكونوا من الذين (تواصوا بالصبر) عن الحرام بعد أن يصبروا عنه فى أنفسهم (وتواصوا بالمرحمة) فى الحلال على الايتام والمساكين (أولئك أصحاب الميمنة) المعظمين عند الله بالانفاق (والذين كفروا بآياتنا) فانهم وان لم يصرحوا بالكفر بل لو فكوا الرقاب واطعموا الايتام والمساكين وتواصوا بالصبر والرحمة (هم أصحاب المشأمة) فهم أهل المهانة وتحملهم كبد الدنيا لا يفيدهم فى الآخرة بل (عليهم) فى الآخرة اشد مما تحملوه (نار مؤصدة) أى مطبقة لا يخرج شئ من حرها ولا يدخل نفس بارد من خارج فيها * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله اجمعين

الالف والجمع ومنه كود العمامة (قوله يوبقهن) أى يهلكهن (قوله عز

(سورة الشمس)

سميت بها لانها مثال الذات الالهية (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الشمس (الرحمن) باشراقه فى الآفاق (الرحيم) باشراقه فى الروح الانسانى (والشمس) التى هى مثال الذات الالهية (وضحاها) الذى هو مثال اشراق نورها على الكل (والقمر) الذى هو مثال الروح (اذا تلاها) أى تبعها لا القلب المكدر والنفس الامارة (والنهار) الذى هو مثال القلب الصافى (اذا جلاها) أى الشمس بتجليته القلب الذات الالهية (والليل) الذى هو مثال الرد الى عالم الشهادة (اذا يغشاها) أى يسترها ستر القلب التجلى عند الرد لصالح الخلق ودعوتهم الى الحق (والسماء) التى هى مثال الشريعة العالية (وما بناها) محيطة بعالم العناصر احاطة الشريعة بالاعتقادات والاعمال والاخلاق والاحوال والمقامات (والارض) التى هى مثال العقل من حيث انه مزرعة امور الدين (وما طحاها) أى بسطها بسط العقل لزرع الكل (ونفس) لما لم يكن لها نظير معظم يقسم به اقسم بها (وما سواها) أى سوى مزاجها لتصير قابلة للتعليم (فالهمها فجورها) بتغليب القوة الشهوية والغضبية على النظرية (وتقواها) بتغليب النظرية عليهما (قد أفلح من زكاها) بتعديل القوى فانه يشرق عليها نور العقل والشرع

والقلب الصافي والروح المنيرة بالتجلي الالهي فيصير اعلى من الملائكة (وقد خاب) أي هلك (من دساها) أي نقصها واخفاها فلم يشرق عليها شيء من ذلك فيصير ارذل من الحيوانات العجم لترجيحه القوة الشهوية والغضبية على العقلية ولم يكن ذلك للحيوانات العجم ويخاف من ذلك الافضاء الى التكذيب الموجب للهلاك الكلي كهلاك ثمود دفعه (كذبت ثمود بطغواها) التي هي جعل القوة النظرية تابعة للشهوية والغضبية (اذ انبعث) أي قام بنشاط لعقر الناقة على خلاف مقتضى العقل والشرع اتباعا للشهوة في حب انعامهم الهالكة بسببها وللغضب عليها لكونها سبب هلاك انعامهم (اشقاها) الذي هلك بسببه الكل وهو قدار بن سالف (فقال لهم رسول الله) صالح الذي انذاره انذار الله احذروا (ناقة الله) ان تعقروها ترجيحا للشهوية والغضبية على العقل (و) احذروا (سقياها) ان تحملوها الغير ترجيحا لهما على الشرع فغلبت شهويتهم وغضبيتهم (فكذبوه) في انذاره (فعقروها) فوقع المحذور وهو الهلاك الكلي (فدمدم) أي طبق العذاب (عليهم ربهم) الذي رباهم بالشرع والعقل والشهوة والغضب ليستعملوا الاخيرتين تابعتين للاوليين (بذنبهم) الذي ابطل حكمة تربيته بهما من جعل الاوليين تابعتين للاخيرتين (فسواها) أي الدمدمة على صغيرهم وكبيرهم لاستوائهم في الرضا بقتلها فكان الراضي كالفاعل (ولا يخاف عقباها) أي الدمدمة من التحسر على اهلاك من رباهم كانهم لم يخافوا عقبى السوء من جعل العقل والشرع تابعين لشهويتهم وغضبيتهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله اجمعين

(وجعل بنتا في الجاهلية) أي يربي في الحلي يعني البنات (قوله عزاسمه يستنبتون)

(سورة الليل)

سميت به لانه اجل اسباب تشتت الاعمال المقصود من هذه السورة (بسم الله) المتجلي باسمائه المختلفة في العالمين اختلافها في هذه الامور المقسم بها (الرحمن) بجعل هذا الاختلاف سبب اختلاف الجزاء (الرحيم) بالتيسير لليسرى لمن جمع فيه الخيرات (والليل) الذي هو مثال الشر في الاعمال الظاهرة والباطنة (اذا يغشى) أي يستر نور الشمس ستر الشر فيها نور الروح والقلب (والنهار) الذي هو مثال الخير فيها (اذا تجلى) أي ظهر به الشمس مثل ظهور نورهما بالخير (وما خلق الذكر والانثى) وهو مثال اجتماع الخير والشر (ان سعيكم لشتى) أي مفترق الى خير محض وشر محض وخير وشر مختلطين وهذا التفرق يوجب تفرق الطريق الموصل الى الجزاء (فاما من) اجتمع فيه الخيرات الظاهرة والباطنة بان (اعطى) المال وهو عمل الظاهر (واتقى) الرياء وهو عمل الباطن (وصدق بالحسنى) أي بالمثوبة الحسنى وهو الاعتقاد الصحيح (فسنيسره لليسرى) أي للطريقة اليسرى في جمع خيرات الدنيا وقربات الآخرة (واما من) اجتمع فيه الشرور الظاهرة والباطنة بان (بخل) فلم يعط (واستغنى) بالمال عن الله فلم يتق (و) لم يعامل معاملة التجار في اخذ الاعلى بالادنى لانه (كذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) في جمع شرور الدنيا وأهوال الآخرة اذ الاول احاطت به الانوار والثاني الظلمات (و) الاستغناء بالمال

انما يتم لو أغنى عنه فى الشدائد كلها لكن (ما يغنى عنه ماله) فى الشدائد (اذا تردى) أى سقط فى تصرفه بصرفه فى غير مصرفه مما يوجب عتابا او عقابا فلا بد فى الاستغناء به من هداية لاتتم الابنا (ان علينا للهدى) لمن استهدى منا وتوكل علينا (و) لايفتقر بالصرف فيما هديناه من سبيلنا اذ نعوضه فى الدنيا والآخرة (ان لنا للآخرة والاولى) على ان فائدة المال التلذذ بالشهوات ولا يتم لمن استغنى به عن الله فانه موجب لاشد الالام (فانذرتكم نارا تلظى) أى تتلهب وتتغيظ على المستغنى عن الله لانه يفضى الى تكذيب الله فيما وعد من الثواب والتولى عنه اذا سلب عنه المال الذى هو محبوبه فيخاف عليه من نار (لا يصلاها الا الاشقى) فلا يتوهم ربه بالمال سعادة لانه (الذى كذب وتولى وسيجنبها) أى يبعد عن تلك النار (الاتقى الذى) يتقى محبة المال وان اجتمع عنده لانه (يؤتى ماله يتزكى) أى يطلب عن محبة المال تزكية النفس عن رذائل الافعال التى من جملتها البخل (و) يدل عليه انه لا يعطيه بمكافأة نعمة لانه (ما لاحد عنده من نعمة تجزى) باعطاء المال فهو لا يعطيه (الا ابتغاء) أى طلب رؤية (وجه ربه الاعلى) فلذة رؤيته أعلى من جميع اللذات برفع حجاب حب المال (ولسوف يرضى) برؤية وجهه بدلا عن لذات رؤية المال نزلت فى أبى بكر رضى الله تعالى عنه حين اشترى بلالا ممن كان يؤذيه لاسلامه فاعتقه ليعتقه الله عن الحجب المانعة من رؤيته * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة الضحى)

سميت به لانه دليل عود الوحى مرة بعد أخرى وهو المقصود من السورة (بسم الله) المتجلى باسمائه المختلفة فى الضحى والليل ليدل على اختلاف أوقات الانبياء بالوحى وعدمه (الرحمن) بعدم موادعتهم وقلاهم عند غلبة ظلمة البشرية عليهم (الرحيم) باعادة غلبة نوره الموجبة للوحى عليهم (والضحى) أى وقت ارتفاع الشمس الذى هو مثال اشراق النور الالهى على الروح المحمدى (والليل) الذى هو مثال البشرية (اذا سجى) أى غطى كل شئ بظلامه (ما ودعك) أى ما فارقك مفارقة مودع بطول مدة غيبته (ربك) الذى رباك بتجلية نوره بلا واسطة على روحك بعدم مفارقة الضحى للنهار أو النور له بعروض الليل يزول عن قريب فيعود النهار أو الضحى (وما قلى) أى وما أبغضك بظهور بشريتك نزلت حين فتر الوحى فقال المشركون ودعه ربه وقلاه (و) ان حصل لظلام البشرية غلبة فى بعض الاوقات فالغلبة لنور الحق فى النهاية من ذلك (للآخرة خير لك من الاولى) اذ لا يكون لبشريتك هنالك غلبة أصلا (و) لغلبة نور الحق عليك هنالك دائما (لسوف يعطيك ربك) مقام الشفاعة التى تفيض منها النور على من آمن بك وأحاطت به ظلمات المعاصى (فترضى) بذهاب ظلمة البشرية عن اتباعك فان شككت فى خيريته انتهائك فانظر فى بداية أمرك (ألم يجدك يتيما) مهانا بمقتضى البشرية (فآوى) أى ضمك الى من يعزك بعزته بمقتضى اشراق نوره عليك (و) من دلائل غلبة النور الالهى عليك بعد غلبة ظلمة البشرية انه (وجدك ضالا) بغلبة ظلمة البشرية (فهدى) بغلبة

قوله أى يطلب منهم الغنى (قوله عزنكم بحيثكم) أى بالحج عليكم بتنال أحفى بالمسئلة

نوره (و) قد غلب خواص الهيته عليك بعد تغلب خواص البشرية اذ (وجدك عائلا) أى فقيرا والفقر من خواص البشرية (فأغنى) والغنى من خواص الالهية وانما أنعم عليك بهذه الاشياء لتنعم بها على خلقه فيكون دابك لاعلى شفاعتك لهم يوم القيامة (فاما اليتيم) فآوه لانه آواك لتؤوى الضعفاء اليك وأولاهم اليتيم فان لم تؤوه (فلا تقهر وأما السائل) فاغنه لانه أغناك لتغنى عباده وأولاهم السائل فان لم تغنه (فلا تنهر وأما بنعمة ربك) وهى الهداية فانما هداك لتهدى عباده وهو بالتحديث (فحدث) وقدم السائل ههنا لانه أنسب لليتيم والهداية هنا لذا بها معرفة التصرف فى الاموال * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة الم نشرح)

سميت به لدلالته بطريق التأكيد على هذا الكمال المحمدى وهو اتساع صدره بانوار التجليات الالهية (بسم الله) المتجلى بانواره فى الصدر المحمدى حتى شرحه (الرحمن) بوضع وزره عنه (الرحيم) برفع ذكره (الم نشرح) أى الم نوسع بانوار التجليات (لك) أى لتكميلك بالعلوم والشرائع (صدرك) وهو وجه القلب يلى النفس وهو أضيق مما يلى الروح فاذا اتسع صار ذلك أوسع (و) من هذا التوسيع (وضعنا) أى أزلنا (عنك وزرك) أى ثقل أداء الرسالة وكان ضيقا لانه (الذى) كان من ثقله عليك (أنقض) أى كسر (ظهرك) وكسر الظهر ضيق على النفس (و) بهذا الشرح والوضع (رفعنا لك ذكرك) بجعله مقرونا بذكرنا فى كلمة الشهادة والاذان والاقامة والخطب وبه تم الوضع لانه حصل بذلك جاه يسهل قبول قوله بعد الصعوبة وانما كان لك الشرح والوضع والرفع لانك ابتليت بعسر أداء الرسالة والسنة الالهية قرنت كل عسر بيسرين (فان مع العسر يسرا ان مع) ذلك (العسر) اذا أعيد معرفة (يسرا) آخر اذا أعيد نكرة وانما ذكر مع ههنا مع تحقق تقدم وتأخر لقرب الزمان واذا كان مع العسر الواحد يسران وقد تيسر عليك أداء الرسالة بيسر الشرح والوضع (فاذا فرغت) من أداء الرسالة (فانصب) أى فاتعب للعبادة فان مع تعبها يسرا ثواب والقرب (و) ان عسرت عليك مع ذلك (الى ربك فارغب) فانه تزيل تعبها بالكلية * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة التين)

سميت به لانه أجمع الفوائد جمع بدن الانسان اسرار الاجسام الذى به استحق الروح الجامع للكمالات فاشبه ألفاظ القرآن المتضمنة للاسرار الجامعة (بسم الله) المتجلى بجمعيته فى بدن الانسان (الرحمن) بجعله فى أحسن تقويم من جمعه أسرار الحق والخلق (الرحيم) باعلاء المؤمنين بعد ذلك اعلاء غير متناه بجعل أجرهم غير ممنون (والتين) الجامع للفوائد طعاما أسرع هضما وأكثر غذاء ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن ويقطع البواسير وينفع

(قوله عز وجل يدعون) أى يدعون (قوله عز وجل) وألحف وألح بمعنى واحد

من النقرس ولا يستضر به أحد (والزيتون) الجامع للفوائد فاكهة وادا ما ودواء وله دهن
لطيف كثير المنافع (وطور سينين) الجامع اسرار الوحي الموسوي والطور اسم الجبل الذي
ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء بمعنى الحسن (وهذا البلد الأمين) الجامع أسرار الوحي
المحمدي المأمون فيه عن تلبيس الشيطان فالأولان مثالا الأجنحة بدن الانسان أسرار الاجسام
والاخيران مثالا الأجنحة روحه أسرار العالم الاعلى (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) أي
جامع لمقومات الاشياء روحا وجسما على أحسن الوجوه (ثم رددناه) أي جميع افراده من أعلى
المراتب التي كانت له لو غلب عقله على سائر قواه (أسفل سافلين) رتبة أنزل من رتبة البهائم
(الا الذين آمنوا) فغلبوا عقولهم على خيالاتهم واوهامهم (وعملوا الصالحات) فغلبوا
عقولهم على شهواتهم وغضبهم بجاهدوا بذلك سائر القوى (فلهم أجر غير ممنون) أي غير
مقطوع بقطع المجاهدة عند استقامة قواهم فلا يزالون يرتقون أعلى مما كانوا في الرتبة
العالية فعلم من هذا ان الدين انما هو تغليب العقل على سائر القوى بعد استنارته بنور الشرع
فهذه مقدمة قطعية في تصديق الدين (فما) أي فأي شئ (يكذبك بعد) أي بعد هذه المقدمة
(بالدين) فان ادعوا كذبا لم يعتد به اذ لم يعتبره الله في مقابلة العقل المنور بنور الشرع وهو
الحاكم المطلق (أليس الله بأحكم الحاكمين) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة العلق)

سميت به لدلالته على ان الله تعالى أعز الانسان بانزال القرآن عليه كما أعز العلق بانزال روح
الانسان وصورته عليه (بسم الله) المتجلي بكمالاته في كلامه (الرحمن) بخلق الخلق صور
أسمائه (الرحيم) بخلق الانسان من علق (اقرأ) كلام ربك لا بنفسك بل (باسم ربك) وهو
وان كان قديما يمكن جعله مقروا بتصويره صور الحروف كما انه (الذي خلق) الاشياء صور
أسمائه وهو وان كان عزيزا واحدا فلا يبعد أن يظهره في محل الذلة مع الكثرة كما انه (خلق
الانسان) عزيزا متكثرا بالاعضاء (من علق) ماء مهين متحد لا اختلاف فيه (اقرأ و)
لا تستبعد أن يوجد فيك ما يناسب صفته فانه لا يبعد من كرمه اذ (ربك الاكرم الذي علم)
خلقه من علمه (بالقلم) الاعلى الذي هو العقل الاول بأنه له اشراق بفيض العلم كالشمس تفيض
نورا تظهر به الاشياء ولا يختص ذلك بالسماويات بل (علم الانسان ما لم يعلم) وتعليم القرآن من
جنس تعليم العلم فلا يبعد من كرمه تعليمه ولو قيل لو كان أكرم لم يترك أحدا فقيرا يقال (كلا)
زجر عن اعتقاد كون الفقر عن عدم أكرميته بل من كراهة طغيان الانسان (أن الانسان
ليطغى) على الله وعلى خلقه من اجل (أن رآه استغنى) وان لم يكن له عن الله غنى بحال بل
(ان الى ربك الرجعى) في جميع احواله فانه انما ينتفع بالغنى عن قوة الاكل والمضغ والهضم
والتغذية والامساك والدفع على ان الطاغي يرجع اليه في الآخرة فيسأله عن طغيانه وينتصف
منه فان انكروا كون الغنى سبب الطغيان يقال (أرأيت) أي اخبرني هل يكون طاغيا

يصرون على الحنث) أي يقيمون على الاثم والحنث الشرك والحنث الكبير

الغنى (الذى ينهى) وهو أبو جهل (عبدا) هو محمد صلى الله عليه وسلم (اذا صلى) مع ان العبد حقه أن يعبد ربه بقلبه ولسانه وجوارحه والصلاة جامعة وحق الله أن يكون معبودا فهو طاغ على العبد بل على الله (أرأيت) هل يكون طاغيا الذى ينهى عبدا عما هو فيه من الهدى والامر بالتقوى (ان كان على الهدى اوأمر بالتقوى أرأيت) هل يكون طاغيا على الله (ان كذب) من صدقه الله تعالى بالمعجزات (وتولى) عن التفكر فيه هل هو هدى أم لا (ألم يعلم) هذا الطاغى على الله وعلى عباده بهذه الوجوه (بأن الله يرى) وهو قادر على جزائه حكيم (كلا) زجر له عن طغيانه (لئن لم ينته) بهذا الزجر (لنسفعا) لنجذبن قابضين (بالناصية ناصية) ليستحقه من اتصالها بها بوصف (كاذبة) من سريان ظلمة كذب صاحبها او بوصف (خاطئة) بسائر أنواع الخطايا من سريان خطايا صاحبها اليها فاذا جذبناه بها (فليدع ناديه) أى اهل مجلسه ليخلصوه لكنه لا يمكنهم ذلك انا (سندع) الملائكة (الزبانية) الذين يزبنون أى يدفعون الناس بشدة الى النار (كلا) زجر لهم عن موافقته فان لم ينزجروا (لا تطعه) فيما نهاك عنه من الصلاة والهدى والامر بالتقوى (واسجد) رغما لانف كارهه فانه أكره ما فى الصلاة الى هذا الطاغى السجود (واقترب) الى الله تعالى بالسجود بالصلاة وباداء الرسالة وبعدم اطاعته فانك كلما ازددت منه قربا ازداد لك حفظا ولاعدائك قهرا * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

من الذنوب أيضا (قوله عز وجل يظاهرون من نسائهم) اى يحرمونهن

(سورة القدر)

سميت به لانه يظهر فى ليلتها قدر كل شئ فاشبه القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى القرآن (الرحمن) بانزاله (الرحيم) بتخصيص انزاله بليلة القدر (انا أنزلناه) أى القرآن من خيمة اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا وحط درجته بالانزال مجبور بنسبته الى نور العظمة مرتين وبكونه (فى ليلة القدر) أى ليلة يظهر فيها مقدار كل شئ فى ذاته ووقته وخص بالليلة لانها أشبه بعالم الغيب (وما أدراك) مع جلالة قدرك (ما ليلة القدر) والذى يمكن اظهاره من عظمته انه (ليلة القدر خير من ألف شهر) تشتمل على أيام وليال تتضمن تجليات غيبية وشهودية وتخصيص هذا العدد للاشعار بالانتهاء الى عدد لا رسم لما فوقه على الخصوص والا كثر انها فى رمضان وفى العشر الاخير منه سيما الاوتار ارجى ومن عظمتها أنه (تنزل الملائكة) النفوس السماوية الى ملائكة الارض (والروح) العقل على أرباب المكاشفات (فيها باذن ربهم) فى تكميل من دونهم ليكونوا فى رتبة التكميل بعد رتبة الكمال (من كل أمر) مما يجرى على أهل الارض ويكاشف به أرباب المكاشفة وربما يومى هذا الكلام الى انه مع كل آية ملكا وروحا وليس هذا النزول لقهر بنى آدم لانه (سلام هى) لا ينزل فيها آفة من أولها (حتى مطلع الفجر) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة البينة)

سميت

سميت بها لدلالتها على ان نبينا صلى الله عليه وسلم بينة فى ذاته على نبوته بحيث لا يحتاج الى دليل آخر عليها وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى نبيه حتى جعله بينة (الرحمن) بجعله يتلو صحفا مطهرة (الرحيم) بتضمين صحفه كتبا قيمة (لم يكن الذين كفروا) بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (من أهل الكتاب) اليهود والنصارى (والمشركين منفكين) فى زمن من الازمنة الماضية عن اعتقاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اما أهل الكتاب فلرؤيتهم نعته فى كتبهم واما المشركون فلسماعهم عن سلفهم عن ابراهيم (حتى تأتيهم البينة) أى الحجة الواضحة على نبوته فحين شاهدوا البينة ما آمنوا بخبره بل كفروا به وليست هذه البينة خارجة عنه بل ذاته حجة على انه (رسول من الله) لاستجماعه شرائط الرسالة من الانتهاء فى الكمالات الانسية اقصى الغايات من جملتها انه مع كونه اميا (يتلو صحفا) هى السور المتعددة من القرآن المستقلة بالاعجاز لذلك كانت (مطهرة) عن ان تظهر على يدى كاذب كيف مع انه (فيها كتب قيمة) أى فيها معانى كتب مستقيمة عند أهل الملل (و) لا يبعد مثل ذلك من أهل الكتاب فى حق محمد صلى الله عليه وسلم بعد ما فعلوه فى حق عيسى عليه السلام فانه (ما تفرق الذين أوتوا الكتاب) فى حق عيسى عليه السلام (الا من بعد ما جاءتهم البينة) المعجزة القاهرة دالة على نبوته (و) لم يعارضها نسخه بعض الاحكام لانهم (ما أمروا) فيما نسخ بشئ (الا) أن يقوموا به (ليعبدوا الله) به فيصلوا اليه لكونهم فيه (مخلصين له الدين) ولا يحجبهم عنه لكونهم (حنفاء) مائلين عما سواه اليه كيف (و) لم يقع فيه اختلاف فى الاعتقادات ولا فى أصول العبادات لانهم ما أمروا الا أن (يقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة) وان اختلف الكيفيات (و) لكن لا تبطل بها الاستقامة بل (ذلك دين) الطائفة (القيمة) أى المستقيمة بل لا استقامة لمن أنكر النسخ لانه كفر (ان الذين كفروا من أهل الكتاب) بالنسخ (والمشركين) باصل النبوة يتشاركون فى حكم الآخرة فى انهم (فى نار جهنم خالدين فيها) ولا عبرة بايمان أهل الكتاب بكتابهم هنالك اذ (أولئك) بانكار النسخ او النبوة (هم شر البرية) لانكارهم حكمة الله فى النسخ وبعثة الرسل فهم مرجحون لاهويتهم على حكمة الله فهم شر من البهائم (ان الذين آمنوا) بالمنسوخ والناسخ (وعملوا الصالحات) التى تصلح فى كل زمان المنسوخ فى زمنه والناسخ فى زمنه (أولئك هم خير البرية) لانهم المطلعون على حكمة الله فى كل عصر المراعون لها المرجحون لها على اهويتهم فيترجحون بذلك على من ليس فيهم ما يضاد العقل وهم الملائكة (جزاؤهم عند ربهم) الذى رباهم بالاطلاع على حكمته ورعايتها (جنات عدن) لاقامتهم على أمر الحق وحكمته (تجرى من تحتها الانهار) لاجرائهم أنهار المعارف من الاستطلاع على أنواع حكمته ولعدم انتهاء أنهار الحكمة لا ينتهى جزاؤهم فيكونون (خالدين فيها ابدا) وكيف لا يكون لهم ذلك مع انهم (رضى الله عنهم) باتمام حكمته فى كل وقت (و) يدل عليه انهم (رضوا عنه) وانما دل رضاهم عنه على رضاه عنهم لان (ذلك) الرضا انما يحصل (لمن خشى ربه) ان يخل بشئ من حكمته فيتركه لرعاية لذاته فاذا تمت حكمته فذلك دليل حصول رضاه عز وجل

تحريم ظهور الامهات وروى أن هذا نزل فى رجل ظاهر فقد ذكر الله قصته

اللهم اجعلنا منهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة الزلزلة)

سميت بها لدلالتها على عظم ما تجلى للارض من نور الحق المزلزل لها يوم القيامة (بسم الله) المتجلي بكمالاته للارض حتى تزلزلت (الرحمن) بتثقيل اعمال بني آدم عليها حتى أخرجت (الرحيم) بأوحى اليها من الاخبار بأسباب تلك الاعمال (اذا زلزلت الارض) أي حركت تحريكا شديدا عن اشراق نور الله عليها مع ريح النفخة الثانية ومع غضب الله على أهل المعصية (زلزالها) الممكن لها (واخرجت الارض) أي اظهرت عن اشراق ذلك النور عليها مع رؤية غضب الله على أهل المعصية (اثقالها) أي مقادير اعمال بني آدم عليها كأنه ثقل عليها خيرها لكونه لله وشرها لكونه معصيته (وقال الانسان مالها) حصل عليها أثقل ما عمل فيها من غير ان تكون مكانة بها (يومئذ) مع تلك الزلزلة لها (تحدث اخبارها) التي فيها تلك الاعمال واسبابها لتكون شاهدة على مقادير اثقالها ولا احتمال للكذب في تلك الاخبار لان ذلك التحديث منها (بان ربك أوحى) أمرا (لها) بتلك الاخبار ولا يقتصر على ايصال تلك الاخبار والاعمال الى بني آدم في مقام الحشر بل (يومئذ يصدر الناس) أي يخرجون عن قبورهم الى اماكن تلك الاعمال (اشتاتا) أي متفرقين لتفرق تلك الاماكن (ليروا اعمالهم) في تلك الاماكن ويسمعوا اخبارها قبل أن يروها في الصحف والموازين لئلا ينكروها فيخرجوا الى الصحف والموازين (فمن يعمل مثقال ذرة) أي نملة صغيرة أو هباءة وان توهم ان مثقالها لا يثقل على الارض أصلا (خيرا يره) وان كان محبطا (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وان كان معفوا عنه اذ لا يخلو عن أثر في التخفيف او نقص الدرجة أو رفعها بالندم عليها * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله اجمعين

ثم تبع هذا كل ما كان من الام محرما على الابن ان يراه كالبطن والفخذين

(سورة العاديات)

سميت بها لدلالتها على سرعة غضب الله على الانسان الكنود وهو من اعظم انذارات القرآن (بسم الله) المتجلي بجماله في العاديات حتى أقسم بها وبجلاله حتى جعلها قهر اعدائه (الرحمن) بجعلها مثال سرعة غضبه ليحترز عنه (الرحيم) بجعلها مقسما بها مبالغة في التخويف لبرحم الخائف بالرحمة الخاصة (والعاديات) أي الخيول التي تسرع السير الى الاعداء (ضبحا) أي مصوتة بصوت أنفاسها واجوافها (ضبحا) يشبه الغاضب اذ يخرج صوت نفسه أو جوفه (فالموريات قدحا) أي التي تخرج النار صاكة بحوافرها الحجارة اراءة الغاضب النار من ضربه (فالمغيرات صبحا) أي التي قارب أصحابها ان يغيروا العدو وقت الغفلة والفرح لابد له ترحا كان الغاضب يغير راحة المغضوب عليه حال غفلته (فاثرن به) أي هيجن بذلك الوقت (نقعا) أي غبارا كما يثير الغاضب الغبار على عيني المغضوب عليه (فوسطن به) أي في ذلك الوقت (جمعا) من الاعداء كان الغاضب ينزل الآفة بجوف المغضوب عليه (ان الانسان لربه)

أى انعم ربه (لكنود) أى كفور فيوجب قتالهم بهذه الخيول وقهره بهذا الغضب مع صوت نفس او جوف من جهنم والزبانية ونار من جهنم ومن ضرب الزبانية ولسع الحيات والعقارب واغارة مايشتهيه واثارة غبار الحجاب على عينيه واطلاع نار الله على الافئدة وكيف لا يوجب كنوديته ماذكر (وانه على ذلك لشهيد) فهو متعمد فى عداوة ربه وكيف لا (وانه لحب الخير) أى المال (لشديد) أى لقوى وهو دليل استغنائه به عن الله وأى عداوة اتم منه (أ) يزعم أن الكنودية والشهودية وشدة الحب امور خفية يمكن انكارها عند الله (فلا يعلم اذا بعثر مافى القبور) فقد أخرج مافى الباطن الى الظاهر سيما (و) قد (حصل مافى الصدور) بتصويره بصور الظاهرة بحيث يعلم به الخلائق (ان ربهم) الذى رباهم ببواطنهم وظواهرهم (بهم) أى ببواطنهم سيما (يومئذ) أى يوم اذ تظهر السرائر (لخبير) فلا مانع فى حقه من الغضب المنتج لماذكر نعوذ بالله من ذلك * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين * * *

(سورة القارعة)

سميت بها لدلالتها على اعظم انذارات القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى القارعة بجلاله فى قهر الاجسام الثقيلة والصلبة وبجماله فى الاعمال الصالحة (الرحمن) بتثقيل موازين المؤمنين (الرحيم) بجعلهم فى عيشة راضية (القارعة) أى الداهية التى تضرب بشدائدها الاجسام الثقيلة فتخففها والصلبة فتفرقها (ما القارعة) فى عظمة تأثيرها (وما أدراك) وان بلغ علمك مابلغ (ما القارعة) فى عظمتها وغاية مايمكن فى بيان عظمتها انها تكون (يوم يكون الناس) من تأثيرها فى الاجسام الثقيلة بالتخفيف (كالفراش) الطير الرقيق المتهافت فى النار (المبثوث) المتفرق فى طيرانه الى جهات شتى على غير نظام أى مثله فى الذلة والضعف والتطاير الى كل جهة (وتكون الجبال) من تأثيرها فى الاجسام الصلبة بالتفريق (كالعهن) أى الصوف المتلون بالالوان المختلفة (المنفوش) أى المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها فى الجو فلا يبقى لها ثقل يحفظها فى اماكنها ولا صلابة تحفظ اجتماع اجزائها ثم يظهر فيه ثقل الاعمال وخفتها الخفية ويكون أثرهما فى حفظ أربابها وعدمه مع ان أمر الثقل والخفة عليهم بالعكس (فامامن ثقلت موازينه) أى اعماله الموزونة لرجحانها عند الله (فهو) لحفظ عمله اياه وعدم ثقله عليه لاحتماله ثقله فى الدنيا (فى عيشة راضية) ذات رضا (واما من خفت موازينه) لانه لامقدار لها عند الله فلا يحفظ عمله ويصير ثقلا عليه (فامه) أى مرجعه رجوع الصبى الى امه (هاوية) اسم الدركة الاسفل من النار (وما أدراك ماهيه) فى ثقلها عليهم وغاية مايمكن فى بيانها انها (نار حامية) أى حارة فى الغاية بحيث لاعبرة بحرارة نار أخرى اليها * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين.

(سورة التكاثر)

سميت به لكونه عماينذر عنه كالقارعة لانه حجاب يعقبه عذاب (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى

وأشباه ذلك (قوله يحادون الله) أى يحاربون الله ويعادونه ويخالفونه

علم اليقين وعينه (الرحمن) بافاضة علم اليقين وفوائده (الرحيم) بافاضة عين اليقين وفوائده (ألهاكم) أى شغلكم عن الله وطاعته والنظر فى اسمائه وصفاته وافعاله ومايجب عليكم فى حقه ومايجب لانفسكم فى الآخرة ومايجب فى الاموال وسائر النعم من صرفها الى ماخلقت لاجله (التكاثر) بالاموال والاولاد والتفاخر بهما وبالآباء والاقارب (حتى زرتم المقابر) أى متم على ذلك الشغل (كلا) أى انزجروا عن الاشتغال بذلك لانكم (سوف تعلمون) فى البرزخ مافوتم به من النعيم الابدى والقرب من الجناب الصمدى (ثم كلا) أى انزجروا مرة بعد أخرى لانكم (سوف تعلمون) فى القيامة ماهو أجل من ذلك (كلا) أى انزجروا عن اعتقاد أنه انما يعلم فى البرزخ والقيامة بل (لو تعلمون) الآن ماأنتم عليه (علم اليقين) الكاشف لبعض الحجب الظلمانية (لترون الجحيم) ماأنتم فيه قبل البرزخ والقيامة (ثم) ان زدتم تصفية وانكشف عنكم الحجب (لترونها) أى الجحيم ماأنتم فيه (عين اليقين) أى كرؤية البصر (ثم) أى بعد رؤية الجحيم فى هذه المقامات (لتسئلن يومئذ عن النعيم) أى عن جميع ماانعم به عليكم مماشغلكم من الصحة والفراغ والشباب والاموال والاطعمة والاشربة من انعم بها ولم انعم بها واين صرفتم ضما للعذاب العقلى الى الحسى نعوذ بالله من ذلك * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(قوله عزوجل يوم يكشف عن ساق) اذا اشتد الامر والحرب قيل كشف الامر

(سورة العصر)

سميت به لدخول عمر العبد الذى هو رأس ماله فيه فاشبه القرآن الذى هو رأس مال أهل العلم (بسم الله) المتجلى بجلاله فى الانسان أهل الخسر وجماله فى أهل الايمان والاعمال الصالحة (الرحمن) بجعلهما أهل الربح (الرحيم) بزيادة ربح المتواصين بالحق والصبر (والعصر) أى الزمن الذى فيه عمر الانسان الذى هو رأس ماله فى تحصيل الاعتقادات والاخلاق والاعمال والاحوال (ان الانسان) جميع افراده (لفى خسر) أى نوع من نقص رأس المال كلى أو جزئى وهو تضييعه العمر الذى يمكنه فيه تحصيل القرب من الله ورضوانه وثوابه الابدى بالمعاصى أو الشهوات الفانية المستعقبة للبعد من الله وغضبه وعقابه (الا الذين آمنوا) فانهم يربحون المعارف المفيدة للسعادة الابدية والقرب من الله ومخالطة ملائكته (وعملوا الصالحات) فانهم يربحون الاخلاق والاحوال فى الدنيا والفوز بالدرجات والنجاة من الدركات فى الآخرة (وتواصوا بالحق) أى أوصى بعضهم البعض بالاعتقادات الصائبة والاخلاق الحسنة والاعمال الصالحة (وتواصوا بالصبر) على الخيرات وعن الشرور فانه ربح بثواب الارشاد والتعليم وثواب من عمل بوصيتهم ولا ينقطع مادامت سلسلته باقية الى الابد * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الهمزة)

سميت بها لدلالتها على ان من كسر اعراض آحاد الخلق استحق الويل فكيف من هتك حرمة الله ورسوله بالتكذيب (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الانسان حتى استحق الويل من رأى النقص

فيه (الرحمن) بحفظ الاعراض بإيعاد الويل على هاتكها (الرحيم) بمنع مباديه من التكبر على خلق الله بإيعاد الحطمة عليه (ويل) أي قبح عظيم وبلاء شديد لازم (لكل) فرد من أفراد (همزة) يعتاد الهمز كسر اعراض الناس (لمزة) يعتاد اللمز الطعن في الانساب والاشكال والافعال فكما بالغ في تقبيح الناس وايذائهم يجازيه الله على سبيل اللزوم لأنه حق الخلق وأصله طلب الافتخار عليهم ومنشؤه في الغالب المال فانه (الذي جمع مالا وعدده) أي جعله معدا لدفع النوائب ولا يرى في ذاته نقصا ولا في محاسنه اذ (يحسب أن ماله اخلده) لانه بجمعه لا يموت جوعا ولا عداده للنوائب لا تصيبه النوائب فهو يرى ذاته ومحاسنه محاطة بالكمالات ويرى النقص في الغير فيطعن ويلمز (كلا) زجر له عن اعتقاد كونه مبقيا لذاته ومحاسنه بل هو سبب لهتكهما بالكلية فانه (لينبذن) أي ليطرحن (في الحطمة) أي النار التي تكسر العظام وتفرق اللحم والدم وتشوه الصورة فلا يبقى له ذاته بحالها ولا شيء من محاسنه بل يصير اقبح مما يطعن به (وما أدراك) وان بلغت من كمال العلم ما بلغت (ما الحطمة) في اهلاك من طرح فيها او تقبيحه وغاية ما يمكن من بيانها أنها (نار الله) أي نار قهره (الموقدة) بوقود هو عظم من طرح فيها ولحمه ودمه ولها قهر أشد من ذلك اذ هي (التي تطلع على الافئدة) المتألمة بادنى مؤلم يجازي بذلك على ايلامه افئدة المطعونين ومع ذلك يبالغ في ايلام ظاهرهم أيضا (انها عليهم مؤصدة) أي مطبقة لا يخرج منها نفس حار منهم ولا يصل اليهم نفس بارد من خارج ومع ذلك يكونون موثقين (في عمد) أي خشب مثقوبة فيها ارجلهم (ممددة) أي مطولة لتضييقهم على الناس في تقبيحهم وتطويلهم عليهم فيه وكأنه المراد بالويل * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

عن سائه (قوله تعالى ليزلقونك) أي يزلونك ويقال يغتالونك أي

(سورة الفيل)

سميت به لدلالته على ان ادنى اسباب القهر من الله لا يقاومه اعظم الامور فكيف يقاوم ادناها اعلى اسباب القهر وانه لما قهر لهتك حرمة بيته هذا القهر العظيم فكيف لا يقهر لهتك حرمته وحرمة رسله (بسم الله) المتجلي بكمالاته في البيت حتى جعله قهرا للاعداء وامنا للاولياء (الرحمن) بجعل هذا القهر دليلا لقهر اعدائه ليحترزوا عن عداوته (الرحيم) بجعل امنه دليلا على أمن المتوجه اليه في سبيل الله من الحجاب عنه (ألم تر) أي ألم تعلم بالتواتر النازل منزلة البصر (كيف فعل) مما يحير العقول (ربك) الذي رباك ومن بعثك باسرار بيته (باصحاب الفيل) أي بالعسكر الذي لا يمكن قتاله وذلك ان ابرهة بن الصباح الاشرم بنى بصنعاء كنيسة سماها القليس واراد صرف وجوه الحجاج اليها فتغوط فيها بالليل رجل من كنانة فسمع ابرهة فحلف ليهدمن الكعبة وقيل أجج رفقة من العرب نارا حملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه وقدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح فاذا وجهوه الى جهة اخرى هرول وكان هذا فيلا عظيما قويا وكان معه اثنا عشر او ثمانية أخرى (ألم يجعل كيدهم) وهو بناء القليس وصرف وجوه الحجاج وحزبهم لهدم الكعبة

(فى تضليل) أى تضييع وكفى به دفعا (و) لكن لم يقتصر عليه بل نكلهم تنكيلا اذ (أرسل عليهم) وهم محاربون باقوى الحيوانات اضعفها (طيرا) خرجت من شاطئ البحر كالمعاسيب سوداء أو خضراء وصفراء فى منقاركل طير حجر وفى رجليه حجران (ابابيل) أى جماعات متفرقة فى الطرق أذهر بوا متفرقين فجعل لهم اضعف الاسلحة (ترميهم بحجارة) أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة (من سجيل) أى طين متحجر معرب سنك كل وجعل اثرها اعظم من اثر اسلحة الحديد تقع على الرؤس وتخرج من الادبار (فجعلهم كعصف مأكول) أى كزرع وتبن أكلته الدواب فراثت ويبس فتفرق اجزاؤه شبه بذلك لقطع أوصالهم وتفرق اجزائهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

(سورة قريش)

سميت بها لاختصاصها بذكر المنة عليهم وطلب العبادة منهم لان الناس لهم تبع فالمنة عليهم منة على الكل وطلب العبادة منهم طلب من الكل وهم فى المتبوعية كالقرآن للكتب (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى بيته (الرحمن) بايلاف اهله (الرحيم) بطلب العبادة منهم ليشكروه فيزيدهم (لايلاف قريش) أى لتأليف قلوب اولاد بنى النضر بن كنانة مع قلوب أهل الدنيا لينتظم لهم أمر الدارين على أكمل ماينبغى سيما لاجل (ايلافهم) مع اهل اليمن والشام (رحلة الشتاء والصيف) من قريش اليهما ومنهما الى قريش بكل مايحصل فى بلادهم من غير انقطاع وانتظام مدة طويلة (فليعبدوا) شكرا لهذه النعمة التى فى غاية الظهور والعظمة وان لم يعبدوه لنعمة أخرى مما لايحصى فان لم يعبدوه لربوبيته لهم فليعبدوه لكونه (رب هذا البيت) المتفقين على تعظيمه فربه اولى بالتعظيم الذى غايته العبادة له سيما اذا انعم عليهم سيما بواسطة بيتهم المعظم فهو الذى عظم أهله فى قلوب أهل الدنيا حتى (اطعمهم) بايلافهم (من جوع) لزمهم من سكونهم بواد غير ذى زرع (وآمنهم من خوف) فى بلدهم وطريقهم ومايرحلون اليه من البلاد مع عموم الخوف سائر البلاد والطرق فان لم يعبدوه فلا يبعد منه ان يميتهم بجوع ويهلكهم بخوف ويجعل لهم الى جهنم رحلتين رحلة فى الزمهرير واخرى فى الحر * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الماعون)

سميت به لان منعه يوجب حجابا يستعقب عذابا فهو مما ينذر عنه انذارا وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الدين (الرحمن) بتعظيم حق اليتيم والمسكين (الرحيم) بتعظيم حق الصلاة والزكاة (أرأيت) أى أخبرنى هل عرفت (الذى) يفعل فعل من (يكذب بالدين) أى الجزاء بحيث يوجب ظن التكذيب لتحقيق ان لم تعرفه (فذلك الذى يدع) أى يدفع (اليتيم) الذى هو اضعف الضعفاء عن حقه فان المؤمن بالجزاء يحسن بخاصة ماله الى الناس سيما الضعفاء سيما الايتام فان لم يفعل فلا يدفع احدا عن حقه فان دفع فانما يدفع من يعانده

(حاشية:) يصيبونك بعيونهم وقرئت ليزلقونك أى ليستأصلونك من قولهم زلق رأسه

ولا يتصور من الضعفاء سيما الايتام كيف (و) منشؤه ايثار المال بحيث ينتهي في البخل الى حيث (لا يحض) أي لا يحث أحدا (على طعام المسكين) وان كان دفع الفرض الكفاية عنه بفعل الغير لعدم اكتراثه بالفروض فهو فعل المكذب واذا كان من يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين في حكم المكذب مع انهما ليسا من الطبقة العليا في الدين فكيف من يخل بأعلى طبقاته كالصلاة والزكاة (فويل للمصلين) أي المكلفين بالصلاة التي هي الفارق بين الاسلام والكفر (الذين هم عن صلاتهم ساهون) أي غافلون لا يصلونها بغيبة الناس وانما يصلونها بحضورهم لانهم (الذين يراؤن) والرياء شعبة من الكفر على انهم ان راؤا الناس كانهم يعبدون الله المنفرد بالعظمة والعبادة لاجل رؤية الناس فهو من أشد أنواع الكفر (و) لو صلوا الصلاة فهم (يمنعون الماعون) أي الزكاة التي هي قرينة الصلاة فلا يفعلونها لله ولا رياء * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الكوثر)

سميت به لدلالته على فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على سائر الرسل عليهم السلام بما يؤتى يوم القيامة من الكوثر وهو من اعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلي بكمالاته في رسوله صلى الله عليه وسلم (الرحمن) باعطائه الكوثر (الرحيم) بامره بالصلاة والنحر (انا) قدم المعطي ليكون النظر اليه اسبق وذكره في (اعطيناك) لئلا يقف نظره على العطاء ونسب العطاء الى مقام العظمة ثم عظمه بخطاب المعطى له لكمال العطاء وجعل المعطى به (الكوثر) واصله المبالغة في الكثرة والمراد الحوض روي عنه صلى الله عليه وسلم انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير ماؤه احلى من العسل وابيض من اللبن وأبرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه (فصل) شكرا عليه فعبادة مناجاة الرب فيها أحلى من العسل ونور التذلل فيها أبيض من اللبن واليقين الفائض فيها ابرد من الثلج واللطف النازل على صاحبها الين من الزبد والفرائض والسنن المحيط بها تقيد خضرة العيش كالزبرجد والمندوبات والاذكار كاواني الفضة تسقيه مياه المحبة الالهية التي من شربها لا يظمأ الى شرب غيرها (لربك) الذي رباك بهذه النعم في الصلاة لمربيك بنعمة الحوض ولم يقل لنا ليشير الى انه لا يمكن لبشر ان يأتي بشكر يناسب مقام عظمته عز وجل ثم قال (وانحر) أي اذبح الاضحية التي هي مطية الصراط للوصول اليه على انها تشبه الزكاة التي هي قرينة الصلاة وكفى بهذا الحوض عاقبة حميدة لا ينقطع خيراتها عنك ولا عن اتباعك وانما تنقطع عن اعدائك (ان شانئك) أي مبغضك الذي يمنع الشرب من هذا الحوض (هو الابتر) المنقطع عن الله وعن السعادة الابدية وعن خيرات الدارين لا يذكر حيث ذكرنا الامقرونا باللعنة ولا تذكر حيث تذكر الامقرونا بذكر الله تعالى والصلاة في المحافل والخطب * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الكافرون)

(قوله وأزاله اذا حاله) (قوله عز وجل يخسرون) أي ينقصون (قوله عز وعلا

سميت بهم لانه الكمال التفرقة بينهم وبين المؤمنين فى العبادة التى خلقوا لاجلها (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى عابديه (الرحمن) بتوفيقهم للعبادة ليعمر بهم الدارين العابدين بالذات وغيرهم بتبعيتهم ليتم بذلك امرهم (الرحيم) بتخصيصهم بكمال فائدتها فى الآخرة (قل) بامرنا هذا الخطاب الشنيع وان كان على خلاف مقتضى اخلاقك تغليظا عليهم (يا أيها الكافرون) ناداهم طلبا لاقبالهم حال ادبارهم بالكفر وأتى بأى للاشارة الى ما أبهم عليهم من أمر الكفر واتى بها التنبيه لينبه على انه يعرف بادنى منبه والمراد المستمرون على الكفر من اول الولادة الى الموت والا فالمؤمن فى وقت من الاوقات يعبد الله فيه وأشار الى أن كفرهم بعبادة من لا يستحقها فقال (لا أعبد ما تعبدون) من حجر اوشجر اوماء أو نارا وكوكب أو شيطان أو ملك أو صالح وغلب غير العقلاء ليشير الى ان عبادة غير الله خارجة عن قضية العقل سيما عبادة غير العاقل على ان من عبد الله باعتقاد التشبيه او بالحلول والاتحاد بالغير فقد عبد من ليس بالله (ولا أنتم عابدون) بعبادة المظاهر (ما أعبد) لانكم تعتقدون فيها كمال ظهوره وهو اعتقاد نقص فيه ولا ا عبد الاله الناقص (ولا أنا عابد) لو عبدت الاسماء الالهية (ما عبدتم) من صورها اذ عبادة الاعلى لا تستلزم عبادة الادنى (ولا أنتم عابدون) بعبادة صور الاسماء الالهية (ما أعبد) من الاسماء على التقدير المذكور ولا من الذات لان الصور قاصرة على انها لو كانت كاملة لم تنزل منزلة اصولها (لكم دينكم ولى دين) لا يتشاركان فى الاصول والفروع بل يختلفان بوجه من الوجوه والدين الاول على سبيل المجاز والمشاكلة والثانى على سبيل الحقيقة ان الدين عند الله الاسلام واضافة الاول لتحقير المضاف والثانى لتعظيمه *تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة النصر)

سميت به لانه ظهر به دين الاسلام على سائر الاديان وهو من اعظم مقاصد القرآن وتسمى سورة التوديع لان الامر بالاستغفار يشعر بدنو الاجل (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى نصره حتى جعله سبب ظهور دينه (الرحمن) بفتحه بلاد الاسلام وعلومه (الرحيم) بادخال الناس فيه افواجا (اذا جاء نصر الله) أورد الماضى دلالة على التحقق وقد تحقق فهو من اعلام النبوة واذا للشرط المحقق فيه ففيه ايهام الجمع بين المتنافيين واستعار المجئ تخييلا بعد ما استعار النصر للملك كناية فكانه الملك الواصل من الله الى رسوله والاضافة للدلالة على اختصاصه بالله لا يتصور من غيره ولا يعقبه هزيمة وانه مما ظهر به دينه على الدين كله ويدخل فيه النصر الظاهر على الكفار بالسيف والحجج ورفع الشبه والباطن على الشيطان والنفس (والفتح) فتح البلاد كمكة وسائر اماكن الكفر وفتح العلوم ولكونه فرع النصر لم يصرح بنسبته الى الله (ورأيت) ما لم تره مدة طويلة ظهرت فيها معجزات كثيرة (الناس يدخلون فى دين الله) الذى ليس فيه شائبة شرك وغيره وان خلا فى الاصل فلا يخلو الآن لان انكار هذا الدين الثابت بالمعجزات يستلزم نسبتها الى غير الله وهو شرك وهو فرع الفتح اذ علموا بذلك انه يتيسر للمسلمين ما لم يتيسر لاصحاب

الفيل

يجمعون فى
يوعون) ...
صدورهم من التكذيب
بالنبى صلى الله عليه وسلم

الفيل فلا يدل لاحد بقتالهم (افواجا) بعد ما كانوا يدخلون افرادا على فترة (فسبح) أي فنزه ربك من ان تشاركه في كماله تنزيها مقرونا (بحمد ربك) على ما اعطاك من الكمال عما يتوهم المشاركة معه (واستغفره) من توهم المشاركة لئلا يسلبك ما اعطاكه فاذا استغفرته رجع عليك بالفيض (انه كان توابا) أي رجاعا بالفيض لمن استغفر * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة تبت)

سميت بها لدلالتها على تحقق الخسران الكلي المفضي الى الهلاك لاعظم المشرفاء بانكاره هذا الدين وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلي بكمالاته في هذا الدين بجماله في أهله وجلاله في مخالفيه (الرحمن) بمن نجاه به عن التباب (الرحيم) به باهلاك اعدائه عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا فقال أرأيتكم لو أخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت (تبت) أي خسرت خسرانا يؤدي الى الهلاك (يدا أبي لهب) أي أعماله الخير والشر أو الظاهرة والباطنة او جانباه القوي والضعيف وأبو لهب كنية عبد العزى بن عبد المطلب لاشراق وجهه والمعتاد فيها قصد التعظيم وقد جعلت ههنا كناية عن جهنمي (وتب) من سريان تباب الاعضاء اليه بالذات بحيث لا يصلحه شيء لذلك لم يدفع تبابه شيء من الاسباب فانه (ما أغنى) أي ما نفع بالمنع (عنه ماله وما كسب) من الجاه والاتباع والاولاد فلو اغنى عنه شيء منهما في الدنيا لم يغن في الآخرة بل (سيصلى نارا) تزيد على سائر النيران بكونها (ذات لهب) أي اشتعال عظيم لزيادة كفره على كفر غيره ومزيد عداوته للرسول صلى الله عليه وسلم مع قرب قرابته (و) يزداد عذابا باحراق حبيبته في نظره اذ تصلى (امرأته) أم جميل بنت حرب بن أمية وان صارت عدوا له ازداد بعداوتها عذابا ويزداد في خزيه أنها هنالك (حمالة الحطب) من الزقوم أو الضريع لما كانت تفعل من حمل حزمة الشوك والسعدان والحسك ونثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تنقل الحديث وتلقي العداوة وتوقد نارها فجوزيت بذلك في الآخرة (في جيدها) أي عنقها الذي هو محل كل علق نفيس من الجواهر (حبل) أي سلسلة (من مسد) أي مفتول الحديد كما لها في حمل الحزمة في الدنيا أو تصوير لحملها الاحاديث للنقل * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة الاخلاص)

سميت بها لاخلاصها في تعريف الحق وبيان ذاته وصفاته (بسم الله) المتجلي بكمالاته في صفاته (الرحمن) بتعريفه بهما (الرحيم) بالجمع بين الصفات المعرفة على أحسن وجوه الترتيب

كما يوعى المتاع في الوعاء (قوله عز وجل يوفضون) أي يسرعون

(قل) يا أعلم الناس بربه في تعريفه عن أمره على وفق قواعد الميزان وصريح الكشف والعيان انه يصدق عليه (هو) على الاطلاق لعدم توقف هويته على غيره بخلاف الممكن فان وجوده لما كان من غيره كانت هويته وهي خصوصية وجوده من غيره ثم غاية ما يمكن من ذكر تعريفه ذكر خواصه اللازمة القريبة لانه لغاية بساطته لا يمكن تعريفه بالفصول والخواص اما وجودية أو عدمية أو جامعة وهذا أكمل والبها يشير قوله (الله) الدال على الذات والصفات الوجودية كالحياة والعلم والارادة والقدرة والكلام والسمع والبصر والسلبية كالتنزه عن حلول الحوادث فيه وحلوله فيها واتحاده بها ولما لم تكن غيره كما لم تكن عينه صدق عليه انه (أحد) ولم يقل الواحد لانه مقول بالتشكيك على ما لا ينقسم أصلا وما ينقسم عقلا وما ينقسم حسا بالقوة وما ينقسم بالفعل وكل سابق أولى من اللاحق والاحد يختص بالاول ويدل عليه انه لو انقسم لاحتاج الى اجزائه فلم يكن هويته لذاته وانما ابتنائه الصفات مع احديته لصمديته اي احتياج الكل اليه مع استغنائه ولما لم تكن باعتبار هويته التي بها أحديته رتبها على الالهية فقال (الله الصمد) ثم قال (لم يلد) لان الولد يشارك الوالد في الماهية وهي تنافي الالهية وهي تنافي الصمدية لان أحد المتشاركين يغني عن الآخر (و) لصمديته المنافية للاحتياج واستقلال هويته باقتضاء وجوب الوجود ولامتناع المشاركة صح عليه انه (لم يولد) كما لا يكون له مساو في الماهية لا يكون له مساو في قوة الوجود التي هي الوجوب بالذات لذلك (لم يكن له كفوا أحد) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة الفلق)

سميت به لان فلق ظلمة العدم بنور الوجود يشبه فلق ظلمة الجهل بنور العلم وهو من اعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلي بكمالاته في النور الفالق (الرحمن) باشاعة ذلك النور (الرحيم) باعاذة من عاذ به من الشرور (قل) يا أيها الجامع بين الصفات الحقية والخلقية (اعوذ برب الفلق) أي ألتجئ عن ربي الاشياء بفلق ظلمة عدمها بنور وجوده الذي هو خير محض (من شر ما خلق) أي النقائص التي تقتضيها الحقائق الخلقية من آثار الظلمة الاصلية لها سيما عالم الاجسام بموادها أو صورها أو اعراضها (ومن شر غاسق اذا وقب) أي ظلام تعرض لها من خارج بالطبع كظلام القوى الحيوانية اذا دخل النفوس الناطقة فيستر نورها أوصفاءها (ومن شر النفاثات) أي النفاخات (في العقد) فانه ظلام من تأثير النفوس الخبيثة ويقرب من ذلك تأثير القوى كنفخ القوى النباتية في عقد الطبائع المختلفة ليتزايد في الجهات كلها (ومن شر حاسد اذا حسد) فقصد الرد الى ظلمة النقص ويقرب منه قصد النفوس الخبيثة رد القلوب فذلك كظهور الصفات الخبيثة للنفس أو الطبيعة * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة الناس)

(باب الراء المكسورة)

قيل ليس في كلام العرب

سميت

سميت به لانه ذكر فيها تعلقه بالحقائق الالهية والكونية (بسم الله) المتجلي باسمائه وصفاته
واقعالها في الناس (الرحمن) بتكميله بها بعد افاضة نور الوجود عليه (الرحيم) بحفظه من شر
ما فيه وشر ما خرج عنه (قل) يا من يرد عليه الوحي والالهام الذي يكاد يلتبس بالوسواس
على بعض الناس (أعوذ برب الناس) أي الذي ربى الناس بتسوية المزاج وافاضة البدن
والاعضاء (ملك الناس) بافاضة النفس الناطقة المتصرفة بالقوى المدركة والمحركة
(اله الناس) الذي شوق النفس الى معرفته وعبادته والتقرب منه (من شر الوسواس) أي
الموسوس بما يفسد المزاج أو التدبير النفسي أو المعرفة والعبادة وأسباب التقرب (الخناس)
الذي يتأخر عن الخواطر الالهية والملكية مع انه (الذي يوسوس) أي يلقي الخواطر الرديئة
(في صدور الناس) التي فيها تعلق الناطقة بالحيوانية وهذا الخناس اما (من الجنة) وهي
الاجسام النارية (و) اما المتخيلة من (الناس) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين
الذي هدانا للمعاني التي يعرف بالبديهة اعجازها اذ أديت بهذه العبارات من عظم وقوعها
وعظم حلاوتها وعجيب ربطها وترتيبها وتضمنها العلوم التي لا تتناهى مع الاشارة الى دلائلها
ورفع الشبه عنها في ألفاظ يسيرة عجيبة السبك كثيرة الفضائل من غير تغيير ظواهرها في
الوصول الى سرائرها مع رعاية فائدة كل حرف وانه لا يتصور خلافه بنوع تصرف
فله الحمد على كل حرف حمدا لا ينتهي الى طرف والصلاة والسلام على خير
خلقه سيد أنبيائه واصفيائه محمد وآله أجمعين ملء السموات
والارضين وملء ما شاء الله من شئ بعد وعلى كل نبي وصفي
وعلى كل ملك كريم وكل ذي فضل عظيم
الى يوم الدين بل الى أبد الابدين
وتمت كلمة ربك صدقا
وعدلا لا مبدل
لكلماته

تم

كلمة أولها ياء مكسورة الا قولهم يسار ويسار لليد
تم والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يقول المتوسل بجاه أبي القاسم الفقير الى الله تعالى محمد قاسم نحمدك يامن شرحت صدورنا بتبصيرك وأرشدتنا لأقوم طريق بتوفيقك وتيسيرك ونشكرك على ما الهمت من اسرار التنزيل وأحييت بروح البيان الكشاف عن عيون التأويل ونصلي ونسلم على المبعوث بأشرف كتاب افضل من أوتي الحكمة وفصل الخطاب سيدنا محمد الذي جاء بحياة الارواح والمهج وأنزلت عليه قرآنا عربيا غير ذي عوج فأعجز بلاغته أكمل البلغاء وأخرس بفصاحته ألسن الفصحاء وتحداهم منه بأقصر السور فلم يعارضوه مع توفر الدواعي والفكر فدل ذلك على أنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبه ليكون من المنذرين وعلى آله وأصحابه الحائزين غايات السبق في مضمار البيان المنعوتين بمحاسن الفضائل في محكم البيان (امابعد) فان علم التفسير أجل العلوم قدرا وأعظمها شرفا واتمها فخرا اذ عليه مدار فهم كلام الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وعليه تأسست قواعد الاسلام ومنه استنبط الحلال والحرام وبه اتضحت المجملات وعرفت المحكمات والمتشابهات وابرزت نكاته أي ابراز واسفر عن وجوه البلاغة والاعجاز ولما كان التفسير المسمى بتبصير الرحمن وتيسير المنان بعض مايشير الى اعجاز القرآن قد طابق اسمه مسماه مع وجازة لفظه وجزالة معناه واشرقت شموس التحقيق من مطالع عباراته وأضاء سنا التدقيق من طوالع تلويحاته واشاراته وأينعت ثمار رياضه وتدفقت بسلسله مناهل حياضه وحاز من دقة المعاني ورقة الالفاظ والمباني مع مزج بديع رائق واسلوب عجيب فائق مالم يسبق بمثاله ولم ينسج ناسج على منواله فيما رأينا من التفاسير البالغة العدد الكثير واحرز من الاجادة في أداء الافادة اليد البيضاء والرتبة الشماء فهو جنة علم عاليه لا تسمع فيها لاغيه ومن أجل فرائده واجلاها وأعظم فوائده وأعلاها التلويح لدقيق الحكم وتناسب الآيات والتلميح للمعاني التأويلية عند أرباب الاشارات لاسيما فاتحة الكتاب فان فيها العجب العجاب وكذلك فواتح السور فكم اودع فيها من نفائس الدرر فهو طرفة ذوي الآداب وتحفة النبلاء أولي الالباب ولعمري انه لتفسير يعجب به العالمون ولمثل هذا فليعمل العاملون وكيف لا ومؤلفه ائمة المحققين وواسطة عقد الفضلاء المدققين علامة زمانه ونادرة أوانه صاحب العلوم الجمه والبدائع الحسنة المهمه ذو الفيض الرباني المتحقق بتمام الشهود الاحساني الجامع بين نوري الشريعة والطريقه العابر من قنطرة المجاز الى الحقيقه المشار اليه في التصوف بأطراف البنان المحرز السبق في حلبة الرهان المفيد ثواقب الانظار بالمنطوق والمفهوم سيدنا ومولانا الشيخ علي المهايمي المخدوم اذاقه الله تعالى حلاوة أنسه ومتعه بالمشاهدة في حظيرة قدسه ولما كان الوزير الاكرم صاحب القدر السامي والمقام الانجم بديع الزمان وفخر الاوان قامع المعاندين والملحدين بقواطع الحجج واسنة البراهين من كمل به الادب وشرفت الفضائل والرتب مالك زمام البيان والبراعه الناظم في اجياد الطروس قلائد اليراعه مصباح الفضل المنير وروض العلم النضير رئيس عصره بلا نزاع ولا دفاع وعلامة دهره الذي انعقد على تقديمه الاجماع

الآخذ من كل فن باوفر نصيب الرامي الى المعالي بكل سهم مصيب تاج العلماء وزين الفضلاء محيي آثار سيد المرسلين حضرة مولانا الشيخ محمد جمال الدين مدار مهام مدينة بوفال بالاقطار الهنديه لازال ناشرا من اطائفه على الانام برود احسانا عبقريه قد جبلت همته العاليه واخلاقه الكريمة المرضيه على المسابقة الى الخيرات والمبادرة الى اسداء المبرات وبث العلوم والمعارف في ظل جنابه الظليل الوارف فتفضل من ماثره الجليلة وعواطفه الحسنة الجميلة بطبع هذا التفسير ذي المنهل الرائق الغير بالمطبعة المصرية الكبرى ببولاق التي اشتهرت محاسنها بالآفاق مزين الهوامش والطرر بكتاب نزهة القلوب بديع الغرر في تفسير غريب القرآن للامام أبي بكر محمد المنسوب الى سجستان ولما بدا في الوجود بدر تمامه وتنفس صبحه عن ليل لثامه وشحه الحبر الذي طالما حبر باقلامه طراز منثوره وعقود نظامه الرافل في حلل الدقائق المتحلي بحلي الرقائق الانسان الكامل بل عين انسان ذوي الفضائل المتمول بآثار سيد الكونين حضرة العلامة الشيخ محمد حسين الهندي الدهلوي المشتهر بالتقى أمده بأنواره القدسية المنعم القدير سفير مولانا الوزير المرتسم اليه الذي التزم طبع هذا التفسير بوساطته وعلى يديه فقال مبدعا في هذا الشان مزريا بفرائد عقود الجمان

الحمد لله الذي آتانا الكتاب الحكيم ومن علينا وهدانا الصراط المستقيم وبيننا على سواء السبيل والنهج القويم وأرانا الحق وأهمنا دقائق القرآن العظيم وألقى في قلوبنا ما يطمئن به روعنا من اعجازه الفخيم فنحمده على الهداية الى السر المكتوم ودراية المنطوق والمفهوم الى ميقات يوم معلوم ونصلي صلوات لا غاية لها ولا انتهاء ونسلم تسليمات لا أمد لها ولا انقضاء على خليله وحبيبه الامي ورسوله ونبيه التهامي المكي المدني الكريم ذي الجود والفضل والخلق العظيم وهو نور من نوره ومظهر الحق ومظهر ظهوره شمس الضحى بدر الدجى مصباح الظلم صاحب اللواء وتحته آدم فمن دونه من الخدم والحشم وعلى آله الطهر سفينة النجاة وكهف الامم وصحبه الزهر نجوم الهدى واعلام التي هي أقوم ما تعاقب الملوان وانار الوجود النيران (وبعد) فيقول العبد الاثيم في الخافقين الراجي شفاعة سيد الكونين الفقير محمد حسين صانه الله تعالى عن آفات الزمان والاين ابن محمد اسمعيل بن محمد بن أنور الهندي الدهلوي الذي ماهو في مصر المحروسة الا مسافر جعل الله سريرته خيرا من الظاهر ان علم التفسير علم رفيع الشان باهر البرهان منيع الاركان فائق علوم الاسلام والايمان صنف العلماء فيه تصنيفات جيده والفوا تأليفات انيقة مفيده من صغير وكبير وطويل وقصير جامعة بين الفوائد الجمه واللطائف العجيبة المهمه وفازوا بها فوز الآخرة والاولى وحازوا وأحرزوا البركات والدرجات العلى فهنيئا لهم جزيل الاجور والرضوان ومغفرة الغفور وان ذلك لمن عزم الامور ومن بين تلك المؤلفات طلعت شمس هذا التفسير في سماء الكائنات بعدما كان في خفاء من الزمان ونسجت عليه عناكب النسيان لان قصور العلم اندرست أركانها وجهل مكانها ونبذ كتاب الله وراء الظهور واشتغل بالدنيا وزينة الدور ونسي الموت وغفل عن القبور وعن يوم البعث والنشور وهذا كتاب كثير معناه وقليل لفظه

حاوليا يجب استحضاره وحفظه والآن بعون الله المنان الحنان حصلت بركاته وعمت نفحاته وأنار الآفاق بدر وجوده وروى الظماء قاموس افاداته وجوده وتحلت بصحاح جواهر معانيه اجياد مباشريه ومبتاعيه (نظم)

كلام الله أفضل ما رواه * رسول الله عن جبريل قطعا

عجائبه بحار اللب فيها * وليست تنقضي بدعا وصنعا

وخادمه بتفسير المعاني * أجل الناس منقبة ونفعا

ولا سيما مفسره علي * مبين الآي افذاذا وشفعا

هو التفسير ايضاحا وبسطا * ومتبعوه أرقى الناس طبعا

أوليس هذا التفسير من أقوى الدلائل في فهم اسرار القرآن واعظم الوسائط لوضوح معاني الفرقان ومظهرا لشان الجلال والجمال من وجوه آيات الله الكبير المتعال تنشرح به العلوم والمعارف التي يعرف قدرها قلب كل عالم وعارف كيف لا وقد تعطرت الارجاء بطبع هذا الكتاب الذي طالما كان يطلبه الطلاب المسمى بتبصير الرحمن وتيسير المنان لما اودع فيه من رموز الأسرار والبيان وكنوز الكشف والتبيان عن جواهر الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه باسلوب رائق يعجز كل فصيح عن استيعاب وصفه ونكات بديعة واستنباطات رفيعة وافهام ثاقبة واستظهارات صائبة وعبارات تخر لفصاحتها سحبان ويطرح لبلاغتها قس في زوايا النسيان وغير ذلك من الاوصاف التي يضيق عن حصرها نطاق التعبير وتجل عن أن يحيط بها تفسير ويحصل بها الارشاد الى تبصير اسرار كتاب العليم البصير وتيسير فهم لطائف آيات اللطيف الخبير فلعمري ان اسمه طابق مسماه ووافق مدلوله ومعناه كما يعرف ذلك الناقد النحرير ولا ينبئك مثل خبير ولعمري انه بالحرى ان يكون له خطوط الشعاع خيوط المسطر ويصرف في مداده ماء السلسبيل والكوثر ويكتب باقلام الذهب على صفائح الزبرجد لا بل على الواح الزمرد لا بل على خدود الحور باقلام النور وكيف لا وقد ألفه صاحب المقامات في مرضاة رب البريات تاج الماهرين سند الراسخين ذو الجد والجاه تلميذ معلم كليم الله اعني جناب الخضر ذا الاحترام على نبينا وعليهما الصلاة والسلام مولانا الاجل الامثل ومقتدانا الاكمل الافضل زبدة العلماء نخبة العرفاء تذكرة المتقدمين تكملة المتأخرين الذي به قامت سوق الفضائل والعرفان واجمعت على كماله مجامع افاضل عباد الله المنان الحبر النبيل علي بن أحمد بن حسن بن ابراهيم بن اسمعيل الهندي المهايمي تغمده الله بالرحمة والرضوان واسكنه بفضله بحبوحة الجنان ويقع في خلدي من حالاته ومقاماته ان هذا التفسير المنير من كراماته وتحقق طبعه في مصر المحروسة ببذل الجهد والعناية وفتح باب الهداية والكفاية ممن له كعب عال في الاكمال والاستكمال ذي الخلال الزكية والقرائح الذكية محط رحال العلماء مهبط رواحل الادباء رواء وجه الدين زلال مناهل اليقين محب المساكين مرجع آمال الآملين مجمع اعمال العاملين مولانا الشيخ محمد جمال الدين وزير مملكة بوفال ادامه الله الكبير المتعال ولازالت مقاماته محفوفة بالاخيار والسادة الاشراف الابرار ومشحونة بأهل العلم من الصغار والكبار

بفضل

شيء من لاسيما بتخفيف الياء لغة كما في القاموس اه مصحح

بفضل رحمة الله العزيز الغفار فبادروا اليه أيها المشتاقون لعلكم بعد أيام لاتجدون وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وقرظه أيضا ووشاه وقرطه وزينه وحلاه حريرى زمانه وجوهرى أوانه البليغ البارع الذى تحلى بنثره ونظمه المسامع سيد البيان والمعانى حضرة الفاضل الشيخ محمد البسيونى البيبانى اوحد العلماء المصريين وغرة الفضلاء الازهريين فلله دره حيث قال فأعرب عن السحر الحلال

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يقول راجى بلوغ الامانى هنا وفى دار التهانى افقر الورى وأحقر ما يرى عبده محمد البسيونى البيبانى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده فكان دليلا على انفراده بكمال مجده وبرهانا على نفى شريكه وندّه وتنزيها عن شبهه ووزيره وضده فسبحان من نطقت الكائنات بانه الحميد المجيد المبدئ المبدع الصانع ولاح من صفحات ذرات الموجودات انه الحكيم العليم الكريم الواسع فله الحمد البس قلوب الصفوة من عباده ملابس العرفان وخصهم من بين عباده بخصائص الاحسان حتى امتلأت ضمائرهم من مواهب الانس وانجلت مرآة قلوبهم بنور القدس فلا غرو أن نطقوا عن غير الهوى ونزلوا فوائد الدنيا بأسرها منزلة الهوى كيف لا وقد علوا على عاتق الرغبوت والرهبوت ووطؤا بعلو همتهم بساط الملكوت والصلاة والسلام على عروس مملكة الحضرة الالهية واسطة عقد نظام العوالم السفلية والعلوية سيدنا محمد المؤيد بأسرار البلاغة ودلائل الاعجاز المحرز قصب السبق فى مضمار الفخار أى احراز وعلى آله وصحبه وشيعته وحزبه (امابعد) فهذا كتاب فى الكتاب أشجع من الكتائب واسنى فى أوج الشرف الثابت من ثابت الكواكب يعترف كل فكر بفضله على التفاسير فى العموم والخصوص ويشهد له ماجمع من بواهر جواهر الفصوص فلعمرى لقد حوى من طرائف ظرائف الفنون ماتقر بحسنه العيون فلمثل هذا فليعمل العاملون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وهكذا هكذا تكون رقائق الالفاظ التى هى ابهى من مغازلة الالحاظ وكذا فلتكن افنان سطور الطروس التى بها تسر نفائس النفوس كم افصح عن مكنونات قرآنيه واعرب عن مستورات غيبيه ونبه على لطف الاساليب بألطف اسلوب وبين فرائد فوائد نورها لولاه محجوب مع التحقيق الشريف الشريق والتنميق اللطيف الانيق والتعبير الرقيق والتحرير الدقيق والنكات المستغربه والفكاهات المستعذبه والكشف عن وجوه مخدرات آى القرآن وابرازها على طرف الثمام أى ابراز لاى انسان فلا غرو أن كان السعد خادما وصاحبه المخدوم على المنار حتى المنار شمس العلوم وبدر الفهوم الى فى تفسيره بما لم يحوه تفسير وكشف ستر الكشاف حتى تركه أقل من فتيل وقطمير وقضى على القاضى بسيف حزمه الهندى الماضى وقال لسان حاله ولا فخر منشدا ودع كل صوت غير صوتى فاننى * أنا الصائح المحكى والآخر الصدا ولما ان فاح بالطبع مسك ختامه مدحته مؤرخا العامه

سرى النسيم برياها فحياني * ولي تلألأ ذكاها فأحياني

أم روضة الانس تزهو في أزاهرها * تروح الروح في روح وريحان

أم غادة بسمت أبدت مباسمها * كنز الجواهر من در ومرجان

أم الكتاب الذي كانوا له * من الكتاب يريننا فرق فرقان

اسدى لنا منها أهدى انامله * عليها صاغها تفسير قرآن

ابدى نفيس عبارات مهذبة * فاستوجب المدح من قاص ومن داني

وليس معنى سيوف الهند ماضية * فيما فهمت سوى ما فيه للعاني

ضرب من السحر حل ذوقه ضرب * في كل معنى ومبنى شاده الباني

هذى بلاغته ما فوق رتبتها * الا المثاني وما للذكر من ثاني

وهكذا خدمة المخدوم سيده * بها ارتقى للمعالي عالي الشان

وحله الطبع تزهو في محاسنه * بكل معنى أرانا حسن اتقان

فانظر تجد نزهة تحيي القلوب بدت * بطرة في غريب للسجستاني

فدونك الكل كالجنتين فيه * ونزه الطرف في حور وولدان

لله در وزير الهند أي فتى * قد استحق الثنا من كل انسان

محمد ذا جمال الدين قلدنا * في مصر در امتنان غير منان

تخير العالم النحرير ارسله * لطبع روض علوم ذي جنى داني

ومن تسبب في الخيرات فادع له * وقل يجازى بغفران واحسان

لاسيما ذلك الخير العظيم فكم * ابدى معالم ايمان وعرفان

ومذ تناهى له الاسعاد ارخه * للطبع لطف لدا تبصير رحمن

٢٩٨ ٧٠٢ ٠٣٥ ١١٩ ١٤١

١٢٩٥

وقد تم طبعه الحسن ووضعه الانيق المستحسن في دولة من نضرت به الايام وشمل باحسانه الانام عزيز مصر ذي القدر العلي الخديو اسمعيل بن ابراهيم بن محمد علي متع الله تعالى انجاله الكرام بوجوده وافاض على رعيته سجال عدله وجوده مشمولا طبعه الزاهر بادارة جليل المفاخر من رقي في المعالي على مكانه سعادة حسين بك حسني مدير المطبعة والكاغدخانه ونظارة ذي المعارف التي عليه تثني وكيلهما حضرة محمد افندي حسني ، وتوج بتاج الكمال

في أواخر شهر شوال من عام التاريخ الذي اليه

قد أشير من هجرة أفضل بشير ونذير

صلى الله وسلم عليه وآله وكل

منتم اليه ما كر الجديدان

وما أشرق النيران

م